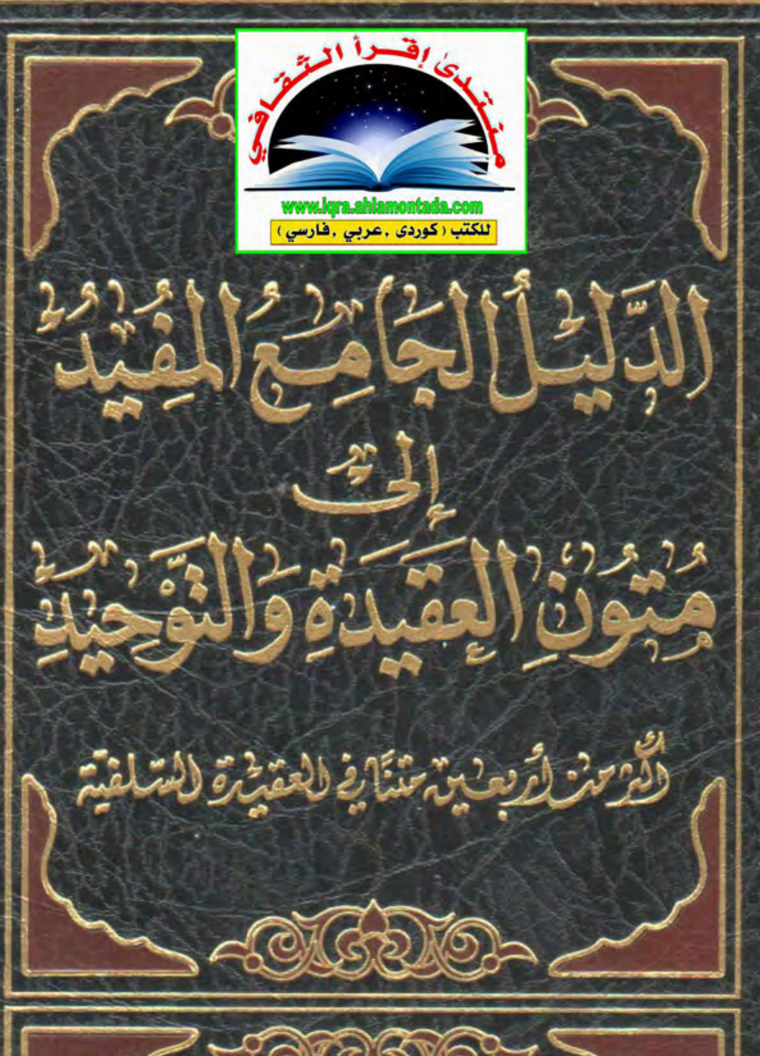


الدَّلِيلُ الجَامِعُ المُفِيدُ إِلَى مُتُونِ العَقِيدَةِ وَالتَّوْحِيدِ

أكثر من أربعين متنًا في العقيدة السلفية

طبعة جديدة منقحة وقد خرجت أحاديثها
وفقًا لأحكام الشيخ محمد ناصر الدين الألباني

المجموعة الأولى

مؤسسة الضحى — مكتبة السلف

الدَّلِيلُ الجَامِعُ المُفِيدُ

إِلَى

مُتُونِ العَقِيدَةِ وَالتَّوْحِيدِ

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

مكتبة السلف
العراق - أربيل - دورة الشيخ محمود
أسواق لاوند - الطابق الأرضي - مقابل جامع (محمد العلاف)
جوال: 07504794242
بريد إلكتروني: salaf.maktaba@yahoo.com

مؤسسة الضحى
بيروت - لبنان
تلفاكس: ٠٠٩٦١١٧٠٢٩١٢
جـــوال: ٠٠٩٦١٣٩٤٣٤٦١
البريد الالكتروني: al-duha_pub@cyberia.net.lb

الدَّلِيلُ الجَامِعُ المُفِيدُ إِلَى مُتُونِ العَقِيدَةِ وَالتَّوْحِيدِ

أكثر من أربعين متنًا في العقيدة السلفية

طبعة جديدة منقحة وقد خرجت أحاديثها

وفقًا لأحكام الشيخ محمد ناصر الدين الألباني

(المجموعة الأولى)

مؤسسة الضحى

مكتبة السلف

مقدمة الكتاب

الحمد لله الذي بعث عباده المرسلين بتوحيده، وأقام بهم الحجة على عبيده، فاتفقوا أولهم وآخرهم على توحيده، ونبذ الشرك وتنديده، وأنه الإله الحق المستحق للعبادة دون سواه، وعبادة غيره باطلة؛ فإنه ما عُبد غير الله إلا بالبغي، والظلم، والعدوان.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تأكيداً بعد تأكيد؛ لبيان مقام التوحيد، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن رسوخ العقيدة الإسلامية في قلب المؤمن هي السعادة العظمى في الدنيا والآخرة، لأنها مبنية على توحيد الخالق والإيمان به وبرسله الذين جاؤوا منقذين للبشرية من الإهواء المضلة. خاصة وأننا ابتلينا بإتجاهات منحرفة في فهم روح هذا الدين واستيعاب حقائقه، وقد لعبت هذه الأهواء المضلة الدور الأكبر على مدار التاريخ الإسلامي فانصدع ما كان متماسكاً وتشعب ما كان مجتمعاً، وقد ساعد على ذلك إختلاط المسلمين بالكثير من الشعوب الأخرى، وما دخل على المسلمين من فلسفات تلك الشعوب.

ولكن الله سبحانه وتعالى أبى إلّا أن يتم نوره، وينصر أولياءه، ويجعلهم ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله.

ولأجل هذا كتب أسلافنا رحمهم الله تعالى الكثير من المؤلفات، وذكروا البراهين على وجود الله سبحانه وتعالى، وعلى صفاته العلية، شرحاً وافياً كافياً شافياً لكل ما التبس على تلك العقول بالبحث الفكري والبراهين العقلية والنقلية ودلائل القرآن والكون.

ولأجل ذلك وبسبب كثرة المؤلفات في متون العقيدة الإسلامية، والذي هو أكبر دليل على أهمية هذا العلم الشريف ومكانته بين علماء السلف والعلماء المعاصرين، لذلك قمنا بفضل الله ومَنِّهِ بجمع مجموعة من المتون المتعلقة بالعقيدة السلفية «**المجموعة الأولى**»، لتكون تسهيلاً لطلاب العلم وعوناً لهم على فهم مسائل التوحيد، وقراءة هذه المتون التي اشتملت عليها هذه الرسالة من المسائل المهمة في الاعتقاد بل هي من أصول الدين، وهي مسائل يحتاج الطالب فيها إلى جمع أهم الأدلة والآثار عن الصحابة والتابعين وانتقاء أهم النقول عن العلماء في هذه المسائل ومعرفة القواعد والتقسيمات المعينة على فهم تلك المسائل والتعرف على مناهج الأئمة في عرض مسائل التوحيد وتدريسها، والدعوة إليها، وتوضيح الحجج وكشف الشبه التي يثيرها بعض الجهلة، وما كان في هذه الرسائل من تكرار فأوصي أن يقرأه الطالب قراءة سريعة تكون كالمذاكرة له.

وأخيراً أسأل الله عز وجل أن يتقبل هذا العمل، وأن يجعل الفائدة فيه لمن قرأه، إنه سميع مجيب، والحمد لله رب العالمين.

الناشر

(١) لمعةُ الاعتقَادِ الهَادِي إلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- الحَمدُ لله المَحمُودِ بِكُلِّ لِسَان، المَعبُودِ فِي كُلِّ زَمَان، الَّذِي لَا يَخلُو مِن عِلمِهِ مَكَان، وَلَا يَشغَلُهُ شَأنٌ عَن شَان، جَلَّ عَنِ الأَشبَاهِ وَالأَندَاد، وَتَنَزَّهَ عَنِ الصَّاحِبَةِ وَالأَولَاد، وَنَفَذَ حُكمُهُ فِي جَمِيعِ العِبَاد، لَا تُمَثِّلُهُ العُقُولُ بِالتَّفكِير، وَلَا تَتَوَهَّمُهُ القُلُوبُ بِالتَّصوِير: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

لَهُ الأَسمَاءُ الحُسنَىٰ، وَالصِّفَاتُ العُلَا: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه:٥-٧].

أَحَاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلمًا، وَقَهَرَ كُلَّ مَخلُوقٍ عِزَّةً وَحُكمًا، وَوَسِعَ كُلَّ شَيءٍ رَحمَةً وَعِلمًا: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]. مَوصُوفٌ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفسَهُ فِي كِتَابِهِ العَظِيم، وَعَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ الكَرِيم.

٢- وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي القُرآنِ أَو صَحَّ عَنِ المُصطَفَىٰ ﷺ مِن صِفَاتِ الرَّحمَنِ وَجَبَ الإِيمَانُ بِهِ، وَتَلَقِّيهِ بِالتَّسلِيمِ وَالقَبُولِ، وَتَركُ التَّعَرُّضِ لَهُ بِالرَّدِّ وَالتَّأوِيلِ وَالتَّشبِيهِ وَالتَّمثِيلِ، وَمَا أُشكِلَ مِن ذَلِكَ وَجَبَ إِثبَاتُهُ لَفظًا وَتَركُ التَّعَرُّضِ لِمَعنَاهُ، وَنَرُدُّ عِلمَهُ إِلَىٰ قَائِلِهِ، وَنَجعَلُ عُهدَتَهُ عَلَىٰ نَاقِلِهِ، اتِّبَاعًا لِطَرِيقِ الرَّاسِخِينَ فِي العِلمِ، الَّذِينَ أَثنَىٰ الله عَلَيهِم فِي كِتَابِهِ المُبِينِ بِقَولِهِ ﷻ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧].

وَقَالَ فِي ذَمِّ مُبتَغِي التَّأوِيلِ لِمُتَشَابِهِ تنزِيلِهِ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧].

فَجَعَلَ ابتِغَاءَ التَّأوِيلِ عَلَامَةً عَلَىٰ الزَّيغِ، وَقَرَنَهُ بِابتِغَاءِ الفِتنَةِ فِي الذَّمِّ، ثُمَّ حَجَبَهُم عَمَّا أَمَّلُوهُ،

وَقَطَعَ أَطمَاعَهُم عَمَّا قَصَدُوهُ، بِقَولِهِ سُبحَانَهُ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

٣- قَالَ الإِمَامُ أَبُو عَبدِ الله أَحمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَنبَلٍ ﷺ فِي قَولِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ الله يَنزِلُ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنيَا» [البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨)].

وَ: «إِنَّ الله يُرَىٰ فِي القِيَامَةِ» [البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣)]. وَمَا أَشبَهَ هَذِهِ الأَحَادِيثَ: «نُؤمِنُ بِهَا، وَنُصَدِّقُ بِهَا، لَا كَيفَ، وَلَا مَعنَىٰ، وَلَا نَرُدُّ شَيئًا مِنهَا، وَنَعلَمُ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ حَقٌّ، وَلَا نَرُدُّ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا نَصِفُ الله بِأَكثَرَ مِمَّا وَصَفَ بِهِ نَفسَهُ بِلَا حَدٍّ وَلَا غَايَةٍ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]».

وَنَقُولُ كَمَا قَالَ، وَنَصِفُهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفسَهُ لَا نَتَعَدَّىٰ ذَلِكَ، وَلَا يَبلُغُهُ وَصفُ الوَاصِفِينَ، نُؤمِنُ بِالقُرآنِ كُلِّهِ مُحكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ، وَلَا نُزِيلُ عَنهُ صِفَةً مِن صِفَاتِهِ لِشَنَاعَةٍ شُنِعَت، وَلَا نَتَعَدَّىٰ القُرآنَ وَالحَدِيثَ، وَلَا نَعلَمُ كَيفَ كُنهُ ذَلِكَ إِلَّا بِتَصدِيقِ الرَّسُولِ ﷺ وَتَثبِيتِ القُرآنِ.

٤- قَالَ الإِمَامُ أَبُو عَبدِ الله مُحَمَّدُ بنُ إِدرِيسَ الشَّافِعِيُّ ﷺ: «آمَنتُ بِاللهِ وَبِمَا جَاءَ عَنِ اللهِ عَلَىٰ مُرَادِ اللهِ، وَآمَنتُ بِرَسُولِ اللهِ وَبِمَا جَاءَ عَن رَسُولِ اللهِ عَلَىٰ مُرَادِ رَسُولِ اللهِ ﷺ».

٥- وَعَلَىٰ هَذَا دَرَجَ السَّلَفُ وَأَئِمَّةُ الخَلَفِ ﷺ، كُلُّهُم مُتَّفِقُونَ عَلَىٰ الإِقرَارِ وَالإِمرَارِ وَالإِثبَاتِ لِمَا وَرَدَ مِنَ الصِّفَاتِ فِي كِتَابِ الله وَسُنَّةِ رَسُولِهِ مِن غَيرِ تَعَرُّضٍ لِتَأوِيلِهِ.

٦- وَقَد أُمِرنَا بِالاقتِفَاءِ لآثَارِهِم، وَالاهتِدَاءِ بِمَنَارِهِم، وَحُذِّرنَا المُحدَثَاتِ، وَأُخبِرنَا أَنَّهَا مِنَ الضَّلَالَاتِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَيكُم بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهدِيِّينَ مِن بَعدِي، عَضُّوا عَلَيهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُم وَمُحدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ». [صحيح الجامع (٢٥٤٩)].

٧- وَقَالَ عَبدُ الله بنُ مَسعُودٍ ﷺ: «اتَّبِعُوا وَلَا تَبتَدِعُوا، فَقَد كُفِيتُم».

٨- وَقَالَ عُمَرُ بنُ عَبدِ العَزِيزِ ﷺ كَلَامًا مَعنَاهُ: «قِف حَيثُ وَقَفَ القَومُ، فَإِنَّهُم عَن عِلمٍ وَقَفُوا، وَبِبَصَرٍ نَافِذٍ كَفُّوا، وَهُم عَلَىٰ كَشفِهَا كَانُوا أَقوَىٰ، وَبِالفَضلِ لَو كَانَ فِيهَا أَحرَىٰ، فَلَئِن

قُلتُم: حَدَثَ بَعدَهُم! فَمَا أَحدَثَهُ إِلَّا مَن خَالَفَ هَديَهُم، وَرَغِبَ عَن سُنَّتِهِم، وَلَقَد وَصَفُوا مِنهُ مَا يَشفِي، وَتَكَلَّمُوا مِنهُ بِمَا يَكفِي، فَمَا فَوقَهُم مُحَسِّرٌ، وَمَا دُونَهُم مُقَصِّرٌ، لَقَد قَصَّرَ عَنهُم قَومٌ فَجَفَوا، وَتَجَاوَزَهُم آخَرُونَ فَغَلَوا، وَإِنَّهُم فِيمَا بَينَ ذَلِكَ لَعَلَىٰ هُدًىٰ مُستَقِيم».

٩- وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عَمرٍو الأَوزَاعِيُّ ﷺ: «عَلَيكَ بِآثَارِ مَن سَلَفَ وَإِن رَفَضَكَ النَّاسُ، وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الرِّجَالِ وَإِن زَخرَفُوهُ لَكَ بِالقَولِ».

١٠- وَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ الرَّحمَنِ الأَدرَمِيُّ لِرَجُلٍ تَكَلَّمَ بِبِدعَةٍ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَيهَا: «هَل عَلِمَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكرٍ وَعُمَرُ وَعُثمَانُ وَعَلِيٌّ، أَو لَم يَعلَمُوهَا؟

قَالَ: لَم يَعلَمُوهَا.

قَالَ: فَشَيءٌ لَم يَعلَمهُ هَؤُلَاءِ أَعَلِمتَهُ أَنتَ؟!!

قَالَ الرَّجُلُ: فَإِنِّي أَقُولُ قَد عَلِمُوهَا.

قَالَ: أَفَوَسِعَهُم أَلَّا يَتَكَلَّمُوا بِهِ، وَلَا يَدعُوا النَّاسَ إِلَيهِ أَم لَم يَسَعهُم؟

قَالَ: بَلَىٰ وَسِعَهُم.

قَالَ: فَشَيءٌ وَسِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَخُلَفَاءَهُ لَا يَسَعُكَ أَنتَ؟!!

فَانقَطَعَ الرَّجُلُ؛ فَقَالَ الخَلِيفَةُ -وَكَانَ حَاضِرًا-: لَا وَسَّعَ اللهُ عَلَىٰ مَن لَم يَسَعهُ مَا وَسِعَهُم».

١١- وَهَكَذَا مَن لَم يَسَعهُ مَا وَسِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصحَابَهُ وَالتَّابِعِينَ لَهُم بِإِحسَانٍ وَالأَئِمَّةَ مِن بَعدِهِم وَالرَّاسِخِينَ فِي العِلمِ مِن تِلَاوَةِ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَقِرَاءَةِ أَخبَارِهَا وَإِمرَارِهَا كَمَا جَاءَت فَلَا وَسَّعَ اللهُ عَلَيهِ.

١٢- فَمِمَّا جَاءَ مِن آيَاتِ الصِّفَاتِ قَولُ اللهِ ﷻ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن:٢٧].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ إِخبَارًا عَن عِيسَىٰ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة:١١٦].

وَقَولُهُ سُبحَانَهُ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:٢٢].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢١٠].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [المائدة:١١٩].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ [المائدة:٥٤].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ فِي الكُفَّارِ: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح:٦].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ [محمد:٢٨].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة:٤٦].

١٣- وَمِنَ السُّنَّةِ: قَولُ النَّبِيِّ ﷺ: «يَنزِلُ رَبُّنَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- كُلَّ لَيلَةٍ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنيَا». [البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨)].

وَقَولُهُ: «يَعجَبُ رَبُّكَ مِنَ الشَّابِّ لَيسَت لَهُ صَبوَةٌ». [ضعيف الجامع (١٦٥٨)].

وَقَولُهُ: «يَضحَكُ اللهُ إِلَىٰ رَجُلَينِ قَتَلَ أَحَدُهُمَا الآخَرَ ثُمَّ يَدخُلَانِ الجَنَّةَ». [البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠)].

١٤- فَهذَا وَمَا أَشبَهَهُ مِمَّا صَحَّ سَنَدُهُ، وَعُدِّلَت رُوَاتُهُ، نُؤمِنُ بِهِ، وَلَا نَرُدُّهُ، وَلَا نَجحَدُهُ، وَلَا نَتَأَوَّلُهُ بِتَأوِيلٍ يُخَالِفُ ظَاهِرَهُ، وَلَا نُشَبِّهُهُ بِصِفَاتِ المَخلُوقِينَ، وَلَا بِسِمَاتِ المُحدَثِينَ، وَنَعلَمُ أَنَّ الله ﷻ لَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١].

وَكُلُّ مَا تُخُيِّلَ فِي الذِّهنِ أَو خَطَرَ بِالبَالِ، فَإِنَّ الله تَعَالَىٰ بِخِلَافِهِ.

١٥- وَمِن ذَلِكَ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦].

وَقَولُ النَّبِيِّ ﷺ: «رَبَّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسمُكَ». [ضعيف الترغيب (٢١٠٣)].

وَقَالَ لِلجَارِيَةِ: «أَينَ اللهُ؟». قَالَت: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: اعتِقهَا فَإِنَّهَا مُؤمِنَةٌ» [مسلم (٥٣٧)]. رَوَاهُ مَالِكُ بنُ أَنَسٍ، وَمُسلِمٌ وَغَيرُهُمَا مِنَ الأَئِمَّةِ.

١٦ - وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِحُصَينٍ: «كَم إِلَهًا تَعبُدُ؟

قَالَ: سَبعَةً: سِتَّةً فِي الأَرضِ، وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ.

قَالَ: مَن لِرَغبَتِكَ وَرَهبَتِكَ؟

قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ.

قَالَ: فَاترُكِ السِّتَّةَ، وَاعبُدِ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، وَأَنَا أُعَلِّمُكَ دَعوَتَينِ. فَأَسلَمَ، وَعَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَن يَقُولَ: اللَّهُمَّ أَلهِمنِي رُشدِي، وَقِنِي شَرَّ نَفسِي». [ضعيف الجامع (٤٠٩٨)].

١٧ - وَفِيمَا نُقِلَ مِن عَلَامَاتِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصحَابِهِ فِي الكُتُبِ المُتَقَدِّمَةِ: «أَنَّهُم يَسجُدُونَ بِالأَرضِ، وَيَزعُمُونَ أَنَّ إِلَهَهُم فِي السَّمَاءِ».

١٨ - وَرَوَىٰ أَبُو دَاودَ فِي سُنَنِهِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَا بَينَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ كَذَا وَكَذَا...».

وَذَكَرَ الخَبَرَ إِلَىٰ قَولِهِ: «وَفَوقَ ذَلِكَ العَرشُ، وَاللهُ سُبحَانَهُ فَوقَ ذَلِكَ» [ضعيف أبي داود (٤٧٢٣)].

١٩ - فَهَذَا وَمَا أَشبَهَهُ مِمَّا أَجمَعَ السَّلَفُ -رَحِمَهُمُ اللهُ- عَلَىٰ نَقلِهِ وَقَبُولِهِ، وَلَم يَتَعَرَّضُوا لِرَدِّهِ، وَلَا تَأوِيلِهِ، وَلَا تَشبِيهِهِ، وَلَا تَمثِيلِهِ.

٢٠ - سُئِلَ الإِمَامُ مَالِكُ بنُ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللهُ «فَقِيلَ: يَا أَبَا عَبدِ اللهِ، ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]. كَيفَ استَوَىٰ؟!

فَقَالَ: الاستِوَاءُ غَيرُ مَجهُولٍ، وَالكَيفُ غَيرُ مَعقُولٍ، وَالإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنهُ بِدعَةٌ، ثُمَّ أَمَرَ بِالرَّجُلِ فَأُخرِجَ».

فَصلٌ

٢١ - وَمِن صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ أَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ قَدِيمٍ، يَسمَعُهُ مِنهُ مَن شَاءَ مِن خَلقِهِ، سَمِعَهُ مُوسَىٰ عليه السلام مِنهُ مِن غَيرِ وَاسِطَةٍ، وَسَمِعَهُ جِبرِيلُ عليه السلام، وَمَن أَذِنَ لَهُ مِن مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ.

٢٢- وَأَنَّهُ سُبحَانَهُ يُكَلِّمُ المُؤمِنِينَ فِي الآخِرَةِ وَيُكَلِّمُونَهُ، وَيَأذَنُ لَهُم فَيَزُورُونَهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤].

وَقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤].

وَقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وَقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورىٰ:٥١].

وَقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه:١١-١٢].

وَقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه:١٤].

وَغَيرُ جَائِزٍ أَن يَقُولَ هَذَا أَحَدٌ غَيرُ اللهِ.

٢٣- وَقَالَ عَبدُ اللهِ بنُ مَسعُودٍ ﷺ: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالوَحيِ، سَمِعَ صَوتَهُ أَهلُ السَّمَاءِ» رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

٢٤- وَرَوَىٰ عَبدُ الله بنُ أُنَيسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَحشُرُ الله الخَلَائِقَ يومَ القِيَامَةِ عُرَاةً حُفَاةً غُرلًا بُهمًا، فَيُنَادِيهِم بِصَوتٍ يَسمَعُهُ مَن بَعُدَ كَمَا يَسمَعُهُ مَن قَرُبَ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ». رَوَاهُ الأَئِمَّةُ، وَاستَشهَدَ بِهِ البُخَارِيُّ. [صحيح الترغيب (٣٦٠٨)].

٢٥- وَفِي بَعضِ الآثَارِ: «أَنَّ مُوسَىٰ عليه السلام لَيلَةَ رَأَىٰ النَّارَ فَهَالَتهُ فَفَزِعَ مِنهَا، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا مُوسَىٰ، فَأَجَابَ سَرِيعًا استئنَاسًا بِالصَّوتِ، فَقَالَ: لَبَّيكَ لَبَّيكَ، أَسمَعُ صَوتَكَ وَلَا أَرَىٰ مَكَانَكَ، فَأَينَ أَنتَ؟!

فَقَالَ: أَنَا فَوقَكَ وَأَمَامَكَ وَعَن يَمِينِكَ وَعَن شِمَالِكَ.

فَعَلِمَ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ لَا تَنبَغِي إِلَّا للهِ تَعَالَىٰ.

قَالَ: كَذَلِكَ أَنتَ يَا إِلَهِي، أَفَكَلَامُكَ أَسمَعُ، أَم كَلَامُ رَسُولِكَ؟ قَالَ: بَل كَلَامِي يَا مُوسَىٰ».

فَصلٌ

٢٦- وَمِن كَلَامِ اللهِ سُبحَانَهُ: القُرآنُ العَظِيمُ، وَهُوَ كِتَابُ اللهِ المُبِينُ، وَحَبلُهُ المَتِينُ،

وَصِرَاطُهُ المُستَقِيمُ، وَتَنزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَىٰ قَلبِ سَيِّدِ المُرسَلِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، مُنَزَّلٌ غَيرُ مَخلُوقٍ، مِنهُ بَدَأَ وَإِلَيهِ يَعُودُ.

٢٧- وَهُوَ سُوَرٌ مُحكَمَاتٌ، وَآيَاتٌ بَيِّنَاتٌ، وَحُرُوفٌ وَكَلِمَاتٌ، مَن قَرَأَهُ فَأَعرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرفٍ عَشرُ حَسَنَاتٍ، لَهُ أَوَّلٌ وَآخِرٌ، وَأَجزَاءٌ وَأَبعَاضٌ، مَتلُوٌّ بِالأَلسِنَةِ، مَحفُوظٌ فِي الصُّدُورِ، مَسمُوعٌ بِالآذَانِ، مَكتُوبٌ فِي المَصَاحِفِ، فِيهِ مُحكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ، وَنَاسِخٌ وَمَنسُوخٌ، وَخَاصٌّ وَعَامٌّ، وَأَمرٌ وَنَهيٌ.

﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت:٤٢].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨].

٢٨- وَهَذَا هُوَ الكِتَابُ العَرَبِيُّ الَّذِي قَالَ فِيهِ الَّذِينَ كَفَرُوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ [سبأ:٣١].

وَقَالَ بَعضُهُم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٥].

فَقَالَ الله ﷻ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر:٢٦].

وَقَالَ بَعضُهُم: هُوَ شِعرٌ؛ فَقَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [يس:٦٩].

فَلَمَّا نَفَىٰ اللهُ عَنهُ أَنَّهُ شِعرٌ وَأَثبَتَهُ قُرآنًا لَم يَبقَ شُبهَةٌ لِذِي لُبٍّ فِي أَنَّ القُرآنَ هُوَ هَذَا الكِتَابُ العَرَبِيُّ الَّذِي هُوَ كَلِمَاتٌ وَحُرُوفٌ وَآيَاتٌ؛ لأَنَّ مَا لَيسَ كَذَلِكَ لَا يَقُولُ أَحَدٌ: إِنَّهُ شِعرٌ.

٢٩- وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٣].

وَلَا يَجُوزُ أَن يَتَحَدَّاهُم بِالإِتيَانِ بِمِثلِ مَا لَا يُدرَىٰ مَا هُوَ وَلَا يُعقَلُ.

٣٠- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ ﴾ [يونس:١٥].

فَأَثبَتَ أَنَّ القُرآنَ هُوَ الآيَاتُ الَّتِي تُتلَىٰ عَلَيهِم.

٣١- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت:٤٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٧-٧٩]. بَعدَ أَن أَقسَمَ عَلَىٰ ذَلِكَ.

٣١- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم:١].

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى:١-٢]. وَافتَتَحَ تِسعًا وَعِشرِينَ سُورَةً بِالحُرُوفِ المُقَطَّعَةِ.

٣٣- وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَن قَرَأَ القُرآنَ فَأَعرَبَهُ، فَلَهُ بِكُلِّ حَرفٍ مِنهُ عَشرُ حَسَنَاتٍ، وَمَن قَرَأَهُ وَلَحَنَ فِيهِ فَلَهُ بِكُلِّ حَرفٍ حَسَنَةٌ» حَدِيثٌ صَحِيحٌ. [الضعيفة (٢٣٤٨)].

٣٤- وَقَالَ -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «اقرَءُوا القُرآنَ قَبلَ أَن يَأتِيَ قَومٌ يُقِيمُونَ حُرُوفَهُ إِقَامَةَ السَّهمِ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُم، يَتَعَجَّلُونَ أَجرَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ». [الصحيحة (٢٥٩)].

٣٥- وَقَالَ أَبُو بَكرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما: «إِعرَابُ القُرآنِ أَحَبُّ إِلَينَا مِن حِفظِ بَعضِ حُرُوفِهِ».

٣٦- وَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: «مَن كَفَرَ بِحَرفٍ مِنهُ فَقَد كَفَرَ بِهِ كُلِّهِ».

٣٧- وَاتَّفَقَ المُسلِمُونَ عَلَىٰ عَدِّ سُوَرِ القُرآنِ وَآيَاتِهِ وَكَلِمَاتِهِ وَحُرُوفِهِ.

٣٨- وَلَا خِلَافَ بَينَ المُسلِمِينَ فِي أَنَّ مَن جَحَدَ مِنَ القُرآنِ سُورَةً، أَو آيَةً، أَو كَلِمَةً، أَو حَرفًا مُتَّفَقًا عَلَيهِ؛ أَنَّهُ كَافِرٌ، وَفِي هَذَا حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ عَلَىٰ أَنَّهُ حُرُوفٌ.

فَصلٌ

٣٩- وَالمُؤمِنُونَ يَرَونَ رَبَّهُم فِي الآخِرَةِ بِأَبصَارِهِم، وَيَزُورُونَهُ، وَيُكَلِّمُهُم وَيُكَلِّمُونَهُ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥].

٤٠- فَلَمَّا حَجَبَ أُولَئِكَ فِي حَالِ السُّخطِ؛ دَلَّ عَلَىٰ أَنَّ المُؤمِنِينَ يَرَونَهُ فِي حَالِ الرِّضَا، وَإِلَّا لَم يَكُن بَينَهُمَا فَرقٌ.

٤١ - وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكُم سَتَرَونَ رَبَّكُم كَمَا تَرَونَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤيَتِهِ» حَدِيثٌ صَحِيحٌ مُتَّفَقٌ عَلَيهِ. [البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣)].

٤٢ - وَهَذَا تَشبِيهٌ لِلرُّؤيَةِ بِالرُّؤيَةِ لَا لِلمَرئِيِّ بِالمَرئِيِّ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ.

فَصلٌ

٤٣ - وَمِن صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ أَنَّهُ الفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ، لَا يَكُونُ شَيءٌ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ، وَلَا يَخرُجُ شَيءٌ عَن مَشِيئَتِهِ، وَلَيسَ فِي العَالَمِ شَيءٌ يَخرُجُ عَن تَقدِيرِهِ وَلَا يَصدُرُ إِلَّا عَن تَدبِيرِهِ.

وَلَا مَحِيدَ عَنِ القَدَرِ المَقدُورِ، وَلَا يَتَجَاوَزُ مَا خُطَّ فِي اللَّوحِ المَسطُورِ، أَرَادَ مَا العَالَمُ فَاعِلُوهُ، وَلَو عَصَمَهُم لَمَا خَالَفُوهُ، وَلَو شَاءَ أَن يُطِيعُوهُ جَمِيعًا لأَطَاعُوهُ.

خَلَقَ الخَلقَ وَأَفعَالَهُم، وَقَدَّرَ أَرزَاقَهُم وَآجَالَهُم، يَهدِي مَن يَشَاءُ بِرَحمَتِهِ، وَيُضِلُّ مَن يَشَاءُ بِحِكمَتِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد:٢٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام:١٢٥].

٤٤ - وَرَوَىٰ ابنُ عُمَرَ: أَنَّ جِبرِيلَ عليه السلام قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: أَن تُؤمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَومِ الآخِرِ، وَالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ. فَقَالَ جِبرِيلُ: صَدَقتَ» رَوَاهُ مُسلِمٌ. [مسلم (٨)].

٤٥ - وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «آمَنتُ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ وَحُلوِهِ وَمُرِّهِ». [ضعيف، ظلال الجنة (١٧٢)].

٤٦- وَمِن دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي عَلَّمَهُ الحَسَنَ بنَ عَلِيٍّ يَدعُو بِهِ فِي قُنُوتِ الوِترِ: «وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيتَ». [صحيح، المشكاة (١٢٧٣)].

٤٧- وَلَا نَجعَلُ قَضَاءَ اللهِ وَقَدَرَهُ حُجَّةً لَنَا فِي تَركِ أَوَامِرِهِ وَاجتِنَابِ نَوَاهِيهِ، بَل يَجِبُ أَن نُؤمِنَ وَنَعلَمَ أَنَّ للهِ عَلَينَا الحُجَّةَ بِإِنزَالِ الكُتُبِ وَبَعثِهِ الرُّسُلَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥].

٤٨- وَنَعلَمُ أَنَّ اللهَ ﷻ مَا أَمَرَ وَنَهَىٰ إِلَّا المُستَطِيعَ لِلفِعلِ وَالتَّركِ، وَأَنَّهُ لَم يُجبِر أَحَدًا عَلَىٰ مَعصِيَةٍ، وَلَا اضطَرَّهُ إِلَىٰ تَركِ طَاعَةٍ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ [البقرة:٢٨٦].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن:١٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ﴾ [غافر:١٧].

٤٩- فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ لِلعَبدِ فِعلًا وَكَسبًا يُجزَىٰ عَلَىٰ حُسنِهِ بِالثَّوَابِ، وَعَلَىٰ سَيِّئِهِ بِالعِقَابِ، وَهُوَ وَاقِعٌ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ.

فَصلٌ

٥٠- وَالإِيمَانُ قَولٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالأَركَانِ، وَعَقدٌ بِالجَنَانِ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنقُصُ بِالعِصيَانِ.

٥١- قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

فَجَعَلَ عِبَادَةَ اللهِ تَعَالَىٰ وَإِخلَاصَ القَلبِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ كُلَّهُ مِنَ الدِّينِ.

٥٢- وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الإِيمَانُ بِضعٌ وَسَبعُونَ شُعبَةً، أَعلَاهَا شَهَادَةُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ». [مسلم (٣٥)].

٥٣- فَجَعَلَ القَولَ وَالعَمَلَ مِنَ الإِيمَانِ، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [التوبة:١٢٤].

وَقَالَ: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [الفتح:٤].

٥٤- وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخرُجُ مِنَ النَّارِ مَن قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ وَفِي قَلبِهِ مِثقَالُ بُرَّةٍ، أَو خَردَلَةٍ، أَو ذَرَّةٍ مِنَ الإِيمَانِ». فَجَعَلَهُ مُتَفَاضِلًا.

فَصلٌ

٥٥- وَيَجِبُ الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ وَصَحَّ بِهِ النَّقلُ عَنهُ فِيمَا شَاهَدنَاهُ أَو غَابَ عَنَّا، وَنَعلَمُ أَنَّهُ حَقٌّ وَصِدقٌ، وَسَوَاءٌ فِي ذَلِكَ مَا عَقَلنَاهُ وَجَهِلنَاهُ، وَلَم نَطَّلِع عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَعنَاهُ، مِثلُ: حَدِيثِ الإِسرَاءِ وَالمِعرَاجِ وَكَانَ يَقظَةً لَا مَنَامًا، فَإِنَّ قُرَيشًا أَنكَرَتهُ وَأَكبَرَتهُ، وَلَم تُنكِرِ المَنَامَاتِ.

٥٦- وَمِن ذَلِكَ:

أَنَّ مَلَكَ المَوتِ لَمَّا جَاءَ إِلَىٰ مُوسَىٰ عليه السلام لِيَقبِضَ رُوحَهُ لَطَمَهُ فَفَقَأَ عَينَهُ، فَرَجَعَ إِلَىٰ رَبِّهِ فَرَدَّ عَلَيهِ عَينَهُ.

٥٧- وَمِن ذَلِكَ:

أَنَّ أَشرَاطَ السَّاعَةِ: مِثلُ: خُرُوجِ الدَّجَّالِ، وَنُزُولِ عِيسَىٰ بنِ مَريَمَ عليه السلام فَيَقتُلُهُ، وَخُرُوجِ يَأجُوجَ وَمَأجُوجَ، وَخُرُوجِ الدَّابَّةِ، وَطُلُوعِ الشَّمسِ مِن مَغرِبِهَا، وَأَشبَاهِ ذَلِكَ مِمَّا صَحَّ بِهِ النَّقلُ.

٥٨- وَعَذَابُ القَبرِ وَنَعِيمُهُ حَقٌّ، وَقَدِ استَعَاذَ النَّبِيُّ ﷺ مِنهُ، وَأَمَرَ بِهِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ.

٥٩- وَفِتنَةُ القَبرِ حَقٌّ، وَسُؤَالُ مُنكَرٍ وَنَكِيرٍ حَقٌّ، وَالبَعثُ بَعدَ المَوتِ حَقٌّ، وَذَلِكَ حِينَ يَنفُخُ إِسرَافِيلُ عليه السلام فِي الصُّورِ: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس:٥١].

٦٠- وَيُحشَرُ النَّاسُ يَومَ القِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرلًا بُهمًا، فَيَقِفُونَ فِي مَوقِفِ القِيَامَةِ حَتَّىٰ يَشفَعَ فِيهِم نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ، وَيُحَاسِبُهُمُ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وَتُنصَبُ المَوَازِينُ، وَتُنشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَتَتَطَايَرُ صَحَائِفُ الأَعمَالِ إِلَى الأَيمَانِ وَالشَّمَائِلِ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ

يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ﴿١١﴾ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق:٧-١٢].

٦١- وَالمِيزَانُ لَهُ كِفَّتَانِ وَلِسَانٌ تُوزَنُ بِهِ الأَعمَالُ: ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٢-١٠٣].

٦٢- وَلِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ حَوضٌ فِي القِيَامَةِ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحلَىٰ مِنَ العَسَلِ، وَأَبَارِيقُهُ عَدَدَ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَن شَرِبَ مِنهُ شَربَةً لَم يَظمَأ بَعدَهَا أَبَدًا.

٦٣- وَالصِّرَاطُ حَقٌّ؛ يَجُوزُهُ الأَبرَارُ، وَيَزِلُّ عَنهُ الفُجَّارُ.

٦٤- وَيَشفَعُ نَبِيُّنَا ﷺ فِيمَن دَخَلَ النَّارَ مِن أُمَّتِهِ مِن أَهلِ الكَبَائِرِ، فَيَخرُجُونَ بِشَفَاعَتِهِ بَعدَمَا احتَرَقُوا وَصَارُوا فَحمًا وَحُمَمًا، فَيَدخُلُونَ الجَنَّةَ بِشَفَاعَتِهِ.

٦٥- وَلِسَائِرِ الأَنبِيَاءِ وَالمُؤمِنِينَ وَالمَلَائِكَةِ شَفَاعَاتٌ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ﴾ [الأنبياء:٢٨].

٦٦- وَلَا تَنفَعُ الكَافِرَ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ.

٦٧- وَالجَنَّةُ وَالنَّارُ مُخلُوقَتَانِ لَا تَفنَيَانِ، فَالجَنَّةُ مَأوَىٰ أَولِيَائِهِ، وَالنَّارُ عِقَابٌ لأَعدَائِهِ، وَأَهلُ الجَنَّةِ فِيهَا مُخَلَّدُونَ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ﴾ [الزخرف:٧٤-٧٥].

٦٨- وَيُؤتَىٰ بِالمَوتِ فِي صُورَةِ كَبشٍ أَملَحَ، فَيُذبَحُ بَينَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُقَالُ: «يَا أَهلَ الجَنَّةِ، خُلُودٌ وَلَا مَوتَ، وَيَا أَهلَ النَّارِ، خُلُودٌ وَلَا مَوتَ». [البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩)].

فَصلٌ

٦٩- وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدُ المُرسَلِينَ، لَا يَصِحُّ إِيمَانُ عَبدٍ حَتَّىٰ يُؤمِنَ بِرِسَالَتِهِ، وَيَشهَدَ بِنُبُوَّتِهِ، وَلَا يُقضَىٰ بَينَ النَّاسِ فِي القِيَامَةِ إِلَّا بِشَفَاعَتِهِ، وَلَا يَدخُلُ الجَنَّةَ أُمَّةٌ إِلَّا بَعدَ دُخُولِ أُمَّتِهِ.

٧٠- صَاحِبُ لِوَاءِ الحَمدِ وَالمَقَامِ المَحمُودِ وَالحَوضِ المَورُودِ، وَهُوَ إِمَامُ النَّبِيِّينَ وَخَطِيبُهُم وَصَاحِبُ شَفَاعَتِهِم، أُمَّتُهُ خَيرُ الأُمَمِ، وَأَصحَابُهُ خَيرُ أَصحَابِ الأَنبِيَاءِ عليهم السلام.

٧١- وَأَفضَلُ أُمَّتِهِ أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ الفَارُوقُ، ثُمَّ عُثمَانُ ذُو النُّورَينِ، ثُمَّ عَلِيٌّ المُرتَضَىٰ -رَضِيَ الله عَنهُم أَجمَعِينَ- لِمَا رَوَىٰ عَبدُ الله بنُ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: «كُنَّا نَقُول -وَالنَّبِيُّ ﷺ حَيٌّ-: أَفضَلُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ، فَيَبلُغ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَلَا يُنكِرُهُ».

٧٢- وَصَحَّتِ الرِّوَايَةُ عَن عَلِيٍّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: «خَيرُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَلَو شِئتُ سَمَّيتُ الثَّالِثَ».

٧٣- وَرَوَىٰ أَبُو الدَّردَاءِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا طَلَعَتِ الشَّمسُ وَلَا غَربَت بَعدَ النَّبِيِّينَ وَالمُرسَلِينَ عَلَىٰ أَفضَلٍ مِن أَبِي بَكرٍ». [فضائل الصحابة للإمام أحمد (١٣٥)].

٧٤- وَهُوَ أَحَقُّ خَلقِ الله بِالخِلَافَةِ بَعدَ النَّبِيِّ ﷺ لِفَضلِهِ وَسَابِقَتِهِ، وَتَقدِيمِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ فِي الصَّلَاةِ عَلَىٰ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، وَإِجمَاعِ الصَّحَابَةِ عَلَىٰ تَقدِيمِهِ وَمُبَايَعَتِهِ، وَلَم يَكُنِ الله لِيَجمَعَهُم عَلَىٰ ضَلَالَةٍ.

٧٥- ثُمَّ مِن بَعدِهِ عُمَرُ رضي الله عنه؛ لِفَضلِهِ وَعَهدِ أَبِي بَكرٍ إِلَيهِ.

٧٦- ثُمَّ عُثمَانُ رضي الله عنه؛ لِتَقدِيمِ أَهلِ الشُّورَىٰ لَهُ.

٧٧- ثُمَّ عَلِيٌّ رضي الله عنه؛ لِفَضلِهِ وَإِجمَاعِ أَهلِ عَصرِهِ عَلَيهِ.

٧٨- وَهَؤُلَاءِ الخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ المَهدِيُّونَ الَّذِينَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ فِيهِم: «عَلَيكُم بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهدِيِّينَ مِن بَعدِي، عَضُّوا عَلَيهَا بِالنَّوَاجِذِ». [صحيح الجامع (٢٥٤٩)].

٧٩- وَقَالَ ﷺ: «الخِلَافَةُ مِن بَعدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً». [صحيح الجامع (٣٣٤١)]. فَكَانَ آخِرُهَا خِلَافَةَ عَلِيٍّ رضي الله عنه.

٨٠- وَنَشهَدُ لِلعَشَرَةِ بِالجَنَّةِ، كَمَا شَهِدَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «أَبُو بَكرٍ فِي الجَنَّةِ،

وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيرُ فِي الجَنَّةِ، وَسَعدٌ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الجَنَّةِ، وَعَبدُ الرَّحمَنِ بنُ عَوفٍ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيدَةَ بنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ». [صحيح الجامع (٥٠)].

٨١- وَكُلُّ مَن شَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِالجَنَّةِ شَهِدنَا لَهُ بِهَا، كَقَولِهِ: «الحَسَنُ وَالحُسَينُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهلِ الجَنَّةِ». [صحيح الجامع (١٣٢٨)].

وَقَولِهِ لِثَابِتِ بنِ قَيسٍ: «إِنَّهُ مِن أَهلِ الجَنَّةِ».

٨٢- وَلَا نَجزِمُ لأَحَدٍ مِن أَهلِ القِبلَةِ بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ، إِلَّا مَن جَزَمَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ لَكِنَّا نَرجُو لِلمُحسِنِ، وَنَخَافُ عَلَىٰ المُسِيءِ.

٨٣- وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِن أَهلِ القِبلَةِ بِذَنبٍ، وَلَا نُخرِجُهُ عَنِ الإِسلَامِ بِعَمَلٍ.

٨٤- وَنَرَىٰ الحَجَّ وَالجِهَادَ مَاضِيَينِ مَعَ طَاعَةِ كُلِّ إِمَامٍ، بَرًّا كَانَ أَو فَاجِرًا، وَصَلَاةَ الجُمُعَةِ خَلفَهُم جَائِزَةً.

٨٥- قَالَ أَنَسٌ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ثَلَاثٌ مِن أَصلِ الإِيمَانِ: الكَفُّ عَمَّن قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَلَا نُكَفِّرُهُ بِذَنبٍ، وَلَا نُخرِجُهُ مِنَ الإِسلَامِ بِعَمَلٍ، وَالجِهَادُ مَاضٍ مُنذُ بَعَثَنِي الله ﷻ حَتَّىٰ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ، لَا يُبطِلُهُ جَورُ جَائِرٍ، وَلَا عَدلُ عَادِلٍ، وَالإِيمَانُ بِالأَقدَارِ» رَوَاهُ أَبُو دَاودَ. [ضعيف الجامع (٢٥٣٢)].

٨٦- وَمِنَ السُّنَّةِ: تَوَلِّي أَصحَابِ رَسُولِ الله ﷺ وَمَحَبَّتُهُم وَذِكرُ مَحَاسِنِهِم وَالتَّرَحُّمُ عَلَيهِم، وَالاستِغفَارُ لَهُم، وَالكَفُّ عَن ذِكرِ مَسَاوِئِهِم، وَمَا شَجَرَ بَينَهُم، وَاعتِقَادُ فَضلِهِم وَمَعرِفَةُ سَابِقَتِهِم، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر: ١٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الفتح: ٢٩].

٨٧- وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُم لَو أَنفَقَ مِثلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِم وَلَا نَصِيفَهُ». [البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١)].

٨٨- وَمِنَ السُّنَّةِ: التَّرَضِّي عَلَىٰ أَزوَاجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُمَّهَاتِ المُؤمِنِينَ المُطَهَّرَاتِ المُبَرَّآتِ مِن كُلِّ سُوءٍ، أَفضَلُهُنَّ خَدِيجَةُ بِنتُ خُوَيلِدٍ، وَعَائِشَةُ الصِّدِّيقَةُ بِنتُ الصِّدِّيقِ الَّتِي بَرَّأَهَا اللهُ فِي كِتَابِهِ، زَوجُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، فَمَن قَذَفَهَا بِمَا بَرَّأَهَا اللهُ مِنهُ فَقَد كَفَرَ بِاللهِ العَظِيمِ.

٨٩- وَمُعَاوِيَةُ خَالُ المُؤمِنِينَ، وَكَاتِبُ وَحيِ اللهِ، أَحَدُ خُلَفَاءِ المُسلِمِينَ رَضِيَ اللهُ عَنهُم.

٩٠- وَمِنَ السُّنَّةِ: السَّمعُ وَالطَّاعَةُ لِأَئِمَّةِ المُسلِمِينَ وَأُمَرَاءِ المُؤمِنِينَ، بَرِّهِم وَفَاجِرِهِم، مَا لَم يَأمُرُوا بِمَعصِيَةِ اللهِ، فَإِنَّهُ لَا طَاعَةَ لِأَحَدٍ فِي مَعصِيَةِ اللهِ.

٩١- وَمَن وَلِيَ الخِلَافَةَ وَاجتَمَعَ عَلَيهِ النَّاسُ وَرَضُوا بِهِ أَو غَلَبَهُم بِسَيفِهِ حَتَّىٰ صَارَ خَلِيفَةً وَسُمِّيَ أَمِيرَ المُؤمِنِينَ وَجَبَت طَاعَتُهُ وَحَرُمَت مُخَالَفَتُهُ وَالخُرُوجُ عَلَيهِ وَشَقُّ عَصَا المُسلِمِينَ.

٩٢- وَمِنَ السُّنَّةِ: هِجرَانُ أَهلِ البِدَعِ، وَمُبَايَنَتُهُم، وَتَركُ الجِدَالِ وَالخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ، وَتَركُ النَّظَرِ فِي كُتُبِ المُبتَدِعَةِ وَالإِصغَاءِ إِلَىٰ كَلَامِهِم، وَكُلُّ مُحدَثَةٍ فِي الدِّينِ بِدعَةٌ.

٩٣- وَكُلُّ مُتَّسِمٍ بِغَيرِ الإِسلَامِ وَالسُّنَّةِ؛ مُبتَدِعٌ: كَالرَّافِضَةِ، وَالجَهمِيَّةِ، وَالخَوَارِجِ، وَالقَدَرِيَّةِ، وَالمُرجِئَةِ، وَالمُعتَزِلَةِ، وَالكَرَّامِيَّةِ، وَالكُلَّابِيَّةِ، وَنَظَائِرِهِم، فَهَذِهِ فِرَقُ الضَّلَالِ، وَطَوَائِفُ البِدَعِ -أَعَاذَنَا اللهُ مِنهَا-.

٩٤- وَأَمَّا النِّسبَةُ إِلَىٰ إِمَامٍ فِي فُرُوعِ الدِّينِ؛ كَالطَّوَائِفِ الأَربَعِ فَلَيسَ بِمَذمُومٍ، فَإِنَّ الاختِلَافَ فِي الفُرُوعِ رَحمَةٌ، وَالمُختَلِفُونَ فِيهِ مَحمُودُونَ فِي اختِلَافِهِم، مُثَابُونَ فِي اجتِهَادِهِم، وَاختِلَافُهُم رَحمَةٌ وَاسِعَةٌ، وَاتِّفَاقُهُم حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ.

٩٥- نَسأَلُ اللهَ أَن يَعصِمَنَا مِنَ البِدَعِ وَالفِتنَةِ، وَيُحيِينَا عَلَىٰ الإِسلَامِ وَالسُّنَّةِ، وَيَجعَلَنَا مِمَّن يَتَّبِعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الحَيَاةِ، وَيَحشُرَنَا فِي زُمرَتِهِ بَعدَ المَمَاتِ بِرَحمَتِهِ وَفَضلِهِ.. آمِينَ.

وَهَذَا آخِرُ المُعتَقَدِ، وَالحَمدُ للهِ وَحدَهُ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّمَ تَسلِيمًا.

(٢) العقيدة الواسطية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمدُ للهِ الَّذِي أَرسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَىٰ ودِينِ الحَقِّ، لِيُظهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِالله شَهِيدًا.

وَأشهَدُ أن لَا إلَهَ إلَّا الله وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إقرارًا به وَتَوحِيدًا.

وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحبِه وَسَلَّمَ تَسلِيمًا مَزِيدًا.

أَمَّا بَعدُ:

فَهَذَا اعتِقَادُ الفِرقَةِ النَّاجِيَةِ المنصُورَةِ إلىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ: أهلُ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ.

وَهُوَ الإِيمَانُ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالبَعثِ بَعدَ الموتِ، والإِيمَانِ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ.

ومِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ، مِن غَيرِ تَحرِيفٍ وَلَا تَعطِيلٍ، وَمِن غَيرِ تَكييفٍ وَلَا تَمثِيلٍ.

بَل يُؤمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ سُبحَانَهُ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، فَلَا يَنفُونَ عَنهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفسَهُ، وَلَا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ، وَلَا يُلحِدُونَ فِي أسمَاءِ اللهِ وَآيَاتِهِ، وَلَا يُكَيِّفُونَ، وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلقِهِ؛ لِأَنَّهُ سُبحَانَهُ لَا سَمِيَّ لَهُ وَلَا كُفءَ لَهُ وَلَا نِدَّ لَهُ، وَلَا يُقَاسُ بِخَلقِهِ ﷻ.

فإِنَّهُ سُبحَانَهُ أَعلَمُ بِنَفسِهِ وَبغَيرِهِ، وَأَصدَقُ قِيلًا وَأَحسَنُ حَدِيثًا مِن خَلقِهِ، ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مَصدُوقُونَ بِخِلَافِ الذِينَ يَقُولُونَ عَلَيهِ مَا لَا يَعلَمُونَ، وَلِهَذَا قَالَ ﷻ: ﴿ سُبۡحَٰنَ

رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

فَسَبَّحَ نَفسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ المُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَّمَ عَلَىٰ المُرسَلينَ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقصِ وَالعَيبِ، وَهُوَ سُبحَانَهُ قَد جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ وَسَمَّىٰ بِهِ نَفسَهُ بَينَ النَّفيِ وَالإثبَاتِ.

فَلَا عُدُولَ لِأَهلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ المُرسَلُونَ فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ المُستَقِيمُ صِرَاطُ الذِينَ أَنعَمَ اللهُ عَلَيهِم مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِين.

وَقَد دَخَلَ فِي هَذِهِ الجُملَةِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفسَهُ فِي سُورَةِ الإخلَاصِ التي تَعدِلُ ثُلُثَ القُرآنِ؛ حَيثُ يَقُولُ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾. [الإخلاص: ١-٤].

وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفسَهُ فِي أَعظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ حَيثُ يَقُولُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ -أَي: لَا يُكرِثُهُ وَلَا يُثقِلُهُ- وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَلِهَذَا كَانَ مَن قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ فِي لَيلَةٍ لَم يَزَل عَلَيهِ مِنَ اللهِ حَافِظٌ وَلَا يَقرَبُهُ شَيطَانٌ حَتَّىٰ يُصبِحَ.

وَقَولُهُ سُبحَانَهُ: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

وَقَولُهُ سُبحَانَهُ: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وَقَولُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨].

﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ﴾ [سبأ: ٢].

﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وَقَولُهُ: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر:١١].

وَقولُهُ: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق:١٢].

وَقَولُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨].

وَقَولُهُ تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١].

وَقَولُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء:٥٨].

وَقَولُهُ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف:٣٩].

وَقَولُهُ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة:٢٥٣].

وَقَولُهُ: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة:١].

وَقَولُهُ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام:١٢٥].

وَقَولُهُ: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥].

﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩].

﴿فَمَا ٱسْتَقَـٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:٧].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢].

وَقَولُهُ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١].

وَقَولُهُ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف:٤].

وَقَولُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج:١٤].

وَقَولُهُ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل:٣٠].

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧].

﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣].

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦].

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤].

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧].

﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف:٦٤].

وَقَولُهُ: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة:١١٩].

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ [النساء:٩٣].

وَقَولُهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ [محمد:٢٨].

وَقَولُهُ: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف:٥٥].

وَقَولُهُ: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة:٤٦].

وَقَولُهُ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٣].

وَقَولُهُ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [البقرة:٢١٠].

وَقَولُهُ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام:١٥٨].

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢١-٢٢].

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان:٢٥].

وَقَولُهُ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧].

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨].

وَقَولُهُ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥].

وَقَولُهُ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة:٦٤].

وَقولُهُ: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور:٤٨].

﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ [القمر:١٣-١٤].

وَقولُهُ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ [طه:٣٩].

وَقولُهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة:١].

وَقولُهُ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾ [آل عمران:١٨١].

﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف:٨٠].

وَقولُهُ: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه:٤٦].

وَقولُهُ: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [العلق:١٤].

﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٨-٢١٩].

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة:١٠٥].

وقولُهُ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ [الرعد:١٣].

وَقولُهُ: ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران:٥٤].

وَقولُهُ: ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل:٥٠].

وَقولُهُ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ [الطارق:١٥-١٦].

وَقولُهُ: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ [النساء:١٤٩].

﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢].

وَقولُهُ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ ﴾ [المنافقون:٨].

وَقولُهُ عَن إبليسَ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص:٨٢].

وَقولُهُ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن:٧٨].

وَقولُهُ: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم:٦٥].

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص:٤].

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢].

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء:١١١].

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن:١].

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:١-٢].

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون:٩١-٩٢].

﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٧٤].

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣].

وَقَولُهُ: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ فِي سَبعَةِ مَوَاضِعَ:

* فِي سُورَةِ الأعرافِ قَولُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤].

* وَقَالَ فِي سُورَةِ يُونُسَ عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يونس:٣].

* وَقَالَ فِي سُورَةِ الرَّعدِ: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الرعد:٢].

* وَقَالَ فِي سُورَةِ طَه: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥].

* وَقَالَ فِي سُورَةِ الفُرقَانِ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان:٥٩].

* وَقَالَ فِي سُورَةِ (الٓمٓ) السَّجدَةِ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [السجدة:٤].

* وَقَالَ فِي سُورَةِ الحَدِيدِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد:٤].

وَقَولُهُ: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران:٥٥].

﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:١٥٨].

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠].

﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر:٣٦-٣٧].

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ۝١٦ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك:١٦-١٧].

وَقَولُهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد:٤].

وَقَولُهُ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة:٧].

وَقَولُهُ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠].

﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨].

﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦].

﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤٩].

وَقَولُهُ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء:٨٧].

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء:١٢٢].

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:١١٦].

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام:١١٥].

﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤].

﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٥٣].

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣].

﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم:٥٢].

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشعراء:١٠].

﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف:٢٢].

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:٦٥].

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦].

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٧٥].

﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح:١٥].

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف:٢٧].

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل:٧٦].

وَقولُهُ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام:١٥٥].

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر:٢١].

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل:١٠١-١٠٣].

وَقَولُهُ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين:٢٣].

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦].

﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥].

وَهَذَا البَابُ فِي كِتَابِ اللهِ كَثِيرٌ، ومَن تَدَبَّرَ القُرآنَ طَالِبًا لِلهُدَىٰ مِنهُ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الحَقِّ.

فَصلٌ

ثُمَّ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ القُرآنَ وَتُبَيِّنُهُ وَتَدُلُّ عَلَيهِ وَتُعَبِّرُ عَنهُ.

وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ ﷻ مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهلُ المَعرِفَةِ بالقَبُولِ، وَجَبَ الإِيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ.

مِثل قَولِهِ ﷺ: «يَنزِلُ رَبُّنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنيَا كُلَّ لَيلَةٍ حِينَ يَبقَىٰ ثُلُثُ اللَّيلِ الآخِرِ، فَيَقُولُ: مَن يَدعُونِي فَأَستَجِيبَ لَهُ؟ مَن يَسأَلُنِي فَأُعطِيَهُ؟ مَن يَستَغفِرُنِي فَأَغفِرَ لَهُ؟». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ. [البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨)].

وَقَولِهِ ﷺ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوبَةِ عَبدِهِ مِن أَحَدِكُم بِرَاحِلَتِهِ...» الحَدِيثُ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ. [البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٦٧٥)].

وَقَولِهِ ﷺ: «يَضحَكُ اللهُ إِلَىٰ رَجُلَينِ يَقتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ كِلَاهُمَا يَدخُلُ الجَنَّةَ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ. [البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠)].

وَقَولِهِ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِن قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُربِ غِيَرِهِ، يَنظُرُ إِلَيكُم أَزِلِّينَ قَنِطِينَ فَيَظَلُّ يَضحَكُ يَعلَمُ أَنَّ فَرَجَكُم قَرِيبٌ». حَدِيثٌ حَسَنٌ. [ضعيف، ظلال الجنة (٦٣٦)].

وَقَولِهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلقَىٰ فِيهَا وَهِيَ تَقُولُ: هَل مِن مَزِيدٍ؟ حَتَّىٰ يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا رِجلَهُ -وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَيهَا قَدَمَهُ- فَيَنزَوِي بَعضُهَا إِلَىٰ بَعضٍ، فَتَقُولُ: قَط قَط». مُتفقٌ عَلَيهِ. [البخاري (٤٨٤٨)، ومسلم (٢٨٤٨)].

وَقَولِهِ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيكَ وَسَعدَيكَ، فَيُنَادِي بِصَوتٍ: إِنَّ اللهَ يَأمُرُكَ أَن تُخرِجَ مِن ذُرِّيَّتِكَ بَعثًا إِلَىٰ النَّارِ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ. [البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢)].

وَقَولِهِ: «مَا مِنكُم مِن أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ وَلَيسَ بَينَهُ وَبَينَهُ تَرجُمَانٌ». [البخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦)].

وَقَولِهِ فِي رُقيَةِ المَرِيضِ: «رَبَّنَا الله الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسمُكَ، أَمرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرضِ كَمَا رَحمَتُكَ فِي السَّمَاءِ، اجعَل رَحمَتَكَ فِي الأَرضِ، اغفِر لَنَا حَوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنزِل رَحمَةً مِن رَحمَتِكَ وَشِفَاءً مِن شِفَائِكَ عَلَىٰ هَذَا الوَجَعِ فَيَبرَأَ». حَدِيثٌ حَسنٌ، رَوَاهُ أبو دَاوُد وَغَيرُه. [ضعيف الترغيب (٢٠١٣)].

وَقَولِهِ: «أَلَا تَأمَنُونِي وَأَنا أَمِينُ مَن فِي السَّمَاءِ». حَدِيثٌ صَحِيحٌ. [البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤)].

وَقَولِهِ: «وَالعَرشُ فَوقَ المَاءِ وَاللهُ فَوقَ العَرشِ، وَهُوَ يَعلَمُ مَا أَنتُم عَلَيهِ». حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَواهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيرُهُ. [صحيح، مختصر العلو (ص١٠٤)].

وَقَولِهِ لِلجَارِيَةِ: «أَينَ اللهُ؟ قَالَت: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: مَن أَنَا؟ قَالَت: أَنتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: أَعتِقهَا فَإِنَّها مُؤمِنَةٌ». رَوَاهُ مُسلِمٌ. [مسلم (٥٣٧)].

وَقَولِهِ: «أَفضَلُ الإِيمَانِ: أَن تَعلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ أَينَمَا كُنتَ». حَدِيثٌ حَسَن، أخرجه الطبراني من حديث عبادة بن الصامت. [ضعيف الجامع (١٠٠٢)].

وَقَولِهِ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُم إِلَىٰ الصَّلَاةِ فَلَا يَبصُق قِبَلَ وَجهِهِ، فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجهِهِ، وَلَا عَن يَمِينِهِ، وَلَكِن عَن يَسَارِهِ أَو تَحتَ قَدَمِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ. [البخاري (٤٠٩)، ومسلم (٥٤٨)].

وَقَولِهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبعِ، وَرَبَّ العَرشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَىٰ، مُنزِلَ التَّورَاةِ، وَالإِنجِيلِ، وَالقُرآنِ، أَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ نَفسِي وَمِن شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنتَ الأَوَّلُ فَلَيسَ قَبلَكَ شَيءٌ، وَأَنتَ الآخِرُ فَلَيسَ بَعدَكَ شَيءٌ، وَأَنتَ الظَّاهِرُ فَلَيسَ فَوقَكَ شَيءٌ، وَأَنتَ البَاطِنُ فَلَيسَ دُونَكَ شَيءٌ، اقضِ عَنَّا الدَّينَ، وَأَغنِنِي

مِنَ الفَقرِ». رَوَاهُ مُسلِمٌ. [مسلم (٢٧١٣)].

وَقَولِهِ لَمَّا رَفَعَ الصَّحَابَةُ أصوَاتَهُم بِالذِّكرِ: «أَيُّهَا النَّاسُ، اربَعُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُم فَإِنَّكُم لا تَدعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا، إِنَّ الَّذِي تَدعُونَهُ أَقرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُم مِن عُنُقِ رَاحِلَتِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ. [البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤)].

وَقَولِهِ: «إِنَّكُم سَتَرَونَ رَبَّكُم كَمَا تَرَونَ القَمَرَ لَيلَةَ البَدرِ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤيَتِهِ، فَإِنِ استَطَعتُم أَلَّا تُغلَبُوا عَلَىٰ صَلَاةٍ قَبلَ طُلُوعِ الشَّمسِ وَصَلاةٍ قَبلَ غُرُوبِهَا فَافعَلُوا». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ. [البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣)].

إِلَىٰ أَمثَالِ هَٰذِهِ الأَحَادِيثِ الَّتِي يُخبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَن رَبِّهِ بِمَا يُخبِرُ بِهِ، فَإِنَّ الفِرقَةَ النَّاجِيَةَ أَهلَ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ يُؤمِنُونَ بِذَلِكَ كَمَا يُؤمِنُونَ بِمَا أَخبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِن غَيرِ تَحرِيفٍ وَلَا تَعطِيلٍ، وَمِن غَيرِ تَكيِيفٍ وَلَا تَمثِيلٍ.

بَل هُمُ الوَسَطُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ، كَمَا أَنَّ الأُمَّةَ هِيَ الوَسَطُ فِي الأُمَمِ.

فَهُم وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللهِ ﷻ بَينَ أَهلِ التَّعطِيلِ الجَهمِيَّةِ وَأَهلِ التَّمثِيلِ المُشَبِّهَةِ.

وَهُم وَسَطٌ فِي بَابِ أَفعَالِ اللهِ بَينَ الجَبرِيَّةِ وَالقَدَرِيَّةِ وَغَيرِهِم، وَفِي بَاب وَعِيدِ الله بَينَ المُرجِئَةِ وَالوَعِيدِيَّةِ مِنَ القَدَرِيَّةِ وَغَيرِهِم.

وَفِي بَابِ أَسمَاءِ الإِيمَانِ وَالدِّينِ بَينَ الحَرُورِيَّةِ وَالمُعتَزِلَةِ وَبَينَ المُرجِئَةِ وَالجَهمِيَّةِ، وَفِي بَابِ أَصحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَينَ الرَّافِضَةِ والخَوَارِجِ.

فَصلٌ

وَقَد دَخَلَ فِيمَا ذَكَرنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا أَخبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ وَتَوَاتَرَ عَن رَسُولِهِ ﷺ، وَأَجمَعَ عَلَيهِ سَلَفُ الأُمَّةِ: مِن أَنَّهُ سُبحَانَهُ فَوقَ سَمَوَاتِهِ عَلَىٰ عَرشِهِ عَلِيٌّ عَلَىٰ خَلقِهِ.

وَهُوَ سُبحَانَهُ مَعَهُم أَينَمَا كَانُوا يَعلَمُ مَا هُم عَامِلُونَ.

كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

وَلَيسَ مَعنَىٰ قَولِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أَنَّهُ مُختَلِطٌ بِالخَلقِ فَإِنَّ هَذَا لَا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ، وَهُوَ خِلَافُ مَا أجمَعَ عَلَيهِ سَلَفُ الأُمَّةِ، وَخِلَافُ مَا فَطَرَ اللهُ عَلَيهِ الخَلقَ.

بَل القَمَرُ آيَةٌ مِن آيَاتِ اللهِ مِن أَصغَرِ مَخلُوقَاتِهِ، وَهُوَ مَوضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ المُسَافِرِ وغَيرِ المُسَافِرِ أَينَمَا كَانَ.

وُهُوَ سُبحَانَهُ فَوقَ عَرشِهِ رَقِيبٌ عَلَىٰ خَلقِهِ مُهَيمِنٌ عَلَيهِم مُطَّلِعٌ عَلَيهِم إلَىٰ غَيرِ ذَلِكَ مِن مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ.

وَكُلُّ هَذَا الكَلَامِ الذِي ذَكَرَهُ اللهُ -مِن أَنَّهُ فَوقَ العَرشِ وَأَنَّهُ مَعنَا- حَقٌّ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ لَا يَحتَاجُ إلَىٰ تَحرِيفٍ.

وَلَكِن يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الكَاذِبَةِ مِثل أَن يُظَنَّ أَنَّ ظَاهِرَ قَولِهِ: ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أَنَّ السَّمَاءَ تُقِلُّهُ أَوْ تُظِلُّهُ، وَهَذَا بَاطِلٌ بِإجمَاعِ أَهلِ العِلمِ وَالإيمَانِ، فَإِنَّ اللهَ قَد ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وَهُوَ الَّذِي ﴿يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر:٤١]. ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج:٦٥]. ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم:٢٥].

فَصلٌ

وَقَد دَخَلَ فِي ذَلِكَ: الإيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ.

كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَولِهِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦].

وَقَولُهُ ﷺ: «إنَّ الذي تَدعُونَهُ أَقرَبُ إلَىٰ أَحَدِكُم مِن عُنُقِ رَاحِلَتِهِ». [البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤)].

وَمَا ذُكِرَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِن قُربِهِ وَمَعِيَّتِهِ لَا يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِن عُلُوِّهِ وَفَوقِيَّتِهِ فَإِنَّهُ سُبحَانَهُ لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ.

فَصلٌ

وَمِنَ الإِيمَانِ بالله وَكُتُبِهِ: الإِيمَانُ بِأَنَّ القُرآنَ كَلَامُ اللهِ، مُنَزَّلٌ غَيرُ مَخلُوقٍ، مِنهُ بَدَأَ وَإِلَيهِ يَعُودُ.

وَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً.

وَأَنَّ هَذَا القُرآنَ الذِي أنزَلَهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ كَلَامُ اللهِ حَقِيقَةً لَا كَلَامُ غَيرِهِ.

وَلَا يَجُوزُ إِطلَاقُ القَولِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَن كَلَامِ اللهِ أَو عِبَارَةٌ.

بَل إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَو كَتَبُوهُ فِي المَصَاحِفِ لَم يَخرُج بِذَلِكَ عَن أَن يَكُونَ كَلَامَ اللهِ تَعَالَىٰ حَقِيقَةً، فَإِنَّ الكَلَامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَىٰ مَن قَالَهُ مُبتَدِئًا لَا إِلَىٰ مَن قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا.

وهُوَ كَلَامُ اللهِ حُرُوفُهُ وَمَعَانِيهِ، لَيسَ كَلَامُ اللهِ الحُرُوفَ دُونَ المَعَانِي وَلَا المَعَانِيَ دُونَ الحُرُوفِ.

فَصلٌ

وَقَد دَخَلَ أَيضًا فِيمَا ذَكَرنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِمَلَائِكَتِهِ وَبِرُسُلِهِ: الإِيمَانُ بِأَنَّ المُؤمِنِينَ يَرَونَهُ يَومَ القِيَامَةِ عِيَانًا بِأَبصَارِهِم كَمَا يَرَونَ الشَّمسَ صَحوًا لَيسَ دُونَهَا سَحَابٌ.

وَكَمَا يَرَونَ القَمَرَ لَيلَةَ البَدرِ لَا يُضَامُونَ فِي رُؤيَتِهِ، يَرَونَهُ سُبحَانَهُ وَهُم فِي عَرَصَاتِ القِيَامَةِ.

ثُمَّ يَرَونَهُ بَعدَ دُخُولِ الجَنَّةِ كَمَا يَشَاءُ اللهُ.

فَصلٌ

وَمِنَ الإِيمَانِ باليَومِ الآخِرِ: الإِيمَانُ بكُلِّ مَا أَخبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعدَ المَوتِ.

فَيُؤمِنُونَ بِفِتنَةِ القَبرِ وَبِعَذَابِ القَبرِ وَنَعِيمِهِ.

فَأَمَّا الفِتنَةُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُفتَنُونَ فِي قُبُورِهِم، فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَن رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَن نَبِيُّكَ؟ فَيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَولِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا وَفِي الآخِرَةِ، فَيَقُولُ المُؤمِنُ: رَبِّيَ اللهُ، وَالإِسلامُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ ﷺ نَبِيِّي.

وَأَمَّا المُرتَابُ فَيَقُولُ: هَاه هَاه لَا أَدرِي، سَمِعتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيئًا فَقُلتُهُ، فَيُضرَبُ بِمِرزَبَّةٍ مِن حَدِيدٍ فَيَصِيحُ صَيحَةً يَسمَعُهَا كُلُّ شَيءٍ إِلَّا الإِنسَانَ، وَلَو سَمِعَهَا الإِنسَانُ لَصُعِقَ.

ثُمَّ بَعدَ هَذِهِ الفِتنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ إِلَىٰ أَن تَقُومَ القِيَامَةُ الكُبرَىٰ فَتُعَادُ الأَروَاحُ إِلَىٰ الأَجسَادِ.

وَتَقُومُ القِيَامَةُ الَّتِي أَخبَرَ اللهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ وَأَجمَعَ عَلَيهَا المُسلِمُونَ، فَيَقُومُ النَّاسُ مِن قُبُورِهِم لِرَبِّ العَالَمِينَ حُفَاةً عُرَاةً غُرلًا وَتَدنُو مِنهُمُ الشَّمسُ وَيُلجِمُهُمُ العَرَقُ.

فَتُنصَبُ المَوَازِينُ فَتُوزَنُ بِهَا أَعمَالُ العِبَادِ؛ ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٢-١٠٣]. وَتُنشَرُ الدَّوَاوِينُ؛ وَهِيَ صَحَائِفُ الأَعمَالِ، فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ وَآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَو مِن وَرَاءِ ظَهرِهِ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء:١٣-١٤].

وَيُحَاسِبُ اللهُ الخَلَائِقَ، وَيَخلُو بِعَبدِهِ المُؤمِنِ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَأَمَّا الكُفَّارُ فَلَا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَن تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ فَإِنَّهُم لَا حَسَنَاتِ لَهُم وَلَكِن تُعَدُّ أَعمَالُهُم فَتُحصَىٰ فَيُوقَفُونَ عَلَيهَا وَيُقَرَّرُونَ بِهَا.

وَفِي عَرَصَاتِ القِيَامَةِ الحَوضُ المَورُودُ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحلَىٰ مِنَ العَسَلِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، طُولُهُ شَهرٌ وَعَرضُهُ شَهرٌ، مَن يَشرَبُ مِنهُ شَربَةً لَا يَظمَأُ بَعدَهَا أَبَدًا.

والصِّرَاطُ مَنصُوبٌ عَلَىٰ مَتنِ جهَنَّم، وَهُوَ الجِسرُ الَّذِي بَينَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ يَمُرُّ النَّاسُ عَلَىٰ قَدرِ أعمَالِهِم، فَمِنهُم مَن يَمُرُّ كَلَمحِ البَصَرِ، وَمِنهُم مَن يَمُرُّ كَالبَرقِ، وَمِنهُم مَن يَمُرُّ كالرِّيحِ، وَمِنهُم مَن يَمُرُّ كَالفَرَسِ الجَوَادِ، وَمِنهُم مَن يَمُرُّ كَرِكَابِ الإِبِلِ، ومِنهُم مَن يَعدُو عَدوًا، ومِنهُم مَن يَمشِي مَشيًا، ومِنهُم مَن يَزحَفُ زَحفًا، وَمِنهُم مَن يُخطَفُ وَيُلقَىٰ فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الجِسرَ عَلَيهِ كَلَالِيبُ تَخطَفُ النَّاسَ بِأَعمَالِهِم، فَمَن مَرَّ عَلَىٰ الصِّرَاطِ دَخَلَ الجَنَّةَ. فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيهِ وَقَفُوا عَلَىٰ قَنطَرَةٍ بَينَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقتَصُّ لِبَعضِهِم مِن بَعضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُم فِي دُخُولِ الجَنَّةِ.

وَأَوَّلُ مَن يَستَفتِحُ بَابَ الجَنَّةِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَوَّلُ مَن يَدخُلُهَا مِنَ الأُمَمِ أُمَّتُهُ، ولَهُ ﷺ فِي القِيامَةِ ثَلاثُ شَفَاعَاتٍ:

أَمَّا الشَّفَاعَةُ الأُولَىٰ: فَيَشفَعُ فِي أَهلِ المَوقِفِ حَتَّىٰ يُقضَىٰ بَينَهُم بَعدَ أَن يَتَرَاجَعَ الأَنبِيَاءُ، آدَمُ وَنُوحٌ وَإِبرَاهِيمُ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ بنُ مَريَمَ عَنِ الشَّفَاعَةِ حَتَّىٰ تَنتَهِيَ إِلَيهِ.

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ: فَيَشفَعُ فِي أَهلِ الجَنَّةِ أَن يَدخُلُوا الجَنَّةَ، وَهَاتَان الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ.

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ: فَيَشفَعُ فِيمَن استَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيرِهِم، فَيَشفَعُ فِيمَن استَحَقَّ النَّارَ أَلَّا يَدخُلَهَا، وَيَشفَعُ فِيمَن دَخَلَهَا أَن يَخرُجَ مِنهَا.

وَيُخرِجُ اللهُ مِنَ النَّارِ أَقوَامًا بِغَيرِ شَفَاعَةٍ بَل بِفَضلِهِ وَرَحمَتِهِ، وَيَبقَىٰ في الجَنَّةِ فَضلٌ عَمَّن دَخَلَهَا مِن أَهلِ الدُّنيَا، فَيُنشِئُ اللهُ لَهَا أَقوَامًا فَيُدخِلُهُمُ الجَنَّةَ.

وَأَصنَافُ مَا تَضَمَّنَتهُ الدَّارُ الآخِرَةُ مِنَ الحِسَابِ وَالثَّوابِ وَالعِقَابِ وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ مَذكُورَةٌ فِي الكُتُبِ المُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ وَالآثَارِ مِنَ العِلمِ المَأثُورِ عَنِ الأَنبِيَاءِ.

وَفِي العِلمِ المَورُوثِ عَن مُحَمَّدٍ ﷺ مِن ذَلِكَ مَا يَشفِي وَيَكفِي؛ فَمَنِ ابتَغَاهُ وَجَدَهُ.

وَتُؤمِنُ الفِرقَةُ النَّاجِيَةُ مِن أَهلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ، وَالإِيمَانُ بِالقَدَرِ

عَلَىٰ دَرَجَتَينِ كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيئَينِ:

فَالدَّرَجَةُ الأُولَىٰ: الإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ عَلِيمٌ بِمَا الخَلقُ عَامِلُونَ بِعِلمِهِ القَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوصُوفٌ بِهِ أَزَلًا وَأَبَدًا، وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحوَالِهِم مِنَ الطَّاعَاتِ وَالمَعَاصِي وَالأَرزَاقِ وَالآجَالِ، ثُمَّ كَتَبَ اللهُ فِي اللَّوحِ المَحفُوظِ مَقَادِيرَ الخَلقِ، فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، قَالَ لَهُ: «اكتُب. قَالَ: مَا أَكتُبُ؟ قَالَ: اكتُب مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَومِ القِيَامَةِ». [صحيح الجامع (٢٠١٧)].

فَمَا أَصَابَ الإِنسَانَ لَم يَكُن لِيُخطِئَهُ، وَمَا أَخطَأَهُ لَم يَكُن لِيُصِيبَهُ؛ جَفَّتِ الأَقلَامُ وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠].

وَقَالَ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد:٢٢].

وَهَذَا التَّقدِيرُ التَّابِعُ لِعِلمِهِ سُبحَانَهُ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُملَةً وَتَفصِيلًا، فَقَد كَتَبَ فِي اللَّوحِ المَحفُوظِ مَا شَاءَ، وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الجَنِينِ قَبلَ نَفخِ الرُّوحِ فِيهِ بَعَثَ إِلَيهِ مَلَكًا فَيُؤمَرُ بِأَربَعِ كَلِمَاتٍ؛ فَيُقَالُ لَهُ: اكتُب رِزقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَو سَعِيدٌ وَنَحو ذَلِكَ. [البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣)]، فَهَذَا التَّقدِيرُ قَد كَانَ يُنكِرُهُ غُلَاةُ القَدَرِيَّةِ قَدِيمًا وَمُنكِرُوهُ اليَومَ قَلِيلٌ.

وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: فَهِيَ مَشِيئَةُ اللهِ النَّافِذَةُ وَقُدرَتُهُ الشَّامِلَةُ وَهُوَ الإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَم يَشَأ لَم يَكُن، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرضِ مِن حَرَكَةٍ وَلَا سُكُونٍ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ سُبحَانَهُ لَا يَكُونُ فِي مُلكِهِ مَا لَا يُرِيدُ.

وأَنَّه سُبحَانَهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ مِنَ المَوجُودَاتِ وَالمَعدُومَاتِ، فَمَا مِن مَخلُوقٍ فِي الأَرضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا اللهُ خَالِقُهُ سُبحَانَهُ لَا خَالِقَ غَيرُهُ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَد أَمَرَ العِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ وَنَهَاهُم عَن مَعصِيَتِهِ.

وَهُوَ سُبحَانَهُ يُحِبُّ المُتَّقِينَ وَالمُحسِنِينَ وَالمُقسِطِينَ، وَيَرضَىٰ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ، وَلَا يُحِبُّ الكَافِرِينَ وَلَا يَرضَىٰ عَنِ القَومِ الفَاسِقِينَ، وَلَا يَأمُرُ بِالفَحشَاءِ، وَلَا يَرضَىٰ لِعِبَادِهِ الكُفرَ، وَلَا يُحِبُّ الفَسَادَ.

وَالعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً وَاللهُ خَالِقُ أَفعَالِهِم، وَالعَبدُ هُوَ المُؤمِنُ وَالكَافِرُ وَالبَرُّ وَالفَاجِرُ وَالمُصَلِّي وَالصَّائِمُ، وَلِلعِبَادِ قُدرَةٌ عَلَىٰ أَعمَالِهِم وَلَهُم إِرَادَةٌ وَاللهُ خَالِقُهُم وَخَالِقُ قُدرَتِهِم وَإِرَادَتِهِم كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٨-٢٩].

وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ القَدَرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ القَدَرِيَّةِ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ مَجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ. [صحيح الجامع (٤٤٤٢)]، وَيَغلُو فِيهَا قَومٌ مِن أَهلِ الإِثبَاتِ حَتَّىٰ سَلَبُوا العَبدَ قُدرَتَهُ وَاختِيَارَهُ ويُخرِجُونَ عَن أَفعَالِ اللهِ وَأَحكَامِهِ حِكَمَهَا وَمَصَالِحَهَا.

فَصلٌ

وَمِن أُصُولِ أَهلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: أَنَّ الدِّينَ وَالإِيمَانَ قَولٌ وَعَمَلٌ، قَولُ القَلبِ واللِّسَانِ، وَعَمَلُ القَلبِ وَاللِّسَانِ وَالجَوَارِحِ.

وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنقُصُ بِالمَعصِيَةِ.

وَهُم مَعَ ذَلِكَ لا يُكَفِّرُونَ أَهلَ القِبلَةِ بِمُطلَقِ المَعَاصِي وَالكَبَائِرِ كَمَا يَفعَلُهُ الخَوَارِجُ؛ بَلِ الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ المعَاصِي، كَمَا قَالَ سُبحَانَهُ فِي آيَةِ القِصَاصِ: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [البقرة:١٧٨].

وَقَالَ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ [الحجرات:٩-١٠].

ولا يَسلِبُونَ الفَاسِقَ المِلِّيَّ الإِسلَامَ بِالكُلِّيَّةِ، وَلَا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ كَمَا تَقُولُهُ المُعتَزِلَةُ؛ بَلِ الفَاسِقُ يَدخُلُ فِي اسمِ الإِيمَانِ المُطلَقِ؛ كَمَا فِي قَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾ [النساء:٩٢].

وَقَد لَا يَدخُلُ فِي اسمِ الإِيمَانِ المُطلَقِ كَمَا فِي قَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢].

وَقَولِهِ ﷺ: «لَا يَزنِي الزَّانِي حِينَ يَزنِي وَهُوَ مُؤمِنٌ، وَلَا يَسرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسرِقُ وَهُوَ مُؤمِنٌ، وَلَا يَشرَبُ الخَمرَ حِينَ يَشرَبُهَا وَهُوَ مُؤمِنٌ، وَلَا يَنتَهِبُ نُهبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرفَعُ النَّاسُ إِلَيهِ فِيهَا أَبصَارَهُم حِينَ يَنتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤمِنٌ». [البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧)].

وَنَقُولُ: هُوَ مُؤمِنٌ نَاقِصُ الإِيمَانِ، أَو مُؤمِنٌ بِإِيمَانِهِ، فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَلَا يُعطَىٰ الاسمَ المطلَقَ وَلَا يُسلَبُ مُطلَقَ الاسمِ.

فَصلٌ

وَمِن أُصُولِ أَهلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: سَلَامَةُ قُلُوبِهِم وَأَلسِنَتِهِم لِأَصحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ فِي قَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وَطاعَةُ الرَّسُولِ ﷺ فِي قَولِهِ: «لَا تَسُبُّوا أَصحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَو أَنَّ أَحَدَكُم أَنفَقَ مِثلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِم وَلَا نَصِيفَهُ». [البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١)].

وَيَقبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالإِجمَاعُ مِن فَضَائِلِهِم وَمَرَاتِبِهِم وَيُفَضِّلُونَ مَن أَنفَقَ مِن قَبلِ الفَتحِ -وَهُوَ صُلحُ الحُدَيبِيَةِ- وَقَاتَلَ عَلَىٰ مَن أَنفَقَ مِن بَعدُ وَقَاتَلَ، وَيُفَضِّلُونَ المُهَاجِرِينَ عَلَىٰ الأَنصَارِ وَيُؤمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ لِأَهلِ بَدرٍ -وَكَانُوا ثَلَاثَمِائَةٍ وَبِضعَةَ عَشَرَ-: «اعمَلُوا مَا شِئتُم فَقَد غَفَرتُ لَكُم». [البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤)].

وَبِأَنَّهُ لَا يَدخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحتَ الشَّجَرَةِ كَمَا أَخبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، بَل لَقَد رَضِيَ اللهُ عَنهُم وَرَضُوا عَنهُ، وَكَانُوا أَكثَرَ مِن أَلفٍ وَأَربَعِمِائَةٍ.

وَيَشهَدُونَ بِالجَنَّةِ لِمَن شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَالعَشَرَةِ، وَثَابِتِ بنِ قَيسِ بنِ شَمَّاسٍ وَغَيرِهِم مِنَ الصَّحَابَةِ.

وَيُقرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقلُ عَن أَمِيرِ المؤمِنِين عَليِّ بن أَبي طَالبٍ ﷺ وَغيرِهِ، مِن أَنَّ خَيرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعدَ نَبيِّهَا: أَبُو بَكرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَيُثَلِّثُونَ بِعُثمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَليٍّ ﷺ، كَمَا دَلَّت عَلَيهِ الآثَارُ.

وَكَمَا أَجمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَىٰ تَقدِيمِ عُثمَانَ فِي البَيعَةِ -مَعَ أَنَّ بَعض أَهلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدِ اختَلَفُوا فِي عُثمَانَ وَعَلِيٍّ ﷺ بَعدَ اتِّفَاقِهِم عَلَىٰ تَقدِيمِ أَبِي بَكرٍ وَعُمَر أَيُّهُمَا أَفضَلُ؟

فَقَدَّمَ قَومٌ عُثمَانَ وَسَكَتُوا وَرَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّمَ قَومٌ عَليًّا، وَقَومٌ تَوَقَّفُوا.

لَكِن استَقَرَّ أَمرُ أَهلِ السُّنَّةِ عَلَىٰ تَقدِيمِ عُثمَانَ ثُمَّ عَلِيٍّ، وَإِن كَانَت هَذِهِ المَسأَلَةُ -مَسأَلَةُ عُثمَانَ وَعَلِيٍّ- لَيسَت مِنَ الأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ المُخَالِفُ فِيهَا عِندَ جُمهُورِ أَهلِ السُّنَّةِ؛ لَكِنَّ الَّتِي يُضَلَّلُ فِيهَا مَسأَلَةُ الخِلَافَةِ، وَذَلِكَ لأَنَّهُم يُؤمِنُونَ أَنَّ الخَلِيفَةَ بَعدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَبُو بَكرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ، وَمَن طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِن هَؤلَاءِ فَهُوَ أَضَلُّ مِن حِمَارِ أَهلِهِ.

وَيُحِبُّونَ أَهلَ بَيتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَيَتَوَلَّونَهُم وَيَحفَظُونَ فِيهِم وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ حَيثُ قَالَ يَومَ غَدِيرِ خُمٍّ: «أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهلِ بَيتِي». [مسلم (٢٤٠٨)].

وَقَالَ أَيضًا لِلعَبَّاسِ عَمِّهِ -وَقَدِ اشتَكَىٰ إِلَيهِ أَنَّ بَعضَ قُرَيشٍ يَجفُو بَنِي هَاشِمٍ- فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَا يُؤمِنُونَ حَتَّىٰ يُحِبُّوكُم للهِ وَلِقَرَابَتِي». [ضعيف الجامع (٥٠٣٣)].

وَقَالَ: «إِنَّ اللهَ اصطَفَىٰ بَنِي إِسمَاعِيلَ، وَاصطَفَىٰ مِن بَنِي إِسمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصطَفَىٰ مِن كِنَانَةَ قُرَيشًا، وَاصطَفَىٰ مِن قُرَيشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصطَفَانِي مِن بَنِي هَاشِمٍ». [مسلم (٢٢٧٦)].

وَيَتَولَّونَ أَزوَاجَ النَّبِيِّ أُمَّهَاتِ المُؤمِنِينَ، وَيُؤمِنُونَ بِأَنَّهُنَّ أَزوَاجُهُ فِي الآخِرَةِ خُصُوصًا خَدِيجَةَ ﷺ أُمَّ أَكثَرِ أَولَادِهِ، وَأَوَّلَ مَن آمَنَ بِهِ وَعَاضَدَهُ عَلَىٰ أَمرِهِ، وَكَانَ لَهَا مِنهُ المَنزِلَةُ العَالِيَةُ.

وَالصِّدِّيقَةُ بِنتُ الصِّدِّيقِ ﷺ الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ: «فَضلُ عَائِشَةَ عَلَىٰ النِّسَاءِ كَفَضلِ الثَّرِيدِ عَلَىٰ سَائِرِ الطَّعَامِ». [البخاري (٣٤١١)، ومسلم (٢٤٣١)].

وَيَتَبَرَّءونَ مِن طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُم، وَمِن طَرِيقَةِ

النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهلَ البَيتِ بِقَولٍ أَو عَمَلٍ.

وَيُمسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَينَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الآثَارَ المَروِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِم مِنهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنهَا مَا قَد زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَن وَجهِهِ، وَالصَّحِيحُ مِنهُ هُم فِيهِ مَعذُورُونَ: إِمَّا مُجتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجتَهِدُونَ مُخطِئُونَ.

وَهُم مَعَ ذَلِكَ لَا يَعتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعصُومٌ عَن كَبَائِرِ الإِثمِ وَصَغَائِرِهِ، بَل تَجُوزُ عَلَيهِمُ الذُّنُوبُ فِي الجُملَةِ، وَلَهُم مِنَ السَّوَابِقِ وَالفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغفِرَةَ مَا يَصدُرُ مِنهُم -إِن صَدَرَ- حَتَّىٰ إِنَّهُم يُغفَرُ لَهُمُ السَّيِّئَاتُ مَا لَا يُغفَرُ لِمَن بَعدَهُم؛ لِأَنَّ لَهُم مِنَ الحَسَنَاتِ الَّتِي تَمحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيسَ لِمَن بَعدَهُم.

وَقَد ثَبَتَ بِقَولِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُم خَيرُ القُرُونِ، وَأَنَّ المُدَّ مِن أَحَدِهِم إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفضَلَ مِن جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّن بَعدَهُم، ثُمَّ إِذَا كَانَ قَد صَدَرَ مِن أَحَدِهِم ذَنبٌ فَيَكُونُ قَد تَابَ مِنهُ أَو أَتَىٰ بِحَسَنَاتٍ تَمحُوهُ، أَو غُفِرَ لَهُ بِفَضلِ سَابِقَتِهِ أَو بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي هُم أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَو ابتُلِيَ بِبَلَاءٍ فِي الدُّنيَا كُفِّرَ بِهِ عَنهُ.

فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ المُحَقَّقَةِ فَكَيفَ الأُمُورُ التِي كَانُوا فِيهَا مُجتَهِدِينَ إِن أَصَابُوا فَلَهُم أَجرَانِ، وَإِن أَخطَئُوا لَهُم أَجرٌ وَاحِدٌ وَالخَطَأُ مَغفُورٌ.

ثُمَّ القَدْرُ الَّذِي يُنكَرُ مِن فِعلِ بَعضِهِم قَلِيلٌ نَزرٌ مَغمُورٌ فِي جَنبِ فَضَائِلِ القَومِ وَمَحَاسِنِهِم مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ وَالهِجرَةِ وَالنُّصرَةِ وَالعِلمِ النَّافِعِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَمَن نَظَرَ فِي سِيرَةِ القَومِ بِعِلمٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللهُ عَلَيهِم بِهِ مِنَ الفَضَائِلِ، عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُم خَيرُ الخَلقِ بَعدَ الأَنبِيَاءِ، لَا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثلُهُم، وَأَنَّهُمُ الصَّفوَةُ مِن قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ التي هِيَ خَيرُ الأُمَمِ وَأَكرَمُهَا عَلَىٰ اللهِ.

وَمِن أُصُولِ أَهلِ السُّنَّةِ: التَّصدِيقُ بِكَرَامَاتِ الأَولِيَاءِ وَمَا يَجرِي عَلَىٰ أَيدِيهِم مِن خَوَارِقِ العَادَاتِ، فِي أَنوَاعِ العُلُومِ وَالمُكَاشَفَاتِ، وَأَنوَاعِ القُدرَةِ وَالتَّأثِيرَاتِ، وَالمَأثُورِ عَن سَالِفِ

الأُمَمِ فِي سُورَةِ الكَهفِ وَغَيرِهَا، وَعَن صَدرِ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعينَ وَسَائِرِ فِرَقِ الأُمَّةِ، وَهِيَ موجُودَةٌ فِيهَا إِلَىٰ يَومِ القِيَامَةِ.

فَصلٌ

ثُمَّ مِن طَرِيقَةِ أَهلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ، وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَيثُ قَالَ: «عَلَيكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهدِيِّينَ مِن بَعدِي تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُم وَمُحدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ». [صحيح الجامع (٢٥٤٩)].

وَيَعلَمُونَ أَنَّ أَصدَقَ الكَلَامِ كَلَامُ اللهِ، وخَيرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، ويُؤثِرُونَ كَلَامَ اللهِ عَلَىٰ غَيرِهِ مِن كَلَامِ أَصنَافِ النَّاسِ، وَيُقَدِّمُونَ هَديَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ هَدي كُلِّ أَحَدٍ، وَلِهَذَا سُمُّوا أَهلَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَسُمُّوا أَهلَ الجَمَاعَةِ؛ لأَنَّ الجَمَاعَةَ هِيَ الاجتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الفُرقَةُ، وَإِن كَانَ لَفظُ الجَمَاعَةِ قَد صَارَ اسمًا لِنفسِ القَومِ المُجتَمِعينَ، وَالإِجمَاعُ هُوَ الأَصلُ الثَّالِثُ الذِي يُعتَمَدُ عَلَيهِ فِي العِلمِ وَالدِّينِ.

وَهُم يَزِنُونَ بِهَذِهِ الأُصُولِ الثَّلَاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيهِ النَّاسُ مِن أَقوَالٍ وَأَعمَالٍ بَاطِنَةٍ أَو ظَاهِرَةٍ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ.

وَالإِجمَاعُ الذِي يَنضَبِطُ: هُوَ مَا كَانَ عَلَيهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ إِذ بَعدَهُم كَثُرَ الاختِلَافُ وَانتَشَرَ فِي الأُمَّةِ.

فَصلٌ

ثُمَّ هُم مَعَ هذِهِ الأُصُولِ يَأمُرُونَ بِالمعرُوفِ وَيَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ عَلَىٰ مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ، وَيَرَونَ إِقَامَةَ الحَجِّ وَالجِهَادِ وَالجُمَعِ وَالأَعيَادِ مَعَ الأُمَرَاءِ أَبرَارًا كَانُوا أَو فُجَّارًا.

وَيُحَافِظُونَ عَلَىٰ الجَمَاعَاتِ وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلأُمَّةِ، وَيَعتَقِدُونَ مَعنَىٰ قَولِهِ ﷺ: «المُؤمِنُ لِلمُؤمِنِ كَالبُنيَانِ يَشُدُّ بَعضُهُ بَعضًا». وَشَبَّكَ بَينَ أَصَابِعِهِ. [البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥)].

وَقَولِهِ ﷺ: «مَثَلُ المُؤمِنِينَ فِي تَوَادِّهِم وَتَرَاحُمِهِم وَتَعَاطُفِهِم كَمَثَلِ الجَسَدِ إذا اشتَكَىٰ مِنهُ عُضوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بالحُمَّىٰ وَالسَّهَرِ». [البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦)].

وَيَأمُرُونَ بالصَّبرِ عِندَ البَلَاءِ، وَالشُّكرِ عِندَ الرَّخَاءِ، وَالرِّضَا بِمُرِّ القَضَاءِ، وَيَدعُونَ إِلَىٰ مَكَارِمِ الأَخلَاقِ وَمَحَاسِنِ الأَعمَالِ، وَيعتَقِدُونَ مَعنَىٰ قَولِهِ ﷺ: «أَكمَلُ المُؤمِنِينَ إِيمَانًا أَحسَنُهُم خُلُقًا». [صحيح الجامع (١٢٣٠)].

وَيَندُبُونَ إِلَىٰ أَن تَصِلَ مَن قَطَعَكَ، وَتُعطِيَ مَن حَرَمَكَ، وتَعفُوَ عَمَّن ظَلَمَكَ.

وَيَأمُرُونَ بِبِرِّ الوَالِدَينِ، وَصِلَةِ الأَرحَامِ، وَحُسنِ الجِوَارِ، وَالإِحسَانِ إِلَىٰ اليَتَامَىٰ وَالمَسَاكِينِ وَابنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفقِ بِالمَملُوكِ.

وَيَنهَونَ عَنِ الفَخرِ وَالخُيَلَاءِ وَالبَغيِ وَالاستِطَالَةِ عَلَىٰ الخَلقِ بِحَقٍّ أَو بِغَيرِ حَقٍّ.

وَيَأمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخلَاقِ وَيَنهَونَ عَن سَفسَافِهَا.

وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفعَلُونَهُ مِن هَذَا وَغَيرِهِ، فَإِنَّمَا هُم فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَطَرِيقَتُهُم هِيَ دِينُ الإِسلَامِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ، لَكِن لَمَّا أَخبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفتَرِقُ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبعِينَ فِرقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الجَمَاعَةُ. [صحيح الجامع (٢٦٤١)].

وَفِي حَدِيثٍ عَنهُ أَنَّهُ قَالَ: «هُم مَن كَانَ عَلَىٰ مِثلِ مَا أَنا عَلَيهِ اليَومَ وَأَصحَابِي». [صحيح الجامع (٥٣٤٣)].

وَصَارَ المُتَمَسِّكُونَ بِالإِسلَامِ المَحضِ الخَالِصِ عَنِ الشَّوبِ: هُم أَهلَ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، وَفِيهِم الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ وَالصَّالِحُونَ، وَمِنهُم أَعلَامُ الهُدَىٰ وَمَصَابِيحُ الدُّجَىٰ، أُولُو المَنَاقِبِ المَأثُورَةِ وَالفَضَائِلِ المَذكُورَةِ، وَفِيهِمُ الأَبدَالُ، وَفِيهِم أَئِمَّةُ الدِّينِ الَّذِين أَجمَعَ المُسلِمُونَ عَلَىٰ هِدَايَتِهِم، وَهُمُ الطَّائِفَةُ المَنصُورَةُ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّتِي عَلَىٰ الحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُم مَن خَالَفَهُم وَلَا مَن خَذَلَهُم حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ». [مسلم (١٥٦)].

فَنَسأَلُ اللهَ أَن يَجعَلنَا مِنهُم، وَأَلَّا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعدَ إذ هَدَانَا، وَأَن يَهَبَ لَنَا مِن لَدُنهُ رَحمَةً إِنَّهُ هُوَ الوَهَّابُ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّمَ تَسلِيمًا كَثِيرًا.

❊ ❊ ❊

(٣) العقيدة الطحاوية

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ.

قَالَ العَلَّامَةُ حُجَّةُ الإِسلَامِ أَبُو جَعفرٍ الوَرَّاقُ الطَّحَاوِيُّ بِمِصرَ رَحِمَهُ اللهُ:

هَذَا ذِكرُ بَيَانِ عَقِيدَةِ أَهلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ عَلَىٰ مَذهَبِ فُقَهَاءِ المِلَّةِ: أَبِي حَنِيفَةَ النُّعمَانِ ابنِ ثَابِتٍ الكُوفِيِّ، وَأَبِي يُوسُفَ يَعقُوبَ بنِ إِبرَاهِيمَ الأَنصَارِيِّ، وَأَبِي عَبدِ الله مُحَمَّدِ بنِ الحَسَنِ الشَّيبَانِيِّ -رِضوَانُ الله عَلَيهِم أَجمَعِينَ-، وَمَا يَعتَقِدُونَ مِن أُصُولِ الدِّينِ، وَيَدِينُونَ بِهِ رَبَّ العَالَمِينَ.

١ - نَقُولُ فِي تَوحِيدِ الله مُعتَقِدِينَ بِتَوفِيقِ الله: إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ.

٢ - وَلَا شَيءَ مِثلُهُ.

٣ - وَلَا شَيءَ يُعجِزُهُ.

٤ - وَلَا إِلَهَ غَيرُهُ.

٥ - قَدِيمٌ بِلَا ابتِدَاءٍ، دَائِمٌ بِلَا انتِهَاءٍ.

٦ - لَا يَفنَىٰ وَلَا يَبِيدُ.

٧ - وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ.

٨ - لَا تَبلُغُهُ الأَوهَامُ، وَلَا تُدرِكُهُ الأَفهَام.

٩ - وَلَا يُشبِهُهُ الأَنَامُ.

١٠ - حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لَا يَنَامُ.

١١ - خَالِقٌ بِلَا حَاجَةٍ، رَازِقٌ بِلَا مُؤنَةٍ.

١٢ - مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلَا مَشَقَّةٍ.

١٣ - مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبلَ خَلقِه، لَم يَزدَد بِكَونِهِم شَيئًا لَم يَكُن قَبلَهُم مِن صِفَتِه، وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا، كَذَلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيهَا أَبَدِيًّا.

١٤ - لَيسَ بَعدَ خَلقِ الخَلقِ استَفَادَ اسمَ الخَالِقِ، وَلَا بِإِحدَاثِ البَرِيَّةِ استَفَادَ اسمَ البَارِي.

١٥ - لَهُ مَعنَىٰ الرُّبُوبِيَّةِ وَلَا مَربُوب، وَمَعنَىٰ الخَالِقِ وَلَا مَخلُوق.

١٦ - وَكَمَا أَنَّهُ مُحيِي المَوتَىٰ بَعدَمَا أَحيَا، استَحَقَّ هَذَا الاسمَ قَبلَ إِحيَائِهِم، كَذَلِكَ استَحَقَّ اسمَ الخَالِقِ قَبلَ إِنشَائِهِم.

١٧ - ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، وَكُلُّ شَيءٍ إِلَيهِ فَقِيرٌ، وَكلُّ أَمرٍ عَلَيهِ يَسِيرٌ، لَا يَحتَاجُ إِلَىٰ شَيءٍ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

١٨ - خَلَقَ الخَلقَ بِعِلمِهِ.

١٩ - وَقَدَّرَ لَهُم أَقدَارًا.

٢٠ - وَضَرَبَ لَهُم آجَالًا.

٢١ - وَلَم يَخفَ عَلَيهِ شَيءٌ قَبلَ أَن يَخلُقَهُم، وَعَلِمَ مَا هُم عَامِلُونَ قَبلَ أَن يَخلُقَهُم.

٢٢ - وَأَمَرَهُم بِطَاعَتِهِ، وَنَهَاهُم عَن مَعصِيَتِهِ.

٢٣ - وَكُلُّ شَيءٍ يَجرِي بِتَقدِيرِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَمَشِيئَتُهُ تَنفُذُ، لَا مَشِيئَةَ لِلعِبَادِ إِلَّا مَا شَاءَ لَهُم، فَمَا شَاءَ لَهُم كَانَ، وَمَا لَم يَشَأ لَم يَكُن.

٢٤ - يَهدِي مَن يَشَاءُ، وَيَعصِمُ وَيُعَافِي فَضلًا، وَيُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَخذُلُ وَيَبتَلِي عَدلًا.

٢٥ - وَكُلُّهُم يَتَقَلَّبُونَ فِي مَشِيئَتِهِ، بَينَ فَضلِهِ وَعَدلِهِ.

٢٦ - وَهُوَ مُتَعَالٍ عَنِ الأَضدَاد وَالأَندَادِ.

٢٧ - لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكمِهِ، وَلَا غَالِبَ لِأَمرِهِ.

٢٨ - آمَنَّا بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَأَيقَنَّا أَنَّ كُلًّا مِن عِندِهِ.

٢٩ - وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ المُصطَفَىٰ، وَنَبِيُّهُ المُجتَبَىٰ، وَرَسُولُهُ المُرتَضَىٰ.

٣٠- وَأَنَّهُ خَاتِمُ الأَنبِيَاءِ، وَإِمَامُ الأَتقِيَاءِ، وَسَيِّدُ المُرسَلِينَ، وَحَبِيبُ رَبِّ العَالَمِينَ.

٣١- وَكُلُّ دَعوَىٰ النُّبُوَّةِ بَعدَهُ فَغَيٌّ وَهَوَىٰ.

٣٢- وَهُوَ المَبعُوثُ إِلَىٰ عَامَّةِ الجِنِّ وَكَافَّةِ الوَرَىٰ؛ بِالحَقِّ وَالهُدَىٰ وَبِالنُّورِ وَالضِّيَاءِ.

٣٣- وَأَنَّ القُرآنَ كَلَامُ اللهِ، مِنهُ بَدَا بِلَا كَيفِيَّةٍ قَولًا، وَأَنزَلَهُ عَلَىٰ رَسولِهِ وَحيًا، وَصَدَّقَهُ المُؤمِنُون عَلَىٰ ذَلِكَ حَقًّا، وَأَيقَنُوا أَنَّهُ كَلَام اللهِ تَعَالَىٰ بِالحَقِيقَة، لَيسَ بِمَخلُوق كَكَلَام البَرِيَّةِ.

فَمَن سَمِعَهُ فَزَعَم أَنَّهُ كَلَامُ البَشَرِ فَقَد كَفَرَ، وَقَد ذَمَّهُ اللهُ وَعَابَهُ وَأَوعَدَهُ بِسَقَرَ؛ حَيثُ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ٢٦]. فَلَمَّا أَوعَدَ اللهُ بِسَقَرَ لِمَن قَالَ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥]. عَلِمنَا وَأَيقَنَّا أَنَّهُ قَولُ خَالِقِ البَشَرِ، وَلَا يُشبِهُ قَولَ البَشَرِ.

٣٤- وَمَن وَصَفَ اللهَ بِمَعنًىٰ مِن مَعَانِي البَشَرِ؛ فَقَد كَفَرَ، فَمَن أَبصَرَ هَذَا اعتَبَرَ، وَعَن مِثلِ قَولِ الكُفَّارِ انزَجَرَ، وَعَلِمَ أَنَّهُ بِصِفَاتِهِ لَيسَ كَالبَشَرِ.

٣٥- وَالرُّؤيَةُ حَقٌّ لِأَهلِ الجَنَّةِ؛ بِغَيرِ إِحَاطَةٍ وَلَا كَيفِيَّةٍ؛ كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ رَبِّنَا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]. وَتَفسِيرُهُ عَلَىٰ مَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَىٰ وَعَلِمَهُ.

وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ مِنَ الحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ؛ فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَعنَاهُ عَلَىٰ مَا أَرَادَ، لَا نَدخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ بِآرَائِنَا، وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهوَائِنَا؛ فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَن سَلَّمَ للهِ ﷻ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَرَدَّ عِلمَ مَا اشتَبَه عَلَيهِ إِلَىٰ عَالِمِهِ.

٣٦- وَلَا تَثبُتُ قَدَمُ الإِسلَامِ إِلَّا عَلَىٰ ظَهرِ التَّسلِيمِ والاستِسلَامِ.

فَمَن رَامَ عِلمَ مَا حُظِرَ عَنهُ عِلمُهُ، وَلَم يَقنَع بِالتَّسلِيمِ فَهمُهُ؛ حَجَبَهُ مَرَامُهُ عَن خَالِصِ التَّوحِيدِ وَصَافِي المَعرِفَةِ وَصَحِيحِ الإِيمَانِ، فَيَتَذَبذَبُ بَينَ الكُفرِ وَالإِيمَانِ، وَالتَّصدِيقِ وَالتَّكذِيبِ، وَالإِقرَارِ وَالإِنكَارِ؛ مُوَسوَسًا تَائِهًا شَاكًّا زَائِغًا، لَا مُؤمِنًا مُصَدِّقًا، وَلَا جَاحِدًا مُكَذِّبًا.

٣٧- وَلَا يَصِحُّ الإِيمَانُ بِالرُّؤيَةِ لِأَهلِ دَارِ السَّلَامِ لِمَنِ اعتَبَرَهَا مِنهُم بِوَهمٍ أَو تَأَوَّلَهَا

بِفَهمٍ؛ إِذ كَانَ تَأوِيلُ الرُّؤيَةِ وَتَأوِيلُ كُلِّ مَعنًىٰ يُضَافُ إِلَىٰ الرُّبُوبِيَّةِ بِتَركِ التَّأوِيلِ وَلُزُومِ التَّسلِيمِ، وَعَلَيهِ دِينُ المُسلِمِينَ، وَمَن لَم يَتَوَقَّ النَّفيَ وَالتَّشبِيهَ زَلَّ وَلَم يُصِبِ التَّنزِيهَ، فَإِنَّ رَبَّنَا -جَلَّ وَعَلَا- مَوصُوفٌ بِصِفَاتِ الوَحدَانِيَّةِ، مَنعُوتٌ بِنُعُوتِ الفَردَانِيَّةِ، لَيسَ فِي مَعنَاهُ أَحَدٌ مِنَ البَرِيَّةِ.

٣٨- وَتَعَالَىٰ عَنِ الحُدُودِ وَالغَايَاتِ، وَالأَركَانِ وَالأَعضَاءِ وَالأَدَوَاتِ، لَا تَحوِيهِ الجِهَاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ المُبتَدَعَاتِ.

٣٩- وَالمِعرَاجُ حَقٌّ، وَقَد أُسرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَعُرِجَ بِشَخصِهِ فِي اليَقَظَةِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، ثُمَّ إِلَىٰ حَيثُ شَاءَ الله مِنَ العُلَا، وَأَكرَمَهُ الله بِمَا شَاءَ، وَأَوحَىٰ إِلَيهِ مَا أَوحَىٰ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم:١١]. فَصَلَّىٰ الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ فِي الآخِرَةِ وَالأُولَىٰ.

٤٠- وَالحَوضُ الَّذِي أَكرَمَهُ الله تَعَالَىٰ بِهِ غِيَاثًا لأُمَّتِهِ حَقٌّ.

٤١- وَالشَّفَاعَةُ الَّتِي ادَّخَرَهَا لَهُم حَقٌّ كَمَا رُوِيَ فِي الأَخبَارِ.

٤٢- وَالمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ الله تَعَالَىٰ مِن آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ.

٤٣- وَقَد عَلِمَ الله تَعَالَىٰ فِيمَا لَم يَزَل عَدَدَ مَن يَدخُلُ الجَنَّةَ، وَعَدَدَ مَن يَدخُلُ النَّارَ جُملَةً وَاحِدَةً، فَلَا يُزَادُ فِي ذَلِكَ العَدَدُ وَلَا يُنقَصُ مِنهُ.

٤٤- وَكَذَلِكَ أَفعَالُهُم فِيمَا عَلِمَ مِنهُم أَن يَفعَلُوهُ، وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، وَالأَعمَالُ بِالخَوَاتِيمِ، وَالسَّعِيدُ مَن سَعِدَ بِقَضَاءِ الله، وَالشَّقِيُّ مَن شَقِيَ بِقَضَاءِ الله.

٤٥- وَأَصلُ القَدَرِ سِرُّ الله تَعَالَىٰ فِي خَلقِهِ، لَم يَطَّلِع عَلَىٰ ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرسَلٌ، وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ ذَرِيعَةُ الخِذلَانِ، وَسُلَّمُ الحِرمَانِ، وَدَرَجَةُ الطُّغيَانِ.

فَالحَذَرَ كُلَّ الحَذَرِ مِن ذَلِكَ نَظَرًا وَفِكرًا وَوَسوَسَةً؛ فَإِنَّ الله تَعَالَىٰ طَوَىٰ عِلمَ القَدَرِ عَن أَنَامِهِ، وَنَهَاهُم عَن مَرَامِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣]. فَمَن سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَد رَدَّ حُكمَ الكِتَابِ، وَمَن رَدَّ حُكمَ الكِتَابِ كَانَ مِنَ الكَافِرِينَ.

٢٦- فَهَذَا جُملَةُ مَا يَحتَاجُ إِلَيهِ مَن هُوَ مُنَوَّرٌ قَلبُهُ مِن أَولِيَاءِ الله تَعَالَىٰ، وَهِيَ دَرَجَةُ الرَّاسِخِينَ فِي العِلمِ؛ لأَنَّ العِلمَ عِلمَانِ: عِلمٌ فِي الخَلقِ مُوجُودٌ، وَعِلمٌ فِي الخَلقِ مَفقُودٌ؛ فَإِنكَارُ العِلمِ المَوجُودِ كُفرٌ، وَادِّعَاءُ العِلمِ المَفقُودِ كُفرٌ، وَلَا يَثبُتُ الإِيمَانُ إِلَّا بِقَبُولِ العِلمِ المَوجُودِ وَتَركِ طَلَبِ العِلمِ المَفقُودِ.

٤٧- وَنُؤمِنُ بِاللَّوحِ وَالقَلَمِ، وَبِجَمِيعِ مَا فِيهِ قَد رُقِم، فَلَو اجتَمَعَ الخَلقُ كُلُّهُم عَلَىٰ شَيءٍ كَتَبَهُ الله تَعَالَىٰ فِيهِ أَنَّهُ كَائِنٌ، لِيَجعَلُوهُ غَيرَ كَائِنٍ؛ لَم يَقدِرُوا عَلَيهِ، وَلَو اجتَمَعُوا كُلُّهُم عَلَىٰ شَيءٍ لَم يَكتُبهُ الله تَعَالَىٰ فِيهِ لِيَجعَلُوهُ كَائِنًا؛ لَم يَقدِرُوا عَلَيهِ؛ جَفَّ القَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَومِ القِيَامَةِ، وَمَا أَخطَأَ العَبدَ لَم يَكُن لِيُصِيبَهُ، وَمَا أَصَابَهُ لَم يَكُن لِيُخطِئَهُ.

٤٨- وَعَلَىٰ العَبدِ أَن يَعلَمَ أَنَّ الله قَد سَبَقَ عِلمُهُ فِي كُلِّ كَائِنٍ مِن خَلقِهِ، فَقَدَّرَ ذَلِكَ تَقدِيرًا مُحكَمًا مُبرَمًا، لَيسَ فِيهِ نَاقِضٌ وَلَا مُعَقِّبٌ، وَلَا مُزِيلٌ وَلَا مُغَيِّرٌ، وَلَا نَاقِصٌ وَلَا زَائِدٌ مِن خَلقِهِ فِي سَمَوَاتِهِ وَأَرضِهِ.

وَذَلِكَ مِن عَقدِ الإِيمَانِ، وَأُصُولِ المَعرِفَةِ وَالاعتِرَافِ بِتَوحِيدِ الله تَعَالَىٰ وَرُبُوبِيَّتِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب:٣٨].

فَوَيلٌ لِمَن صَارَ لله تَعَالَىٰ فِي القَدَرِ خَصِيمًا، وَأَحضَرَ لِلنَّظَرِ فِيهِ قَلبًا سَقِيمًا؛ لَقَدِ التَمَسَ بِوَهمِهِ فِي فَحصِ الغَيبِ سِرًّا كَتِيمًا، وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أَفَّاكًا أَثِيمًا.

٤٩- وَالعَرشُ وَالكُرسِيُّ حَقٌّ.

٥٠- وَهُوَ مُستَغنٍ عَنِ العَرشِ وَمَا دُونَه.

٥١- مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيءٍ وَفَوقَه، وَقَد أَعجَزَ عَنِ الإِحَاطَةِ خَلقَه.

٥٢- وَنَقُولُ: إِنَّ الله اتَّخَذَ إِبرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَكَلَّمَ الله مُوسَىٰ تَكلِيمًا، إِيمَانًا وَتَصدِيقًا وَتَسلِيمًا.

٥٣- وَنُؤمِنُ بِالمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ، وَالكُتُبِ المُنَزَّلَةِ عَلَىٰ المُرسَلِينَ، وَنَشهَدُ أَنَّهُم كَانُوا

عَلَىٰ الحَقِّ المُبِينِ.

٥٤- وَنُسَمِّي أَهلَ قِبلَتِنَا مُسلِمِينَ مُؤمِنِينَ، مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُعتَرِفِينَ، وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَهُ وَأَخبَرَ مُصَدِّقِينَ.

٥٥- وَلَا نَخُوضُ فِي اللهِ، وَلَا نُمَارِي فِي دِينِ اللهِ.

٥٦- وَلَا نُجَادِلُ فِي القُرآنِ، وَنَشهَدُ أَنَّهُ كَلَامُ رَبِّ العَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ، فَعَلَّمَهُ سَيِّدَ المُرسَلِينَ؛ مُحَمَّدًا -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَعَلَىٰ آلِهِ أَجمَعِينَ-، وَهُوَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَىٰ، لَا يُسَاوِيهِ شَيءٌ مِن كَلَامِ المَخلُوقِينَ، وَلَا نَقُولُ بِخَلقِهِ، وَلَا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ المُسلِمِينَ.

٥٧- وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِن أَهلِ القِبلَةِ بِذَنبٍ مَا لَم يَستَحِلَّهُ.

٥٨- وَلَا نَقُولُ: لَا يَضُرُّ مَعَ الإِيمَانِ ذَنبٌ لِمَن عَمِلَهُ.

٥٩- وَنَرجُو لِلمُحسِنِينَ مِنَ المُؤمِنِينَ أَن يَعفُوَ عَنهُم وَيُدخِلَهُم الجَنَّةَ بِرَحمَتِهِ، وَلَا نَأمَنُ عَلَيهِم، وَلَا نَشهَدُ لَهُم بِالجَنَّةِ، وَنَستَغفِرُ لِمُسِيئِهِم، وَنَخَافُ عَلَيهِ، وَلَا نُقَنِّطُهُم.

٦٠- وَالأَمنُ وَالإِيَاسُ يَنقُلَانِ عَن مِلَّةِ الإِسلَامِ، وَسَبِيلُ الحَقِّ بَينَهُمَا لأَهلِ القِبلَةِ.

٦١- وَلَا يَخرُجُ العَبدُ مِنَ الإِيمَانِ إِلَّا بِجُحُودِ مَا أَدخَلَهُ فِيهِ.

٦٢- وَالإِيمَانُ هُوَ الإِقرَارُ بِاللِّسَانِ وَالتَّصدِيقُ بِالجَنَانِ.

٦٣- وَجَمِيعُ مَا صَحَّ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الشَّرعِ وَالبَيَانِ كُلُّهُ حَقٌّ.

٦٤- وَالإِيمَانُ وَاحِدٌ، وَأَهلُهُ فِي أَصلِهِ سَوَاءٌ، وَالتَّفَاضُلُ بَينَهُم بِالخَشيَةِ وَالتُّقَىٰ، وَمُخَالَفَةِ الهَوَىٰ وَمُلَازَمَةِ الأَولَىٰ.

٦٥- وَالمُؤمِنُونَ كُلُّهُم أَولِيَاءُ الرَّحمَنِ، وَأَكرَمُهُم عِندَ اللهِ أَطوَعُهُم وَأَتبَعُهُم لِلقُرآنِ.

٦٦- وَالإِيمَانُ هُوَ: الإِيمَانُ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَاليَومِ الآخِرِ، وَالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ وَحُلوِهِ وَمُرِّهِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ.

٦٧- وَنَحنُ مُؤمِنُونَ بِذَلِكَ كُلِّهِ، لَا نُفَرِّقُ بَينَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ وَنُصَدِّقُهُم كُلَّهُم عَلَىٰ مَا جَاءُوا بِهِ.

وَأَهلُ الكَبَائِرِ مِن أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي النَّارِ لَا يُخَلَّدُون، إِذَا مَاتُوا وَهُم مُوَحِّدُون، وَإِن لَم يَكُونُوا تَائِبِين، بَعدَ أَن لَقُوا الله عَارِفِينَ مُؤمِنِين، وَهُم فِي مَشِيئَتِهِ وَحُكمِهِ: إِن شَاءَ غَفَرَ لَهُم وَعَفَا عَنهُم بِفَضلِهِ؛ كَمَا ذَكَرَ ﷻ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

وَإِن شَاءَ عَذَّبَهُم فِي النَّارِ بِعَدلِهِ، ثُمَّ يُخرِجُهُم مِنهَا بِرَحمَتِهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِن أَهلِ طَاعَتِهِ، ثُمَّ يَبعَثُهُم إِلَىٰ جَنَّتِهِ، وَذَلِكَ بِأَنَّ الله تَعَالَىٰ تَوَلَّىٰ أَهلَ مَعرِفَتِهِ، وَلَم يَجعَلهُم فِي الدَّارَينِ كَأَهلِ نُكرَتِهِ، الَّذِينَ خَابُوا مِن هِدَايَتِهِ، وَلَم يَنَالُوا مِن وِلَايَتِهِ.

اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الإِسلَامِ وَأَهلِهِ ثَبِّتنَا عَلَىٰ الإِسلَامِ حَتَّىٰ نَلقَاكَ بِهِ.

٦٩- وَنَرَىٰ الصَّلَاةَ خَلفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِن أَهلِ القِبلَةِ، وَعَلَىٰ مَن مَاتَ مِنهُم.

٧٠- وَلَا نُنزِلُ أَحَدًا مِنهُم جَنَّةً وَلَا نَارًا، وَلَا نَشهَدُ عَلَيهِم بِكُفرٍ وَلَا بِشِركٍ وَلَا بِنِفَاقٍ، مَا لَم يَظهَر مِنهُم شَيءٌ مِن ذَلِكَ، وَنَذَرُ سَرَائِرَهُم إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.

٧١- وَلَا نَرَىٰ السَّيفَ عَلَىٰ أَحَدٍ مِن أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ إِلَّا مَن وَجَبَ عَلَيهِ السَّيفُ.

٧٢- وَلَا نَرَىٰ الخُرُوجَ عَلَىٰ أَئِمَّتِنَا وَوُلَاةِ أُمُورِنَا، وَإِن جَارُوا، وَلَا نَدعُو عَلَيهِم، وَلَا نَنزِعُ يَدًا مِن طَاعَتِهِم؛ وَنَرَىٰ طَاعَتَهُم مِن طَاعَةِ الله ﷻ فَرِيضَةً؛ مَا لَم يَأمُرُوا بِمَعصِيَةٍ، وَنَدعُو لَهُم بِالصَّلَاحِ وَالمُعَافَاةِ.

٧٣- وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالجَمَاعَةَ، وَنَجتَنِبُ الشُّذُوذَ وَالخِلَافَ وَالفُرقَةَ.

٧٤- وَنُحِبُّ أَهلَ العَدلِ وَالأَمَانَةِ، وَنُبغِضُ أَهلَ الجَورِ وَالخِيَانَةِ.

٧٥- وَنَقُولُ: الله أَعلَمُ؛ فِيمَا اشتَبَهَ عَلَينَا عِلمُهُ.

٧٦- وَنَرَىٰ المَسحَ عَلَىٰ الخُفَّينِ فِي السَّفَرِ وَالحَضَرِ كَمَا جَاءَ فِي الأَثَرِ.

٧٧- وَالحَجُّ وَالجِهَادُ مَاضِيَانِ مَعَ أُولِي الأَمرِ مِنَ المُسلِمِينَ، بَرِّهِم وَفَاجِرِهِم إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، لَا يُبطِلُهُمَا شَيءٌ وَلَا يَنقُضُهُمَا.

٧٨- وَنُؤمِنُ بِالكِرَامِ الكَاتِبِين؛ فَإِنَّ الله قَد جَعَلَهُم عَلَينَا حَافِظِينَ.

٧٩- وَنُؤمِنُ بِمَلَكِ المَوتِ المُوَكَّلِ بِقَبضِ أَروَاحِ العَالَمِينَ.

٨٠- وَبِعَذَابِ القَبرِ لِمَن كَانَ لَهُ أَهلًا، وَسُؤَالِ مُنكَرٍ وَنَكِيرٍ فِي قَبرِهِ عَن رَبِّهِ وَدِينِهِ وَنَبِيِّهِ عَلَىٰ مَا جَاءَت بِهِ الأَخبَارُ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَنِ الصَّحَابَةِ -رِضوَانُ اللهِ عَلَيهِم-.

٨١- وَالقَبرُ رَوضَةٌ مِن رِيَاضِ الجَنَّةِ أَو حُفرَةٌ مِن حُفَرِ النِّيرَانِ.

٨٢- وَنُؤمِنُ بِالبَعثِ، وَجَزَاءِ الأَعمَالِ يَومَ القِيَامَةِ، وَالعَرضِ، وَالحِسَابِ، وَقِرَاءَةِ الكِتَابِ، وَالثَّوَابِ، وَالعِقَابِ، وَالصِّرَاطِ، وَالمِيزَانِ.

٨٣- وَالجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخلُوقَتَانِ لَا تَفنَيَانِ أَبَدًا وَلَا تَبِيدَانِ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ خَلَقَ الجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبلَ الخَلقِ، وَخَلَقَ لَهُمَا أَهلًا، فَمَن شَاءَ مِنهُم إِلَىٰ الجَنَّةِ فَضلًا مِنهُ، وَمَن شَاءَ مِنهُم إِلَىٰ النَّارِ عَدلًا مِنهُ، وَكُلٌّ يَعمَلُ لِمَا قَد فُرِغَ لَهُ، وَصَائِرٌ إِلَىٰ مَا خُلِقَ لَهُ.

٨٤- وَالخَيرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَىٰ العِبَادِ.

٨٥- وَالاستِطَاعَةُ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الفِعلُ مِن نَحوِ التَّوفِيقِ الَّذِي لَا يَجُوزُ أَن يُوصَفَ المَخلُوقُ بِهِ؛ فَهِيَ مَعَ الفِعلِ، وَأَمَّا الاستِطَاعَةُ مِن جِهَةِ الصِّحَّةِ وَالوُسعِ وَالتَّمكِينِ وَسَلَامَةِ الآلَاتِ؛ فَهِيَ قَبلَ الفِعلِ، وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الخِطَابُ، وَهُوَ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

٨٦- وَأَفعَالُ العِبَادِ خَلقُ اللهِ، وَكَسبٌ مِنَ العِبَادِ.

٨٧- وَلَم يُكَلِّفهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَّا مَا يُطِيقُونَ، وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُم، وَهُوَ تَفسِيرُ «لَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

نَقُولُ: لَا حِيلَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا حَرَكَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا تَحَوُّلَ لِأَحَدٍ عَن مَعصِيَةِ اللهِ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللهِ، وَلَا قُوَّةَ لِأَحَدٍ عَلَىٰ إِقَامَةِ طَاعَةِ اللهِ وَالثَّبَاتِ عَلَيهَا إِلَّا بِتَوفِيقِ اللهِ.

٨٨- وَكُلُّ شَيءٍ يَجرِي بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَىٰ وَعِلمِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، غَلَبَت مَشِيئَتُهُ المَشِيئَاتِ كُلَّهَا، وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الحِيَلَ كُلَّهَا، يَفعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ غَيرُ ظَالِمٍ أَبَدًا، تَقَدَّسَ عَن كُلِّ سُوءٍ وَحَينٍ، وَتَنَزَّهَ عَن كُلِّ عَيبٍ وَشَينٍ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣].

٨٩- وَفِي دُعَاءِ الأَحيَاءِ وَصَدَقَاتِهِم مَنفَعَةٌ لِلأَموَاتِ.

٩٠- وَاللهُ تَعَالَىٰ يَستَجِيبُ الدَّعَوَاتِ، وَيَقضِي الحَاجَاتِ.

٩١- وَيَملِكُ كُلَّ شَيءٍ وَلَا يَملِكُهُ شَيءٌ، وَلَا غِنَىٰ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ طَرفَةَ عَينٍ، وَمَنِ استَغنَىٰ عَنِ اللهِ طَرفَةَ عَينٍ فَقَد كَفَرَ وَصَارَ مِن أَهلِ الحَينِ.

٩٢- وَاللهُ يَغضَبُ وَيَرضَىٰ، لَا كَأَحَدٍ مِنَ الوَرَىٰ.

٩٣- وَنُحِبُّ أَصحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَانُفرِطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنهُم، وَلَا نَتَبَرَّأُ مِن أَحَدٍ مِنهُم، وَنُبغِضُ مَن يُبغِضُهُم وَبِغَيرِ الخَيرِ يَذكُرُهُم، وَلَا نَذكُرُهُم إِلَّا بِخَيرٍ، وَحُبُّهُم دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحسَانٌ، وَبُغضُهُم كُفرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغيَانٌ.

٩٤- وَنُثبِتُ الخِلَافَةَ بَعدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَوَّلًا لأَبِي بَكرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ تَفضِيلًا لَهُ وَتَقدِيمًا عَلَىٰ جَمِيعِ الأُمَّةِ، ثُمَّ لِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ ﷺ، ثُمَّ لِعُثمَانَ ﷺ، ثُمَّ لِعَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، وَهُمُ الخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ، وَالأَئِمَّةُ المُهتَدُونَ.

٩٥- وَأَنَّ العَشَرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ وَبَشَّرَهُم بِالجَنَّةِ نَشهَدُ لَهُم بِالجَنَّةِ عَلَىٰ مَا شَهِدَ لَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَولُهُ الحَقُّ، وَهُم: أَبُو بَكرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلحَةُ، وَالزُّبَيرُ، وَسَعدٌ، وَسَعِيدٌ، وَعَبدُ الرَّحمَنِ بنُ عَوفٍ، وَأَبُو عُبَيدَةَ بنُ الجَرَّاحِ، وَهُوَ أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ -رَضِيَ اللهُ عَنهُم أَجمَعِينَ-.

٩٦- وَمَن أَحسَنَ القَولَ فِي أَصحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَزوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِن كُلِّ دَنَسٍ وَذُرِّيَّاتِهِ المُقَدَّسِينَ مِن كُلِّ رِجسٍ، فَقَد بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ.

٩٧- وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ وَمَن بَعدَهُم مِنَ التَّابِعِينَ: أَهلُ الخَيرِ وَالأَثَرِ، وَأَهلُ الفِقهِ وَالنَّظَرِ؛ لَا يُذكَرُونَ إِلَّا بِالجَمِيلِ، وَمَن ذَكَرَهُم بِسُوءٍ؛ فَهُوَ عَلَىٰ غَيرِ السَّبِيلِ.

٩٨- وَلَا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الأَولِيَاءِ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنَ الأَنبِيَاءِ ﷷ، وَنَقُولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفضَلُ مِن جَمِيعِ الأَولِيَاءِ.

٩٩- وَنُؤمِنُ بِمَا جَاءَ مِن كَرَامَاتِهِم، وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِن رِوَايَاتِهِم.

١٠٠- وَنُؤمِنُ بِأَشرَاطِ السَّاعَةِ مِن: خُرُوجِ الدَّجَّالِ، وَنُزُولِ عِيسَىٰ بنِ مَريَمَ ﷵ مِن

السَّمَاءِ، وَنُؤمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمسِ مِن مَغرِبِهَا، وَخُرُوجِ دَابَّةِ الأَرضِ مِن مَوضِعِهَا.

١٠١ - وَلَا نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلَا عَرَّافًا وَلَا مَن يَدَّعِي شَيئًا يُخَالِفُ الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَإِجمَاعَ الأُمَّةِ.

١٠٢ - وَنَرَىٰ الجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالفُرقَةَ زَيغًا وَعَذَابًا.

١٠٣ - وَدِينُ الله فِي الأَرضِ وَالسَّمَاءِ وَاحِدٌ، وَهُوَ دِينُ الإِسلَامِ، قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

١٠٤ - وَهُوَ بَينَ الغُلُوِّ وَالتَّقصِيرِ، وَبَينَ التَّشبِيهِ وَالتَّعطِيلِ، وَبَينَ الجَبرِ وَالقَدَرِ، وَبَينَ الأَمنِ وَالإِيَاسِ.

١٠٥ - فَهَذَا دِينُنَا وَاعتِقَادُنَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَنَحنُ بُرَآءُ إِلَىٰ الله تَعَالَىٰ مِن كُلِّ مَن خَالَفَ الذِي ذَكَرنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ.

وَنَسأَلُ الله تَعَالَىٰ أَن يُثَبِّتَنَا عَلَىٰ الإِيمَانِ، وَيَختِمَ لَنَا بِهِ، وَيَعصِمَنَا مِنَ الأَهوَاءِ المُختَلِفَةِ وَالآرَاءِ المُتَفَرِّقَةِ وَالمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ، مِثلَ: المُشَبِّهَةِ، وَالمُعتَزِلَةِ، وَالجَهمِيَّةِ، وَالجَبرِيَّةِ، وَالقَدَرِيَّةِ، وَغَيرِهِم مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا السُّنَّةَ وَالجَمَاعَةَ، وَحَالَفُوا الضَّلَالَةَ، وَنَحنُ مِنهُم بَرَاءٌ، وَهُم عِندَنَا ضُلَّالٌ وَأَردِيَاءُ، وَبِالله العِصمَةُ وَالتَّوفِيقُ.

❊ ❊ ❊

(٤) عقيدة أهل السنة والجماعة

تقديم لسماحة الشيخ
عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الحَمدُ للهِ وَحدَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَن لَا نَبِيَّ بَعدَهُ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحبِهِ.

أَمَّا بَعدُ:

فَقَدِ اطَّلَعتُ عَلَىٰ العَقِيدَةِ القَيِّمَةِ المُوجَزَةِ، الَّتِي جَمَعَهَا أَخُونَا العَلَّامَةُ فَضِيلَةُ الشَّيخِ: مُحَمَّدُ بنُ صَالِحٍ العُثَيمِينَ، وَسَمِعتُهَا كُلَّهَا، فَأَلفَيتُهَا مُشتَمِلَةً عَلَىٰ بَيَانِ عَقِيدَةِ أَهلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ فِي بَابِ: تَوحِيدِ اللهِ وَأَسمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَفِي أَبوَابِ: الإِيمَانِ بِالمَلَائِكَةِ وَالكُتُبِ وَالرُّسُلِ وَاليَومِ الآخِرِ، وَبِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ.

وَقَد أَجَادَ فِي جَمعِهَا وَأَفَادَ، وَذَكَرَ فِيهَا مَا يَحتَاجُهُ طَالِبُ العِلمِ وَكُلُّ مُسلِمٍ فِي إِيمَانِهِ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَومِ الآخِرِ وَبِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ، وَقَد ضَمَّ إِلَىٰ ذَلِكَ فَوَائِدَ جَمَّةً تَتَعَلَّقُ بِالعَقِيدَةِ قَد لَا تُوجَدُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الكُتُبِ المُؤَلَّفَةِ فِي العَقَائِدِ.

فَجَزَاهُ اللهُ خَيرًا، وَزَادَهُ مِنَ العِلمِ وَالهُدَىٰ، وَنَفَعَ بِكِتَابِهِ هَذَا وَبِسَائِرِ مُؤَلَّفَاتِهِ، وَجَعَلَنَا وَإِيَّاهُ وَسَائِرَ إِخوَانِنَا مِنَ الهُدَاةِ المُهتَدِينَ، الدَّاعِينَ إِلَىٰ اللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحبِهِ.

قَالَهُ مُملِيهِ الفَقِيرُ إِلَىٰ الله تَعَالَىٰ

عَبدُ العَزِيزِ بنُ عَبدِ اللهِ بنِ بَازٍ -سَامَحَهُ اللهُ-

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالعَاقِبَةُ لِلمُتَّقِينَ، وَلَا عُدوَانَ إِلَّا عَلَىٰ الظَّالِمِينَ، وَأَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، المَلِكُ الحَقُّ المُبِينُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ، خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِمَامُ المُتَّقِينَ، صَلَّىٰ الله عَلَيهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصحَابِهِ وَمَن تَبِعَهُم بِإِحسَانٍ إِلَىٰ يَومِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعدُ:

فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَرسَلَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالهُدَىٰ وَدِينِ الحَقِّ رَحمَةً لِلعَالَمِينَ وَقُدوَةً للعَامِلِينَ وَحُجَّةً عَلَىٰ العِبَادِ أَجمَعِينَ، بَيَّنَ بِهِ وَبِمَا أَنزَلَ عَلَيهِ مِنَ الكِتَابِ وَالحِكمَةِ كُلَّ مَا فِيهِ صَلَاحُ العِبَادِ وَاستِقَامَةُ أَحوَالِهِم فِي دِينِهِم وَدُنيَاهُم: مِنَ العَقَائِدِ الصَّحِيحَةِ وَالأَعمَالِ القَوِيمَةِ وَالأَخلَاقِ الفَاضِلَةِ وَالآدَابِ العَالِيَةِ، فَتَرَكَ ﷺ أُمَّتَهُ عَلَىٰ المَحَجَّةِ البَيضَاءِ لَيلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنهَا إِلَّا هَالِكٌ.

فَسَارَ عَلَىٰ ذَلِكَ أُمَّتُهُ الَّذِينَ استَجَابُوا للهِ وَرَسُولِهِ، وَهُم خِيرَةُ الخَلقِ: مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحسَانٍ، فَقَامُوا بِشَرِيعَتِهِ وَتَمَسَّكُوا بِسُنَّتِهِ وَعَضُّوا عَلَيهَا بِالنَّوَاجِذِ: عَقِيدَةً وَعِبَادَةً وَخُلُقًا وَأَدَبًا، فَصَارُوا هُمُ الطَّائِفَةَ الَّذِينَ لَا يَزَالُونَ عَلَىٰ الحَقِّ ظَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُم مَن خَذَلَهُم أَو خَالَفَهُم حَتَّىٰ يَأتِيَ أَمرُ اللهِ تَعَالَىٰ وَهُم عَلَىٰ ذَلِكَ.

وَنَحنُ -وَللهِ الحَمدُ- عَلَىٰ آثَارِهِم سَائِرُونَ، وَبِسِيرَتِهِم المُؤَيَّدَةِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مُهتَدُونَ، نَقُولُ ذَلِكَ تَحَدُّثًا بِنِعمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَبَيَانًا لِمَا يَجِبُ أَن يَكُونَ عَلَيهِ كُلُّ مُؤمِنٍ.

وَنَسأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ أَن يُثَبِّتَنَا وَإِخوَانَنَا المُسلِمِينَ بِالقَولِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا وَفِي الآخِرَةِ، وَأَن يَهَبَ لَنَا مِنهُ رَحمَةً إِنَّهُ هُوَ الوَهَّابُ.

وَلِأَهَمِّيَّةِ هَذَا المَوضُوعِ وَتَفَرُّقِ أَهوَاءِ الخَلقِ فِيهِ، أَحبَبتُ أَن أَكتُبَ عَلَىٰ سَبِيلِ الاختِصَارِ عَقِيدَتَنَا-عَقِيدَةَ أَهلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ- وَهِيَ: الإِيمَانُ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ

وَرُسُلِهِ وَاليَوم الآخِرِ وَالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ، سَائِلًا اللهَ تَعَالَىٰ أَن يَجعَلَ ذَلِكَ خَالِصًا لِوَجهِهِ، مُوَافِقًا لِمَرضَاتِهِ، نَافِعًا لِعِبَادِهِ.

عَقِيدَتُنَا

عَقِيدَتُنَا: الإِيمَانُ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَومِ الآخِرِ، وَالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ.

فَنُؤمِنُ بِرُبُوبِيَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ أَي: بِأَنَّهُ الرَّبُّ الخَالِقُ المَلِكُ المُدَبِّرُ لِجَمِيعِ الأُمُورِ.

وَنُؤمِنُ بِأُلُوهِيَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ أَي: بِأَنَّهُ الإِلَهُ الحَقُّ وَكُلُّ مَعبُودٍ سِوَاهُ بَاطِلٌ.

وَنُؤمِنُ بِأَسمَائِهِ وَصِفَاتِهِ؛ أَي: بِأَنَّهُ لَهُ الأَسمَاءَ الحُسنَىٰ وَالصِّفَاتِ الكَامِلَةَ العُليَا.

وَنُؤمِنُ بِوَحدَانِيَّتِهِ فِي ذَلِكَ؛ أَي: بِأَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَلَا فِي أُلُوهِيَّتِهِ وَلَا فِي أَسمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم:٦٥].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الحشر:٢٢-٢٤].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ لَهُ مُلكَ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ: ﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ﴾ [الشورى:٤٩-٥٠].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورى:١١-١٢].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود:٦].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ: ﴿عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان:٣٤].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ الله يَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ مَتَىٰ شَاءَ كَيفَ شَاءَ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤].

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم:٥٢].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ: ﴿لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾ [الكهف:١٠٩].

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان:٢٧].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ كَلِمَاتِهِ أَتَمُّ الكَلِمَاتِ صِدقًا فِي الأَخبَارِ، وَعَدلًا فِي الأَحكَامِ، وَحُسنًا فِي الحَدِيثِ، قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ﴾ [الأنعام:١١٥]. وَقَالَ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء:٨٧].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ القُرآنَ الكَرِيمَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَىٰ تَكَلَّمَ بِهِ حَقًّا، وَأَلقَاهُ إِلَىٰ جِبرِيلَ فَنَزَلَ بِهِ جِبرِيلُ عَلَىٰ قَلبِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل:١٠٢].

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ

عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٥].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ ﷻ عَلِيٌّ عَلَىٰ خَلقِهِ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وَقَولِه: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [الأنعام:١٨].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ ﴾ [يونس:٣]. وَاستِوَاؤُهُ عَلَىٰ العَرشِ: عُلُوُّهُ عَلَيهِ بِذَاتِهِ عُلُوًّا خَاصًّا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ لَا يَعلَمُ كَيفِيَّتَهُ إِلَّا هُوَ.

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ تَعَالَىٰ مَعَ خَلقِهِ وَهُوَ عَلَىٰ عَرشِهِ، يَعلَمُ أَحوَالَهُم وَيَسمَعُ أَقوَالَهُم وَيَرَىٰ أَفعَالَهُم وَيُدَبِّرُ أُمُورَهُم، يَرزُقُ الفَقِيرَ، وَيَجبُرُ الكَسِيرَ، يُؤتِي المُلكَ مَن يَشَاءُ، وَيَنزِعُ المُلكَ مِمَّن يَشَاءُ وَيُعِزُّ مَن يَشَاءُ، وَيُذِلُّ مَن يَشَاءُ، بِيَدِهِ الخَيرُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ.

وَمَن كَانَ هَذَا شَأنُهُ كَانَ مَعَ خَلقِهِ حَقِيقَةً، وَإِن كَانَ فَوقَهُم عَلَىٰ عَرشِهِ حَقِيقَةً ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١].

وَلَا نَقُولُ كَمَا تَقُولُ الحلُولِيَّةُ مِنَ الجَهمِيَّةِ وَغَيرِهِم: إِنَّهُ مَعَ خَلقِهِ فِي الأَرضِ، وَنَرَىٰ أَنَّ مَن قَالَ ذَلِكَ فَهُوَ كَافِرٌ أَو ضَالٌّ؛ لأَنَّهُ وَصَفَ اللهَ بِمَا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ النَّقَائِصِ.

وَنُؤمِنُ بِمَا أَخبَرَ بِهِ عَنهُ رَسُولُهُ ﷺ: «أَنَّهُ يَنزِلُ كُلَّ لَيلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنيَا حِينَ يَبقَىٰ ثُلُثُ اللَّيلِ الأَخِيرِ فَيَقُولُ: مَن يَدعُونِي فَأَستَجِيبَ لَهُ؟ مَن يَسأَلُنِي فَأُعطِيَهُ؟ مَن يَستَغفِرُنِي فَأَغفِرَ لَهُ؟» [البخاري (١١٤٥)، ومسلم(٧٥٨)].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ ﷻ يَأتِي يَومَ المَعَادِ لِلفَصلِ بَينَ العِبَادِ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴾ [الفجر:٢١-٢٣].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود:١٠٧].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ إِرَادَتَهُ اللهِ تَعَالَىٰ نَوعَانِ:

كَونِيَّةٌ: يقَعُ بِهَا مُرَادُهُ وَلَا يَلزَمُ أَن يَكُونَ مَحبُوبًا لَهُ، وَهِيَ الَّتِي بِمَعنَىٰ المَشِيئَةِ؛ كَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة:٢٥٣]. ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ﴾ [هود:٣٤].

وَشَرعِيَّةٌ: لَا يَلزَمُ بِهَا وُقُوعُ المُرَادِ وَلَا يَكُونُ المُرَادُ فِيهَا إِلَّا مَحبُوبًا لَهُ؛ كَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء:٢٧].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ مرَادَهُ الكَونِيَّ وَالشَّرعِيَّ تَابِعٌ لِحِكمَتِهِ، فَكُلُّ مَا قَضَاهُ كَونًا أَو تَعَبَّدَ بِهِ خَلقَهُ شَرعًا فَإِنَّهُ لِحِكمَةٍ، وَعَلَىٰ وَفقِ الحِكمَةِ، سَوَاءٌ عَلِمنَا مِنهَا مَا نَعلَمُ، أَو تَقَاصَرَت عُقُولُنَا عَن ذَلِكَ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين:٨].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ الله تَعَالَىٰ يُحِبُّ أَولِيَاءَهُ وَهُم يُحِبُّونَهُ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١].

﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤].

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦].

﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩].

﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ الله تَعَالَىٰ يَرضَىٰ مَا شَرَعَهُ مِنَ الأَعمَالِ وَالأَقوَالِ، وَيَكرَهُ مَا نَهَىٰ عَنهُ مِنهَا: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر:٧].

﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة:٤٦].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ الله تَعَالَىٰ يَرضَىٰ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة:٨].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ الله تَعَالَىٰ يَغضَبُ عَلَىٰ مَن يَستَحِقُّ الغَضَبَ مِنَ الكَافِرِينَ وَغَيرِهِم: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح:٦].

﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ لله تَعَالَىٰ وَجهًا مَوصُوفًا بِالجَلَالِ وَالإِكرَامِ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ لله تَعَالَىٰ يَدَينِ كَرِيمَتَينِ عَظِيمَتَينِ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ لله تَعَالَىٰ عَينَينِ اثنَتَينِ حَقِيقِيَّتَينِ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حِجَابُهُ النُّورُ، لَو كَشَفَهُ لأَحرَقَت سُبُحَاتُ وَجهِهِ مَا انتَهَىٰ إِلَيهِ بَصَرُهُ مِن خَلقِهِ». [مسلم (١٧٩)].

وَأَجمَعَ أَهلُ السُّنَّةِ عَلَىٰ أَنَّ العَينَينِ اثنَتَانِ، وَيُؤَيِّدُهُ قَولُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الدَّجَّالِ: «إِنَّهُ أَعوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُم لَيسَ بِأَعوَرَ». [البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣)].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ الله تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ المُؤمِنِينَ يَرَونَ رَبَّهُم يَومَ القِيَامَةِ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ الله تَعَالَىٰ لَا مِثلَ لَهُ؛ لِكَمَالِ صِفَاتِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. لِكَمَالِ حَيَاتِهِ وَقَيُّومِيَّتِهِ.

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ لَا يَظلِمُ أَحَدًا لِكَمَالِ عَدلِهِ، وَبِأَنَّهُ لَيسَ بِغَافِلٍ عَن أَعمَالِ عِبَادِهِ لِكَمَالِ

رَقَابَتِهِ وَإِحَاطَتِهِ.

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ لَا يُعجِزُهُ شَيءٌ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الأَرضِ لِكَمَالِ عِلمِهِ وَقُدرَتِهِ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢].

وَبِأَنَّهُ لَا يَلحَقُهُ تَعَبٌ وَلَا إِعيَاءٌ؛ لِكَمَال قُوَّتِهِ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق:٣٨]. أَي: مِن تَعَبٍ وَلَا إِعيَاءٍ.

وَنُؤمِنُ بِثُبُوتِ كُلِّ مَا أَثبَتَهُ الله لِنَفسِهِ أَو أَثبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ ﷺ مِنَ الأَسمَاءِ وَالصِّفَاتِ لَكِنَّنَا نَتَبَرَّأُ مِن مَحذُورَينِ عَظِيمَينِ، هُمَا:

التَّمثِيلُ: أَن يَقُولَ بِقَلبِهِ أَو لِسَانِهِ: صِفَاتُ الله تَعَالَىٰ كَصِفَاتِ المَخلُوقِينَ.

وَالتَّكيِيفُ: أَن يَقُولَ بِقَلبِهِ أَو لِسَانِهِ: كَيفِيَّةُ صِفَاتِ الله تَعَالَىٰ كَذَا وَكَذَا.

وَنُؤمِنُ بِانتِفَاءِ كُلِّ مَا نَفَاهُ الله عَن نَفسِهِ أَو نَفَاهُ عَنهُ رَسُولُهُ ﷺ وَأَنَّ ذَلِكَ النَّفيَ يَتَضَمَّنُ إِثبَاتًا لِكَمَالِ ضِدِّهِ، وَنَسكُتُ عَمَّا سَكَتَ اللهُ عَنهُ وَرَسُولُهُ.

وَنَرَىٰ أَنَّ السَّيرَ عَلَىٰ هَذَا الطَّرِيقِ فَرضٌ لَا بُدَّ مِنهُ، وَذَلِكَ لأَنَّ مَا أَثبَتَهُ الله لِنَفسِهِ أَو نَفَاهُ عَنهَا سُبحَانَهُ فَهُوَ خَبَرٌ أَخبَرَ اللهُ بِهِ عَن نَفسِهِ، وَهُوَ سُبحَانَهُ أَعلَمُ بِنَفسِهِ وَأَصدَقُ قِيلًا وَأَحسَنُ حَدِيثًا، وَالعِبَادُ لَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلمًا.

وَمَا أَثبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ أَو نَفَاهُ عَنهُ فَهُوَ خَبَرٌ أَخبَرَ بِهِ عَنهُ، وَهُوَ أَعلَمُ النَّاسِ بِرَبِّهِ وَأَنصَحُ الخَلقِ وَأَصدَقُهُم وَأَفصَحُهُم، فَفِي كَلَامِ الله تَعَالَىٰ وَرَسُولِهِ ﷺ كَمَالُ العِلمِ وَالصِّدقِ وَالبَيَانِ، فَلَا عُذرَ فِي رَدِّهِ أَوِ التَّرَدُّدِ فِي قَبُولِهِ.

فَصلٌ

وَكُلُّ مَا ذَكَرنَاهُ مِن صِفَاتِ الله تَعَالَىٰ تَفصِيلًا أَو إِجمَالًا، إِثبَاتًا أَو نَفيًا، فَإِنَّنَا فِي ذَلِكَ عَلَىٰ كِتَابِ رَبِّنَا وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا مُعتَمِدُونَ، وَعَلَىٰ مَا سَارَ عَلَيهِ سَلَفُ الأُمَّةِ وَأَئِمَّةُ الهُدَىٰ مِن بَعدِهِم سَائِرُونَ.

وَنَرَىٰ وُجُوبَ إجرَاءِ نُصُوصِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ ظَاهِرِهَا وَحَملِهَا عَلَىٰ حَقِيقَتِهَا اللَّائِقَةِ بِاللهِ ﷻ .

وَنَتَبَرَّأُ مِن طَرِيقِ المُحَرِّفِينَ لَهَا الَّذِينَ صَرَفُوهَا إِلَىٰ غَيرِ مَا أَرَادَ اللهُ بِهَا وَرَسُولُهُ.

وَمِن طَرِيقِ المُعَطِّلِينَ لَهَا الَّذِينَ عَطَّلُوهَا مِن مَدلُولِهَا الَّذِي أَرَادَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ.

وَمِن طَرِيقِ الغَالِينَ فِيهَا الَّذِينَ حَمَلُوهَا عَلَىٰ التَّمثِيلِ أَو تَكَلَّفُوا لِمَدلُولِهَا التَّكيِيفَ.

وَنَعلَمُ عِلمَ اليَقِينِ أَنَّ مَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ أَو سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ فَهُوَ حَقٌّ لَا يُنَاقِضُ بَعضُهُ بَعضًا؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢]، وَلأَنَّ التَّنَاقُضَ فِي الأَخبَارِ يَستَلزِمُ تَكذِيبَ بَعضِهَا بَعضًا وَهَذَا مُحَالٌ فِي خَبَرِ اللهِ تَعَالَىٰ وَرَسُولِهِ ﷺ.

وَمَنِ ادَّعَىٰ أَنَّ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ أَو فِي سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَو بَينَهُمَا تَنَاقُضًا؛ فَذَلِكَ لِسُوءِ قَصدِهِ وَزَيغِ قَلبِهِ، فَليَتُب إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ وَليَنزِع عَن غَيِّهِ.

وَمَن تَوَهَّمَ التَّنَاقُضَ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ أَو فِي سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَو بَينَهُمَا، فَذَلِكَ إِمَّا لِقِلَّةِ عِلمِهِ، أَو قُصُورِ فَهمِهِ، أَو تَقصِيرِهِ فِي التَّدَبُّرِ، فَليَبحَث عَنِ العِلمِ وَليَجتَهِد فِي التَّدَبُّرِ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُ الحَقُّ، فَإِن لَم يَتَبَيَّن لَهُ فَليَكِلِ الأَمرَ إِلَىٰ عَالِمِهِ، وَليَكُفَّ عَن تَوَهُّمِهِ، وَليَقُل كَمَا يَقُولُ الرَّاسِخُونَ فِي العِلمِ: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧]. وَليَعلَم أَنَّ الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ لَا تَنَاقُضَ فِيهِمَا وَلَا بَينَهُمَا وَلَا اختِلَافَ.

فَصلٌ

وَنُؤمِنُ بِمَلَائِكَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَأَنَّهُم: ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٧].

خَلَقَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ مِن نُورٍ فَقَامُوا بِعِبَادَتِهِ وَانقَادُوا لِطَاعَتِهِ: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء:١٩-٢٠].

حَجَبَهُمُ اللهُ عَنَّا فَلا نَرَاهُم، وَرُبَّمَا كَشَفَهُم لِبَعضِ عِبَادِهِ، فَقَد رَأَىٰ النَّبِيُّ ﷺ جِبرِيلَ عَلَىٰ صُورَتِهِ لَهُ سِتُّمِائَةِ جِنَاحٍ قَد سَدَّ الأُفُقَ، وَتَمَثَّلَ جِبرِيلُ لِمَريَمَ بَشَرًا سَوِيًّا، فَخَاطَبَتهُ وَخَاطَبَهَا، وَأَتَىٰ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَعِندَهُ الصَّحَابَةُ بِصُورَةِ رَجُلٍ لَا يُعرَفُ وَلَا يُرَىٰ عَلَيهِ أَثَرُ السَّفَرِ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعرِ، فَجَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَأَسنَدَ رُكبَتَيهِ إِلَىٰ رُكبَتَي النَّبِيِّ ﷺ وَوَضَعَ كَفَّيه عَلَىٰ فَخِذَيهِ، وَخَاطَبَ النَّبِيَّ ﷺ، وَخَاطَبَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَخبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصحَابَهُ أَنَّهُ جِبرِيلُ.

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ لِلمَلَائِكَةِ أَعمَالًا كُلِّفُوا بِهَا:

* فَمِنهُم جِبرِيلُ: المُوَكَّلُ بِالوَحيِ يَنزِلُ بِهِ مِن عِندِ اللهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِن أَنبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ.
* وَمِنهُم مِيكَائِيلُ: المُوَكَّلُ بِالمَطَرِ وَالنَّبَاتِ.
* وَمِنهُم إِسرَافِيلُ: المُوَكَّلُ بِالنَّفخِ فِي الصُّورِ حِينَ الصَّعقِ وَالنُّشُورِ.
* وَمِنهُم مَلَكُ المَوتِ: المُوَكَّلُ بِقَبضِ الأَروَاحِ عِندَ المَوتِ.
* وَمِنهُم مَلَكُ الجِبَالِ: المُوَكَّلُ بِهَا.
* وَمِنهُم مَالِكٌ: خَازِنُ النَّارِ.

وَمِنهُم مَلَائِكَةٌ مُوَكَّلُونَ بِالأَجِنَّةِ فِي الأَرحَامِ وَآخَرُونَ مُوَكَّلُونَ بِحِفظِ بَنِي آدَمَ، وَآخَرُونَ مُوَكَّلُونَ بِكِتَابَةِ أَعمَالِهِم، لِكُلِّ شَخصٍ مَلَكَانِ: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٧ - ١٨]. وَآخَرُونَ مُوَكَّلُونَ بِسُؤَالِ المَيِّتِ بَعدَ الانتِهَاءِ مِن تَسلِيمِهِ إِلَىٰ مَثوَاهُ، يَأتِيهِ مَلَكَانِ يَسأَلَانِهِ عَن رَبِّهِ وَدِينِهِ وَنَبِيِّهِ فَـ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم:٢٧].

وَمِنهُمُ المَلَائِكَةُ المُوَكَّلُونَ بِأَهلِ الجَنَّةِ: ﴿يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣ - ٢٤].

وَقَد أَخبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ البَيتَ المَعمُورَ فِي السَّمَاءِ يَدخُلُهُ -وَفِي رِوَايَةٍ: يُصَلِّي فِيهِ- كُلَّ يَومٍ سَبعُونَ أَلفَ مَلَكٍ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيهِ آخِرَ مَا عَلَيهِم. [البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤)].

فَصلٌ

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَنزَلَ عَلَىٰ رُسُلِهِ كُتُبًا حُجَّةً عَلَى العَالَمِينَ وَمَحَجَّةً لِلعَامِلِينَ يُعَلِّمُونَهُم بِهَا الحِكمَةَ وَيُزَكُّونَهُم.

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَنزَلَ مَعَ كُلِّ رَسُولٍ كِتَابًا؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد:٢٥].

وَنَعلَمُ مِن هَٰذِهِ الكُتُبِ:

أ- التَّورَاةَ: الَّتِي أَنزَلَهَا اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ مُوسَىٰ ﷺ، وَهِيَ أَعظَمُ كُتُبِ بَنِي إِسرَائِيلَ: ﴿فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ [المائدة:٤٤].

ب- الإِنجِيلَ: الَّذِي أَنزَلَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ عِيسَىٰ ﷺ، وَهُوَ مُصَدِّقٌ لِلتَّورَاةِ وَمُتَمِّمٌ لَهَا: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٤٦].

﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران:٥٠].

ج- الزَّبُورَ: الَّذِي آتَاهُ اللهُ دَاودَ ﷺ.

د- صُحُفَ إِبرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ -عَلَيهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

هـ- القُرآنَ العَظِيمَ: الَّذِي أَنزَلَهُ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥].

فَكَانَ: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

فَنَسَخَ اللهُ بِهِ جَمِيعَ الكُتُبِ السَّابِقَةِ وَتَكَفَّلَ بِحِفظِهِ عَن عَبَثِ العَابِثِينَ وَزَيغِ المُحَرِّفِينَ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩]. لأَنَّهُ سَيَبقَىٰ حُجَّةً عَلَى الخَلقِ أَجمَعِينَ إِلَىٰ يَومِ القِيَامَةِ.

أَمَّا الكُتُبُ السَّابِقَةُ فَإِنَّهَا مُؤَقَّتَةٌ بِأَمَدٍ يَنتَهِي بِنُزُولِ مَا يَنسَخُهَا وَيُبَيِّنُ مَا حَصَلَ فِيهَا مِن تَحرِيفٍ وتَغيِيرٍ، وَلِهَذَا لَم تَكُن مَعصُومَةً مِنهُ فَقَد وَقَعَ فِيهَا التَّحرِيفُ وَالزِّيَادَةُ وَالنَّقصُ: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء:٤٦].

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة:٧٩]. ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام:٩١].

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٧٨-٧٩]. ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إِلَىٰ قَولِهِ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:١٥-١٧].

فَصلٌ

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ بَعَثَ إِلَىٰ النَّاسِ رُسُلًا: ﴿مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ أَوَّلَهُم نُوحٌ وَآخِرَهُم مُحَمَّدٌ -صَلَّىٰ الله عَلَيهِم وَسَلَّم أَجمَعِينَ-: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء:١٦٣].

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [الأحزاب:٤٠].

وَأَنَّ أَفضَلَهُم مُحَمَّدٌ، ثُمَّ إِبرَاهِيمُ، ثُمَّ مُوسَىٰ، ثُمَّ نُوحٌ وَعِيسَىٰ بنُ مَريَمَ، وَهُمُ المَخصُوصُونَ فِي قَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب:٧].

وَنعتَقِدُ أَنَّ شَرِيعَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ حَاوِيَةٌ لِفَضَائِلِ شَرَائِعِ هَؤُلَاءِ الرُّسُلِ المُخصُوصِينَ بِالفَضلِ؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى:١٣].

وَنؤمِنُ بِأَنَّ جَمِيعَ الرُّسُلِ بَشَرٌ مَخلُوقُونَ، لَيسَ لَهُم مِن خَصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ شَيءٌ، قَالَ الله تَعَالَىٰ عَن نُوحٍ وَهُوَ أَوَّلُهُم: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ﴾ [هود:٣١].

وَأَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ مُحَمَّدًا -وَهُوَ آخِرُهُم- أَن يَقُولَ: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [هود:٣١].

وَأَن يَقُولَ: ﴿لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأعراف:١٨٨].

وَأَن يَقُولَ: ﴿إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ۝٢١ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا﴾ [الجن:٢١-٢٢].

وَنؤمِنُ بِأَنَّهُم عَبِيدٌ مِن عِبَادِ اللهِ أَكرَمَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِالرِّسَالَةِ، وَوَصَفَهُم بِالعُبُودِيَّةِ فِي أَعلَىٰ مَقَامَاتِهِم وَفِي سِيَاقِ الثَّنَاءِ عَلَيهِم، فَقَالَ فِي أَوَّلِهِم نُوحٍ: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ [الإسراء:٣].

وَقَالَ فِي آخِرِهِم مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١].

وَقَالَ فِي رُسُلٍ آخَرِينَ: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [ص:٤٥].

﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص:١٧].

﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص:٣٠].

وَقَالَ فِي عِيسَىٰ بنِ مَريَمَ: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الزخرف:٥٩].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ خَتَمَ الرِّسَالَاتِ بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَرسَلَهُ إِلَىٰ جَمِيعِ النَّاسِ؛

لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ شَرِيعَتَهُ ﷺ هِيَ دِينُ الإِسلَامِ الَّذِي ارتَضَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ لِعِبَادِهِ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَا يَقبَلُ مِن أَحَدٍ دِينًا سِوَاهُ؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

وَقَولِهِ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

وَقَولِهِ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وَنَرَىٰ أَنَّ مَن زَعَمَ اليَومَ دِينًا قَائِمًا مَقبُولًا عِندَ اللهِ سِوَىٰ دِينِ الإِسلَامِ، مِن دِينِ اليَهُودِيَّةِ أَوِ النَّصرَانِيَّةِ أَو غَيرِهِمَا، فَهُوَ كَافِرٌ، ثُمَّ إِنْ كَانَ أَصلُهُ مُسلِمًا يُستَتَابُ، فَإِن تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ مُرتَدًّا؛ لأَنَّهُ مُكَذِّبٌ لِلقُرآنِ.

وَنَرَىٰ أَنَّ مَن كَفَرَ بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَىٰ النَّاسِ جَمِيعًا فَقَد كَفَرَ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ، حَتَّىٰ بِرَسُولِهِ الَّذِي يَزعُمُ أَنَّهُ مُؤمِنٌ بِهِ مُتَّبِعٌ لَهُ؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠٥]. فَجَعَلَهُم مُكَذِّبِينَ لِجَمِيعِ الرُّسُلِ مَعَ أَنَّهُ لَم يَسبِق نُوحًا رَسُولٌ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعدَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَنِ ادَّعَىٰ النُّبُوَّةَ بَعدَهُ أَو صَدَّقَ مَنِ ادَّعَاهَا فَهُوَ كَافِرٌ؛ لأَنَّهُ مُكَذِّبٌ لِلكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجمَاعِ المُسلِمِينَ.

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ لِلنَّبِيِّ ﷺ خُلَفَاءَ رَاشِدِينَ خَلَفُوهُ فِي أُمَّتِهِ عِلمًا وَدَعوَةً وَوِلَايَةً، وَبِأَنَّ أَفضَلَهُم وَأَحَقَّهُم بِالخِلَافَةِ أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، ثُمَّ عُثمَانُ بنُ عَفَّانَ، ثُمَّ

عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنهُم أَجمَعِينَ-.

وَهَكَذَا كَانُوا فِي الخِلَافَةِ قَدرًا كَمَا كَانُوا فِي الفَضِيلَةِ شَرعًا، وَمَا كَانَ اللهُ تَعَالَىٰ -وَلَهُ الحِكمَةُ البَالِغَةُ- لِيُوَلِّيَ عَلَىٰ خَيرِ القُرُونِ رَجُلًا وَفِيهِم مَن هُوَ خَيرٌ مِنهُ وَأَجدَرُ بِالخِلَافَةِ.

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ المَفضُولَ مِن هَؤُلَاءِ قَد يَتَمَيَّزُ بِخَصِيصَةٍ يَفُوقُ فِيهَا مَن هُوَ أَفضَلُ مِنهُ، لَكِنَّهُ لَا يَستَحِقُّ بِهَا الفَضلَ المُطلَقَ عَلَىٰ مَن فَضَلَهُ؛ لأَنَّ مُوجِبَاتِ الفَضلِ كَثِيرَةٌ مُتَنَوِّعَةٌ.

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ خَيرُ الأُمَمِ وَأَكرَمُهَا عَلَىٰ اللهِ ﷻ؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ خَيرَ هَذِهِ الأُمَّةِ: الصَّحَابَةُ، ثُمَّ التَابِعُونَ، ثُمَّ تَابِعُوهُم، وَبِأَنَّهُ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن هَذِهِ الأُمَّةِ عَلَىٰ الحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُم مَن خَذَلَهُم أَو خَالَفَهُم حَتَّىٰ يَأتِيَ أَمرُ اللهِ ﷻ.

وَنَعتَقِدُ أَنَّ مَا جَرَىٰ بَينَ الصَّحَابَةِ ﭫ مِنَ الفِتَنِ، فَقَد صَدَرَ عَن تَأوِيلٍ اجتَهَدُوا فِيهِ، فَمَن كَانَ مِنهُم مُصِيبًا كَانَ لَهُ أَجرَانِ، وَمَن كَانَ مِنهُم مُخطِئًا فَلَهُ أَجرٌ وَاحِدٌ، وَخَطَؤُهُ مَغفُورٌ لَهُ.

وَنَرَىٰ أَنَّهُ يَجِبُ الكَفُّ عَن مَسَاوِئِهِم، فَلَا نَذكُرُهُم إِلَّا بِمَا يَستَحِقُّونَهُ مِنَ الثَّنَاءِ الجَمِيلِ، وَأَن نُطَهِّرَ قُلُوبَنَا مِنَ الغِلِّ وَالحِقدِ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنهُم، لِقَولِهِ تَعَالَىٰ فِيهِم: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

وَقَولِ اللهِ تَعَالَىٰ فِينَا: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

فَصلٌ

وَنُؤمِنُ بِاليَومِ الآخِرِ: وَهُوَ يَومُ القِيَامَةِ الَّذِي لَا يَومَ بَعدَهُ، حِينَ يُبعَثُ النَّاسُ أَحيَاءً لِلبَقَاءِ إِمَّا فِي دَارِ النَّعِيمِ، وَإِمَّا فِي دَارِ العَذَابِ الأَلِيمِ.

فَنُؤمِنُ بِالبَعثِ: وَهُوَ إِحيَاءُ اللهِ تَعَالَىٰ المَوتَىٰ حِينَ يَنفُخُ إِسرَافِيلُ فِي الصُّورِ النَّفخَةَ الثَّانِيَةَ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨]. فَيَقُومُ النَّاسُ مِن قُبُورِهِم لِرَبِّ العَالَمِينَ، حُفَاةً بِلَا نِعَالٍ، عُرَاةً بِلَا ثِيَابٍ، غُرلًا بِلَا خِتَانٍ: ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤].

وَنُؤمِنُ بِصَحَائِفِ الأَعمَالِ تُعطَىٰ بِاليَمِينِ أَو مِن وَرَاءِ الظُّهُورِ بِالشِّمَالِ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ۝٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ۝١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ۝١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق:٧-١٢].

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾ [الإسراء:١٣-١٤].

وَنُؤمِنُ بِالمَوَازِينِ تُوضَعُ يَومَ القِيَامَةِ فَلَا تُظلَمُ نَفسٌ شَيئًا: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧-٨].

﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝١٠٣ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٢-١٠٤].

﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [الأنعام:١٦٠].

وَنُؤمِنُ بِالشَّفَاعَةِ العُظمَىٰ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ خَاصَّةً، يَشفَعُ عِندَ اللهِ تَعَالَىٰ بِإِذنِهِ لِيَقضِيَ بَينَ عِبَادِهِ، حِينَ يُصِيبُهُم مِنَ الهَمِّ وَالكَربِ مَا لَا يُطِيقُونَ، فَيَذهَبُونَ إِلَىٰ آدَمَ، ثُمَّ نُوحٍ، ثُمَّ إِبرَاهِيمَ ثُمَّ مُوسَىٰ، ثُمَّ عِيسَىٰ، حَتَّىٰ تَنتَهِيَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَنُؤمِنُ بِالشَّفَاعَةِ فِيمَن دَخَلَ النَّارَ مِنَ المُؤمِنِينَ أَن يَخرُجُوا مِنهَا، وَهِيَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَغَيرِهِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالمُؤمِنِينَ وَالمَلَائِكَةِ.

وَبِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُخرِجُ مِنَ النَّارِ أَقوَامًا مِنَ المُؤمِنِينَ بِغَيرِ شَفَاعَةٍ، بَل بِفَضلِهِ وَرَحمَتِهِ.

وَنُؤمِنُ بِحَوضِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحلَىٰ مِنَ العَسَلِ، وَأَطيَبُ مِن رَائِحَةِ المِسكِ، طُولُهُ شَهرٌ، وَعَرضُهُ شَهرٌ، وَآنِيَتُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ حُسنًا وَكَثرَةً، يَرِدُهُ المُؤمِنُونَ مِن أُمَّتِهِ، مَن شَرِبَ مِنهُ لَم يَظمَأ بَعدَ ذَلِكَ.

وَنُؤمِنُ بِالصِّرَاطِ المَنصُوبِ عَلَىٰ جَهَنَّمَ يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيهِ عَلَىٰ قَدرِ أَعمَالِهِم، فَيَمُرُّ أَوَّلُهُم كَالبَرقِ، ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيرِ وَأَشَدِّ الرِّجَالِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَائِمٌ عَلَىٰ الصِّرَاطِ يَقُولُ: يَارَبِّ سَلِّم سَلِّم. حَتَّىٰ تَعجِزَ أَعمَالُ العِبَادِ، فَيَأتِي مَن يَزحَفُ.

وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأمُورَةٌ، تَأخُذُ مَن أُمِرَت بِهِ، فَمَخدُوشٌ نَاجٍ وَمُكَردَسٌ فِي النَّارِ.

وَنُؤمِنُ بِكُلِّ مَا جَاءَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِن أَخبَارِ ذَلِكَ اليَومِ وَأَهوَالِهِ، أَعَانَنَا اللهُ عَلَيهَا.

وَنُؤمِنُ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِأَهلِ الجَنَّةِ أَن يَدخُلُوهَا وَهِيَ لِلنَّبِيِّ ﷺ خَاصَّةً.

وَنُؤمِنُ بِالجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَالجَنَّةُ دَارُ النَّعِيمِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ تَعَالَىٰ لِلمُؤمِنِينَ المُتَّقِينَ، فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ مَا لَا عَينٌ رَأَت، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَت، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلبِ بَشَرٍ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧].

وَالنَّارُ: دَارُ العَذَابِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ تَعَالَىٰ لِلكَافِرِينَ الظَّالِمِينَ، فِيهَا مِنَ العَذَابِ وَالنَّكَالِ مَا لَا يَخطُرُ عَلَىٰ البَالِ: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف:٢٩].

وَهُمَا مَوجُودَتَانِ الآنَ وَلَن تَفنَيَا أَبَدَ الآبِدِينَ: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ [الطلاق:١١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب:٦٤-٦٦].

* وَنَشهَدُ بِالجَنَّةِ لِكُلِّ مَن شَهِدَ لَهُ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ بِالعَينِ أَو بِالوَصفِ:

فَمِنَ الشَّهَادَةِ بِالعَيِنِ: الشَّهَادَةُ لأَبِي بَكرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثمَانَ، وَعَلِيٍّ، وَنَحوِهِم مِمَّن عَيَّنَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ.

* وَمِنَ الشَّهَادَةِ بِالوَصفِ: الشَّهَادَةُ لِكُلِّ مُؤمِنٍ أَو تَقِيٍّ.

* وَنَشهَدُ بِالنَّارِ لِكُلِّ مَن شَهِدَ لَهُ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ بِالعَينِ أَو بِالوَصفِ:

* فَمِنَ الشَّهَادَةِ بِالعَينِ: الشَّهَادَةُ لأَبِي لَهَبٍ، وَعَمرِو بنِ لُحَيٍّ الخُزَاعِيِّ وَنَحوِهِمَا.

* وَمِنَ الشَّهَادَةِ بِالوَصفِ: الشَّهَادَةُ لِكُلِّ كَافِرٍ أَو مُشرِكٍ شِركًا أَكبَرَ أَو مُنَافِقٍ.

وَنُؤمِنُ بِفِتنَةِ القَبرِ: وَهِيَ سُؤَالُ المَيِّتِ فِي قَبرِهِ عَن رَبِّهِ وَدِينِهِ وَنَبِيِّهِ فَـ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ﴾ [إبراهيم:٢٧].

فَيَقُولُ المُؤمِنُ: رَبِّيَ اللهُ، وَدِينِيَ الإِسلَامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ.

وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُ فَيَقُولُ: لَا أَدرِي؛ سَمِعتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيئًا فَقُلتُهُ.

وَنُؤمِنُ بِنَعِيمِ القَبرِ لِلمُؤمِنِينَ: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٣٢].

وَنُؤمِنُ بِعَذَابِ القَبرِ لِلظَّالِمِينَ الكَافِرِينَ: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام:٩٣].

وَالأَحَادِيثُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ مَعلُومَةٌ، فَعَلَى المُؤمِنِ أَن يُؤمِنَ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ مِن هَذِهِ الأُمُورِ الغَيبِيَّةِ، وَأَلَّا يُعَارِضَهَا بِمَا يُشَاهِدُ فِي الدُّنيَا، فَإِنَّ أُمُورَ الآخِرَةِ لَا تُقَاسُ بِأُمُورِ الدُّنيَا؛ لِظُهُورِ الفَرقِ الكَبِيرِ بَينَهُمَا. وَاللهُ المُستَعَانُ.

فَصلٌ

وَنُؤمِنُ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ، وَهُوَ تَقدِيرُ اللهِ تَعَالَى لِلكَائِنَاتِ حَسبَمَا سَبَقَ بِهِ عِلمُهُ وَاقتَضَتهُ حِكمَتُهُ.

وَلِلقَدَرِ أَربَعُ مَرَاتِبَ:

المَرتَبَةُ الأُولَىٰ: العِلمُ: فَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ، عَلِمَ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَكَيفَ يَكُونُ بِعِلمِهِ الأَزَلِيِّ الأَبَدِيِّ، فَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ عِلمٌ بَعدَ جَهلٍ وَلَا يَلحَقُهُ نِسيَانٌ بَعدَ عِلمٍ.

المَرتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الكِتَابَةُ: فَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ كَتَبَ فِي اللَّوحِ المَحفُوظِ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَومِ القِيَامَةِ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

المَرتَبَةُ الثَّالِثَةُ: المَشِيئَةُ: فَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَد شَاءَ كُلَّ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ، لَا يَكُونُ شَيءٌ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ، مَا شَاءَ اللهُ كَانَ وَمَا لَم يَشَأ لَم يَكُن.

المَرتَبَةُ الرَّابِعَةُ: الخَلقُ: فَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ [الزمر: ٦٢-٦٣].

وَهَذِهِ المَرَاتِبُ الأَربَعُ شَامِلَةٌ لِمَا يَكُونُ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ نَفسِهِ، وَلِمَا يَكُونُ مِنَ العِبَادِ، فَكُلُّ مَا يَقُومُ بِهِ العِبَادُ مِن أَقوَالٍ أَو أَفعَالٍ أَو تُرُوكٍ فَهِيَ مَعلُومَةٌ للهِ تَعَالَىٰ مَكتُوبَةٌ عِندَهُ، وَاللهُ تَعَالَىٰ قَد شَاءَهَا وَخَلَقَهَا: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩].

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٧].

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

وَلَكِنَّنَا مَعَ ذَلِكَ نُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ جَعَلَ لِلعَبدِ اختِيَارًا وَقُدرَةً بِهِمَا يَكُونُ الفِعلُ، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ فِعلَ العَبدِ بِاختِيَارِهِ وَقُدرَتِهِ أُمُورٌ:

الأَوَّلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وَقَولُهُ: ﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً﴾ [التوبة: ٤٦].

فَأَثبتَ لِلعَبدِ إتيَانًا بِمَشِيئَتِهِ، وَإعدادًا بِإرَادَتِهِ.

الثَّانِي: توجِيهُ الأَمرِ وَالنَّهيِ إلَىٰ العَبدِ، وَلَو لَم يَكُن لَهُ اختِيَارٌ وَقُدرَةٌ؛ لَكَانَ تَوجِيهُ ذَلِكَ إلَيهِ مِنَ التَّكلِيفِ بِمَا لَا يُطَاقُ، وَهُوَ أَمرٌ تَأبَاهُ حِكمَةُ اللهِ تَعَالَىٰ وَرَحمَتُهُ وَخَبَرُهُ الصَّادِقُ فِي قَولِهِ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦].

الثَّالِثُ: مَدحُ المُحسِنِ عَلَىٰ إحسَانِهِ وَذَمُّ المُسِيءِ عَلَىٰ إسَاءَتِهِ، وَإثَابَةُ كُلٍّ مِنهُمَا بِمَا يَستَحِقُّ، وَلَولَا أَنَّ الفِعلَ يَقَعُ بِإرَادَةِ العَبدِ وَاختِيَارِهِ لَكَانَ مَدحُ المُحسِنِ عَبَثًا، وَعُقُوبَةُ المُسِيءِ ظُلمًا، وَاللهُ تَعَالَىٰ مُنَزَّه عَنِ العَبَثِ وَالظُّلمِ.

الرَّابِعُ: أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَرسَلَ الرُّسُلَ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَلَولَا أَنَّ فِعلَ العَبدِ يَقَعُ بِإرَادَتِهِ وَاختِيَارِهِ، مَا بَطَلَت حُجَّتُهُ بِإرسَالِ الرُّسُلِ.

الخَامِسُ: أَنَّ كُلَّ فَاعِلٍ يُحِسُّ أَنَّهُ يَفعَلُ الشَّيءَ أَو يَترُكُهُ بِدُونِ أَيِّ شُعُورٍ بِإكرَاهٍ، فَهُوَ يَقُومُ وَيَقعُدُ وَيَدخُلُ وَيَخرُجُ وَيُسَافِرُ وَيُقِيمُ بِمَحضِ إرَادَتِهِ، وَلَا يَشعُرُ بِأَنَّ أَحَدًا يُكرِهُهُ عَلَىٰ ذَلِكَ، بَل يُفَرِّقُ تَفرِيقًا وَاقِعِيًّا بَينَ أَن يَفعَلَ الشَّيءَ بِاختِيَارِهِ وَبَينَ أَن يُكرِهَهُ عَلَيهِ مُكرِهٌ.

وَكَذَلِكَ فَرَّقَ الشَّرعُ بَينَهُمَا تَفرِيقًا حَكِيمًا، فَلَم يُؤَاخِذِ الفَاعِلَ بِمَا فَعَلَهُ مُكرَهًا عَلَيهِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِحَقِّ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَنَرَىٰ أَنَّهُ لَا حُجَّةَ لِلعَاصِي عَلَىٰ مَعصِيَتِهِ بِقَدَرِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ لأَنَّ العَاصِيَ يُقدِمُ عَلَىٰ المَعصِيَةِ بِاختِيَارِهِ، مِن غَيرِ أَن يَعلَمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدَّرَهَا عَلَيهِ، إذ لَا يَعلَمُ أَحَدٌ قَدَرَ اللهِ تَعَالَىٰ إلَّا بَعدَ وُقُوعِ مَقدُورِهِ: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان:٣٤].

فَكَيفَ يَصِحُّ الاحتِجَاجُ بِحُجَّةٍ لَا يَعلَمُهَا المُحتَجُّ بِهَا حِينَ إقدَامِهِ عَلَىٰ مَا اعتَذَرَ بِهَا عَنهُ، وَقَد أَبطَلَ اللهُ تَعَالَىٰ هَذِهِ الحُجَّةَ بِقَولِهِ: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام:١٤٨].

وَنقُولُ لِلعَاصِي المُحتَجِّ بِالقَدَرِ: لِمَاذَا لَم تُقدِم عَلَىٰ الطَّاعَةِ مُقدِّرًا أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَد كَتَبَهَا لَكَ، فَإِنهُ لَا فَرقَ بَينَهَا وَبَينَ المَعصِيَةِ فِي الجَهلِ بِالمَقدُورِ قَبلَ صُدُورِ الفِعلِ مِنكَ؟

وَلِهَذَا لَمَّا أَخبَرَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّحَابَةَ بِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ قَد كُتِبَ مِقعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ وَمَقعَدُهُ مِنَ النَّارِ، قَالُوا: أَفَلَا نَتَّكِلُ وَنَدَعُ العَمَلَ؟ قَالَ: «لَا، اعمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ». [البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧)].

وَنقُولُ لِلعَاصِي المُحتَجِّ بِالقَدَرِ: لَو كُنتَ تُرِيدُ السَّفَرَ لِمَكَّةَ وَكَانَ لَهَا طَرِيقَانِ، أَخبَرَكَ الصَّادِقُ أَنَّ أَحَدَهُمَا مَخُوفٌ صَعبٌ، وَالثَّانِي آمِنٌ سَهلٌ، فَإِنَّكَ سَتَسلُكُ الثَّانِي وَلَا يُمكِنُ أَن تَسلُكَ الأَوَّلَ؛ وَتَقُول: إِنَّهُ مُقَدَّرٌ عَلَيَّ، وَلَو فَعَلتَ؛ لَعَدَّكَ النَّاسُ فِي قِسمِ المَجَانِينِ.

وَنقُولُ لَهُ أَيضًا: لَو عُرِضَ عَلَيكَ وَظِيفَتَانِ: إِحدَاهُمَا ذَاتُ مُرَتَّبٍ أَكثَرَ، فَإِنَّكَ سَوفَ تَعمَلُ فِيهَا دُونَ النَّاقِصَةِ، فَكَيفَ تَختَارُ لِنَفسِكَ فِي عَمَلِ الآخِرَةِ مَا هُوَ الأَدنَىٰ ثُمَّ تَحتَجُّ بِالقَدَرِ؟

وَنقُولُ لَهُ أَيضًا: نَرَاكَ إِذَا أُصِبتَ بِمَرَضٍ جِسمِي؛ طَرَقتَ بَابَ كُلِّ طَبِيبٍ لِعِلَاجِكَ، وَصَبَرتَ عَلَىٰ مَا يَنَالُكَ مِن أَلَمِ عَمَلِيَّةِ الجِرَاحَةِ وَعَلَىٰ مَرَارَةِ الدَّوَاءِ.

فَلِمَاذَا لَا تَفعَلُ مِثلَ ذَلِكَ فِي مَرَضِ قَلبِكَ بِالمَعَاصِي؟!

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ الشَّرَّ لَا يُنسَبُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ؛ لِكَمَالِ رَحمَتِهِ وَحِكمَتِهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالشَّرُّ لَيسَ إِلَيكَ» رَوَاه مُسلِم. [مسلم (٧٧١)].

فَنَفسُ قَضَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ لَيسَ فِيهِ شَرٌّ أَبَدًا؛ لأَنَّهُ صَادِرٌ عَن رَحمَةٍ وَحِكمَةٍ، وَإِنَّمَا يَكُونُ الشَّرُّ فِي مُقتَضَيَاتِهِ؛ لِقَولِ النَّبِيِّ ﷺ فِي دُعَاءِ القُنُوتِ الَّذِي عَلَّمَهُ الحَسَنَ: «وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيتَ». [صحيح، المشكاة (١٢٧٣)]، فَأَضَافَ الشَّرَّ إِلَىٰ مَا قَضَاهُ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ الشَّرَّ فِي المُقتَضَيَاتِ لَيسَ شَرًّا خَالِصًا مَحضًا، بَل هُوَ شَرٌّ فِي مَحَلِّهِ مِن وَجهٍ، خَيرٌ مِن وَجهٍ، أَو شَرٌّ فِي مَحَلِّهِ، خَيرٌ فِي مَحَلٍّ آخَرَ.

فَالفَسَادُ فِي الأَرضِ مِنَ الجَدبِ وَالمَرَضِ وَالفَقرِ وَالخَوفِ شَرٌّ، لَكِنَّهُ خَيرٌ فِي مَحَلٍّ

آخَرَ، قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١].

وَقَطعُ يَدِ السَّارِقِ، وَرَجمُ الزَّانِي شَرٌّ بِالنِّسبَةِ لِلسَّارِقِ وَالزَّانِي فِي قَطعِ اليَدِ وَإِزهَاقِ النَّفسِ، لَكِنَّهُ خَيرٌ لَهُمَا مِن وَجهٍ آخَرَ، حَيثُ يَكُونُ كَفَّارَةً لَهُمَا فَلَا يَجمَعُ لَهُمَا بَينَ عُقُوبَتَي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، وَهُوَ أَيضًا خَيرٌ فِي مَحَلٍّ آخَرَ، حَيثُ إِنَّ فِيهِ حِمَايَةَ الأَموَالِ وَالأَعرَاضِ وَالأَنسَابِ.

فَصلٌ

هَذِهِ العَقِيدَةُ السَّامِيَةُ المُتَضَمِّنَةُ لِهَذِهِ الأُصُولِ العَظِيمَةِ تُثمِرُ لِمُعتَقِدِهَا ثَمَرَاتٍ جَلِيلَةً كَثِيرَةً:

فَالإِيمَانُ بِاللهِ تَعَالَىٰ وَأَسمَائِهِ وَصِفَاتِهِ يُثمِرُ لِلعَبدِ مَحَبَّةَ اللهِ وَتَعظِيمَهُ المُوجِبَينِ لِلقِيَامِ بِأَمرِهِ وَاجتِنَابِ نَهيِهِ، وَالقِيَامِ بِأَمرِ اللهِ تَعَالَىٰ وَاجتِنَابِ نَهيِهِ يَحصُلُ بِهِمَا كَمَالُ السَّعَادَةِ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ لِلفَردِ وَالمُجتَمَعِ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

* وَمِن ثَمَرَاتِ الإِيمَانِ بِالمَلَائِكَةِ:

أَوَّلًا: العِلمُ بِعَظَمَةِ خَالِقِهِم -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وَقُوَّتِهِ وَسُلطَانِهِ.

ثَانِيًا: شُكرُهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ عِنَايَتِهِ بِعِبَادِهِ، حَيثُ وَكَّلَ بِهِم مِن هَؤُلَاءِ المَلَائِكَةِ مَن يَقُومُ بِحِفظِهِم وَكِتَابَةِ أَعمَالِهِم وَغَيرِ ذَلِكَ مِن مَصَالِحِهِم.

ثَالِثًا: مَحَبَّةُ المَلَائِكَةِ عَلَىٰ مَا قَامُوا بِهِ مِن عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ الوَجهِ الأَكمَلِ وَاستِغفَارِهِم لِلمُؤمِنِينَ.

* وَمِن ثَمَرَاتِ الإِيمَانِ بِالكُتُبِ:

أَوَّلًا: العِلمُ بِرَحمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ وَعِنَايَتِهِ بِخَلقِهِ، حَيثُ أَنزَلَ لِكُلِّ قَومٍ كِتَابًا يَهدِيهِم بِهِ.

ثَانِيًا: ظُهُورُ حِكمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، حَيثُ شَرَعَ فِي هَذِهِ الكُتُبِ لِكُلِّ أُمَّةٍ مَا يُنَاسِبُهَا، وَكَانَ خَاتَمُ هَذِهِ الكُتُبِ القُرآنَ العَظِيمَ، مُنَاسِبًا لِجَمِيعِ الخَلقِ فِي كُلِّ عَصرٍ وَمَكَانٍ إِلَىٰ يَومِ القِيَامَةِ.

ثَالِثًا: شُكرُ نِعمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ ذَلِكَ.

* وَمِن ثَمَرَاتِ الإِيمَانِ بِالرُّسُلِ:

أَوَّلًا: العِلمُ بِرَحمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ وَعِنَايَتِهِ بِخَلقِهِ، حَيثُ أَرسَلَ إِلَيهِم أُولَئِكَ الرُّسُلَ الكِرَامَ لِلهِدَايَةِ وَالإِرشَادِ.

ثَانِيًا: شُكرُهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ هَذِهِ النِّعمَةِ الكُبرَىٰ.

ثَالِثًا: مَحَبَّةُ الرُّسُلِ وَتَوقِيرُهُم وَالثَّنَاءُ عَلَيهِم بِمَا يَلِيقُ بِهِم، لأَنَّهُم رُسُلُ اللهِ تَعَالَىٰ وَخُلَاصَةُ عَبِيدِهِ، قَامُوا بِعِبَادَتِهِ وَتَبلِيغِ رِسَالَتِهِ وَالنُّصحِ لِعِبَادِهِ وَالصَّبرِ عَلَىٰ أَذَاهُم.

* وَمِن ثَمَرَاتِ الإِيمَانِ بِاليَومِ الآخِرِ:

أَوَّلًا: الحِرصُ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَىٰ رَغبَةً فِي ثَوَابِ ذَلِكَ اليَومِ، وَالبُعدُ عَن مَعصِيَتِهِ خَوفًا مِن عِقَابِ ذَلِكَ اليَومِ.

ثَانِيًا: تَسلِيَةُ المُؤمِنِ عَمَّا يَفُوتُهُ مِن نَعِيمِ الدُّنيَا وَمَتَاعِهَا بِمَا يَرجُوهُ مِن نَعِيمِ الآخِرَةِ وَثَوَابِهَا.

* وَمِن ثَمَرَاتِ الإِيمَانِ بِالقَدَرِ:

أَوَّلًا: الاعتِمَادُ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ عِندَ فِعلِ الأَسبَابِ؛ لأَنَّ السَّبَبَ وَالمُسَبَّبَ كِلَاهُمَا بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ.

ثَانِيًا: رَاحَةُ النَّفسِ وَطُمَأنِينَةُ القَلبِ؛ لأَنَّهُ مَتَىٰ عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ بِقَضَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَأَنَّ المَكرُوهَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ، ارتَاحَتِ النَّفسُ وَاطمَأَنَّ القَلبُ وَرَضِيَ بِقَضَاءِ الرَّبِّ، فَلَا أَحَدَ أَطيَبُ عَيشًا وَأَربَحُ نَفسًا وَأَقوَىٰ طُمَأنِينَةً مِمَّن آمَنَ بِالقَدَرِ.

ثَالِثًا: طَردُ الإِعجَابِ بِالنَّفسِ عِندَ حُصُولِ المُرَادِ؛ لأَنَّ حُصُولَ ذَلِكَ نِعمَةٌ مِنَ اللهِ بِمَا

قَدَّرَهُ مِن أَسبَابِ الخَيرِ وَالنَّجَاحِ، فَيَشكُرُ اللهَ تَعَالَىٰ عَلَىٰ ذَلِكَ وَيَدَعُ الإِعجَابَ.

رَابِعًا: طَردُ القَلَقِ وَالضَّجَرِ عِندَ فَوَاتِ المُرَادِ أَو حُصُولِ المَكرُوهِ؛ لأَنَّ ذَلِكَ بِقَضَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ الَّذِي لَهُ مُلكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ وَهُوَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ، فَيَصبِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ وَيَحتَسِبُ الأَجرَ، وَإِلَىٰ هَذَا يُشِيرُ اللهُ تَعَالَىٰ بِقَولِهِ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢- ٢٣].

فَنَسأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ أَن يُثَبِّتَنَا عَلَىٰ هَذِهِ العَقِيدَةِ، وَأَن يُحَقِّقَ لَنَا ثَمَرَاتِهَا وَيَزِيدَنَا مِن فَضلِهِ، وَأَلَّا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعدَ إِذ هَدَانَا، وَأَن يَهَبَ لَنَا مِن رَحمَتِهِ، إِنَّهُ هُوَ الوَهَّابُ، وَالحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُم بِإِحسَانٍ.

تَمَّت بِقَلَمِ مُؤَلِّفِهَا
مُحَمَّدِ الصَّالِح العُثَيمِينَ
فِي ٣٠ شَوَّال سَنَة ١٤٠٤هـ

(٥) العقيدة الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحَمدَ للهِ، نَحمَدُهُ، وَنَستَعِينُهُ، وَنَستَغفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِن شُرورِ أنفُسِنَا، وَمِن سَيِّئَاتِ أعمَالِنَا، مَن يَهدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِل فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأشهَدُ أن لَا إلَهَ إلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأشهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ.

أمَّا بَعدُ:

فَهَذِهِ أسئِلَةٌ هَامَّةٌ فِي العَقِيدَةِ أُجِيبُ عَلَيهَا، مَعَ ذِكرِ الدَّلِيلِ مِنَ القُرآنِ وَالحَدِيثِ الصَّحِيحِ، لِيَطمَئِنَّ القَارِئُ إلَى صِحَّةِ الجَوَابِ، لأنَّ عَقِيدَةَ التَّوحِيدِ هِيَ أسَاسُ سَعَادَةِ الإنسَانِ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ.

وَاللهَ أسألُ أن يَنفَعَ بِهَا المُسلِمِينَ، وَيَجعَلَهَا خَالِصَةً لِوَجهِهِ الكَرِيمِ.

مُحَمَّدُ بنُ جَمِيل زِينُو

أركَانُ الإسلامِ

س١: جِبرِيلُ يَسأَلُ: يَا مُحَمَّدُ أخبِرنِي عَنِ الإسلَامِ؟

ج١: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: الإسلَامُ:

١ - أن تَشهَدَ أن لَا إلَهَ إلَّا اللهُ: «لَا مَعبُودَ بِحَقٍّ إلَّا اللهُ»، وَأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَأنَّ مُحَمَّدًا أرسَلَهُ اللهُ لِتَبلِيغِ دِينِهِ.

٢ - وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ: تُؤَدِّيهَا بِأركَانِهَا بِاطمِئنَانٍ وَخُشُوعٍ.

٣ - وَتُؤتِيَ الزَّكَاةَ: إذَا مَلَكَ المُسلِمُ ٨٥ جِرَامًا ذَهَبًا أو مَا يُعَادِلُهَا مِنَ النُّقُودِ يَدفَعُ مِنهَا ٢.٥ فِي المِائَةِ بَعدَ سَنَةٍ، وَغَيرِ النُّقُودِ لَهَا مِقدَارٌ مُعَيَّنٌ.

٤ - وَتَصُومَ رَمَضَانَ: تَمتَنِعُ عَنِ الطَّعَامِ، وَالشَّرَابِ، وَالجِمَاعِ، وَالمُحَرَّمَاتِ مِنَ الفَجرِ حَتَّىٰ الغُروبِ.

٥ - «وَتَحُجَّ البَيتَ إنِ استَطَعتَ إلَيهِ سَبِيلًا». رَوَاهُ مُسلِمٌ.

أركَانُ الإيمَانِ

س١: قَالَ جِبرِيلُ: فَأخبِرنِي عَنِ الإيمَانِ؟

ج١: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: الإيمَانُ:

١ - أن تُؤمِنَ بِاللهِ: الاعتِقَادُ بِأنَّ اللهَ خَالِقٌ وَمَعبُودٌ بِحَقٍّ، لَهُ أسمَاءٌ وَصِفَاتٌ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

٢ - وَمَلَائِكَتِهِ: مَخلُوقَاتٌ مِنَ النُّورِ لِتَنفِيذِ أوَامِرِ اللهِ، لَا نَرَاهُم.

٣ - وَكُتُبِهِ: التَّورَاةُ وَالإنجِيلُ وَالزَّبُورُ، وَالقُرآنُ نَاسِخُهَا.

٤ - وَرُسُلِهِ: أوَّلُهُم نُوحٌ، وَآخِرُهُم مُحَمَّدٌ ﷺ.

٥ - وَاليَومِ الآخِرِ: يَومُ القِيَامَةِ لِمُحَاسَبَةِ النَّاسِ.

٦ - وَتُؤمِنَ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ. رَواه مسلم.

الرِّضَا بِمَا قَدَّرَهُ اللهُ مَعَ الأخذِ بِالأسبَابِ.

حَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ

س١ : لِمَاذَا خَلَقَنَا اللهُ؟

ج١ : خَلَقَنَا اللهُ لِنَعبُدَهُ وَلَا نُشرِكَ بِهِ شَيئًا.

وَالدَّلِيلُ قَولُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

وَقَولُهُ ﷺ: «حَقُّ اللهِ عَلَىٰ العِبَادِ أن يَعبُدُوهُ وَلَا يُشرِكُوا بِهِ شَيئًا». متفق عليه.

س٢ : مَا هِيَ العِبَادَةُ؟

ج٢ : العِبَادَةُ: اسمٌ جَامِعٌ لِمَا يُحِبُّهُ اللهُ مِنَ الأقوَالِ وَالأفعَالِ، كَالدُّعَاءِ وَالصَّلَاةِ وَالخُشُوعِ وَغَيرِهَا.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢].

نُسُكِي: ذَبحِي للحَيَوَانَاتِ.

وَقَالَ ﷺ: «قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: وَمَا تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبدِي بِشَيءٍ أحَبَّ إلَيَّ مِمَّا افتَرَضتُهُ عَلَيهِ». حديث قدسي رواه البخاري.

س٣: كَيفَ نَعبُدُ اللهَ؟

ج٣: كَمَا أمَرَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد:٣٣].

وَقَالَ ﷺ: «مَن عَمِلَ عَمَلًا لَيسَ عَلَيهِ أمرُنَا فَهُوَ رَدٌّ». رواه مسلم. أي: غَيرُ مَقبُولٍ.

س٤ : هَل نَعبُدُ اللهَ خَوفًا وَطَمَعًا؟

ج٤ : نَعَم نَعبُدُهُ كَذَلِكَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ آمِرًا عِبَادَهُ: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف:٥٦].

وَقَالَ ﷺ: «أسألُ اللهَ الجَنَّةَ وَأعُوذُ بِهِ مِنَ النَّارِ». رواه أبو داود بسند صحيح.

س٥: مَا هُوَ الإحسَانُ فِي العِبَادَةِ؟

ج٥ : الإحسَانُ هُوَ مُرَاقَبَةُ اللهِ تَعَالَىٰ فِي العِبَادَةِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء:٢١٨-٢١٩].

وَقَالَ ﷺ: «الإحسَانُ أن تَعبُدَ اللهَ كَأنَّكَ تَرَاهُ؛ فَإن لَم تَكُن تَرَاهُ فَإنَّهُ يَرَاكَ». رواه مسلم.

أنوَاعُ التَّوحِيد وفَوائدُهُ

س١ : لِمَاذَا أرسَلَ اللهُ الرُّسُلَ؟

ج١ : أرسَلَهُم لِلدَّعوَةِ إلَىٰ عِبَادَتِهِ وَنَفي الشِّركِ بِاللهِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

الطَّاغُوتُ: الَّذِي يَعبُدُهُ النَّاسُ وَيَدعُونَهُ مِن دُونِ اللهِ وَهُوَ رَاضٍ بِذَلِكَ.

وَقَالَ ﷺ: «وَالأنبِيَاءُ إخوَةٌ... وَدِينُهُم وَاحِدٌ». الحديث متفق عليه.

س٢ : مَا هُوَ تَوحِيدُ الرَّبِّ؟

ج٢ : هُوَ إفرَادُهُ بِأفعَالِهِ كَالخَلقِ وَالتَّدبِيرِ وَغَيرِهِمَا.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢].

وَقَالَ ﷺ: «أنتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأرضِ...». متفق عليه.

س٣: مَا هُوَ تَوحِيدُ الإلَهِ؟

ج٣: هُوَ إفرَادُهُ بِالعِبَادَةِ، كـ: الدُّعَاءِ، وَالذَّبحِ، وَالنَّذرِ، وَالصَّلَاةِ، وَالرَّجَاءِ، وَالخَوفِ، وَالاستِعَانَةِ، وَالتَّوَكُّلِ وَغَيرِهَا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣].

وَقَالَ ﷺ: «فَليَكُن أوَّلَ مَا تَدعُوهُم إلَيهِ شَهَادَةُ أن لَا إلَهَ إلَّا اللهُ». متفق عليه.

وَفِي رِوَايَةِ البُخَارِيِّ: «إلَىٰ أن يُوَحِّدُوا اللهَ».

س٤ : مَا هُوَ تَوحِيدُ صِفَاتِ اللهِ وَأسمَائِهِ؟

ج٤: هُوَ إثبَاتُ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفسَهُ فِي كِتَابِهِ أو وَصَفَهُ رَسُولُهُ فِي أحَادِيثِهِ الصَّحِيحَةِ عَلَىٰ الحَقِيقَةِ، بِلَا تَأويلٍ وَلَا تَجسِيمٍ وَلَا تَمثِيلٍ وَلَا تَعطِيلٍ وَلَا تَكيِيفٍ، كَالاستِوَاءِ، وَالنُّزُولِ وَاليَدِ، وَغَيرِهَا مِمَّا يَلِيقُ بِكَمَالِ اللهِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

وَقَالَ ﷺ: «يَنزِلُ اللهُ فِي كُلِّ لَيلَةٍ إلَىٰ سَمَاءِ الدُّنيَا». صحيح، رواه أحمد.

يَنزِلُ نُزُولًا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، وَلَا يُشبِهُ أحَدًا مِن مَخلُوقَاتِهِ.

س٥: أينَ اللهُ؟

ج٥: اللهُ فَوقَ العَرشِ عَلَىٰ السَّمَاءِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥].

أي: عَلَا وَارتَفَعَ، كَمَا جَاءَ فِي البُخَارِيِّ عَنِ التَّابِعِينَ.

وَقَالَ ﷺ: «إنَّ اللهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبلَ أن يَخلُقَ الخَلقَ... فَهُوَ مَكتُوبٌ عِندَهُ فَوقَ العَرشِ». رواه البخاري.

س٦- هَلِ اللهُ مَعَنَا؟

ج٦: اللهُ مَعَنَا بِعِلمِهِ، يَسمَعُنَا وَيَرَانَا، لِقَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦].

وَقَالَ ﷺ: «إنَّكُم تَدعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُم». رواه مسلم.

أي: بِعِلمِهِ.

س٧: مَا هِيَ فَائِدَةُ التَّوحِيدِ؟

ج٧: فَائِدَةُ التَّوحِيدِ هِيَ الأمنُ فِي الآخِرَةِ مِنَ العَذَابِ المُؤَبَّدِ، وَالهِدَايَةِ فِي الدُّنيَا، وَتَكفِيرِ الذُّنُوبِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢].

بِظُلم: أي بِشِركٍ.

وَقَالَ ﷺ: «حَقُّ العِبَادِ عَلَىٰ اللهِ أَلَّا يُعَذِّبَ مَن لَا يُشرِكُ بِهِ شَيئًا». متفق عليه.

شُرُوطُ قَبُولِ العَمَلِ

س١: مَا هِيَ شُروطُ قَبُولِ العَمَلِ؟

ج١: شُرُوطُ قَبُولِ العَمَلِ عِندَ اللهِ ثَلَاثَةٌ:

١- الإِيمَانُ بِاللهِ وَتَوحِيدُهُ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾ [الكهف:١٠٧].

وَقَالَ ﷺ: «قُل آمَنتُ بِاللهِ ثُمَّ استَقِم». رَوَاهُ مُسلِمٌ.

٢- الإِخلَاصُ، وَهُوَ العَمَلُ للهِ مِن غَيرِ رِيَاءٍ وَلَا سُمعَةٍ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر:١٤].

وَقَالَ ﷺ: «مَن قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخلِصًا دَخَلَ الجَنَّةَ». صحيح، رَوَاهُ البَزَّارُ وَغَيرُهُ.

٣- المُوَافَقَةُ لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر:٧].

وَقَالَ ﷺ: «مَن عَمِلَ عَمَلًا لَيسَ عَلَيهِ أَمرُنَا فَهُوَ رَدٌّ». رواه مسلم.

أي: غَيرُ مَقبُولٍ.

الشِّركُ الأكبرُ وأنواعُهُ

س١: مَا هُوَ الشِّركُ الأَكبَرُ؟

ج١: الشِّركُ الأَكبَرُ هُوَ صَرفُ نَوعٍ مِن أَنوَاعِ العِبَادَةِ لِغَيرِ اللهِ؛ كَالدُّعَاءِ وَالذَّبحِ وَغَيرِ ذَلِكَ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس:١٠٦].

أي: المُشرِكِينَ.

وَقَولُهُ ﷺ: «أكبَرُ الكَبَائِرِ: الإشرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَينِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ». رواه مسلم.

س٢- مَا هُوَ أعظَمُ الذُّنُوبِ عِندَ اللهِ؟

ج٢- أعظَمُ الذُّنُوبِ عِندَ اللهِ الشِّركُ الأكبَرُ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُ اللهِ تَعَالَىٰ عَن لُقمَانَ: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان:١٣].

وَلَمَّا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أيُّ الذَّنبِ أعظَمُ؟ قَالَ: «أن تَجعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ». مِتَّفَقٌ عَلَيهِ.

النِّدُّ: المَثِيلُ وَالشَّرِيكُ.

س٣- هَلِ الشِّركُ مَوجُودٌ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ؟

ج٣- نَعَم مَوجُودٌ، وَالدَّلِيلُ: قَولُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦].

وَقَالَ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَلحَق قَبَائِلُ مِن أُمَّتِي بِالمُشرِكِينَ، وَحَتَّىٰ تُعبَدَ الأوثَانُ». صحيح، رواه الترمذي.

س٤- مَا حُكمُ دُعَاءِ الأموَاتِ أوِ الغَائِبِينَ؟

ج٤- دُعَاؤُهُم مِنَ الشِّركِ الأكبَرِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٣].

وَقَالَ ﷺ: «مَن مَاتَ وَهُوَ يَدعُو مِن دُونِ اللهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ». رواه البخاري.

النِّدُّ: الشَّرِيكُ.

س٥- هَلِ الدُّعَاءُ عِبَادَةٌ؟

ج٥- نَعَم الدُّعَاءُ عِبَادَةٌ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

عِبَادَتِي: دُعَائِي.

وَقَالَ ﷺ: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ». رواه الترمذي، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

س٦- هَل يَسمَعُ الأموَاتُ الدُّعَاءَ؟

ج٦- لَا يَسمَعُونَ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٖ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر:٢٢].

وَعَنِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: وَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ قَلِيبِ بَدرٍ فَقَالَ: «هَل وَجَدتُم مَا وَعَدَ رَبُّكُم حَقًّا؟». ثُمَّ قَالَ: «إِنَّهُم الآنَ يَسمَعُونَ مَا أَقُولُ؟». فَذُكِرَ لِعَائِشَةَ فَقَالَت: إِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُم الآنَ لَيَعلَمُونَ أَنَّ مَا كُنتُ أَقُولُ لَهُم هُوَ الحَقُّ». ثُمَّ قَرَأَت: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل:٨٠].

وَقَالَ قَتَادَةُ رَاوِي الحَدِيثِ: «أَحيَاهُمُ اللهُ حَتَّىٰ أَسمَعَهُم قَولَهُ تَوبِيخًا وَتَصغِيرًا وَنَقِيمَةً وَحَسرَةً وَنَدَامَةً». رواه البخاري في كتاب المغازي باب (٨).

يُستَفَادُ مِنَ الحَدِيثِ:

١- أَنَّ سَمَاعَ قَتلَىٰ المُشرِكِينَ مُؤَقَّتٌ، بِدَلِيلِ قَولِهِ ﷺ: «إِنَّهُم الآنَ يَسمَعُونَ». وَمَفهُومُهُ: بَعدَ الآنَ لَا يَسمَعُونَ؛ لأَنَّهُ كَمَا قَالَ قَتَادَةُ رَاوِي الحَدِيثِ: أَحيَاهُمُ اللهُ حَتَّىٰ أَسمَعَهُم قَولَهُ تَوبِيخًا وَتَصغِيرًا و...

٢- إِنكَارُ عَائِشَةَ لِرِوَايَةِ ابنِ عُمَرَ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَم يَقُل: «يَسمَعُونَ». بَل قَالَ: «إِنَّهُمُ الآنَ يَعلَمُونَ». مُستَدِلَّةً بِالآيَةِ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل:٨٠].

٣- وَيُمكِنُ التَّوفِيقُ بَينَ رِوَايَةِ ابنِ عُمَرَ وَعَائِشَةَ بِمَا يَلِي: أَنَّ الأصلَ هُوَ عَدَمُ سَمَاعِ المَوتَىٰ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ القُرآنُ، وَلَكِنَّ اللهَ أَحيَا قَتلَىٰ المُشرِكِينَ مُعجِزَةً لِلرَّسُولِ ﷺ حَتَّىٰ سَمِعُوا، كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ قَتَادَةُ رَاوِي الحَدِيثِ، وَاللهُ أَعلَمُ.

أنواعُ الشِّركِ الأكبَرِ

س١ - هَل نَستَغِيثُ بِالأموَاتِ أوِ الغَائِبِينَ؟

ج١ - لَا نَستَغِيثُ بِهِم بَل نَستَغِيثُ بِاللهِ.

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ۝٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾ [النحل:٢٠-٢١]. ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ ﴾ [الأنفال:٩].

وَقَالَ ﷺ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحمَتِكَ أَستَغِيثُ». حسن، رواه الترمذي.

س٢ - هَل تَجُوزُ الاستِعَانَةُ بِغَيرِ اللهِ؟

ج٢ - لَا تَجُوزُ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ [الفاتحة:٥].

وَقَولُهُ ﷺ: «إِذَا سَأَلتَ فَاسأَلِ الله، وَإِذَا استَعَنتَ فَاستَعِن بِاللهِ». رواه الترمذي، وَقَالَ: حسن صحيح.

س٣- هَل نَستَعِينُ بِالأحيَاءِ؟

ج٣- نَعَم، فِيمَا يَقدِرُونَ عَلَيهِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ ﴾ [المائدة:٢].

وَقَالَ ﷺ: «وَاللهُ فِي عَونِ العَبدِ مَا كَانَ العَبدُ فِي عَونِ أَخِيهِ». رواه مسلم.

س٤ - هَل يَجُوزُ النَّذرُ لِغَيرِ اللهِ؟

ج٤ - لَا يَجُوزُ النَّذرُ إِلَّا للهِ؛ لِقَولِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا ﴾ [آل عمران:٣٥].

وَقَولِهِ ﷺ: «مَن نَذَرَ أن يُطِيعَ اللهَ فَليُطِعهُ، وَمَن نَذَرَ أن يَعصِيَهُ فَلَا يَعصِهِ». رواه البخاري.

س٥- هَل يَجُوزُ الذَّبحُ لِغَيرِ اللهِ؟

ج٥- لَا يَجُوزُ، وَالدَّلِيلُ قَولُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴾ [الكوثر:٢].

انحَر: اذبَح للهِ.

وَقَالَ ﷺ: «لَعَنَ اللهُ مَن ذَبَحَ لِغَيرِ اللهِ». رواه مسلم.

س٦- هَل يَجُوزُ الطَّوَافُ حَولَ غَيرِ الكَعبَةِ؟

ج٦- لَا يَجُوزُ الطَّوَافُ إِلَّا بِالكَعبَةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴾ [الحج:٢٩].

وَقَالَ ﷺ: «مَن طَافَ بِالبَيتِ سَبعًا وَصَلَّىٰ رَكعَتَينِ كَانَ كَعِتقِ رَقَبَةٍ». صحيح رواه ابن ماجه.

س٧- مَا حُكمُ السِّحرِ؟

ج٧- السِّحرُ مِنَ الكُفرِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ ﴾ [البقرة:١٠٢].

وَقَالَ ﷺ: «اجتَنِبُوا السَّبعَ المُوبِقَاتِ: الشِّركُ بِاللهِ، وَالسِّحرُ...». الحديث رواه مسلم.

المُوبِقَاتُ: المُهلِكَاتُ.

س٨- هَل نُصَدِّقُ العَرَّافَ وَالكَاهِنَ فِي عِلمِ الغَيبِ؟

ج٨- لَا نُصَدِّقُهُمَا، لِقَولِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ ﴾ [النمل:٦٥].

وَقَالَ ﷺ: «مَن أتَىٰ عَرَّافًا أو كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَد كَفَرَ بِمَا أُنزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ». صحيح، رواه أحمد.

س٩- هَل يَعلَمُ الغَيبَ أحَدٌ؟

ج٩- لَا يَعلَمُ الغَيبَ أحَدٌ إلَّا اللهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام:٥٩].

وَقَالَ ﷺ: «لَا يَعلَمُ الغَيبَ إلَّا اللهُ». حسن، رواه الطبراني.

س١٠ - مَا حُكمُ العَمَلِ بِالقَوَانِينِ المُخَالِفَةِ لِلإسلَامِ؟

ج١٠ - العَمَلُ بِالقَوَانِينِ المُخَالِفَةِ لِلإسلَامِ كُفرٌ إذَا أجَازَهَا أوِ اعتَقَدَ صَلَاحِيَّتَهَا.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

وَقَالَ ﷺ: «وَمَا لَم تَحكُم أئِمَّتُهُم بِكِتَابِ اللهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أنزَلَ اللهُ، إلَّا جَعَلَ اللهُ بَأسَهُم بَينَهُم». حسن، رواه ابن ماجه وغيره.

س١١ - إذَا وَسوَسَ الشَّيطَانُ فَقَالَ: مَن خَلَقَ اللهَ؟

ج١١ - إذَا وَسوَسَ الشَّيطَانُ لأحَدِكُم بِهَذَا السُّؤَالِ فَليَستَعِذ بِاللهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت:٣٦].

وَعَلَّمَنَا الرَّسُولُ ﷺ أن نَرُدَّ كَيدَ الشَّيطَانِ وَنَقُولَ: «آمَنتُ بِاللهِ وَرُسُلِهِ، اللهُ أحَدٌ، اللهُ الصَّمَدُ، لَم يَلِد، وَلَم يُولَد، وَلَم يَكُن لَهُ كُفُوًا أحَد، ثُمَّ لِيَتفُلْ عَن يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَليَستَعِذْ مِنَ الشَّيطَانِ وَلينَتهِ؛ فَإنَّ ذَلِكَ يَذهَبُ عَنهُ». هَذِهِ خُلَاصَةُ الأحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الوَارِدَةِ فِي البُخَارِيِّ، وَمُسلِمٍ، وَأحمَدَ، وَأبِي دَاودَ.

يَجِبُ القَولُ: بِأنَّ اللهَ خَالِقٌ وَلَيسَ بِمَخلُوقٍ، وَلِتَقرِيبِ ذَلِكَ مِنَ الأذهَانِ نَقُولُ مَثَلًا: إنَّ العَدَدَ اثنَانِ قَبلَهُ وَاحِدٌ، وَالوَاحِدُ لَا شَيءَ قَبلَهُ، فَاللهُ وَاحِدٌ لَا شَيءَ قَبلَهُ، قَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ أنتَ الأوَّلُ فَلَا شَيءَ قَبلَكَ». رواه مسلم.

س١٢ - مَا هِيَ عَقِيدَةُ المُشرِكِينَ قَبلَ الإسلَامِ؟

ج١٢ - كَانُوا يَدعُونَ الأولِيَاءَ لِلتَّقَرُّبِ وَطَلَبِ الشَّفَاعَةِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣].

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨].

وَبَعضُ المُسلِمِينَ يَفعَلُونَ ذَلِكَ مُتَشَبِّهِينَ بِالمُشرِكِينَ.

س١٣ - كَيفَ نَنفِي الشِّركَ بِاللهِ؟

ج١٣ - لَا يَتِمُّ الشِّركُ بِاللهِ إِلَّا بِنَفيِ مَا يَلِي:

١ - الشِّركُ فِي أفعَالِ الرَّبِّ: كَالاعتِقَادِ بِأَنَّ هُنَاكَ أقطَابًا يُدَبِّرُونَ الكَونَ مَعَ أَنَّ اللهَ يَسأَلُ المُشرِكِينَ: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ﴾ [يونس:٣١].

٢ - الشِّركُ فِي العِبَادَةِ: كَدُعَاءِ الأنبِيَاءِ، وَالأولِيَاءِ؛ لِقَولِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا﴾ [الجن:٢٠].

وَقَولِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ». رواه الترمذي، وَقَالَ: حسن صحيح.

٣ - الشِّركُ فِي صِفَاتِ اللهِ: كَالاعتِقَادِ بِأَنَّ الرُّسُلَ وَالأولِيَاءَ يَعلَمُونَ الغَيبَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ [النمل:٦٥].

٤ - الشِّركُ فِي التَّشبِيهِ: كَأن يَقُولَ: لَابُدَّ لِي مِن وَاسِطَةٍ بَشَرٍ حِينَ أدعُو اللهَ، كَالأمِيرِ الَّذِي لَا أستَطِيعُ الدُّخُولَ عَلَيهِ إِلَّا بِوَاسِطَةٍ، فَهَذَا شَبَّهَ الخَالِقَ بِالمَخلُوقِ، وَهُوَ مِنَ الشِّركِ؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى:١١].

وَيَنطَبِقُ عَلَيهِ قَولُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

وَإِذَا تَابَ وَنَفَىٰ هَذِهِ الأنوَاعَ مِنَ الشِّركِ فَيَكُونُ مُوَحِّدًا، اللَّهُمَّ اجعَلنَا مِنَ المُوَحِّدِينَ وَلَا تَجعَلنَا مِنَ المُشرِكِينَ.

س١٤ - مَا هُوَ ضَرَرُ الشِّركِ الأكبَرِ؟

ج١٤ - الشِّركُ الأكبَرُ يُسَبِّبُ الخُلُودَ فِي النَّارِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢].

وَقَالَ ﷺ: «وَمَن لَقِيَ اللهَ يُشرِكُ بِهِ شَيئًا دَخَلَ النَّارَ». رواه مسلم.

س١٥ - هَل يَنفَعُ العَمَلُ مَعَ الشِّركِ؟

ج١٥- لَا يَنفَعُ العَمَلُ مَعَ الشِّركِ، لِقَولِ اللهِ تَعَالَىٰ عَنِ الأنبِيَاءِ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨].

وَقَالَ ﷺ: «قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: أَنَا أَغنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّركِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا أَشرَكَ مَعِيَ فِيهِ غَيرِي تَرَكْتُهُ وَشِركَهُ». حديث قدسي، رواه مسلم.

الشِّركُ الأصغرُ وَأنواعُهُ

س١- مَا هُوَ الشِّركُ الأصغَرُ؟

ج١- الشِّركُ الأصغَرُ هُوَ الرِّيَاءُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠].

وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ أَخوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيكُم الشِّركُ الأصغَرُ: الرِّيَاءُ». صحيح، رواه أحمد.

وَمِنَ الشِّركِ الأصغَرِ قَولُ الرَّجُلِ: «لَولَا اللهُ وَفُلَانٍ، مَا شَاءَ اللهُ وَشِئتَ».

قَالَ ﷺ: «لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِن قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ». صحيح، رواه أحمد.

س٢- هَل يَجُوزُ الحَلِفُ بِغَيرِ اللهِ؟

ج٢- لَا يَجُوزُ الحَلِفُ بِغَيرِ اللهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن:٧].

وَقَالَ ﷺ: «مَن حَلَفَ بِغَيرِ اللهِ فَقَد أَشرَكَ». صحيح، رواه أحمد.

وَقَالَ ﷺ: «مَن كَانَ حَالِفًا فَليَحلِف بِاللهِ أَو لِيَصمُت». متفق عليه.

وَقَد يَكُونُ الحَلِفُ بِالأنبِيَاءِ أَوِ الأولِيَاءِ مِنَ الشِّركِ الأكبَرِ، وَذَلِكَ إِذَا اعتَقَدَ الحَالِفُ أَنَّ لِلوَلِيِّ تَصَرُّفًا يَضُرُّهُ، وَلِذَلِكَ يَخَافُ مِنَ الحَلِفِ بِهِ كَاذِبًا، عِلمًا بِأَنَّ الشِّركَ الأصغَرَ مِن كَبَائِرِ الذُّنُوبِ وَلَا يُخلِّدُ صَاحِبَهُ فِي النَّارِ.

س٣- هَل نَلبَسُ الخَيطَ وَالحَلقَةَ لِلشِّفَاءِ؟

ج٣- لَا نَلبَسُهُمَا، لِقَولِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:١٧].

عَن حُذَيفَةَ أَنَّهُ رَأَىٰ رَجُلًا فِي يَدِهِ خَيطٌ مِنَ الحمىٰ فَقَطَعَهُ وَتَلَا قَولَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦]. صحيح، رواه ابن أبي حاتم.

س٤ - هَل نُعَلِّقُ الخَرزَةَ وَالوَدعَةَ وَنَحوَهُمَا مِنَ العَينِ؟

ج٤ - لَا نُعَلِّقُهُمَا مِنَ العَينِ، لِقَولِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:١٧].

وَقَولِهِ ﷺ: «مَن عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَد أَشرَكَ». صحيح، رواه أحمد.

التَّمِيمَةُ: الخَرزَةُ أَوِ الوَدعَةُ تُعَلَّقُ مِنَ العَينِ.

التَّوَسُّلُ وَطَلَبُ الشَّفَاعَةِ

س١ - بِمَاذَا نَتَوَسَّلُ إِلَىٰ اللهِ؟

ج١ - التَّوَسُّلُ مِنهُ جَائِزٌ وَمَمنُوعٌ.

١ - التَّوَسُّلُ الجَائِزُ وَالمَطلُوبُ: هُوَ التَّوَسُّلُ بِأَسمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ، وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، وَطَلَبِ الدُّعَاءِ مِنَ الأَحيَاءِ الصَّالِحِينَ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة:٣٥].

أي: تَقَرَّبُوا إِلَيهِ بِطَاعَتِهِ وَالعَمَلِ بِمَا يُرضِيهِ. ذَكَرَهُ ابنُ كَثِيرٍ نَقلًا عَن قَتَادَةَ.

وَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «أَسأَلُكَ بِكُلِّ اسمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيتَ بِهِ نَفسَكَ». صحيح، رواه أحمد.

وَقَولُهُ ﷺ لِلصَّحَابِي الَّذِي سَأَلَهُ مُرَافَقَتَهُ فِي الجَنَّةِ: «أَعِنِّي عَلَىٰ نَفسِكَ بِكَثرَةِ السُّجُودِ». رواه مسلم.

أي: الصَّلَاةُ، وَهِيَ مِنَ العَمَلِ الصَّالِحِ.

وَكَقِصَّةِ أَصحَابِ الغَارِ الَّذِينَ تَوَسَّلُوا بِأَعمَالِهِم الصَّالِحَةِ فَفَرَّجَ اللهُ عَنهُم.

وَيَجُوزُ التَّوَسُّلُ بِحُبِّ اللهِ وَحُبِّنَا لِلرَّسُولِ ﷺ وَالأَولِيَاءِ؛ لأَنَّ حُبَّنَا لَهُم مِنَ العَمَلِ

الصَّالِح.

٢- التَّوَسُّلُ المَمنُوعُ: وَهُوَ دُعَاءُ الأموَاتِ، وَطَلَبُ الحَاجَاتِ مِنهُم، كَمَا هُوَ وَاقِعٌ اليَومَ، وَهُوَ شِركٌ أكبَرُ، لِقَولِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يوسف:١٠٦].

أي: المُشرِكِينَ.

٣- أمَّا التَّوَسُّلُ بِجَاهِ الرَّسُولِ ﷺ كَقَولِكَ: يَا رَبُّ بِجَاهِ مُحَمَّدٍ اشفِنِي، فَهَذَا بِدعَةٌ، لأنَّ الصَّحَابَةَ لَم يَفعَلُوهُ، وَلأنَّ عُمَرَ تَوَسَّلَ بِالعَبَّاسِ حَيًّا بِدُعَائِهِ وَلَم يَتَوَسَّل بِالرَّسُولِ بَعدَ مَوتِهِ، وَهَذَا التَّوَسُّلُ قَد يُؤدِّي لِلشِّركِ، وَذَلِكَ إذَا اعتَقَدَ أنَّ اللهَ مُحتَاجٌ لِوَاسِطَةٍ بَشَرٍ كَالأمِيرِ وَالحَاكِمِ، وَلأنَّهُ شَبَّهَ الخَالِقَ بِالمَخلُوقِ.

وَقَالَ أبُو حَنِيفَةَ: أكرَهُ أن أسأَلَ اللهَ بِغَيرِ اللهِ. ذَكَرَهُ صَاحِبُ الدُّرِّ المُختَارِ.

س٢- هَل يَحتَاجُ الدُّعَاءُ لِوَاسِطَةِ مَخلُوقٍ؟

ج٢- لَا يَحتَاجُ الدُّعَاءُ لِوَاسِطَةِ مَخلُوقٍ، لِقَولِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ [البقرة:١٨٦].

وَقَولِهِ ﷺ: «إنَّكُم تَدعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُم». رواه مسلم.

أي: بِعِلمِهِ.

س٣- هَل يَجُوزُ طَلَبُ الدُّعَاءِ مِنَ الأحيَاءِ؟

ج٣- نَعَم، يَجُوزُ طَلَبُ الدُّعَاءِ مِنَ الأحيَاءِ لَا الأموَاتِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ يُخَاطِبُ الرَّسُولَ حَيًّا: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد: ١٩].

وَفِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ: أنَّ رَجُلًا ضَرِيرَ البَصَرِ أتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: ادعُ اللهَ أن يُعَافِيَنِي.

س٤- مَا هِيَ وَاسِطَةُ الرَّسُولِ ﷺ؟

ج٤ - وَاسِطَةُ الرَّسُولِ ﷺ هِيَ التَّبلِيغُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة:٦٧].

وَقَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ». جَوَابًا لِقَولِ الصَّحَابَةِ: نَشهَدُ أنَّكَ قَد بَلَّغتَ. رواه مسلم.

س٥ - مِمَّن نَطلُبُ شَفَاعَةَ الرَّسُولِ ﷺ؟

ج٥ - نَطلُبُ شَفَاعَةَ الرَّسُولِ مِنَ الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾ [الزمر:٤٤].

وَعَلَّمَ ﷺ الصَّحَابِيَّ أن يَقُولَ: «اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ» رَوَاهُ الترمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

أَي: شَفِّع الرَّسُولَ فِيَّ.

وَقَالَ ﷺ: «إِنِّي خَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَومَ القِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِن شَاءَ الله مَن مَاتَ مِن أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا» رَوَاهُ مُسلِمٌ.

س٦ - هَل نَطلُبُ الشَّفَاعَةَ مِنَ الأحيَاءِ؟

ج٦ - نَطلُبُ الشَّفَاعَةَ مِنَ الأحيَاءِ فِي أُمُورِ الدُّنيَا، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ ﴾ [النساء:٨٥].

أي: نُصِيبٌ مِن وِزرِهَا.

وَقَالَ ﷺ: «اشفَعُوا تُؤجَرُوا». صحيح، رواه أبو داود.

س٧ - هَل نُبَالِغُ وَنَزِيدُ فِي مَدحِ الرَّسُولِ ﷺ؟

ج٧ - لَا نُبَالِغُ وَلَا نزِيدُ فِي مَدحِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ [الكهف:١١٠].

وَقَالَ ﷺ: «لَا تَطرونِي كَمَا أطرَتَ النَّصَارَىٰ عِيسَىٰ بنَ مَريَم، فَإِنَّمَا أنَا عَبدٌ، فَقُولُوا: عَبدُ اللهِ وَرَسُولِهِ». رواه البخاري.

الإطرَاءُ: هُوَ المُبَالَغَةُ وَالزِّيَادَةُ فِي المَدحِ.

س٨ - مَن هُوَ أوَّلُ المَخلُوقَاتِ؟

ج٨ - أوَّلُ المَخلُوقَاتِ مِنَ البَشَرِ آدَمُ، وَمِنَ الأشيَاءِ القَلَمُ، قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ

ـمَـٰٓئِكَةِ إِنِّي خَـٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾ [ص:٧١].

وَقَالَ ﷺ: «كُلُّكُم بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِن تُرَابٍ». رواه البزار، وصححه الألباني.

وَقَولُهُ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ». رواه أبو داود، والترمذي، وَقَالَ: حسن صحيح.

ـي: بَعدَ المَاءِ وَالعَرشِ.

وَأَمَّا حَدِيثُ: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ نُورَ نَبِيِّكَ يَا جَابِرُ». فَهُوَ مَوضُوعٌ وَمَكذُوبٌ يُخَالِفُ ـقُرآنَ وَالسُّنَّةَ، وَالعَقلَ وَالنَّقلَ.

قَالَ السُّيُوطِيُّ: لَا سَنَدَ لَهُ.

وَقَالَ الغُمَارِيُّ: مَوضُوعٌ.

وَقَالَ الألبَانِيُّ: بَاطِلٌ.

الجِهَادُ وَالوَلَاءُ وَالبَرَاءُ

س١ - مَا حُكمُ الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ؟

ج١ - الجِهَادُ وَاجِبٌ بِالمَالِ وَالنَّفسِ وَاللِّسَانِ حَسَبِ الاستِطَاعَةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٤١].

وَقَالَ ﷺ: «جَاهِدُوا المُشرِكِينَ بِأَموَالِكُم وَأَنفُسِكُم وَأَلسِنَتِكُم». صحيح، رواه أبو داود.

بِقَدرِ الاستِطَاعَةِ.

س٢ - مَا هُوَ الوَلَاءُ؟

ج٢ - الوَلَاءُ هُوَ الحُبُّ وَالنُّصرَةُ لِلمُؤمِنِينَ المُوَحِّدِينَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة:٧١].

وَقَالَ ﷺ: «المُؤمِنُ لِلمُؤمِنِ كَالبُنيَانِ يَشُدُّ بَعضُهُ بَعضًا» رَوَاهُ مُسلِمٌ.

س٣- هَل تَجُوزُ مُوَالَاةُ الكُفَّارِ وَنُصرَتُهُم؟

ج٣- لَا تَجُوزُ مُوَالَاةُ الكُفَّارِ وَنُصرَتُهُمْ، قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة:٥١].

وَقَالَ ﷺ: «إنَّ آلَ بَنِي فُلَانٍ لَيسُوا لِي بِأَولِيَاءَ». متفق عليه.

س٤ - مَن هُوَ الوَلِيُّ؟

ج٤ - الوَلِيُّ هُوَ المُؤمِنُ التَقِيُّ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٢-٦٣].

وَقَالَ ﷺ: «إنَّمَا وَلِيي الله وَصَالِحُ المُؤمِنِينَ». متفق عليه.

س٥ - بِمَاذَا يَحكُمُ المُسلِمُونَ؟

ج٥ - يَحْكُمُ المُسْلِمُونَ بِالقُرآنِ وَالحَدِيثِ الصَّحِيحِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة:٤٩].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أمَّا بَعدُ، ألَا أيُّهَا النَّاسُ، فَإنَّمَا أنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أن يَأتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبُ، وَأنَا تَارِكٌ فِيكُم ثَقَلَينِ: أوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ، فِيهِ الهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا كِتَابَ اللهِ وَاستَمسِكُوا بِهِ». فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأهلُ بَيتِي». رواه مسلم.

وَقَولُهُ ﷺ: «تَرَكتُ فِيكُم أمرَينِ لَن تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكتُم بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ». رواه مالك، وصححه الألباني، ومحقق جامع الأصول لشواهده.

العَمَلُ بِالقُرآنِ وَالحَدِيثِ

س١ - لِمَاذَا أنزَلَ الله القُرآنَ؟

ج١ - أُنزِلَ الله القُرآنَ لِلعَمَلِ بِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف:٣].

وَقَالَ ﷺ: «اقرَءُوا القُرآنَ وَاعمَلُوا بِهِ وَلَا تَأكُلُوا بِهِ...». صحيح، رواه أحمد.

س٢ - مَا حُكمُ العَمَلِ بِالحَدِيثِ الصَّحِيحِ؟

ج٢ - العَمَلُ بِالحَدِيثِ الصَّحِيحِ وَاجِبٌ، لِقَولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَلَيكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا». صحيح، رواه أحمد.

س٣- هَل نَستَغنِي بِالقُرآنِ عَنِ الحَدِيثِ؟

ج٣- لَا نَستَغنِي بِالقُرآنِ عَنِ الحَدِيثِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤].

وَقَالَ ﷺ: «أَلَا وَإِنِّي أُوتِيتُ القُرآنَ وَمِثلُهُ مَعَهُ». صحيح رواه أبو داود وغيره.

س٤ - هَل نُقَدِّمُ قَولًا عَلَىٰ قَولِ اللهِ وَرَسُولِهِ؟

ج٤ - لَا نُقَدِّمُ قَولًا عَلَىٰ قَولِ اللهِ وَرَسُولِهِ؛ لِقَولِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات:١].

وَقَولِهِ ﷺ: «لَا طَاعَةَ لِمَخلُوقٍ فِي مَعصِيَةِ الخَالِقِ». صحيح، رواه أحمد.

وَقَولِ ابنِ عَبَّاسٍ: أَرَاهُم سَيَهلكُونَ، أَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَيَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكرٍ وَعُمَرُ. رواه أحمد، وصححه أحمد شاكر.

س٥ - مَاذَا نَفعَلُ إِذَا اختَلَفنَا فِي أُمُورِ دِينِنَا؟

ج٥ - نَعُودُ إِلَىٰ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩].

وَقَالَ ﷺ: «تَرَكتُ فِيكُم أَمرَينِ لَن تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكتُم بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ». رواه مالك، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

س٦ - كَيفَ نُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ؟

ج٦ - نُحِبُّهُمَا بِطَاعَتِهِمَا وَاتِّبَاعِ أَوَامِرِهِمَا، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١].

وَقَالَ ﷺ: «لَا يُؤمِنُ أَحَدُكُم حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيهِ مِن وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجمَعِينَ». متفق عليه.

س٧- هَل نَترُكُ العَمَلَ وَنَتَّكِلُ عَلَىٰ القَدَرِ؟

ج٧- لَا نَترُكُ العَمَلَ؛ لِقَولِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ [الليل:٥-٧].

وَقَولِهِ ﷺ: «اعمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ». رواه البخاري ومسلم.

وَقَولِهِ ﷺ: «المُؤمِنُ القَوِيُّ خَيرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ المُؤمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيرٌ، احرِص عَلَىٰ مَا يَنفَعُكَ وَاستَعِن بِاللهِ وَلَا تَعجَز، فَإِن أَصَابَكَ شَيءٌ فَلَا تَقُل: لَو أَنِّي فَعَلتُ كَانَ كَذَا كَذَا، وَلَكِن قُل: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَو تَفتَحُ عَمَلَ الشَّيطَانِ». رواه البخاري ومسلم.

يُستَفَادُ مِنَ الحَدِيثِ:

أَنَّ المُؤمِنَ الَّذِي يُحِبُّهُ اللهُ هُوَ المُؤمِنُ القَوِيُّ الَّذِي يَعمَلُ وَيَحرِصُ عَلَىٰ نَفعِهِ، وَيَستَعِينُ بِاللهِ وَحدِهِ وَيَأخُذُ بِالأَسبَابِ، فَإِن أَصَابَهُ بَعدَ ذَلِكَ أَمرٌ يَكرَهُهُ فَلَا يَندَم، بَل يَرضَىٰ بِمَا قَدَّرَهُ اللهُ: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦].

السُّنَّةُ وَالبِدعَةُ

س١ - هَل فِي الدِّينِ بِدعَةٌ حَسَنَةٌ؟

ج١ - لَيسَ فِي الدِّينِ بِدعَةٌ حَسَنَةٌ، وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

وَقَالَ ﷺ: «إِيَّاكُم وَمُحدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ». صحيح، رواه النسائي وغيره.

س٢ - مَا هِيَ البِدعَةُ فِي الدِّينِ؟

ج٢ - البِدعَةُ فِي الدِّينِ كُلُّ مَا لَم يَقُم عَلَيهِ دَلِيلٌ شَرعِيٌّ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ مُنكِرًا عَلَىٰ المُشرِكِينَ بِدَعِهِم: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى:٢١].

وَقَالَ ﷺ: «مَن أَحدَثَ فِي أمرِنَا هَذَا مَا لَيسَ مِنهُ فَهُوَ رَدٌّ». متفق عليه.

رَدٌّ: غيرُ مَقبولٍ.

أنوَاعُ البِدَعِ كَثِيرَةٌ مِنهَا:

١ - البِدعَةُ المُكَفِّرَةُ: كَدُعَاءِ الأموَاتِ أوِ الغَائِبِينَ وَالاستِعَانَةِ بِهِم، كَقَولِهِم: المَدَدَ يَا سَيِّدِي فُلَان.

٢ - البِدعَةُ المُحَرَّمَةِ: كَالتَّوسُّلِ إِلَىٰ الله بِالأَموَاتِ، وَالصَّلَاةِ إِلَىٰ القُبُورِ، وَالنَّذْرِ لَهَا، وَالبِنَاءِ عَلَيهَا.

٣ - البِدعَةُ المَكرُوهَةُ: كَصَلَاةِ الظُّهرِ بَعدَ الجُمُعَةِ، وَرَفعِ الصَّوتِ بِالصَّلَاةِ وَالتَّسلِيمِ بَعدَ الأذَانِ.

س٣ - هَل فِي الإسلَامِ سُنَّةٌ حَسَنَةٌ؟

ج٣ - نَعَم فِي الإسلَامِ سُنَّةٌ حَسَنَةٌ (لَهَا أصلٌ كَالصَّدَقَةِ)، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن سَنَّ فِي الإسلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أجرُهَا وَأجرُ مَن عَمِلَ بِهَا مِن بَعدِهِ، مِن غَيرِ أن يَنقُصَ مِن أُجُورِهِم شَيءٌ». رواه مسلم.

س٤ - مَتَىٰ يَنتَصِرُ المُسلِمُونَ؟

ج٤ - يَنتَصِرُ المُسلِمُونَ إذَا رَجَعُوا إِلَىٰ تَطبِيقِ كِتَابِ رَبِّهِم وَسُنَّةِ نَبِيِّهِم ﷺ، وَأخَذُوا بِنَشرِ التَّوحِيدِ، وَحَذَّرُوا مِنَ الشِّركِ عَلَىٰ اختِلَافِ مَظَاهِرِهِ، وَأعَدُّوا لأعدَائِهِم مَا استَطَاعُوا مِن قُوَّةٍ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ [محمد:٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ ﴾ [النور:٥٥].

وَقَالَ ﷺ: «ألَا إنَّ القُوَّةَ الرَّميُ». رواه مسلم.

(٦) عقيدة الإمام محمد بن عبد الوهاب

قَالَ شَيخُ الإِسلَامِ مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ الوَهَّابِ -رَحِمَهُ الله تَعَالَىٰ- فِي رِسَالَتِهِ إِلَىٰ أَهلِ القَصِيمِ لَمَّا سَأَلُوهُ عَن عَقِيدَتِهِ:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أُشهِدُ اللهَ وَمَن حَضَرَنِي مِنَ المَلَائِكَةِ، وَأُشهِدُكُم أَنِّي أَعتَقِدُ مَا اعتَقَدَتهُ الفِرقَةُ النَّاجِيَةُ، أَهلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ.

مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالبَعثِ بَعدَ المَوتِ، وَالإِيمَانِ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ.

وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفسَهُ فِي كِتَابِهِ، عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ مِن غَيرِ تَحرِيفٍ، وَلَا تَعطِيلٍ.

بَل أَعتَقِدُ أَنَّ الله ﷻ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]. فَلَا أَنفِي عَنهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفسَهُ، وَلَا أُحَرِّفُ الكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ، وَلَا أُلحِدُ فِي أَسمَائِهِ وَآيَاتِهِ.

وَلَا أُكَيِّفُ وَلَا أُمَثِّلُ صِفَاتِهِ تَعَالَىٰ بِصِفَاتِ خَلقِهِ؛ لأَنَّهُ تَعَالَىٰ لَا سَمِيَّ لَهُ، وَلَا كُفُؤَ، وَلَا نِدَّ لَهُ، وَلَا يُقَاسُ بِخَلقِهِ؛ فَإِنَّهُ سُبحَانَهُ أَعلَمُ بِنَفسِهِ وَبِغَيرِهِ، وَأَصدَقُ قِيلًا وَأَحسَنُ حَدِيثًا.

فَنَزَّهَ نَفسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ المُخَالِفُونَ مِن أَهلِ التَّكيِيفِ وَالتَّمثِيلِ، وَعَمَّا نَفَاهُ عَنهُ النَّافُونَ مِن أَهلِ التَّحرِيفِ وَالتَّعطِيلِ، فَقَالَ: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات:١٨٠-١٨٢].

وَالفِرقَةُ النَّاجِيَةُ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفعَالِهِ تَعَالَىٰ بَينَ القَدَرِيَّةِ وَالجَبرِيَّةِ.

وَهُم فِي بَابِ وَعِيدِ اللهِ بَينَ المُرجِئَةِ وَالوَعِيدِيَّةِ.

وَهُم وَسَطٌ فِي بَابِ الإِيمَانِ وَالدِّينِ بَينَ الحَرُورِيَّةِ وَالمُعتَزِلَةِ، وَبَينَ المُرجِئَةِ ـ ـجَهمِيَّةِ، وَهُم وَسَطٌ فِي بَابِ أَصحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَينَ الرَّوَافِضِ وَالخَوَارِجِ.

وَأَعتَقِدُ أَنَّ القُرآنَ كَلَامُ اللهِ مُنَزَّلٌ غَيرُ مَخلُوقٍ.

مِنهُ بَدَأَ وَإِلَيهِ يَعُودُ، وَأَنَّهُ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً.

وَأَنزَلَهُ عَلَىٰ عَبدِهِ وَرَسُولِهِ وَأَمِينِهِ عَلَىٰ وَحيِهِ، وَسَفِيرِهِ بَينَهُ وَبَينَ عِبَادِهِ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ

وَأُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ، وَلَا يَكُونُ شَيءٌ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ، وَلَا يَخرُجُ شَيءٌ عَن مَشِيئَتِهِ، ـسَ شَيءٌ فِي العَالَمِ يَخرُجُ عَن تَقدِيرِهِ، وَلَا يَصدُرُ إِلَّا عَن تَدبِيرِهِ.

وَلَا مَحِيدَ لأَحَدٍ عَنِ القَدَرِ المَحدُودِ، وَلَا يَتَجَاوَزُ مَا خُطَّ لَهُ فِي اللَّوحِ المَسطُورِ.

وَأَعتَقِدُ الإِيمَانَ بِكُلِّ مَا أَخبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعدَ المَوتِ.

فَأُومِنُ بِفِتنَةِ القَبرِ وَنَعِيمِه.

وَبِإِعَادَةِ الأَروَاحِ إِلَىٰ الأَجسَادِ.

تَدنُو مِنهُمُ الشَّمسُ.

وَتُنصَبُ المَوَازِينُ، وَتُوزَنُ بِهَا أَعمَالُ العِبَادِ: ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ـمُفۡلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ ـمؤمنون: ١٠٢-١٠٣].

وَتُنشَرُ الدَّوَاوِينُ.

فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ.

وَأُومِنُ بِحَوضِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ بِعَرصَةِ القِيَامَةِ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحلَىٰ مِنَ ـعَسَلِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَن شَرِبَ مِنهُ شَربَةً لَم يَظمَأ بَعدَهَا أَبَدًا.

وَأُومِنُ بِأَنَّ الصِّرَاطَ مَنصُوبٌ عَلَىٰ شَفِيرِ جَهَنَّمَ، يَمُرُّ بِهِ النَّاسُ عَلَىٰ قَدرِ أَعمَالِهِم.

وَأُومِنُ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَّهُ أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ.

وَلَا يُنْكِرُ الشَّفَاعَةَ إِلَّا أَهلُ البِدَعِ وَالضَّلَالِ، وَلَكِنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا مِن بَعدِ الإِذنِ وَالرِّضَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم:٢٦].

وَهُوَ لَا يَرضَىٰ إِلَّا التَّوحِيدَ، وَلَا يَأذَنُ إِلَّا لأَهلِهِ، وَأَمَّا المُشرِكُونَ فَلَيسَ لَهُم مِنَ الشَّفَاعَةِ نَصِيبٌ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨].

وَأُومِنُ بِأَنَّ الجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخلُوقَتَانِ، وَأَنَّهُمَا اليَومَ مَوجُودَتَانِ، وَأَنَّهُمَا لَا يَفنَيَانِ.

وَأَنَّ المُؤمِنِينَ يَرَونَ رَبَّهُم بِأَبصَارِهِم يَومَ القِيَامَةِ، كَمَا يَرَونَ القَمَرَ لَيلَةَ البَدرِ لَا يُضَامُّونَ فِي رُؤيَتِهِ.

وَأُومِنُ بِأَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَالمُرسَلِينَ، وَلَا يَصِحُّ إِيمَانُ عَبدٍ حَتَّىٰ يُؤمِنَ بِرِسَالَتِهِ وَيَشهَدَ بِنُبُوَّتِهِ.

وَإِنَّ أَفضَلَ أُمَّتِهِ أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ الفَارُوقُ، ثُمَّ عُثمَانُ ذُو النُّورَينِ، ثُمَّ عَلِيٌّ المُرتَضَىٰ، ثُمَّ بَقِيَّةُ العَشَرَةِ، ثُمَّ أَهلُ بَدرٍ، ثُمَّ أَهلُ الشَّجَرَةِ أَهلُ بَيعَةِ الرِّضوَانِ، ثُمَّ سَائِرُ الصَّحَابَةِ -رَضِيَ الله عَنهُم وَأَرضَاهُم-.

وَأَتَوَلَّىٰ أَصحَابَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَرَضِيَ اللهُ عَنهُم-، وَأَذكُرُ مَحَاسِنَهُم، وَأَتَرَضَّىٰ عَنهُم، وَأَستَغفِرُ لَهُم، وَأَكُفُّ عَن مَسَاوِيهِم، وَأَسكُتُ عَمَّا شَجَرَ بَينَهُم، وَأَعتَقِدُ فَضلَهُم، عَمَلًا بِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠].

وَأَتَرَضَّىٰ عَن أُمَّهَاتِ المُؤمِنِينَ المُطَهَّرَاتِ مِن كُلِّ سُوءٍ.

وَأُقِرُّ بِكَرَامَاتِ الأَولِيَاءِ، وَمَا لَهُم مِنَ المُكَاشَفَاتِ.

إِلَّا أَنَّهُم لَا يَستَحِقُّونَ مِن حَقِّ اللهِ تَعَالَىٰ شَيئًا، وَلَا يُطلَبُ مِنهُم مَا لَا يَقدِرُ عَلَيهِ إِلَّا اللهُ.

وَلَا أَشهَدُ لأَحَدٍ مِنَ المُسلِمِينَ بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ إِلَّا مَن شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ لَكِنِّي أَرجُو لِلمُحسِنِ وَأَخَافُ عَلَىٰ المُسِيءِ.

وَلَا أُكَفِّرُ أَحَدًا مِنَ المُسلِمِينَ بِذَنبٍ، وَلَا أُخرِجُهُ مِن دَائِرَةِ الإِسلَامِ.

وَأَرَىٰ الجِهَادَ مَاضِيًا مَعَ كُلِّ إِمَامٍ بَرًّا كَانَ أَو فَاجِرًا، وَصَلَاةُ الجَمَاعَةِ خَلفَهُم جَائِزَةٌ.

وَالجِهَادُ مَاضٍ مُنذُ بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ إِلَىٰ أَن يُقَاتِلَ آخِرُ هَذِهِ الأُمَّةِ الدَّجَّالَ، لَا يُبطِلُهُ جَورُ جَائِرٍ وَلَا عَدلُ عَادِلٍ.

وَأَرَىٰ وُجُوبَ السَّمعِ وَالطَّاعَةِ لأَئِمَّةِ المُسلِمِينَ بَرِّهِم وَفَاجِرِهِم مَا لَم يَأمُرُوا بِمَعصِيَةِ اللهِ.

وَمَن وَلِيَ الخِلَافَةَ وَاجتَمَعَ عَلَيهِ النَّاسُ وَرَضُوا بِهِ وَغَلَبَهُم بِسَيفِهِ حَتَّىٰ صَارَ خَلِيفَةً؛ وَجَبَت طَاعَتُهُ، وَحَرُمَ الخُرُوجُ عَلَيهِ.

وَأَرَىٰ هَجرَ أَهلِ البِدَعِ وَمُبَايَنَتَهُم حَتَّىٰ يَتُوبُوا، وَأَحكُمُ عَلَيهِم بِالظَّاهِرِ، وَأَكِلُ سَرَائِرَهُم إِلَىٰ اللهِ.

وَأَعتَقِدُ أَنَّ كُلَّ مُحدَثَةٍ فِي الدِّينِ بِدعَةٌ.

وَأَعتَقِدُ أَنَّ الإِيمَانَ قَولٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالأَركَانِ، وَاعتِقَادٌ بِالجَنَانِ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنقُصُ بِالمَعصِيَةِ، وَهُوَ بِضعٌ وَسَبعُونَ شُعبَةً، أَعلَاهَا: شَهَادَةُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدنَاهَا: إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ.

وَأَرَىٰ وُجُوبَ الأَمرِ بِالمَعرُوفِ وَالنَّهيِ عَنِ المُنكَرِ، عَلَىٰ مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ المُحَمَّدِيَّةُ الطَّاهِرَةُ.

فَهَذِهِ عَقِيدَةٌ وَجِيزَةٌ حَرَّرتُهَا وَأَنَا مُشتَغِلُ البَالِ لِتَطَّلِعُوا عَلَىٰ مَا عِندِي، وَاللهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ.

ثُمَّ لا يَخفَىٰ عَلَيكُم أَنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ رِسَالَةَ سُلَيمَانَ بنِ سُحَيمٍ قَد وَصَلَت إِلَيكُم، وَأَنَّهُ قَبِلَهَا وَصَدَّقَهَا بَعضُ المُنتَمِينَ لِلعِلمِ فِي جِهَتِكُم.

وَالله يَعلَمُ أَنَّ الرَّجُلَ افتَرَىٰ عَلَيَّ أُمُورًا لَم أَقُلهَا، وَلَم يَأتِ أَكثَرُهَا عَلَىٰ بَالِي، فَمِنهَا:

قَولُهُ: أَنِّي مُبطِلٌ كُتُبَ المَذَاهِبِ الأَربَعَةِ، وَأَنِّي أَقُولُ: إِنَّ النَّاسَ مِن سِتِّمِائَةِ سَنَةٍ لَيسُوا عَلَىٰ شَيءٍ.

وَأَنِّي أَدَّعِي الاجتِهَادَ، وَأَنِّي خَارِجٌ عَنِ التَّقلِيدِ.

وَأَنِّي أَقُولُ: إِنَّ اختِلَافَ العُلَمَاءِ نِقمَةٌ.

وَأَنِّي أُكَفِّرُ مَن تَوَسَّلَ بِالصَّالِحِينَ، وَأَنِّي أُكَفِّرُ البوصِيرِيَّ لِقَولِهِ: يَا أَكرَمَ الخَلقِ...

وَأَنِّي أَقُولُ: لَو أَقدِرُ عَلَىٰ هَدمِ قُبَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَهَدَمتُهَا.

وَلَو أَقدِرُ عَلَىٰ الكَعبَةِ لأَخَذتُ مِيزَابَهَا وَجَعَلتُ لَهَا مِيزَابًا مِن خَشَبٍ.

وَأَنِّي أُحَرِّمُ زِيَارَةَ قَبرِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَأَنِّي أُنكِرُ زِيَارَةَ قَبرِ الوَالِدَينِ وَغَيرِهِمَا.

وَأَنِّي أُكَفِّرُ مَن حَلَفَ بِغَيرِ اللهِ.

وَأَنِّي أُكَفِّرُ ابنَ الفَارِضِ، وَابنَ عَرَبِيٍّ، وَأَنِّي أُحَرِّقُ «دَلَائِلَ الخَيرَاتِ»، وَ«رَوضَ الرَّيَاحِينِ»، وَأُسَمِّيهِ رَوضَ الشَّيَاطِينِ.

جَوَابِي عَن هَذِهِ المَسَائِلِ أَن أَقُولَ: سُبحَانَكَ هَذَا بُهتَانٌ عَظِيمٌ، وَقَبلَهُ مَن بَهَتَ مُحَمَّدًا ﷺ أَنَّهُ يَسُبُّ عِيسَىٰ بنَ مَريَمَ -عَلَيهِمَا السَّلَامُ- وَيَسُبُّ الصَّالِحِينَ، فَتَشَابَهَت قُلُوبُهُم بِافتِرَاءِ الكَذِبِ، وَقَولِ الزُّورِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ [النحل:١٠٥].

بَهَتُوهُ ﷺ بِأَنَّهُ يَقُولُ: إِنَّ المَلَائِكَةَ وَعِيسَىٰ وَعُزَيرًا فِي النَّارِ، فَأَنزَلَ الله فِي ذَلِكَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠١].

وَأَمَّا المَسَائِلُ الأُخَرُ وَهِيَ:

أَنِّي أَقُولُ: لَا يَتِمُّ إِسلَامُ الإِنسَانِ حَتَّىٰ يَعرِفَ مَعنَىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَأَنِّي أُعَرِّفُ مَن يَأتِينِي بِمَعنَاهَا، وَأَنِّي أُكَفِّرُ النَّاذِرَ إِذَا أَرَادَ بِنَذرِهِ التَّقَرُّبَ لِغَيرِ اللهِ، وَأَخذَ النَّذرَ لأَجلِ ذَلِكَ، وَأَنَّ الذَّبحَ لِغَيرِ اللهِ كُفرٌ وَالذَّبِيحَةَ حَرَامٌ.

فَهَذِهِ المَسَائِلُ حَقٌّ وَأَنَا قَائِلٌ بِهَا، وَلِي عَلَيهَا دَلَائِلُ مِن كَلَامِ اللهِ وَكَلَامِ رَسُولِهِ ﷺ، وَمِن أَقوَالِ العُلَمَاءِ المُتَّبَعِينَ كَالأَئِمَّةِ الأَربَعَةِ، وَإِذَا سَهَّلَ اللهُ تَعَالَىٰ بَسَطتُ الجَوَابَ عَلَيهَا فِي رِسَالَةٍ مُستَقِلَّةٍ إِن شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ.

ثُمَّ اعلَمُوا وَتَدَبَّرُوا قَولَهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات:٦] الآيَةَ.

❊ ❊ ❊

(٧) عقيدة الرازيين (أبي حاتم وأبي زرعة)

* قالَ عبدُ الرَّحمن بنُ أبي حاتم:

«سَألتُ أبي وأبا زُرعةَ عَن مَذاهبِ أَهْل السُّنَّة فِي أُصولِ الدِّينِ وَمَا أدركَا عَلَيه العُلماءَ فِي جَميع الأَمصارِ ومَا يَعتقِدانِ مِن ذلكَ.

فقالَا: أدركْنا العُلماءَ في جَميع الأَمْصار حِجازًا وعِراقًا ومِصرَ وشامًا ويَمَنًا، فكانَ مِن مَذهبِهم أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ، يَزيدُ ويَنقصُ.

والقُرآنُ كلَامُ الله غيرُ مَخلوقٍ بجَمِيع جِهاتِهِ.

وَقَالَا: والقَدَرُ خَيرُه وشرُّه مِنَ الله ﷻ.

وخيرُ هَذه الأمَّة بعدَ نبيِّها أبو بَكرٍ الصِّدِّيق، ثمَّ عُمرُ بن الخطَّاب، ثمَّ عُثمانُ بن عفَّان، ثمَّ عليُّ بن أبي طالبٍ ﵃، وهُم الخُلفاءُ الرَّاشدونَ المَهديُّون.

وأنَّ العشَرةَ الَّذين سمَّاهم رسولُ الله ﷺ وشَهدَ لهم بالجنَّةِ ونَشهدُ علىٰ ما شَهِدَ بِهِ وَقَولُهُ حَقٌّ.

وَالتَّرحُّم عَلَىٰ جَميع أَصحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، والكَفُّ عمَّا شَجَرَ بَيْنَهُم.

وَقَالَا: وأنَّ اللهَ ﷻ علىٰ عرشِهِ، بائِنٌ مِن خَلْقِه، كَمَا وَصَف بِهِ نَفسَه فِي كِتَابِهِ وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ بِلَا كَيفٍ، أَحَاطَ بكُلِّ شَيءٍ عِلمًا، لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وَهُو السَّميعُ البَصِيرُ.

والله -تبارك وتعالىٰ- يُرَىٰ في الآخِرةِ، وَيَرَاهُ أَهلُ الجَنَّةِ بأَبْصارِهِم، وَيَسمَعُونَ كَلَامَهُ كَيفَ شَاءَ وَكَمَا شَاءَ.

وَالجَنَّةُ وَالنَّارُ حَقٌّ، وَهُمَا مَخْلُوقَتَانِ، لَا تَفْنيَانِ أَبَدًا، فَالجَنَّةُ ثَوَابٌ لِأَولِيَائِهِ، والنَّارُ عِقَابٌ لِأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ إِلَّا مَنْ رَحِم.

وَالصِّرَاطُ حَقٌّ.

وَالمِيزَانُ الَّذِي لَهُ كِفَّتَانِ يُوزَنُ فِيهِ أَعْمَالُ العِبَادِ -حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا- حقٌّ.

وَقَالَا: وَالحَوْضُ المُكَرَّمُ بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ حَقٌّ.

وَالشَّفَاعَةُ حَقٌّ، وَأَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ حَقٌّ.

وعَذَابُ القَبْرِ حَقٌّ.

وَمُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ حَقٌّ.

وَالكِرَامُ الكَاتِبُونَ حَقٌّ.

وَالبَعْثُ مِنْ بَعْدِ المَوْتِ حَقٌّ.

وَقَالَا: وَأَهْلُ الكَبَائِرِ فِي مَشِيئَةِ الله ﷻ.

وَلَا نُكَفِّرُ أَهْلَ القِبْلَةِ بِذُنُوبِهِمْ، وَنَكِلُ سَرَائِرَهُمْ إِلَىٰ الله ﷻ.

وَنُقِيمُ فَرْضَ الجِهَادِ وَالحَجِّ مَعَ أَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ فِي كُلِّ دَهْرٍ وَزَمَانٍ.

ولَا نَرَىٰ الخُرُوجَ عَلَىٰ الأَئِمَّةِ، وَلَا القِتَالَ فِي الفِتْنَةِ، ونَسْمَعُ وَنُطِيعُ لمنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَنَا، ولَا نَنْزَعُ يَدًا مِنْ طَاعَة.

وَأَنَّ الجِهادَ ماضٍ منذُ بعثَ اللهُ نَبيَّهُ ﷺ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ مَعَ أُولِي الأمرِ من أئِمةِ المسلمينَ، لَا يُبطلهُ شيءٌ، والحجُّ كذَلِك.

وَدفعُ الصَّدقاتِ منَ السَّوائِمِ إِلَىٰ أُولِي الأَمرِ منْ أَئمَّةِ المُسلمين.

وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ والجَماعةَ، ونَجتنبُ الشُّذوذَ والفُرقةَ والخلافَ.

وَقَالَا: وَالنَّاسُ مُؤمنونَ في أَحكامِهم ومَواريثِهم، وَلَا يُدرَىٰ مَا هُم عِندَ الله، فمَن قالَ: إنَّه مُؤمنٌ حقًّا فهوَ مُبتدِعٌ، ومَن قَالَ: هُو مُؤمنٌ عِندَ الله فَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ، وَمَن قَالَ: إِنِّي مُؤمنٌ بالله فَهُوَ مُصيبٌ.

والمُرجِئةُ مُبتدِعةٌ ضُلَّالٌ، والقَدَرِيَّةُ ضُلَّالٌ، وأنَّ الجَهميَّةَ كفَّارٌ، وَأَمَّا الرَّافِضةُ رَفَضُوا الإِسْلَامَ، وَالخَوَارِجُ مُرَّاقٌ.

وَمَن زَعَمَ أَنَّ القرآنَ مَخلوقٌ فَهُو كَافِرٌ باللهِ العَظِيم كُفرًا يَنقِلُ عَنِ المِلَّةِ، ومَن شَكَّ فِي كُفرِهِ مِمَّن يَفهمُ فَهُو كَافِرٌ.

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: وَسَمعتُ أَبِي يَقُولُ: وَعَلَامَةُ أَهْلِ البِدَع الوَقيعةُ فِي أَهْلِ الأَثَر، وَعَلَامةُ الزَّنادقةِ تَسميتُهم أَهلَ السُّنَّة حَشويَّةً؛ يُرِيدُونَ إِبطَالَ الآثَارِ، وَعَلَامَةُ الجَهميَّة تَسميتُهم أَهلَ السُّنَّة مُشبِّهةً، وَعَلَامَةُ القدريَّة تَسميتُهم أَهلَ السُّنَّة مُجبرةً، وَعَلَامَةُ المُرجئةِ تَسميتُهم أَهلَ السُّنَّة مُخالفةً ونقصانيةً، وَعَلَامَةُ الرَّافضةِ تَسميتُهم أَهلَ السُّنة ناصِبَةً.

وَلَا يَلحقُ أَهلَ السُّنَّة إِلَّا اسمٌ وَاحِدٌ، وَيَستحيلُ أَن تَجمعَهم هَذِهِ الأَسمَاءُ!

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: وَسَمعتُ أَبِي وَأَبَا زُرعةَ يَأمُران بهجرَانِ أَهلِ الزَّيغ وَالبِدَع، وَيُغلِظَان فِي ذَلِكَ أَشدَّ التَّغلِيظِ، وَيُنكِرانِ وَضعَ الكُتُبِ بِالرَّأي بِغَيرِ آثَارٍ، وَيَنهَيَانِ عَن مُجَالَسَةِ أَهْلِ الكَلَام وَالنَّظَرِ فِي كُتُبِ المُتَكَلِّمِينَ وَيَقُولَانِ: لَا يُفْلِحُ صَاحِبُ كَلَامٍ أَبَدًا.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدِ بنُ أَبِي حَاتِم: «وَبِهِ أَقولُ أَنَا».

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ بن حُبَيشٍ المُقرئ: «وَبِهِ أَقولُ».

قَالَ شَيخُنا ابنُ المُظَفَّر: «وَبِهِ أَقولُ».

وقَالَ شَيخُنا -يَعني المُصنِّف-: «وَبِهِ أَقولُ».

وَفَّقَنَا اللهُ وَكُلَّ مُؤمِنٍ لِمَا يُحِبُّ وَيَرضَىٰ مِنَ القَولِ وَالعَمَلِ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

❊ ❊ ❊

(٨) العقيدة السفَّارينية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ـحَمـدُ لِلَّـهِ القَـدِيمِ البَاقِـي ... مُسَبِّبِ الأَسبَابِ وَالأَرزَاقِ

حَـيٌّ عَلِـيمٌ قَـادِرٌ مَوجُـودُ ... قَامَـت بِـهِ الأَشـيَاءُ وَالوُجُـودُ

ـت عَلَى وُجُـودِهِ الحَـوَادِثُ ... سُـبحَانَهُ فَهـوَ الحَكِـيمُ الـوَارِثُ

ـمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سَرمَدَا ... عَلَى النَّبِيِّ المُصطَفَى كَنزِ الهُدَى

وَ ـهِ وَصَحبِهِ الأَبـرَارِ ... مَعَـادِنِ التَّقوَى مَـعَ الأَسـرَارِ

ـعـدُ فَـاعلَم أَنَّ كُـلَّ العِلـمِ ... كَالفَـرعِ لِلتَّوحِـيدِ فَاسـمَع نَظمِـي

لأَنَّـهُ العِلـمُ الَّـذِي لَا يَنبَغِـي ... لِعَاقِـلٍ لِفَهمِـهِ لَـم يَبتَغِـي

ـيَعلَمُ الـوَاجِبَ وَالمُحَـالَا ... كَجَائِـزٍ فِـي حَقِّـهِ تَعَالَـى

ـصَـارَ مِـن عَـادَةِ أَهـلِ العِلـمِ ... أَن يَعتَـنُوا فِـي سَـبرِ ذَا بِالنَّظمِ

لأَنَّـهُ يَسـهُلُ لِلحِفـظِ كَمَـا ... يَـرُوقُ لِلسَّمعِ وَيَشفِي مِـن ظَمَـا

ـمِـن هُـنَا نَظَمـتُ لِـي عَقِـيدَه ... أُرجُـوزَةً وَجِيـزَةً مُفِـيدَه

ـمتُهَا فِـي سِـلكِهَا مُقَدِّمَـه ... وَسِـتُّ أَبـوَابٍ كَـذَاكَ خَاتِمَـه

ـسمتُهَا بِالـدُّرَّةِ المُضِـيَّه ... فِـي عَقـدِ أَهـلِ الفِـرقَةِ المَرضِـيَّه

عَلَى اعـتِقَادِ ذِي السَّدَادِ الحَنبَلِي ... إِمَـامِ أَهـلِ الحَـقِّ ذِي القَـدرِ العَلِـي

حَبـرِ المَـلَا فَـردِ العُـلَا الرَّبَّانِـي ... رَبِّ الحِجَـا مَاحِـي الدُّجَـى الشَّيبَانِي

فَإِنَّـهُ إِمَـامُ أَهـلِ الأَثَـرِ ... فَمَـن نَحَـا مَـنحَاهُ فَهـوَ الأَثَـرِي

سَقَىٰ ضَرِيحًا حَلَّهُ صَوبُ الرِّضَا ... وَالعَفوُ وَالغُفرَانُ مَا نَجمٌ أَضَا
وَحَلَّهُ وَسَائِرَ الأَئِمَّه ... مَنَازِلَ الرِّضوَانِ أَعلَىٰ الجَنَّه

مُقَدِّمة في ترجيح مَذهَب السَّلَف على غَيرِه من سَائِر المذاهِب

اعلَم هُدِيتَ أَنَّهُ جَاءَ الخَبَر ... عَنِ النَّبِيِّ المُقتَفَىٰ خَيرِ البَشَر
بِأَنَّ ذِي الأُمَّةِ سَوفَ تَفتَرِق ... بِضعًا وَسَبعِينَ اعتِقَادًا وَالمُحِق
مَا كَانَ فِي نَهجِ النَّبِيِّ المُصطَفَىٰ ... وَصَحبِهِ مِن غَيرِ زَيغٍ وَجَفَا
وَلَيسَ هَذَا النَّصُّ جَزمًا يُعتَبَر ... فِي فِرقَةٍ إِلَّا عَلَىٰ أَهلِ الأَثَر

قواعد أهل السنة في النصوص

فَأَثبِتُوا النُّصُوصَ بِالتَّنزِيهِ ... مِن غَيرِ تَعطِيلٍ وَلَا تَشبِيهِ
فَكُلُّ مَا جَاءَ مِنَ الآيَاتِ ... أَو صَحَّ فِي الأَخبَارِ عَن ثِقَاتِ
مِنَ الأَحَادِيثِ نُمِرُّهُ كَمَا ... قَد جَاءَ فَاسمَع مِن نِظَامِي وَاعلَمَا
وَلَا نَرُدُّ ذَاكَ بِالعُقُولِ ... لِقَولِ مُفتَرٍ بِهِ جَهُولِ
فَعَقدُنَا الإِثبَاتُ يَا خَلِيلِي ... مِن غَيرِ تَعطِيلٍ وَلَا تَمثِيلِ

حال المؤولين في الصفات

فَكُلُّ مَن أَوَّلَ فِي الصِّفَاتِ ... كَذَاتِهِ مِن غَيرِ مَا إِثبَاتِ
فَقَد تَعَدَّىٰ وَاستَطَالَ وَاجتَرَىٰ ... وَخَاضَ فِي بَحرِ الهَلَاكِ وَافتَرَىٰ
أَلَم تَرَ اختِلَافَ أَصحَابِ النَّظَر ... فِيهِ وَحُسنُ مَا نَحَاهُ ذُو الأَثَر
فَإِنَّهُم قَد اقتَدَوا بِالمُصطَفَىٰ ... وَصَحبِهِ فَاقنَع بِهَذَا وَكَفَىٰ

البابُ الأوَّلُ:
فِي مَعرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِأَسمَائِهِ وَصِفَاتِهِ

وَاجِبٌ عَلَى العَبِيدِ   مَعْرِفَةُ الإِلَهِ بِالتَّسْدِيدِ

ـهُ وَاحِدٌ لَا نَظِيرُ   لَهُ وَلَا شِبْهٌ وَلَا وَزِيرُ

ـفَاتُهُ كَذَاتِهِ قَدِيمَه   أَسْمَاؤُهُ ثَابِتَةٌ عَظِيمَه

ـنَّهَا فِي الحَقِّ تَوْقِيفِيَّه   لَنَا بِذَا أَدِلَّةٌ وَفِيَّه

فَصلٌ: فِي بَحثِ صِفَاتِهِ تَعَالَى

ـهُ الحَيَاةُ وَالكَلَامُ وَالبَصَر   سَمْعٌ إِرَادَةٌ وَعِلْمٌ وَاقْتَدَر

ـدْرَةٍ تَعَلَّقَتْ بِمُمْكِنِ   كَذَا إِرَادَةٌ فَعِ وَاسْتَبِنِ

ـعِلْمُ وَالكَلَامُ قَدْ تَعَلَّقَا   بِكُلِّ شَيْءٍ يَا خَلِيلِي مُطْلَقَا

ـمْعُهُ سُبْحَانَهُ كَالبَصَرِ   بِكُلِّ مَسْمُوعٍ وَكُلِّ مُبْصَرِ

فَصلٌ: فِي مَبحَثِ القُرآنِ

ـنَّ مَا جَاءَ مَعَ جِبْرِيلِ   مِنْ مُحْكَمِ القُرْآنِ وَالتَّنْزِيلِ

ـلَامُهُ سُبْحَانَهُ قَدِيمُ   أَعْيَا الوَرَى بِالنَّصِّ يَا عَلِيمُ

ـيْسَ فِي طَوْقِ الوَرَى مِنْ أَصْلِهِ   أَنْ يَسْتَطِيعُوا سُورَةً مِنْ مِثْلِهِ

فَصلٌ: فِي ذكرِ الصِّفَاتِ الَّتِي يُثبِتُهَا لله تعالى أئمة السلف وعلماء الأثر

ـيْسَ رَبُّنَا بِجَوْهَرٍ وَلَا   عَرَضٍ وَلَا جِسْمٍ تَعَالَى ذُو العُلَا

سُبحَانَهُ قَدِ استَوَىٰ كَمَا وَرَد مِن غَيرِ كَيفٍ قَد تَعَالَىٰ أَن يُحَدّ

فَلَا يُحِيطُ عِلمُنَا بِذَاتِهِ كَذَاكَ لَا يَنفَكُّ عَن صِفَاتِهِ

فَكُلُّ مَا قَد جَاءَ فِي الدَّلِيلِ فَثَابِتٌ مِن غَيرِ مَا تَمثِيلِ

مِن رَحمَةٍ وَنَحوِهَا كَوَجهِهِ وَيَدِهِ وَكُلِّ مَا مِن نَهجِهِ

وَعَينِهِ وَصِفَةِ النُّزُولِ وَخَلقِهِ فَاحذَر مِنَ النُّزُولِ

فَسَائِرُ الصِّفَاتِ وَالأَفعَالِ قَدِيمَةٌ للهِ ذِي الجَلَالِ

لَكِن بِلَا كَيفٍ وَلَا تَمثِيلِ رَغمًا لأَهلِ الزَّيغِ وَالتَّعطِيلِ

فَمُرَّهَا كَمَا أَتَت فِي الذِّكرِ مِن غَيرِ تَأوِيلٍ وَغَيرِ نُكرِ

وَيَستَحِيلُ الجَهلُ وَالعَجزُ كَمَا قَدِ استَحَالَ المَوتُ حَقًّا وَالعَمَىٰ

فَكُلُّ نَقصٍ قَد تَعَالَىٰ اللهُ عَنهُ فَيَا بُشرَىٰ لِمَن وَالَاهُ

فصلٌ: في ذكر الخلاف في صحة إيمان المقلد

وَكُلُّ مَا يُطلَبُ فِيهِ الجَزمُ فَمَنعُ تَقلِيدٍ بِذَاكَ حَتمُ

لأَنَّهُ لَا يُكتَفَىٰ بِالظَّنِّ لِذِي الحِجَا فِي قَولِ أَهلِ الفَنِّ

وَقِيلَ: يَكفِي الجَزمُ إِجمَاعًا بِمَا يُطلَبُ فِيهِ عِندَ بَعضِ العُلَمَا

فَالجَازِمُونَ مِن عَوَامِّ البَشَرِ فَمُسلِمُونَ عِندَ أَهلِ الأَثَرِ

البَابُ الثَّاني: فِي الأَفعَالِ المَخلُوقَة

وَسَائِرُ الأَشيَاءِ غَيرُ الذَّاتِ وَغَيرُ مَا الأَسمَاءِ وَالصِّفَاتِ

مَخلُوقَةٌ لِرَبِّنَا مِنَ العَدَم وَضَلَّ مَن أَثنَىٰ عَلَيهَا بِالقِدَم

وَرَبُّنَا يَخلُقُ بِاختِيَارِ ... مِن غَيرِ حَاجَةٍ وَلَا اضطِرَارِ

لَكِنَّهُ لَم يَخلُقِ الخَلقَ سُدَىٰ ... كَمَا أَتَىٰ فِي النَّصِّ فَاتَّبِعِ الهُدَىٰ

أَفعَالُنَا مَخلُوقَةٌ لِلهِ ... لَكِنَّهَا كَسبٌ لَنَا يَا لَاهِي

وَكُلُّ مَا يَفعَلُهُ العِبَادُ ... مِن طَاعَةٍ أَو ضِدِّهَا مُرَادُ

لِرَبِّنَا مِن غَيرِ مَا اضطِرَارِ ... مِنهُ لَنَا فَافهَم وَلَا تُمَارِ

وَجَازَ لِلمَولَىٰ يُعَذِّبُ الوَرَىٰ ... مِن غَيرِ مَا ذَنبٍ وَلَا جُرمٍ جَرَىٰ

فَكُلُّ مَا مِنهُ تَعَالَىٰ يَجمُلُ ... لِأَنَّهُ عَن فِعلِهِ لَا يُسأَلُ

فَإِن يُثِب فَإِنَّهُ مِن فَضلِهِ ... وَإِن يُعَذِّب فَبِمَحضِ عَدلِهِ

فَلَم يَجِب عَلَيهِ فِعلُ الأَصلَحِ ... وَلَا الصَّلَاحُ وَيحَ مَن لَم يُفلِحِ

فَكُلُّ مَن شَاءَ هُدَاهُ يَهتَدِي ... وَإِن يُرِد ضَلَالَ عَبدٍ يَعتَدِي

فَصلٌ: فِي الكَلَامِ عَلَى الرِّزقِ

وَالرِّزقُ مَا يَنفَعُ مِن حَلَالِ ... أَو ضِدِّهِ فَحُل عَنِ المُحَالِ

لِأَنَّهُ رَازِقُ كُلِّ الخَلقِ ... وَلَيسَ مَخلُوقٌ بِغَيرِ رِزقِ

وَمَن يَمُت بِقَتلِهِ مِنَ البَشَر ... أَو غَيرِهِ فَبِالقَضَاءِ وَالقَدَر

وَلَم يَفُت مِن رِزقِهِ وَلَا الأَجَل ... شَيءٌ فَدَع أَهلَ الضَّلَالِ وَالخَطَل

البَابُ الثَّالِثُ:
فِي الأَحكَامِ وَالكَلَامِ على الإِيمَانِ وَمُتَعَلِّقَاتِ ذَلِكَ

وَوَاجِبٌ عَلَىٰ العِبَادِ طُرًّا ... أَن يَعبُدُوهُ طَاعَةً وَبِرًّا

وَيَفعَلُوا الَّذِي بِهِ أَمَر حَتمًا وَيَترُكُوا الَّذِي عَنهُ زَجَر

فَصلٌ: فِي الكَلامِ عَلَى القَضَاءِ وَالقَدَرِ

وَكُلُّ مَا قَدَّرَ أَو قَضَاهُ فَوَاقِعٌ حَتمًا كَمَا قَضَاهُ

وَلَيسَ وَاجِبًا عَلَى العَبدِ الرِّضَا بِكُلِّ مَقضِيٍّ وَلَكِن بِالقَضَا

لأَنَّهُ مِن فِعلِهِ تَعَالَى وَذَاكَ مِن فِعلِ الَّذِي تَقَالَى

فَصلٌ: فِي الكَلَامِ عَلَى الذُّنُوبِ وَمُتَعَلَّقَاتِهَا

ويَفسُقُ المُذنِبُ بِالكَبِيرَه كَذَا إِذَا أَصَرَّ بِالصَّغِيرَه

لَا يَخرُجُ المَرءُ مِنَ الإِيمَانِ بِمُوبِقَاتِ الذَّنبِ وَالعِصيَانِ

وَوَاجِبٌ عَلَيهِ أَن يَتُوبَا مِن كُلِّ مَا جَرَّ عَلَيهِ حُوبَا

وَيَقبَلُ المَولَى بِمَحضِ الفَضلِ مِن غَيرِ عَبدٍ كَافِرٍ مُنفَصِلِ

مَا لَم يَتُب مِن كُفرِهِ بِضِدِّهِ فَيَرتَجِع عَن شِركِهِ وَصَدِّهِ

وَمَن يَمُت وَلَم يَتُب مِنَ الخَطَا فَأَمرُهُ مُفَوَّضٌ لِذِي العَطَا

فَإِن يَشَأ يَعفُو وَإِن شَاءَ انتَقَم وَإِن يَشَأ أَعطَى وَأَجزَلَ النِّعَم

فَصلٌ: فِي أهل العناد والزندقة والإلحاد

وَقِيلَ فِي الدُّرُوزِ وَالزَّنَادِقَه وَسَائِرِ الطَّوَائِفِ المُنَافِقَه

وَكُلِّ دَاعٍ لابتِدَاعٍ يُقتَلُ كَمَن تَكَرَّرَ نَكثُهُ لَا يُقبَلُ

لأَنَّهُ لَم يُبدِ مِن إِيمَانِهِ إِلَّا الَّذِي أَذَاعَ مِن لِسَانِهِ

كَمُلحِدٍ وَسَاحِرٍ وَسَاحِرَه وَهُم عَلَى نِيَّاتِهِم فِي الآخِرَه

ـتُ وَإن دَلَّت دَلَائِلُ الهُدَىٰ كَمَا جَرَىٰ لِلعَيلَبُونِيِّ اهتَدَىٰ

ـهُ أَذَاعَ مِن أَسرَارِهِم مَا كَانَ فِيهِ الهَتكُ مِن أَستَارِهِم

وكَانَ لِلدِّينِ القَوِيمِ نَاصِرَا فَصَارَ مِنَّا بَاطِنًا وَظَاهِرَا

كُلِّ زِندِيقٍ وَكُلِّ مَارِقِ وَجَاحِدٍ وَمُلحِدٍ مُنَافِقِ

ـستَبَانَ نُصحُهُ لِلدِّينِ فَإِنَّهُ يُقبَلُ عَن يَقِينِ

فَصلٌ: فِي الكَلامِ عَلَى الإِيمَانِ وَاختِلافِ النَّاسِ فِيهِ وَتَحقِيقِ مَذهَبِ السَّلَفِ فِي ذَلِكَ

ـمَانُنَا قَولٌ وَقَصدٌ وَعَمَل تَزِيدُهُ التَّقوَىٰ وَيَنقُص بِالزَّلَل

ونَحنُ فِي إِيمَانِنَا نَستَثنِي مِن غَيرِ شَكٍّ فَاستَمِع وَاستَبِنِ

ـتَابِعُ الأَخيَارَ مِن أَهلِ الأَثَر وَنَقتَفِي الآثَارَ لَا أَهلَ الأَشَر

ولا تَقُل إِيمَانُنَا مَخلُوقُ وَلَا قَدِيمٌ هَكَذَا مَطلُوقُ

ـنَّهُ يَشمَلُ لِلصَّلَاةِ وَنَحوِهَا مِن سَائِرِ الطَّاعَاتِ

ـعلُنَا نَحوَ الرُّكُوعِ مُحدَثُ وَكُلُّ قُرآنٍ قَدِيمٍ فَابحَثُوا

ووكَّلَ اللهُ مِنَ الكِرَامِ إِثنَينِ حَافِظَينِ لِلأَنَامِ

ـكتُبَانِ كُلَّ أَفعَالِ الوَرَىٰ كَمَا أَتَىٰ فِي النَّصِّ مِن غَيرِ امتِرَا

البَابُ الرَّابِعُ: فِي ذِكرِ البَرزَخِ وَالقُبُورِ وَأَشرَاطِ السَّاعَةِ وَالحَشرِ وَالنُّشُورِ

وَكُلُّ مَا صَحَّ مِنَ الأَخبَارِ أَو جَاءَ فِي التَّنزِيلِ وَالآثَارِ

ـن فِتنَةِ البَرزَخِ وَالقُبُورِ وَمَا أَتَىٰ فِي ذَا مِنَ الأُمُورِ

وَأَنَّ أَرْوَاحَ الوَرَىٰ لَم تُعدَمِ ... مع كونِها مخلوقةً فَاسْتَفْهِمِ

فَكُلُّ مَا عَن سَيِّدِ الخَلقِ وَرَد ... مِن أَمرِ هَذَا البَابِ حَقٌّ لَا يُرَد

فَصلٌ: فِي أَشرَاطِ السَّاعَةِ وَعلامَاتِهَا الدَّالَّةِ عَلَى اقتِرَابِهَا وَمَجِيئِهَا

وَمَا أَتَىٰ فِي النَّصِّ مِن أَشرَاطِ ... فَكُلُّهُ حَقٌّ بِلَا شَطَاطِ

مِنهَا الإِمَامُ الخَاتَمُ الفَصِيحُ ... مُحَمَّدُ المَهدِيُّ وَالمَسِيحُ

وَأَنَّهُ يَقتُلُ لِلدَّجَّالِ ... بِبَابِ لُدٍّ خَلِّ عَن جِدَالِ

وَأَمرُ يَأجُوجَ وَمَأجُوجَ اثبِتِ ... وَأَنَّهُ حَقٌّ كَهَدمِ الكَعبَةِ

وَأَنَّ مِنهَا آيَةُ الدُّخَانِ ... وَأَنَّهُ يُذهَبُ بِالقُرآنِ

طُلُوعُ شَمسِ الأُفقِ مِن دُبُورِ ... كَذَاتِ أَجيَادٍ عَلَىٰ المَشهُورِ

وَآخِرُ الآيَاتِ حَشرُ النَّارِ ... كَمَا أَتَىٰ فِي مُحكَمِ الأَخبَارِ

فَكُلُّهَا صَحَّت بِهَا الأَخبَارُ ... وَسَطَّرَت آثَارَهَا الأَخيَارُ

فَصلٌ: فِي أَمرِ المَعَادِ

وَاجزِم بِأَمرِ البَعثِ وَالنُّشُورِ ... وَالحَشرِ جَزمًا بَعدَ نَفخِ الصُّورِ

كَذَا وُقُوفُ الخَلقِ لِلحِسَابِ ... وَالصُّحفُ وَالمِيزَانُ لِلثَّوَابِ

كَذَا الصِّرَاطُ ثُمَّ حَوضُ المُصطَفَىٰ ... فَيَا هَنَا لِمَن نَالَ بِهِ الشِّفَا

عَنهُ يُذَادُ المُفتَرِي كَمَا وَرَد ... وَمَن نَحَا سُبلَ السَّلَامَةِ لَم يُرَد

فَكُن مُطِيعًا وَاقفُ أَهلَ الطَّاعَه ... فِي الحَوضِ وَالكَوثَرِ وَالشَّفَاعَه

فَإِنَّهَا ثَابِتَةٌ لِلْمُصطَفَىٰ ... كَغَيرِهِ مِن كُلِّ أَربَابِ الوَفَا

مِن عَالَمٍ كَالرُّسلِ وَالأَبرَارِ ... سِوَىٰ الَّتِي خُصَّت بِذِي الأَنوَارِ

فصلٌ: فِي الكَلامِ عَلَى الجَنَّةِ وَالنَّارِ

وَكُلُّ إِنسَانٍ وَكُلُّ جِنَّه ... فِي دَارِ نَارٍ اوْ نَعِيمِ جَنَّه

هُمَا مَصِيرُ الخَلقِ مِن كُلِّ الوَرَىٰ ... فَالنَّارُ دَارُ مَن تَعَدَّىٰ وَافتَرَىٰ

وَمَن عَصَىٰ بِذَنبِهِ لَم يَخلُدِ ... وَإِن دَخلَهَا يَا بَوَارَ المُعتَدِي

وَجَنَّةُ النَّعِيمِ لِلأَبرَارِ ... مَصُونَةٌ عَن سَائِرِ الكُفَّارِ

وَاجزِم بِأَنَّ النَّارَ كَالجَنَّةِ فِي ... وُجُودِهَا وَأَنَّهَا لَم تَتلَفِ

فَنَسأَلُ اللهَ النَّعِيمَ وَالنَّظَر ... لِرَبِّنَا مِن غَيرِ مَا شَينٍ غَبَر

فَإِنَّهُ يُنظَرُ بِالأَبصَارِ ... كَمَا أَتَىٰ فِي النَّصِّ وَالأَخبَارِ

لأَنَّهُ سُبحَانَهُ لَم يُحجَبِ ... إِلَّا عَنِ الكَافِرِ وَالمُكَذِّبِ

البَابُ الخَامِسُ: فِي ذِكرِ النُّبُوَّةِ

وَمِن عَظِيمِ مِنَّةِ السَّلَامِ ... وَلُطفِهِ بِسَائِرِ الأَنَامِ

أَن أَرشَدَ الخَلقَ إِلَىٰ الوُصُولِ ... مُبَيِّنًا لِلحَقِّ بِالرَّسُولِ

وَشَرطُ مَن أُكرِمَ بِالنُّبُوَّه ... حُرِّيَّةٌ ذُكُورَةٌ كَقُوَّه

وَلَا تُنَالُ رُتبَةُ النُّبُوَّه ... بِالكَسبِ وَالتَّهذِيبِ وَالفُتُوَّه

لَكِنَّهَا فَضلٌ مِنَ المَولَىٰ الأَجَل ... لِمَن يَشَا مِن خَلقِهِ إِلَىٰ الأَجَل

ولَم تَزَل فِيمَا مَضَىٰ الأَنبَاءُ ... مِن فَضلِهِ تَأتِي لِمَن يَشَاءُ

حَتَّىٰ أَتَىٰ بِالخَاتَمِ الَّذِي خَتَم ... بِهِ وَأَعْلَانَا عَلَىٰ كُلِّ الأُمَم

فَصلٌ: فِي خَصَائِصِ الرسول ﷺ

وَخَصَّهُ بِذَاكَ كَالمَقَامِ ... وَبَعثِهِ لِسَائِرِ الأَنَامِ

وَمُعجِزِ القُرآنِ كَالمِعرَاجِ ... حَقًّا بِلَا مَينٍ وَلَا اعوِجَاجِ

فَكَم حَبَاهُ رَبُّهُ وَفَضَّلَه ... وَخَصَّهُ سُبحَانَهُ وَخَوَّلَه

فَصلٌ: فِي مُعجِزَاتِهِ

وَمُعجِزَاتُ خَاتَمِ الأَنبَاءِ ... كَثِيرَةٌ تَجِلُّ عَن إِحصَائِي

مِنهَا كَلَامُ اللهِ مُعجِزُ الوَرَىٰ ... كَذَا انشِقَاقُ البَدرِ مِن غَيرِ امتِرَا

وَأَفضَلُ العَالَمِ مِن غَيرِ امتِرَا ... نَبِيُّنَا المَبعُوثُ فِي أُمِّ القُرَىٰ

وَبَعدَهُ الأَفضَلُ أَهلُ العَزمِ ... فَالرُّسلُ ثُمَّ الأَنبِيَا بِالجَزمِ

فَصلٌ: فِيمَا يَجِبُ لِلأَنبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَمَا يَجُوزُ عَلَيهِم وَمَا يَستَحِيلُ فِي حَقِّهِم عَلَيهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَام

وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنهُم سَلِم ... مِن كُلِّ مَا نَقصٍ وَمِن كُفرٍ عُصِم

كَذَاكَ مِن إِفكٍ وَمِن خِيَانَه ... لِوَصفِهِم بِالصِّدقِ وَالأَمَانَه

وَجَائِزٌ فِي حَقِّ كُلِّ الرُّسلِ ... النَّومُ وَالنِّكَاحُ مِثلُ الأَكلِ

فَصلٌ: فِي ذِكرِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم

وَلَيسَ فِي الأُمَّةِ بِالتَّحقِيقِ ... فِي الفَضلِ وَالمَعرُوفِ كَالصِّدِّيقِ

وَبَعدَهُ الفَارُوقُ مِن غَيرِ افتِرَا ... وَبَعدَهُ عُثمَانُ فَاترُكِ المِرَا

وبَعْدُ فَالفَضْلُ حَقِيقًا فَاسْمَعِ | نِظَامِي هَذَا لِلبَطِينِ الأَنْزَعِ
مُجَنْدِلِ الأَبطَالِ مَاضِي العَزمِ | مُفَرِّجِ الأَوجَالِ وَافِي الحَزمِ
وَافِي النَّدَى مُبدِي الهُدَى مُردِي العِدَى | مُجلِي الصَّدَى يَا وَيلَ مَن فِيهِ اعتَدَى
فَحُبُّهُ كَحُبِّهِم حَتمًا وَجَب | وَمَن تَعَدَّى أَو قَلَى فَقَد كَذَب
وَبَعدُ فَالأَفضَلُ بَاقِي العَشَرَه | فَأَهلُ بَدرٍ ثُمَّ أَهلُ الشَّجَرَه
وَقِيلَ: أَهلُ أُحُدٍ المُقَدَّمَه | وَالأَوَّلُ أَولَى لِلنُّصُوصِ المُحكَمَه
وَعَائِشَهْ فِي العِلمِ مَع خَدِيجَه | فِي السَّبقِ فَافهَم نُكتَةَ النَّتِيجَه

فصل: في فضل الصحابة جملة

وَلَيسَ فِي الأُمَّةِ كَالصَّحَابَه | فِي الفَضلِ وَالمَعرُوفِ وَالإِصَابَه
فَإِنَّهُم قَد شَاهَدُوا المُختَارَا | وَعَايَنُوا الأَسرَارَ وَالأَنوَارَا
وَجَاهَدُوا فِي اللهِ حَتَّى بَانَا | دِينُ الهُدَى وَقَد سَمَا الأَديَانَا
وَقَد أَتَى فِي مُحكَمِ التَّنزِيلِ | مِن فَضلِهِم مَا يَشفِي لِلغَلِيلِ
وَفِي الأَحَادِيثِ وَفِي الآثَارِ | وَفِي كَلَامِ القَومِ وَالأَشعَارِ
مَا قَد رَبَا مِن أَن يُحِيطَ نَظمِي | عَن بَعضِهِ فَاقنَع وَخُذ مِن عِلمِ
وَاحذَر مِنَ الخَوضِ الَّذِي قَد يُزرِي | بِفَضلِهِم مِمَّا جَرَى لَو تَدرِي
فَإِنَّهُ عَنِ اجتِهَادٍ قَد صَدَر | فَاسلَم أَذَلَّ اللهُ مَن لَهُم هَجَر
وَبَعدَهُم فَالتَّابِعُونَ أَحرَى | بِالفَضلِ ثُمَّ تَابِعُوهُم طُرًّا

فصلٌ: فِي كَرَامَاتِ الأَولِيَاءِ

وَكُلُّ خَارِقٍ أَتَىٰ عَن صَالِحِ ... مِن تَابِعٍ لِشَرعِنَا وَنَاصِحِ

فَإِنَّهَا مِنَ الكَرَامَاتِ الَّتِي ... بِهَا نَقُولُ فَاقْفُ لِلأَدِلَّةِ

وَمَن نَفَاهَا مِن ذَوِي الضَّلَالِ ... فَقَد أَتَىٰ فِي ذَاكَ بِالمُحَالِ

لأَنَّهَا شَهِيرَةٌ وَلَم تَزَل ... فِي كُلِّ عَصرٍ يَا شَقَا أَهلِ الزَّلَل

فصلٌ: فِي المُفَاضَلَةِ بَينَ البَشَرِ والملائكة

وَعِندَنَا تَفضِيلُ أَعيَانِ البَشَر ... عَلَىٰ مَلَاكِ رَبِّنَا كَمَا اشتَهَر

قَالَ وَمَن قَالَ سِوَىٰ هَذَا افتَرَىٰ ... وَقَد تَعَدَّىٰ فِي المَقَالِ وَاجتَرَىٰ

البَابُ السَّادِسُ: فِي ذِكرِ الإِمَامَةِ وَمُتَعَلَّقَاتِهَا

وَلَا غِنَىٰ لأُمَّةِ الإِسلَامِ ... فِي كُلِّ عَصرٍ كَانَ عَن إِمَامِ

يَذُبُّ عَنهَا كُلَّ ذِي جُحُودِ ... وَيَعتَنِي بِالغَزوِ وَالحُدُودِ

وَفِعلُ مَعرُوفٍ وَتَركُ نُكرِ ... وَنَصرُ مَظلُومٍ وَقَمعُ كُفرِ

وَأَخذُ مَالِ الفَيءِ وَالخَرَاجِ ... وَنَحوُهُ وَالصَّرفُ فِي مِنهَاجِ

وَنَصبُهُ بِالنَّصِّ وَالإِجمَاعِ ... وَقَهرُهُ فَحُل عَنِ الخِدَاعِ

وَشَرطُهُ الإِسلَامُ وَالحُرِّيَّه ... عَدَالَةٌ سَمعٌ مَعَ الدِّرِيَّه

وَأَن يَكُونَ مِن قُرَيشٍ عَالِمَا ... مُكَلَّفًا ذَا خِبرَةٍ وَحَاكِمَا

وَكُن مُطِيعًا أَمرَهُ فِيمَا أَمَر ... مَا لَم يَكُن بِمُنكَرٍ فَيُحتَذَر

فَصلٌ: فِي الأَمرِ بِالمَعرُوفِ وَالنَّهيِ عَنِ المُنكَرِ

وَاعلَم بِأَنَّ الأَمرَ وَالنَّهيَ مَعَا ... فَرضًا كِفَايَةٍ عَلَى مَن قَد وَعَى

وَإِن يَكُن ذَا وَاحِدًا تَعَيَّنَا ... عَلَيهِ لَكِن شَرطُهُ أَن يَأمَنَا

فَصبِر وَزِل بِاليَدِ وَاللِّسَانِ ... لِمُنكَرٍ وَاحذَر مِنَ النُّقصَانِ

وَمَن نَهَى عَمَّا لَهُ قَدِ ارتَكَب ... فَقَد أَتَى مِمَّا بِهِ يَقضِي العَجَب

فَلَو بَدَا بِنَفسِهِ فَذَادَهَا ... عَن غَيِّهَا لَكَانَ قَد أَفَادَهَا

الخَاتِمَةُ

وفيها فوائد ونسأل الله حسن الخاتمة

مَدَارِكُ العُلُومِ فِي العِيَانِ ... مَحصُورَةٌ فِي الحَدِّ وَالبُرهَانِ

وَقَالَ قَومٌ عِندَ أَصحَابِ النَّظَر ... حِسٌّ وَإِخبَارٌ صَحِيحٌ وَالنَّظَر

فَالحَدُّ وَهوَ أَصلُ كُلِّ عِلمِ ... وَصفٌ مُحِيطٌ كَاشِفٌ فَافتَهِمِ

وَشَرطُهُ طَردٌ وَعَكسٌ وَهوَ إِن ... أَنبَا عَنِ الذَّوَاتِ فَالتَّام استَبِن

وَإِن يَكُن بِالجِنسِ ثُمَّ الخَاصَّهْ ... فَذَاكَ رَسمٌ فَافهَمِ المُحَاصَّهْ

وَكُلُّ مَعلُومٍ بِحِسٍّ وَحِجَا ... فَنُكرُهُ جَهلٌ قَبِيحٌ فِي الهِجَا

فَإِن يَقُم بِنَفسِهِ فَجَوهَرُ ... أَو لَا فَذَاكَ عَرَضٌ مُفتَقِرُ

وَالجِسمُ مَا أُلِّفَ مِن جُزأَينِ ... فَصَاعِدًا فَاترُك حَدِيثَ المَينِ

وَمُستَحِيلُ الذَّاتِ غَيرُ مُمكِنِ ... وَضِدُّهُ مَا جَازَ فَاسمَع زُكُنِي

وَالضِّدُّ وَالخِلَافُ وَالنَّقِيضُ ... وَالمِثلُ وَالغَيرَانِ مُستَفِيضُ

وَكُلُّ هَذَا عِلمُهُ مُحَقَّقُ ... فَلَم نُطِل فِيهِ وَلَم نُنَمِّقُ

وَالحَمدُ للهِ عَلَى التَّوفِيقِ ... لِمَنهَجِ الحَقِّ عَلَى التَّحقِيقِ

مُسَلِّمًا لِمُقتَضَى الحَدِيثِ ... وَالنَّصِّ فِي القَدِيمِ وَالحَدِيثِ

لَا أَعتَنِي بِغَيرِ قَولِ غَيرِ السَّلَفِ ... مُوَافِقًا أَئِمَّتِي وَسَلَفِي

وَلَستُ فِي قَولِي بِذَا مُقَلِّدَا ... إِلَّا النَّبِيَّ المُصطَفَى مُبدِي الهُدَى

صَلَّى عَلَيهِ اللهُ مَا قَطرٌ نَزَل ... وَمَا تَعَانَى ذِكرُهُ مِنَ الأَزَل

وَمَا انجَلَى بِهَديِهِ الدَّيجُورُ ... وَرَاقَتِ الأَوقَاتُ وَالدُّهُورُ

وَآلِهِ وَصَحبِهِ أَهلِ الوَفَا ... مَعَادِنِ التَّقوَى وَيَنبُوعِ الصَّفَا

وَتَابِعٍ وَتَابِعٍ لِلتَّابِعِ ... خَيرِ الوَرَى حَقًّا بِنَصِّ الشَّارِعِ

ذكر أئمة المذاهب الأربعة

وَرَحمَةُ اللهِ مَعَ الرِّضوَانِ ... وَالبِرِّ وَالتَّكرِيمِ وَالإِحسَانِ

تُهدَى مَعَ التَّبجِيلِ وَالإِنعَامِ ... مِنِّي لِمَثوَى عِصمَةِ الإِسلَامِ

أَئِمَّةِ الدِّينِ هُدَاةِ الأُمَّةِ ... أَهلِ التُّقَى مِن سَائِرِ الأَئِمَّةِ

لَاسِيَّمَا أَحمَدُ وَالنُّعمَانُ ... وَمَالِكٌ مُحَمَّدُ الصِّنوَانُ

مِن لَازِمٍ لِكُلِّ أَربَابِ العَمَل ... تَقلِيدُ حَبرٍ مِنهُمُ فَاسمَع تَخَل

وَمَن نَحَا لِسُبلِهِم مِنَ الوَرَى ... مَا دَارَتِ الأَفلَاكُ أَو نَجمٌ سَرَى

هَدِيَّةٌ مِنِّي لِأَربَابِ السَّلَف ... مُجَانِبًا لِلخَوضِ مِن أَهلِ الخَلَف

خُذهَا هُدِيتَ وَاقتَفِي نِظَامِي ... تَفُز بِمَا أَمَّلتَ وَالسَّلَامِ

❊ ❊ ❊

(٩) كتاب اعتقاد أهل السنة للإسماعيلي

قَالَ ابنُ قُدَامَةَ: أَنبَأَ الشَّرِيفُ أَبُو العَبَّاسِ مَسعُودُ بنُ عَبدِ الوَاحِدِ بنِ مَطَرٍ الهَاشِمِيُّ، قَالَ: أَنبَأَ الحَافِظُ أَبُو العَلاء صَاعِدُ بنُ سَيَّارٍ الهَرَوِيُّ: أَنبَأَ أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الجُرجَانِي: أَنبَأَ أَبُو القَاسِمِ حَمزَةُ بنُ يُوسُفَ السَّهمِيُّ: أَنبَأَ أَبُو بَكرٍ أحمَدُ بنُ إبرَاهِيمَ الإسمَاعِيلِيُّ بِكِتَابِ: اعتِقَاد السُّنَّةِ لَهُ؛ قَالَ:

اعلَمُوا -رَحِمَنَا اللهُ وَإِيَّاكُم- أَنَّ مَذهَبَ أَهلِ الحَدِيثِ أَهلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ:

١ - الإقرَارُ بِالله وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِه وَرُسُلِهِ.

٢ - وَقَبُولُ مَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ الله تَعَالَىٰ، وَمَا صَحَّت بِهِ الرِّوَايَةُ عَن رَسُولِ الله ﷺ لا مَعدِلَ عَمَّا وَرَدَا بِهِ، وَلا سَبِيلَ إِلَىٰ رَدِّهِ، إذ كَانُوا مَأمُورِينَ بِاتِّبَاعِ الكِتَابِ والسُّنَّةِ، مَضمُونًا لَهُمُ الهُدَىٰ فِيهِمَا، مَشهُودًا لَهُم بِأَنَّ نَبِيَّهُم ﷺ، يَهدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُستَقِيمٍ، مُحذِّرِينَ فِي مُخَالَفَتِهِ الفِتنَةَ وَالعَذَابَ الأَلِيمَ.

٣ - وَيَعتَقِدُونَ: أَنَّ الله تَعَالَىٰ مَدعُوٌّ بِأَسمَائِهِ الحُسنَىٰ، مَوصُوفٌ بِصِفَاتِهِ الَّتِي سَمَّىٰ وَوَصَفَ بِهَا نَفسَهُ، وَوَصَفَهُ بِهَا نَبِيُّهُ ﷺ.

٤ - خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ.

٥ - وَيَدَاهُ مَبسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيفَ يَشَاءُ، بِلا اعتِقَادِ كَيفٍ.

٦ - وَأَنَّهُ ﷻ استَوَىٰ عَلَىٰ العَرشِ بِلا كَيفٍ، فَإِنَّ الله تَعَالَىٰ أَنهَىٰ إِلَىٰ أَنَه استَوَىٰ عَلَىٰ العَرشِ، وَلَم يَذكُر كَيفَ كَانَ استِوَاؤُهُ.

٧ - وَأَنَّهُ مَالِكُ خَلقِهِ، وَأَنشَأَهُم لا عَن حَاجَةٍ إِلَىٰ مَا خَلَقَ، وَلَا لِمَعنًىٰ دَعَاهُ إِلَىٰ أَن خَلَقَهُم، لَكِنَّهُ فَعَّالٌ لِمَا يَشَاءُ، وَيَحكُمُ مَا يُرِيدُ، لا يُسأَلُ عَمَّا يَفعَلُ، وَالخَلقُ مَسئُولُونَ عَمَّا يَفعَلُونَ.

٨- وَأَنَّهُ مَدعُوٌّ بِأَسمَائِهِ الحُسنَىٰ، وَمَوصُوفٌ بِصِفَاتِهِ الَّتِي سَمَّىٰ وَوَصَفَ بِهَا نَفسَهُ، وَسَمَّاهُ وَوَصَفَهُ بِهَا نَبِيُّهُ ﷺ.

٩- لَا يُعجِزُهُ شَيءٌ فِي الأَرضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ.

١٠- وَلَا يُوصَفُ بِمَا فِيهِ نَقصٌ أَو عَيبٌ أَو آفَةٌ، فَإِنَّهُ ﷻ تَعَالَىٰ عَن ذَلِكَ.

١١- وَخَلَقَ آدَمَ عليه السلام بِيَدِهِ.

١٢- وَيَدَاهُ مَبسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيفَ يَشَاءُ، بِلَا اعتِقَادِ كَيفَ يَدَاهُ؛ إِذ لَم يَنطِق كِتَابُ الله تَعَالَىٰ فِيهِ بِكَيفٍ.

١٣- وَلَا يُعتَقَدُ فِيهِ الأَعضَاءُ وَالجَوَارِحُ، وِلَا الطُّولُ، وَالعَرضُ، وَالغِلَظُ وَالدِّقَّةُ، وَنَحوُ هَذَا مِمَّا يَكُونُ مِثلُهُ فِي الخَلقِ، وَأَنَّهُ لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ -تَبَارَكَ وَجهُ رَبِّنَا ذِي الجَلَالِ وَالإِكرَامِ-.

١٤- وَلَا يَقُولُونَ: إِنَّ أَسمَاءَ الله غَيرُ الله كَمَا يَقُولُهُ المُعتَزِلَةُ وَالخَوَارِجُ، وَطَوَائِفُ مِن أَهلِ الأَهوَاءِ.

١٥- وَيُثبِتُونَ أَنَّ لَهُ وَجهًا، وَسَمعًا، وَبَصَرًا، وَعِلمًا، وَقُدرَةً، وَقُوَّةً، وَعِزَّةً، وَكَلَامًا، لَا عَلَىٰ مَا يَقُولُهُ أَهلُ الزَّيغِ مِنَ المُعتَزِلَةِ وَغَيرِهِم، وَلَكِن كَمَا قَالَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرَّحمَن:٢٧].

وَقَالَ: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦].

وَقَالَ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وَقَالَ: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

وَقَالَ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيدٍ﴾ [الذاريات ٤٧].

وَقَالَ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت:١٥].

وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

١٦- فَهُوَ تَعَالَىٰ ذُو العِلمِ، وَالقُوَّةِ، وَالقُدرَةِ، وَالسَّمعِ، وَالبَصَرِ، وَالكَلَامِ، كَمَا قَالَ

تَعالَىٰ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩].

﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧].

وَقَالَ: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

وَقَالَ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

وَقَالَ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

١٧ - وَيَقُولُونَ مَا يَقُولُهُ المُسلِمُونَ بِأَسرِهِم: «مَا شَاءَ الله كَانَ، وَمَا لَم يَشَأْ لَا يَكُونَ»، كَمَا قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩].

١٨ - وَيَقُولُونَ: لَا سَبِيلَ لأَحَدٍ أَن يَخرُجَ عَن عِلمِ الله، وَلَا أَن يَغلِبَ فِعلُهُ وَإِرَادَتُهُ مَشِيئَةَ الله، وَلَا أَن يُبَدِّلَ عِلمَ الله، فَإِنَّه العَالِمُ: لَا يَجهَلُ وَلَا يَسهُو، وَالقَادِرُ: لَا يُغلَبُ.

١٩ - وَيَقُولُونَ: القُرآنُ كَلَامُ الله غَيرُ مَخلُوقٍ، وَإِنَّهُ كَيفَمَا تَصَرَّفَ بِقِرَاءَةِ القَارِئِ لَهُ وبِلَفظِهِ، وَمَحفُوظًا فِي الصُّدُورِ، مَتلُوًّا بِالأَلسنِ، مَكتُوبًا فِي المَصَاحِفِ، غَيرُ مَخلُوقٍ، وَمَن قَالَ بِخَلقِ اللَّفظِ بِالقُرآنِ يُرِيدُ بِهِ القُرآنَ؛ فَقَد قَالَ بِخَلقِ القُرآنِ.

٢٠ - وَيَقُولُونَ: إِنَّه لَا خَالِقَ عَلَىٰ الحَقِيقَةِ إِلَّا الله ﷻ، وَإِنَّ أَكسَابَ العِبَادِ كُلَّهَا مخلُوقَةٌ لله، وَإِنَّ الله يَهدِي مَن يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَن يَشَاءُ، لَا حُجَّةَ لِمَن أَضَلَّه الله ﷻ وَلَا عُذرَ، كَمَا قَالَ الله ﷻ: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

وَقَالَ: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [الأعراف: ٢٩-٣٠].

وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وَقَالَ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢]. وَمَعنَىٰ: ﴿نَّبْرَأَهَآ﴾: نَخلُقُهَا، بِلَا خِلَافٍ فِي اللُّغَةِ.

وَقَالَ مُخبِرًا عَن أَهلِ الجَنَّةِ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وَقَالَ: ﴿لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١].

وَقَالَ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود:١١٨-١١٩].

٢١- وَيَقُولُونَ: إنَّ الخَيرَ وَالشَّرَّ، والحُلوَ والمُرَّ، بِقَضَاءٍ مِنَ الله ﷻ، أَمضَاهُ وَقدَّرَهُ لَا يَملِكُونَ لأَنفُسِهِم ضَرًّا وَلَا نَفعًا، إِلَّا مَا شَاءَ الله.

٢٢- وَإِنَّهُم فُقَرَاءُ إِلَىٰ الله ﷻ لَا غِنَىٰ لَهُم عَنهُ فِي كُلِّ وَقتٍ.

٢٣- وَإِنَّهُ ﷻ يَنزِلُ إِلَىٰ السَّمَاءِ عَلَىٰ مَا صَحَّ بِهِ الخَبَرُ عَن رَسُولِ الله [البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨)] بِلَا اعتِقَادِ كَيفٍ فِيهِ.

٢٤- وَيَعتَقِدُونَ جَوَازَ الرُّؤيَةِ مِنَ العِبَادِ المُتَّقِينَ لله ﷻ فِي القِيَامَةِ دُونَ الدُّنيَا، وَوُجُوبَهَا لِمَن جَعَلَ ذَلِكَ ثَوَابًا لَهُ فِي الآخِرَة، كَمَا قَالَ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

وَقَالَ فِي الكُفَّارِ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥].

فَلَو كَانَ المُؤمِنُونَ كُلُّهُم وَالكَافِرُونَ كُلُّهُم لَا يَرَونَهُ كَانُوا بِأَجمَعِهِم عَنهُ مَحجُوبِينَ، وَذَلِكَ مِن غَيرِ اعتِقَادِ التَّجسِيمِ فِي الله ﷻ، وَلَا التَّحدِيدِ لَهُ؛ وَلَكِن يَرَونَهُ -جَلَّ وَعَزَّ- بِأَعيُنِهِم عَلَىٰ مَا يَشَاءُ هُوَ بِلَا كَيفٍ.

٢٥- وَيَقُولُونَ: إِنَّ الإِيمَانَ قَولٌ وَعَمَلٌ وَمَعرِفَةٌ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنقُصُ بِالمَعصِيَةِ، وَمَن كَثُرَت طَاعَتُهُ أَزيَدُ إِيمَانًا مِمَّن هُوَ دُونَهُ فِي الطَّاعَةِ.

٢٦- وَيَقُولُونَ: إِنَّ أَحَدًا مِن أَهلِ التَّوحِيدِ وَمَن يُصَلِّي إِلَىٰ قِبلَةِ المُسلِمِينَ، لَو ارتَكَبَ ذَنبًا، أَو ذُنُوبًا كَثِيرَةً، صغَائِرَ، أَو كَبَائِرَ، مَعَ الإِقَامَةِ عَلَىٰ التَّوحِيدِ لله، وَالإِقرَارِ بِمَا التَزَمَهُ وَقَبِلَهُ عَنِ الله، فَإِنَّه لَا يُكفَّرُ بِهِ، وَيَرجُونَ لَهُ المَغفِرَةَ، ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

٢٧- وَاختَلَفُوا فِي مُتَعَمِّدِي تَركِ الصَّلَاةِ المَفرُوضَةِ حَتَّىٰ يَذهَبَ وَقتُهَا مِن غَيرِ عُذرٍ، فَكَفَّرَهُ جَمَاعَةٌ، لِمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «بَينَ العَبدِ وَبَينَ الكُفرِ تَركُ الصَّلَاةِ». [مسلم (٨٢)].

وَقَولُهُ: «مَن تَرَكَ الصَّلَاةَ فَقَد كَفَرَ». [ضعيف الجامع (٥٥٢١)].

وَ: «مَن تَرَكَ الصَّلَاةَ فَقَد بَرِئَت مِنهُ ذِمَّةُ الله». [صحيح الترغيب (٥٦٩)].

وَتَأَوَّلَ جَمَاعَةٌ مِنهُم أَنَّهُ يُرِيدُ بِذَلِكَ مَن تَرَكَهَا جَاحِدًا لَهَا، كَمَا قَالَ يُوسُفُ عليه السلام: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [يوسف:٣٧]. تَركَ جُحُودٍ.

٢٨- وَقَالَ كَثِيرٌ مِنهُم: إِنَّ الإِيمَانَ: قَولٌ وَعَمَلٌ، وَالإِسلَامَ: فِعلُ مَا فُرِضَ عَلَىٰ الإِنسَانِ أَن يَفعَلَهُ إِذَا ذُكِرَ كُلُّ اسمٍ عَلَىٰ حِدَتِهِ مَضمُومًا إِلَىٰ الآخَرِ، فَقِيلَ: المُؤمِنُونَ وَالمُسلِمُونَ جَمِيعًا أَو مُفرَدَينِ أُرِيدَ بِأَحَدِهِمَا مَعنًىٰ لَم يُرَد بِالآخَرِ، وَإِن ذُكِرَ أَحَدُ الاسمَينِ شَمِلَ الكُلَّ وَعَمَّهُم.

٢٩- وَكَثِيرٌ مِنهُم قَالُوا: الإِسلَامُ وَالإِيمَانُ وَاحِدٌ.

فَقَالَ الله عز وجل: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٨٥].

فَلَو أَنَّ الإِيمَانَ غَيرُهُ لَم يُقبَل، وَقَالَ: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات:٣٥-٣٦].

٣٠- وَمِنهُم: مَن ذَهَبَ إِلَىٰ أَنَّ الإِسلَامَ مُختَصٌّ بِالاستِسلَامِ لله وَالخُضُوعِ لَهُ، وَالانقِيَادِ لِحُكمِهِ فِيمَا هُوَ مُؤمِنٌ بِهِ، كَمَا قَالَ: ﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾. [الحُجرات:١٤].

وَقَالَ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات:١٧]. وَهَذَا أَيضًا دَلِيلٌ لِمَن قَالَ: هُمَا وَاحِدٌ.

٣١- وَيَقُولُونَ: إِنَّ الله يُخرِجُ مِنَ النَّارِ قَومًا مِن أَهلِ التَّوحِيدِ بِشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ بِرَحمَتِهِ.

٣٢- وَإِنَّ الشَّفَاعَةَ حَقٌّ.

٣٣- وَإِنَّ الحَوضَ حَقٌّ.

٣٤- وَالمِيزَانَ حَقٌّ.

٣٥- وَالحِسَابَ حَقٌّ.

٣٦- وَلَا يَقطَعُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ مِن أَهلِ المِلَّةِ أَنَّهُ مِن أَهلِ الجَنَّةِ، أَو أَنَّهُ مِن أَهلِ النَّارِ؛ لأَنَّ عِلمَ ذَلِكَ يَغِيبُ عَنهُم لَا يَدرُونَ عَلَىٰ مَاذَا يَمُوتُ: أَعَلَىٰ الإِسلَامِ أَم عَلَىٰ الكُفرِ؟

وَلَكِن يَقُولُونَ: إِنَّ مَن مَاتَ عَلَىٰ الإِسلَامِ مُجتَنِبًا لِلكَبَائِرِ وَالأَهوَاءِ وَالآثَامِ، فَهُوَ مِن أَهلِ الجَنَّةِ؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البينة:٧]. وَلَم يَذكُر عَنهُم ذَنبًا: ﴿أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ [البينة: ٧-٨].

٣٧- وَمَن شَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِعَينِهِ بِأَنَّهُ مِن أَهلِ الجَنَّةِ، وَصَحَّ لَهُ ذَلِكَ عَنهُ، فَإِنَّهُم يَشهَدُونَ لَهُ بِذَلِكَ اتِّبَاعًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتَصدِيقًا لِقَولِهِ.

٣٨- وَيَقُولُونَ: إِنَّ عَذَابَ القَبرِ حَقٌّ، يُعَذِّبُ اللهُ مَنِ استَحَقَّهُ إِن شَاءَ، وَإِن شَاءَ عَفَا عَنهُ، لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦].

فَأَثبَتَ لَهُم مَا بَقِيَتِ الدُّنيَا عَذَابًا بِالغُدُوِّ وَالعَشِيِّ دُونَ مَا بَينَهُمَا، حَتَّىٰ إِذَا قَامَتِ القِيَامَةُ عُذِّبُوا أَشَدَّ العَذَابِ، بِلَا تَخفِيفٍ عَنهُم، كَمَا كَانَ فِي الدُّنيَا.

وَقَالَ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه:١٢٤]. يَعنِي: قَبلَ فَنَاءِ الدُّنيَا.

لِقَولِهِ تَعَالَىٰ بَعدَ ذَلِكَ: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ بَيَّنَ أَنَّ المَعِيشَةَ الضَّنكَ قَبلَ يَومِ القِيَامَةِ، وَفِي مُعَايَنَتِنَا اليَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ وَالمُشرِكِينَ فِي العَيشِ الرَّغدِ وَالرَّفَاهَةِ فِي المَعِيشَةِ، مَا يُعلَمُ بِهِ أَنَّهُ لَم يُرِد بِهِ ضِيقَ الرِّزقِ فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا، لِوُجُودِ مُشرِكِينَ فِي سَعَةٍ مِن أَرزَاقِهِم، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِهِ بَعدَ المَوتِ قَبلَ الحَشرِ.

٣٩- وَيُؤمِنُونَ بِمَسأَلَةِ مُنكَرٍ وَنَكِيرٍ عَلَىٰ مَا ثَبَتَ بِهِ الخَبَرُ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَ قَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم:٢٧]. وَمَا وَرَدَ تَفسِيرُهُ عَنِ النَّبِيِّ. [البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٨٧١)].

٤٠- وَيَرَونَ تَركَ الخُصُومَاتِ وَالمِرَاءِ فِي القُرآنِ وَغَيرِهِ لِقَولِ الله ﷻ: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: ٤]؛ يَعني: يُجَادِلُ فِيهَا تَكذِيبًا بِهَا، وَالله أعلَمُ.

٤١- وَيُثبِتُونَ خِلَافَةَ أَبِي بَكرٍ ﷺ بَعدَ رَسُولِ الله ﷺ، بِاختِيَارِ الصَّحَابَةِ إِيَّاهُ، ثُمَّ خِلَافَةَ عُمَرَ بَعدَ أَبِي بَكرٍ ﷺ، بِاستِخلَافِ أَبِي بَكرٍ إِيَّاهُ، ثُمَّ خِلَافَةَ عُثمَانَ ﷺ بِاجتِمَاعِ أَهلِ الشُّورَىٰ وَسَائِرِ المُسلِمِينَ عَلَيهِ عَن أمرِ عُمَرَ، ثُمَّ خِلَافَةَ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، بِبَيعَةِ مَن بَايَعَ مِنَ البَدرِيِّينَ: عَمَّارِ بنِ يَاسِرٍ، وَسَهلِ بنِ حُنَيفٍ، وَمَن تَبِعَهُمَا مِن سَائِرِ الصَّحَابَةِ مَعَ سَابِقَتِهِ وَفَضلِهِ.

٤٢- وَيَقُولُونَ بِتَفضِيلِ الصَّحَابَةِ الَّذِين رَضِيَ الله عَنهُم؛ لِقَولِهِ: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

وَقَولِهِ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وَمَن أَثبَتَ الله رِضَاهُ عَنهُ؛ لَم يَكُن مِنهُ بَعدَ ذَلِكَ مَا يُوجِبُ سَخَطَ اللهِ ﷻ، وَلَم يُوجِب ذَلِكَ للتَّابِعِينَ إِلَّا بِشَرطِ الإحسَانِ، فَمَن كَانَ مِنَ التَّابِعِينَ مِن بَعدِهِم لَم يَأتِ بِالإحسَانِ، فَلَا مدخَلَ لَهُ فِي ذَلِكَ.

وَمَن غَاظَهُ مَكَانُهُم مِنَ الله، فَهُوَ مَخُوفٌ عَلَيهِ مَا لَا شَيءَ أَعظَمَ مِنهُ، لِقَولِهِ ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ إِلَىٰ قَولِهِ: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩].

فَأَخبَرَ أَنَّهُ جَعَلَهُم غَيظًا لِلكَافِرِينَ، وَقَالُوا بِخِلَافَتِهِم؛ لِقَولِ الله ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فَخَاطَبَ بِقَولِهِ: ﴿مِنكُمْ﴾ مَن نَزَلَتِ الآيَةُ وَهُوَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ دِينِهِ، فَقَالَ بَعدَ ذَلِكَ: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥].

فَمَكَّنَ الله بِأَبِي بَكرٍ الصِّدِّيقِ وَعُمَرَ وَعُثمَانَ الدِّينَ، وَعَدَ الله آمِنِينَ يَغزُونَ وَلَا يُغزَونَ، ويُخِيفُونَ العَدُوَّ وَلَا يُخِيفُهُمُ العَدُوُّ.

وَقَالَ ﷻ لِقَومٍ تَخَلَّفُوا عَن نَبِيِّهِ ﵇ فِي الغَزوَةِ الَّتِي نَدَبَهُمُ الله ﷻ بِقَولِهِ: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴾ [التوبة:٨٣].

فَلَمَّا لَقوا النَّبِيَّ ﷺ يَسأَلُونَهُ الإذنَ فِي الخُرُوجِ لِلغَزوِ فَلَم يَأذَن لَهُم، أَنزَلَ الله ﷻ: ﴿ سَيَقُولُ ٱلۡمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقۡتُمۡ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأۡخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعۡكُمۡۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُۖ فَسَيَقُولُونَ بَلۡ تَحۡسُدُونَنَاۚ بَلۡ كَانُواْ لَا يَفۡقَهُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [الفتح:١٥].

وَقَالَ لَهُم: ﴿قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤۡتِكُمُ ٱللَّهُ أَجۡرًا حَسَنٗاۖ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ كَمَا تَوَلَّيۡتُم مِّن قَبۡلُ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴾ [الفتح: ١٦].

وَالَّذِينَ كَانُوا فِي عَهدِ رَسُولِ الله ﷺ أَحيَاءً خُوطِبُوا بِذَلِكَ لَمَّا تَخَلَّفُوا عَنهُ، وَبَقِيَ مِنهُم فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ وَعُثمَانَ ﷺ فَأَوجَبَ لَهُم بِطَاعَتِهِم إِيَّاهُمُ الأجرَ، وَبِتَركِ طَاعَتِهِمُ العَذَابَ الأَلِيمَ، إِيذَانًا مِنَ الله ﷻ بِخِلَافَتِهِم -رَضِيَ الله عَنهُم-، وَلَا جَعَلَ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لأَحَدٍ مِنهُم؛ فَإِذَا ثَبَتَ خِلَافَةُ وَاحِدٍ مِنهُم، انتُظِمَ مِنهَا خِلَافَةُ الأَربَعَةِ.

٤٣- وَيَرَونَ الصَّلَاةَ -الجُمُعَةَ وَغَيرَهَا- خَلفَ كُلِّ إِمَامٍ مُسلِمٍ بَرًّا كَانَ أَو فَاجِرًا، فَإِنَّ الله ﷻ فَرَضَ الجُمُعَةَ وَأَمَرَ بِإِتيَانِهَا فَرضًا مُطلَقًا، مَعَ عِلمِهِ تَعَالَىٰ بِأَنَّ القَائِمِينَ يَكُونُ مِنهُمُ الفَاجِرُ وَالفَاسِقُ، فَلَم يَستَثنِ وَقتًا دُونَ وَقتٍ، وَلَا أَمرًا بِالنِّدَاءِ لِلجُمُعَةِ دُونَ أَمرٍ.

٤٤- وَيَرَونَ جِهَادَ الكُفَّارِ مَعَهُم، وَإِن كَانُوا جَوَرَةً.

٤٥- وَيَرَونَ الدُّعَاءَ لَهُم بِالإِصلَاحِ وَالعَطفِ إِلَىٰ العَدلِ.

٤٦- وَلَا يَرَونَ الخُرُوجَ بِالسَّيفِ عَلَيهِم.

٤٧- وَلَا القِتَالَ فِي الفِتنَةِ.

٤٨- وَيَرَونَ قِتَالَ الفِئَةِ البَاغِيَةِ مَعَ الإِمَامِ العَدلِ، إِذَا كَانَ وَوُجِدَ عَلَىٰ شَرطِهِم فِي ذَٰلِكَ.

٤٩- وَيَرَونَ الدَّارَ دَارَ إِسلَامٍ، لَا دَارَ كُفرٍ -كَمَا رَأَتهُ المُعتَزِلَةُ- مَا دَامَ النِّدَاءُ بِالصَّلَاةِ وَإِقَامَةِ ظَاهِرَينِ، وَأَهلُهَا مُمَكَّنِينَ مِنهَا آمِنِينَ.

٥٠- وَيَرَونَ أَنَّ أَحَدًا لَا تُخلِصُ لَهُ الجَنَّةُ وَإِن عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ، إِلَّا بِفَضلِ الله وَرَحمَتِهِ الَّتِي يَخُصُّ بِهِمَا مَن يَشَاءُ، فَإِنَّ عَمَلَهُ لِلخَيرِ وَتَنَاوُلَهُ الطَّاعَاتِ إِنَّمَا كَانَ عَن فَضلِ الله الَّذِي لَو لَم يَتَفَضَّل بِهِ عَلَيهِ لَم يَكُن لِأَحَدٍ عَلَىٰ الله حُجَّةٌ وَلَا عَتبٌ.

كَمَا قَالَ الله: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ﴾ [النور:٢١]. ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء:٨٣]. وَقَالَ: ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ﴾ [آل عمران:٧٤].

٥١- وَيَقُولُونَ: إِنَّ الله ﷻ أَجَّلَ لِكُلِّ حَيٍّ مَخلُوقٍ أَجَلًا هُوَ بَالِغُهُ، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [الأعراف:٣٤]. وَإِن مَاتَ أَو قُتِلَ فَهُوَ عِندَ انتِهَاءِ أَجَلِهِ المُسَمَّىٰ لَهُ، كَمَا قَالَ الله ﷻ: ﴿قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ﴾ [آل عمران:١٥٤].

٥٢- وَإِنَّ الله تَعَالَىٰ يَرزُقُ كُلَّ حَيٍّ مَخلُوقٍ رِزقَ الغِذَاءِ الَّذِي بِهِ قِوَامُ الحَيَاةِ، وَهُوَ مَا يَضمَنُهُ الله لِمَن أَبقَاهُ مِن خَلقِهِ، وَهُوَ الَّذِي رَزَقَهُ مِن حَلَالٍ أَو مِن حَرَامٍ، وَكَذَٰلِكَ رِزقُ الزِّينَةِ الفَاضِلِ عَمَّا يَحيَا بِهِ.

٥٣- وَيُؤمِنُونَ بِأَنَّ الله تَعَالَىٰ خَلَقَ شَيَاطِينَ تُوَسوِسُ لِلآدَمِيِّينَ، وَيَختَدِعُونَهُم وَيَغُرُّونَهُم.

٥٤- وَأَنَّ الشَّيطَانَ يَتَخَبَّطُ الإِنسَانَ.

٥٥- وَأَنَّ فِي الدُّنيَا سِحرًا وَسَحَرَةً، وَأَنَّ السِّحرَ وَاستِعمَالَهُ كُفرٌ مِن فَاعِلِهِ مُعتَقِدًا لَهُ نَافِعًا ضَارًّا بِغَيرِ إِذنِ الله.

٥٦- وَيَرَونَ مُجَانَبَةَ البِدعَةِ وَالآثَامِ، وَالفَخرِ، وَالتَّكَبُّرِ، وَالعُجبِ، وَالخِيَانَةِ، وَالدَّغَلِ،

وَالاغتِيَالِ وَالسِّعَايَةِ.

٥٧- وَيَرَونَ كَفَّ الأَذَىٰ وَتَركَ الغِيبَةِ، إلَّا لِمَن أَظهَرَ بدعَةً وَهَوًىٰ يَدعُو إِلَيهِمَا، فَالقَولُ فِيهِ لَيسَ بِغِيبَةٍ عِندَهُم.

٥٨- وَيَرَونَ تَعَلُّمَ العِلمِ، وَطَلَبَهُ مِن مَظَانِّهِ، وَالجِدَّ فِي تَعَلُّمِ القُرآنِ وَعُلُومِهِ، وَتَفسِيرِهِ، وَسَمَاعِ سُنَنِ الرَّسُولِ ﷺ، وَجَمعِهَا وَالتَفَقُّهِ فِيهَا، وَطَلَبِ آثَارِ أَصحَابِهِ.

وَالكَفَّ عَنِ الوَقِيعَةِ فِيهِم، وَتَأَوُّلَ القَبِيحِ عَلَيهِم، وَيَكِلُونَهُم فِيمَا جَرَىٰ بَينَهُم عَلَىٰ التَّأوِيلِ إِلَىٰ الله ﷻ .

٥٩- مَعَ لُزُومِ الجَمَاعَةِ.

٦٠- وَالتَّعَفُّفِ فِي المَأكَلِ وَالمَشرَبِ وَالمَلبسِ.

٦١- وَالسَّعيِ فِي عَمَلِ الخَيرِ.

٦٢- وَالأَمرِ بِالمَعرُوفِ وَالنَّهيِ عَنِ المُنكَرِ وَالإِعرَاضِ عَنِ الجَاهِلِينَ، حَتَّىٰ يُعَلِّمُوهُم، وَيُبَيِّنُوا لَهُمُ الحَقَّ، ثُمَّ الإِنكَارُ وَالعُقُوبَةُ مِن بَعدِ البَيَانِ، وَإِقَامَةِ العُذرِ بَينَهُم وَبَينَهُم.

❊ ❊ ❊

هَذَا أَصلُ الدِّينِ وَالمَذهَبِ، وَاعتِقَادُ أَئِمَّةِ أَهلِ الحَدِيثِ، الَّذِينَ لَم تَشِنهُم بِدعَةٌ، وَلَم تَلبِسهُم فِتنَةٌ، وَلَم يَخِفُّوا إِلَىٰ مَكرُوهٍ فِي دِينٍ، فَتَمَسَّكُوا مُعتَصِمِينَ بِحَبلِ الله جَمِيعًا، وَلَا تَفَرَّقُوا عَنهُ، وَاعلَمُوا أَنَّ الله تَعَالَىٰ أَوجَبَ مَحَبَّتَهُ وَمَغفِرَتَهُ لِمُتَّبِعِي رَسُولِهِ ﷺ فِي كِتَابِهِ، وَجَعَلَهُمُ الفِرقَةَ النَّاجِيَةَ وَالجَمَاعَةَ المُتَّبِعَةَ.

فَقَالَ ﷻ لِمَنِ ادَّعَىٰ أَنَّهُ يُحِبُّ الله ﷻ : ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ﴾ [آل عمران:٣١].

نَفَعَنَا الله وَإِيَّاكُم بِالعِلمِ، وَعَصَمَنَا بِالتَّقوَىٰ مِنَ الزَّيغِ وَالضَّلَالَةِ بِمَنِّهِ وَرَحمَتِهِ.

❊ ❊ ❊

(١٠) الاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي

رَبِّ يَسِّرْ وَأَعِنْ

وَالحَمدُ لله وَحدَهُ، حَسبُنَا اللهُ وَنِعمَ الوَكِيلُ.

قَالَ الشَّيخُ الإِمَامُ العَالِمُ الزَّاهِدُ الحَافِظُ تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبدُ الغَنِيِّ بنُ عَبدِ الوَاحِدِ بنِ عَلِيِّ بنِ سُرُورٍ الحَنبَلِيُّ المَقدِسِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-:

الحَمدُ لِلَّهِ المُتَفَرِّدِ بِالكَمَالِ وَالبَقَاءِ، وَالعِزِّ وَالكِبرِيَاءِ، المَوصُوفِ بِالصِّفَاتِ وَالأَسمَاءِ، المُنَزَّهِ عَنِ الأَشبَاهِ وَالنُّظَرَاءِ، الَّذِي سَبَقَ عِلمُهُ فِي بَرِيَّتِهِ بِمُحكَمِ القَضَاءِ، مِنَ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاءِ، وَاستَوَىٰ عَلَىٰ عَرشِهِ فَوقَ السَّمَاءِ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ الهَادِي إِلَىٰ المَحَجَّةِ البَيضَاءِ وَالشَّرِيعَةِ الغَرَّاءِ، مُحَمَّدٍ سَيِّدِ المُرسَلِينَ وَالأَنبِيَاءِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحبِهِ الطَّاهِرِينَ الأَتقِيَاءِ، صَلَاةً دَائِمَةً إِلَىٰ يَومِ اللِّقَاءِ.

اعلَم وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ لِمَا يُرضِيهِ مِنَ القَولِ وَالنِّيَّةِ وَالعَمَلِ، وَأَعَاذَنَا وَإِيَّاكَ مِنَ الزَّيغِ وَالزَّلَلِ، أَنَّ صَالِحَ السَّلَفِ، وَخِيَارَ الخَلَفِ، وَسَادَةَ الأَئِمَّةِ، وَعُلَمَاءَ الأُمَّةِ، اتَّفَقَت أَقوَالُهُم، وَتَطَابَقَت آرَاؤُهُم عَلَىٰ الإِيمَانِ بِاللهِ ﷻ، وَأَنَّهُ أَحَدٌ فَردٌ صَمَدٌ، حَيٌّ قَيُّومٌ، سَمِيعٌ بَصِيرٌ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا وَزِيرَ، وَلَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ، وَلَا عِدلَ وَلَا مِثلَ.

وَأَنَّهُ ﷻ مَوصُوفٌ بِصِفَاتِهِ القَدِيمَةِ الَّتِي نَطَقَ بِهَا كِتَابُهُ العَزِيزُ الَّذِي لَا يَأتِيهِ البَاطِلُ مِن بَينِ يَدَيهِ وَلَا مِن خَلفِهِ تَنزِيلٌ مِن حَكِيمٍ حَمِيدٍ.

وَصَحَّ بِهَا النَّقلُ عَن نَبِيِّهِ وَخِيرَتِهِ مِن خَلقِهِ مُحَمَّدٍ سَيِّدِ البَشَرِ، الَّذِي بَلَّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ، وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ، وَجَاهَدَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَأَقَامَ المِلَّةَ، وَأَوضَحَ المَحَجَّةَ، وَأَكمَلَ الدِّينَ، وَقَمَعَ الكَافِرِينَ، وَلَم يَدَع لِمُلحِدٍ مَجَالًا، وَلَا لِقَائِلٍ مَقَالًا.

فَرَوَىٰ طَارِقُ بنُ شِهَابٍ قَالَ: «جَاءَ يَهُودِيٌّ إِلَىٰ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ ﷺ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُم تَقرَءُونَهَا لَو عَلَينَا مَعشَرَ يَهُودَ نَزَلَت، نَعلَمُ اليَومَ الَّذِي نَزَلَت فِيهِ لَاتَّخَذنَا ذَلِكَ اليَومَ عِيدًا. قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

فَقَالَ: إِنِّي لَأَعلَمُ اليَومَ الَّذِي نَزَلَت وَالمَكَانَ، نَزَلَت عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَنَحنُ بِعَرَفَةَ عَشِيَّةَ جُمُعَةٍ». [البخاري (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧)]

فَآمَنُوا بِمَا قَالَ اللهُ سُبحَانَهُ فِي كِتَابِهِ، وَصَحَّ عَن نَبِيِّهِ، وَأَمَرُّوهُ كَمَا وَرَدَ مِن غَيرِ تَعَرُّضٍ لِكَيفِيَّةٍ، أَوِ اعتِقَادِ شُبهَةٍ أو مِثلِيَّةٍ، أَو تأويلٍ يُؤَدِّي إِلَىٰ التَّعطِيلِ، وَوَسِعَتهُمُ السُّنَّةُ المُحَمَّدِيَّةُ، وَالطَّرِيقَةُ المَرضِيَّةُ، وَلَم يَتَعَدُّوهَا إِلَىٰ البِدعَةِ المُردِيَةِ الرَّدِيَّةِ، فَحَازُوا بِذَلِكَ الرُّتبَةَ السَّنِيَّةَ، وَالمَنزِلَةَ العَلِيَّةَ.

فَمِن صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفسَهُ، وَنَطَقَ بِهَا كِتَابُهُ، وَأَخبَرَ بِهَا نَبِيُّهُ: أَنَّهُ مُستَوٍ عَلَىٰ عَرشِهِ كَمَا أَخبَرَ عَن نَفسِهِ؛ فَقَالَ -عَزَّ مِن قَائِلٍ-: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤].

وَقَالَ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس:٣].

وَقَالَ: ﴿ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد:٢].

وَقَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥].

وَقَالَ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان:٥٩].

وَقَالَ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة:٤].

وَقَالَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد:٤].

فَهَذِهِ سَبعَةُ مَوَاضِعَ أَخبَرَ الله فِيهَا سُبحَانَهُ أَنَّهُ عَلَىٰ العَرشِ.

وَرَوَىٰ أَبُو هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ ﷻ كَتَبَ كِتَابًا قَبلَ أَن

حَقَ الخَلقَ: إِنَّ رَحمَتِي سَبَقَت غَضَبِي. فَهُوَ عِندَهُ فَوقَ العَرشِ» [البخاري (٧٥٥٤)، ومسلم (٢٧٥١)].

وَرَوَىٰ العَبَّاسُ بنُ عَبدِ المُطَّلِبِ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَ سَبعَ سَمَوَاتٍ وَمَا بَينَهَا ثُمَّ قَالَ: «وفوقَ ذَلِكَ بَحرٌ بَينَ أَعلاهُ وَأَسفَلِهِ، كَمَا بَينَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ، ثُمَّ فَوقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوعَالٍ بَينَ أَظلَافِهِنَّ وَرُكَبِهِنَّ مَا بَينَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ، ثُمَّ فَوقَ ظُهُورِهِنَّ العَرشُ مَا بَينَ أَعلاهُ وَأَسفَلِهِ مَا بَينَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ، وَاللهُ تَعَالَىٰ فَوقَ ذَلِكَ» . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرمِذِيُّ، وَابنُ مَاجه القَزوِينِيُّ. [السلسلة الضعيفة (١٢٤٧)]

وَقَالَت أُمُّ سَلَمَةَ زَوجُ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَالِكُ بنُ أَنَسٍ فِي قَولِهِ ﷻ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾: «الِاستِوَاءُ غَيرُ مَجهُولٍ، وَالكَيفُ غَيرُ مَعقُولٍ، وَالإِقرَارُ بِهِ إِيمَانٌ، وَالجُحُودُ بِهِ كُفرٌ».

وَرَوَىٰ أَبُو هُرَيرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ مَا مِن رَجُلٍ يَدعُو امرَأَتَهُ إِلَىٰ فِرَاشِهَا فَتَأبَىٰ عَلَيهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيهَا حَتَّىٰ يَرضَىٰ» [مسلم (١٤٣٦)].

وَرَوَىٰ أَبُو سَعِيدٍ الخُدرِيُّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَلَا تَأمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَن فِي السَّمَاءِ، يَأتِينِي خَبَرُ مَن فِي السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً» [البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤)].

وَرَوَىٰ مُعَاوِيَةُ بنُ الحَكَمِ السُّلَمِيُّ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِجَارِيَتِهِ: «أَينَ اللهُ؟» قَالَت: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «مَن أَنَا؟» قَالَت: أَنتَ رَسُولُ اللهِ. قَالَ: «اعتِقهَا فَإِنَّهَا مُؤمِنَةٌ». رَوَاهُ مُسلِمُ بنُ الحَجَّاجِ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَأَبُو عَبدِ الرَّحمَنِ النَّسَائِيُّ. [مسلم (٥٣٧)]

وَمَن أَجهَلُ جَهلًا، وَأَسخَفُ عَقلًا، وَأَضَلُّ سَبِيلًا مِمَّن يَقُولُ إِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَن يُقَالَ: أَينَ اللهُ، بَعدَ تَصرِيحِ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ بِقَولِهِ: «أَينَ اللهُ»؟!

وَرَوَىٰ أَنَسُ بنُ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: «كَانَت زَينَبُ بِنتُ جَحشٍ تَفخَرُ عَلَىٰ أَزوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ تَقُولُ: زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللهُ مِن فَوقِ سَبعِ سَمَوَاتٍ». رَوَاهُ البُخَارِيُّ. [البخاري (٧٤٢٠)]

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَ المُؤمِنَ عِندَ مَوتِهِ، وَأَنَّهُ يُعرَجُ

بِرُوحِهِ حَتَىٰ يَنتَهِيَ إِلَىٰ السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللهُ ﷻ». رَوَاهُ الإِمَامُ أَحمَدُ، وَالدَّارَقُطنِيُّ وَغَيرُهُمَا [صحيح الجامع (١٩٦٨)].

وَرَوَىٰ أَبُو الدَّردَاءِ ﷺ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَن اشتَكَىٰ مِنكُم أَو اشتَكَىٰ أَخٌ لَهُ فَليَقُل: رَبَّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسمُكَ، أَمرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرضِ، كَمَا رَحمَتُكَ فِي السَّمَاءِ، اغفِر لَنَا حوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنزِل رَحمَةً وَشِفَاءً مِن شِفَائِكَ عَلَىٰ هَذَا الوَجَعِ فَيَبرَأُ». رَوَاهُ أَبُو القَاسِمِ الطَّبَرِيُّ فِي «سُنَنِهِ». [ضعيف الجامع (٥٤٢٢)].

وَفِي هَذِهِ المَسأَلَةِ أَدِلَّةٌ مِن الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ يَطُولُ بِذِكرِهَا الكِتَابُ.

وَمُنكِرُ أَن يَكُونَ اللهُ فِي جِهَةِ العُلُوِّ بَعدَ هَذِهِ الآيَاتِ وَالأَحَادِيثِ مُخَالِفٌ لِكِتَابِ اللهِ، مُنكِرٌ لِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ.

وَقَالَ مَالِكُ بنُ أَنَسٍ: «اللهُ فِي السَّمَاءِ، وَعِلمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ لَا يَخلُو مِن عِلمِهِ مَكَانٌ».

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: «خِلَافَةُ أَبِي بَكرٍ حَقٌّ قَضَاهَا اللهُ فِي سَمَائِهِ، وَجَمَعَ عَلَيهَا قُلُوبَ أَصحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ».

وَقَالَ عَبدُ اللهِ بنُ المُبَارَكِ: «نَعرِفُ رَبَّنَا فَوقَ سَبعِ سَموَاتٍ بَائِنًا مِن خَلقِهِ، وَلَا نَقُولُ كَمَا قَالَت الجَهمِيَّةُ: إِنَّهُ هَاهُنَا، وَأَشَارَ إِلَىٰ الأَرضِ».

* وَمِن الصِّفَاتِ الَّتِي نَطَقَ بِهَا القُرآنُ، وَصَحَّتْ بِهَا الأَخبَارُ: الوَجهُ.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧].

وَرَوَىٰ أَبُو مُوسَىٰ ﷺ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «جَنَّاتُ الفِردَوسِ أَربَعٌ: ثِنتَانِ مِن ذَهَبٍ حِليَتُهُمَا وَآنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَثِنتَانِ مِن فِضَّةٍ حِليَتُهُمَا وَآنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَينَ القَومِ وَبَينَ أَن يَنظُرُوا إِلَىٰ رَبِّهِم ﷻ إِلَّا رِدَاءُ الكِبرِيَاءِ عَلَىٰ وَجهِهِ فِي جَنَّةِ عَدنٍ» [البخاري (٧٤٤٤)، ومسلم (١٨٠)].

وَرَوَىٰ أَبُو مُوسَىٰ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَربَعٍ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنبَغِي لَهُ أَن يَنَامَ، يَخفِضُ القِسطَ وَيَرفَعُهُ، يُرفَعُ إِلَيهِ عَمَلُ اللَّيلِ قَبلَ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبلَ اللَّيلِ، حِجَابُهُ النَّارُ، لَو كَشَفَهَا لَأَحرَقَت سُبُحَاتُ وَجهِهِ كُلَّ شَيءٍ أَدرَكَهُ بَصَرُهُ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ [النمل:٨]. رَوَاهُ مُسلِمٌ. [مسلم (١٧٩) دُون ذكر الآية].

فَهَذِهِ صِفَةٌ ثَابِتَةٌ بِنَصِّ الكِتَابِ وَخَبَرِ الصَّادِقِ الأَمِينِ، فَيَجِبُ الإِقرَارُ بِهَا، وَالتَّسلِيمُ؛ كَسَائِرِ الصِّفَاتِ الثَّابِتَةِ بِوَاضِحِ الدَّلَالَاتِ.

وَتَوَاتَرَت الأَخبَارُ، وَصَحَّتِ الآثَارِ بِأَنَّ اللهَ ﷻ يَنزِلُ كُلَّ لَيلَةٍ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنيَا؛ فَيَجِبُ الإِيمَانُ بِهِ، وَالتَّسلِيمُ لَهُ، وَتَركُ الاعتِرَاضِ عَلَيهِ، وَإِمرَارُهُ مِن غَيرِ تَكيِيفٍ وَلَا تَمثِيلٍ، وَلَا تَأوِيلٍ، وَلَا تَنزِيهٍ يَنفِي حَقِيقَةَ النُّزُولِ.

فَرَوَىٰ أَبُو هُرَيرَةَ ؓ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَنزِلُ رَبُّنَا ﷻ كُلَّ لَيلَةٍ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنيَا حِينَ يَبقَىٰ ثُلُثُ اللَّيلِ الآخِرُ يَقُولُ: مِن يَدعُونِي فَأَستَجِيبَ لَهُ؟ مَن يَسأَلُنِي فَأُعطِيَهُ؟ مَن يَستَغفِرُنِي فَأَغفِرَ لَهُ؟ حَتَّىٰ يَطلُعَ الفَجرُ» [البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨)]. وَفِي لَفظٍ: «يَنزِلُ اللهُ ﷻ».

وَلَا يَصِحُّ حَملُهُ عَلَىٰ نُزُولِ القُدرَةِ، وَلَا الرَّحمَةِ وَلَا نُزُولِ المَلَكِ؛ لِمَا رَوَىٰ مُسلِمٌ بِإِسنَادِهِ عَن سُهَيلِ بنِ أَبِي صَالِحٍ عَن أَبِيهِ عَن أَبِي هُرَيرَةَ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَنزِلُ اللهُ ﷻ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنيَا حِينَ يَمضِي ثُلُثُ اللَّيلِ فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا المَلِكُ، مَن ذَا الَّذِي يَدعُونِي فَأَستَجِيبَ لَهُ؟ مَن ذَا الَّذِي يَستَغفِرُنِي فَأَغفِرَ لَهُ؟ حَتَّىٰ يُضِيءَ الفَجرُ» [مسلم (٧٥٨/ ١٦٩)].

وَرَوَىٰ رِفَاعَةُ بنُ عَرَابَةَ الجُهَنِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَضَىٰ نِصفُ اللَّيلِ أَو ثُلُثُ اللَّيلِ، يَنزِلُ اللهُ ﷻ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنيَا فَيَقُولُ: لَا أَسأَلُ عَن عِبَادِي أَحَدًا غَيرِي، مَن ذَا الَّذِي يَستَغفِرُنِي أَغفِرُ لَهُ؟ مَن ذَا الَّذِي يَدعُونِي أَستَجِيبُ لَهُ؟ مَن ذَا الَّذِي يَسأَلُنِي أُعطِيهِ؟ حَتَّىٰ يَنفَجِرَ الصُّبحُ». رَوَاهُ الإِمَامُ أَحمَدُ [مسند أحمد (١٥٧٨٢)].

وَهَذَانِ الحَدِيثَانِ يَقطَعَانِ تَأوِيلَ كُلِّ مُتَأَوِّلٍ، ويَدحضَانَ حُجَّةَ كُلِّ مُبطِلٍ.

وَرَوَىٰ حَدِيثَ النُّزُولِ عَلَيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، وَعَبدُ اللهِ بنُ مَسعُودٍ، وَجُبَيرُ بنُ مُطعِمٍ، وَجَابِرُ بنُ عَبدِ اللهِ، وَأَبُو سَعِيدٍ الخُدرِيُّ، وَعَمرُو بنُ عَبسَةَ، وَأَبُو الدَّردَاءِ، وَعُثمَانُ بنُ أَبِي العَاصِ، وَمَعَاذُ بنُ جَبَلٍ، وَأُمُّ سَلَمَةَ زَوجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَخَلقٌ سِوَاهُم.

وَنَحنُ مُؤمِنُونَ بِذَلِكَ مُصَدِّقُونَ، مِن غَيرِ أَن نَصِفَ لَهُ كَيفِيَّةً، أَو نُشَبِّهَهُ بِنُزُولِ المَخلُوقِينَ.

وَقَد قَالَ بَعضُ العُلَمَاءِ: «سُئِلَ أَبُو حَنِيفَةَ عَنهُ -يَعنِي: عَنِ النُّزُولِ- فَقَالَ: يَنزِلُ بِلَا كَيفٍ».

وَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ الحَسَنِ الشَّيبَانِيُّ -صَاحِبُهُ-: «الأَحَادِيثُ الَّتِي جَاءَت أَنَّ اللهَ يَهبِطُ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنيَا وَنَحوُ هَذَا مِنَ الأَحَادِيثِ قَد رَوَتهَا الثِّقَاتُ، فَنَحنُ نَروِيهَا، وَنُؤمِنُ بِهَا، وَلَا نُفَسِّرُهَا».

وَرُوِّينَا عَن عَبدِ اللهِ بنِ أَحمَدَ بنِ حَنبَلٍ قَالَ: «كُنتُ أَنَا وَأَبِي عَابِرِينَ فِي المَسجِدِ، فَسَمِعَ قَاصًّا يَقُصُّ بِحَدِيثِ النُّزُولِ فَقَالَ: إِذَا كَانَ لَيلَةُ النِّصفِ مِن شَعبَانَ يَنزِلُ اللهُ ﷻ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنيَا بِلَا زَوَالٍ وَلَا انتِقَالٍ وَلَا تُغَيُّرِ حَالٍ، فَارتَعَدَ أَبِي رَحِمَهُ اللهُ واصفَرَّ لَونُهُ، وَلَزِمَ يَدِي، وَأَمسَكتُهُ حَتَّىٰ سَكَنَ ثُمَّ قَالَ: قِف بِنَا عَلَىٰ المُتَخَوِّضِ، فَلَمَّا حَاذَاهُ قَالَ: يَا هَذَا، رَسُولُ اللهِ أَغيَرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ﷻ مِنكَ، قُل كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. وَانصَرَفَ».

قَالَ حَنبَلٌ: «قُلتُ لِأَبِي عَبدِ اللهِ -يَعنِي: أَحمَدَ بنَ حَنبَلٍ- يَنزِلُ اللهُ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنيَا، قُلتُ: نُزُولُهُ بِعِلمِهِ أَو بِمَاذَا؟ فَقَالَ لِي: اسكُت عَن هَذَا! مَا لَك وَلِهَذَا؟! أَمضِ الحَدِيثَ عَلَىٰ مَا رُوِيَ بِلَا كَيفٍ وَلَا حَدٍّ، عَلَىٰ مَا جَاءَت بِهِ الآثَارُ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ الكِتَابُ».

وَقَالَ الإِمَامُ إِسحَاقُ بنُ رَاهَوَيهِ: «قَالَ لِي الأَمِيرُ عَبدُ اللهِ بنُ طَاهِرٍ: يَا أَبَا يَعقُوبَ، هَذَا الحَدِيثُ الَّذِي تَروِيهِ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ: «يَنزِلُ رَبُّنَا ﷻ كُلَّ لَيلَةٍ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنيَا». كَيفَ يَنزِلُ؟ قَالَ: قُلتُ: أَعَزَّ اللهُ الأَمِيرَ، لَا يُقَالُ لِأَمرِ الرَّبِّ ﷻ كَيفَ، إِنَّمَا يَنزِلُ بِلَا كَيفٍ».

وَمَن قَالَ يَخلُو العَرشُ عِندَ النُّزُولِ أَو لَا يَخلُو، فَقَد أَتَىٰ بِقَولٍ مُبتَدَعٍ وَرَأيٍ مُختَرَعٍ.

* وَمِن صِفَاتِهِ سُبحَانَهُ الوَارِدَةِ فِي كِتَابِهِ العَزِيزِ، الثَّابِتَةِ عَن رَسُولِهِ المُصطَفَىٰ الأَمِينِ: اليَدَانِ.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤].

وَقَالَ ﷻ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥].

وَرَوَىٰ أَبُو هُرَيرَةَ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «التَقَىٰ آدَمُ وَمُوسَىٰ، فَقَالَ مُوسَىٰ: يَا آدَمُ، أَنتَ أَبُونَا، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِن رُوحِهِ، وَأَسجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، خَيَّبتَنَا، وَأَخرَجتَنَا مِن الجَنَّةِ. فَقَالَ آدَمُ: أَنتَ مُوسَىٰ، كَلَّمَكَ اللهُ تَكلِيمًا، وَخَطَّ لَكَ التَّورَاةَ بِيَدِهِ، وَاصطَفَاكَ بِرِسَالَتِهِ، فَبِكَم وَجَدتَّ فِي كِتَابِ اللهِ ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾؟ قَالَ: بِأَربَعِينَ أَلفَ سَنَةٍ، قَالَ: فَتَلُومُنِي عَلَىٰ أَمرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبلَ أَن يَخلُقَنِي بِأَربَعِينَ أَلفَ سَنَةٍ؟!». قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ» [البخاري (٣٤٠٩)، ومسلم (٢٦٥٢)].

فَلَا نَقُولُ: يَدٌ كَيَدٍ، وَلَا نُكَيِّفُ، وَلَا نُشَبِّهُ، وَلَا نَتَأَوَّلُ اليَدَينِ عَلَىٰ القُدرَتَينِ كَمَا يَقُولُ أَهلُ التَّعطِيلِ وَالتَّأوِيلِ، بَل نُؤمِنُ بِذَلِكَ وَنُثبِتُ لَهُ الصِّفَةَ مِن غَيرِ تَحدِيدٍ وَلَا تَشبِيهٍ.

وَلَا يَصِحُّ حَملُ اليَدَينِ عَلَىٰ القُدرَتَينِ، فَإِنَّ قُدرَةَ اللهِ ﷻ وَاحِدَةٌ، وَلَا عَلَىٰ النِّعمَتَينِ، فَإِنَّ نِعَمَ اللهِ ﷻ لَا تُحصَىٰ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل:١٨].

وَكُلُّ مَا قَالَ اللهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ، وَصَحَّ عَن رَسُولِهِ بِنَقلِ العَدلِ عَنِ العَدلِ مِثلَ: المَحَبَّةِ، وَالمَشِيئَةِ، وَالإِرَادَةِ، وَالضَّحِكِ، وَالفَرَحِ، وَالعَجَبِ، وَالبُغضِ، وَالسَّخَطِ، وَالكُرهِ، وَالرِّضَا، وَسَائِرِ مَا صَحَّ عَن اللهِ وَرَسُولِهِ، وَإِن نَبَتْ عَنهَا أَسمَاعُ بَعضِ الجَاهِلِينَ، وَاستَوحَشَت مِنهَا نُفُوسُ المُعَطِّلِينَ.

وَمِمَّا نَطَقَ بِهَا القُرآنُ، وَصَحَّ بِهَا النَّقلُ مِن الصِّفَاتِ: النَّفسُ، قَالَ اللهُ ﷻ إِخبَارًا عَن نَبِيِّهِ عِيسَىٰ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة:١١٦].

وَقَالَ ﷻ: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:١٢].

وَقَالَ ﷻ لِمُوسَىٰ ؈: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه:٤١].

وَرَوَىٰ أَبُو هُرَيرَةَ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ ﷻ: أَنَا عِندَ ظَنِّ عَبدِيَ بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذكُرُنِي، فَإِن ذَكَرَنِي فِي نَفسِهِ ذَكَرتُهُ فِي نَفسِي، وَإِن ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرتُهُ فِي مَلَأٍ خَيرٍ مِنهُم، وَإِنِ اقتَرَبَ إِلَيَّ شِبرًا اقتَرَبتُ إِلَيهِ ذِرَاعًا، وَإِن اقتَرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا اقتَرَبتُ إِلَيهِ بَاعًا، وَإِن أَتَانِي يَمشِيَ، أَتَيتُهُ هَروَلَةً» [البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥)].

وَرَوَىٰ أَبُو هُرَيرَةَ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الخَلقَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ، فَكَتَبَهُ عَلَىٰ نَفسِهِ، فَهُوَ مَوضُوعٌ عِندَهُ عَلَىٰ العَرشِ: إِنَّ رَحمَتِي تَغلِبُ غَضَبِي» [البخاري (٧٤٠٤)، ومسلم (٢٧٥١)].

وَأَجمَعَ أَهلُ الحَقِّ وَاتَّفَقَ أَهلُ التَّوحِيدِ وَالصِّدقِ: أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُرَىٰ فِي الآخِرَةِ، كَمَا جَاءَ فِي كِتَابِهِ، وَصَحَّ عَن رَسُولِهِ ﷺ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

وَرَوَىٰ جَرِيرُ بنُ عَبدِ اللهِ البَجَلِيُّ ؓ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا لَيلَةً مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَنَظَرَ إِلَىٰ القَمَرِ لَيلَةَ أَربَعَ عَشرَةَ فَقَالَ: «إِنَّكُم سَتَرَونَ رَبَّكُم ﷻ كَمَا تَرَونَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤيَتِهِ، فَإِنِ استَطَعتُم أَلَّا تُغلَبُوا عَلَىٰ صَلَاةٍ قَبلَ طُلُوعِ الشَّمسِ وَقَبلَ غُرُوبِهَا فَافعَلُوا». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق:٣٩]. [البخاري (٤٨٥١)، ومسلم (٦٣٣)]

وَفِي رِوَايَةٍ: «سَتَرَونَ رَبَّكُم عِيَانًا» [البخاري (٧٤٣٥)].

وَرَوَىٰ صُهَيبٌ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ نُودُوا: يَا أَهلَ الجَنَّةِ، إِنَّ لَكُم عِندَ اللهِ مَوعِدًا لَم تَرَوهُ، فَيَقُولُونَ: مَا هُوَ؟ أَلَم يُبَيِّض وُجُوهَنَا وَيُزَحزِحنَا عَنِ النَّارِ، وَيُدخِلنَا الجَنَّةَ؟ قَالَ: فَيَكشِفُ الحِجَابَ فَيَنظُرُونَ إِلَيهِ، قَالَ: فَوَاللهِ مَا أَعطَاهُم اللهُ شَيئًا أَحَبَّ إِلَيهِم مِن النَّظَرِ إِلَيهِ». ثُمَّ تَلَا: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]. رَوَاهُ

مُسلِمٌ. [مسلم (١٨١)]

وَقَالَ مَالِكُ بنُ أَنَسٍ ﷺ: «النَّاسُ يَنظُرُونَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِأَعيُنِهِم يَومَ القِيَامَةِ».

وَقَالَ أَحمَدُ بنُ حَنبَلٍ: «مَن قَالَ: إِنَّ اللهَ لَا يُرَىٰ فِي الآخِرَةِ فَهُوَ كَافِرٌ».

وَمِن مَذهَبِ أَهلِ الحَقِّ: أَنَّ اللهَ ﷻ لَم يَزَل مُتَكَلِّمًا بِكَلَامٍ مَسمُوعٍ، مَفهُومٍ، مَكتُوبٍ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء:١٦٤].

وَرَوَىٰ عَدِيُّ بنُ حَاتِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنكُم مِن أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللهُ يَومَ القِيَامَةِ لَيسَ بَينَهُ وَبَينَهُ تَرجُمَانٌ، ثُمَّ يَنظُرُ أَيمَنَ مِنهُ فَلَا يَنظُرُ إِلَّا شَيئًا قَدَّمَهُ، ثُمَّ يَنظُرُ أَشأَمَ مِنهُ فَلا يَرَىٰ إِلَّا شَيئًا قَدَّمَهُ، ثُمَّ يَنظُرُ تِلقَاءَ وَجهِهِ فَتَستَقبِلُهُ النَّارُ، فَمَن استَطَاعَ مِنكُم أَن يَقِيَ وَجهَهُ النَّارَ وَلَو بِشِقِّ تَمرَةٍ فَليَفعَل» [البخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦)].

وَرَوَىٰ جَابِرُ بنُ عَبدِ اللهِ قَالَ: لَمَّا قُتِلَ عَبدُ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ حَرَامٍ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا جَابِرُ، أَلَا أُخبِرُكَ مَا قَالَ اللهُ لِأَبِيكَ؟». قَالَ: بَلَىٰ، قَالَ: «وَمَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا إِلَّا مِن وَرَاءِ حِجَابٍ، وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا، قَالَ: يَا عَبدَ اللهِ، تَمَنَّ عَلَيَّ أُعطِكَ، قَالَ: يَا رَبِّ، تُحيِينِي فَأُقتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً، قَالَ: إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُم إِلَيهَا لَا يُرجَعُونَ، قَالَ: فَأَبلِغ مَن وَرَائِي». فَأَنزَلَ اللهُ ﷻ ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩]. رَوَاهُ ابنُ مَاجَه. [صحيح الترغيب (١٣٦١)]

وَالقُرآن كَلَامُ اللهِ ﷻ، وَوَحيُهُ، وَتَنزِيلُهُ، وَالمَسمُوعُ مِن القَارِئِ كَلَامُ اللهِ ﷻ.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، وَإِنَّمَا سَمِعَهُ مِن التَّالِي.

وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ﴾ [الفتح:١٥].

وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٤].

وَهُوَ مَحفُوظٌ فِي الصُّدُورِ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ

ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت:٤٩].

وَرَوَىٰ عَبدُ اللهِ بنُ مَسعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «استَذكِرُوا القُرآنَ فَلَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِن صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ مِن عُقُلِهِ» [البخاري (٥٠٣٢)، ومسلم (٧٩٠)].

وَهُوَ مَكتُوبٌ فِي المَصَاحِفِ مَنظُورٌ بِالأَعيُنِ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ [الطور:١-٣].

وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩].

وَرَوَىٰ عَبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَىٰ أَن يُسَافَرَ بِالقُرآنِ إِلَىٰ أَرضِ العَدُوِّ مَخَافَةَ أَن يَنَالَهُ العَدُوُّ». [البخاري (٢٩٩٠)، ومسلم (١٨٦٩)]

وَقَالَ عُثمَانُ بنُ عَفَّانَ ﷺ: «مَا أُحِبُّ أَن يَأتِيَ يَومٌ وَلَيلَةٌ حَتَّىٰ أَنظُرَ فِي كَلَامِ اللهِ ﷻ». يَعنِي: القِرَاءَةَ فِي المُصحَفِ.

وَقَالَ عَبدُ اللهِ بنُ أَبِي مُلَيكَةَ: «كَانَ عِكرِمَةُ بنُ أَبِي جَهلٍ ﷺ يَأخُذُ المُصحَفَ فَيَضَعُهُ عَلَىٰ وَجهِهِ فَيَقُولُ: كِتَابُ رَبِّي ﷻ وَكَلَامُ رَبِّي ﷻ».

وَأَجمَعُ أَئِمَّةُ السَّلَفِ، وَالمُقتَدَىٰ بِهِم مِنَ الخَلَفِ عَلَىٰ أَنَّهُ غَيرُ مَخلُوقٍ، وَمَن قَالَ: مَخلُوقٌ؛ فَهُوَ كَافِرٌ.

قَالَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ فِي القُرآنِ: «لَيسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخلُوقٍ، وَلَكِنَّهُ كَلَامُ اللهِ، مِنهُ بَدَأَ وَإِلَيهِ يَعُودُ».

وَقَالَ عَبدُ اللهِ بنُ عَبَّاسٍ، وَعَبدُ اللهِ بنُ مَسعُودٍ: «القُرآنَ كَلَامُ اللهِ مِنهُ بَدَأَ وَإِلَيهِ يَعُودُ».

وَرُوِيَ عَن سُفيَانَ بنِ عُيَينَةَ قَالَ: «سَمِعتُ عَمرَو بنَ دِينَارٍ يَقُولُ: أَدرَكتُ مَشَايِخَنَا وَالنَّاسَ مُنذُ سَبعِينَ سَنَةً يَقُولُونَ: القُرآنُ كَلَامُ اللهِ مِنهُ بَدَأَ وَإِلَيهِ يَعُودُ».

رَوَاهُ مُحَمَّدُ بنُ جَرِيرِ بنِ يَزِيدَ الفَقِيهُ وَهِبَةُ اللهِ بنُ الحَسَنِ بنِ مَنصُورٍ الحَافِظُ الطَّبرِيَّانِ فِي كِتَابِ «السُّنَّةِ» لَهُمَا.

وَقَد أَدرَكَ عَمرُو بنُ دِينَارٍ أَبَا هُرَيرَةَ وَابنَ عَبَّاسٍ وَابنَ عُمَرَ.

وَاحتَجَّ أَحمَدُ عَلَىٰ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ كَلَّمَ مُوسَىٰ، فَكَانَ الكَلَامُ مِن اللهِ وَالاستِمَاعُ مِن موسَىٰ. وَبِقَولِهِ ﷻ: ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي﴾ [السجدة:١٣].

وَرَوَىٰ التِّرمِذِيُّ مِن رِوَايَةِ خَبَّابِ بنِ الأَرَتِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّكُم لَن تَتَقَرَّبُوا إِلَىٰ اللهِ تعالىٰ بِمِثلِ مِمَّا خَرَجَ مِنهُ». يَعنِي: القُرآنَ. [ضعيف الجامع (٢٠٤٢)]

وَنعتَقِدُ أَنَّ الحُرُوفَ المَكتُوبَةَ وَالأَصوَاتَ المَسمُوعَةَ عَينُ كَلَامِ اللهِ ﷻ، لَا حِكَايَةٌ ولا عِبَارَةٌ.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١-٢].

وَقَالَ: ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف:١-٢].

وَقَالَ: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ [يوسف:١].

وَقَالَ: ﴿الٓمٓرۚ﴾ [الرعد:١].

وَقَالَ: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم:١].

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى:١-٢].

فَمَن لَم يَقُل: إِنَّ هَذِهِ الأَحرُفَ عَينُ كَلَامِ اللهِ ﷻ؛ فَقَد مَرَقَ مِن الدِّينِ، وَخَرَجَ عَن حُملَةِ المُسلِمِينَ، وَمَن أَنكَرَ أَن يَكُونَ حُرُوفًا فَقَد كَابَرَ العِيَانَ وَأَتَىٰ بِالبُهتَانِ.

وَرَوَىٰ التِّرمِذِيُّ مِن طَرِيقِ عَبدِ اللهِ بنِ مَسعُودٍ ﷺ، عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَن قَرَأَ حَرفًا مِن كِتَابِ اللهِ ﷻ فَلَهُ عَشرُ حَسَنَاتٍ». قَالَ التِّرمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

وَرَوَاهُ غَيرُهُ مِنَ الأَئِمَّةِ وَفِيهِ: «أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ ﴿الٓمٓ﴾ حَرفٌ، وَلَكِن أَلف حَرفٌ وَلَامٌ حَرفٌ، وَمِيمٌ حَرفٌ» [صحيح الجامع (٦٤٦٩)].

وَرَوَىٰ يَعلَىٰ بنُ مَملَكٍ عَن أُمِّ سَلَمَةَ: «أَنَّهَا نَعَتَت قِرَاءَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِذَا هِيَ تَنعَتُ قِرَاءَةً مُفَسَّرَةً حَرفًا حَرفًا». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَأَبُو عَبدِ الرَّحمَنِ النَّسَائِيُّ وَأَبُو عِيسَىٰ التِّرمِذِيُّ، وقَالَ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. [ضعيف المشكاة (١٢١٠)].

وَروىٰ سَهلُ بنُ سَعدٍ السَّاعِدِيُّ قَالَ: بَينا نَحنُ نَقتَرِئ إذ خَرَجَ عَلَينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «الحَمدُ لِلَّهِ، كِتَابُ اللهِ وَاحِدٌ، وَفِيكُم الأَخيَارُ، وَفِيكُم الأَحمَرُ وَالأَسوَدُ، اقرَءوا القُرآنَ قَبلَ أَن يَأتِيَ أَقوَامٌ يَقرَءُونَهُ يُقِيمُونَ حُرُوفَهُ كَمَا يُقَامُ السَّهمُ لَا يَتَجَاوَزَ تَرَاقِيَهُم يَتَعَجَّلُونَ أَجرَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ». رَوَاهُ أَبُو بَكر الآجُرِّيُّ وَأَئِمَّةٌ غَيرُهُ. [الآجري في «أخلاق أهل القرآن» (٢٩)]

وَرُوِيَ عَن أَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ ﷺ أَنَّهُمَا قَالَا: «إِعرَابُ القُرآنِ أَحَبُّ إِلَينَا مِن حِفظِ بَعضِ حُرُوفِهِ».

وَرَوَىٰ أَبُو عُبَيدٍ فِي «فَضَائِلِ القُرآنِ» بِإِسنَادِهِ قَالَ: «سُئِلَ عَلِيٌّ ﷺ عَنِ الجُنُبِ يَقرَأُ القُرآنَ؟ فَقَالَ: لَا، وَلَا حَرفًا».

وَقَالَ عَبدُ اللهِ بنُ مَسعُودٍ ﷺ: «مَن كَفَرَ بِحَرفٍ مِنهُ -يَعنِي: القُرآنَ- فَقَد كَفَرَ بِهِ أَجمَعَ».

وَقَالَ أَيضًا: «مَن حَلَفَ بِسُورَةِ البَقَرَةِ فَعَلَيهِ بِكُلِّ حَرفٍ يَمِينٌ».

وَقَالَ طَلحَةُ بنُ مُصَرِّفٍ: «قَرَأَ رَجُلٌ عَلَىٰ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ فتَرَكَ وَاوًا فَقَالَ: لَقَد تَرَكتَ حَرفًا أَعظَمَ مِن جَبَلِ أُحُدٍ».

وَقَالَ الحَسَنُ البَصرِيُّ فِي كَلَامٍ لَهُ: «قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص:٢٩]، وَمَا تَدَبُّرُ آيَاتِهِ إِلَّا اتِّبَاعُهُ، أَمَا وَاللهِ مَا هُوَ بِحِفظِ حُرُوفِهِ، وَإِضَاعَةِ حُدُودِهِ، حَتَّىٰ إِنَّ أَحَدَهُم لَيَقُولُ: قَد قَرَأتُ القُرآنَ كُلَّهُ فَمَا أَسقَطتُ مِنهُ حَرفًا، وَقَد أَسقَطَهُ وَاللهِ كُلَّهُ».

وَقَالَ عَبدُ اللهِ بنُ المُبَارَكِ: «مَن كَفَرَ بِحَرفٍ مِن القُرآنِ فَقَد كَفَرَ بِالقُرآنِ، وَمَن قَالَ: لَا أُومِنُ بِهَذِهِ اللَّامِ فَقَد كَفَرَ».

وَرَوَىٰ عَبدُ اللهِ بنُ أُنَيسٍ ﷺ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يُحشَرُ النَّاسُ يَومَ القِيَامَةِ -وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَىٰ الشَّامِ- عُرَاةً غُرلًا بُهمًا» قَالَ: قُلتُ: وَمَا بُهمًا؟ قَالَ: «لَيسَ مَعَهُم

ـيءٌ. فَيُنَادِيهِم بِصَوتٍ يَسمَعُهُ مِن بَعُدَ كَمَا يَسمَعُهُ مَن قَرُبَ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، لَا ـبغِي لِأَحَدٍ مِن أَهلِ الجَنَّةِ أَن يَدخُلَ الجَنَّةَ وَأَحَدٌ مِن أَهلِ النَّارِ يَطلُبُهُ بِمَظلَمَةٍ، وَلَا يَنبَغِي ـحدٍ مِن أَهلِ النَّارِ أَن يَدخُلَ النَّارَ وَأَحَدٌ مِن أَهلِ الجَنَّةِ يَطلُبُهُ بِمَظلَمَةٍ حَتَّىٰ أَقُصَّهُ مِنهُ». ـنـو: وَكَيفَ وَإِنَّمَا نَأتِي اللهَ عُرَاةً غُرلًا بُهمًا؟ قَالَ: «بِالحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ». رَوَاهُ أَحمَدُ، ـجمَاعَةٌ مِن الأَئِمَّةِ. [صحيح، ظلال الجنة (٥١٤)]

وَرَوَىٰ عَبدُ اللهِ بنُ مَسعُودٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالوَحيِ سَمِعَ صَوتَهُ أَهلُ ـسَّمَاءِ كَجَرِّ السِّلسِلَةِ عَلَىٰ الصَّفوَانِ، فَيَخِرُّونَ سُجَّدًا».... وَذَكَرَ الحَدِيثَ. [الصحيحة ١٢٩٠)]

وَقَولُ القَائِلِ: بِأَنَّ الحَرفَ وَالصَّوتَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِن مَخَارِجَ؛ بَاطِلٌ وَمُحَالٌ.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠].

وَكَذَلِكَ قَالَ ﷻ إِخبَارًا عَن السَّمَاءِ وَالأَرضِ أَنَّهُمَا ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت:١١]. ـحصَلَ القَولُ مِن غَيرِ مَخَارِجَ وَلَا أَدَوَاتٍ.

وَرُوِيَ عَن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَلَّمَهُ الذِّرَاعُ المَسمُومَةُ. [صحيح، المشكاة (٥٩٣١)]

وَصَحَّ أَنَّهُ سَلَّمَ عَلَيهِ الحَجَرُ[مسلم (٢٢٧٧)]، وَسَلَّمَت عَلَيهِ الشَّجَرَةُ. [صحيح الترغيب ١٢٠٩)]

وَأَجمَعَ أَئِمَّةُ السَّلَفِ مِن أَهلِ الإِسلَامِ عَلَىٰ الإِيمَانِ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ، حُلوِهِ وَمُرِّهِ، قَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ، بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، لَا يَكُونُ شَيءٌ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ، وَلَا يَجرِي خَيرٌ وَشَرٌّ إِلَّا ـمَشِيئَتِهِ، خَلَقَ مَن شَاءَ لِلسَّعَادَةِ وَاستَعمَلَهُ بِهَا فَضلًا، وَخَلَقَ مَن أَرَادَ لِلشَّقَاءِ وَاستَعمَلَهُ بِهِ عَدلًا، فَهُوَ سِرٌّ استَأثَرَ بِهِ، وَعِلمٌ حَجَبَهُ عَن خَلقِهِ، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣].

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف:١٧٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ

ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة:١٣].

وَقَالَ ﷻ : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩].

وَرَوَىٰ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ ؓ قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الغَرقَدِ فَأَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَعَدَ وَقَعَدنَا حَولَهُ وَمَعَهُ مِخصَرَةٌ فَنَكَّسَ وَجَعَلَ يَنكُتُ بِمِخصَرَتِهِ ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنكُم مِن أَحَدٍ إِلَّا قَد كُتِبَ مَقعَدُهُ مِن الجَنَّةِ وَمَقعَدُهُ مِنَ النَّارِ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَىٰ كِتَابِنَا؟ فَقَالَ: «اعمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَن كَانَ مِن أَهلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَن كَانَ مِن أَهلِ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهلِ الشَّقَاءِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الليل:٥-٧]. [البخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٤٧)]

وَرَوَىٰ عَبدُ اللهِ بنُ مَسعُودٍ ؓ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصدُوقُ «أَنَّ خَلقَ أَحَدِكُم يَجتَمِعُ فِي بَطنِ أُمِّهِ أَربَعِينَ يَومًا نُطفَةً ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضغَةً مِثلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبعَثُ إِلَيهِ مَلَكًا بِأَربَعِ كَلِمَاتٍ: يَكتُبُ رِزقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَو سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيرُهُ إِنَّ أَحَدَكُم لَيَعمَلُ بِعَمَلِ أَهلِ الجَنَّةِ حَتَّىٰ لَا يَكُونُ بَينَهُ وَبَينَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسبِقُ عَلَيهِ الكِتَابُ فَيَعمَلُ بِعَمَلِ أَهلِ النَّارِ فَيَدخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُم لَيَعمَلُ بِعَمَلِ أَهلِ النَّارِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَينَهُ وَبَينَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسبِقُ عَلَيهِ الكِتَابُ فَيَعمَلُ بِعَمَلِ أَهلِ الجَنَّةِ فَيَدخُلُهَا». [البخاري (٦٥٩٤)، ومسلم (٢٦٤٣)]

وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ ؓ الَّذِي رَوَاهُ مُسلِمٌ فِي الصَّحِيحِ، وَأَبُو دَاوُدَ فِي السُّنَنِ، وَغَيرُهُمَا مِن الأَئِمَّةِ: أَنَّ جِبرِيلَ ؈ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَن تُؤمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَومِ الآخِرِ، وَالقَدرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: فَإِذَا فَعَلتُ ذَلِكَ فَقَد آمَنتُ؟ قَالَ: «نَعَم» [مسلم (٨) دون قوله: «فإذا فعلت ...» إلخ]، وَفِيهِ مِن الأَدِلَّةِ مَا لَو استَقصَينَاهُ لَأَدَّىٰ إِلَىٰ الإِملَالِ.

وَأَجمَعَ القَائِلُونَ بِالأَخبَارِ، وَالمُؤمِنُونَ بِالآثَارِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُسرِيَ بِهِ إِلَىٰ فَوقِ سَبعِ سَمَوَاتٍ، ثُمَّ إِلَىٰ سِدرَةِ المُنتَهَىٰ، أُسرِيَ بِهِ لَيلًا مِنَ المَسجِدِ الحَرَامِ إِلَىٰ المَسجِدِ

الأقصَىٰ، مَسجِدِ بَيتِ المَقدِسِ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ بِجَسَدِهِ وَرُوحِهِ جَمِيعًا، ثُمَّ عَادَ مِن لَيلَتِهِ إِلَىٰ مَكَّةَ قَبلَ الصُّبحِ، وَمَن قَالَ: إِنَّ الإِسرَاءَ فِي لَيلَةٍ وَالمِعرَاجَ فِي لَيلَةٍ فَقَد غَلِطَ، وَمَن قَالَ: إِنَّهُ مَنَامٌ وَأَنَّهُ لَم يُسْرَ بِجَسَدِهِ فَقَد كَفَرَ.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء:١].

وَرَوَىٰ قِصَّةَ الإِسرَاءِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَبُو ذَرٍّ، وَأَنسُ بنُ مَالِكٍ، وَمَالِكُ بنُ صَعصَعَةَ، وَجَابِرُ بنُ عَبدِ اللهِ، وَشَدَّادُ بنُ أَوسٍ، وَغَيرُهُم، كُلُّهَا صِحَاحٌ مَقبُولَةٌ مَرضِيَّةٌ عِندَ أَهلِ النَّقلِ، مُخرَجَةٌ فِي الصِّحَاحِ.

وَأَنَّهُ رَأَىٰ رَبَّهُ ﷻ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ١٣-١٤].

قَالَ الإِمَامُ أَحمَدُ فِيمَا رُوِّينَا عَنهُ: «وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَىٰ رَبَّهُ ﷻ، فَإِنَّهُ مَأثُورٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، صَحِيحٌ، رَوَاهُ قَتَادَةُ عَن عِكرِمَةَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ».

وَرَوَاهُ الحَكَمُ بنُ أَبَانَ عَن عِكرِمَةَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، وَرَوَاهُ عَلِيُّ بنُ زَيدٍ عَن يُوسُفَ بنِ مِهرَانَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ.

وَالحَدِيثُ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ كَمَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالكَلَامُ فِيهِ بِدعَةٌ، وَلَكِن نُؤمِنُ بِهِ كَمَا جَاءَ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ، وَلَا نُنَاظِرُ فِيهِ أَحَدًا.

وَرُوِيَ عَن عِكرِمَةَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «إِنَّ اللهَ ﷻ اصطَفَىٰ إِبرَاهِيمَ بِالخُلَّةِ، وَاصطَفَىٰ مُوسَىٰ بِالكَلَامِ، وَاصطَفَىٰ مُحَمَّدًا ﷺ بِالرُّؤيَةِ».

وَرَوَىٰ عَطَاءٌ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «رَأَىٰ مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ مَرَّتَينِ».

وَرُوِيَ عَن أَحمَدَ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: «بِمَ تُجِيبُ عَن قَولِ عَائِشَةَ رضي الله عنها: مَن زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا قَد رَأَىٰ رَبَّهُ ﷻ ...» الحَدِيثَ؟ قَالَ: بِقَولِ النَّبِيِّ ﷺ: «رَأَيتُ رَبِّي ﷻ».

وَفِي حَدِيثِ شَرِيكِ بنِ عَبدِ اللهِ بنِ أَبِي نَمِرٍ عَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

«فَرَجعتُ إِلَىٰ رَبِّي وَهُوَ فِي مَكَانِهِ»، وَالحَدِيثُ بِطُولِهِ مُخَرَّجَ فِي الصَّحِيحَينِ وَالمُنكِرُ لِهَذِهِ اللَّفظَةِ رَادٌّ عَلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ.

وَيعتَقِدُ أَهلُ السُّنَّةِ وَيُؤمِنُونَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَشفَعُ يَومَ القِيَامَةِ لِأَهلِ الجَمعِ كُلِّهِم شفاعةً عَامَّةً، وَيَشفَعُ فِي المُذنِبِينَ مِن أُمَّتِهِ فَيُخرِجُهُم مِن النَّارِ بَعدَمَا احتَرَقُوا.

كَمَا رَوَىٰ أَبُو هُرَيرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعوَةٌ يَدعُو بِهَا، فَأُرِيدُ إِن شَاءَ اللهُ أَن أَختَبِئَ دَعوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَومَ القِيَامَةِ» [البخاري (٧٤٧٤)، ومسلم (١٩٨)].

وَرَوَىٰ أَبُو هُرَيرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَن أَسعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَومَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «لَقَد ظَنَنتُ أَلَّا يَسأَلَنِي عَن هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنكَ لِمَا رَأَيتُ مِن حِرصِكَ عَلَىٰ الحَدِيثِ، إِنَّ أَسعَدَ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَومَ القِيَامَةِ مَن قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِن قِبَلِ نَفسِهِ». رَوَاهُ البُخَارِيُّ. [البخاري (٩٩)]

وَرَوَىٰ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ بِطُولِهِ أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ، وَعَبدُ اللهِ بنُ عَبَّاسٍ، وَعَبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، وَأَنسُ بنُ مَالِكٍ، وَحُذَيفَةُ بنُ اليَمَانِ، وَأَبُو مُوسَىٰ عَبدِ اللهِ بنِ قَيسٍ، وَأَبُو هُرَيرَةَ، وَغَيرُهُم.

ثُمَّ الإِيمَانُ بِأَنَّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حَوضًا تَرِدُهُ أُمَّتُهُ كَمَا صَحَّ عَنهُ.

وَأَنَّهُ كَمَا بَينَ عَدَنَ إِلَىٰ عَمَّانَ البَلقَاءِ.

وَرُوِيَ: «مِن مَكَّةَ إِلَىٰ بَيتِ المَقدِسِ»، وَبِأَلفَاظٍ أُخَرَ.

«مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحلَىٰ مِنَ العَسَلِ، وَأَكوَابُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ» [البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٣٠٠)]. رَوَاهُ عَبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ، وَعَبدُ اللهِ بنُ عَمرو، وَأُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وَأَبُو ذَرٍّ، وَثَوبَانُ مَولَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَبُو أُمَامَةَ البَاهِلِيُّ، وَبُرَيدَةُ الأَسلَمِيُّ.

وَالإِيمَانُ بِعَذَابِ القَبرِ حَقٌّ وَاجِبٌ، وَفَرضٌ لَازِمٌ. رَوَاهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَبُو أَيُّوبَ، وَزَيدُ بنُ ثَابِتٍ، وَأَنسُ بنُ مَالِكٍ، وَأَبُو هُرَيرَةَ، وَأَبُو بَكرَةَ، وَأَبُو رَافِعٍ، وَعُثمَانُ بنُ أَبِي العَاصِ، وَعَبدُ اللهِ بنُ عَبَّاسٍ، وَجَابِرُ بنُ عَبدِ اللهِ، وَعَائِشَةُ زَوجُ النَّبِيِّ ﷺ،

. حنها أسماءُ، وغيرُهم.

وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ بِمَسْأَلَةِ مُنكَرٍ وَنَكِيرٍ.

وَالإيمَانُ بِأَنَّ الجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخلُوقَتَانِ لَا تَفنَيَانِ أَبَدًا، خُلِقَتَا لِلبَقَاءِ لَا لِلفَنَاءِ، وَقَد صَحَّ فِي ذلكَ أَحَادِيثُ عِدَّةٌ.

وَالإِيمَان بِالمِيزَانِ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء:٤٧].

وَالإِيمَان بِأَنَّ الإِيمَانَ قَولٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنقُصُ بِالمَعصِيَةِ، قَالَ اللهُ تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة:١٢٤].

وَقَالَ ﷻ: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح:٤].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر:٣١].

وَرَوَىٰ أَبُو هُرَيرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الإِيمَانُ بِضعٌ وَسَبعُونَ -وَفِي رِوَايَةٍ: بِضعٌ وستُّونَ- شُعبَةً، وَالحَيَاءُ شُعبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ». [البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)]

وَلِمُسلِمٍ وَأَبِي دَاوُدَ: «فَأَفضَلُهَا قَولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ» [مسلم (٣٥)، وأبو داود (٤٦٧٦)].

وَالاستِثنَاءُ فِي الإِيمَانِ سُنَّةٌ مَاضِيَةٌ، فَإِذَا سُئِلَ الرَّجُلُ: أَمُؤمِنٌ أَنتَ؟ قَالَ: إِن شَاءَ اللهُ.

رُوِيَ ذَلِكَ عَن عَبدِ اللهِ بنِ مَسعُودٍ، وَعَلقَمَةَ بنِ قَيسٍ، وَالأَسوَدِ بنِ يَزِيدَ، وَأَبِي وَائِلٍ شَقِيقِ بنِ سَلَمَةَ، وَمَسرُوقِ بنِ الأَجدَعِ، وَمَنصُورِ بنِ المُعتَمِرِ، وَإِبرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ، وَمُغِيرَةَ بنِ مِقسَمٍ الضَّبِّيِّ، وَفُضَيلِ بنِ عِيَاضٍ وَغَيرِهِم.

وَهَذَا استِثنَاءٌ عَلَىٰ يَقِينٍ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح:٢٧].

وَالإِيمَانُ هُوَ الإِسلَامُ وَزِيَادَةٌ؛ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات:١٤].

وَرَوَىٰ عَبدُ اللهِ بنُ عمرَ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «بُنِيَ الإِسلَامُ عَلَىٰ

خَمسٍ: شَهَادَةِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَن مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ شَهرِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ البَيتِ» [البخاري (٨)، ومسلم (١٦)].

فَهَذِهِ حَقِيقَةُ الإِسلَامِ.

وَأَمَّا الإِيمَانُ فَحَقِيقَتُهُ مَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيرَةَ فِيمَا قَدَّمنَاهُ.

وَرَوَىٰ سَعدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ: أَعطَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَهطًا وَأَنَا جَالِسٌ، وَتَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنهُم رَجُلًا هُوَ أَعجَبُهُم إِلَيَّ فَقُمتُ فَقُلتُ: مَا لَكَ عَن فُلَانٍ، وَاللهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤمِنًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَو مُسلِمًا!»، ذَكَرَ ذَلِكَ سَعدٌ ثَلَاثًا وَأَجَابَهُ بِمِثلِ ذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ: «إِنِّي لَأُعطِي الرَّجُلَ وَغَيرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنهُ خَشيَةَ أَن يُكَبَّ فِي النَّارِ عَلَىٰ وَجهِهِ» [البخاري (٢٧)، ومسلم (١٥٠)].

قَالَ الزُّهرِيُّ: «فَنَرَىٰ أَنَّ الإِسلَامَ: الكَلِمَةُ، وَالإِيمَانَ: العَمَلُ الصَّالِحُ.

قُلنَا: فَعَلَىٰ هَذَا قَد يَخرُجُ الرَّجُلُ مِن الإِيمَانِ إِلَىٰ الإِسلَامِ، وَلَا يَخرُجُ مِن الإِسلامِ إِلَّا إِلَىٰ الكُفرِ بِاللهِ ﷻ.

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ الدَّجَّالَ خَارِجٌ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ لَا مَحَالَةَ، كَمَا أَخبَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَحَّ عَنهُ.

وَأَن عِيسَىٰ بنَ مَريَمَ ﵇ يَنزِلُ عَلَىٰ المَنَارَةِ البَيضَاءِ شَرقِيَّ دِمَشقَ، فَيَأتِيهِ وَقَد حَصَرَ المُسلِمُونَ عَلَىٰ عَقَبَةِ أَفِيقَ، فَيَهرُبُ مِنهُ، فَيَقتُلُهُ عِندَ بَابِ لُدٍّ الشَّرقِيِّ، وَلُدٌّ مِن أَرضِ فِلَسطِينَ بِالقُربِ مِن الرَّملَةِ عَلَىٰ نَحوِ مِيلَينِ مِنهَا.

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ مَلَكَ المَوتِ أُرسِلَ إِلَىٰ مُوسَىٰ ﵇ فَصَكَّهُ فَفَقَأَ عَينَهُ، كَمَا صَحَّ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ [البخاري (١٣٣٩)، ومسلم (٢٣٧٢)] لَا يُنكِرُهُ إِلَّا ضَالٌّ مُبتَدِعٌ رَادٌّ عَلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ.

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ المَوتَ يُؤتَىٰ بِهِ يَومَ القِيَامَةِ فَيُذبَحُ.

كَمَا رَوَىٰ أَبُو سَعِيدٍ الخُدرِيُّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُؤتَىٰ بِالمَوتِ كَهَيئَةِ كَبشٍ أَملَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهلَ الجَنَّةِ، فَيَشرَئِبُّونَ وَيَنظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَل تَعرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ:

الموتُ، وَكُلُّهُم قَد رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهلَ النَّارِ، فَيَشرَئِبُّونَ وَيَنظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَل تَعرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَم، هَذَا المَوتُ وَكُلُّهُم قَد رَآهُ، فَيُذبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوتَ، وَيَا أَهلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوتَ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم:٣٩]. [البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩)]

فَصْلٌ

وَنَعتَقِدُ أَنَّ مُحَمَّدًا المُصطَفَىٰ خَيرُ الخَلَائِقِ، وَأَفضَلُهُم، وَأَكرَمُهُم عَلَىٰ اللهِ ﷻ وَأَعلَاهُم دَرَجَةً، وَأَقرَبُهُم إِلَىٰ اللهِ وَسِيلَةً، بَعَثَهُ اللهُ رَحمَةً لِلعَالَمِينَ، وَخَصَّهُ بِالشَّفَاعَةِ فِي الخَلقِ أَجمَعِينَ.

رَوَىٰ جَابِرُ بنُ عَبدِ اللهِ ﵄ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُعطِيتُ خَمسًا لَم يُعطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنبِيَاءِ قَبلِي. نُصِرتُ بِالرُّعبِ مَسِيرَةَ شَهرٍ، وَجُعِلَت لِيَ الأَرضُ مَسجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِن أُمَّتِي أَدرَكَتهُ الصَّلَاةُ فَليُصَلِّ، وَأُحِلَّت لِيَ الغَنَائِمُ وَلَم تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبلِي، وَأُعطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبعَثُ إِلَىٰ قَومِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثتُ إِلَىٰ النَّاسِ عَامَّةً» [البخاري (٤٣٨)، ومسلم (٥٢١)].

وَرَوَىٰ أَبُو هُرَيرَةَ ﵁ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي دَعوَةٍ، فَرُفِعَ إِلَيهِ الذِّرَاعُ -وَكَانَت تُعجِبُهُ- فَنَهَشَ مِنهَا نَهشَةً ثُمَّ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَومَ القِيَامَةِ». وَذَكَرَ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ بِطُولِهِ. [البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤)]

وَرَوَىٰ أَنَسُ بنُ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «آتِي يَومَ القِيَامَةِ بَابَ الجَنَّةِ، فَأَستَفتِحُ، فَيَقُولُ الخَازِنُ: مَن أَنتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرتُ أَلَّا أَفتَحَ لِأَحَدٍ قَبلَكَ» رَوَاهُ مُسلِمٌ. [مسلم (١٩٧)]

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَومَ القِيَامَةِ وَلَا فَخرَ، وَأَوَّلُ مَن يَنشَقُّ عَنهُ القَبرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ». رَوَاهُ مُسلِمٌ، وَأَبُو دَاوُدَ. [مسلم (٢٢٧٨)، وأبو داود (٤٦٧٣)]

وَنعتَقِدُ أَنَّ خيرَ هَذِهِ الأُمَّةِ وَأَفضَلَهَا بَعدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ صَاحِبُهُ الأَخَصُّ، وَأَخُوهُ فِ الإِسلَامِ، وَرَفِيقُهُ فِي الهِجرَةِ وَالغَارِ أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ وَزِيرُهُ فِي حَيَاتِهِ، وَخَلِيفَتُهُ بَعدَ وَفَاتِ عَبدُ اللهِ بنُ عُثمَانَ عَتِيقُ بنُ أَبِي قُحَافَةَ.

ثُمَّ بَعدَهُ الفَارُوقُ أَبُو حفصٍ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ الَّذِي أَعَزَّ اللهُ بِهِ وَأَظهَرَ الدِّينَ.

ثُمَّ بَعدَهُ ذُو النُّورَينِ أَبُو عَبدِ اللهِ عُثمَانُ بنُ عَفَّانَ الَّذِي جَمَعَ القُرآنَ وَأَظهَرَ العَدْ وَالإِحسَانَ.

ثُمَّ ابنُ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَخَتَنُهُ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ -رِضوَانُ اللهِ عَلَيهِم-؛ فَهَؤُلا الخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ وَالأَئِمَّةُ المَهدِيُّونَ.

ثُمَّ السِّتَّةُ البَاقُونَ مِن العَشَرَةِ: طَلحَةُ بنُ عُبَيدِ اللهِ، وَالزُّبَيرُ بنُ العَوَّامِ، وَسَعدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَسَعِيدُ بنُ زَيدِ بنِ عَمرِو بنِ نُفَيلٍ، وَعَبدُ الرَّحمَنِ بنُ عَوفٍ، وَأَبُو عُبَيدَةَ بنُ الجَرَّاحِ -رِضوَانَ الله عَلَيهِم-.

فَهَؤُلَاءِ العَشَرَةُ الكِرَامُ البَرَرَةُ الَّذِينَ شَهِدَ لَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالجَنَّةِ، فَنَشهَدُ لَهُم بِهَا كَمَا شَهِدَ لَهُم بِهَا اتِّبَاعًا لِقَولِهِ وَامتِثَالًا لِأَمرِهِ.

وَقَد شَهِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِثَابِتِ بنِ قَيسٍ، وَعَبدِ اللهِ بنِ سَلَامٍ، وَلِبِلَالِ بنِ رَبَاحٍ، وَلِجَمَاعَةٍ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ مِن أَصحَابِهِ.

وَبَشَّر خَدِيجَةَ بِبَيتٍ مِن قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ.

وَأَخبَرَ أَنَّهُ رَأَىٰ الرُّمَيصَاءَ بِنْتَ مِلحَانَ فِي الجَنَّةِ.

فَكُلُّ مَن شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالجَنَّةِ شَهِدنَا لَهُ، وَلَا نَشهَدُ لِأَحَدٍ غَيرِهِم، بَل نَرجُو لِلمُحسِنِ، وَنَخَافُ عَلَىٰ المُسِيءِ، وَنَكِلُ عِلمَ الخَلقِ إِلَىٰ خَالِقِهِم.

فَالزَم -رَحِمَكَ اللهُ- مَا ذَكَرتُ لَكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ العَزِيزِ، وَكَلَامِ نَبِيِّكَ الكَرِيمِ، وَلَا تَحِدْ عَنهُ، وَلَا تَبتَغِ الهُدَىٰ فِي غَيرِهِ، وَلَا تَغتَرَّ بِزَخَارِفِ المُبطِلِينَ، وَآرَاءِ المُتَكَلِّفِينَ، فَإِن الرُّشدَ وَالهُدَىٰ وَالفَوزَ وَالرِّضَا فِيمَا جَاءَ مِن عِندِ اللهِ وَرَسُولِهِ، لَا فِيمَا أَحدَثَهُ المُحدِثُونَ، وَأَتَىٰ بِهِ

ـتنطّعُونَ مِن آرَائِهِمُ المُضمَحِلَّةِ، وَنَتَائِجِ عُقُولِهِمُ الفَاسِدَةِ، وَارضَ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ ـيهِ، عِوَضًا مِن قَولِ كُلِّ قَائِلٍ، وَزُخرُفٍ وَبَاطِلٍ.

رَوَىٰ جَابِرُ بنُ عَبدِ اللهِ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي خُطبَتِهِ: «نَحمَدُ اللهَ ـعـى وَنُثنِي عَلَيهِ بِمَا هُوَ أَهلُهُ»، ثُمَّ يَقُولُ: «مَن يَهدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِلِ اللهُ فَلَا ـهـِيَ لَهُ، إِنَّ أَصدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحسَنَ الهَديِ هَديُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ ـحدثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ». ثُمَّ يَقُولُ: «بُعِثتُ ـ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَينِ».

وَكَانَ إِذَا ذَكَرَ السَّاعَةَ احمَرَّت وَجنَتَاهُ، وَعَلَا صَوتُهُ، وَاشتَدَّ غَضَبُهُ كَأَنَّهُ مُنذِرُ جَيشٍ: ـصبَّحَكُم مَسَّاكُم»، ثُمَّ قَالَ: «مَن تَرَكَ مَالًا فَلِأَهلِهِ، وَمَن تَرَكَ دَينًا أَو ضَيَاعًا فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ وَأَنَا ـعِيُّ المُؤمِنِينَ» رَوَاهُ مُسلِمٌ، وَالنَّسَائِيُّ، وَلَم يَذكُر مُسلِمٌ: «وَكُل ضَلَالَة فِي النَّارِ». [مسلم ٨٠٠)، والنسائي (١٥٧٨)]

وَرَوَىٰ زَيدُ بنُ أَرقَمَ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطِيبًا فَحَمِدَ اللهَ وَأَثنَىٰ عَلَيهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثلُكُم يُوشِكُ أَن يَأتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي ﷻ ـأُجِيبَهُ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَينِ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ، فِيهِ الهُدَىٰ وَالنُّورُ، مَن استَمسَكَ بِهِ ـأَخَذَ بِهِ كَانَ عَلَىٰ الهُدَىٰ، وَمَن تَرَكَهُ وَأَخطَأَهُ كَانَ عَلَىٰ الضَّلَالَةِ، وَأَهلُ بَيتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ ـي أَهلِ بَيتِيَ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. رَوَاهُ مُسلِمٌ. [مسلم (٢٤٠٨)]

وَرَوَىٰ العِربَاضُ بنُ سَارِيَةَ السُّلَمِيُّ ﷺ قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوعِظَةً بَلِيغَةً، ـذرَفَت مِنهَا الأَعيُنُ، وَوَجِلَت مِنهَا القُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوعِظَةُ مُوَدِّعٍ ـمَاذَا تَعهَدُ إِلَينَا؟ قَالَ: «أُوصِيكُم بِتَقوَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ وَالسَّمعِ وَالطَّاعَةِ وَإِن كَانَ عَبدًا حَبَشِيًّا، ـإِنَّهُ مَن يَعِش مِنكُم بَعدِي فَسَيَرَىٰ اختِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ـالمَهدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُم وَمُحدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيُّ، وَقَالَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ. [الصحيحة (٢٧٣٥)]

وَرَوَاهُ ابنُ مَاجَه وَفِيهِ: «وَقَد تَرَكتُكُم عَلَىٰ البَيضَاءِ لَيلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنهَا بَعدِي إِلَّا هَالِكٌ». [الصحيحة (٩٣٧)]

وَرَوَىٰ أَبُو الدَّردَاءِ قَالَ: خَرَجَ عَلَينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحنُ نَذكُرُ الفَقرَ وَنَتَخَوَّفُهُ فَقَالَ: «آلفَقرَ تَخَافُونَ؟ وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَتُصَبَّنَّ الدُّنيَا عَلَيكُم حَتَّىٰ لَا يُزِيغَ قَلبَ أَحَدِكُم إِن أَزَاغَهُ إِلَّا هِيَه، وَايمُ اللهِ قَد تَرَكتُكُم عَلَىٰ البَيضَاءِ لَيلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ». قَالَ أَبُو الدَّردَاءِ: صَدَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، تَرَكنَا عَلَىٰ مِثلِ البَيضَاءِ لَيلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ. رَوَاهُ ابنُ مَاجَه. [الصحيحة (٦٨٨)]

وَرَوَىٰ أَبُو هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي قَد خَلَّفتُ فِيكُم مَا لَن تَضِلُّوا بَعدَهُمَا مَا أَخَذتُم بِهِمَا، أَو عَمِلتُم بِهِمَا، كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَن يَفتَرِقَا حَتَّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الحَوضَ». رَوَاهُ أَبُو القَاسِمِ الطَّبَرِيُّ الحَافِظُ فِي «السُّنَنِ». [صحيح الجامع (٣٢٣٢)]

وَقَالَ أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ فِي خُطبَتِهِ: «إِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ وَلَستُ بِمُبتَدِعٍ».

وَقَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ ﷺ: «قَد فُرِضَت لَكُم الفَرَائِضُ، وَسُنَّت لَكُم السُّنَنُ، وَتُرِكتُم عَلَىٰ الوَاضِحَةِ إِلَّا أَن تَضِلُّوا بِالنَّاسِ يَمِينًا وَشِمَالًا».

وَقَالَ عَبدُ اللهِ بنِ مَسعُودٍ ﷺ: «إِنَّا نَقتَدِي وَلَا نَبتَدِي، وَنَتَّبِعُ وَلَا نَبتَدِعُ، وَلَن نَضِلَّ مَا تَمَسَّكنَا بِالأَثَرِ».

وَرَوَىٰ الأَوزَاعِيُّ عَن الزُّهرِيِّ أَنَّهُ رَوَىٰ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يَزنِي الزَّانِي حِينَ يَزنِي وَهُوَ مُؤمِنٌ» فَسَأَلتُ الزُّهرِيَّ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ: مِنَ اللهِ العِلمُ، وَعَلَىٰ الرَّسُولِ البَلَاغُ، وَعَلَينَا التَّسلِيمُ، أَمِرُّوا أَحَادِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَمَا جَاءَت. وَفِي رِوَايَةٍ: فَإِنَّ أَصحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَمَرُّوهَا.

وَقَالَ عُمَرُ بنُ عَبدِ العَزِيزِ ﷺ: «سَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَوُلَاةُ الأَمرِ بَعدَهُ سُنَنًا، الأَخذُ بِهَا تَصدِيقٌ لِكِتَابِ اللهِ، وَاستِكمَالٌ لِطَاعَتِهِ، وَقُوَّةٌ عَلَىٰ دِينِ اللهِ، لَيسَ لِأَحَدٍ تَغيِيرُهَا وَلَا تَبدِيلُهَا، وَلَا النَّظَرُ فِي رَأيِ مِن خَالَفَهَا، فَمَن اقتَدَىٰ بِمَا سَنُّوا اهتَدَىٰ، وَمَن استَبصَرَ بِهَا بَصَرَ، وَمَن

ـ ـعَهَا وَاتَّبَعَ غَيرَ سَبِيلِ المُؤمِنِينَ وَلَّاهُ اللهُ مَا تَوَلَّىٰ وَأَصلَاهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَت مَصِيرًا».

وَقَالَ الأَوزَاعِيُّ: «اصبِر عَلَىٰ السُّنَّةِ، وَقِف حَيثُ وَقَفَ القَومُ، وَقُل فِيمَا قَالُوا، وَكُفَّ عَمَّ كَفُّوا، وَاسلُك سَبِيلَ سَلَفِكَ الصَّالِحِ، فَإِنَّهُ يَسَعُكَ مَا وَسِعَهُم».

وَقَالَ نُعَيمُ بنُ حَمَّادٍ: «مَن شَبَّهَ اللهَ بِخَلقِهِ فَقَد كَفَرَ، وَمَن أَنكَرَ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفسَهُ فَقَد كَفَرَ، وَلَيسَ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفسَهُ تَشبِيهًا».

وَقَالَ سُفيَانُ بنُ عُيَينَةَ: «كُلُّ شَيءٍ وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفسَهُ فِي القُرآنِ فَقِرَاءَتُهُ تَفسِيرُهُ، لَا كَيفَ وَلَا مِثلَ».

وَقَالَ أَبُو بَكرٍ المَرُّوذِيُّ: «سَأَلتُ أَحمَدَ بنَ حَنبَلٍ عَنِ الأَحَادِيثِ الَّتِي تَرُدُّهَا الجَهمِيَّةُ فِي الصِّفَاتِ وَالرُّؤيَةِ، وَالإِسرَاءِ، وَقِصَّةِ العَرشِ، فَصَحَّحَهُ أَبُو عَبدِ اللهِ وَقَالَ: تَلَقَّتهَا العُلَمَاءُ بِالقَبُولِ، نُمِرُّ الأَخبَارَ كَمَا جَاءَت».

وَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ الحَسَنِ الشَّيبَانِيُّ -صَاحِبُ أَبِي حَنِيفَةَ-: «اتَّفَقَ الفُقَهَاءُ كُلُّهُم مِنَ المَشرِقِ إِلَىٰ الغَربِ عَلَىٰ الإِيمَانِ بِالقُرآنِ وَالأَحَادِيثِ الَّتِي جَاءَت بِهَا الثِّقَاتُ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي صِفَةِ الرَّبِّ ﷻ، مِن غَيرِ تَفسِيرٍ وَلَا تَشبِيهٍ، فَمَن فَسَّرَ اليَومَ شَيئًا مِن ذَلِكَ فَقَد خَرَجَ مِمَّا كَانَ عَلَيهِ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصحَابُهُ، فَإِنَّهُم لَم يُفَسِّرُوا، وَلَكِن أَفتَوا بِمَا فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ثُمَّ سَكَتُوا، فَمَن قَالَ بِقَولِ جَهمٍ فَقَد فَارَقَ الجَمَاعَةَ؛ لِأَنَّهُ وَصَفَهُ بِصِفَةِ لَا شَيءَ».

وَقَالَ عَبَّادُ بنُ العَوَّامِ: «قَدِمَ عَلَينَا شَرِيكُ بنُ عَبدِ اللهِ فَقُلنَا: إِنَّ قَومًا يُنكِرُونَ هَذِهِ الأَحَادِيثَ: «إِنَّ اللهَ يَنزِلُ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنيَا» وَالرُّؤيَةَ وَمَا أَشبَهَ هَذِهِ الأَحَادِيثَ فَقَالَ: إِنَّمَا جَاءَ بِهَذِهِ الأَحَادِيثِ مَن جَاءَ بِالسُّنَنِ فِي الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَإِنَّمَا عَرَفنَا اللهَ بِهَذِهِ الأَحَادِيثِ».

فَهَذِهِ جُملَةٌ مُختَصَرَةٌ مِنَ القُرآنِ، وَالسُّنَّةِ، وَآثَارٍ مِن سَلَفٍ فَالزَمهَا، وَمَا كَانَ مِثلَهَا مِمَّا صَحَّ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَصَالِحِ سَلَفِ الأُمَّةِ مِمَّن حَصَلَ الاتِّفَاقُ عَلَيهِ مِن خِيَارِ الأُمَّةِ، وَدَعْ أَقوَالَ مَن كَانَ عِندَهُم مَحقُورًا مَهجُورًا، مُبعَدًا مَدحُورًا، وَمَذمُومًا ملُومًا، وَإِنِ اغتَرَّ كَثِيرٌ مِنَ

المُتَأَخِّرِينَ بِأَقوَالِهِم وَجَنَحُوا إِلَىٰ اتِّبَاعِهِم، فَلَا تَغتَرَّ بِكَثرَةِ أَهلِ البَاطِلِ.

فَقَد رُوِيَ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «بَدَأَ الإِسلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَىٰ لِلغُرَبَاءِ». رَوَاهُ مُسلِمٌ وَغَيرُهُ. [مسلم (١٤٥)]

وَرُوِيَ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «سَتَفتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبعِينَ فِرقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً». وَفِي رِوَايَةٍ: قِيلَ: فَمَنِ النَّاجِيَةُ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيهِ وَأَصحَابِي». رَوَاهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الأَئِمَّةِ. [صحيح الجامع (٥٣٤٣)]

وَاعلَم -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّ الإِسلَامَ وَأَهلَهُ أُتُوا مِن طَوَائِفَ ثَلَاثٍ:

- فَطَائِفَةٌ رَدَّت أَحَادِيثَ الصِّفَاتِ وَكَذَّبُوا رُوَاتَهَا، فَهَؤُلَاءِ أَشَدُّ ضَرَرًا عَلَىٰ الإِسلَامِ وَأَهلِهِ مِنَ الكُفَّارِ.

- وَأُخرَىٰ قَالُوا بِصِحَّتِهَا وَقَبُولِهَا، ثُمَّ تَأَوَّلُوهَا، فَهَؤُلَاءِ أَعظَمُ ضَرَرًا مِنَ الطَّائِفَةِ الأُولَىٰ.

- وَالثَّالِثَةُ: جَانَبُوا القَولَينِ الأَوَّلَينِ، وَأَخَذُوا -بِزَعمِهِم- يُنَزِّهُونَ وَهُم يُكَذِّبُونَ، فَأَدَّاهُم ذَلِكَ إِلَىٰ القَولَينِ الأَوَّلَينِ، وَكَانُوا أَعظَمَ ضَرَرًا مِنَ الطَّائِفَتَينِ الأُولَتَينِ.

فَمِنَ السُّنَّةِ اللَّازِمَةِ: السُّكُوتُ عَمَّا لَم يَرِد فِيهِ نَصٌّ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ، أَو يَتَّفِقُ المُسلِمُونَ عَلَىٰ إِطلَاقِهِ، وَتَركُ التَّعَرُّضِ لَهُ بِنَفيٍ أَو إِثبَاتٍ، فَكَمَا لَا يَثبُتُ إِلَّا بِنَصٍّ شَرعِيٍّ، كَذَلِكَ لَا يُنفَىٰ إِلَّا بِدَلِيلٍ سَمعِيٍّ.

نَسأَلُ اللهَ سُبحَانَهُ أَن يُوَفِّقَنَا لِمَا يُرضِيهِ مِنَ القَولِ وَالعَمَلِ وَالنِّيَّةِ، وَأَن يُحيِيَنَا عَلَىٰ الطَّرِيقَةِ الَّتِي يَرضَاهَا، وَيَتَوَفَّانَا عَلَيهَا، وَأَن يُلحِقَنَا بِنَبِيِّهِ وَخِيرَتِهِ مِن خَلقِهِ مُحَمَّدٍ المُصطَفَىٰ وَآلِهِ وَصَحبِهِ، وَيَجمَعَنَا مَعَهُم فِي دَارِ كَرَامَتِهِ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ.

وَكُلُّ حَدِيثٍ لَم نُضِفهُ إِلَىٰ مَن أَخرَجَهُ فَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيهِ أَخرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسلِمٌ فِي صَحِيحَيهِمَا.

آخِرُهُ، وَالحَمدُ للهِ وَحدَهُ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّمَ تَسلِيمًا كَثِيرًا.

(١١) نَوَاقِضُ الإِسلامِ

قَالَ الشَّيخُ الإِمَامُ مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ الوَهَّابِ -رَحِمَهُ الله تَعَالَىٰ-:

اعلَم أَنَّ نَوَاقِضَ الإِسلَامِ عَشَرَةُ نَوَاقِضَ:

الأَوَّلُ: الشِّركُ فِي عِبَادَةِ الله تَعَالَىٰ.

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ١١٦]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة:٧٢].

وَمِنهُ: الذَّبحُ لِغَيرِ الله؛ كَمَن يَذبَحُ لِلجِنِّ أَو لِلقَبرِ.

الثَّانِي: مَن جَعَلَ بَينَهُ وَبَينَ الله وَسَائِطَ يَدعُوهُم وَيَسأَلُهُم وَيَتَوَكَّلُ عَلَيهِم؛ كَفَرَ إِجمَاعًا.

الثَّالِثُ: مَن لَم يُكَفِّرِ المُشرِكِينَ أَو شَكَّ فِي كُفرِهِم أَو صَحَّحَ مَذهَبَهُم كَفَرَ.

الرَّابِعُ: مَنِ اعتَقَدَ أَنَّ غَيرَ هَديِ النَّبِيِّ ﷺ أَكمَلُ مِن هَديِهِ، أَو أَنَّ حُكمَ غَيرِهِ أَحسَنُ مِن حُكمِهِ، كَالَّذِي يُفَضِّلُ حُكمَ الطَّوَاغِيتِ عَلَىٰ حُكمِهِ؛ فَهُوَ كَافِرٌ.

الخَامِسُ: مَن أَبغَضَ شَيئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَلَو عَمِلَ بِهِ كَفَرَ.

السَّادِسُ: مَنِ استَهزَأَ بِشَيءٍ مِن دِينِ الرَّسُولِ أَو ثَوَابِ الله أَو عِقَابِهِ كَفَرَ.

وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

السَّابِعُ: السِّحرُ: وَمِنهُ الصَّرفُ وَالعَطفُ، فَمَن فَعَلَهُ أَو رَضِيَ بِهِ كَفَرَ.

وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الثَّامِنُ: مُظَاهَرَةُ المُشرِكِينَ وَمُعَاوَنَتُهُم عَلَىٰ المُسلِمِينَ.

وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١].

التَّاسِعُ: مَنِ اعتَقَدَ أَنَّ بَعضَ النَّاسِ يَسَعُهُ الخُرُوجُ عَن شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَمَا وَسِعَ الخَضِرَ الخُرُوجُ عَن شَرِيعَةِ مُوسَىٰ عليه السلام فَهُوَ كَافِرٌ.

العَاشِرُ: الإِعرَاضُ عَن دِينِ الله تَعَالَىٰ؛ لَا يَتَعَلَّمُهُ وَلَا يَعمَلُ بِهِ.

وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢].

وَلَا فَرقَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ النَّوَاقِضِ بَينَ الهَازِلِ وَالجَادِّ وَالخَائِفِ إِلَّا المُكرَهَ.

وَكُلُّهَا مِن أَعظَمِ مَا يَكُونُ خَطَرًا، وَمِن أَكثَرِ مَا يَكُونُ وُقُوعًا، فَيَنبَغِي لِلمُسلِمِ أَن يَحذَرَهَا وَيَخَافَ مِنهَا عَلَىٰ نَفسِهِ.

نَعُوذُ بِالله مِن مُوجِبَاتِ غَضَبِهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ.

وَصَلَّىٰ الله عَلَىٰ خَيرِ خَلقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّمَ.

❊ ❊ ❊

(١٢) كتاب التوحيد

وَقَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦].

وَقَولِهِ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ الآية [النحل: ٣٦].

وَقَولِهِ: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ الآيَة [الإسراء:٢٣].

وَقَولِهِ: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ الآيَة [النساء: ٣٦].

وَقَولِهِ: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ الآيَات [الأنعام:١٥١].

قَالَ ابنُ مَسعُودٍ ﷺ: مَن أَرَادَ أَن يَنظُرَ إِلَىٰ وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّتِي عَلَيهَا خَاتَمُهُ فَليَقرَأ قَولَهُ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ إِلَىٰ قَولِهِ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥١ - ١٥٣].

وَعَن مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ ﷺ قَالَ: كُنتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ حِمَارٍ فَقَالَ لِي: «يَا مُعَاذُ، أَتَدرِي مَا حَقُّ الله عَلَىٰ العِبَادِ وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَىٰ الله؟

قُلتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعلَمُ.

قَالَ: حَقُّ الله عَلَىٰ العِبَادِ أَن يَعبُدُوهُ وَلَا يُشرِكُوا بِهِ شَيئًا، وَحَقُّ العِبَادِ عَلَىٰ الله أَلَّا يُعَذِّبَ مَن لَا يُشرِكُ بِهِ شَيئًا.

قُلتُ: يَا رَسُول الله، أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟

قَالَ: لَا تُبَشِّرهُم فَيَتَّكِلُوا». أَخرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَينِ. [البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: الحِكمَةُ فِي خَلقِ الجِنِّ وَالإِنسِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ العِبَادَةَ هِيَ التَّوحِيدُ؛ لأَنَّ الخُصُومَةَ فِيهِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَن لَم يَأتِ بِهِ لَم يَعبُدِ الله، فَفِيهِ مَعنَىٰ قَولِهِ: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣].

الرَّابِعَةُ: الحِكمَةُ فِي إِرسَالِ الرُّسُلِ.

الخَامِسَةُ: أَنَّ الرِّسَالَةَ عَمَّت كُلَّ أُمَّةٍ.

السَّادِسَةُ: أَنَّ دِينَ الأَنبِيَاءِ وَاحِدٌ.

السَّابِعَةُ: المَسأَلَةُ الكَبِيرَةُ: أَنَّ عِبَادَةَ الله لَا تَحصُلُ إِلَّا بِالكُفرِ بِالطَّاغُوتِ، فَفِيهِ مَعنَىٰ قَولِهِ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ الآيَة [البقرة: ٢٥٦].

الثَّامِنَةُ: أَنَّ الطَّاغُوتَ عَامٌّ فِي كُلِّ مَا عُبِدَ مِن دُونِ الله.

التَّاسِعَةُ: عِظَمُ شَأنِ ثَلَاثِ الآيَاتِ المُحكَمَاتِ فِي سُورَةِ الأَنعَامِ عِندَ السَّلَفِ، وَفِيهَا عَشرُ مَسَائِلَ، أَوَّلُهَا: النَّهيُ عَنِ الشِّركِ.

العَاشِرَةُ: الآيَاتُ المُحكَمَاتُ فِي سُورَةِ الإِسرَاءِ، وَفِيهَا ثَمَانِي عَشرَةَ مَسأَلَةً بَدَأَهَا الله بِقَولِهِ: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢]. وَخَتَمَهَا بِقَولِهِ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩].

وَنَبَّهَنَا الله سُبحَانَهُ عَلَىٰ عِظَمِ شَأنِ هَذِهِ المَسَائِلِ بِقَولِهِ: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء: ٣٩].

الحَادِيَةَ عَشرَةَ: آيَةُ سُورَةِ النِّسَاءِ الَّتِي تُسَمَّىٰ آيَةَ الحُقُوقِ العَشرَةِ بَدَأَهَا الله تَعَالَىٰ بِقَولِهِ: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

الثَّانِيَةَ عَشرَةَ: التَّنبِيهُ عَلَىٰ وَصِيَّةِ رَسُولِ الله ﷺ عِندَ مَوتِهِ.

الثَّالِثَةَ عَشرَةَ: مَعرِفَةُ حَقِّ الله عَلَينَا.

الرَّابِعَةَ عَشرَةَ: مَعرِفَةُ حَقِّ العِبَادِ عَلَيهِ إذَا أَدَّوا حَقَّهُ.

الخَامِسَةَ عَشرَةَ: أَنَّ هَذِهِ المَسأَلَةَ لَا يَعرِفُهَا أَكثَرُ الصَّحَابَةِ.

السَّادِسَةَ عَشرَةَ: جَوَازُ كِتمَانِ العِلمِ لِلمَصلَحَةِ.

السَّابِعَةَ عَشرَةَ: استِحبَابُ بِشَارَةِ المُسلِمِ بِمَا يَسُرُّهُ.

الثَّامِنَةَ عَشرَةَ: الخَوفُ مِنَ الاتِّكَالِ عَلَىٰ سَعَةِ رَحمَةِ الله.

التَّاسِعَةَ عَشرَةَ: قَولُ المَسئُولِ عَمَّا لَا يَعلَمُ: الله وَرَسُولُهُ أَعلَمُ.

العِشرُونَ: جَوَازُ تَخصِيصِ بَعضِ النَّاسِ بِالعِلمِ دُونَ بَعضٍ.

الحَادِيَةُ وَالعِشرُونَ: تَوَاضُعُهُ ﷺ لِرُكُوبِ الحِمَارِ مَعَ الإِردَافِ عَلَيهِ.

الثَّانِيَةُ وَالعِشرُونَ: جَوَازُ الإِردَافِ عَلَىٰ الدَّابَّةِ.

الثَّالِثَةُ وَالعِشرُونَ: فَضِيلَةُ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ.

الرَّابِعَةُ وَالعِشرُونَ: عِظَمُ شَأنِ هَذِهِ المَسأَلَةِ.

بَابُ فَضلِ التَّوحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ

وَقَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ الآيَة [الأنعام: ٨٢].

عَن عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَن شَهِدَ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبدُ الله وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلقَاهَا إِلَىٰ مَريَمَ وَرُوحٌ مِنهُ، وَالجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ، أَدخَلَهُ الله الجَنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ» أخرَجَاهُ. [البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨)].

وَلَهُمَا فِي حَدِيثِ عِتبَانَ: «فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَن قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، يَبتَغِي بِذَلِكَ وَجهَ الله». [البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣)].

وَعَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ ﷺ، عَن رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «قَالَ مُوسَىٰ ﷺ: يَا رَبِّ، عَلِّمنِي شَيئًا أَذكُرُكَ وَأَدعُوكَ بِهِ، قَالَ: قُل يَا مُوسَىٰ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، قَالَ: يَا رَبِّ، كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُون هَذَا.

قَالَ: يَا مُوسَىٰ، لَو أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبعَ وَعَامِرَهُنَّ -غَيرِي- وَالأَرَضِينَ السَّبعَ فِي كِفَّةٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله فِي كِفَّةٍ؛ مَالَت بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا الله». رَوَاهُ ابنُ حِبَّانَ وَالحَاكِمُ وَصَحَّحهُ. [ضعيف الترغيب (٩٢٣)].

وَلِلتِّرمِذِيِّ وَحَسَّنَهُ عَن أَنَسٍ: سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «قَالَ الله تَعَالَىٰ: يَا ابنَ آدَمَ، لَو أَتَيتَنِي بِقُرَابِ الأَرضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشرِكُ بِي شَيئًا، لأَتَيتُكَ بِقُرَابِهَا مَغفِرَةً». [صحيح الجامع (٤٣٣٨)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: سَعَةُ فَضلِ الله.

الثَّانِيَةُ: كَثرَةُ ثَوَابِ التَّوحِيدِ عِندَ الله.

الثَّالِثَةُ: تَكفِيرُهُ مَعَ ذَلِكَ لِلذُّنُوبِ.

الرَّابِعَةُ: تَفسِيرُ الآيَةِ (٨٣) الَّتِي فِي سُورَةِ الأَنعَامِ.

الخَامِسَةُ: تَأَمُّلُ الخَمسِ اللَّوَاتِي فِي حَدِيثِ عُبَادَةَ.

السَّادِسَةُ: أَنَّكَ إِذَا جَمَعتَ بَينَهُ وَبَينَ حَدِيثِ عِتبَانَ وَمَا بَعدَهُ تَبَيَّنَ لَكَ مَعنَىٰ قَولِ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَتَبَيَّنَ لَكَ خَطَأُ المَغرُورِينَ.

السَّابِعَةُ: التَّنبِيهُ لِلشَّرطِ الَّذِي فِي حَدِيثِ عِتبَانَ.

الثَّامِنَةُ: كَونُ الأَنبِيَاءِ يَحتَاجُونَ لِلتَّنبِيهِ عَلَىٰ فَضلِ لَا إِلَهَ إِلَّا الله.

التَّاسِعَةُ: التَّنبِيهُ لِرُجحَانِهَا بِجَمِيعِ المَخلُوقَاتِ، مَعَ أَنَّ كَثِيرًا مِمَّن يَقُولُهَا يَخِفُّ مِيزَانُهُ.

العَاشِرَةُ: النَّصُّ عَلَىٰ أَنَّ الأَرَضِينَ سَبعٌ كَالسَّمَوَاتِ.

الحَادِيَةَ عَشرَةَ: أَنَّ لَهُنَّ عُمَّارًا.

الثَّانِيَةَ عَشرَةَ: إثبَاتُ الصِّفَاتِ خِلَافًا للأَشعَرِيَّةِ.

الثَّالِثَةَ عَشرَةَ: أَنَّكَ إِذَا عَرَفتَ حَدِيثَ أَنَسٍ عَرَفتَ أَنَّ قَولَهُ فِي حَدِيثِ عِتبَانَ: «فَإِنَّ الله حرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَن قَالَ: لَا إِلَه إِلَّا الله، يَبتَغِي بِذَلِكَ وَجهَ الله» أَنَّهُ تَركُ الشِّركِ لَيسَ قَولَهَا بِاللِّسَانِ.

الرَّابِعَةَ عَشرَةَ: تَأَمُّلُ الجَمعِ بَينَ كَونِ عِيسَىٰ وَمُحَمَّدٍ عَبدَي اللهِ وَرَسُولَيهِ.

الخَامِسَةَ عَشرَةَ: مَعرِفَةُ اختِصَاصِ عِيسَىٰ بِكونِهِ كَلِمَةَ الله.

السَّادِسَةَ عَشرَةَ: مَعرِفَةُ كَونِهِ رُوحًا مِنهُ.

السَّابِعَةَ عَشرَةَ: مَعرِفَةُ فَضلِ الإِيمَانِ بِالجَنَّةِ وَالنَّارِ.

الثَّامِنَةَ عَشرَةَ: مَعرِفَةُ قَولِهِ: «عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ».

التَّاسِعَةَ عَشرَةَ: مَعرِفَةُ أَنَّ المِيزَانَ لَهُ كِفَّتَانِ.

العِشرُونَ: مَعرِفَةُ ذِكرِ الوَجهِ.

بَابُ: مَن حَقَّقَ التَّوحِيدَ دَخَلَ الجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ

وَقَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٠].

وَقَالَ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٩].

عَن حُصَينِ بنِ عَبدِ الرَّحمَنِ قَالَ: كُنتُ عِندَ سَعِيدِ بنِ جُبَيرٍ فَقَالَ: «أَيُّكُم رَأَىٰ الكَوكَبَ الَّذِي انقَضَّ البَارِحَةَ؟ فَقُلتُ: أَنَا. ثُمَّ قُلتُ: أَمَا إِنِّي لَم أَكُن فِي صَلَاةٍ وَلَكِنِّي لُدِغتُ. قَالَ: فَمَا صَنَعتَ؟ قُلتُ: ارتَقَيتُ. قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَىٰ ذَلِكَ؟ قُلتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعبِيُّ، قَالَ: وَمَا حَدَّثَكُم؟ قُلتُ: حَدَّثَنَا عَن بُرَيدَةَ بنِ الحُصَيبِ أَنَّهُ قَالَ: لَا رُقيَةَ إِلَّا مِن عَينٍ أَو حُمَةٍ.

قَالَ: قَد أَحسَنَ مَنِ انتَهَىٰ إِلَىٰ مَا سَمِعَ. وَلَكِن حَدَّثَنَا ابنُ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: عُرِضَت عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرَأَيتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ وَلَيسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنتُ أَنَّهُم أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَىٰ وَقَومُهُ،

فَنَظَرتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُم سَبعُونَ أَلفًا يَدخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ.

ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنزِلَهُ، فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ، فَقَالَ بَعضُهُم: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَقَالَ بَعضُهُم: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسلَامِ فَلَم يُشرِكُوا بِالله شَيئًا، وَذَكَرُوا أَشيَاءَ.

فَخَرَجَ عَلَيهِم رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَخبَرُوهُ، فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَستَرقُونَ وَلَا يَكتَوُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَىٰ رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ.

فَقَامَ عُكَّاشَةُ بنُ مِحصَنٍ فَقَالَ: ادعُ الله أَن يَجعَلَنِي مِنهُم، قَالَ: أَنتَ مِنهُم.

ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: ادعُ الله أَن يَجعَلَنِي مِنهُم، فَقَالَ: سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ». [البخاري (٥٧٥٢)، ومسلم (٢٢٠)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: مَعرِفَةُ مَرَاتِبِ النَّاسِ فِي التَّوحِيدِ.

الثَّانِيَةُ: مَا مَعنَىٰ تَحقِيقِهِ.

الثَّالِثَةُ: ثَنَاؤُهُ سُبحَانَهُ عَلَىٰ إِبرَاهِيمَ بِكَونِهِ لَم يَكُ مِنَ المُشرِكِينَ.

الرَّابِعَةُ: ثَنَاؤُهُ عَلَىٰ سَادَاتِ الأَولِيَاءِ بِسَلَامَتِهِم مِنَ الشِّركِ.

الخَامِسَةُ: كَونُ تَركِ الرُّقيَةِ وَالكَيِّ مِن تَحقِيقِ التَّوحِيدِ.

السَّادِسَةُ: كَونُ الجَامِعِ لِتِلكَ الخِصَالِ هُوَ التَّوَكُّلُ.

السَّابِعةُ: عُمقُ عِلمِ الصَّحَابَةِ بِمَعرِفَتِهِم أَنَّهُم لَم يَنَالُوا ذَلِكَ إِلَّا بِعَمَلٍ.

الثَّامِنَةُ: حِرصُهُم عَلَىٰ الخَيرِ.

التَّاسِعَةُ: فَضِيلَةُ هَذِهِ الأُمَّةِ بِالكَمِّيَّةِ وَالكَيفِيَّةِ.

العَاشِرَةُ: فَضِيلَةُ أَصحَابِ مُوسَىٰ.

الحَادِيَةَ عَشرَةَ: عَرضُ الأُمَمِ عَلَيهِ -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

الثَّانِيَةَ عَشرَةَ: أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ تُحشَرُ وَحدَهَا مَعَ نَبِيِّهَا.

الثَّالِثَةَ عَشرَةَ: قِلَّةُ مَن استَجَابَ لِلأَنبِيَاءِ.

الرَّابِعَةَ عَشرَةَ: أَنَّ مَن لَم يُجِبهُ أَحَدٌ يَأتِي وَحدَهُ.

الخَامِسَةَ عَشرَةَ: ثَمَرَةُ هَذَا العِلمِ، وَهُوَ عَدَمُ الاغتِرَارِ بِالكَثرَةِ وَعَدَمِ الزُّهدِ فِي القِلَّةِ.

السَّادِسَةَ عَشرَةَ: الرُّخصَةُ فِي الرُّقيَةِ مِنَ العَينِ وَالحُمَةِ.

السَّابِعَةَ عَشرَةَ: عُمقُ عِلمِ السَّلَفِ لِقَولِهِ: قَد أَحسَنَ مَنِ انتَهَىٰ إِلَىٰ مَا سَمِعَ، وَلَكِن كَذَا وَكَذَا. فَعُلِمَ أَنَّ الحَدِيثَ الأَوَّلَ لَا يُخَالِفُ الثَّانِيَ.

الثَّامِنَةَ عَشرَةَ: بُعدُ السَّلَفِ عَن مَدحِ الإِنسَانِ بِمَا لَيسَ فِيهِ.

التَّاسِعَةَ عَشرَةَ: قَولُهُ: «أَنتَ مِنهُم» عَلَمٌ مِن أَعلَامِ النُّبُوَّةِ.

العِشرُونَ: فَضِيلَةُ عُكَّاشَةَ.

الحَادِيَةُ وَالعِشرُونَ: استِعمَالُ المَعَارِيضِ.

الثَّانِيَةُ وَالعِشرُونَ: حُسنُ خُلُقِهِ ﷺ.

بَابُ الخَوفِ مِنَ الشِّركِ

وَقَولِ اللهِ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨].

وَقَالَ الخَلِيلُ ﵇: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وَفِي الحَدِيثِ: «أَخوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيكُم: الشِّركُ الأَصغَرُ» فَسُئِلَ عَنهُ، قَالَ: «الرِّيَاءُ». [صحيح الجامع (١٥٥٥)].

وَعَنِ ابنِ مَسعُودٍ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَن مَاتَ وَهُوَ يَدعُو لِلهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ». رَوَاهُ البُخَارِيُّ. [البخاري (٤٤٩٧)].

وَلِمُسلِمٍ: عَن جَابِرٍ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَن لَقِيَ اللهَ لَا يُشرِكُ بِهِ شَيئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن لَقِيَهُ يُشرِكُ بِهِ شَيئًا دَخَلَ النَّارَ». [مسلم (٩٣)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: الخَوفُ مِنَ الشِّركِ.

الثَّانِيَةُ: أَن الرِّيَاءَ مِنَ الشِّركِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ مِنَ الشِّركِ الأَصغَرِ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ أَخوَفُ مَا يُخَافُ مِنهُ عَلَىٰ الصَّالِحِينَ.

الخَامِسَةُ: قُربُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ.

السَّادِسَةُ: الجَمعُ بَينَ قُربِهِمَا فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ.

السَّابِعَةُ: أَنَّهُ مَن لَقِيَهُ لَا يُشرِكُ بِهِ شَيئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن لَقِيَهُ يُشرِكُ بِهِ شَيئًا دَخَلَ النَّارَ، وَلَو كَانَ مِن أَعبَدِ النَّاسِ.

الثَّامِنَةُ: المَسأَلَةُ العَظِيمَةُ: سُؤَالُ الخَلِيلِ لَهُ وَلِبَنِيهِ وِقَايَةَ عِبَادَةِ الأَصنَامِ.

التَّاسِعَةُ: اعتِبَارُهُ بِحَالِ الأَكثَرِ لِقَولِهِ: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [إبراهيم:٣٦].

العَاشِرَةُ: فِيهِ تَفسِيرُ «لَا إِلَهَ إِلَّا الله» كَمَا ذَكَرَهُ البُخَارِيُّ.

الحَادِيَةَ عَشرَةَ: فَضِيلَةُ مَن سَلِمَ مِنَ الشِّركِ.

بَابُ: الدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَن لا إِلَهَ إِلا الله

وَقَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ الآيَة [يوسف: ١٠٨].

عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَىٰ اليَمَنِ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَأتِي قَومًا مِن أَهلِ الكِتَابِ، فَلِيَكُن أَوَّلَ مَا تَدعُوهُم إِلَيهِ شَهَادَةُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا الله».

وَفِي رِوَايَةٍ: «إِلَىٰ أَن يُوَحِّدُوا الله، فَإِن هُم أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعلِمهُم أَنَّ الله افتَرَضَ عَلَيهِم خَمسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَومٍ وَلَيلَةٍ، فَإِن هُم أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعلِمهُم أَنَّ الله افتَرَضَ عَلَيهِم صَدَقَةً تُؤخَذُ مِن أَغنِيَائِهِم فَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِم، فَإِن هُم أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَموَالِهِم، وَاتَّقِ دَعوَةَ

مظلُومِ فَإِنَّهُ لَيسَ بَينَهَا وَبَينَ الله حِجَابٌ» أَخرَجَاهُ. [البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩)].

وَلَهُمَا عَن سَهلِ بنِ سَعدٍ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ يَومَ خَيبَرَ:

«لأُعطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ يَفتَحُ الله عَلَىٰ يَدَيهِ.

فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيلَتَهُم، أَيُّهُم يُعطَاهَا، فَلَمَّا أَصبَحُوا غَدَوا عَلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ كُلُّهُم يَرجُو أَن يُعطَاهَا، فَقَالَ: أَينَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ؟

فَقِيلَ: هُو يَشتَكِي عَينَيهِ، فَأَرسَلُوا إِلَيهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ فِي عَينَيهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ كَأَن لَم يَكُن بِهِ وَجَعٌ، فَأَعطَاهُ الرَّايَةَ فَقَالَ: انفُذ عَلَىٰ رِسلِكَ حَتَّىٰ تَنزِلَ بِسَاحَتِهِم، ثُمَّ ادعُهُم إِلَىٰ الإِسلَامِ، وَأَخبِرهُم بِمَا يَجِبُ عَلَيهِم مِن حَقِّ الله تَعَالَىٰ فِيهِ، فَوَاللهِ لأَن يَهدِيَ الله بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيرٌ لَكَ مِن حُمرِ النَّعَمِ». [البخاري (٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦)].

يَدُوكُونَ؛ أَي: يَخُوضُونَ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: أَنَّ الدَّعوَةَ إِلَىٰ الله طَرِيقُ مَنِ اتَّبَعَ رَسُولَ الله ﷺ.

الثَّانِيَةُ: التَّنبِيهُ عَلَىٰ الإِخلَاصِ؛ لأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَو دَعَا إِلَىٰ الحَقِّ فَهُوَ يَدعُو إِلَىٰ نَفسِهِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ البَصِيرَةَ مِنَ الفَرَائِضِ.

الرَّابِعَةُ: مِن دَلَائِلِ حُسنِ التَّوحِيدِ: كَونُهُ تَنزِيهًا لله تَعَالَىٰ عَنِ المَسَبَّةِ.

الخَامِسَةُ: أَنَّ مِن قُبحِ الشِّركِ كَونُهُ مَسَبَّةً لله.

السَّادِسَةُ: وَهِيَ مِن أَهَمِّهَا: إِبعَادُ المُسلِمِ عَنِ المُشرِكِينَ لِئَلَّا يَصِيرَ مِنهُم وَلَو لَم يُشرِك.

السَّابِعَةُ: كَونُ التَّوحِيدِ أَوَلَ وَاجِبٍ.

الثَّامِنَةُ: أَنَّهُ يَبدَأُ بِهِ قَبلَ كُلِّ شَيءٍ حَتَّىٰ الصَّلَاةِ.

التَّاسِعَةُ: أَنَّ مَعنَىٰ «أَن يُوَحِّدُوا الله» مَعنَىٰ شَهَادَةِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا الله.

العَاشِرَةُ: أَنَّ الإِنسَانَ قَد يَكُونُ مِن أَهلِ الكِتَابِ وَهُوَ لَا يَعرِفُهَا، أَو يَعرِفُهَا وَلَا يَعمَلُ بِهَا.

الحَادِيَةَ عَشرَةَ: التَّنبِيهُ عَلَىٰ التَّعلِيمِ بِالتَّدرِيجِ.

الثَّانِيَةَ عَشرَةَ: البَداءَةُ بِالأَهَمِّ فَالأَهَمِّ.

الثَّالِثَةَ عَشرَةَ: مَصرِفُ الزَّكَاةِ.

الرَّابِعَةَ عَشرَةَ: كَشفُ العَالِمِ الشُّبهَةَ عَنِ المُتَعَلِّمِ.

الخَامِسَةَ عَشرَةَ: النَّهيُ عَن كَرَائِمِ الأَموَالِ.

السَّادِسَةَ عَشرَةَ: اتِّقَاءُ دَعوَةِ المَظلُومِ.

السَّابِعَةَ عَشرَةَ: الإِخبَارُ بِأَنَّهَا لَا تُحجَبُ.

الثَّامِنَةَ عَشرَةَ: مِن أَدِلَّةِ التَّوحِيدِ مَا جَرَىٰ عَلَىٰ سَيِّدِ المُرسَلِينَ وَسَادَاتِ الأَولِيَاءِ مِنَ المَشَقَّةِ وَالجُوعِ وَالوَبَاءِ.

التَّاسِعَةَ عَشرَةَ: قَولُهُ: «لأُعطِيَنَّ الرَّايَةَ...» إلَخ، عَلَمٌ مِن أَعلَامِ النُّبُوَّةِ.

العِشرُونَ: تَفلُهُ فِي عَينَيهِ عَلَمٌ مِن أَعلَامِهَا أَيضًا.

الحَادِيَةُ وَالعِشرُونَ: فَضِيلَةُ عَلِيٍّ ﷺ.

الثَّانِيَةُ وَالعِشرُونَ: فَضلُ الصَّحَابَةِ فِي دَوكِهِم تِلكَ اللَّيلَةَ وَشُغلُهُم عَن بِشَارَةِ الفَتحِ.

الثَّالِثَةُ وَالعِشرُونَ: الإِيمَانُ بِالقَدَرِ لِحُصُولِهَا لِمَن لَم يَسعَ وَمَنعِهَا عَمَّن سَعَىٰ.

الرَّابِعَةُ وَالعِشرُونَ: الأَدَبُ فِي قَولِهِ: «عَلَىٰ رِسلِكَ».

الخَامِسَةُ وَالعِشرُونَ: الدَّعوَةُ إِلَىٰ الإِسلَامِ قَبلَ القِتَالِ.

السَّادِسَةُ وَالعِشرُونَ: أَنَّهُ مَشرُوعٌ لِمَن دُعُوا قَبلَ ذَلِكَ وَقُوتِلُوا.

السَّابِعَةُ وَالعِشرُونَ: الدَّعوَةُ بِالحِكمَةِ لِقَولِهِ: «أَخبِرهُم بِمَا يَجِبُ عَلَيهِم».

الثَّامِنَةُ وَالعِشرُونَ: المَعرِفَةُ بِحَقِّ اللهِ فِي الإِسلَامِ.

التَّاسِعَةُ وَالعِشرُونَ: ثَوَابُ مَنِ اهتَدَىٰ عَلَىٰ يَدَيهِ رَجُلٌ وَاحِدٌ.

الثَّلَاثُونَ: الحَلِفُ عَلَىٰ الفُتيَا.

بَابُ: تَفسِيرِ التَّوحِيدِ وَشَهَادَةِ أن لا إِلَهَ إلا الله

وَقَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ الآيَة [الإسراء: ٥٧].

وَقَولِهِ: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي ﴾ الآيَة [الزخرف: ٢٦-٢٧].

وَقَولِهِ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الآيَة [التوبة:٣١].

وَقَولِهِ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ ﴾ الآيَة [البقرة: ١٦٥].

فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَن قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَكَفَرَ بِمَا يُعبَدُ مِن دَونِ الله حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَىٰ الله ﷻ». [مسلم (٢٣)].

وَشَرحُ هَذِهِ التَّرجَمَةِ مَا بَعدَهَا مِنَ الأَبوَابِ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

فِيهِ أَكبَرُ المَسَائِلِ وَأَهَمُّهَا، وَهِيَ تَفسِيرُ التَّوحِيدِ وَتَفسِيرُ الشَّهَادَةِ، وَبَيَّنَهَا بِأُمُورٍ وَاضِحَةٍ:

مِنهَا: آيَةُ الإِسرَاءِ: بَيَّنَ فِيهَا الرَّدَّ عَلَىٰ المُشرِكِينَ الَّذِينَ يَدعُونَ الصَّالِحِينَ، فَفِيهَا بَيَانُ أَنَّ هَذَا هُوَ الشِّركُ الأَكبَرُ.

وَمِنهَا: آيَةُ بَرَاءَةٍ: بَيَّنَ فِيهَا أَنَّ أَهلَ الكِتَابِ اتَّخَذُوا أَحبَارَهُم وَرُهبَانَهُم أَربَابًا مِن دُونِ الله، وَبَيَّنَ أَنَّهُم لَم يُؤمَرُوا إِلَّا بِأَن يَعبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا، مَعَ أَنَّ تَفسِيرَهَا الَّذِي لَا إِشكَالَ فِيهِ: طَاعَةُ العُلَمَاءِ وَالعُبَّادِ فِي المَعصِيَةِ، لَا دُعَاؤُهُم إِيَّاهُم.

وَمِنهَا: قَولُ الخَلِيلِ عليه السلام لِلكُفَّارِ: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴾ [الزخرف:٢٦].

فَاستَثنَىٰ مِنَ المَعبُودِينَ رَبَّهُ؛ وَذَكَرَ سُبحَانَهُ أَنَّ هَذِهِ البَرَاءَةَ وَهَذِهِ المُوَالَاةَ هِيَ تَفسِيرُ شَهَادَةِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا الله فَقَالَ: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٨].

وَمِنهَا: آيَةُ البَقَرَةِ: فِي الكُفَّارِ الَّذِينَ قَالَ الله فِيهِم: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

ذَكَرَ أَنَّهُم يُحِبُّونَ أَندَادَهُم كَحُبِّ الله، فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّهُم يُحِبُّونَ الله حُبًّا عَظِيمًا، وَلَم يُدخِلهُم فِي الإِسلَامِ، فَكَيفَ بِمَن أَحَبَّ النِّدَّ أَكبَرَ مِن حُبِّ الله، فَكَيفَ بِمَن لَم يُحِبَّ إِلَّا النِّدَّ وَحدَهُ وَلَم يُحِبَّ الله؟!

وَمِنهَا: قَولُهُ ﷺ: «مَن قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَكَفَرَ بِمَا يُعبَدُ مِن دُونِ الله حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَىٰ الله»: وَهَذَا مِن أَعظَمِ مَا يُبَيِّنُ مَعنَىٰ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، فَإِنَّهُ لَم يَجعَلِ التَّلَفُّظَ بِهَا عَاصِمًا للدَّمِ وَالمَالِ، بَل وَلَا مَعرِفَةَ مَعنَاهَا مَعَ لَفظِهَا، بِل وَلَا الإِقرَارَ بِذَلِكَ، بِل وَلَا كَونَهُ لَا يَدعُو إِلَّا الله وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، بِل لَا يَحرُمُ مَالُهُ وَدَمُهُ حَتَّىٰ يُضِيفَ إِلَىٰ ذَلِكَ الكُفرَ بِمَا يُعبَدُ مِن دُونِ الله، فَإِن شَكَّ أَو تَوَقَّفَ لَم يَحرُم مَالُهُ وَدَمُهُ.

فَيَا لَهَا مِن مَسأَلَةٍ مَا أَعظَمَهَا وَأَجَلَّهَا، وَيَا لَهُ مِن بَيَانٍ مَا أَوضَحَهُ، وَحُجَّةٌ مَا أَقطَعَهَا للمُنَازِعِ.

بَابُ: مِنَ الشِّركِ لُبسُ الحَلقَةِ وَالخَيطِ وَنَحوِهِمَا لِرَفعِ البَلَاءِ أَو دَفعِهِ

وَقَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ الآيَة [الزمر: ٣٨].

عَن عِمرَانَ بنِ حُصَينٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَىٰ رَجُلًا فِي يَدِهِ حَلقَةٌ مِن صُفرٍ فَقَالَ: «مَا هَذِهِ؟» قَالَ: مِنَ الوَاهِنَةِ. فَقَالَ: «انزِعهَا فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهنًا، فَإِنَّكَ لَو مُتَّ وَهِيَ عَلَيكَ مَا أَفلَحتَ أَبَدًا» رَوَاهُ أَحمَدُ بِسَنَدٍ لَا بَأسَ بِهِ. [ضعيف الترغيب (٢٠١٥)].

وَلَهُ عَن عُقبَةَ بنِ عَامِرٍ رضي الله عنه مَرفُوعًا: «مَن تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ الله لَهُ، وَمَن تَعَلَّقَ وَدَعَةً فَلَا وَدَعَ الله لَهُ» [ضعيف الجامع (٥٧٠٣)]، وَفِي رِوَايَةٍ: «مَن تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَد أَشرَكَ». [صحيح الجامع (٦٣٩٤)].

وَلابنِ أَبِي حَاتِمٍ عَن حُذَيفَةَ ﷺ أَنَّهُ رَأَىٰ رَجُلًا فِي يَدِهِ خَيطٌ مِنَ الحُمَّىٰ فَقَطَعَهُ وَتَلَا قَولَهُ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: التَّغلِيظُ فِي لُبسِ الحَلقَةِ وَالخَيطِ وَنَحوِهِمَا لِمِثلِ ذَلِكَ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الصَّحَابِيَّ لَو مَاتَ وَهُوَ عَلَيهِ مَا أَفلَحَ، فِيهِ شَاهِدٌ لِكَلَامِ الصَّحَابَةِ أَنَّ الشِّركَ الأَصغَرَ أَكبَرُ مِنَ الكَبَائِرِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّه لَم يُعذَر بِالجَهَالَةِ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّهَا لَا تَنفَعُ فِي العَاجِلَةِ بَل تَضُرُّ لِقَولِهِ: «لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهنًا».

الخَامِسَةُ: الإِنكَارُ بِالتَّغلِيظِ عَلَىٰ مَن فَعَلَ مِثلَ ذَلِكَ.

السَّادِسَةُ: التَّصرِيحُ بِأَنَّ مَن تَعَلَّقَ شَيئًا وُكِلَ إِلَيهِ.

السَّابِعَةُ: التَّصرِيحُ بِأَنَّ مَن تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَد أَشرَكَ.

الثَّامِنَةُ: أَنَّ تَعلِيقَ الخَيطِ مِنَ الحُمَّىٰ مِن ذَلِكَ.

التَّاسِعَةُ: تِلَاوَةُ حُذَيفَةَ الآيَةَ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ الصَّحَابَةَ يَستَدِلُّونَ بِالآيَاتِ الَّتِي فِي الشِّركِ الأَكبَرِ عَلَىٰ الأَصغَرِ كَمَا ذَكَرَ ابنُ عَبَّاسٍ فِي آيَةِ البَقَرَةِ.

العَاشِرَةُ: أَنَّ تَعلِيقَ الوَدَعِ عَنِ العَينِ مِن ذَلِكَ.

الحَادِيَةَ عَشرَةَ: الدُّعَاءُ عَلَىٰ مَن تَعَلَّقَ تَمِيمَةً أَنَّ الله لَا يُتِمُّ لَهُ، وَمَن تَعَلَّقَ وَدَعَةً فَلَا وَدَعَ الله لَهُ؛ أَي: تَرَكَ الله لَهُ.

بَابُ: مَا جَاءَ فِي الرُّقَىٰ وَالتَّمَائِمِ

فِي الصَّحِيحِ عَن أَبِي بَشِيرٍ الأَنصَارِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي بَعضِ أَسفَارِهِ فَأَرسَلَ رَسُولًا أَلَّا يَبقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِن وَتَرٍ أَو قِلَادَةٍ إِلَّا قُطِعَت. [البخاري (٣٠٠٥)، ومسلم (٢١١٥)].

وَعَنِ ابنِ مَسعُودٍ ﷺ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الرُّقَىٰ وَالتَمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِركٌ». رَوَاهُ أَحمَدُ وَأَبُو دَاودَ. [صحيح الجامع (١٦٣٢)].

وَعَن عَبدِ الله بنِ عُكَيمٍ مَرفُوعًا: «مَن تَعَلَّقَ شَيئًا وُكِلَ إِلَيهِ» رَوَاهُ أَحمَدُ وَالتِّرمِذِيُّ. [صحيح الترغيب (٣٤٥٦)].

التَّمَائِمُ: شَيءٌ يُعَلَّقُ عَلَىٰ الأَولَادِ يَتَّقُونَ بِهِ العَينَ، لَكِن إِذَا كَانَ المُعَلَّقُ مِنَ القُرآنِ فَرَخَّصَ فِيهِ بَعضُ السَّلَفِ، وَبَعضُهُم لَم يُرَخِّص فِيهِ وَيَجعَلُهُ مِنَ المَنهِيِّ عَنهُ مِنهُم ابنُ مَسعُودٍ ﷺ.

وَالرُّقَىٰ: هِيَ الَّتِي تُسَمَّىٰ العَزَائِمَ، وَخصَّ مِنهُ الدَّلِيلُ مَا خَلَا مِنَ الشِّركِ، فَقَد رَخَّصَ فِيهِ رَسُولُ الله ﷺ مِنَ العَينِ وَالحُمَةِ.

وَالتِّوَلَةُ: هِيَ شَيءٌ يَصنَعُونَهُ يَزعُمُونَ أَنَّهُ يُحَبِّبُ المَرأَةَ إِلَىٰ زَوجِهَا وَالرَّجُلَ إِلَىٰ امرَأَتِهِ.

وَرَوَىٰ أَحمَدُ عَن رُوَيفِعٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «يَا رُوَيفِعُ، لَعَلَّ الحَيَاةَ تَطُولُ بِكَ، فَأَخبِرِ النَّاسَ أَنَّ مَن عَقَدَ لِحيَتَهُ أَو تَقَلَّدَ وَتَرًا، أَوِ استَنجَىٰ بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَو عَظمٍ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنهُ». [صحيح الجامع (٧٩١٠)].

وَعَن سَعِيدِ بنِ جُبَيرٍ قَالَ: «مَن قَطَعَ تَمِيمَةً مِن إِنسَانٍ كَانَ كَعَدلِ رَقَبَةٍ» رَوَاهُ وَكِيعٌ.

وَلَهُ عَن إِبرَاهِيمَ قَالَ: كَانُوا يَكرَهُونَ التَّمَائِمَ كُلَّهَا، مِنَ القُرآنِ وَغَيرِ القُرآنِ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: تَفسِيرُ الرُّقَىٰ وَالتَّمَائِمِ.

الثَّانِيَةُ: تَفسِيرُ التِّوَلَةِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ هَذِهِ الثَّلَاثَ كُلَّهَا مِنَ الشِّركِ مِن غَيرِ استِثنَاءٍ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ الرُّقيَةَ بِالكَلَامِ الحَقِّ مِنَ العَينِ وَالحُمَةِ لَيسَ مِن ذَلِكَ.

الخَامِسَةُ: أَنَّ التَّمِيمَةَ إِذَا كَانَت مِنَ القُرآنِ فَقَد اختَلَفَ العُلَمَاءُ: هَل هِيَ مِن ذَلِكَ أَم لَا؟

السَّادِسَةُ: أَنَّ تَعلِيقَ الأَوتَارِ عَلَىٰ الدَّوَابِّ عَنِ العَينِ مِن ذَلِكَ.

السَّابِعَةُ: الوَعِيدُ الشَّدِيدُ عَلَىٰ مَن عَلَّقَ وَتَرًا.

الثَّامِنَةُ: فَضلُ ثَوَابِ مَن قَطَعَ تَمِيمَةً مِن إِنسَانٍ.

التَّاسِعَةُ: أَنَّ كَلَامَ إِبرَاهِيمَ لَا يُخَالِفُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الاختِلَافِ؛ لأَنَّ مُرَادَهُ أَصحَابُ عَبدِ الله بنِ مَسعُودٍ.

بَابُ: مَن تَبَرَّكَ بِشَجَرَةٍ أَو حَجَرٍ وَنَحوِهِمَا

وَقَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ الآيَاتُ [النجم: ١٩].

عَن أَبِي وَاقِدٍ اللَّيثِيِّ قَالَ: خَرَجنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إِلَىٰ حُنَينٍ وَنَحنُ حُدَثَاءُ عَهدٍ بِكُفرٍ، وَلِلمُشرِكِينَ سِدرَةٌ يَعكُفُونَ عِندَهَا وَيَنوطُونَ بِهَا أَسلِحَتَهُم، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنوَاطٍ، فَمَرَرنَا بِسِدرَةٍ فَقُلنَا: يَا رَسُولَ الله، اجعَل لَنَا ذَاتَ أَنوَاطٍ كَمَا لَهُم ذَاتُ أَنوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الله أَكبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلتُم -وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ- كَمَا قَالَت بَنُو إِسرَائِيلَ لِمُوسَىٰ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨]. لَتَركَبُنَّ سُنَنَ مَن كَانَ قَبلَكُم» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ. [صحيح الجامع (٣٦٠١)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: تَفسِيرُ آيَةِ النَّجمِ.

الثَّانِيَةُ: مَعرِفَةُ صُورَةِ الأَمرِ الَّذِي طَلَبُوا.

الثَّالِثَةُ: كَونُهُم لَم يَفعَلُوا.

الرَّابِعَةُ: كَونُهُم قَصَدُوا التَّقَرُّبَ إِلَىٰ الله بِذَلِكَ لِظَنِّهِم أَنَّهُ يُحِبُّهُ.

الخَامِسَةُ: أَنَّهُم إِذَا جَهِلُوا هَذَا فَغَيرُهُم أَولَىٰ بِالجَهلِ.

السَّادِسَةُ: أَنَّ لَهُم مِنَ الحَسَنَاتِ وَالوَعدِ بِالمَغفِرَةِ مَا لَيسَ لِغَيرِهِم.

السَّابِعَةُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَم يَعذُرهُم، بَل رَدَّ عَلَيهِم بِقَولِهِ: «الله أَكبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَن كَانَ قَبلَكُم» فَغَلَّظَ الأَمرَ بِهَذِهِ الثَّلَاثَةِ.

الثَّامِنَةُ: الأَمرُ الكَبِيرُ وَهُوَ المَقصُودُ: أَنَّهُ أَخبَرَ أَنَّ طَلِبَتَهُم كَطَلِبَةِ بَنِي إِسرَائِيلَ لَمَّا قَالُوا لِمُوسَىٰ: اجعَل لَنَا إِلَهًا.

التَّاسِعَةُ: أَنَّ نَفيَ هَذَا مِن مَعنَىٰ لَا إِلَهَ إِلَّا الله مَعَ دِقَّتِهِ وَخَفَائِهِ عَلَىٰ أُولَئِكَ.

العَاشِرَةُ: أَنَّهُ حَلَفَ عَلَىٰ الفُتيَا، وَهُوَ لَا يَحلِفُ إِلَّا لِمَصلَحَةٍ.

الحَادِيَةَ عَشرَةَ: أَنَّ الشِّركَ فِيهِ أَكبَرُ وَأَصغَرُ؛ لأَنَّهُم لَم يَرتَدُّوا بِهَذَا.

الثَّانِيَةَ عَشرَةَ: قَولُهُ: «وَنَحنُ حُدَثَاءُ عَهدٍ بِكُفرٍ» فِيهِ أَنَّ غَيرَهُم لَا يَجهَلُ ذَلِكَ.

الثَّالِثَةَ عَشرَةَ: التَّكبِيرُ عِندَ التَّعَجُّبِ خِلَافًا لِمَن كَرِهَهُ.

الرَّابِعَةَ عَشرَةَ: سَدُّ الذَّرَائِعِ.

الخَامِسَةَ عَشرَةَ: النَّهيُ عَنِ التَّشَبُّهِ بِأَهلِ الجَاهِلِيَّةِ.

السَّادِسَةَ عَشرَةَ: الغَضَبُ عِندَ التَّعلِيمِ.

السَّابِعَةَ عَشرَةَ: القَاعِدَةُ الكُلِّيَّةُ لِقَولِهِ: «إِنَّهَا السُّنَنُ».

الثَّامِنَةَ عَشرَةَ: أَنَّ هَذَا عَلَمٌ مِن أَعلَامِ النُّبُوَّةِ لِكَونِهِ وَقَعَ كَمَا أَخبَرَ.

التَّاسِعَةَ عَشرَةَ: أَنَّ كُلَّ مَا ذَمَّ الله بِهِ اليَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ فِي القُرآنِ؛ أَنَّهُ لَنَا.

العِشرُونَ: أَنَّهُ مُتَقَرِّرٌ عِندَهُم أَنَّ العِبَادَاتِ مَبنَاهَا عَلَىٰ الأَمرِ، فَصَارَ فِيهِ التَّنبِيهُ عَلَىٰ مَسَائِلِ القَبرِ: أَمَّا «مَن رَبُّكَ؟» فَوَاضِحٌ، وَأَمَّا «مَن نَبِيُّكَ؟» فَمِن إِخبَارِهِ بِأَنبَاءِ الغَيبِ، وَأَمَّا «مَا دِينُكَ؟» فَمِن قَولِهِم: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾ إِلَىٰ آخِرِهِ.

الحَادِيَةُ وَالعِشرُونَ: أَنَّ سُنَّةَ أَهلِ الكِتَابِ مَذمُومَةٌ كَسُنَّةِ المُشرِكِينَ.

الثَّانِيَةُ وَالعِشرُونَ: أَنَّ المُنتَقِلَ مِنَ البَاطِلِ الَّذِي اعتَادَهُ قَلبُهُ لَا يُؤمَنُ أَن يَكُونَ فِي قَلبِهِ بَقِيَّةٌ مِن تِلكَ العَادَةِ لِقَولِهِم: «وَنَحنُ حُدَثَاءُ عَهدٍ بِكُفرٍ».

بَابٌ: مَا جَاءَ فِي الذَّبحِ لِغَيرِ الله

وَقَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ﴾ الآيَة [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

وقوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [الكوثر:٢].

عن عليٍّ ﷺ قال: حدَّثني رسولُ الله ﷺ بأربعِ كلماتٍ: «لعنَ الله من ذبحَ لغيرِ الله، لعنَ ـ من لعنَ والديهِ، لعنَ الله من آوىٰ محدثًا، لعنَ الله من غيَّر منارَ الأرضِ» رواهُ مُسلِمٌ. ـــم (١٩٧٨)].

وعن طارقِ بنِ شهابٍ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «دخلَ الجنَّةَ رجلٌ في ذبابٍ، ودخلَ النَّارَ ـخلٌ في ذبابٍ.

قالوا: وكيفَ ذلكَ يا رسولَ الله؟ قالَ: مرَّ رجلانِ علىٰ قومٍ لهم صنمٌ لا يجوزُهُ أحدٌ حتىٰ يقرِّبَ لهُ شيئًا، فقالوا لأحدِهما: قرِّب. قالَ: ليسَ عندي شيءٌ أقرِّبُ. قالوا لهُ: قرِّب ـو ذبابًا. فقرَّبَ ذبابًا، فخلُّوا سبيلَهُ، فدخلَ النَّارَ. وقالوا للآخرِ: قرِّب. فقالَ: ما كنتُ ـقرِّبَ لأحدٍ شيئًا دونَ الله ﷻ ، فضربوا عنقَهُ، فدخلَ الجنَّةَ». رواهُ أحمدُ. [أحمد في الزهد ـص ١٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٤٧٣) بسند ضعيف].

فيهِ مسائلُ:

الأولىٰ: تفسيرُ ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾.

الثَّانيةُ: تفسيرُ ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾.

الثَّالثةُ: البداءةُ بلعنةِ من ذبحَ لغيرِ الله.

الرَّابعةُ: لعنُ من لعنَ والديهِ، ومنهُ أن تلعنَ والدي الرَّجُلِ فيلعنَ والديكَ.

الخامسةُ: لعنُ من آوىٰ محدثًا، وهوَ الرَّجُلُ يحدثُ شيئًا يجبُ فيهِ حقُّ الله فيلتجئُ إلىٰ من يجيرُهُ من ذلكَ.

السَّادسةُ: لعنُ من غيَّرَ منارَ الأرضِ، وهيَ المراسيمُ الَّتي تفرِّقُ بينَ حقِّكَ وحقِّ جارِكَ منَ الأرضِ فتُغيِّرُها بتقديمٍ أو تأخيرٍ.

السَّابعةُ: الفرقُ بينَ لعنِ المعيَّنِ ولعنِ أهلِ المعاصي علىٰ سبيلِ العمومِ.

الثَّامنةُ: هذهِ القصَّةُ العظيمةُ وهيَ قصَّةُ الذُّبابِ.

التَّاسِعَةُ: كَونُهُ دَخَلَ النَّارَ بِسَبَبِ ذَلِكَ الذُّبَابِ الَّذِي لَم يَقصِدهُ بَل فَعَلَهُ تَخَلُّصًا مِن شَرِّهِم.

العَاشِرَةُ: مَعرِفَةُ قَدرِ الشِّكِّ فِي قُلُوبِ المُؤمِنِينَ، كَيفَ صَبَرَ ذَلِكَ عَلَىٰ القَتلِ وَلَم يُوَافِقهُم عَلَىٰ طَلَبِهِم مَعَ كَونِهِم لَم يَطلُبُوا إِلَّا العَمَلَ الظَّاهِرَ.

الحَادِيَةَ عَشرَةَ: أَنَّ الَّذِي دَخَلَ النَّارَ مُسلِمٌ؛ لأَنَّهُ لَو كَانَ كَافِرًا لَم يَقُل: دَخَلَ النَّارَ فِي ذُبَابٍ.

الثَّانِيَةَ عَشرَةَ: فِيهِ شَاهِدٌ لِلحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «الجَنَّةُ أَقرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُم مِن شِرَاكِ نَعلِهِ، وَالنَّارُ مِثلُ ذَلِكَ». [البخاري (٦٤٨٨)].

الثَّالِثَةَ عَشرَةَ: مَعرِفَةُ أَنَّ عَمَلَ القَلبِ هُوَ المَقصُودُ الأَعظَمُ حَتَّىٰ عِندَ عَبَدَةِ الأَصنَامِ.

بَابُ: لا يُذبَحُ لله بِمَكَانٍ يُذبَحُ فِيهِ لِغَيرِ الله

وَقَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗا﴾ الآيَةَ [التوبة: ١٠٨].

عن ثَابِتِ بنِ الضَّحَّاكِ ﷺ قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ أَن يَنحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «هَل كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِن أَوثَانِ الجَاهِلِيَّةِ يُعبَدُ؟

قَالُوا: لَا. قَالَ: فَهَل كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِن أَعيَادِهِم؟

قَالُوا: لَا. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: أَوفِ بِنَذرِكَ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذرٍ فِي مَعصِيَةِ الله، وَلَا فِيمَا لَا يَملِكُ ابنُ آدَمَ». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ، وَإِسنَادُهُ عَلَىٰ شَرطِهِمَا. [صحيح الجامع (٢٥٥١)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: تَفسِيرُ قَولِهِ: ﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗا﴾.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ المَعصِيَةَ قَد تُؤَثِّرُ فِي الأَرضِ، وَكَذَلِكَ الطَّاعَةُ.

الثَّالِثَةُ: رَدُّ المَسأَلَةِ المُشكَلَةِ إِلَىٰ المَسأَلَةِ البَيِّنَةِ لِيَزُولَ الإِشكَالُ.

الرَّابِعَةُ: استِفصَالُ المُفتِي إِذَا احتَاجَ إِلَىٰ ذَلِكَ.

الخَامِسَةُ: أَنَّ تَخصِيصَ البُقعَةِ بِالنَّذرِ لَا بَأسَ بِهِ إِذَا خَلَا مِنَ المَوَانِعِ.

السَّادِسَةُ: المَنعُ مِنهُ إِذَا كَانَ فِيهِ وَثَنٌ مِن أَوثَانِ الجَاهِلِيَّةِ، وَلَو بَعدَ زَوَالِهِ.

السَّابِعَةُ: المَنعُ مِنهُ إِذَا كَانَ فِيهِ عِيدٌ مِن أَعيَادِهِم وَلَو بَعدَ زَوَالِهِ.

الثَّامِنَةُ: أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الوَفَاءُ بِمَا نَذَرَ فِي تِلكَ البُقعَةِ لأَنَّهُ نَذرُ مَعصِيَةٍ.

التَّاسِعَةُ: الحَذَرُ مِن مُشَابَهَةِ المُشرِكِينَ فِي أَعيَادِهِم وَلَو لَم يَقصِدهُ.

العَاشِرَةُ: لَا نَذرَ فِي مَعصِيَةٍ.

الحَادِيَةَ عَشرَةَ: لَا نَذرَ لابنِ آدَمَ فِيمَا لَا يَملِكُ.

بَابُ مِنَ الشِّركِ النَّذرُ لِغَيرِ اللَّه

وَقَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ [الإنسان: ٧].

وَقَولِهِ: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

وَفِي الصَّحِيحِ عَن عَائِشَةَ ﵂: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَن نَذَرَ أَن يُطِيعَ الله فَلْيُطِعهُ، وَمَن نَذَرَ أَن يَعصِيَ الله فَلَا يَعصِهِ». [البخاري (٦٦٩٦)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: وُجُوبُ الوَفَاءِ بِالنَّذرِ.

الثَّانِيَةُ: إِذَا ثَبَتَ كَونُهُ عِبَادَةً لله فَصَرفُهُ إِلَىٰ غَيرِهِ شِركٌ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ نَذرَ المَعصِيَةِ لَا يَجُوزُ الوَفَاءُ بِهِ.

بَابٌ: مِنَ الشِّركِ: الاستِعَاذَةُ بِغَيرِ اللَّه

وَقَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا﴾ [الجن: ٦].

وَعَن خَولَةَ بِنتِ حَكِيمٍ قَالَت: سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَن نَزَلَ مَنزِلًا فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ، لَم يَضُرَّهُ شَيءٌ حَتَّىٰ يَرحَلَ مِن مَنزِلِهِ ذَلِكَ». رَوَاهُ مُسلِمٌ. [مسلم (٢٧٠٨)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: تَفسِيرُ آيَةِ الجِنِّ.

الثَّانِيَةُ: كَونُهُ مِنَ الشِّركِ.

الثَّالِثَةُ: الاستِدلَالُ عَلَىٰ ذَلِكَ بِالحَدِيثِ، لأَنَّ العُلَمَاءَ استَدَلُّوا بِهِ عَلَىٰ أَنَّ كَلِمَاتِ الله غَيرُ مَخلُوقَةٍ؛ قَالُوا: لأَنَّ الاستِعَاذَةَ بِالمَخلُوقِ شِركٌ.

الرَّابِعَةُ: فَضِيلَةُ هَذَا الدُّعَاءِ مَعَ اختِصَارِهِ.

الخَامِسَةُ: أَنَّ كَونَ الشَّيءِ يَحصُلُ بِهِ مَنفَعَةٌ دُنيَوِيَّةٌ مِن كَفِّ شَرٍّ أَو جَلبِ نَفعٍ لَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ لَيسَ مِنَ الشِّركِ.

بَابٌ: مِنَ الشِّركِ: أَن يَستَغِيثَ بِغَيرِ اللَّه أَو يَدعُوَ غَيرَهُ

وَقَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ ﴾ الآية [يونس: ١٠٦ - ١٠٧].

وَقَولِهِ: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ﴾ الآيَةُ [العنكبوت: ١٧].

وَقَولِهِ: ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ الآيَة [الأحقاف: ٥].

وَقَولِهِ: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل: ٦٢].

وَرَوَىٰ الطَّبَرَانِيُّ بِإِسنَادِهِ أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُنَافِقٌ يُؤذِي المُؤمِنِينَ فَقَالَ بَعضُهُم: قُومُوا بِنَا نَستَغِيثُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِن هَذَا المُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُ لَا يُستَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُستَغَاثُ بِالله». [مجمع الزوائد (١٠/ ١٥٩)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: أَنَّ عَطفَ الدُّعَاءِ عَلَىٰ الاستِغَاثَةِ مِن عَطفِ العَامِّ عَلَىٰ الخَاصِّ.

الثَّانِيَةُ: تَفسِيرُ قَولِهِ: ﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ ﴾.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ هَذَا هُوَ الشِّركُ الأَكبَرُ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ أَصلَحَ النَّاسِ لَو يَفعَلُهُ إِرضَاءً لِغَيرِهِ صَارَ مِنَ الظَّالِمِينَ.

الخَامِسَةُ: تَفسِيرُ الآيَةِ الَّتِي بَعدَهَا.

السَّادِسَةُ: كَونُ ذَلِكَ لَا يَنفَعُ فِي الدُّنيَا مَعَ كَونِهِ كُفرًا.

السَّابِعَةُ: تَفسِيرُ الآيَةِ الثَّالِثَةِ.

الثَّامِنَةُ: أَنَّ طَلَبَ الرِّزقِ لَا يَنبَغِي إِلَّا مِنَ اللهِ، كَمَا أَنَّ الجَنَّةَ لَا تُطلَبُ إِلَّا مِنهُ.

التَّاسِعَةُ: تَفسِيرُ الآيَةِ الرَّابِعَةِ.

العَاشِرَةُ: أَنَّهُ لَا أَضَلَّ مِمَّن دَعَا غَيرَ اللهِ.

الحَادِيَةَ عَشرَةَ: أَنَّهُ غَافِلٌ عَن دُعَاءِ الدَّاعِي لَا يَدرِي عَنهُ.

الثَّانِيَةَ عَشرَةَ: أَنَّ تِلكَ الدَّعوَةَ سَبَبٌ لِبُغضِ المَدعُوِّ لِلدَّاعِي وَعَدَاوَتِهِ لَهُ.

الثَّالِثَةَ عَشرَةَ: تَسمِيَةُ تِلكَ الدَّعوَةِ عِبَادَةً لِلمَدعُوِّ.

الرَّابِعَةَ عَشرَةَ: كُفرُ المَدعُوِّ بِتِلكَ العِبَادَةِ.

الخَامسَةَ عَشرَةَ: هِيَ سَبَبُ كَونِهِ أَضَلَّ النَّاسِ.

السَّادِسَةَ عَشرَةَ: تَفسِيرُ الآيَةِ الخَامِسَةِ.

السَّابِعَةَ عَشرَةَ: الأَمرُ العَجِيبُ وَهُوَ إِقرَارُ عَبَدَةِ الأَوثَانِ بِأَنَّهُ لَا يُجِيبُ المُضطَرَّ إِلَّا اللهُ، وَلِأَجلِ هَذَا يَدعُونَهُ فِي الشَّدَائِدِ مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ.

الثَّامِنَةَ عَشرَةَ: حِمَايَةُ المُصطَفَىٰ ﷺ حِمَىٰ التَّوحِيدِ، وَالتَّأَدُّبُ مَعَ اللهِ.

بَابٌ

قَولِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ﴾ الآيَة [الأعراف:١٩١-١٩٢].

وَقَولِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ الآيَة [فاطر:١٣].

وَفِي الصَّحِيحِ عَن أَنَسٍ قَالَ: شُجَّ النَّبِيُّ ﷺ يَومَ أُحُدٍ وَكُسِرَت رَبَاعِيَتُهُ فَقَالَ: «كَيفَ يُفلِحُ قَومٌ شَجُّوا نَبِيَّهُم» فَنَزَلَت: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٨]. [مسلم (١٧٩١)].

وَفِيهِ عَنِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرَّكعَةِ الأَخِيرَةِ مِنَ الفَجرِ: «اللَّهُمَّ العَن فُلَانًا وَفُلَانًا» بَعدَمَا يَقُولُ: «سَمِعَ اللهُ لِمَن حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الحَمدُ» فَأَنزَلَ اللهُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ الآيَة [آل عمران: ١٢٨]. [البخاري (٤٥٥٩)].

وَفِي رِوَايَةٍ: يَدعُو عَلَىٰ صَفوانَ بنِ أُمَيَّةَ وَسُهَيلِ بنِ عَمرٍو وَالحَارِثِ بنِ هِشَامٍ، فَنَزَلَت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]. [البخاري (٤٠٧٠)].

وَفِيهِ عَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أُنزِلَ عَلَيهِ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فَقَالَ: «يَا مَعشَرَ قُرَيشٍ -أَو كَلِمَةً نَحوَهَا- اشتَرُوا أَنفُسَكُم، لَا أُغنِي عَنكُم مِنَ اللهِ شَيئًا، يَا عَبَّاسُ بنَ عَبدِ المُطَّلِبِ لَا أُغنِي عَنكَ مِنَ اللهِ شَيئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَا أُغنِي عَنكِ مِنَ اللهِ شَيئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنتَ مُحَمَّدٍ، سَلِينِي مِن مَالِي مَا شِئتِ لَا أُغنِي عَنكِ مِنَ اللهِ شَيئًا». [البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: تَفسِيرُ الآيَتَينِ.

الثَّانِيَةُ: قِصَّةُ أُحُدٍ.

الثَّالِثَةُ: قُنُوتُ سَيِّدِ المُرسَلِينَ وَخَلفَهُ سَادَاتُ الأَولِيَاءِ يُؤَمِّنُونَ فِي الصَّلَاةِ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ المَدعُوَّ عَلَيهِم كُفَّارٌ.

الخَامِسَةُ: أَنَّهُم فَعَلُوا أَشيَاءَ مَا فَعَلَهَا غَالِبُ الكُفَّارِ، مِنهَا: شَجُّهُم نَبِيَّهُم وَحِرصُهُم عَلَىٰ قَتلِهِ. وَمِنهَا: التَّمثِيلُ بِالقَتلَىٰ مَعَ أَنَّهُم بَنُو عَمِّهِم.

السَّادِسَةُ: أَنزَلَ اللهُ عَلَيهِ فِي ذَلِكَ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾.

السَّابِعَةُ: قَولُهُ: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ فَتَابَ عَلَيهِم فَآمَنُوا.

الثَّامِنَةُ: القُنُوتُ فِي النَّوَازِلِ.

التَّاسِعَةُ: تَسمِيَةُ المَدعُوِّ عَلَيهِم فِي الصَّلَاةِ بِأَسمَائِهِم وَأَسمَاءِ آبَائِهِم.

العَاشِرَةُ: لَعنُ المُعَيَّنِ فِي القُنُوتِ.

الحادية عشرة: قصته ﷺ لما أنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾.

الثانية عشرة: جده ﷺ في هذا الأمر بحيث فعل ما نسب بسببه إلى الجنون، وكذلك لو فعله مسلم الآن.

الثالثة عشرة: قوله للأبعد والأقرب: «لا أغني عنك من الله شيئًا» حتى قال: «يا فاطمة بنت محمد، لا أغني عنك من الله شيئًا» فإذا صرح وهو سيد المرسلين بأنه لا يغني شيئًا عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه لا يقول إلا الحق، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم، تبين له ترك التوحيد وغربة الدين.

باب

قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣].

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾، فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض -وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه- فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء». [البخاري (٤٧٠١)].

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة -أو قال: رعدة- شديدة، خوفًا من الله ﷻ، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدًا، فيكون أول من يرفع رأسه

جِبرِيلُ، فَيُكَلِّمُهُ اللهُ مِن وَحيِهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبرِيلُ عَلَىٰ المَلَائِكَةِ كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبرِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبرِيلُ: قَالَ الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ، فَيَقُولُونَ كُلُّهُم مِثلَ مَا قَالَ جِبرِيلُ. فَيَنتَهِي جِبرِيلُ بِالوَحيِ إِلَىٰ حَيثُ أَمَرَهُ اللهُ ﷻ». [ضعيف، ظلال الجنة (٥١٥)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: تَفسِيرُ الآيَةِ.

الثَّانِيَةُ: مَا فِيهَا مِنَ الحُجَّةِ عَلَىٰ إِبطَالِ الشِّركِ، خُصُوصًا مَن تَعَلَّقَ عَلَىٰ الصَّالِحِينَ. وَهِيَ الآيَةُ الَّتِي قِيلَ إِنَّهَا تَقطَعُ عُرُوقَ شَجَرَةِ الشِّركِ مِن القَلبِ.

الثَّالِثَةُ: تَفسِيرُ قَولِهِ: ﴿قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.

الرَّابِعَةُ: سَبَبُ سُؤَالِهِم عَن ذَلِكَ.

الخَامِسَةُ: أَنَّ جِبرِيلَ يُجِيبُهُم بَعدَ ذَلِكَ بِقَولِهِ: قَالَ كَذَا وَكَذَا.

السَّادِسَةُ: ذِكرُ أَنَّ أَوَّلَ مَن يَرفَعُ رَأسَهُ جِبرِيلُ.

السَّابِعَةُ: أَنَّهُ يَقُولُ لِأَهلِ السَّمَوَاتِ كُلِّهِم؛ لِأَنَّهُم يَسأَلُونَهُ.

الثَّامِنَةُ: أَنَّ الغَشيَ يَعُمُّ أَهلَ السَّمَوَاتِ كُلَّهُم.

التَّاسِعَةُ: ارتِجَافُ السَّمَوَاتِ لِكَلَامِ اللهِ.

العَاشِرَةُ: أَنَّ جِبرِيلَ هُوَ الَّذِي يَنتَهِي بِالوَحيِ إِلَىٰ حَيثُ أَمَرَهُ اللهُ.

الحَادِيَةَ عَشرَةَ: ذِكرُ استِرَاقِ الشَّيَاطِينِ.

الثَّانِيَةَ عَشرَةَ: صِفَةُ رُكُوبِ بَعضِهِم بَعضًا.

الثَّالِثَةَ عَشرَةَ: إِرسَالُ الشُّهُبِ.

الرَّابِعَةَ عَشرَةَ: أَنَّهُ تَارَةً يُدرِكُهُ الشِّهَابُ قَبلَ أَن يُلقِيَهَا، وَتَارَةً يُلقِيهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ مِنَ الإِنسِ قَبلَ أَن يُدرِكَهُ.

الخَامِسَةَ عَشرَةَ: كَونُ الكَاهِنِ يَصدُقُ بَعضَ الأَحيَانِ.

السَّادِسَةَ عَشرَةَ: كَونُهُ يَكذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذبَةٍ.
السَّابِعَةَ عَشرَةَ: أَنَّهُ لَم يُصَدَّق كَذِبُهُ إلَّا بِتِلكَ الكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَت مِنَ السَّمَاءِ.
الثَّامِنَةَ عَشرَةَ: قَبُولُ النُّفُوسِ للبَاطِلِ، كَيفَ يَتَعَلَّقُونَ بِوَاحِدَةٍ وَلَا يَعتَبِرُونَ بِمِائَةٍ؟!
التَّاسِعَةَ عَشرَةَ: كَونُهُم يُلقِي بَعضُهُم إِلَىٰ بَعضٍ تِلكَ الكَلِمَةَ وَيَحفَظُونَهَا وَيَستَدِلُّونَ بِهَا.

العِشرُونَ: إثبَاتُ الصِّفَاتِ خِلَافًا لِلأَشعَرِيَّةِ المُعَطِّلَةِ.
الحَادِيَةُ وَالعِشرُونَ: التَّصرِيحُ بِأَنَّ تِلكَ الرَّجفَةَ وَالغَشيَ خَوفًا مِنَ الله ﷻ.
الثَّانِيَةُ وَالعِشرُونَ: أَنَّهُم يَخِرُّونَ لله سُجَّدًا.

بَابُ الشَّفَاعَةِ

وَقَولِ الله ﷻ: ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ﴾ [الأنعام:٥١].
وَقَولِهِ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾ [الزمر:٤٤].
وَقَولِهِ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة:٢٥٥].
وَقَولِهِ: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [النجم:٢٦].
وَقَولِهِ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ الآيتين [سبأ:٢٢-٢٣].
قَالَ أَبُو العَبَّاسِ: نَفَىٰ الله عَمَّا سِوَاهُ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ المُشرِكُونَ فَنَفَىٰ أَن يَكُونَ لِغَيرِهِ مُلكٌ أَو قِسطٌ مِنهُ، أَو يَكُونَ عَونًا لله، وَلَم يَبقَ إِلَّا الشَّفَاعَةُ فَبَيَّنَ أَنَّهَا لَا تَنفَعُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨].
فَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ الَّتِي يَظُنُّهَا المُشرِكُونَ هِيَ مُنتَفِيَةٌ يَومَ القِيَامَةِ كَمَا نَفَاهَا القُرآنُ وَأَخبَرَ

النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسجُدُ لِرَبِّهِ، وَيَحمَدُهُ -لَا يَبدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوَّلًا- ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: ارفَع رَأسَكَ. وَقُل يُسمَع، وَسَل تُعطَ، وَاشفَع تُشَفَّع». [البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣)].

وَقَالَ أَبُو هُرَيرَةَ لَهُ ﷺ: مَن أَسعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ؟ قَالَ: «مَن قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِن قَلبِهِ». [البخاري (٩٩)]. فَتِلكَ الشَّفَاعَةُ لأَهلِ الإِخلَاصِ بِإِذنِ اللهِ، وَلَا تَكُونُ لِمَن أَشرَكَ بِاللهِ.

وَحَقِيقَتُهُ أَنَّ اللهَ سُبحَانَهُ هُوَ الَّذِي يَتَفَضَّلُ عَلَىٰ أَهلِ الإِخلَاصِ فَيَغفِرُ لَهُم بِوَاسِطَةِ دُعَاءِ مَن أَذِنَ لَهُ أَن يَشفَعَ لِيُكرِمَهُ وَيَنَالَ المَقَامَ المَحمُودَ؛ فَالشَّفَاعَةُ الَّتِي نَفَاهَا القُرآنُ مَا كَانَ فِيهَا شِركٌ، وَلِهَذَا أَثبَتَ الشَّفَاعَةَ بِإِذنِهِ فِي مَوَاضِعَ، وَقَد بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا لأَهلِ التَّوحِيدِ وَالإِخلَاصِ. انتَهَىٰ كَلَامُهُ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: تَفسِيرُ الآيَاتِ.

الثَّانِيَةُ: صِفَةُ الشَّفَاعَةِ المَنفِيَّةِ.

الثَّالِثَةُ: صِفَةُ الشَّفَاعَةِ المُثبَتَةِ.

الرَّابِعَةُ: ذِكرُ الشَّفَاعَةِ الكُبرَىٰ، وَهِيَ المَقَامُ المَحمُودُ.

الخَامِسَةُ: صِفَةُ مَا يَفعَلُهُ ﷺ، أَنَّهُ لَا يَبدَأُ بِالشَّفَاعَةِ بَل يَسجُدُ، فَإِذَا أَذِنَ اللهُ لَهُ شَفَعَ.

السَّادِسَةُ: مَن أَسعَدُ النَّاسِ بِهَا.

السَّابِعَةُ: أَنَّهَا لَا تَكُونُ لِمَن أَشرَكَ بِاللهِ.

الثَّامِنَةُ: بَيَانُ حَقِيقَتِهَا.

بَابٌ

قَولِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص:٥٦].

فِي الصَّحِيحِ عَنِ ابنِ المُسَيَّبِ عَن أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا حَضَرَت أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ. وَعِندَهُ عَبدُ اللهِ بنُ أَبِي أُمَيَّةَ وَأَبُو جَهلٍ، فَقَالَ لَهُ: «يَا عَمِّ، قُل لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِندَ اللهِ.

فقالا لَهُ: أترغبُ عن مِلَّةِ عَبدِ المُطَّلِبِ؟ فَأَعَادَ عَلَيهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَعَادا، فكَانَ آخرَ ما هُوَ عَلَىٰ مِلَّةِ عَبدِ المُطَّلِبِ، وَأَبَىٰ أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله.

فقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لأستغفِرَنَّ لَكَ مَا لَم أُنهَ عَنكَ» فَأَنزَلَ الله ﷻ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ ﴾ [التوبة:١١٣].

وأنزَلَ الله فِي أَبِي طَالِبٍ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص: ٥٦] [البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: تَفسِيرُ قَولِهِ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ الآيَة.

الثَّانِيَةُ: تَفسِيرُ قَولِهِ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ ﴾ الآيَة.

الثَّالِثَةُ: وَهِيَ المَسأَلَةُ الكُبرَىٰ: تَفسِيرُ قَولِهِ: «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله» بِخِلَافِ مَا عَلَيهِ مَن يَدَّعِي العِلمَ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ أَبَا جَهلٍ وَمَن مَعَهُ يَعرِفُونَ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا دَخَلَ قَالَ للرَّجُلِ: «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله»، فَقَبَّحَ الله أَبَا جَهلٍ، مَن أَعلَمُ مِنهُ بِأَصلِ الإِسلَامِ.

الخَامِسَةُ: جِدُّهُ ﷺ وَمُبَالَغَتُهُ فِي إِسلَامِ عَمِّهِ.

السَّادِسَةُ: الرَّدُّ عَلَىٰ مَن زَعَمَ إِسلَامَ عَبدِ المُطَّلِبِ وَأَسلَافِهِ.

السَّابِعَةُ: كَونُهُ ﷺ استَغفَرَ لَهُ فَلَم يُغفَر لَهُ، بَل نُهِيَ عَن ذَلِكَ.

الثَّامِنَةُ: مَضَرَّةُ أَصحَابِ السُّوءِ عَلَىٰ الإِنسَانِ.

التَّاسِعَةُ: مَضَرَّةُ تَعظِيمِ الأَسلَافِ وَالأَكَابِرِ.

العَاشِرَةُ: الشُّبهَةُ للمُبطِلِينَ فِي ذَلِكَ، لاستِدلَالِ أَبِي جَهلٍ بِذَلِكَ.

الحَادِيَةَ عَشرَةَ: الشَّاهِدُ لِكَونِ الأَعمَالِ بِالخَوَاتِيمِ، لأَنَّهُ لَو قَالَهَا لَنَفَعَتهُ.

الثَّانِيَةَ عَشرَةَ: التَّأَمُّلُ فِي كِبَرِ هَذِهِ الشُّبهَةِ فِي قُلُوبِ الضَّالِّينَ؛ لأَنَّ فِي القِصَّةِ أَنَّهُم لَم يُجَادِلُوهُ إِلَّا بِهَا مَعَ مُبَالَغَتِهِ ﷺ وَتَكرِيرِهِ فَلأَجلِ عَظَمَتِهَا وَوُضُوحِهَا عِندَهُم اقتَصَرُوا عَلَيهَا.

بَابُ: مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفرِ بَنِي آدَمَ وَتَركِهِم دِينَهُم هُوَ الغُلُوُّ فِي الصَّالِحِينَ

وَقَولِ الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾ [النساء: ١٧١].

فِي الصَّحِيحِ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي قَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴾ [نوح:٢٣].

قَالَ: هَذِهِ أَسمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِن قَومِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوحَىٰ الشَّيطَانُ إِلَىٰ قَومِهِم أَنِ انصِبُوا إِلَىٰ مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجلِسُونَ فِيهَا أَنصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسمَائِهِم، فَفَعَلُوا. وَلَم تُعبَد؛ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَنُسِيَ العِلمُ، عُبِدَت. [البخاري (٤٩٢٠)].

وَقَالَ ابنُ القَيِّمِ: «قَالَ غَيرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: لَمَّا مَاتُوا عَكَفُوا عَلَىٰ قُبُورِهِم ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهم، ثُمَّ طَالَ عَلَيهِمُ الأَمَدُ فَعَبَدُوهُم».

وَعَن عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا تُطرُونِي كَمَا أَطرَتِ النَّصَارَىٰ ابنَ مَريَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبدٌ فَقُولُوا: عَبدُ الله وَرَسُولُهُ». أَخرَجَاهُ. [البخاري (٣٤٤٥)].

وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِيَّاكُم وَالغُلُوَّ، فَإِنَّمَا أَهلَكَ مَن كَانَ قَبلَكُمُ الغُلُوُّ». [صحيح الجامع (٢٦٨٠)].

وَلِمُسلِمٍ: عَنِ ابنِ مَسعُودٍ أَن رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ» قَالَهَا ثَلَاثًا. [مسلم (٢٦٧٠)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: أَنَّ مَن فَهِمَ هَذَا البَابَ وَبَابَينِ بَعدَهُ تَبَيَّنَ لَهُ غُربَةُ الإِسلَامِ وَرَأَىٰ مِن قُدرَةِ الله وَتَقلِيبِهِ لِلقُلُوبِ العَجَبَ.

الثَّانِيَةُ: مَعرِفَةُ أَوَّلِ شِركٍ حَدَثَ فِي الأَرضِ؛ كَانَ بِشُبهَةِ الصَّالِحِينَ.

الثَّالِثَةُ: مَعرِفَةُ أَوَّلِ شَيءٍ غُيِّرَ بِهِ دِينُ الأَنبِيَاءِ وَمَا سَبَبُ ذَلِكَ مَعَ مَعرِفَةِ أَنَّ الله أَرسَلَهُم.

الرَّابِعَةُ: قَبُولُ البِدَعِ؛ مَعَ كَونِ الشَّرائِعِ وَالفِطَرِ تَرُدُّهَا.

الخامِسَةُ: أَنَّ سَبَبَ ذَلِكَ كُلِّهِ مَزجُ الحَقِّ بِالبَاطِلِ: فَالأَوَّلُ مَحَبَّةُ الصَّالِحِينَ، وَالثَّانِي فِعلُ نَاسٍ مِن أَهلِ العِلمِ وَالدِّينِ شَيئًا أَرَادُوا بِهِ خَيرًا فَظَنَّ مَن بَعدَهُم أَنَّهُم أَرَادُوا بِهِ غَيرَهُ.

السَّادِسَةُ: تَفسِيرُ الآيَةِ مِن سُورَةِ نُوحٍ.

السَّابِعَةُ: جِبِلَّةُ الآدَمِيِّ فِي كَونِ الحَقِّ يَنقُصُ فِي قَلبِهِ وَالبَاطِلِ يَزِيدُ.

الثَّامِنَةُ: فِيهِ شَاهِدًا لِمَا نُقِلَ عَنِ السَّلَفِ أَنَّ البِدَعَ سَبَبُ الكُفرِ.

التَّاسِعَةُ: مَعرِفَةُ الشَّيطَانِ بِمَا تَئُولُ إِلَيهِ البِدعَةُ وَلَو حَسُنَ قَصدُ الفَاعِلِ.

العَاشِرَةُ: مَعرِفَةُ القَاعِدَةِ الكُلِّيَّةِ وَهِيَ النَّهيُ عَنِ الغُلُوِّ وَمَعرِفَةُ مَا يَئُولُ إِلَيهِ.

الحَادِيَةَ عَشرَةَ: مَضَرَّةُ العُكُوفِ عَلَىٰ القَبرِ لأَجلِ عَمَلٍ صَالِحٍ.

الثَّانِيَةَ عَشرَةَ: مَعرِفَةُ النَّهيِ عَنِ التَّمَاثِيلِ وَالحِكمَةُ فِي إِزَالَتِهَا.

الثَّالِثَةَ عَشرَةَ: مَعرِفَةُ عِظَمِ شَأنِ هَذِهِ القِصَّةِ وَشِدَّةُ الحَاجَةِ إِلَيهَا مَعَ الغَفلَةِ عَنهَا.

الرَّابِعَةَ عَشرَةَ: وَهِيَ أَعجَبُ العَجَبِ: قِرَاءَتُهُم إِيَّاهَا فِي كُتُبِ التَّفسِيرِ وَالحَدِيثِ وَمَعرِفَتُهُم مَعنَىٰ الكَلَامِ وَكَونُ الله حَالَ بَينَهُم وَبَينَ قُلُوبِهِم حَتَّىٰ اعتَقَدُوا أَنَّ فِعلَ قَومِ نُوحٍ هُوَ أَفضَلُ العِبَادَاتِ وَاعتَقَدُوا أَنَّ مَا نَهَىٰ الله وَرَسُولُهُ عَنهُ فَهُوَ الكُفرُ المُبِيحُ للدَّمِ وَالمَالِ.

الخَامِسَةَ عَشرَةَ: التَّصرِيحُ بِأَنَّهُم لَم يُرِيدُوا إِلَّا الشَّفَاعَةَ.

السَّادِسَةَ عَشرَةَ: ظَنُّهُم أَنَّ العُلَمَاءَ الَّذِينَ صَوَّرُوا الصُّوَرَ أَرَادُوا ذَلِكَ.

السَّابِعَةَ عَشرَةَ: البَيَانُ العَظِيمُ فِي قَولِهِ: «لَا تُطرُونِي كَمَا أَطرَتِ النَّصَارَىٰ ابنَ مَريَمَ...»، فَصَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلَيهِ بَلَّغَ البَلَاغَ المُبِينَ.

الثَّامِنَةَ عَشرَةَ: نَصِيحَتُهُ إِيَّانَا بِهَلَاكِ المُتَنَطِّعِينَ.

التَّاسِعَةَ عَشرَةَ: التَّصرِيحُ بِأَنَّهَا لَم تُعبَد حَتَّىٰ نُسِيَ العِلمُ، فَفِيهَا بَيَانُ مَعرِفَةِ قَدرِ وُجُودِهِ وَمَضَرَّةِ فَقدِهِ.

العِشرُونَ: أَنَّ سَبَبَ فَقدِ العِلمِ مَوتُ العُلَمَاءِ.

بَابُ: مَا جَاءَ مِنَ التَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اللهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ؟

فِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ ﵂ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الحَبَشَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الصُّوَرِ، فَقَالَ: «أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ -أَو: العَبْدُ الصَّالِحُ- بَنَوا عَلَىٰ قَبرِهِ مَسجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الخَلقِ عِندَ اللهِ». [البخاري (٤٢٧)، ومسلم (٥٢٨)]. فَهَؤُلَاءِ جَمَعُوا بَينَ الفِتنَتَينِ: فِتنَةِ القُبُورِ وَفِتنَةِ التَّمَاثِيلِ.

وَلَهُمَا عَنهَا قَالَت: لَمَّا نُزِلَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ؛ طَفِقَ يَطرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَىٰ وَجهِهِ فَإِذَا اغتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا، فَقَالَ وَهُو كَذَلِكَ: «لَعنَةُ اللهِ عَلَىٰ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنبِيَائِهِم مَسَاجِدَ». يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا، وَلَولَا ذَلِكَ أُبرِزَ قَبرُهُ، غَيرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَن يُتَّخَذَ مَسجِدًا. أَخرَجَاهُ. [البخاري (١٣٣٠)، ومسلم (٥٣١)].

وَلِمُسلِمٍ عَن جُندَبِ بنِ عَبدِ اللهِ قَالَ: سَمِعتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبلَ أَن يَمُوتَ بِخَمسٍ وَهُو يَقُولُ: «إِنِّي أَبرَأُ إِلَىٰ اللهِ أَن يَكُونَ لِي مِنكُم خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللهَ قَد اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَو كُنتُ مُتَّخِذًا مِن أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذتُ أَبَا بَكرٍ خَلِيلًا. أَلَا وَإِنَّ مَن كَانَ قَبلَكُم كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنبِيَائِهِم مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ، فَإِنِّي أَنهَاكُم عَن ذَلِكَ». [مسلم (٥٣٢)].

فَقَد نَهَىٰ عَنهُ فِي آخرِ حَيَاتِهِ ثُمَّ إِنَّهُ لَعَنَ -وَهُو فِي السِّيَاقِ- مَن فَعَلَهُ.

وَالصَّلَاةُ عِندَهَا مِن ذَلِكَ، وَإِن لَم يُبنَ مَسجِدٌ، وَهُو مَعنَىٰ قَولِهَا: خُشِيَ أَن يُتَّخَذَ مَسجِدًا فَإِنَّ الصَّحَابَةَ لَم يَكُونُوا لِيَبنُوا حَولَ قَبرِهِ مَسجِدًا، وَكُلُّ مَوضِعٍ قُصِدَتِ الصَّلَاةُ فِيهِ فَقَد اتُّخِذَ مَسجِدًا، بَل كُلُّ مَوضِعٍ يُصَلَّىٰ فِيهِ يُسَمَّىٰ مَسجِدًا، كَمَا قَالَ ﷺ: «جُعِلَت لِيَ الأَرضُ مَسجِدًا وَطَهُورًا». [البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١)].

وَلِأَحمَدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنِ ابنِ مَسعُودٍ ﵁ مَرفُوعًا: «إِنَّ مِن شِرَارِ النَّاسِ مَن تُدرِكُهُمُ

ـعةُ وَهُم أَحياءٌ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ القُبُورَ مَسَاجِدَ». وَرَوَاهُ أَبُو حَاتِمٍ فِي صَحِيحِهِ. [صحيح، حـير الساجد (ص٢٦)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: مَا ذَكَرَ الرَّسُولُ ﷺ فِيمَن بَنَىٰ مَسجِدًا يَعبُدُ الله فِيهِ عِندَ قَبرِ رَجُلٍ صَالِحٍ، وَلَو ـحَّت نِيَّةُ الفَاعِلِ.

الثَّانِيَةُ: النَّهيُ عَنِ التَّمَاثِيلِ وَغِلَظُ الأَمرِ فِي ذَلِكَ.

الثَّالِثَةُ: العِبرَةُ فِي مُبَالَغَتِهِ ﷺ فِي ذَلِكَ، كَيفَ بَيَّنَ لَهُم هَذَا أَوَّلًا، ثُمَّ قَبلَ مَوتِهِ بِخَمسٍ ـ مَا قَالَ، ثُمَّ لَمَّا كَانَ فِي السِّيَاقِ لَم يَكتَفِ بِمَا تَقَدَّمَ.

الرَّابِعَةُ: نَهيُهُ مَن فَعَلَهُ عِندَ قَبرِهِ قَبلَ أَن يُوجَدَ القَبرُ.

الخَامِسَةُ: أَنَّهُ مِن سُنَنِ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ فِي قُبُورِ أَنبِيَائِهِم.

السَّادِسَةُ: لَعنُهُ إِيَّاهُم عَلَىٰ ذَلِكَ.

السَّابِعَةُ: أَنَّ مُرَادَهُ ﷺ تَحذِيرُهُ إِيَّانَا عَن قَبرِهِ.

الثَّامِنَةُ: العِلَّةُ فِي عَدَمِ إِبرَازِ قَبرِهِ.

التَّاسِعَةُ: فِي مَعنَىٰ اتِّخَاذِهِ مَسجِدًا.

العَاشِرَةُ: أَنَّهُ قَرَنَ بَينَ مَنِ اتَّخَذَهَا مَسجِدًا وَبَينَ مَن تَقُومُ عَلَيهِ السَّاعَةُ، فَذَكَرَ الذَّرِيعَةَ ىٰ الشِّركِ قَبلَ وُقُوعِهِ مَعَ خَاتِمَتِهِ.

الحَادِيَةَ عَشرَةَ: ذِكرُهُ فِي خُطبَتِهِ قَبلَ مَوتِهِ بِخَمسٍ الرَّدَّ عَلَىٰ الطَّائِفَتَينِ اللَّتَينِ هُمَا أَشَرُّ هلِ البِدَعِ، بَل أَخرَجَهُم بَعضُ أَهلِ العِلمِ مِنَ الثِّنتَينِ وَالسَّبعِينَ فِرقَةً، وَهُمُ الرَّافِضَةُ وَالجَهمِيَّةُ، وَبِسَبَبِ الرَّافِضَةِ حَدَثَ الشِّركُ وَعِبَادَةُ القُبُورِ، وَهُم أَوَّلُ مَن بَنَىٰ عَلَيهَا المَسَاجِدَ.

الثَّانِيَةَ عَشرَةَ: مَا بُلِيَ بِهِ ﷺ مِن شِدَّةِ النَّزعِ.

الثَّالِثَةَ عَشرَةَ: مَا أُكرِمَ بِهِ مِنَ الخُلَّةِ.

الرَّابِعَةَ عَشرَةَ: التَّصرِيحُ بِأَنَّهَا أَعلَىٰ مِنَ المَحَبَّةِ.

الخَامِسَةَ عَشرَةَ: التَّصريحُ بِأَنَّ الصِّدِّيقَ أفضَلُ الصَّحَابَةِ.

السَّادِسَةَ عَشرَةَ: الإِشَارَةُ إِلَىٰ خِلَافَتِهِ.

بَابُ: مَا جَاءَ أَنَّ الغُلُوَّ فِي قُبُورِ الصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أَوثَانًا تُعبَدُ مِن دُونِ الله

رَوَىٰ مَالِكٌ فِي المُوَطَّأ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تَجعَل قَبرِي وَثَنًا يُعبَدُ، اشتَدَّ غَضَبُ الله عَلَىٰ قَومٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنبِيَائِهِم مَسَاجِدَ». [صحيح، المشكاة (٧٥٠)].

وَلابنِ جَرِيرٍ بِسَنَدِهِ عَن سُفيَانَ عَن مَنصُورٍ عَن مُجَاهِدٍ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم ١٩]، قَالَ: كَانَ يَلُتُّ لَهُمُ السَّوِيقَ، فَمَاتَ، فَعَكَفُوا عَلَىٰ قَبرِهِ. وَكَذَا قَالَ أَبُو الجَوزَاءِ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: كَانَ يَلُتُّ السَّوِيقَ لِلحَاجِّ.

وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: لَعَنَ رَسُولُ الله ﷺ زَائِرَاتِ القُبُورِ وَالمُتَّخِذِينَ عَلَيهَا المَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ. رَوَاهُ أَهلُ السُّنَنِ. [ضعيف الجامع (٤٦٩١)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: تَفسِيرُ الأَوثَانِ.

الثَّانِيَةُ: تَفسِيرُ العِبَادَةِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ ﷺ لَم يَستَعِذ إِلَّا مِمَّا يُخَافُ وُقُوعُهُ.

الرَّابِعَةُ: قَرنُهُ بِهَذَا اتِّخَاذَ قُبُورِ الأَنبِيَاءِ مَسَاجِدَ.

الخَامِسَةُ: ذِكرُ شِدَّةِ الغَضَبِ مِنَ الله.

السَّادِسَةُ: وَهِيَ مِن أَهَمِّهَا: مَعرِفَةُ صِفَةِ عِبَادَةِ اللَّاتِ الَّتِي هِيَ مِن أَكبَرِ الأَوثَانِ.

السَّابِعَةُ: مَعرِفَةُ أَنَّهُ قَبرُ رَجُلٍ صَالِحٍ.

الثَّامِنَةُ: أَنَّهُ اسمُ صَاحِبِ القَبرِ وَذِكرُ مَعنَىٰ التَّسمِيَةِ.

التَّاسِعَةُ: لَعنُهُ زَوَّارَاتِ القُبُورِ.

العَاشِرَةُ: لَعنُهُ مَن أَسرَجَهَا.

بَابُ: مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ المُصطَفَىٰ ﷺ جَنَابَ التَّوحِيدِ وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيقٍ يُوصِلُ إِلَى الشِّركِ

وَقَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ الآيَة [التوبة: ١٢٨].

عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تَجعَلُوا بُيُوتَكُم قُبُورًا وَلَا تَجعَلُوا ...رِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُم تَبلُغُنِي حَيثُ كُنتُم». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ بِإِسنَادٍ حَسَنٍ ...وَاتُهُ ثِقَاتٌ. [صحيح الجامع (٧٢٢٦)].

وَعَن عَلِيِّ بنِ الحُسَينِ ﷺ أَنَّهُ رَأَىٰ رَجُلًا يَجِيءُ إِلَىٰ فُرجَةٍ كَانَت عِندَ قَبرِ النَّبِيِّ ﷺ ...خُلُ فِيهَا، فَيَدعُو، فَنَهَاهُ وَقَالَ: أَلَا أُحَدِّثُكُم حَدِيثًا سَمِعتُهُ مِن أَبِي عَن جَدِّي عَن رَسُولِ ...ﷺ قَالَ: «لَا تَتَّخِذُوا قَبرِي عِيدًا، وَلَا بُيُوتَكُم قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ تَسلِيمَكُم يَبلُغُنِي ...ـ كُنتُم». رَوَاهُ فِي المُختَارَةِ. [صحيح الجامع (٣٧٨٥)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: تَفسِيرُ آيَةِ بَرَاءَةٍ.

الثَّانِيَةُ: إِبعَادُهُ أُمَّتَهُ عَن هَذَا الحِمَىٰ غَايَةَ البُعدِ.

الثَّالِثَةُ: ذِكرُ حِرصِهِ عَلَينَا وَرَأفَتِهِ وَرَحمَتِهِ.

الرَّابِعَةُ: نَهيُهُ عَن زِيَارَةِ قَبرِهِ عَلَىٰ وَجهٍ مَخصُوصٍ، مَعَ أَنَّ زِيَارَتَهُ مِن أَفضَلِ الأَعمَالِ.

الخَامِسَةُ: نَهيُهُ عَنِ الإِكثَارِ مِنَ الزِّيَارَةِ.

السَّادِسَةُ: حَثُّهُ عَلَىٰ النَّافِلَةِ فِي البَيتِ.

السَّابِعَةُ: أَنَّهُ مُتَقَرِّرٌ عِندَهُم أَنَّهُ لَا يُصَلَّىٰ فِي المَقبَرَةِ.

الثَّامِنَةُ: تَعلِيلُهُ ذَلِكَ بِأَنَّ صَلَاةَ الرَّجُلِ وَسَلَامَهُ عَلَيهِ يَبلُغُهُ وَإِن بَعُدَ، فَلَا حَاجَةَ إِلَىٰ مَا يَتَوَهَّمُهُ مَن أَرَادَ القُربَ.

التَّاسِعَةُ: كَونُهُ ﷺ فِي البَرزَخِ تُعرَضُ عَلَيهِ أَعمَالُ أُمَّتِهِ فِي الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيهِ.

بَابُ: مَا جَاءَ أَنَّ بَعضَ هَذِهِ الأُمَّةِ يَعبُدُ الأَوثَانَ

وَقَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء:٥١].

وَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ﴾ [المائدة:٦٠]

وَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف:٢١].

عَن أَبِي سَعِيدٍ ﵁ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كَانَ قَبلَكُم حَذوَ القُذَّةِ بِالقُذَّةِ، حَتَّىٰ لَو دَخَلُوا جُحرَ ضَبٍّ لَدَخَلتُمُوهُ.

قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، اليَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: فَمَن؟». أَخرَجَاهُ. [البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩)].

وَلِمُسلِمٍ عَن ثَوبَانَ ﵁ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ الله زَوَىٰ لِيَ الأَرضَ فَرَأَيتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبلُغُ مُلكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنهَا، وَأُعطِيتُ الكَنزَينِ: الأَحمَرَ، وَالأَبيَضَ، وَإِنِّي سَأَلتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَلَّا يُهلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَلَّا يُسَلِّطَ عَلَيهِم عَدُوًّا مِن سِوَىٰ أَنفُسِهِم، فَيَستَبِيحَ بَيضَتَهُم، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعطَيتُكَ لأُمَّتِكَ أَلَّا أُهلِكَهُم بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَلَّا أُسَلِّطَ عَلَيهِم عَدُوًّا مِن سِوَىٰ أَنفُسِهِم فَيَستَبِيحَ بَيضَتَهُم وَلَوِ اجتَمَعَ عَلَيهِم مَن بِأَقطَارِهَا، حَتَّىٰ يَكُونَ بَعضُهُم يُهلِكُ بَعضًا وَيَسبِي بَعضُهُم بَعضًا». [مسلم (٢٨٨٩)].

وَرَوَاهُ البَرقَانِيُّ فِي صَحِيحِهِ وَزَادَ: «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي الأَئِمَّةَ المُضِلِّينَ، وَإِذَا وَقَعَ عَلَيهِمُ السَّيفُ لَم يُرفَع إِلَىٰ يَومِ القِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَلحَقَ حَيٌّ مِن أُمَّتِي بِالمُشرِكِينَ، وَحَتَّىٰ تَعبُدَ فِئَامٌ مِن أُمَّتِي الأَوثَانَ، وَأَنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ، كُلُّهُم يَزعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّتِي عَلَىٰ الحَقِّ

منصورةٌ، لَا يَضُرُّهُم مَن خَذَلَهُم، حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمرُ الله -تَبَارَك وَتَعَالَىٰ-». [صحيح الجامع (٧١٦٠)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: تَفسِيرُ آيَةِ النِّسَاءِ.

الثَّانِيَةُ: تَفسِيرُ آيَةِ المَائِدَة.

الثَّالِثَةُ: تَفسِيرُ آيَةِ الكَهفِ.

الرَّابِعَةُ: وَهِيَ أَهَمُّهَا: مَا مَعنَىٰ الإِيمَانِ بِالجِبتِ وَالطَّاغُوتِ فِي هَذَا المَوضِعِ: هَل هُوَ اعتِقَادُ قَلبٍ؟ أَو هُو مُوَافَقَةُ أَصحَابِهَا مَعَ بُغضِهَا وَمَعرِفَةِ بُطلَانِهَا؟

الخَامِسَةُ: قَولُهُم أَنَّ الكُفَّارَ الَّذِينَ يَعرِفُونَ كُفرَهُم أَهدَىٰ سَبِيلًا مِنَ المُؤمِنِينَ.

السَّادِسَةُ: وَهِيَ المَقصُودُ بِالتَّرجَمَةِ أَنَّ هَذَا لَا بُدَّ أَن يُوجَدَ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ؛ كَمَا تَقَرَّرَ فِي حدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ.

السَّابِعَةُ: تَصرِيحُهُ بِوُقُوعِهَا، أَعنِي: عِبَادَةَ الأَوثَانِ.

الثَّامِنَةُ: العَجَبُ العُجَابُ: خُرُوجُ مَن يَدَّعِي النُّبُوَّةَ مِثلُ المُختَارِ، مَعَ تَكَلُّمِهِ بِالشَّهَادَتَينِ، وَتَصرِيحِهِ بِأَنَّهُ مِن هَذِه الأُمَّةِ، وَأَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ، وَأَنَّ القُرآنَ حَقٌّ.

وَفِيهِ أَنَّ مُحَمَّدًا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَمَعَ هَذَا يُصَدَّقُ فِي هَذَا كُلِّهِ مَعَ التَّضَادِّ الوَاضِحِ، وَقَد خرَجَ المُختَارُ فِي آخِرِ عَصرِ الصَّحَابَةِ؛ وَتَبِعَهُ فِئَامٌ كَثِيرَةٌ!!

التَّاسِعَةُ: البِشَارَةُ بِأَنَّ الحَقَّ لَا يَزُولُ بِالكُلِّيَّةِ كَمَا زَالَ فِيمَا مَضَىٰ، بَل لَا تَزَالُ عَلَيهِ طَائِفَةٌ.

العَاشِرَةُ: الآيَةُ العُظمَىٰ أَنَّهُم -مَعَ قِلَّتِهِم- لَا يَضُرُّهُم مَن خَذَلَهُم وَلَا مَن خَالَفَهُم.

الحَادِيَةَ عَشرَةَ: أَنَّ ذَلِكَ الشَّرطَ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ.

الثَّانِيَةَ عَشرَةَ: مَا فِيهِ مِنَ الآيَاتِ العَظِيمَةِ؛ مِنهَا: إِخبَارُهُ بِأَنَّ الله زَوَىٰ لَهُ المَشَارِقَ وَالمَغَارِبَ، وَأَخبَرَ بِمَعنَىٰ ذَلِكَ فَوَقَع كَمَا أَخبَرَ، بِخِلَافِ الجَنُوبِ وَالشَّمَالِ، وَإِخبَارُهُ بِأَنَّهُ

أُعطِيَ الكَنزَينِ، وَإِخبَارُهُ بِإِجَابَةِ دَعوَتِهِ لأُمَّتِهِ فِي الاثنَتَينِ، وَإِخبَارُهُ بِأَنَّهُ مُنِعَ الثَّالِثَةَ، وَإِخبَارُهُ بِوُقُوعِ السَّيفِ، وَأَنَّهُ لَا يُرفَعُ إِذَا وَقَعَ، وَإِخبَارُهُ بِإِهلَاكِ بَعضِهِم بَعضًا وَسَبيِ بَعضِهِم بَعضًا، وَخَوفِهِ عَلَىٰ أُمَّتِهِ مِنَ الأَئِمَّةِ المُضِلِّينَ، وَإِخبَارُهُ بِظُهُورِ المُتَنَبِّئِينَ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ، وَإِخبَارُهُ بِبَقَاءِ الطَّائِفَةِ المَنصُورَةِ، وَكُلُّ هَذَا وَقَعَ كَمَا أَخبَرَ، مَعَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنهَا أَبعَدِ مَا يَكُونُ فِي العُقُولِ.

الثَّالِثَةَ عَشرَةَ: حَصرُ الخَوفِ عَلَىٰ أُمَّتِهِ مِنَ الأَئِمَّةِ المُضِلِّينَ.

الرَّابِعَةَ عَشرَةَ: التَّنبِيهُ عَلَىٰ مَعنَىٰ عِبَادَةِ الأَوثَانِ.

بَابُ: مَا جَاءَ فِي السِّحرِ

وَقَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ [البقرة:١٠٢].

وَقَولِهِ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [النساء:٥١].

قَالَ عُمَرُ: الجِبتُ: السِّحرُ، وَالطَّاغُوتُ: الشَّيطَانُ.

وَقَالَ جَابِرٌ: الطَّوَاغِيتُ: كُهَّانٌ كَانَ يَنزِلُ عَلَيهِمُ الشَّيطَانُ؛ فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ.

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اجتَنِبُوا السَّبعَ المُوبِقَاتِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَمَا هُنَّ؟

قَالَ: الشِّركُ بِالله، وَالسِّحرُ، وَقَتلُ النَّفسِ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكلُ الرِّبَا، وَأَكلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَومَ الزَّحفِ، وَقَذفُ المُحصَنَاتِ الغَافِلَاتِ المُؤمِنَاتِ». [البخاري (٢٧٦٧)، ومسلم (٨٩)].

وَعَن جُندُبٍ مَرفُوعًا: «حَدُّ السَّاحِرِ ضَربَةٌ بِالسَّيفِ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ: الصَّحِيحُ أَنَّهُ مَوقُوفٌ. [ضعيف الجامع (٢٦٩٩)].

وَفِي صَحِيحِ البُخَارِيِّ عَن بَجَالَةَ بنِ عَبدَةَ قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ ﷺ: أَنِ اقتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ. قَالَ: فَقَتَلنَا ثَلَاثَ سَوَاحِرَ.

وَصَحَّ عَن حَفصَةَ ﵂ أَنَّهَا أَمَرَت بِقَتلِ جَارِيَةٍ لَهَا سَحَرَتهَا، فَقُتِلَت.

وَكَذَلِكَ صَحَّ عَن جُندُبٍ. قَالَ أَحمَدُ: عَن ثَلَاثَةٍ مِن أَصحَابِ النَّبِيِّ ﷺ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: تَفسِيرُ آيَةِ البَقَرَةِ.

الثَّانِيَةُ: تَفسِيرُ آيَةِ النِّسَاءِ.

الثَّالِثَةُ: تَفسِيرُ الجِبتِ وَالطَّاغُوتِ، وَالفَرقُ بَينَهُمَا.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ الطَّاغُوتَ قَد يَكُونُ مِنَ الجِنِّ، وَقَد يَكُونُ مِنَ الإِنسِ.

الخَامِسَةُ: مَعرِفَةُ السَّبعِ المُوبِقَاتِ المَخصُوصَاتِ بِالنَّهيِ.

السَّادِسَةُ: أَنَّ السَّاحِرَ يَكفُرُ.

السَّابِعَةُ: أَنَّهُ يُقتَلُ وَلَا يُستَتَابُ.

الثَّامِنَةُ: وُجُودُ هَذَا فِي المُسلِمِينَ عَلَىٰ عَهدِ عُمَرَ، فَكَيفَ بَعدَهُ!

بَابُ: بَيَانِ شَيءٍ مِن أَنوَاعِ السِّحرِ

قَالَ أَحمَدُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ جَعفَرٍ، حَدَّثَنَا عَوفٌ، عَن حَيَّانَ بنِ العَلَاءِ، حَدَّثَنَا قَطَنُ بنُ قَبِيصَةَ، عَن أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ العِيَافَةَ وَالطَّرقَ وَالطِّيَرَةَ مِنَ الجِبتِ». [ضعيف الجامع (٣٩٠٠)].

قَالَ عَوفٌ: العِيَافَةُ: زَجرُ الطَّيرِ، وَالطَّرقُ: الخَطُّ يُخَطُّ بِالأَرضِ.

وَالجِبتُ: قَالَ الحَسَنُ: رَنَّةُ الشَّيطَانِ. إِسنَادُهُ جَيِّدٌ. وَلِأَبِي دَاودَ وَالنَّسَائِيِّ وَابنِ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ المُسنَدُ مِنهُ.

وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ ﵄ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنِ اقتَبَسَ شُعبَةً مِنَ النُّجُومِ فَقَدِ اقتَبَسَ شُعبَةً مِنَ السِّحرِ، زَادَ مَا زَادَ». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ، وَإِسنَادُهُ صَحِيحٌ. [صحيح الجامع (٦٠٧٤)].

وَلِلنَّسَائِيِّ مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ: «مَن عَقَدَ عُقدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَد سَحَرَ، وَمَن سَحَرَ فَقَد أَشرَكَ، وَمَن تَعَلَّقَ شَيئًا وُكِلَ إِلَيهِ». [ضعيف الجامع (٥٧٠٢)].

وَعَنِ ابنِ مَسعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا هَل أُنَبِّئُكُم مَا العَضهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ، القَالَةُ بَينَ النَّاسِ». رَوَاهُ مُسلِمٌ.[مسلم (٢٦٠٦)].

وَلَهُمَا عَنِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحرًا». [البخاري (٥١٤٦)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: أَنَّ العِيَافَةَ وَالطَّرقَ وَالطِّيَرَةَ مِنَ الجِبتِ.

الثَّانِيَةُ: تَفسِيرُ العِيَافَةِ وَالطَّرقِ وَالطِّيَرَةِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ عِلمَ النُّجُومِ نَوعٌ مِنَ السِّحرِ.

الرَّابِعَةُ: العَقدُ مَعَ النَّفثِ مِن ذَلِكَ.

الخَامِسَةُ: أَنَّ النَّمِيمَةَ مِن ذَلِكَ.

السَّادِسَةُ: أَنَّ مِن ذَلِكَ بَعضَ الفَصَاحَةِ.

بَابُ: مَا جَاءَ فِي الكُهَّانِ وَنَحوِهِم

رَوَىٰ مُسلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَن بَعضِ أَزوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَن أَتَىٰ عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَن شَيءٍ فَصَدَّقَهُ، لَم تُقبَل لَهُ صَلاةٌ أَربَعِينَ يَومًا». [مسلم (٢٢٣٠)].

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَن أَتَىٰ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَد كَفَرَ بِمَا أُنزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ. [صحيح الجامع (٥٩٤٢)].

وَلِلأَربَعَةِ وَالحَاكِمِ وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرطِهِمَا عَن أَبِي هُرَيرَةَ: «مَن أَتَىٰ عَرَّافًا أَو كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَد كَفَرَ بِمَا أُنزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ». [صحيح الجامع (٥٩٣٩)].

وَلأَبِي يَعلَىٰ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنِ ابنِ مَسعُودٍ مِثلُهُ مَوقُوفًا.

وَعَن عِمرَانَ بنِ حُصَينٍ مَرفُوعًا: «لَيسَ مِنَّا مَن تَطَيَّرَ أَو تُطُيِّرَ لَهُ، أَو تَكَهَّنَ أَو تُكُهِّنَ لَهُ، أَو سَحَرَ أَو سُحِرَ لَهُ؛ وَمَن أَتَىٰ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَد كَفَرَ بِمَا أُنزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ».

رواهُ البَزَّارُ بإسنَادٍ جَيِّدٍ. [صحيح الترغيب (٣٠٤١)].

وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الأَوسَطِ بِإِسنَادٍ حَسَنٍ مِن حَدِيثِ ابنِ عَبَّاسٍ دُونَ قَولِهِ: «وَمَن أَتَىٰ كَاهِنًا...» إِلَىٰ آخره.

قَالَ البَغَوِيُّ: العَرَّافُ: الَّذِي يَدَّعِي مَعرِفَةَ الأُمُورِ بِمُقَدِّمَاتٍ يُستَدَلُّ بِهَا عَلَىٰ المَسرُوقِ وَمَكَانِ الضَّالَّةِ وَنَحوِ ذَلِكَ.

وَقِيلَ: هُوَ الكَاهِنُ؛ وَالكَاهِنُ: هُوَ الَّذِي يُخبِرُ عَنِ المُغَيَّبَاتِ فِي المُستَقبَلِ.

وَقِيلَ: الَّذِي يُخبِرُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ.

وَقَالَ أَبُو العَبَّاسِ ابنُ تَيمِيَّةَ: العَرَّافُ: اسمٌ لِلكَاهِنِ وَالمُنَجِّمِ وَالرَّمَّالِ وَنَحوِهِم مِمَّن يَتَكَلَّمُ فِي مَعرِفَةِ الأُمُورِ بِهَذِهِ الطُّرُقِ.

وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ فِي قَومٍ يَكتُبُونَ «أَبَا جَادٍ» وَيَنظُرُونَ فِي النُّجُومِ: مَا أَرَىٰ مَن فَعَلَ ذَلِكَ لَهُ عِندَ اللهِ مِن خَلَاقٍ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: أَنَّهُ لَا يَجتَمِعُ تَصدِيقُ الكَاهِنِ مَعَ الإِيمانِ بِالقُرآنِ.

الثَّانِيَةُ: التَّصرِيحُ بِأَنَّهُ كُفرٌ.

الثَّالِثَةُ: ذِكرُ مَن تُكُهِّنَ لَهُ.

الرَّابِعَةُ: ذِكرُ مَن تُطُيِّرَ لَهُ.

الخَامِسَةُ: ذِكرُ مَن سُحِرَ لَهُ.

السَّادِسَةُ: ذِكرُ مَن تَعَلَّمَ «أَبَا جَاد».

السَّابِعَةُ: ذِكرُ الفَرقِ بَينَ الكَاهِنِ وَالعَرَّافِ.

بَابُ: مَا جَاءَ فِي النُّشرَةِ

عَن جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ النُّشرَةِ، فَقَالَ: «هِيَ مِن عَمَلِ الشَّيطَانِ». رَوَاهُ أَحمَدُ

بِسَنَدٍ جَيِّدٍ، وَأَبُو دَاودَ وَقَالَ: سُئِلَ أَحمَدُ عَنهَا فَقَالَ: ابنُ مَسعُودٍ يَكرَهُ هَذَا كُلَّهُ. [صحيح، المشكاة (٤٥٥٣)].

وَفِي البُخَارِيِّ عَن قَتَادَةَ: قُلتُ لابنِ المُسَيَّبِ: رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ أَو يُؤخَذُ عَن امرَأَتِهِ، أَيُحَلُّ عَنهُ أَو يُنشَرُ؟ قَالَ: لَا بَأسَ بِهِ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهِ الإِصلَاحَ فَأَمَّا مَا يَنفَعُ فَلَم يُنهَ عَنهُ. انتَهَىٰ.

وَرُوِيَ عَنِ الحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: لَا يَحِلُّ السِّحرَ إِلَا سَاحِرٌ.

قَالَ ابنُ القَيِّمِ: النُّشرَةُ حَلُّ السِّحرِ عَنِ المَسحُورِ، وَهِيَ نَوعَانِ: حَلُّ السِّحرِ بِسِحرٍ مِثلِهِ، وَهُوَ الَّذِي مِن عَمَلِ الشَّيطَانِ، وَعَلَيهِ يُحمَلُ قَولُ الحَسَنِ، فَيَتَقَرَّبُ النَّاشِرُ وَالمُنتَشِرُ إِلَىٰ الشَّيطَانِ بِمَا يُحِبُّ؛ فَيُبطِلُ عَمَلَهُ عَنِ المَسحُورِ.

وَالثَّانِي: النُّشرَةُ بِالرُّقيَةِ وَالتَّعَوُّذَاتِ وَالأَدوِيَةِ وَالدَّعَوَاتِ المُبَاحَةِ، فَهَذَا جَائِزٌ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: النَّهيُ عَنِ النُّشرَةِ.

الثَّانِيَةُ: الفَرقُ بَينَ المَنهِيِّ عَنهُ وَالمُرَخَّصِ فِيهِ مِمَّا يُزِيلُ الإِشكَالَ.

بَابٌ: مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ

وَقَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٣١].

وَقَولِهِ: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ﴾ [يس:١٩].

عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا عَدوَىٰ وَلَا طِيَرَةَ وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ». أَخرَجَاهُ. [البخاري (٥٧٥٧)، ومسلم (٢٢٢٠)]. زَادَ مُسلِمٌ: «وَلَا نَوءَ، وَلَا غُولَ». [مسلم (٢٢٢٢)].

وَلَهُمَا عَن أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا عَدوَىٰ وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعجِبُنِي الفَألُ. قَالُوا: وَمَا الفَألُ؟ قَالَ: الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ». [البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٤)].

وَلِأَبِي دَاودَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: عَن عُقبَةَ بنِ عَامِرٍ، قَالَ: ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِندَ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: «أَحسَنُهَا الفَألُ، وَلَا تَرُدُّ مُسلِمًا، فَإِذَا رَأَىٰ أَحَدُكُم مَا يَكرَهُ فَليَقُل: اللَّهُمَّ لَا يَأتِي

الحَسنَاتِ إلَّا أنتَ، وَلَا يَدفَعُ السَّيِّئَاتِ إلَّا أنتَ، وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِكَ». [ضعيف الجامع (١٩٩)].

وَعَن ابنِ مَسعُودٍ مَرفُوعًا: «الطِّيَرَةُ شِركٌ، الطِّيَرَةُ شِركٌ. وَمَا مِنَّا إلَّا... وَلَكِنَّ الله يُذهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ وَالتِّرمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ وَجَعَلَ آخِرَه مِن قَولِ ابنِ مَسعُودٍ. [صحيح الجامع (٣٩٦٠)].

وَلأَحمَدَ مِن حَدِيثِ ابنِ عَمرٍو: «مَن رَدَّتهُ الطِّيَرَةُ عَن حَاجَتِهِ فَقَد أَشرَكَ.

قَالُوا: فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: أَن تَقُولُوا: اللَّهُمَّ لَا خَيرَ إلَّا خَيرُكَ، وَلَا طَيرَ إلَّا طَيرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيرُكَ». [صحيح الجامع (٦٢٦٤)].

وَلَهُ مِن حَدِيثِ الفَضلِ بنِ العَبَّاسِ: «إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمضَاكَ أَو رَدَّكَ». [أحمد (١٨٢٧)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: التَّنبِيهُ عَلَى قَولِهِ: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ مَعَ قَولِهِ: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾.

الثَّانِيَةُ: نَفيُ العَدوَى.

الثَّالِثَةُ: نَفيُ الطِّيَرَةِ.

الرَّابِعَةُ: نَفيُ الهَامَةِ.

الخَامِسَةُ: نَفيُ الصَّفَرِ.

السَّادِسَةُ: أَنَّ الفَألَ لَيسَ مِن ذَلِكَ بَل مُستَحَبٌّ.

السَّابِعَةُ: تَفسِيرُ الفَألِ.

الثَّامِنَةُ: أَنَّ الوَاقِعَ فِي القُلُوبِ مِن ذَلِكَ مَعَ كَرَاهَتِهِ لَا يَضُرُّ، بَل يُذهِبُهُ الله بِالتَّوَكُّلِ.

التَّاسِعَةُ: ذِكرُ مَا يَقُولُهُ مَن وَجَدَهُ.

العَاشِرَةُ: التَّصرِيحُ بِأَنَّ الطِّيَرَةَ شِركٌ.

الحَادِيَةَ عَشرَةَ: تَفسِيرُ الطِّيَرَةِ المَذمُومَةِ.

بَابُ: مَا جَاءَ فِي التَّنجِيمِ

قَالَ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: قَالَ قَتَادَةُ: خَلَقَ الله هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ: زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهتَدَىٰ بِهَا. فَمَن تَأَوَّلَ فِيهَا غَيرَ ذَلِكَ أَخطأَ وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلمَ لَهُ بِهِ. انتَهَىٰ.

وَكَرِهَ قَتَادَةُ تَعَلُّمَ مَنَازِلِ القَمَرِ.

وَلَم يُرَخِّصِ ابنُ عُيَينَةَ فِيهِ. ذَكَرَهُ حَربٌ عَنهُمَا.

وَرَخَّصَ فِي تَعَلُّمِ المَنَازِلِ: أَحمَدُ وَإِسحَاقُ.

وَعَن أَبِي مُوسَىٰ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدخُلُونَ الجَنَّةَ: مُدمِنُ الخَمرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحرِ». رَوَاهُ أَحمَدُ وَابنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ. [ضعيف الجامع (٢٥٩٨)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: الحِكمَةُ فِي خَلقِ النُّجُومِ.

الثَّانِيَةُ: الرَّدُّ عَلَىٰ مَن زَعَمَ غَيرَ ذَلِكَ.

الثَّالِثَةُ: ذِكرُ الخِلَافِ فِي تَعَلُّمِ المَنَازِلِ.

الرَّابِعَةُ: الوَعِيدُ فِيمَن صَدَّقَ بِشَيءٍ مِنَ السِّحرِ وَلَو عَرَفَ أَنَّهُ بَاطِلٌ.

بَابُ: مَا جَاءَ فِي الاستِسقَاءِ بِالأَنوَاءِ

وَقَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٨٢].

وَعَن أَبِي مَالِكٍ الأَشعَرِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «أَربَعٌ فِي أُمَّتِي مِن أَمرِ الجَاهِلِيَّةِ لَا يَترُكُونَهُنَّ: الفَخرُ بِالأَحسَابِ، وَالطَّعنُ فِي الأَنسَابِ، وَالاستِسقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ». وَقَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَم تَتُب قَبلَ مَوتِهَا تُقَامُ يَومَ القِيَامَةِ وَعَلَيهَا سِربَالٌ مِن قَطِرَانٍ، وَدِرعٌ مِن جَرَبٍ» رَوَاهُ مُسلِمٌ. [مسلم (٩٣٤)].

وَلَهُمَا عَن زَيدِ بنِ خَالِدٍ ﷺ قَالَ: صَلَّىٰ لَنَا رَسُولُ الله ﷺ صَلَاةَ الصُّبحِ بِالحُدَيبِيَةِ عَلَىٰ

إثر سَمَاءٍ كَانَت مِنَ اللَّيلِ، فَلَمَّا انصَرَفَ أَقبَلَ عَلَىٰ النَّاسِ فَقَالَ: «هَل تَدرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُم؟ قَالُوا : الله وَرَسُولُهُ أَعلَمُ. قَالَ: أَصبَحَ مِن عِبَادِي مُؤمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَن قَالَ: مُطِرنَا بِفَضلِ الله وَرَحمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوكَبِ، وَأَمَّا مَن قَالَ: مُطِرنا بِنَوءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤمِنٌ بِالكَوكَبِ». [البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١)].

وَلَهُمَا مِن حَدِيثِ ابنِ عَبَّاسٍ مَعنَاهُ. وَفِيهِ: قَالَ بَعضُهُم: لَقَد صَدَقَ نَوءُ كَذَا وَكَذَا، فَأَنزَلَ الله هَذِهِ الآيَاتِ: ﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٧٥-٨٢]. [مسلم (٧٣)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: تَفسِيرُ آيَةِ الوَاقِعَةِ.

الثَّانِيَةُ: ذِكرُ الأَربَعِ الَّتِي مِن أَمرِ الجَاهِلِيَّةِ.

الثَّالِثَةُ: ذِكرُ الكُفرِ فِي بَعضِهَا.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ مِنَ الكُفرِ مَا لَا يُخرِجُ مِنَ المِلَّةِ.

الخَامِسَةُ: قَولُهُ: «أَصبَحَ مِن عِبَادِي مُؤمِنٌ بِي وَكَافِرٌ» بِسَبَبِ نُزُولِ النِّعمَةِ.

السَّادِسَةُ: التَّفَطُّنُ للإِيمَانِ فِي هَذَا المَوضِعِ.

السَّابِعَةُ: التَّفَطُّنُ لِلكُفرِ فِي هَذَا المَوضِعِ.

الثَّامِنَةُ: التَّفَطُّنُ لِقَولِهِ: «لَقَد صَدَقَ نَوءُ كَذَا وَكَذَا».

التَّاسِعَةُ: إِخرَاجُ العَالِمِ لِلمُتَعَلِّمِ المَسأَلَةَ بِالاستِفهَامِ عَنهَا، لِقَولِهِ: «أَتَدرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُم؟».

العَاشِرَةُ: وَعِيدُ النَّائِحَةِ.

بَابُ

قَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]. وَقَولِهِ: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ الآيَة [التوبة: ٢٤]

عَن أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا يُؤمِنُ أَحَدُكُم حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيهِ مِن وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجمَعِينَ» أَخرَجَاهُ. [البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤)].

وَلَهُمَا عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ثَلَاثٌ مَن كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَن يَكُونَ الله وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَن يُحِبَّ المَرءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله، وَأَن يَكرَهَ أَن يَعُودَ فِي الكُفرِ بَعدَ إِذ أَنقَذَهُ الله مِنهُ كَمَا يَكرَهُ أَن يُقذَفَ فِي النَّارِ». [البخاري (٢١)، ومسلم (٤٣)].

وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الإِيمان حَتَّىٰ...» إِلَىٰ آخِرِهِ. [البخاري (٦٠٤١)].

وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَن أَحبَّ فِي الله، وَأَبغَضَ فِي الله، وَوَالَىٰ فِي الله، وَعَادَىٰ فِي الله، فَإِنَّمَا تُنَالُ وَلَايَةُ الله بِذَلِكَ، وَلَن يَجِدَ عَبدٌ طَعمَ الإِيمَانِ وَإِن كَثُرَت صَلَاتُهُ وَصَومُهُ حَتَّىٰ يَكُونَ كَذَلِكَ، وَقَد صَارَت عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَىٰ أَمرِ الدُّنيَا، وَذَلِكَ لَا يُجدِي عَلَىٰ أَهلِهِ شَيئًا. رَوَاهُ ابنُ جَرِيرٍ.

وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ فِي قَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة: ١٦٦]. قَالَ: المَوَدَّةُ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: تَفسِيرُ آيَةِ البَقَرَةِ.

الثَّانِيَةُ: تَفسِيرُ آيَةِ بَرَاءَةٍ.

الثَّالِثَةُ: وُجُوبُ مَحبَّتِهِ ﷺ عَلَىٰ النَّفسِ وَالأَهلِ وَالمَالِ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ نَفيَ الإِيمَانِ لَا يَدُلُّ عَلَىٰ الخُرُوجِ مِنَ الإِسلَامِ.

الخَامِسَةُ: أَنَّ لِلإِيمَانِ حَلَاوَةً قَد يَجِدُهَا الإِنسَانُ وَقَد لَا يَجِدُهَا.

السَّادِسَةُ: أَعمَالُ القَلبِ الأَربَعُ الَّتِي لَا تُنَالُ وِلَايَةُ الله إِلَّا بِهَا وَلَا يَجِدُ أَحَدٌ طَعمَ الإِيمَانِ إِلَّا بِهَا.

السَّابِعَةُ: فَهمُ الصَّحَابِيِّ لِلوَاقِعِ: أَنَّ عَامَّةَ المُؤَاخَاةِ عَلَىٰ أَمرِ الدُّنيَا.

الثَّامِنَةُ: تَفسِيرُ ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾.

التَّاسِعَةُ: أَنَّ مِنَ المُشرِكِينَ مَن يُحِبُّ الله حُبًّا شَدِيدًا.

العَاشِرَةُ: الوَعِيدُ عَلَىٰ مَن كَانَ الثَّمَانِيَةُ أَحبَّ إِلَيهِ مِن دِينِهِ.

الحَادِيَةَ عَشرَةَ: أَنَّ مَنِ اتَّخَذَ نِدًّا تُسَاوِي مَحبَّتُهُ مَحَبَّةَ الله فَهُوَ الشِّركُ الأَكبَرُ.

بَابُ

قَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]. وَقَولِهِ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ الآيَة [التوبة: ١٨].

وَقَولِهِ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ الآيَة [العنكبوت: ١٠].

عَن أَبِي سَعِيدٍ ﷺ مَرفُوعًا: «إِنَّ مِن ضَعفِ اليَقِينِ أَن تُرضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ الله، وَأَن تَحمِدَهُم عَلَىٰ رِزقِ الله، وَأَن تَذُمَّهُم عَلَىٰ مَا لَم يُؤتِكَ الله، إِنَّ رِزقَ الله لَا يَجُرُّهُ حِرصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ». [ضعيف الجامع (٢٠٠٩)].

وَعَن عَائِشَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنِ التَمَسَ رِضَا الله بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ الله عَنهُ وَأَرضَىٰ عَنهُ النَّاسَ، وَمَنِ التَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ الله سَخِطَ الله عَلَيهِ وَأَسخَطَ عَلَيهِ النَّاسَ» رَوَاهُ ابنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ. [صحيح الترغيب (٢٢٥٠)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: تَفسِيرُ آيَةِ آلِ عِمرَانَ.

الثَّانِيَةُ: تَفسِيرُ آيَةِ بَرَاءَةٍ.

الثَّالِثَةُ: تَفسِيرُ آيَةِ العَنكَبُوتِ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ اليَقِينَ يَضعُفُ وَيَقوَىٰ.

الخَامِسَةُ: عَلَامَةُ ضَعفِهِ، وَمِن ذَلِكَ هَذِهِ الثَّلَاثُ.

السَّادِسَةُ: أَنَّ إِخْلَاصَ الخَوفِ لله مِنَ الفَرَائِضِ.

السَّابِعَةُ: ذِكرُ عِقَابِ مَن تَرَكَهُ.

الثَّامِنَةُ: ذِكرُ ثَوَابِ مَن فَعَلَهُ.

بَابُ

قَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣].

وَقَولِهِ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ الآيَة [الأنفال:٢].

وَقَولِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ﴾ الآيَة [الأنفال:٦٤].

وَقَولِهِ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ الآيَة [الطلاق:٣].

وَعَنِ ابنِ عبَّاسٍ قَالَ: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ قَالَهَا إِبرَاهِيمُ عليه السلام حِينَ أُلقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا لَهُ: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ الآيَةُ [آل عمران:١٧٣]. رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَالنَّسَائِيُّ. [البخاري (٤٥٦٣)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: أَنَّ التَّوَكُّلَ مِنَ الفَرَائِضِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّهُ مِن شُرُوطِ الإِيمَانِ.

الثَّالِثَةُ: تَفسِيرُ آيَةِ الأنفَالِ.

الرَّابِعَةُ: تَفسِيرُ الآيَةِ فِي آخِرِهَا.

الخَامِسَةُ: تَفسِيرُ آيَةِ الطَّلَاقِ.

السَّادِسَةُ: عِظَمُ شَأنِ هَذِهِ الكَلِمَةِ، وَأَنَّهَا قَولُ إِبرَاهِيمَ -عَلَيهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- وَمُحَمَّدٍ ﷺ فِي الشَّدَائِدِ.

بَابُ

قَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

وَقَولِهِ: ﴿وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٦].

وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ سُئِلَ عَنِ الكَبَائِرِ فَقَالَ: «الشِّركُ بِالله، وَاليَأسُ مِن رَوحِ الله، وَالأَمنُ مِن مَكرِ الله». [صحيح الجامع (٤٦٠٣)].

وَعَنِ ابنِ مَسعُودٍ قَالَ: أَكبَرُ الكَبَائِرِ: الإِشرَاكُ بِالله، وَالأَمنُ مِن مَكرِ الله، وَالقُنُوطُ مِن رَحمَةِ الله، وَاليَأسُ مِن رَوحِ الله. رَوَاهُ عَبد الرَّزَّاق.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: تَفسِيرُ آيَةِ الأَعرَافِ.

الثَّانِيَةُ: تَفسِيرُ آيَةِ الحِجرِ.

الثَّالِثَةُ: شِدَّةُ الوَعِيدِ فِيمَن أَمِنَ مَكرَ الله.

الرَّابِعَةُ: شِدَّةُ الوَعِيدِ فِي القُنُوطِ.

بَابُ مِنَ الإِيمَانِ بِالله الصَّبرُ عَلَى أَقدَارِ الله

وَقَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ [التغابن:١١].

قَالَ عَلقَمَةُ: هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ المُصِيبَةُ فَيَعلَمُ أَنَّهَا مِن عِندِ الله فَيَرضَىٰ وَيُسَلِّمُ.

وَفِي صَحِيحِ مُسلِمٍ عَن أَبِي هُرَيرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «اثنَتَان فِي النَّاسِ هُمَا بِهِم كُفرٌ: الطَّعنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَىٰ المَيِّتِ». [مسلم (٦٧)].

وَلَهُمَا عَنِ ابنِ مَسعُودٍ مَرفُوعًا: «لَيسَ مِنَّا مَن ضَرَبَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعوَىٰ الجَاهِلِيَّةِ». [البخاري (١٢٩٧)، ومسلم (١٠٣)].

وَعَن أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِذَا أَرَادَ الله بِعَبدِهِ الخَيرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبدِهِ الشَّرَّ أَمسَكَ عَنهُ بِذَنبِهِ حَتَّىٰ يُوَافِيَ بِهِ يَومَ القِيَامَةِ». [صحيح الجامع (٣٠٨)].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاءِ، وَإِنَّ الله تَعَالَىٰ إِذَا أَحَبَّ قَومًا ابتَلَاهُم، فَمَن رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَن سَخِطَ فَلَهُ السُّخطُ» حَسَّنَهُ التِّرمِذِيُّ. [صحيح الجامع (٢١١٠)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: تَفسِيرُ آيَةِ التَّغَابُنِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ هَذَا مِنَ الإِيمَانِ بِالله.

الثَّالِثَةُ: الطَّعنُ فِي النَّسَبِ.

الرَّابِعَةُ: شِدَّةُ الوَعِيدِ فِيمَن ضَرَبَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعوَىٰ الجَاهِلِيَّةِ.

الخَامِسَةُ: عَلَامَةُ إِرَادَةِ الله بِعَبدِهِ الخَيرَ.

السَّادِسَةُ: إِرَادَةُ الله بِهِ الشَّرَّ.

السَّابِعَةُ: عَلَامَةُ حُبِّ الله لِلعَبدِ.

الثَّامِنَةُ: تَحرِيمُ السَّخَطِ.

التَّاسِعَةُ: ثَوَابُ الرِّضَا بِالبَلَاءِ.

بَابُ: مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ

وَقَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ الآيَة [الكهف: ١١٠].

عَن أَبِي هُرَيرَةَ مَرفُوعًا: «قَالَ الله تَعَالَىٰ: أَنَا أَغنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّركِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا

أَشرَكَ مَعَي فِيهِ غَيرِي تَرَكتُهُ وَشِركَهُ». رَوَاهُ مُسلِمٌ. [مسلم (٢٩٨٥)].

وَعَن أَبِي سَعِيدٍ مَرفُوعًا: «أَلَا أُخبِرُكُم بِمَا هُوَ أَخوَفُ عَلَيكُم عِندِي مِنَ المَسِيحِ الدَّجَّالِ؟ قَالُوا: بَلَىٰ. قَالَ: الشِّركُ الخَفِيُّ، يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلاتَهُ لِمَا يَرَىٰ مِن نَظَرِ رَجُلٍ إِلَيهِ» رَوَاهُ أَحمَدُ. [صحيح الجامع (٢٦٠٧)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: تَفسِيرُ آيَةِ الكَهفِ.

الثَّانِيَةُ: الأَمرُ العَظِيمُ فِي رَدِّ العَمَلِ الصَّالِحِ إِذَا دَخَلَهُ شَيءٌ لِغَيرِ اللهِ.

الثَّالِثَةُ: ذِكرُ السَّبَبِ المُوجِبِ لِذَلِكَ وَهُوَ كَمَالُ الغِنَىٰ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ مِنَ الأَسبَابِ أَنَّهُ تَعَالَىٰ خَيرُ الشُّرَكَاءِ.

الخَامِسَةُ: خَوفُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ أَصحَابِهِ مِنَ الرِّيَاءِ.

السَّادِسَةُ: أَنَّهُ فَسَّرَ ذَلِكَ بِأَنَّ المَرءَ يُصَلِّي للهِ لَكِن يُزَيِّنُهَا لِمَا يَرَىٰ مِن نَظَرِ الرَّجُلِ إِلَيهِ.

بَابٌ: مِنَ الشِّركِ: إِرَادَةُ الإِنسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنيَا

وَقَولِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ الآيَةَ [هود: ١٥].

فِي الصَّحِيحِ عَن أَبِي هُرَيرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَعِسَ عَبدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبدُ الدِّرهَمِ، تَعِسَ عَبدُ الخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبدُ الخَمِيلَةِ: إِن أُعطِيَ رَضِيَ، وَإِن لَم يُعطَ سَخِطَ؛ تَعِسَ وَانتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انتَقَشَ، طُوبَىٰ لِعَبدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَشعَثَ رَأسُهُ مُغبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِن كَانَ فِي الحِرَاسَةِ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِن كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِن استَأذَنَ لَم يُؤذَن لَهُ، وَإِن شَفَعَ لَم يُشَفَّع». [البخاري (٢٨٨٧)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: إِرَادَةُ الإِنسَانِ بِعَمَلِهِ الآخِرَةَ.

الثَّانِيَةُ: تَفسِيرُ آيَةِ هُودٍ.

الثَّالِثَةُ: تَسمِيَةُ الإنسَانِ المُسلِمِ عَبدَ الدِّينَارِ وَالدِّرهَمِ وَالخَمِيصَةِ.

الرَّابِعَةُ: تَفسِيرُ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إن أُعطِيَ رَضِيَ وَإن لَم يُعطَ سَخِطَ.

الخَامِسَةُ: قَولُهُ: «تَعِسَ وَانتَكَسَ».

السَّادِسَةُ: قَولُهُ: «وَإِذَا شِيكَ فَلَا انتَقَشَ».

السَّابِعَةُ: الثَّنَاءُ عَلَىٰ المُجَاهِدِ المَوصُوفِ بِتِلكَ الصِّفَاتِ.

بَابُ: مَن أَطَاعَ العُلَمَاءَ وَالأُمَرَاءَ فِي تَحرِيمِ مَا أَحَلَّ اللَّه أَو تَحلِيلِ مَا حَرَّمَ اللَّه فَقَدِ اتَّخَذَهُم أَربَابًا

وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: يُوشِكُ أَن تَنزِلَ عَلَيكُم حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكرٍ وَعُمَرُ.

وَقَالَ أَحمَدُ بنُ حَنبَلٍ: عَجِبتُ لِقَومٍ عَرَفُوا الإسنَادَ وَصِحَّتَهُ، يَذهَبُونَ إِلَىٰ رَأيِ سُفيَانَ، وَاللهُ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]. أَتَدرِي مَا الفِتنَةُ؟ الفِتنَةُ الشِّركُ، لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعضَ قَولِهِ أَن يَقَعَ فِي قَلبِهِ شَيءٌ مِنَ الزَّيغِ فَيَهلِكَ.

وَعَن عَدِيِّ بنِ حَاتِمٍ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقرَأُ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١]. فَقُلتُ لَهُ: إِنَّا لَسنَا نَعبُدُهُم، قَالَ: «أَلَيسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ، فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ، فَتُحِلُّونَهُ؟» فَقُلتُ: بَلَىٰ. قَالَ: «فَتِلكَ عِبَادَتُهُم» رَوَاهُ أَحمَدُ وَالتِّرمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ. [الصحيحة (٢٣٩٣)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: تَفسِيرُ آيَةِ النُّورِ.

الثَّانِيَةُ: تَفسِيرُ آيَةِ بَرَاءَةٍ.

الثَّالِثَةُ: التَّنبِيهُ عَلَىٰ مَعنَىٰ العِبَادَةِ الَّتِي أنكَرَهَا عَدِيٌّ.

الرَّابِعَةُ: تَمثِيلُ ابنِ عَبَّاسٍ بِأَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ، وَتَمثِيلُ أَحمَدَ بِسُفيَانَ.

الخَامِسَةُ: تَحَوُّلُ الأَحوَالِ إِلَىٰ هَذِهِ الغَايَةِ حَتَّىٰ صَارَ عِندَ الأَكثَرِ عِبَادَةُ الرُّهبَانِ هِيَ أَفضَلُ الأَعمَالِ وَتُسَمَّىٰ الوَلَايَةَ، وَعِبَادَةُ الأَحبَارِ هِيَ العِلمُ وَالفِقهُ، ثُمَّ تَغَيَّرَتِ الأَحوَالُ إِلَىٰ أَن عُبِدَ مِن دُونِ الله مَن لَيسَ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَعُبِدَ بِالمَعنَىٰ الثَّانِي مَن هُوَ مِنَ الجَاهِلِينَ.

بَابٌ

قَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ الآيَات [النساء: ٦٠].

وَقَولِهِ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾. [البقرة: ١١].

وَقَولِهِ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

وَقَولِهِ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ الآيَة [المائدة: ٥٠].

وَعَن عَبدِ الله بنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا يُؤمِنُ أَحَدُكُم حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئتُ بِهِ» قَالَ النَّوَوِي: حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رُوِّينَاهُ فِي كِتَابِ الحُجَّةِ بِإِسنَادٍ صَحِيحٍ. [ضعيف، المشكاة (١٦٧)].

وَقَالَ الشَّعبِيُّ: كَانَ بَينَ رَجُلٍ مِنَ المُنَافِقِينَ وَرَجُلٍ مِنَ اليَهُودِ خُصُومَةٌ، فَقَالَ اليَهُودِيُّ: نَتَحَاكَمُ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ -عَرَفَ أَنَّهُ لَا يَأخُذُ الرِّشوَةَ- وَقَالَ المُنَافِقُ: نَتَحَاكَمُ إِلَىٰ اليَهُودِ. لِعِلمِهِ أَنَّهُم يَأخُذُونَ الرِّشوَةَ. فَاتَّفَقَا أَن يَأتِيَا كَاهِنًا فِي جُهَينَةَ فَيَتَحَاكَمَا إِلَيهِ، فَنَزَلَت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ الآيَة [النساء: ٦٠].

وَقِيلَ: نَزَلَت فِي رَجُلَينِ اختَصَمَا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: نَتَرَافَعُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ الآخَرُ:

إِلَىٰ كَعبِ بنِ الأَشرَفِ. ثُمَّ تَرَافَعَا إِلَىٰ عُمَرَ، فَذَكَرَ لَهُ أَحدُهُمَا القِصَّةَ، فَقَالَ لِلَّذِي لَم يَرضَ بِرَسُولِ الله ﷺ: أَكَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَم. فَضَرَبَهُ بِالسَّيفِ فَقَتَلَهُ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: تَفسِيرُ آيَةِ النِّسَاءِ وَمَا فِيهَا مِنَ الإِعَانَةِ عَلَىٰ فَهمِ الطَّاغُوتِ.

الثَّانِيَةُ: تَفسِيرُ آيَةِ البَقَرَةِ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ الآيَة.

الثَّالِثَةُ: تَفسِيرُ آيَةِ الأَعرَافِ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾.

الرَّابِعَةُ: تَفسِيرُ: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾.

الخَامِسَةُ: مَا قَالَهُ الشَّعبِيُّ فِي سَبَبِ نِزُولِ الآيَةِ الأُولَىٰ.

السَّادِسَةُ: تَفسِيرُ الإِيمَانِ الصَّادِقِ وَالكَاذِبِ.

السَّابِعَةُ: قِصَّةُ عُمَرَ مَعَ المُنَافِقِ.

الثَّامِنَةُ: كَونُ الإِيمَانِ لَا يَحصُلُ لأَحَدٍ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ.

بَابٌ: مَن جَحَدَ شَيئًا مِنَ الأَسمَاءِ وَالصِّفَاتِ

وَقَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ الآيَة [الرعد: ٣٠].

وَفِي صَحِيحِ البُخَارِيِّ قَالَ عَلِيٌّ: حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعرِفُونَ؛ أَتُرِيدُونَ أَن يُكَذَّبَ الله وَرَسُولُهُ. [البخاري (١٢٧)].

وَرَوَىٰ عَبدُ الرَّزَّاقِ عَن مَعمَرٍ، عَنِ ابنِ طَاوسٍ، عَن أَبِيهِ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ رَأَىٰ رَجُلًا انتَفَض لَمَّا سَمِعَ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصِّفَاتِ استِنكَارًا لِذَلِكَ، فَقَالَ: مَا فَرَقُ هَؤُلَاءِ؟ يَجِدُونَ رِقَّةً عِندَ مُحكَمِهِ وَيَهلِكُونَ عِندَ مُتَشَابِهِهِ. انتَهَىٰ.

وَلَمَّا سَمِعَت قُرَيشٌ رَسُولَ الله ﷺ يَذكُرُ الرَّحمَنَ أَنكَرُوا ذَلِكَ فَأَنزَلَ الله فِيهِم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: عَدَمُ الإِيمَانِ بِجَحدِ شَيءٍ مِنَ الأَسمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

الثَّانِيَةُ: تَفسِيرُ آيَةِ الرَّعدِ.

الثَّالِثَةُ: تَركُ التَّحدِيثِ بِمَا لَا يَفهَمُ السَّامِعُ.

الرَّابِعَةُ: ذِكرُ العِلَّةِ أَنَّهُ يُفضِي إِلَىٰ تَكذِيبِ الله وَرَسُولِهِ وَلَو لَم يَتَعَمَّدِ المُنكِرُ.

الخَامِسَةُ: كَلَامُ ابنِ عَبَّاسٍ لِمَنِ استَنكَرَ شَيئًا مِن ذَلِكَ، وَأَنَّه أَهلَكَهُ.

بَابٌ

قَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ الآيَة [النحل:٨٣].

قَالَ مُجَاهِدٌ -مَا مَعنَاهُ-: هُو قَولُ الرَّجُلِ: هَذَا مَالِي وَرِثتُهُ عَن آبَائِي.

وَقَالَ عَونُ بنُ عَبدِ الله: يَقُولُونَ: لَولَا فُلَانٌ لَم يَكُن كَذَا.

وَقَالَ ابنُ قُتَيبَةَ: يَقُولُونَ: هَذَا بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا.

وَقَالَ أَبُو العَبَّاسِ -بَعدَ حَدِيثِ زَيدِ بنِ خَالِدٍ الَّذِي فِيهِ: «إِنَّ الله تَعَالَىٰ قَالَ: أَصبَحَ مِن عَبَادِي مُؤمِنٌ بِي وَكَافِرٌ...» الحَدِيثَ [البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١)]، وَقَد تَقَدَّمَ-: وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، يَذُمُّ سُبحَانَهُ مَن يُضِيفُ إِنعَامَهُ إِلَىٰ غَيرِهِ، وَيُشرِكُ بِهِ.

قَالَ بَعضُ السَّلَفِ: هُوَ كَقَولِهِم: كَانَتِ الرِّيحُ طَيِّبَةً، وَالمَلَّاحُ حَاذِقًا، وَنَحوِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ جَارٍ عَلَىٰ أَلسِنَةٍ كَثِيرةٍ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: تَفسِيرُ مَعرِفَةِ النِّعمَةِ وَإِنكَارِهَا.

الثَّانِيَةُ: مَعرِفَةُ أَنَّ هَذَا جَارٍ عَلَىٰ أَلسِنَةٍ كَثِيرةٍ.

الثَّالِثَةُ: تَسمِيَةُ هَذَا الكَلَامِ إِنكَارًا لِلنِّعمَةِ.

الرَّابِعَةُ: اجتِمَاعُ الضِّدَّينِ فِي القَلبِ.

بَابُ

قَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢].

وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ فِي الآيَةِ: «الأَندَادُ هُوَ الشِّركُ، أخفَىٰ مِن دَبِيبِ النَّملِ عَلَىٰ صَفَاةٍ سَودَاءَ فِي ظُلمَةِ اللَّيلِ، وَهُوَ أَن تَقُولَ: وَالله وَحَيَاتِكَ يَا فُلَانُ وَحَيَاتِي، وَتَقُولُ: لَولَا كُلَيبَةُ هَذَا لأَتَانَا اللُّصُوصُ، وَلَولَا البَطُّ فِي الدَّارِ لأَتَىٰ اللُّصُوصُ، وَقَولُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ الله وَشِئتَ، وَقَولُ الرَّجُلِ: لَولَا الله وَفُلَانُ؛ لَا تَجعَل فِيهَا فُلَانًا، هَذَا كُلُّه بِهِ شِركٌ» رَوَاهُ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وَعَن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَن حَلَفَ بِغَيرِ الله فَقَد كَفَرَ، أَو أَشرَكَ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ، وَصَحَّحَهُ الحَاكِمُ. [صحيح الجامع (٦٢٠٤)].

وَقَالَ ابنُ مَسعُودٍ: لأَن أَحلِفَ بِالله كَاذِبًا أَحبُّ إِلَيَّ مِن أَن أَحلِفَ بِغَيرِهِ صَادِقًا.

وَعَن حُذَيفَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ الله وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِن قُولُوا: مَا شَاءَ الله ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ» رَوَاهُ أَبُو دَاودَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.[صحيح الجامع (٧٤٠٦)].

وَجَاءَ عَن إِبرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ أَنَّهُ يَكرَهُ: أَعُوذُ بِالله وَبِكَ، وَيَجُوزُ أَن يَقُولَ: بِالله ثُمَّ بِكَ. قَالَ: وَيَقُولُ لَولَا الله ثُمَّ فُلَانٌ، وَلَا تَقُولُوا: لَولَا الله وَفُلَانٌ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: تَفسِيرُ آيَةِ البَقَرَةِ فِي الأَندَادِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الصَّحَابَةَ ﷺ يُفَسِّرُونَ الآيَةَ النَّازِلَةَ فِي الشِّركِ الأَكبَرِ بِأَنَّهَا تَعُمُّ الأَصغَرَ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ الحَلِفَ بِغَيرِ الله شِركٌ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ إِذَا حَلَفَ بِغَيرِ الله صَادِقًا فَهُوَ أَكبَرُ مِنَ اليَمِينِ الغَمُوسِ.

الخَامِسَةُ: الفَرقُ بَينَ الوَاوِ وَثُمَّ فِي اللَّفظِ.

بَابُ: مَا جَاءَ فِيمَن لَم يَقنَع بِالحَلِفِ بِالله

عَنِ ابنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا تَحلِفُوا بِآبَائِكُم، مَن حَلَفَ بِالله فَليَصدُق، وَمَن

حُلِفَ لَهُ بِالله فَليَرضَ، وَمَن لَم يَرضَ فَلَيسَ مِنَ الله» رَوَاهُ ابنُ مَاجَه بِسَنَدٍ حَسَنٍ.[صحيح الجامع (٧٢٤٧)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: النَّهيُ عَنِ الحَلِفِ بِالآبَاءِ.

الثَّانِيَةُ: الأَمرُ لِلمَحلُوفِ لَهُ بِالله أَنْ يَرضَىٰ.

الثَّالِثَةُ: وَعِيدُ مَن لَم يَرضَ.

بَابُ قَولِ: مَا شَاءَ اللَّه وَشِئتَ

عَن قُتَيلَةَ أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَىٰ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّكُم تُشرِكُونَ تَقُولُون: مَا شَاءَ الله وَشِئتَ، وَتَقُولُونَ: وَالكَعبَةِ. فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنَّ يَحلِفُوا أَن يَقُولُوا: «وَرَبِّ الكَعبَةِ، وَأَن يَقُولُوا: مَا شَاءَ الله ثُمَّ شِئتَ». رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ.[صحيح الجامع (٦٢١٤)].

وَلَهُ أَيضًا عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا شَاءَ الله وَشِئتَ. فَقَالَ: «أَجعلتَنِي لله نِدًّا؟! بَل مَا شَاءَ الله وَحدَهُ». [النسائي في الكبرىٰ (٦/ ٢٤٥)].

وَلابنِ مَاجَه، عَنِ الطُّفَيلِ أَخِي عَائِشَةَ لأُمِّهَا قَالَ: رَأَيتُ كَأَنِّي أَتَيتُ عَلَىٰ نَفَرٍ مِنَ اليَهُودِ، قُلتُ: إِنَّكُم لأَنتُمُ القَومُ، لَولَا أَنَّكُم تَقُولُونَ: عُزَيرٌ ابنُ الله، قَالُوا: وَأَنتُم لأَنتُمُ القَومُ، لَولَا أَنَّكُم تَقُولُونَ: مَا شَاءَ الله وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ مَرَرتُ بِنَفَرٍ مِنَ النَّصَارَىٰ، فَقُلتُ: إِنَّكُم لأَنتُمُ القَومُ، لَولَا أَنَّكُم تَقُولُونَ: المَسِيحُ ابنُ الله، قَالُوا: وَإِنَّكُم لأَنتُمُ القَومُ، لَولَا أَنَّكُم تَقُولُونَ: مَا شَاءَ الله وَشَاءَ مُحَمَّدٌ. فَلَمَّا أَصبَحتُ أَخبَرتُ بِهَا مَن أَخبَرتُ، ثُمَّ أَتَيتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخبَرتُهُ، قَالَ: «هَل أَخبَرتَ بِهَا أَحَدًا؟

قُلتُ: نَعَم. قَالَ: فَحَمِدَ الله، وَأَثنَىٰ عَلَيهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعدُ، فَإِنَّ طُفَيلًا رَأَىٰ رُؤيَا أَخبَرَ بِهَا مَن أَخبَرَ مِنكُم، وَإِنَّكُم قُلتُم كَلِمَةً كَانَ يَمنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَن أَنهَاكُم عَنهَا، فَلَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ الله وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِن قُولُوا: مَا شَاءَ الله وَحدَهُ». [الصحيحة (١٣٨)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: مَعرِفَةُ اليَهُودِ بِالشِّركِ الأَصغَرِ.

الثَّانِيَةُ: فَهمُ الإِنسَانِ إِذَا كَانَ لَهُ هَوًىٰ.

الثَّالِثَةُ: قَولُهُ ﷺ: «أَجَعَلتَنِي لله نِدًّا؟» فَكَيفَ بِمَن قَالَ: يَا أَكرَمَ الخَلقِ مَا لِي مَن أَلُوذُ بِهِ... سِوَاكَ ...، وَالبَيتَينِ بَعدَهُ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ هَذَا لَيسَ مِنَ الشِّركِ الأَكبَرِ لِقَولِهِ: «يَمنَعُنِي كَذَا وَكَذَا».

الخَامِسَةُ: أَنَّ الرُّؤيَا الصَّالِحَةَ مِن أَقسَامِ الوَحيِ.

السَّادِسَةُ: أَنَّهَا قَد تَكُونُ سَبَبًا لِشَرعِ بَعضِ الأَحكَامِ.

بَابُ: مَن سَبَّ الدَّهرَ فَقَد آذَى الله

وَقَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ الآيَةَ [الجاثية: ٢٤].

وَفِي الصَّحِيحِ عَن أَبِي هُرَيرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ الله تَعَالَىٰ: يُؤذِينِي ابنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهرَ، وَأَنَا الدَّهرُ، أُقَلِّبُ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ». [البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦)].

وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا تَسُبُّوا الدَّهرَ، فَإِنَّ الله هُوَ الدَّهرُ...». [مسلم (٢٢٤٦)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: النَّهيُ عَن سَبِّ الدَّهرِ.

الثَّانِيَةُ: تَسمِيَتُهُ أَذًىٰ لله.

الثَّالِثَةُ: التَّأَمُّلُ فِي قَولِهِ: «فَإِنَّ الله هُوَ الدَّهرُ».

الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ قَد يَكُونُ سَابًّا وَلَو لَم يَقصِد بِقَلبِهِ.

بَابُ: التَّسَمِّي بِقَاضِي القُضَاةِ وَنَحوِهِ

فِي الصَّحِيحِ عَن أَبِي هُرَيرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَخنَعَ اسمٍ عِندَ الله رَجُلٌ تَسَمَّىٰ مَلِكَ الأَملَاكِ، لَا مَالِكَ إِلَّا الله». [البخاري (٦٢٠٦)، ومسلم (٢١٤٣)]. قَالَ سُفيَانُ: مِثلُ: شَاهَان شَاه.

وَفِي رِوَايَةٍ: «أَغيَظُ رَجُلٍ عَلَىٰ الله يَوم القِيامَةِ وَأَخبَثُهُ».[مسلم (٢١٤٣)].

قَولِهِ: «أَخنَعَ» يَعني: أَوضَعَ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: النَّهيُ عَنِ التَّسَمِّي بِمَلِكِ الأَملَاكِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ مَا فِي مَعنَاهُ مِثلُهُ كَمَا قَالَ سُفيَانُ.

الثَّالثَةُ: التَّفَطُّنُ لِلتَّغلِيظِ فِي هَذَا وَنَحوِهِ مَعَ القَطعِ بِأَنَّ القَلبَ لَم يَقصِد مَعنَاهُ.

الرَّابِعَةُ: التَّفَطُّنُ أَنَّ هَذَا لِأَجلِ الله سُبحَانَهُ.

بَابُ: احتِرَامِ أَسمَاءِ اللَّه ... إلخ

عَن أَبِي شُرَيحٍ أَنَّهُ كَانَ يُكنَىٰ أَبَا الحَكَمِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الله هُوَ الحَكَمُ، وَإِلَيهِ الحُكمُ.

فَقَالَ: إِنَّ قَومِي إِذَا اختَلَفُوا فِي شَيءٍ أَتَونِي فَحَكَمتُ بَينَهُم، فَرَضِيَ كِلَا الفَرِيقَينِ.

فَقَالَ: مَا أَحسَنَ هَذَا! فَمَا لَكَ مِنَ الوَلَدِ؟

قُلتُ: شُرَيحٌ، وَمُسلِمٌ، وَعَبدُ الله. قَالَ: فَمَن أَكبَرُهُم؟

قُلتُ: شُرَيحٌ. قَالَ: فَأَنتَ أَبُو شُرَيحٍ» رَوَاهُ أَبُو دَاودَ وَغَيرُهُ.[صحيح الجامع (١٨٤٥)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: احتِرَامُ أَسمَاءِ الله وَصِفَاتِهِ وَلَو لَم يَقصِد مَعنَاهُ.

الثَّانِيَةُ: تَغيِيرُ الاسمِ لأَجلِ ذَلِكَ.

الثَّالِثَةُ: اختِيَارُ أَكبَرِ الأَبنَاءِ لِلكُنيَةِ.

بَابُ: مَن هَزَلَ بِشَيءٍ فِيهِ ذِكرُ اللَّه أَوِ القُرآنِ أَو الرَّسُولِ

وَقَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ الآيَة [التوبة: ٦٥].

وَعَنِ ابنِ عُمَرَ وَمُحَمَّدِ بنِ كَعبٍ وَزَيدِ بنِ أَسلَمَ وَقَتَادَةَ -دَخَلَ حَدِيثُ بَعضِهِم فِي بَعضٍ- أَنَّهُ قَالَ رَجُلٌ فِي غَزوَةِ تَبُوكَ: مَا رَأَينَا مِثلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ، أَرغَبُ بُطُونًا، وَلَا أَكذَبُ أَلسُنًا، وَلَا أَجبَنُ عِندَ اللِّقَاءِ -يَعنِي: رَسُولَ الله ﷺ وَأَصحَابَهُ القُرَّاءَ-، فَقَالَ لَهُ عَوفُ بنُ مَالِكٍ: كَذَبتَ، وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ، لأُخبِرَنَّ رَسُولَ الله ﷺ.

فَذَهَبَ عَوفٌ إِلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ لِيُخبِرَهُ، فَوَجَدَ القُرآنَ قَد سَبَقَهُ، فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ وَقَدِ ارتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ -فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَتَحَدَّثُ حَدِيثَ الرَّكبِ نَقطَعُ بِهِ عَنَّا الطَّرِيقَ.

قَالَ ابنُ عُمَرَ: كَأَنِّي أَنظُرُ إِلَيهِ مُتَعَلِّقًا بِنِسعَةِ نَاقَةِ رَسُولِ الله ﷺ، وَإِنَّ الحِجَارَةَ تَنكُبُ رِجلَيهِ، وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلعَبُ، فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ وَمَا يَلتَفِتُ إِلَيهِ، وَمَا يَزِيدُهُ عَلَيهِ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: -وَهِيَ العَظِيمَةُ-: أَنَّ مَن هَزَلَ بِهَذَا فَهُوَ كَافِرٌ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ هَذَا تَفسِيرُ الآيَةِ فِيمَن فَعَلَ ذَلِكَ كَائِنًا مَن كَانَ.

الثَّالِثَةُ: الفَرقُ بَينَ النَّمِيمَةِ وَبَينَ النَّصِيحَةِ لله وَلِرَسُولِهِ.

الرَّابِعَةُ: الفَرقُ بَينَ العَفوِ الَّذِي يُحِبُّهُ الله وَبَينَ الغِلظَةِ عَلَىٰ أَعدَاءِ الله.

الخَامِسَةُ: أَنَّ مِنَ الاعتِذَارِ مَا لَا يَنبَغِي أَن يُقبَلَ.

بَابٌ

قَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى ﴾ [فصلت: ٥٠] الآيَة.

قَالَ مُجَاهِدٌ: هَذَا بِعَمَلِي، وَأَنَا مَحقُوقٌ بِهِ.

وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ مِن عِندِي.

وَقَولِهِ: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾.

قَالَ قَتَادَةُ: عَلَىٰ عِلمٍ مِنِّي بِوجُوهِ المَكَاسِبِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: عَلَىٰ عِلمٍ مِنَ الله أَنِّي لَهُ أَهلٌ.

وَهَذَا مَعنَىٰ قَولِ مُجَاهِدٍ: أُوتِيتُهُ عَلَىٰ شَرَفٍ.

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ ثَلاثَةً مِن بَنِي إِسرَائِيلَ: أَبرَصَ وَأَقرَعَ وَأَعمَىٰ، فَأَرَادَ الله أَن يَبتَلِيَهُم فَبَعَثَ إِلَيهِم مَلَكًا، فَأَتَىٰ الأَبرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيكَ؟ قَالَ: لَونٌ حَسَنٌ، وَجِلدٌ حَسَنٌ، وَيَذهَبُ عَنِّي الَّذِي قَد قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ. قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنهُ قَذَرُهُ، فَأُعطِيَ لَونًا حَسَنًا وَجِلدًا حَسَنًا. قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيكَ؟

قَالَ: الإِبِلُ -أَو: البَقَرُ؛ شَكَّ إِسحَاقُ- فَأُعطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، وَقَالَ: بَارَكَ الله لَكَ فِيهَا. قَالَ فَأَتَىٰ الأَقرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيكَ؟ قَالَ: شَعرٌ حَسَنٌ، وَيَذهَبُ عَنِّي الَّذِي قَد قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ. فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنهُ قَذَرُهُ، وَأُعطِيَ شَعرًا حَسَنًا. فَقَالَ: أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيكَ؟ قَالَ: البَقَرُ -أَو: الإِبِلُ- فَأُعطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا، قَالَ: بَارَكَ الله لَكَ فِيهَا. فَأَتَىٰ الأَعمَىٰ فَقَالَ: أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيكَ؟ قَالَ: يَرُدُّ الله إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبصِرَ بِهِ النَّاسَ، فَمَسَحَهُ، فَرَدَّ الله إِلَيهِ بَصَرَهُ. قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيكَ؟ قَالَ: الغَنَمُ. فَأُعطِيَ شَاةً وَالِدًا. فَأَنتَجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ البَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الغَنَمِ.

قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَىٰ الأَبرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسكِينٌ وَابنُ سَبِيلٍ قَدِ انقَطَعَت بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلاغَ لِيَ اليَومَ إِلَّا بِالله ثُمَّ بِكَ. أَسأَلُكَ -بِالَّذِي أَعطَاكَ اللَّونَ الحَسَنَ وَالجِلدَ الحَسَنَ وَالمَالَ- بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي. فَقَالَ: الحُقُوقُ كَثِيرَةٌ. فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعرِفُكَ، أَلَم تَكُن أَبرَصَ يَقذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعطَاكَ الله ﷻ المَالَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثتُ هَذَا المَالَ كَابِرًا عَن كَابِرٍ. فَقَالَ: إِن كُنتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ الله إِلَىٰ مَا كُنتَ.

قَالَ: وَأَتَىٰ الأَقرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيهِ مِثلَ مَا رَدَّ عَلَيهِ هَذَا. فَقَالَ: إِن كُنتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ الله إِلَىٰ مَا كُنتَ. قَالَ: وَأَتَىٰ الأَعمَىٰ فِي صُورَتِهِ. فَقَالَ: رَجُلٌ

مِسكِينٌ وَابنُ سَبِيلٍ، قَدِ انقَطَعَت بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِيَ اليَومَ إِلَّا بِالله ثُمَّ بِكَ، أَسأَلُكَ -بِالذِي رَدَّ عَلَيكَ بَصَرَكَ- شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي. قَالَ: قَد كُنتُ أَعمَىٰ فَرَدَّ الله عَلَيَّ بَصَرِي. فَخُذ مَا شِئتَ. فَوَالله لَا أَجهَدُكَ اليَومَ بِشَيءٍ أَخَذتَهُ لله؛ فَقَالَ: أَمسِك مَالَكَ فَإِنَّمَا ابتُلِيتُم، فَقَد رَضِيَ الله عَنكَ وَسَخِطَ عَلَىٰ صَاحِبَيكَ» أَخرَجَاهُ.[البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: تَفسِيرُ الآيَةِ.

الثَّانِيَةُ: مَا مَعنَىٰ ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾.

الثَّالِثَةُ: مَا مَعنَىٰ قَولِهِ: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِىٓ﴾.

الرَّابِعَةُ: مَا فِي هَٰذِهِ القِصَّةِ العَجِيبَةِ مِنَ العِبَرِ العَظِيمَةِ.

بَابٌ

قَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ الآيَة [الأعراف:١٩٠].

قَالَ ابنُ حَزم: اتَّفَقُوا عَلَىٰ تَحرِيمِ كُلِّ اسمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيرِ الله، كَعَبدِ عَمرٍو وعَبدِ الكَعبَةِ وَمَا أَشبَهَ ذَلِكَ، حَاشَا عَبدَ المُطَّلِبِ!

وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ فِي الآيَةِ قَالَ: لَمَّا تَغَشَّاهَا آدَمُ حَمَلَت، فَأَتَاهُمَا إِبلِيسُ فَقَالَ: إِنِّي صَاحِبُكُمَا الَّذِي أَخرَجتُكُمَا مِنَ الجَنَّةِ لَتُطِيعَانِي أَو لأَجعَلَنَّ لَهُ قَرنَي أَيِّلٍ؛ فَيَخرُجُ مِن بَطنِكِ فَيَشُقُّهُ، وَلأَفعَلَنَّ -يُخَوِّفُهُمَا- سَمِّيَاهُ عَبدَ الحَارِثِ؛ فَأَبَيَا أَن يُطِيعَاهُ، فَخَرَجَ مَيِّتًا، ثُمَّ حَمَلَت، فَأَتَاهُمَا فَذَكَرَ لَهُمَا، فَأَدرَكَهُمَا حُبُّ الوَلَدِ، فَسَمَّيَاهُ عَبدَ الحَارِثِ، فَذَلِكَ قَولُهُ: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف:١٩٠]. رَوَاهُ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَن قَتَادَةَ قَالَ: شُرَكَاءَ فِي طَاعَتِهِ، وَلَم يَكُن فِي عِبَادَتِهِ.

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَن مُجَاهِدٍ فِي قَولِهِ: ﴿لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحًا﴾ قَالَ: أَشفَقَا أَلَّا يَكُونَ

ـسانًا. وَذَكر مَعناهُ عَنِ الحَسَنِ وَسَعِيدٍ وَغيرِهِمَا.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: تَحرِيمُ كُلِّ اسمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيرِ الله.

الثَّانِيَةُ: تَفسِيرُ الآيَةِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ هَذَا الشِّركَ فِي مُجَرَّدِ تَسمِيَةٍ لَم تُقصَد حَقِيقَتُهَا.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ هِبَةَ الله لِلرَّجُلِ البِنتَ السَّوِيَّةَ مِنَ النِّعَمِ.

الخَامِسَةُ: ذِكرُ السَّلَفِ الفَرقَ بَينَ الشِّركِ فِي الطَّاعَةِ وَالشِّركِ فِي العِبَادَةِ.

بَابٌ

قَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ الآيَةُ [الأعراف: ١٨٠].

ذَكَرَ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ يُشرِكُونَ.

وَعَنهُ: سَمَّوا اللَّاتَ مِنَ الإِلَهِ، وَالعُزَّىٰ مِنَ العَزِيزِ.

وَعَنِ الأَعمَشِ: يُدخِلُونَ فِيهَا مَا لَيسَ مِنهَا.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: إِثبَاتُ الأَسمَاءِ.

الثَّانِيَةُ: كَونُهَا حُسنَىٰ.

الثَّالِثَةُ: الأَمرُ بِدُعَائِهِ بِهَا.

الرَّابِعَةُ: تَركُ مَن عَارَضَ مِنَ الجَاهِلِينَ المُلحِدِينَ.

الخَامِسَةُ: تَفسِيرُ الإِلحَادِ فِيهَا.

السَّادِسَةُ: الوَعِيدُ لِمَن أَلحَدَ.

بَابُ لا يُقَالُ: السَّلامُ عَلَى الله

فِي الصَّحِيحِ عَنِ ابنِ مَسعُودٍ ﷺ قَالَ: كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلَاةِ، قُلنَا: السَّلَامُ عَلَىٰ الله مِن عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَىٰ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُولُوا: السَّلَامُ عَلَىٰ الله، فَإِنَّ الله هُوَ السَّلَامُ». [البخاري (٨٣٥)، ومسلم (٤٠٢)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: تَفسِيرُ السَّلَامِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّهُ تَحِيَّةٌ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّهَا لَا تَصلُحُ للهِ.

الرَّابِعَةُ: العِلَّةُ فِي ذَلِكَ.

الخَامِسَةُ: تَعلِيمُهُمُ التَّحِيَّةَ الَّتِي تَصلُحُ للهِ.

بَابُ قَولِ: اللَّهُمَّ اغفِر لِي إِن شِئتَ

فِي الصَّحِيحِ عَن أَبِي هُرَيرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا يَقُل أَحَدُكُم: اللَّهُمَّ اغفِر لِي إِن شِئتَ، اللَّهُمَّ ارحَمنِي إِن شِئتَ، لِيَعزِمِ المَسأَلَةَ، فَإِنَّ الله لَا مُكرِهَ لَهُ».

وَلِمُسلِمٍ: «وَليُعَظِمِ الرَّغبَةَ فَإِنَّ الله لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيءٌ أَعطَاهُ». [البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: النَّهيُ عَنِ الاستِثنَاءِ فِي الدُّعَاءِ.

الثَّانِيَةُ: بَيَانُ العِلَّةِ فِي ذَلِكَ.

الثَّالِثَةُ: قَولُهُ: لِيَعزِمِ المَسأَلَةَ.

الرَّابِعَةُ: إِعظَامُ الرَّغبَةِ.

الخَامِسَةُ: التَّعلِيلُ لِهَذَا الأَمرِ.

بَابُ لا يَقُولُ: عَبدِي وَأَمَتِي

فِي الصَّحِيحِ عَن أَبِي هُرَيرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَقُل أَحَدُكُم: أَطعِم رَبَّكَ، وَضِّئ رَبَّكَ. وَليَقُل سَيِّدِي وَمَولَايَ. وَلَا يَقُل أَحَدُكُم: عَبدِي وَأَمَتِي، وَليَقُل: فَتَاي وَفَتَاتِي وَغلَامِي». [البخاري (٢٥٥٢)، ومسلم (٢٢٤٩)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: النَّهيُ عَن قَولِ: عَبدِي وَأَمَتِي.

الثَّانِيَةُ: لَا يَقُولُ العَبدُ: رَبِّي، وَلَا يُقَالُ لَهُ: أَطعِم رَبَّكَ.

الثَّالِثَةُ: تَعلِيمُ الأَوَّلِ قَولَ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي.

الرَّابِعَةُ: تَعلِيمُ الثَّانِي قَولَ: سَيِّدِي وَمَولَاي.

الخَامِسَةُ: التَّنبِيهُ لِلمُرَادِ وَهُوَ تَحقِيقُ التَّوحِيدِ حَتَّىٰ فِي الأَلفَاظِ.

بَابُ: لا يُرَدُّ مَن سَأَلَ بِاللهِ

عَنِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن سَأَلَ بِاللهِ فَأَعطُوهُ، وَمَنِ استَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَن دَعَاكُم فَأَجِيبُوهُ، وَمَن صَنَعَ إِلَيكُم مَعرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِن لَم تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادعُوا لَهُ حَتَّىٰ تَرَوا أَنَّكُم قَد كَافَأتُمُوهُ» رَوَاهُ أَبُو دَاودَ، وَالنَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ. [صحيح الجامع (٦٠٢٠)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: إِعَاذَةُ مَنِ استَعَاذَ بِاللهِ.

الثَّانِيَةُ: إِعطَاءُ مَن سَأَلَ بِاللهِ.

الثَّالِثَةُ: إِجَابَةُ الدَّعوَةِ.

الرَّابِعَةُ: المُكَافَأَةُ عَلَىٰ الصَّنِيعَةِ.

الخَامِسَةُ: أَنَّ الدُّعَاءَ مُكَافَأَةٌ لِمَن لَم يَقدِر إِلَّا عَلَيهِ.

السَّادِسَةُ: قَولُهُ: «حَتَّىٰ تَرَوا أَنَّكُم قَد كَافَأتُمُوهُ».

بَابُ: لا يُسأَلُ بِوجهِ اللَّه إلا الجَنَةُ

عَن جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يُسأَلُ بِوَجهِ الله إِلَّا الجَنَّةُ» رَوَاهُ أَبُو دَاودَ.[ضعيف الجامع (٦٣٥١)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: النَّهيُ عَن أَن يُسأَلَ بِوَجهِ الله إِلَا غَايَةُ المَطَالِبِ.

الثَّانِيَةُ: إِثبَاتُ صِفَةِ الوَجهِ.

بَابُ: مَا جَاءَ فِي اللَّو

وَقَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وَقَولِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران:١٦٨].

فِي الصَّحِيحِ عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «احرِص عَلَىٰ مَا يَنفَعُكَ وَاستَعِن بِالله وَلَا تَعجَزَنَّ، وَإِن أَصَابَكَ شَيءٌ فَلَا تَقُل: لَو أَنِّي فَعَلتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِن قُل: قَدَرُ الله وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ «لَو» تَفتَحُ عَمَلَ الشَّيطَانِ». [مسلم (٢٦٦٤)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: تَفسِيرُ الآيَتَينِ فِي آلِ عِمرَانَ.

الثَّانِيَةُ: النَّهيُ الصَّرِيحُ عَن قَولِ «لَو» إِذَا أَصَابَكَ شَيءٌ.

الثَّالِثَةُ: تَعلِيلُ المَسأَلَةِ بِأَنَّ ذَلِكَ يَفتَحُ عَمَلَ الشَّيطَانِ.

الرَّابِعَةُ: الإِرشَادُ إِلَىٰ الكَلَامِ الحَسَنِ.

الخَامِسَةُ: الأَمرُ بِالحِرصِ عَلَىٰ مَا يَنفَعُ مَعَ الاستِعَانَةِ بِالله.

السَّادِسَةُ: النَّهيُ عَن ضِدِّ ذَلِكَ وَهُوَ العَجزُ.

بَابُ: النَّهيِ عَن سَبِّ الرِّيحِ

عَن أُبَيِّ بنِ كَعبٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيتُم مَا تَكرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسأَلُكَ مِن خَيرِ هَذِهِ الرِّيحِ، وَخَيرِ مَا فِيهَا وَخَيرِ مَا أُمِرَت بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُمِرَت بِهِ» صَحَّحَهُ التِّرمِذِيُّ. [صحيح الجامع (٧٣١٥)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: النَّهيُ عَن سَبِّ الرِّيحِ.

الثَّانِيَةُ: الإِرشَادُ إِلَىٰ الكَلَامِ النَّافِعِ إِذَا رَأَىٰ الإِنسَانُ مَا يَكرَهُ.

الثَّالِثَةُ: الإِرشَادُ إِلَىٰ أَنَّهَا مَأمُورَةٌ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّهَا قَد تُؤمَرُ بِخَيرٍ وَقَد تُؤمَرُ بِشَرٍّ.

بَابُ

قَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ﴾ الآيَة [آل عمران: ١٥٤].

وَقَولِهِ: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ﴾ الآيَة [الفتح: ٦].

قَالَ ابنُ القَيِّمِ فِي الآيَةِ الأُولَىٰ: «فُسِّرَ هَذَا الظَّنُّ بِأَنَّهُ سُبحَانَهُ لَا يَنصُرُ رَسُولَهُ وَأَنَّ أَمرَهُ سَيَضمَحِلُّ، وَفُسِّرَ بِأَنَّ مَا أَصَابَهُ لَم يَكُن بِقَدَرِ الله وَحِكمَتِهِ، فَفُسِّرَ بِإِنكَارِ الحِكمَةِ، وَإِنكَارِ القَدَرِ، وَإِنكَارِ أَن يَتِمَّ أَمرُ رَسُولِهِ ﷺ، وَأَن يُظهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ، وَهَذَا هُوَ ظَنُّ السَّوءِ الَّذِي ظَنَّهُ المُنَافِقُونَ وَالمُشرِكُونَ فِي سُورَةِ الفَتحِ.

وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا ظَنَّ السَّوءِ لأَنَّهُ ظَنُّ غَيرِ مَا يَلِيقُ بِهِ سُبحَانَهُ، وَمَا يَلِيقُ بِحِكمَتِهِ وَحَمدِهِ وَوَعدِهِ الصَّادِقِ، فَمَن ظَنَّ أَنَّه يُدِيلُ البَاطِلَ عَلَىٰ الحَقِّ إِدَالَةً مُستَقِرَّةً يَضمَحِلُّ مَعَهَا الحَقُّ، أَو أَنكَرَ أَن يَكُونَ مَا جَرَىٰ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، أَو أَنكَرَ أَن يَكُونَ قَدَّرَهُ لِحِكمَةٍ بَالِغَةٍ يَستَحِقُّ عَلَيهَا الحَمدَ، بَل زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ لِمَشِيئَةٍ مُجَرَّدَةٍ، فَذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ

النَّارِ.

وَأَكثَرُ النَّاسِ يَظنُّونَ بِالله ظَنَّ السَّوءِ فِيمَا يَختَصُّ بِهِم وَفِيمَا يَفعَلُهُ بِغَيرِهِم، وَلَا يَسلَمُ مِن ذَلِكَ إِلَّا مَن عَرَفَ الله وَأَسمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ وَمُوجِبَ حِكمَتِهِ وَحَمدِهِ.

فَليَعتَنِ اللَّبِيبُ النَّاصِحُ لِنَفسِهِ بِهَذَا، وَليَتُب إِلَىٰ الله وَليَستَغفِرهُ مِن ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ظَنَّ السَّوءِ.

وَلَو فَتَّشتَ مَن فَتَّشتَ لَرَأَيتَ عِندَهُ تَعَنُّتًا عَلَىٰ القَدَرِ وَمَلَامَةً لَهُ، وَأَنَّهُ كَانَ يَنبَغِي أَن يَكُونَ كَذَا وَكَذَا، فَمُستَقِلٌّ وَمُستَكثِرٌ، وَفَتِّش نَفسَكَ، هَل أَنتَ سَالِمٌ؟!

فَإِن تَنجُ مِنهَا تَنجُ مِن ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالُكَ نَاجِيَا

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: تَفسِيرُ آيَةِ آلِ عِمرَانَ.

الثَّانِيَةُ: تَفسِيرُ آيَةِ الفَتحِ.

الثَّالِثَةُ: الإِخبَارُ بِأَنَّ ذَلِكَ أَنوَاعٌ لَا تُحصَرُ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ لَا يَسلَمُ مِن ذَلِكَ إِلَّا مَن عَرَفَ الأَسمَاءَ وَالصِّفَاتِ وَعَرَفَ نَفسَهُ.

بَابُ: مَا جَاءَ فِي مُنكِرِي القَدَرِ

وَقَالَ ابنُ عُمَرَ: وَالَّذِي نَفسُ ابنِ عُمَرَ بِيَدِهِ، لَو كَانَ لِأَحَدِهِم مِثلُ أُحُدٍ ذَهَبًا ثُمَّ أَنفَقَهُ فِي سَبِيلِ الله مَا قَبِلَهُ الله مِنهُ حَتَّىٰ يُؤمِنَ بِالقَدَرِ. ثُمَّ استَدَلَّ بِقَولِ النَّبِيِّ ﷺ:

«الإِيمَانُ: أَن تُؤمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَومِ الآخِرِ، وَتُؤمِنَ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ» رَوَاهُ مُسلِمٌ. [مسلم (٨)].

وَعَن عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ أَنَّهُ قَالَ لابنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَن تَجِدَ طَعمَ الإِيمَانِ حَتَّىٰ تَعلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَم يَكُن لِيُخطِئَكَ، وَمَا أَخطَأَكَ لَم يَكُن لِيُصِيبَكَ، سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ الله القَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكتُب. فَقَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا أَكتُبُ؟ قَالَ: اكتُب مَقَادِيرَ كُلِّ شَيءٍ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ». يَا بُنَيَّ، سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَن مَاتَ عَلَىٰ غَيرِ هَذَا

ـيس مِنِّي» [صحيح الجامع (٢٠١٨)].

وَفِي رِوَايَةٍ لأَحمَدَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ الله تَعَالَىٰ القَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكتُب، فَجَرَىٰ فِي تِلكَ ـعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَومِ القِيَامَةِ». [صحيح الجامع (٢٠١٧)].

وَفِي رِوَايَةٍ لابنِ وَهبٍ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فَمَن لَم يُؤمِن بِالقَدَرِ خَيرِه وَشَرِّهِ أَحرَقَهُ الله ـنَّـارِ». [ابن وهب في كتاب القدر (٢٦)].

وَفِي المُسنَدِ وَالسُّنَنِ عَنِ ابنِ الدَّيلَمِيِّ قَالَ: أَتَيتُ أُبَيَّ بنَ كَعبٍ فَقُلتُ: فِي نَفسِي شَيءٌ ـ القَدَرِ، فَحَدِّثنِي بِشَيءٍ لَعَلَّ الله يُذهِبُهُ مِن قَلبِي.

فَقَالَ: لَو أَنفَقتَ مِثلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا قَبِلَهُ الله مِنكَ حَتَّىٰ تُؤمِنَ بِالقَدَرِ، وَتَعلَمَ أَنَّ مَا ـابَكَ لَم يَكُن لِيُخطِئَكَ، وَمَا أَخطَأَكَ لَم يَكُن لِيُصِيبَكَ، وَلَو مُتَّ عَلَىٰ غَيرِ هَذَا لَكُنتَ مِن ـ النَّارِ.

قَالَ: فَأَتَيتُ عَبدَ اللهِ بنَ مَسعُودٍ وَحُذَيفَةَ بنَ اليَمَانِ وَزَيدَ بنَ ثَابِتٍ، فَكُلُّهُم حَدَّثَنِي بِمِثلِ ـيثَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ الحَاكِمُ فِي صَحِيحِهِ. [صحيح الجامع (٥٢٤٤)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: بَيَانُ فَرضِ الإِيمَانِ بِالقَدَرِ.

الثَّانِيَةُ: بَيَانُ كَيفِيَّةِ الإِيمَانِ.

الثَّالِثَةُ: إِحبَاطُ عَمَلِ مَن لَم يُؤمِن بِهِ.

الرَّابِعَةُ: الإِخبَارُ بِأَنَّ أَحَدًا لَا يَجِدُ طَعمَ الإِيمَانِ حَتَّىٰ يُؤمِنَ بِهِ.

الخَامِسَةُ: ذِكرُ أَوَّلِ مَا خَلَقَ الله.

السَّادِسَةُ: أَنَّهُ جَرَىٰ بِالمَقَادِيرِ فِي تِلكَ السَّاعَةِ إِلَىٰ يَومِ قِيَامِ السَّاعَةِ.

السَّابِعَةُ: بَرَاءَتُهُ ﷺ مِمَّن لَم يُؤمِن بِهِ.

الثَّامِنَةُ: عَادَةُ السَّلَفِ فِي إِزَالَةِ الشُّبهَةِ بِسُؤَالِ العُلَمَاءِ.

التَّاسِعَةُ: أَنَّ العُلَمَاءَ أَجَابُوهُ بِمَا يُزِيلُ شُبهَتَهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُم نَسَبُوا الكَلَام إِلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ فقَط.

بَابُ: مَا جَاءَ فِي الْمُصَوِّرِينَ

عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «قَالَ الله تَعَالَىٰ: وَمَن أَظلَمُ مِمَّن ذَهَبَ يَخلُقُ كَخَلقِي، فَليَخلُقُوا ذَرَّةً، أَو لِيَخلُقُوا حَبَّةً، أَو لِيَخلُقُوا شَعِيرَةً». أَخرَجَاهُ. [البخاري (٧٥٥٩)، ومسلم (٢١١١)].

وَلَهُمَا عَن عَائِشَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «أَشَدُّ النَّاسِ عذَابًا يَومَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهِئُونَ بِخَلقِ الله». [البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٢١٠٧)].

وَلَهُمَا عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يُجعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفسٌ يُعذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ». [مسلم (٢١١٠)].

وَلَهُمَا عَنهُ مَرفُوعًا: «مَن صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنيَا؛ كُلِّفَ أَن يَنفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيسَ بِنَافِخٍ». [البخاري (٥٩٦٣)، ومسلم (٢١١٠)].

وَلِمُسلِمٍ عَن أَبِي الهَيَّاجِ قَالَ: قَالَ لِي عَلِيٌّ: أَلَا أَبعَثُكَ عَلَىٰ مَا بَعَثَنِي عَلَيهِ رَسُولُ الله ﷺ: «أَلَّا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَستَهَا، وَلَا قَبرًا مُشرِفًا إِلَّا سَوَّيتَهُ». [مسلم (٩٦٩)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: التَّغلِيظُ الشَّدِيدُ فِي المُصَوِّرِينَ.

الثَّانِيَةُ: التَّنبِيهُ عَلَىٰ العِلَّةِ، وَهُوَ تَركُ الأَدَبِ مَعَ الله؛ لِقَولِهِ: «وَمَن أَظلَمُ مِمَّن ذَهَبَ يَخلُقُ كَخَلقِي».

الثَّالِثَةُ: التَّنبِيهُ عَلَىٰ قُدرَتِهِ وَعَجزِهِم؛ لِقَولِهِ: «فَليَخلُقُوا ذَرَّةً أَو شَعِيرَةً».

الرَّابِعَةُ: التَّصرِيحُ بِأَنَّهُم أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا.

الخَامِسَةُ: أَنَّ الله يَخلُقُ بِعَدَدِ كُلِّ صُورَةٍ نَفسًا يُعَذَّبُ بِهَا المُصَوِّرُ فِي جَهَنَّمَ.

السَّادِسَةُ: أَنَّهُ يُكَلَّفُ أَن يَنفُخَ فِيهَا الرُّوحَ.

السَّابِعَةُ: الأَمرُ بِطَمسِهَا إِذَا وُجِدَت.

بَابُ: مَا جَاءَ فِي كَثرَةِ الحَلِفِ

وَقَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾ [المائدة:٨٩].

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «الحَلِفُ مَنفَقَةٌ لِلسِّلعَةِ، مَمحَقَةٌ لِلكَسبِ». أَخرَجَاهُ. [البخاري (٢٠٨٧)، ومسلم (١٦٠٦)].

وَعَن سَلمَانَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ الله وَلَا يُزَكِّيهِم وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُستَكبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَتَهُ، لَا يَشتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَا بِيَمِينِهِ». رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ. [صحيح الجامع (٣٠٧٢)].

وَفِي الصَّحِيحِ عَن عِمرَانَ بنِ حُصَينٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «خَيرُ أُمَّتِي قَرنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم» -قَالَ عِمرَانُ: فَلَا أَدرِي أَذَكَرَ بَعدَ قَرنِهِ مَرَّتَينِ أَو ثَلَاثًا؟- ثُمَّ إِنَّ بَعدَكُم قَومًا يَشهَدُونَ وَلَا يُستَشهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤتَمَنُونَ، وَيَنذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَظهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ». [البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥)].

وَفِيهِ عَنِ ابنِ مَسعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «خَيرُ النَّاسِ قَرنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم، ثُمَّ يَجِيءُ قَومٌ تَسبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِم يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ». [البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣)].

قَالَ إِبرَاهِيمُ: كَانُوا يَضرِبُونَنَا عَلَىٰ الشَّهَادَةِ وَالعَهدِ وَنَحنُ صِغَارٌ. [البخاري (٣٦٥١)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: الوَصِيَّةُ بِحِفظِ الأَيمَانِ.

الثَّانِيَةُ: الإِخبَارُ بِأَنَّ الحَلِفَ مَنفَقَةٌ لِلسِّلعَةِ مَمحَقَةٌ لِلبَرَكَةِ.

الثَّالِثَةُ: الوَعِيدُ الشَّدِيدُ فِيمَن لَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ وَلَا يَشتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ.

الرَّابِعَةُ: التَّنبِيهُ عَلَىٰ أَنَّ الذَّنبَ يَعظُمُ مَعَ قِلَّةِ الدَّاعِي.

الخَامِسَةُ: ذَمُّ الَّذِينَ يَحلِفُونَ وَلَا يُستَحلَفُونَ.

السَّادِسَةُ: ثَنَاؤُهُ ﷺ عَلَىٰ القُرُونِ الثَّلَاثَةِ أَوِ الأَربَعَةِ، وَذِكرُ مَا يَحدُثُ بَعدَهُم.

السَّابِعَةُ: ذَمُّ الَّذِينَ يَشهَدُونَ وَلَا يُستَشهَدُونَ.

الثَّامِنَةُ: كَونُ السَّلَفِ يَضرِبُونَ الصِّغَارَ عَلَىٰ الشَّهَادَةِ وَالعَهدِ.

بَابُ: مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللَّه وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ

وَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ الآيَة [النحل: ٩١].

وَعَن بُرَيدَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَىٰ جَيشٍ أَو سَرِيَّةٍ أَوصَاهُ بِتَقوَىٰ الله وَبِمَن مَعَهُ مِنَ المُسلِمِينَ خَيرًا فَقَالَ: «اُغزُوا بِاسمِ الله فِي سَبِيلِ الله، قَاتِلُوا مَن كَفَرَ بِالله. اُغزُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا وَلَا تَقتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ المُشرِكِينَ فَادعُهُم إِلَىٰ ثَلَاثِ خِصَالٍ -أَو: خِلَالٍ- فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقبَل مِنهُم وَكُفَّ عَنهُم. ثُمَّ ادعُهُم إِلَىٰ الإِسلَامِ، فَإِن أَجَابُوكَ فَاقبَل مِنهُم.

ثُمَّ ادعُهُم إِلَىٰ التَّحَوُّلِ مِن دَارِهِم إِلَىٰ دَارِ المُهَاجِرِينَ، وَأَخبِرهُم أَنَّهُم إِن فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُم مَا لِلمُهَاجِرِينَ وَعَلَيهِم مَا عَلَىٰ المُهَاجِرِينَ؛ فَإِن أَبَوا أَن يَتَحَوَّلُوا مِنهَا فَأَخبِرهُم أَنَّهُم يَكُونُونَ كَأَعرَابِ المُسلِمِينَ يَجرِي عَلَيهِم حُكمُ الله تَعَالَىٰ، وَلَا يَكُونُ لَهُم فِي الغَنِيمَةِ وَالفَيءِ شَيءٌ إِلَّا أَن يُجَاهِدُوا مَعَ المُسلِمِينَ؛ فَإِن هُم أَبَوا فَاسأَلهُم الجِزيَةَ، فَإِنْ هُم أَجَابُوكَ. فَاقبَلْ مِنهُم وَكُفَّ عَنهُم، فَإِن هُمْ أَبَوا؛ فَاستَعِن بِالله وَقَاتِلهُم. وَإِذَا حَاصَرتَ أَهلَ حِصنٍ فَأَرَادُوكَ أَن تَجعَلَ لَهُم ذِمَّةَ الله وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ فَلَا تَجعَل لَهُم ذِمَّةَ الله وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِن اجعَل لَهُم ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصحَابِكَ فَإِنَّكُم إِن تُخفِرُوا ذِمَمَكُم وَذِمَّةَ أَصحَابِكُم أَهوَنُ مِن أَن تُخفِرُوا ذِمَّةَ الله وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ.

وَإِذَا حَاصَرتَ أَهلَ حِصنٍ فَأَرَادُوكَ أَن تُنزِلَهُم عَلَىٰ حُكمِ الله، فَلَا تُنزِلهُم عَلَىٰ حُكمِ الله. وَلَكِن أَنزِلهُم عَلَىٰ حُكمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدرِي أَتُصِيبُ فِيهِم حُكمَ الله أَم لَا؟» رَوَاهُ مُسلِمٌ.[مسلم (١٧٣١)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: الفَرقُ بَينَ ذِمَّةِ الله وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ وَذِمَّةِ المُسلِمِينَ.

الثَّانِيَةُ: الإِرشَادُ إِلَىٰ أَقَلِّ الأَمرَينِ خَطَرًا.

الثَّالِثَةُ: قَولُهُ: «اغزُوا بِاسمِ الله فِي سَبِيلِ الله».

الرَّابِعَةُ: قَولُهُ: «قَاتِلُوا مَن كَفَرَ بِالله».

الخَامِسَةُ: قَولُهُ: «استَعِن بِالله وَقَاتِلهُم».

السَّادسَةُ: الفَرقُ بَينَ حُكمِ الله وَحُكمِ العُلَمَاءِ.

السَّابِعَةُ: فِي كَونِ الصَّحَابِيِّ يَحكُمُ عِندَ الحَاجَةِ بِحُكمٍ لَا يَدرِي أَيُوَافِقُ حُكمَ الله أَم لَا؟

بَابُ: مَا جَاءَ فِي الإِقسَامِ عَلَى اللَّهِ

عَن جُندُبِ بنِ عَبدِ الله ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «قَالَ رَجُلٌ: وَالله لَا يَغفِرُ الله لِفُلَانٍ، فَقَالَ الله ﷻ : مَن ذَا الَّذِي يَتَأَلَّىٰ عَلَيَّ أَلَّا أَغفِرَ لِفُلَانٍ؟ إِنِّي قَد غَفَرتُ لَهُ وَأَحبَطتُ عَمَلَكَ» رَوَاهُ مُسلِمٌ. [مسلم (٢٦٢١)].

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ أَنَّ القَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ؛ قَالَ أَبُو هُرَيرَةَ: تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوبَقَت دُنيَاهُ وَآخِرَتَهُ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: التَحذِيرُ مِنَ التَّأَلِّي عَلَىٰ الله.

الثَّانِيَةُ: كَونُ النَّارِ أَقرَبَ إِلَىٰ أَحَدِنَا مِن شِرَاكِ نَعلِهِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ الجَنَّةَ مِثلُ ذَلِكَ.

الرَّابِعَةُ: فِيهِ شَاهِدٌ لِقَولِهِ: «إنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ...» إِلَىٰ آخرِهِ.

الخَامِسَةُ: أَنَّ الرَّجُلَ قَد يُغفَرُ لَهُ بِسَبَبٍ هُوَ مِن أَكرَهِ الأُمُورِ إِلَيهِ.

بَابُ: لا يُستَشفَعُ بِاللَّه عَلَى خَلقِهِ

عَن جُبَيرِ بنِ مُطعِمٍ ﷺ قَالَ: جَاءَ أَعرَابِيٌّ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، نُهِكَتِ الأَنفُسُ، وَجَاعَ العِيَالُ، وَهَلَكَتِ الأَموَالُ، فَاستَسقِ لَنَا رَبَّكَ، فَإِنَّا نَستَشفِعُ بِالله عَلَيكَ، وَبِكَ عَلَىٰ الله. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سُبحَانَ اللهِ، سُبحَانَ اللهِ!!» فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّىٰ عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَيحَكَ، أَتَدرِي مَا الله؟ إِنَّ شَأنَ الله أَعظَمُ مِن ذَلِكَ، إِنَّهُ لَا يُستَشفَعُ بِالله عَلَىٰ أَحَدٍ مِن خَلقِهِ» وَذَكَرَ الحَدِيثَ. رَوَاهُ أَبُو دَاودَ.[ضعيف الجامع (٦١٣٧)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: إِنكَارِهِ عَلَىٰ مَن قَالَ: نَستَشفِعُ بِالله عَلَيكَ.

الثَّانِيَةُ: تَغَيُّرُهُ تَغَيُّرًا عُرِفَ فِي وُجُوهِ أَصحَابِهِ مِن هَذِهِ الكَلِمَةِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ لَم يَنكِر عَلَيهِ قَولَهُ: نَستَشفِعُ بِكَ عَلَىٰ الله.

الرَّابِعَةُ: التَّنبِيهُ عَلَىٰ تَفسِيرِ «سُبحَانَ الله».

الخَامِسَةُ: أَنَّ المُسلِمِينَ يَسأَلُونَهُ ﷺ الاستِسقَاءَ.

بَابُ: مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ النَّبِيِّ ﷺ حِمَى التَّوحِيدِ؛ وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّركِ

عَن عَبدِ الله بنِ الشِّخِّيرِ ﷺ قَالَ: انطَلَقتُ فِي وَفدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ فَقُلنَا: أَنتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

قُلنَا: وَأَفضَلُنَا فَضلًا، وَأَعظَمُنَا طَولًا، فَقَالَ: قُولُوا بِقَولِكُم -أَو: بَعضِ قَولِكُم- وَلَا يَستَجرِيَنَّكُمُ الشَّيطَانُ». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ. [صحيح الجامع (٣٧٠٠)].

وَعَن أَنَسٍ ﷺ أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، يَا خَيرَنَا وَابنَ خَيرِنَا، وَسَيِّدَنَا وَابنَ سَيِّدِنَا. فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَولِكُم، وَلَا يَستَهوِيَنَّكُمُ الشَّيطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبدُ الله وَرَسُولُهُ،

ما أُحِبُّ أَن تَرفَعُونِي فَوقَ مَنزِلَتِي الَّتِي أَنزَلَنِي الله ﷻ» رَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ.[أحمد (١٣١١٨)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: تَحذِيرُ النَّاسِ مِنَ الغُلُوِّ.

الثَّانِيَةُ: مَا يَنبَغِي أَن يَقُولَ مَن قِيلَ لَهُ: أَنتَ سَيِّدُنَا.

الثَّالِثَةُ: قَولُهُ: «لَا يَستَجرِيَنَّكُمُ الشَّيطَانُ» مَعَ أَنَّهُم لَم يَقُولُوا إِلَّا الحَقَّ.

الرَّابِعَةُ: «مَا أُحِبُّ أَن تَرفَعُونِي فَوقَ مَنزِلَتِي».

بَابُ

مَا جَاءَ فِي قَولِ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ الآيَة [الزمر:٦٧].

عَنِ ابنِ مَسعُودٍ ﷺ قَالَ: جَاءَ حَبرٌ مِنَ الأَحبَارِ إِلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ الله يَجعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَىٰ إِصبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَىٰ إِصبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَىٰ إِصبَعٍ، وَالمَاءَ عَلَىٰ إِصبَعٍ، وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلقِ عَلَىٰ إِصبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ. فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّىٰ بَدَت نَوَاجِذُهُ تَصدِيقًا لِقَولِ الحَبرِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ الآيَة [الزمر: ٦٧]. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسلِمٍ: «وَالجِبَالُ وَالشَّجَرُ عَلَىٰ إِصبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا الله».

وَفِي رِوَايَةٍ لِلبُخَارِيِّ: «يَجعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَىٰ إِصبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلقِ عَلَىٰ إِصبَعٍ» أَخرَجَاهُ.[البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦)].

وَلِمُسلِمٍ عَنِ ابنِ عُمَرَ مَرفُوعًا: «يَطوِي الله السَّمَوَاتِ يَومَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأخُذُهُنَّ بِيَدِهِ اليُمنَىٰ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَينَ الجَبَّارُونَ؟ أَينَ المُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطوِي الأَرَضِينَ السَّبعَ، ثُمَّ يَأخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَينَ الجَبَّارُونَ؟ أَينَ المُتَكَبِّرُونَ؟». [مسلم (٢٧٨٨)].

وَرُوِيَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَا السَّمَوَاتُ السَّبعُ وَالأَرَضُونَ السَّبعُ فِي كَفِّ الرَّحمَنِ إِلَّا كَخَردَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُم.

وَقَالَ ابنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي يُونُسُ: أَخبَرَنَا ابنُ وَهبٍ قَالَ: قَالَ ابنُ زَيدٍ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا السَّمَوَاتُ السَّبعُ فِي الكُرسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبعَةٍ أُلقِيَت فِي تُرسٍ».

قَالَ: وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ ﷺ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا الكُرسِيُّ فِي العَرشِ إِلَّا كَحَلقَةٍ مِن حَدِيدٍ أُلقِيَت بَينَ ظَهرَي فَلَاةٍ مِنَ الأَرضِ». [تفسير الطبري (٣/ ٦)].

وَعَنِ ابنِ مَسعُودٍ قَالَ: بَينَ السَّمَاءِ الدُّنيَا وَالَّتِي تَلِيهَا خَمسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَينَ كُلِّ سَمَاءٍ وَسَمَاءٍ خَمسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَينَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالكُرسِيِّ خَمسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَينَ الكُرسِيِّ وَالمَاءِ خَمسُمِائَةِ عَامٍ، وَالعَرشُ فَوقَ المَاءِ، وَاللهُ فَوقَ العَرشِ، لَا يَخفَىٰ عَلَيهِ شَيءٌ مِن أَعمَالِكُم.

أَخرَجَهُ ابنُ مَهدِيٍّ عَن حَمَّادِ بنِ سَلَمَةَ، عَن عَاصِمٍ، عَن زِرٍّ، عَن عَبدِ اللهِ.

وَرَوَاهُ بِنَحوِهِ المَسعُودِيُّ، عَن عَاصِمٍ، عَن أَبِي وَائِلٍ، عَن عَبدِ اللهِ. قَالَهُ الحَافِظُ الذَّهَبِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-، قَالَ: وَلَهُ طُرُقٌ.

وَعَنِ العَبَّاسِ بنِ عَبدِ المُطَّلِبِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَل تَدرُونَ كَم بَينَ السَّمَاءِ وَالأَرضِ؟ قُلنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعلَمُ.

قَالَ: بَينَهُمَا مَسِيرَةُ خَمسُمِائَةِ سَنَةٍ، وَمِن كُلِّ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمسُمِائَةِ سَنَةٍ. وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمسُمِائَةِ سَنَةٍ، وَبَينَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالعَرشِ بَحرٌ بَينَ أَسفَلِهِ وَأَعلَاهُ كَمَا بَينَ السَّمَاءِ وَالأَرضِ، وَاللهُ ﷻ فَوقَ ذَلِكَ، وَلَيسَ يَخفَىٰ عَلَيهِ شَيءٌ مِن أَعمَالِ بَنِي آدَمَ» أَخرَجَهُ أَبُو دَاودَ وَغَيرُهُ. [ضعيف الجامع (٦٠٩٣)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَىٰ: تَفسِيرُ قَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧].

الثَّانِيَةُ: أَنَّ هَذِهِ العُلُومَ وَأَمْثَالَهَا بَاقِيَةٌ عِندَ اليَهُودِ الَّذِينَ فِي زَمَنِهِ ﷺ وَلَم يُنكِرُوهَا وَلَم يَتَأَوَّلُوهَا.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ الحَبرَ لَمَّا ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ صَدَّقَهُ وَنَزَلَ القُرآنُ بِتَقرِيرِ ذَلِكَ.

الرَّابِعَةُ: وُقُوعُ الضَّحِكِ مِن الرَّسُولِ ﷺ لَمَّا ذَكَرَ الحَبرُ هَذَا العِلمَ العَظِيمَ.

الخَامِسَةُ: التَّصرِيحُ بِذِكرِ اليَدَينِ وَأَنَّ السَّمَوَاتِ فِي اليَدِ اليُمنَىٰ وَالأَرَضِينَ فِي الأُخرَىٰ.

السَّادِسَةُ: التَّصرِيحُ بِتَسمِيَتِهَا الشِّمَالَ.

السَّابِعَةُ: ذِكرُ الجَبَّارِينَ وَالمُتَكَبِّرِينَ عِندَ ذَلِكَ.

الثَّامِنَةُ: قَولُهُ: «كَخَردَلَةٍ فِي كَفِّ أَحَدِكُم».

التَّاسِعَةُ: عِظَمُ الكُرسِيِّ بِالنِّسبَةِ إِلَىٰ السَّمَاءِ.

العَاشِرَةُ: عِظَمُ العَرشِ بِالنِّسبَةِ إِلَىٰ الكُرسِيِّ.

الحَادِيَةَ عَشرَةَ: أَنَّ العَرشَ غَيرُ الكُرسِيِّ وَالمَاءِ.

الثَّانِيَةَ عَشرَةَ: كَم بَينَ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ.

الثَّالِثَةَ عَشرَةَ: كَم بَينَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالكُرسِيِّ.

الرَّابِعَةَ عَشرَةَ: كَم بَينَ الكُرسِيِّ وَالمَاءِ.

الخَامِسَةَ عَشرَةَ: أَنَّ العَرشَ فَوقَ المَاءِ.

السَّادِسَةُ عَشرَةَ: أَنَّ الله فَوقَ العَرشِ.

السَّابِعَةَ عَشرَةَ: كَم بَينَ السَّمَاءِ وَالأَرضِ.

الثَّامِنَةَ عَشرَةَ: كِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ خَمسُمِائَةِ سَنَةٍ.

التَّاسِعَةَ عَشرَةَ: أَنَّ البَحرَ الَّذِي فَوقَ السَّمَوَاتِ بَينَ أَسفَلِهِ وَأَعلَاهُ خَمسُمِائَةِ سَنَةٍ. وَالله أَعلَمُ.

❊ ❊ ❊

(١٣) تَفسِيرُ كَلِمَةِ التَّوحِيدِ

سُئِلَ الشَّيخُ مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ الوَهَّابِ -رَحِمَهُ الله تَعَالَىٰ- عَن مَعنَىٰ (لَا إِلَهَ إِلَّا الله)، فَأَجَابَ بِقَولِهِ: اعلَم -رَحِمَكَ الله تَعَالَىٰ- أَنَّ هَذِهِ الكَلِمَةَ هِيَ الفَارِقَةُ بَينَ الكُفرِ وَالإِسلَامِ.

وَهِيَ كَلِمَةُ التَّقوَىٰ، وَهِيَ العُروَةُ الوُثقَىٰ، وَهِيَ الَّتِي جَعَلَهَا إِبرَاهِيمُ عليه السلام بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُم يَرجِعُونَ.

وَلَيسَ المُرَادُ قَولَهَا بِاللِّسَانِ مَعَ الجَهلِ بِمَعنَاهَا.

فَإِنَّ المُنَافِقِينَ يَقُولُونَهَا وَهُم تَحتَ الكُفَّارِ ﴿فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

مَعَ كَونِهِم يُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ.

وَلَكِنَّ المُرَادَ قَولُهَا مَعَ مَعرِفَتِهَا بِالقَلبِ، وَمَحَبَّتِهَا وَمَحَبَّةِ أَهلِهَا وَبُغضِ مَن خَالَفَهَا وَمُعَادَاتِهِ.

كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَن قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخلِصًا» [صحيح الجامع (٥٦٤٨)]، وَفِي رِوَايَةٍ: «خَالِصًا مِن قَلبِهِ». [البخاري (٩٩)]، وَفِي رِوَايَةٍ: «صَادِقًا مِن قَلبِهِ». [البخاري (١٢٨)].
وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «مَن قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعبَدُ مِن دُونِ اللهِ» [مسلم (٢٣)].

إِلَىٰ غَيرِ ذَلِكَ مِنَ الأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ جَهَالَةِ أَكثَرِ النَّاسِ بِهَذِهِ الشَّهَادَةِ.

فَاعلَم أَنَّ هَذِهِ الكَلِمَةَ نَفيٌ وَإِثبَاتٌ؛ نَفيُ الإِلَهِيَّةِ عَمَّا سِوَىٰ اللهِ ﷻ مِنَ المُرسَلِينَ حَتَّىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمِنَ المَلَائِكَةِ حَتَّىٰ جِبرِيلَ، فَضلًا عَن غَيرِهِمَا مِنَ الأَنبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ. وَإِثبَاتُهَا للهِ ﷻ.

إِذَا فَهِمتَ ذَلِكَ فَتَأَمَّل الأُلُوهِيَّةَ الَّتِي أَثبَتَهَا الله تَعَالَىٰ لِنَفسِهِ، وَنَفَاهَا عَن مُحَمَّدٍ ﷺ

وَجبريلَ وَغَيرِهِمَا أَن يَكُونَ لَهُم مِنهَا مِثقَالُ حَبَّةٍ مِن خَردَلٍ.

فَاعلَم أَنَّ هَذِهِ الأُلُوهِيَّةَ هِيَ الَّتِي تُسَمِّيهَا العَامَّةُ فِي زَمَانِنَا السِرَّ وَالوِلَايَةَ.

وَالإِلَهُ مَعنَاهُ: الوَلِيُّ الَّذِي فِيهِ السِّرُّ، وَهُوَ الَّذِي يُسَمُّونَهُ الفَقِيرَ وَالشَّيخَ!!

وَتَسمِيَةُ العَامَّةِ: السَّيِّدَ... وَأَشبَاهَ هَذَا.

وَذَلِكَ أَنَّهُم يَظُنُّونَ أَنَّ الله جَعَلَ لِخَوَاصِّ الخَلقِ عِندَهُ مَنزِلَةً يَرضَىٰ أَن يَلتَجِئَ الإِنسَانُ إِلَيهِم، وَيَرجُوهُم وَيَستَغِيثَ بِهِم، وَيَجعَلَهُم وَاسِطَةً بينَهُ وَبَينَ اللهِ.

فَالَّذِينَ يَزعُمُ أَهلُ الشِّركِ فِي زَمَانِنَا أَنَّهُم وَسَائِطُهُم هُمُ الَّذِينَ يُسَمِّيهِمُ الأَوَّلُونَ: الآلِهَةَ، وَالوَاسِطَةُ هِيَ: الإِلَهُ.

فَقَولُ الرَّجُلِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا الله» إِبطَالٌ لِلوَسَائِطِ.

وَإِذَا أَرَدتَ أَن تَعرِفَ هَذَا مَعرِفَةً تَامَّةً؛ فَذَلِكَ بِأَمرَينِ:

الأَوَّلُ: أَن تَعرِفَ أَنَّ الكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ الله ﷺ وَقَتَلَهُم وَأَبَاحَ أَموَالَهُم، وَاستَحَلَّ نِسَاءَهُم؛ كَانُوا مُقِرِّينَ لله سُبحَانَهُ بِتَوحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَهُوَ أَنَّهُ لَا يَخلُقُ وَلَا يَرزُقُ وَلَا يُحيِي وَلَا يُمِيتُ وَلَا يُدَبِّرُ الأُمُورَ إِلَّا الله وَحدَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٣١].

وَهَذِهِ مَسأَلَةٌ عَظِيمَةٌ جَلِيلَةٌ مُهِمَّةٌ، وَهِيَ أَن تَعرِفَ أَنَّ الكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ الله ﷺ شَاهِدُونَ بِهَذَا كُلِّهِ، وَمُقِرُّونَ بِهِ، وَمَعَ هَذَا لَم يُدخِلهُم ذَلِكَ فِي الإِسلَامِ، وَلَم يُحَرِّم دِمَاءَهُم وَلَا أَموَالَهُم، وَكَانُوا أَيضًا يَتَصَدَّقُونَ وَيَحُجُّونَ وَيَعتَمِرُونَ وَيَتَعَبَّدُونَ وَيَترُكُونَ أَشيَاءَ مِنَ المُحَرَّمَاتِ خَوفًا مِنَ اللهِ ﷻ.

وَلَكِنَّ الأَمرَ الثَّانِي: هُوَ الَّذِي كَفَّرَهُم وَأَحَلَّ دِمَاءَهُم وَأَموَالَهُم، وَهُوَ أَنَّهُم لَم يَشهَدُوا لله بِتَوحِيدِ الأُلُوهِيَّةِ، وَتَوحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ: وَهُوَ أَلَّا يُدعَىٰ وَلَا يُرجَىٰ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَلَا يُستَغَاثَ بِغَيرِهِ وَلَا يُذبَحَ لِغَيرِهِ، وَلَا يُنذَرَ لِغَيرِهِ، لَا لِمَلَكٍ مُقَرَّبٍ وَلَا نَبِيٍّ مُرسَلٍ.

فَمَنِ استَغَاثَ بِغَيرِهِ فَقَد كَفَرَ، وَمَن ذَبَحَ لِغَيرِهِ فَقَد كَفَرَ، وَمَن نَذَرَ لِغَيرِهِ فَقَد كَفَرَ، وَأَشبَاهُ ذَلِكَ.

وَتَمَامُ هَذَا أَن تَعرِفَ أَنَّ المُشرِكِينَ الَّذِينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ الله ﷺ كَانُوا يَدعُونَ الصَّالِحِينَ مِثلَ المَلَائِكَةِ وَعِيسَىٰ وَأُمِّهِ وَعُزَيرًا، وَغَيرَهُم مِنَ الأَولِيَاءِ، فَكَفَرُوا بِهَذَا مَعَ إِقرَارِهِم بِأَنَّ الله سُبحَانَهُ هُوَ الخَالِقُ الرَّازِقُ المُدَبِّرُ.

إِذَا عَرَفتَ هَذَا؛ عَرَفتَ مَعنَىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا الله»، وَعَرَفتَ أَنَّ مَن نَخَّىٰ نَبِيًّا أَو مَلَكًا أَو نَدَبَهُ أَوِ استَغَاثَ بِهِ فَقَد خَرَجَ مِنَ الإِسلَامِ، وَهَذَا هُوَ الكُفرُ الَّذِي قَاتَلَهُم عَلَيهِ رَسُولُ الله ﷺ.

فَإِن قَالَ قَائِلٌ مِنَ المُشرِكِينَ: نَحنُ نَعرِفُ أَنَّ الله هُوَ الخَالِقُ الرَّازِقُ المُدَبِّرُ، لَكِن هَؤُلَاءِ الصَّالِحُونَ مُقَرَّبُونَ، وَنَحنُ نَدعُوهُم وَنَنذِرُ لَهُم وَنَدخُلُ عَلَيهِم وَنَستَغِيثُ بِهِم، وَنُرِيدُ بِذَلِكَ الوَجَاهَةَ وَالشَّفَاعَةَ، وَإِلَّا فَنَحنُ نَفهَمُ أَنَّ الله هُوَ الخَالِقُ الرَّازِقُ المُدَبِّرُ.

فَقُل: كَلَامُكَ هَذَا مَذهَبُ أَبِي جَهلٍ وَأَمثَالِهِ.

فَإِنَّهُم يَدعُونَ عِيسَىٰ وَعُزَيرًا وَالمَلَائِكَةَ وَالأَولِيَاءَ، يُرِيدُونَ بِذَلِكَ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَولِيَاءَ مَا نَعبُدُهُم إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلفَىٰ﴾ [الزمر: ٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَعبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُم وَلَا يَنفَعُهُم وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس:١٨].

فَإِذَا تَأَمَّلتَ هَذَا تَأَمُّلًا جَيِّدًا، وَعَرَفتَ أَنَّ الكُفَّارَ يَشهَدُونَ لله بِتَوحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَهُوَ تَفَرُّدُهُ بِالخَلقِ وَالرِّزقِ وَالتَّدبِيرِ، وَهُم يَنخُونَ عِيسَىٰ وَالمَلَائِكَةَ وَالأَولِيَاءَ يَقصِدُونَ أَنَّهُم يُقَرِّبُونَهُم إِلَىٰ الله زُلفَىٰ، وَيَشفَعُونَ لَهُم عِندَهُ، وَعَرَفتَ أَنَّ مِنَ الكُفَّارِ -خُصُوصًا النَّصَارَىٰ مِنهُم- مَن يَعبُدُ الله اللَّيلَ وَالنَّهَارَ، وَيَزهَدُ فِي الدُّنيَا، وَيَتَصَدَّقُ بِمَا دَخَلَ عَلَيهِ مِنهَا، مُعتَزِلًا فِي صَومَعَةٍ عَنِ النَّاسِ وَهُوَ مَعَ هَذَا كَافِرٌ عَدُوٌّ لله مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ بِسَبَبِ اعتِقَادِهِ فِي عِيسَىٰ أَو غَيرِهِ مِنَ الأَولِيَاءِ، يَدعُوهُ أَو يَذبَحُ لَهُ أَو يَنذِرُ لَهُ، تَبَيَّنَ لَكَ كَيفَ صِفَةُ الإِسلَامِ الَّذِي دَعَا إِلَيهِ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَتَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنهُ بِمَعزِلٍ، وَتَبَيَّنَ لَكَ مَعنَىٰ قَولِهِ ﷺ: «بَدَأَ

الإسلامُ غريبًا وَسَيَعُودُ غَريبًا كَمَا بَدَأَ». [مسلم (١٤٦)].

فَاللهَ اللهَ يَا إِخوَانِي، تَمَسَّكُوا بِأَصلِ دِينِكُم، وَأَوَّلِهِ وَآخِرِهِ، وَأُسِّهِ وَرَأسِهِ؛ شَهَادَةِ «أن لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

وَاعرِفُوا مَعنَاهَا، وَأَحِبُّوهَا وَأَحِبُّوا أَهلَهَا، وَاجعَلُوهُم إِخوَانَكُم وَلَو كَانُوا بَعِيدِينَ.

وَاكفُرُوا بِالطَّوَاغِيتِ، وَعَادُوهُم وَأَبغِضُوهُم، وَأَبغِضُوا مَن أَحَبَّهُم أَو جَادَلَ عَنهُم، أَو لَم يُكَفِّرهُم.

أَو قَالَ: مَا عَلَيَّ مِنهُم، أَو قَالَ: مَا كَلَّفَنِي الله بِهِم، فَقَد كَذَبَ هَذَا عَلَىٰ الله وَافتَرَىٰ، فَقَد كَلَّفَهُ الله تَعَالَىٰ بِهِم، وَافتَرَضَ عَلَيهِ الكُفرَ بِهِم وَالبَرَاءَةَ مِنهُم، وَلَو كَانُوا إِخوَانَهُم وَأَولَادَهُم.

فَاللهَ اللهَ يَا إِخوَانِي، تَمَسَّكُوا بِذَلِكَ لَعَلَّكُم تَلقَونَ رَبَّكُم وَأَنتُم لَا تُشرِكُونَ بِهِ شَيئًا.

اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسلِمِينَ وَأَلحِقنَا بِالصَّالِحِينَ.

وَلنَختِمِ الكَلَامَ بِآيَةٍ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ تُبَيِّنُ لَكَ أَنَّ كُفرَ المُشرِكِينَ مِن أَهلِ زَمَانِنَا أَعظَمُ مِن كُفرِ الَّذِينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ الله ﷺ.

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء:٦٧].

فَقَد ذَكَرَ الله عَنِ الكُفَّارِ أَنَّهُم إِذَا مَسَّهُمُ الضُّرُّ تَرَكُوا السَّادَةَ وَالمَشَايِخَ فَلَم يَدعُوا أَحَدًا مِنهُم، وَلَم يَستَغِيثُوا بِهِ، بَل يُخلِصُونَ لله وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَيَستَغِيثُونَ بِهِ وَحدَهُ، فَإِذَا جَاءَ الرَّخَاءُ أَشرَكُوا.

وَأَنتَ تَرَىٰ المُشرِكِينَ مِن أَهلِ زَمَانِنَا، وَلَعَلَّ بَعضَهُم يَدَّعِي أَنَّهُ مِن أَهلِ العِلمِ، وَفِيهِ زُهدٌ وَاجتِهَادٌ وَعِبَادَةٌ، إِذَا مَسَّهُ الضُّرُّ قَامَ يَستَغِيثُ بِغَيرِ الله؛ مِثلَ: مَعرُوفٍ أَو عَبدِ القَادِرِ الجِيلَانِيِّ، وَأَجَلَّ مِن هَؤلَاءِ؛ مِثلَ: زَيدِ بنِ الخَطَّابِ وَالزُّبَيرِ، وَأَجَلَّ مِن هَؤلَاءِ؛ مِثلَ: رَسُولِ الله ﷺ، فَالله المُستَعَانُ.

وَأَعظَمُ مِن ذَلِكَ وَأَطَمُّ أَنَّهُم يَستَغِيثُونَ بِالطَّوَاغِيتِ وَالكَفَرَةِ وَالمَرَدَةِ؛ مِثلَ: شَمسَانَ،

وَإِدرِيسَ -وَيُقَالُ لَهُ: الأَشقَرُ-، وَيُوسُفَ وَأَمثَالِهِم.

وَالله ﷻ أَعلَمُ.

وَالحَمدُ لله أَوَّلًا وَآخِرًا، وَصَلَّىٰ الله وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحبِهِ أَجمَعِينَ... آمِينَ.

❊ ❊ ❊

(١٤) أصول السنة للحميدي

حَدَّثَنَا بِشرُ بنُ مُوسَىٰ حَدَّثنَا الحُمَيدِيُّ قَالَ:

السُّنَّةُ عِندَنَا: أَن يُؤمِنَ الرَّجُلُ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ، حُلوِهِ وَمُرِّهِ، وَأَن يَعلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَم يَكُن لِيُخطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخطَأَهُ لَم يَكُن لِيُصِيبَهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ قَضَاءٌ مِنَ اللهِ عَجَّلَّ.

وَأَنَّ الإِيمَانَ: قَولٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنقُصُ، وَلا يَنفَعُ قَولٌ إِلا بِعَمَلٍ، وَلا عَمَلٌ وَقَولٌ إِلا بِنِيَّةٍ، وَلا قَولٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلا بِسُنَّةٍ.

وَالتَّرَحُّمُ عَلَىٰ أَصحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ كُلِّهِم فَإِنَّ اللهَ عَجَّلَّ قَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

فَلَم نُؤمَر إِلَّا بِالاستِغفَارِ لَهُم، فَمَن سَبَّهُم أَو تَنَقَّصَهُم أَو أَحَدًا مِنهُم فَلَيسَ عَلَىٰ السُّنَّةِ، وَلَيسَ لَهُ فِي الفَيءِ حَقٌّ، أَخبَرَنَا بِذَلِكَ غَيرُ وَاحِدٍ عَن مَالِكِ بنِ أَنَسٍ أَنَّهُ قَالَ: قَسَمَ اللهُ تَعَالَىٰ الفَيءَ فَقَالَ: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ الآيَةَ [الحشر: ٨-١٠]، فَمَن لَم يَقُل هَذَا لَهُم فَلَيسَ مِمَّن جُعِلَ لَهُ الفَيءُ.

وَالقُرآنُ كَلَامُ اللهِ، سَمِعتُ سُفيَانَ يَقُولُ: وَالقُرآنُ كَلَامُ اللهِ، وَمَن قَالَ: مَخلُوقٌ؛ فَهُوَ مُبتَدِعٌ، لَم نَسمَع أَحَدًا يَقُولُ هَذَا.

وَسَمِعتُ سُفيَانَ يَقُولُ: الإِيمَانُ قَولٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنقُصُ، فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ إِبرَاهِيمُ بنُ عُيَينَةَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، لا تَقُل: يَنقُصُ، فَغَضِبَ وَقَالَ: اسكُت يَا صَبِيُّ، بَل حَتَّىٰ لا يَبقَىٰ مِنهُ شَيءٌ.

وَالإِقرَارُ بِالرُّؤيَةِ بَعدَ المَوتِ.

وَمَا نَطَقَ بِهِ القُرآنُ وَالحَدِيثُ مِثلُ: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [المائدة:٦٤]. وَمِثلُ: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [الزمر:٦٧]. وَمَا أَشبَهَ هَذَا مِنَ القُرآنِ وَالحَدِيثِ لا نَزِيدُ فِيهِ، وَلا نُفَسِّرُهُ، وَنَقِفُ عَلَىٰ مَا وَقَفَ عَلَيهِ القُرآنُ وَالسُّنَّةُ، وَنَقُولُ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وَمَن زَعَمَ غَيرَ هَذَا فَهُوَ مُعَطِّلٌ جَهمِيٌّ.

وَأَلَّا نَقُولَ كَمَا قَالَتِ الخَوَارِجُ: مَن أَصَابَ كَبِيرَةً فَقَد كَفَرَ، وَلَا نُكَفِّرُ بِشَيءٍ مِنَ الذُّنُوبِ، إِنَّمَا الكُفرُ فِي تَركِ الخَمسِ الَّتِي قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بُنِيَ الإِسلَامُ عَلَىٰ خَمسٍ: شَهَادَةِ أَن لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَومِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ البَيتِ» [البخاري (٨)، ومسلم (١٦)].

فَأَمَّا ثَلَاثٌ مِنهَا فَلا يُنَاظَرُ تَارِكُهَا: مَن لَم يَتَشَهَّد وَلَم يُصَلِّ وَلَم يَصُم؛ لأَنَّهُ لا يُؤَخَّرُ شَيءٌ مِن هَذَا عَن وَقتِهِ، وَلا يُجزِئُ مَن قَضَاهُ بَعدَ تَفرِيطِهِ فِيهِ عَامِدًا عَن وَقتِهِ.

فَأَمَّا الزَّكَاةُ، فَمَتَىٰ مَا أَدَّاهَا أَجزَأَت عَنهُ، وَكَانَ آثِمًا فِي الحَبسِ.

وَأَمَّا الحَجُّ؛ فَمَن وَجَبَ عَلَيهِ وَوَجَدَ السَّبِيلَ إِلَيهِ، وَجَبَ عَلَيهِ، وَلا يَجِبُ عَلَيهِ فِي عَامِهِ ذَلِكَ حَتَّىٰ لا يَكُونَ لَهُ مِنهُ بُدٌّ مَتَىٰ أَدَّاهُ كَانَ مُؤَدِّيًا، وَلَم يَكُن آثِمًا فِي تَأخِيرِهِ إِذَا أَدَّاهُ كَمَا كَانَ آثِمًا فِي الزَّكَاةِ؛ لأَنَّ الزَّكَاةَ حَقٌّ لِمُسلِمِينَ مَسَاكِينَ حَبَسَهُ عَلَيهِم، فَكَانَ آثِمًا حَتَّىٰ وَصَلَ إِلَيهِم.

وَأَمَّا الحَجُّ؛ فَكَانَ فِيمَا بَينَهُ وَبَينَ رَبِّهِ إِذَا أَدَّاهُ فَقَد أَدَّىٰ، وَإِن هُوَ مَاتَ وَهُوَ وَاجِدٌ مُستَطِيعٌ وَلَم يَحُجَّ سَأَلَ الرَّجعَةَ إِلَىٰ الدُّنيَا أَن يَحُجَّ، وَيَجِبُ لأَهلِهِ أَن يَحُجُّوا عَنهُ، وَنَرجُو أَن يَكُونَ ذَلِكَ مُؤَدِّيًا عَنهُ، كَمَا لَو كَانَ عَلَيهِ دَينٌ فَقُضِيَ عَنهُ بَعدَ مَوتِه.

تَمَّ الكِتَابُ وَالحَمدُ لِلَّهِ وَحدَهُ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصحَابِهِ وَأَزوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ أَجمَعِينَ وَسَلَّمَ تَسلِيمًا كَثِيرًا.

❊ ❊ ❊

(١٥) أصول السنة للإمام أحمد

الجُزءُ فِيهِ رِسَالَةُ عَبدُوسٍ عَنِ الإِمَامِ أَحمَدَ ﷺ:

- رِوَايَةُ عَبدُوسِ بنِ مَالِكٍ العَطَّارِ عَنِ الإِمَامِ أَبِي عَبدِ الله.
- رِوَايَةُ أَبِي جعفرٍ مُحَمَّدِ بنِ سُلَيمَانَ المَنقَرِيِّ البَصرِيِّ التِّنِّيسِيِّ عَنهُ.
- رِوَايَةُ أَبِي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ بنِ عَبدِ الوَهَّابِ عَنهُ.
- رِوَايَةُ عُثمَانَ بنِ أَحمَدَ بنِ السَّمَّاكِ عَنهُ.
- رِوَايَةُ أَبِي الحُسَينِ عَلِيِّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَبدِ الله بنِ بِشرَانَ المُعدَّلِ عَنهُ.
- رِوَايَةُ الشَّيخِ أَبِي عَلِيٍّ الحَسَنِ بنِ أَحمَدَ بنِ البَنَّا عَنهُ.
- رِوَايَةُ وَلَدِهِ أَبِي عَبدِ الله يَحيَىٰ بنِ الحَسَنِ بنِ أَحمَدَ بنِ البَنَّا عَنهُ.
- وَقفُ الحَافِظِ ضِيَاءِ الدِّينِ أَبِي عَبدِ الله مُحَمَّدِ بنِ عَبدِ الوَاحِدِ المقدِسيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

❋ ❋ ❋

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الشَّيخُ الإِمَامُ أَبُو المُظَفَّرِ عَبدُ المَلِكِ بنُ عَلِيِّ بنِ مُحَمَّدٍ الهَمدَانِيُّ:

حَدَّثَنَا الشَّيخُ أَبُو عَبدِ الله يَحيَىٰ بنُ أَبِي الحَسَنِ بنِ البَنَّا قَالَ: أَخبَرَنَا وَالِدِي أَبُو عَلِيٍّ الحَسَنُ بنُ أَحمَدَ بنِ عَبدِ الله بنِ البَنَّا.

قَالَ: أَخبَرَنَا أَبُو الحُسَينِ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَبدِ الله بنِ بِشرَانَ المُعَدَّلُ قَالَ: أَنَا عُثمَانُ بنُ أَحمَدَ بنِ السَّمَّاكِ: قثنا أَبُو مُحَمَّدٍ الحَسَنُ بنُ عَبدِ الوَهَّابِ بنِ أَبِي العَنبَرِ -قِرَاءَةً عَلَيهِ مِن كِتَابِهِ- فِي شَهرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِن سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسعِينَ وَمِائَتَينِ (٢٩٣هـ): قثنا أَبُو جَعفَرٍ

مُحَمَّدُ بنُ سُلَيمَانَ المِنقَرِيُّ البَصرِيُّ بِـ: «تِنِّيسَ» قَالَ:

حَدَّثَنِي عَبدُوسُ بنُ مَالِكٍ العَطَّارُ قَالَ: سَمِعتُ أَبَا عَبدِ الله أَحمَدَ بنَ مُحَمَّدِ بنِ حَنبَلٍ ﷺ يَقُولُ:

أُصُولُ السُّنَّةِ عِندنَا:

١ - التَمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيهِ أَصحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

٢ - وَالاقتِدَاءُ بِهِم.

٣ - وَتَركُ البِدَعِ.

٤ - وَكُلُّ بِدعَةٍ فَهِيَ ضَلَالَةٌ.

٥ - وَتَركُ الخُصُومَاتِ وَالجُلُوسِ مَعَ أَصحَابِ الأَهوَاءِ.

٦ - وَتَركُ المِرَاءِ وَالجِدَالِ وَالخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ.

٧ - وَالسُّنَّةُ عِندنَا: آثَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

٨ - وَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ القُرآنَ، وَهِيَ دَلَائِلُ القُرآنِ.

٩ - وَلَيسَ فِي السُّنَّةِ قِيَاسٌ.

١٠ - وَلَا تُضرَبُ لَهَا الأَمثَالُ، وَلَا تُدرَكُ بِالعُقُولِ وَلَا الأَهوَاءِ؛ إِنَّمَا هُوَ الاتِّبَاعُ وَتَركُ الهَوَىٰ.

١١ - وَمِنَ السُّنَّةِ اللَّازِمَةِ الَّتِي مَن تَرَكَ مِنهَا خَصلَةً، لَم يَقبَلهَا وَيُؤمِن بِهَا، لَم يَكُن مِن أَهلِهَا:

١٢ - الإِيمَانُ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ، وَالتَّصدِيقُ بِالأَحَادِيثِ فِيهِ، وَالإِيمَانُ بِهَا، لَا يُقَالُ: «لِمَ» وَلَا: «كَيفَ» إِنَّمَا هُوَ التَّصدِيقُ وَالإِيمَانُ بِهَا.

وَمَن لَم يَعرِف تَفسِيرَ الحَدِيثِ وَيبلُغهُ عَقلُهُ، فَقَد كُفِيَ ذَلِكَ وَأُحكِمَ لَهُ، فَعَلَيهِ الإِيمَانُ بِهِ؛ وَالتَّسلِيمُ لَهُ، مِثلُ: حَدِيثِ «الصَّادِقِ المَصدُوقِ».

وَمِثلُ: مَا كَانَ مِثلَهُ فِي القَدَرِ، وَمِثلُ: أَحَادِيثِ الرُّؤيَةِ كُلِّهَا، وَإِن نَبَت عَنِ الأَسمَاعِ،

واستوحَش مِنهَا المُستَمِعُ، وَإِنَّمَا عَلَيهِ الإِيمَانُ بِهَا، وَأَلَّا يَرُدَّ مِنهَا حَرفًا وَاحِدًا، وَغَيرِهَا مِنَ الأَحَادِيثِ المَأثُورَاتِ عَنِ الثِّقَاتِ.

وَأَلَّا يُخَاصِمَ أَحَدًا، وَلَا يُنَاظِرَهُ، وَلَا يَتَعَلَّمَ الجِدَالَ، فَإِنَّ الكَلَامَ فِي القَدَرِ وَالرُّؤيَةِ وَالقُرآنِ وَغَيرِهَا مِنَ السُّنَنِ مَكرُوهٌ وَمَنهِيٌّ عَنهُ، لَا يَكُونُ صَاحِبُهُ -وَإِن أَصَابَ بِكَلَامِهِ السُّنَّةَ- مِن أَهلِ السُّنَّةِ حَتَّىٰ يَدَعَ الجِدَالَ وَيُسلِّمَ، وَيُؤمِنَ بِالآثَارِ.

١٣ - وَالقُرآنُ كَلَامُ اللهِ، وَلَيسَ بِمَخلُوقٍ، وَلَا يَضعُفُ أَن يَقُولَ: لَيسَ بِمَخلُوقٍ.

قَالَ: فَإِنَّ كَلَامَ اللهِ لَيسَ بِبَائِنٍ مِنهُ، وَلَيسَ مِنهُ شَيءٌ مَخلُوقٌ.

وَإِيَّاكَ وَمُنَاظَرَةَ مَن أَحدَثَ فِيهِ، وَمَن قَالَ بِاللَّفظِ وَغَيرِهِ، وَمَن وَقَفَ فِيهِ فَقَالَ: «لَا أَدرِي مَخلُوقٌ أَو لَيسَ بِمَخلُوقٍ، وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامُ اللهِ» فَهَذَا صَاحِبُ بِدعَةٍ، مِثلُ مَن قَالَ: «هُوَ مَخلُوقٌ» وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامُ اللهِ لَيسَ بِمَخلُوقٍ.

١٤ - وَالإِيمَانُ بِالرُّؤيَةِ يَومَ القِيَامَةِ كَمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ.

١٥ - وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَد رَأَىٰ رَبَّهُ، فَإِنَّهُ مَأثُورٌ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ صَحِيحٌ، رَوَاهُ قَتَادَةُ عَن عِكرِمَةَ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ.

وَرَوَاهُ الحَكَمُ بنُ أَبَانَ عَن عِكرِمَةَ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ.

وَرَوَاهُ عَلِيُّ بنُ زَيدٍ عَن يُوسُفَ بنِ مِهرَانَ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ.

وَالحَدِيثُ عِندَنَا عَلَىٰ ظَاهِرِهِ، كَمَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالكَلَامُ فِيهِ بِدعَةٌ؛ وَلَكِن نُؤمِنُ بِهِ كَمَا جَاءَ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ، وَلَا نُنَاظِرُ فِيهِ أَحَدًا.

١٦ - وَالإِيمَانُ بِالمِيزَانِ يَومَ القِيَامَةِ، كَمَا جَاءَ: «يُوزَنُ العَبدُ يَومَ القِيَامَةِ فَلَا يَزِنُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ» [البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥)]، وَ: «تُوزَنُ أَعمَالُ العِبَادِ» كَمَا جَاءَ فِي الأَثَرِ.

وَالإِيمَانُ بِهِ، وَالتَّصدِيقُ بِهِ، وَالإِعرَاضُ عَمَّن رَدَّ ذَلِكَ، وَتَركُ مُجَادَلَتِهِ.

١٧ - وَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُكَلِّمُ العِبَادَ يَومَ القِيَامَةِ لَيسَ بَينَهُم وَبَينَهُ تَرجُمَانٌ؛ وَالإِيمَانُ بِهِ وَالتَّصدِيقُ بِهِ.

١٨ - وَالإِيمَانُ بِالحَوضِ، وَأَنَّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حَوضًا يَومَ القِيَامَةِ تَرِدُ عَلَيهِ أُمَّتُهُ، عَرضُهُ مِثلُ طُولِهِ مَسِيرَةَ شَهرٍ، آنِيَتُهُ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ، عَلَىٰ مَا صَحَّت بِهِ الأَخبَارُ مِن غَيرِ وَجهٍ.

١٩ - وَالإِيمَانُ بِعَذَابِ القَبرِ.

٢٠ - وَأَنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُفتَنُ فِي قُبُورِهَا، وَتُسأَلُ عَنِ الإِيمَانِ، وَالإِسلَامِ، وَمَن رَبُّهُ؟ وَمَن نَبِيُّهُ؟ وَيَأتِيهِ مُنكَرٌ وَنَكِيرٌ كَيفَ شَاءَ اللهُ ﷻ وَكَيفَ أَرَادَ، وَالإِيمَانُ بِهِ وَالتَّصدِيقُ بِهِ.

٢١ - وَالإِيمَانُ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَبِقَومٍ يَخرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعدَمَا احتَرَقُوا وَصَارُوا فَحمًا، فَيُؤمَرُ بِهِم إِلَىٰ نَهرٍ عَلَىٰ بَابِ الجَنَّةِ -كَمَا جَاءَ فِي الأَثَرِ- كَيفَ شَاءَ اللهُ، وَكَمَا شَاءَ، إِنَّمَا هُوَ الإِيمَانُ بِهِ، وَالتَّصدِيقُ بِهِ.

٢٢ - وَالإِيمَانُ أَنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ خَارِجٌ، مَكتُوبٌ بَينَ عَينَيهِ «كَافِرٌ»، وَالأَحَادِيثُ الَّتِي جَاءَت فِيهِ، وَالإِيمَانُ بِأَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ.

٢٣ - وَأَنَّ عِيسَىٰ بنَ مَريَمَ عليه السلام يَنزِلُ فَيَقتُلُهُ بِبَابِ لُدٍّ.

٢٤ - وَالإِيمَانُ قَولٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنقُصُ؛ كَمَا جَاءَ فِي الخَبَرِ: «أَكمَلُ المُؤمِنِينَ إِيمَانًا أَحسَنُهُم خُلُقًا» [صحيح الجامع (١٢٣٠)].

٢٥ - وَمَن تَرَكَ الصَّلَاةَ فَقَد كَفَرَ.

وَلَيسَ مِنَ الأَعمَالِ شَيءٌ تَركُهُ كُفرٌ إِلَّا الصَّلَاةَ؛ مَن تَرَكَهَا فَهُوَ كَافِرٌ، وَقَد أَحَلَّ اللهُ قَتلَهُ.

٢٦ - وَخَيرُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعدَ نَبِيِّهَا؛ أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، ثُمَّ عُثمَانُ بنُ عَفَّانَ، نُقَدِّمُ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ كَمَا قَدَّمَهُم أَصحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَم يَختَلِفُوا فِي ذَلِكَ.

ثُمَّ بَعدَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ: أَصحَابُ الشُّورَىٰ الخَمسَةُ: عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، وَطَلحَةُ، وَالزُّبَيرُ، وَعَبدُ الرَّحمَنِ بنُ عَوفٍ، وَسَعدٌ، كُلُّهُم يَصلُحُ لِلخِلَافَةِ، وَكُلُّهُم إِمَامٌ.

وَنَذهَبُ فِي ذَلِكَ إِلَىٰ حَدِيثِ ابنِ عُمَرَ: «كُنَّا نَعُدُّ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ حَيٌّ وَأَصحَابُهُ مُتَوَافِرُونَ: أَبُو بَكرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثمَانُ، ثُمَّ نَسكُتُ». [أحمد (٤٦١٢)، البخاري (٣٦٥٥)].

ثُمَّ مِن بَعدِ أَصحَابِ الشُّورَىٰ: أَهلُ بَدرٍ مِنَ المُهَاجِرِينَ، ثُمَّ أَهلُ بَدرٍ مِنَ الأَنصَارِ مِن

أَصحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ قَدرِ الهِجرَةِ وَالسَّابِقَةِ أَوَّلًا فَأَوَّلًا.

٢٧- ثُمَّ أَفضَلُ النَّاسِ بَعدَ هَؤُلَاءِ: أَصحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ القَرنُ الَّذِي بُعِثَ فِيهِم، كُلُّ مَن صَحِبَهُ سَنَةً، أَو شَهرًا، أَو يَومًا، أَو سَاعَةً، أَو رَآهُ فَهُوَ مِن أَصحَابِهِ، لَهُ مِنَ الصُّحبَةِ عَلَىٰ قَدرِ مَا صَحِبَهُ وَكَانَت سَابِقَتُهُ مَعَهُ وَسَمِعَ مِنهُ وَنَظَرَ إِلَيهِ نَظرَةً.

فَأَدنَاهُم صُحبَةً هُوَ أَفضَلُ مِنَ القَرنِ الَّذِينَ لَم يَرَوهُ، وَلَو لَقُوا اللهَ بِجَمِيعِ الأَعمَالِ.

كَانَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ صَحِبُوا النَّبِيَّ ﷺ وَرَأَوهُ وَسَمِعُوا مِنهُ، وَمَن رَآهُ بِعَينِهِ وَآمَنَ بِهِ وَلَو سَاعَةً أَفضَلُ لِصُحبَتِهِ مِنَ التَّابِعِينَ وَلَو عَمِلُوا كُلَّ أَعمَالِ الخَيرِ.

٢٨- وَالسَّمعُ وَالطَّاعَةُ لِلأَئِمَّةِ وَأَمِيرِ المُؤمِنِينَ؛ البَرِّ وَالفَاجِرِ، وَمَن وَلِيَ الخِلَافَةَ، وَاجتَمَعَ النَّاسُ عَلَيهِ، وَرَضُوا بِهِ، وَمَن عَلَيهِم بِالسَّيفِ حَتَّىٰ صَارَ خَلِيفَةً وَسُمِّيَ أَمِيرَ المُؤمِنِينَ.

٢٩- وَالغَزوُ مَاضٍ مَعَ الأُمَرَاءِ إِلَىٰ يَومِ القِيَامَةِ -البَرِّ وَالفَاجِرِ- لَا يُترَكُ.

٣٠- وَقِسمَةُ الفَيءِ، وَإِقَامَةُ الحُدُودِ إِلَىٰ الأَئِمَّةِ مَاضٍ، لَيسَ لِأَحَدٍ أَن يَطعَنَ عَلَيهِم، وَلَا يُنَازِعَهُم.

٣١- وَدَفعُ الصَّدَقَاتِ إِلَيهِم جَائِزَةٌ نَافِذَةٌ، مَن دَفَعَهَا إِلَيهِم أَجزَأَت عَنهُ؛ بَرًّا كَانَ أَو فَاجِرًا.

٣٢- وَصَلَاةُ الجُمُعَةِ خَلفَهُ، وَخَلفَ مَن وَلَّاهُ جَائِزَةٌ بَاقِيَةٌ تَامَّةٌ رَكعَتَينِ، مَن أَعَادَهُمَا فَهُوَ مُبتَدِعٌ، تَارِكٌ لِلآثَارِ، مُخَالِفٌ لِلسُّنَّةِ، لَيسَ لَهُ مِن فَضلِ الجُمُعَةِ شَيءٌ؛ إِذَا لَم يَرَ الصَّلَاةَ خَلفَ الأَئِمَّةِ -مَن كَانُوا- بَرِّهِم وَفَاجِرِهِم، فَالسُّنَّةُ بِأَن يُصَلِّيَ مَعَهُم رَكعَتَينِ وَيَدِينَ بِأَنَّهَا تَامَّةٌ، لَا يَكُن فِي صَدرِكَ مِن ذَلِكَ شَكٌّ.

٣٣- وَمَن خَرَجَ عَلَىٰ إِمَامٍ مِن أَئِمَّةِ المُسلِمِينَ، وَقَد كَانَ النَّاسُ اجتَمَعُوا عَلَيهِ، وَأَقَرُّوا لَهُ بِالخِلَافَةِ بِأَيِّ وَجهٍ كَانَ؛ بِالرِّضَا أَو بِالغَلَبَةِ؛ فَقَد شَقَّ هَذَا الخَارِجُ عَصَا المُسلِمِينَ، وَخَالَفَ الآثَارَ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِن مَاتَ الخَارِجُ عَلَيهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً.

٣٤- وَلَا يَحِلُّ قِتَالُ السُّلطَانِ، وَلَا الخُرُوجُ عَلَيهِ لأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، فَمَن فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ مُبتَدِعٌ عَلَىٰ غَيرِ السُّنَّةِ وَالطَّرِيقِ.

٣٥- وَقِتَالُ اللُّصُوصِ وَالخَوَارِجِ جَائِزٌ إِذَا عَرَضُوا لِلرَّجُلِ فِي نَفسِهِ وَمَالِهِ، فَلَهُ أَن يُقَاتِلَ عَن نَفسِهِ وَمَالِهِ، وَيَدفَعَ عَنهَا بِكُلِّ مَا يَقدِرُ، وَلَيسَ لَهُ إِذَا فَارَقُوهُ، أَو تَرَكُوهُ أَن يَطلُبَهُم، وَلَا يَتبَعَ آثَارَهُم، لَيسَ لأَحَدٍ إِلَّا الإِمَامَ، أَو وُلَاةَ المُسلِمِينَ؛ إِنَّمَا لَهُ أَن يَدفَعَ عَن نَفسِهِ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ، وَيَنوِي بِجَهدِهِ أَلَّا يَقتُلَ أَحَدًا.

فَإِن مَاتَ عَلَىٰ يَدَيهِ فِي دَفعِهِ عَن نَفسِهِ فِي المَعرَكَةِ فَأَبعَدَ اللهُ المَقتُولَ.

وَإِن قُتِلَ هَذَا فِي تِلكَ الحَالِ وَهُوَ يَدفَعُ عَن نَفسِهِ وَمَالِهِ رَجَوتُ لَهُ الشَّهَادَةَ، كَمَا جَاءَ فِي الأَحَادِيثِ.

وَجَمِيعُ الآثَارِ فِي هَذَا إِنَّمَا أُمِرَ بِقِتَالِهِ، وَلَم يُؤمَر بِقَتلِهِ وَلَا اتِّبَاعِهِ، وَلَا يُجِيزُ عَلَيهِ إِن صُرِعَ أَو كَانَ جَرِيحًا.

وَإِن أَخَذَهُ أَسِيرًا فَلَيسَ لَهُ أَن يَقتُلَهُ، وَلَا يُقِيمَ عَلَيهِ الحَدَّ، وَلَكِن يَرفَعُ أَمرَهُ إِلَىٰ مَن وَلَّاهُ اللهُ فَيَحكُمُ فِيهِ.

٣٦- وَلَا نَشهَدُ عَلَىٰ أَحَدٍ مِن أَهلِ القِبلَةِ بِعَمَلٍ يَعمَلُهُ بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ، نَرجُو لِلصَّالِحِ وَنَخَافُ عَلَيهِ، وَنَخَافُ عَلَىٰ المُسِيءِ المُذنِبِ، وَنَرجُو لَهُ رَحمَةَ اللهِ.

٣٧- وَمَن لَقِيَ اللهَ بِذَنبٍ يَجِبُ لَهُ بِهِ النَّارُ -تَائِبًا غَيرَ مُصِرٍّ عَلَيهِ- فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيهِ، وَيَقبَلُ التَّوبَةَ عَن عِبَادِهِ، وَيَعفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ.

٣٨- وَمَن لَقِيَهُ وَقَد أُقِيمَ عَلَيهِ حَدُّ ذَلِكَ الذَّنبِ فِي الدُّنيَا فَهُوَ كَفَّارَتُهُ، كَمَا جَاءَ فِي الخَبَرِ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ.

٣٩- وَمَن لَقِيَهُ مُصِرًّا غَيرَ تَائِبٍ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي قَد استَوجَبَ بِهَا العُقُوبَةَ؛ فَأمرُهُ إِلَىٰ اللهِ؛ إن شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِن شَاءَ غَفَرَ لَهُ.

٤٠- وَمَن لَقِيَهُ -مِن كَافِرٍ- عَذَّبَهُ وَلَم يَغفِر لَهُ.

٤١- وَالرَّجمُ حَقٌّ عَلَىٰ مَن زَنَىٰ وَقَد أُحصِنَ إِذَا اعتَرَفَ أَو قَامَت عَلَيهِ بَيِّنَةٌ.

٤٢- وَقَد رَجَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

٤٣- وَقَد رَجَمَتِ الأَئِمَّةُ الرَّاشِدُونَ.

٤٤- وَمَنِ انتَقَصَ أَحَدًا مِن أَصحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَو أَبغَضَهُ بِحَدَثٍ كَانَ مِنهُ؛ أَو ذَكَرَ مَسَاوِئَهُ كَانَ مُبتَدِعًا حَتَّىٰ يَتَرَحَّمَ عَلَيهِم جَمِيعًا، وَيَكُونَ قَلبُهُ لَهُم سَلِيمًا.

٤٥- وَالنِّفَاقُ هُوَ الكُفرُ: أَن يَكفُرَ بِالله وَيَعبُدَ غَيرَهُ، وَيُظهِرَ الإِسلَامَ فِي العَلَانِيَةِ، مِثلُ المُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا عَلَىٰ عَهدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

٤٦- وَقَولُهُ ﷺ: «ثَلَاثٌ مَن كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ» [البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩)]. هَذَا عَلَىٰ التَّغلِيظِ؛ نَروِيهَا كَمَا جَاءَت، وَلَا نُفَسِّرُهَا.

٤٧- وَقَولُهُ: «لَا تَرجِعُوا بَعدِي كُفَّارًا ضُلَّالًا يَضرِبُ بَعضُكُم رِقَابَ بَعضٍ». [البخاري (١٢١)، ومسلم (٦٥)].

وَمِثلُ: «إِذَا التَقَىٰ المُسلِمَانِ بِسَيفَيهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَقتُولُ فِي النَّارِ». [البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨)].

وَمِثلُ: «سِبَابُ المُسلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفرٌ». [البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤)].

وَمِثلُ: «مَن قَالَ لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ؛ فَقَد بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا». [البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠)].

وَمِثلُ: «كُفرٌ بِالله تَبَرُّؤٌ مِن نَسَبٍ وَإِن دَقَّ». [صحيح الترغيب (١٩٨٧)].

٤٨- وَنَحوُ هَذِهِ الأَحَادِيثِ مِمَّا قَد صَحَّ وَحُفِظَ، فَإِنَّا نُسَلِّمُ لَهُ، وَإِن لَم نَعلَم تَفسِيرَهَا، وَلَا نَتَكَلَّمُ فِيهَا، وَلَا نُجَادِلُ فِيهَا، وَلَا نُفَسِّرُ هَذِهِ الأَحَادِيثَ إِلَّا مِثلَمَا جَاءَت؛ لَا نَرُدُّهَا إِلَّا بِأَحَقَّ مِنهَا.

٤٩- وَالجنَّةُ وَالنَّارُ مَخلُوقتَانِ قَد خُلِقَتَا كَمَا جَاءَ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ: «دَخَلتُ الجَنَّةَ فَرَأَيتُ قَصرًا». [صحيح الجامع (٣٣٦٤)].

وَ: «رَأَيتُ الكَوثَرَ». [البخاري (٤٩٦٤)، ومسلم (٤٠٠)].

وَ: «اطَّلَعتُ فِي الجَنَّةِ فَرَأَيتُ أَكثَرَ أَهلِهَا... كَذَا». [البخاري (٣٢٤١)، ومسلم (٢٧٣٧)].

وَ: «اطَّلَعت فِي النَّارِ فَرَأَيتُ ... كَذَا وَكَذَا». [التخريج السابق نفسه].

فَمَن زَعَمَ أَنَّهُمَا لَم تُخلَقَا فَهُوَ مَكَذِّبٌ بِالقُرآنِ، وَأَحَادِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا أَحسَبُهُ يُؤمِنُ بِالجَنَّةِ وَالنَّارِ.

٥٠- وَمَن مَاتَ مِن أَهلِ القِبلَةِ مُوَحِّدًا يُصَلَّىٰ عَلَيهِ، وَيُستَغفَرُ لَهُ، وَلَا يُحجَبُ عَنهُ الاستِغفَارُ، وَلَا تُترَكُ الصَّلَاةُ عَلَيهِ لِذَنبٍ أَذنَبَهُ -صَغِيرًا كَانَ أَو كَبِيرًا- أَمرُهُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.

آخِرُ الرِّسَالَةِ...

وَالحَمدُ للهِ وَحدَهُ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسلِيمًا.

❊ ❊ ❊

(١٦) نصيحتي لأهل السنة

قَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ (ج١٣) (ص١٩٣): حَدَّثَنَا يَعقُوبُ بنُ إبرَاهِيمَ: حَدَّثَنَا هُشَيمٌ: أخبَرَنَا سَيَّارٌ عَنِ الشَّعبِيِّ، عَن جَرِيرِ بنِ عَبدِ اللهِ قَالَ: «بَايَعتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَىٰ السَّمعِ وَالطَّاعَةِ فَلَقَّنَنِي: فِيمَا استَطَعتَ، وَالنُّصحُ لِكُلِّ مُسلِمٍ». [البخاري (٧٢٠٤)]

قَالَ الإمَامُ مُسلِمٌ رَحِمَهُ اللهُ (ج١) (ص٧٤): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ عَبَّادٍ المَكِّيُّ: حَدَّثَنَا سُفيَانُ قَالَ: قُلتُ لِسُهَيلٍ: إنَّ عَمرًا حَدَّثَنَا عَنِ القَعقَاعِ، عَن أبِيكَ قَالَ: وَرَجَوتُ أن يَسقُطَ عَنِّي رَجُلًا قَالَ: فَقَالَ: سَمِعتُ مِنَ الَّذِي سَمِعَهُ مِنهُ أبِي كَانَ صَدِيقًا لَهُ بِالشَّامِ.

ثُمَّ حَدَّثَنَا سُفيَانُ عَن سُهَيلٍ، عَن عَطَاءَ بنِ يَزِيدَ، عَن تَمِيمٍ الدَّارِيِّ: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلنَا: لِمَن؟ قَالَ: للهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، ولأئِمَّةِ المُسلِمِينَ وَعَامَّتِهِم» [مسلم (٥٥)].

نَصِيحَتِي لأهلِ السُّنَّةِ

أن يَتَبَاعَدُوا عَن أسبَابِ الفُرقَةِ وَالاختِلَافِ، فَعَقِيدَةُ أهلِ السُّنَّةِ وَاحِدَةٌ، وَاتِّجَاهُهُم وَاحِدٌ، لَيسَ هُنَاكَ مُسَوِّغٌ لِلفُرقَةِ وَالاختِلَافِ إلَّا الجَهلُ وَالبَغيُ وَالشَّيطَانُ، وَفِي «صَحِيحِ مُسلِمٍ»: «إنَّ الشَّيطَانَ قَد أيِسَ أن يَعبُدَهُ المُصَلُّونَ في جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَلَكِن فِي التَّحرِيشِ بَينَهُم» [مسلم (٢٨١٢)].

وَالخِلَافُ شَرٌّ، كَمَا قَالَ عَبدُ اللهِ بنُ مَسعُودٍ رضي الله عنه عِندَمَا صَلَّىٰ عُثمَانُ رضي الله عنه بِمِنًىٰ بِالنَّاسِ أربَعًا، فَاستَرجَعَ عَبدُ اللهِ رضي الله عنه، ثُمَّ قَالَ: «صَلَّيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَكعَتَينِ، وَمَعَ أبِي بَكرٍ رَكعَتَينِ، وَمَعَ عُمَرَ رَكعَتَينِ، فَيَا لَيتَ لِي رَكعَتَينِ مَقبُولَتَينِ. فَقِيلَ لَهُ: ألَا صَلَّيتَ رَكعَتَينِ؟ قَالَ: الخِلَافُ شَرٌّ». رَوَاهُ البُخَارِيُّ بِهَذَا المَعنَىٰ. [البخاري (١٠٨٤)]

وَرَوَىٰ مُسلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»: عَنِ ابنِ مَسعُودٍ ﷺ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَمسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ وَيَقُولُ: لَا تَختَلِفُوا فَتختَلِفَ قُلُوبكم، لِيَلِنِي مِنكُم أُولُو الأحلَامِ والنُّهَىٰ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم». [مسلم (٤٣٢)]

وَرَوَىٰ البُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»: عَنِ النُّعمَانِ بنِ بَشِيرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَتُسوُّنَّ صُفُوفَكُم، أو لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَينَ وُجُوهِكُم». [البخاري (٧١٧)، ومسلم (٤٣٦)]

وَعَنِ البَرَاءِ بنِ عَازِبٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَخَلَّلُ الصَّفَّ مِن نَاحِيَةٍ إِلَىٰ نَاحِيَةٍ، يَمسَحُ صُدُورَنَا وَمَنَاكِبَنَا، وَيَقُولُ: لَا تَختَلِفُوا فَتَختَلِفَ قُلُوبُكُم». وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ ﷻ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ الصُّفُوفِ الأُوَلِ». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ رِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ إِلَّا عَبدُ الرَّحمَنِ بنِ عَوسَجَةَ، وَقَد وثَّقَهُ النَّسَائِيُّ. [صحيح الترغيب (٥٠٢)]

وَفِي «الصَّحِيحَينِ»: عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا حَضَرَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: وَفِي البَيتِ رِجَالٌ فِيهِم عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، قَالَ: هَلُمَّ أَكتُبْ لَكُم كِتَابًا لَن تَضِلُّوا بَعدَهُ. قَالَ عُمَرُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَلَبَهُ الوَجَعُ، وَعِندَكُمُ القُرآنُ، وَحَسبُنَا كِتَابُ اللهِ. وَاختَلَفَ أَهلُ البَيتِ وَاختَصَمُوا، فَمِنهُم مَن يَقُولُ: قَرِّبُوا يَكتُبْ لَكُم رَسُولُ اللهِ ﷺ كِتَابًا لَن تَضِلُّوا بَعدَهُ. وَمِنهُم مَن يَقُولُ: مَا قَالَ عُمَرُ، فَلَمَّا أَكثَرُوا اللَّغَطَ وَالاختِلَافَ عِندَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قُومُوا عَنِّي». قَالَ عُبَيدُ اللهِ: فَكَانَ ابنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَينَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَينَ أن يَكتُبَ لَهُم ذَلِكَ الكِتَابَ مِنَ اختِلَافِهِم ولَغَطِهِم. [البخاري (٥٦٦٩)، ومسلم (١٦٣٧)]

وَرَوَىٰ البُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»: عَن عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ ﷺ قَالَ: «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ لِيُخبِرَنَا بِلَيلَةِ القَدرِ، فَتَلَاحَىٰ رَجُلَانِ مِنَ المُسلِمِينَ، فَقَالَ: خَرَجتُ لِأُخبِرَكُم بِلَيلَةِ القَدرِ، فَتَلَاحَىٰ فُلَانٌ وَفُلَانٌ فَرُفِعَت، وَعَسَىٰ أن يَكُونَ خَيرًا لَكُم، فَالتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ وَالسَّابِعَةِ وَالخَامِسَةِ». [البخاري (٢٠٢٣)]

وَرَوَىٰ مُسلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»: عَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ قَالَ: «اعتَكَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ العَشرَ الأَوسَطَ مِن رَمَضَانَ، يَلتَمِسُ لَيلَةَ القَدرِ قَبلَ أن تُبَانَ لَهُ، فَلَمَّا انقَضَينَ؛ أَمَرَ بِالبِنَاءِ

فقوِّض، ثُمَّ أُبِينَتْ لَهُ أَنَّهَا فِي العَشرِ الأَوَاخِرِ، فَأَمَرَ بِالبِنَاءِ فَأُعِيدَ، ثُمَّ خَرَجَ عَلَىٰ النَّاسِ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهَا كَانَت أُبِينَت لِي لَيلَةُ القَدرِ، وَإِنِّي خَرَجتُ لأُخبِرَكُم بِهَا، فَجَاءَ رَجُلَانِ يَحتَقَّانِ مَعَهُمَا الشَّيطَانُ، فَنُسِّيتُهَا، فَالتَمِسُوهَا فِي العَشرِ الأَوَاخِرِ مِن رَمَضَانَ». إِلَىٰ أَن قَالَ مُسلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَالَ ابنُ خَلَّادٍ: مَكَانَ «يَحتَقَّانِ»: يَختَصِمَانِ. [مسلم (١١٦٧)]

وَرَوَىٰ أَبُو دَاودَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: عَن أَبِي ثَعلَبَةَ الخُشَنِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلُوا مَنزِلًا قَالَ عُمَرُ: وَكَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَنزِلًا تَفَرَّقُوا فِي الشِّعَابِ وَالأَودِيَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ تَفَرُّقَكُم فِي هَذِهِ الشِّعَابِ وَالأَودِيَةِ إِنَّمَا ذَلِكُم مِنَ الشَّيطَانِ». فَلَم يَنزِل بَعدَ ذَلِكَ مَنزِلًا إِلَّا انضَمَّ بَعضُهُم إِلَىٰ بَعضٍ، حَتَّىٰ يُقَالُ: لَو بُسِطَ عَلَيهِم ثَوبٌ لَعَمَّهُم. [صحيح الترغيب (٣١٢٧)]

وَرَوَىٰ البُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَن عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: «اقضُوا كَمَا كُنتُم تَقضُونَ، فَإِنِّي أَكرَهُ الاختِلَافَ، حَتَّىٰ يَكُونَ النَّاسُ جَمَاعَةً، أَو أَمُوتُ كَمَا مَاتَ أَصحَابِي».

فَأَنتُم -بِحَمدِ اللهِ- يَا أَهلَ السُّنَّةِ لَستُم كَالرَّوَافِضِ يُكَفِّرُ بَعضُهُم بَعضًا، وَهَكَذَا رُءوسُ الاعتِزَالِ يُكَفِّر بَعضُهُم بَعضًا كَمَا فِي كُتُبِ المِلَلِ وَالنِّحَلِ، أَمَّا أَهلُ السُّنَّة -فَالحَمدُ للهِ- غَالِبُ اختِلَافِهِم فِي مَفهُومِ حَدِيثٍ فِي عِبَادَاتٍ وَرَدَت عَنِ الشَّارِعِ مُتَنَوِّعَةً، أَو فِي حَدِيثٍ اختَلَفَت أَنظَارُهُم فِي تَصحِيحِهِ وَتَضعِيفِهِ إِلَىٰ غَيرِ ذَلِكَ مِن أَسبَابِ الاختِلَافِ الَّتِي ذَكَرَهَا شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

أَنتُم تَعلَمُونَ يَا أَهلَ السُّنَّةِ أَنَّ أَعدَاءَكُم يَشمَتُونَ بِكُم، وَأَنَّ أَعدَاءَ الإِسلَامَ مَا يَهَابُونَ إِلَّا إِيَّاكُم؛ فَهُم يَحرِصُونَ عَلَىٰ تَشتِيتِ شَملِكُم بِأَي وَسِيلَةٍ.

إِنَّ الوَاجِبَ عَلَىٰ أَهلِ السُّنَّةِ أَن يَكُونُوا مُهَيَّئِينَ لِحَلِّ مَشَاكِلِ العَالَمِ كُلِّهِ، فَهُم أَهلٌ لِذَلِكَ، وَأَحَقُّ بِهِ، فَهُمُ الَّذِينَ أَعطَاهُمُ اللهُ فَهمَ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الوَجهِ الصَّحِيحِ.

إِنَّ أَهلَ السُّنَّةِ يُعتَبَرُونَ أَكثَرَ العَالَمِ الإِسلَامِيِّ، وَلَكِنَّ تَفَرُّقَهُم وَاختِلَافَهُم وَجَهلَ أَهلِ

كُلّ شَعبٍ بِأحوَالِ الآخَرِينَ جَعَلَهُم يَذُوبُونَ فِي المُجتَمَعَاتِ، وَإنَّا لَنَرجُو أن يُوَفِّقَ اللهُ القَائِمِينَ بِالدَّعوَةِ لِلسُّنَّةِ لِتَفقُّدِ أحوَالِ أهلِ السُّنَّةِ، وَالنَّشرِ عَنهُم وَعَن أحوَالِهِم، وَعَسَىٰ اللهُ أن يَجمَعَ شَملَهُم.

أوَلَستُم أحَقَّ النَّاسِ يَا أهلَ السُّنَّةِ بِجَمعِ الشَّملِ وَوَحدَةِ الكَلِمَةِ، وَرَبُّ العِزَّةِ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ الكَرِيمِ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران:١٠٣]. وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ -كَمَا فِي الصَّحِيحَينِ مِن حَدِيثِ أبِي مُوسَىٰ ﵁-: «المُؤمِنُ لِلمُؤمِنِ كَالبُنيَانِ يَشُدُّ بَعضُهُ بَعضًا». [البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥)]

وَيَقُولُ -كَمَا فِي الصَّحِيحَينِ مِن حَدِيثِ النُّعمَانِ بنِ بَشِيرٍ-: «مَثَلُ المُؤمِنِينَ فِي تَوَادِّهِم وَتَرَاحُمِهِم كَمَثَلِ الجَسَدِ، إذَا اشتَكَىٰ مِنهُ عُضوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالحُمَّىٰ وَالسَّهَرِ». [البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦)]

فَالرَّافِضَةُ شَغَلَتِ العَالَمَ بِإعلَامِهَا، وَأضَلَّت كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ، بَل شَغَلَتهُم عَن أدَاءِ مَنَاسِكِ الحَجِّ، فَالنَّاسُ يَأتُونَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ؛ لِيُؤَدُّوا مَنَاسِكَهُم؛ وَلِيَذكُروا اللهَ فِي تِلكَ الشَّعَائِرِ المُبَارَكَةِ، فَمَا يَشعُرُونَ إلَّا بِخُرُوجِ الرَّافِضَةِ بِالمُظَاهَرَاتِ الجَاهِلِيَّةِ يَهتِفُونَ: «خُمَينِي خُمَينِي». فَمَنِ الَّذِي يَستَطِيعُ أن يُفَرِّقَ هَذِهِ الجُمُوعَ الَّتِي عَتَت عَن أمرِ رَبِّهَا، وَجَعَلَتِ الحَجَّ شِعَارًا لِلفَوضَىٰ وَالصَّخَبِ وَالدَّعَوَاتِ الجَاهِلِيَّةِ، لَا يَستَطِيعُ -بِإذنِ اللهِ- إلَّا أهلُ السُّنَّةِ إنِ اجتَمَعَت كَلِمَتُهُم، وَكَانُوا أهْلَ سُنَّةٍ حَقًّا.

إنَّ هَذِهِ اليَقَظَةَ الإسلَامِيَّةَ الَّتِي أرَادَهَا اللهُ تَحتَاجُ إلَىٰ رِعَايَةٍ، ومَن يَقُومُ بِرِعَايَتِهَا إلَّا أَهْلُ السُّنَّةِ؟!

عِلاجُ الاختِلَافِ النَّاشِئ بَينَ أهلِ السُّنَّةِ المُعَاصِرِينَ

إنَّ الاختِلَافَ النَّاشِئَ بَينَ أهلِ السُّنَّةِ يَزُولُ بِإذنِ اللهِ بِأُمُورٍ:

مِنهَا: تَحكِيمُ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ: قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ

تؤمنون بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورىٰ:١٠].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء:٨٣].

وَمِنهَا: سُؤَالُ أهلِ العِلمِ مِن أهلِ السُّنَّةِ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٤٣].

وَلَكِنَّ بَعضَ طَلَبَةِ العِلمِ رَضِيَ بِمَا عِندَهُ مِنَ العِلمِ، وَأَصبَحَ يُجَادِلُ بِهِ كُلَّ مَن يُخَالِفُهُ، وَهَذَا سَبَبٌ مِن أسبَابِ الفُرقَةِ وَالاختِلَافِ، رَوَىٰ الإمَامُ التِّرمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ»: عَن أبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا ضَلَّ قَومٌ بَعدَ هُدًىٰ كَانُوا عَلَيهِ إلَّا أُوتُوا الجَدَلَ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف:٥٨]. [حسن، صحيح الترغيب (١٤١)]

وَمِنهَا: الإقبَالُ عَلَىٰ طَلَبِ العِلمِ، فَإذَا نَظَرتَ إلَىٰ قُصُورِكَ، بَل إلَىٰ أنَّكَ لَستَ بِشَيءٍ إلَىٰ جَانِبِ العُلَمَاءِ المُتَقَدِّمِينَ كَالحَافِظِ ابنِ كَثِيرٍ وَمَن تَقَدَّمَهُ مِنَ الحُفَّاظِ المُبَرِّزِينَ فِي فُنُونٍ شَتَّىٰ، إذَا نَظَرتَ إلَىٰ هَؤلَاءِ الحُفَّاظِ شُغِلتَ بِنَفسِكَ عَنِ الانتِقَادِ عَلَىٰ الآخَرِينَ.

وَمِنهَا: النَّظَرُ فِي اختِلَافِ الصَّحَابَةِ ﷺ فَمَن بَعدَهُم مِنَ العُلَمَاءِ المُبَرِّزِينَ، إذَا نَظَرتَ إلَىٰ اختِلَافِهِم حَمَلتَ مُخَالِفَكَ عَلَىٰ السَّلَامَةِ، وَلَم تُطَالِبهُ بِالخُضُوعِ لِرَأيِكَ، وَعَلِمتَ أنَّكَ بِمُطَالَبَتِهِ لِلخُضُوعِ لِرَأيِكَ تَدعُوهُ إلَىٰ تَعطِيلِ فَهمِهِ وَعَقلِهِ، وَتَدعُوهُ إلَىٰ تَقلِيدِكَ، وَالتَّقلِيدُ فِي الدِّينِ حَرَامٌ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء:٣٦].

إلَىٰ غَيرِ ذَلِكَ مِنَ الأدِلَّةِ المَبسُوطَةِ فِي كِتَابِ الشَّوكَانِيِّ: «القَولُ المُفِيد فِي أدِلَّةِ الاجتِهَادِ وَالتَّقلِيدِ».

وَمِنهَا: النَّظَرُ إلَىٰ أحوَالِ المُجتَمَعِ الإسلَامِيِّ، وَمَا تُحِيطُ بِهِ مِنَ الأخطَارِ، وَجَهلِ كَثِيرٍ مِن أهلِهِ بِهِ، فَإنَّكَ إذَا نَظَرتَ إلَىٰ المُجتَمَعِ الإسلَامِيِّ شُغِلتَ عَن أخِيكَ الَّذِي يُخَالِفُكَ فِي

فهمِكَ، وَقَدَّمتَ الأَهَمَّ فالأَهَمَّ؛ فَإنَّ النَّبِيَّ ﷺ عِندَمَا أرسَلَ مُعَاذًا إلَىٰ اليَمَنِ قَالَ لَهُ: «أَوَّلُ مَا تَدعُوهُم إلَىٰ شَهَادَةِ أن لَا إلَهَ إلَّا اللهُ، وَأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ مِن حَدِيثِ ابنِ عَبَّاسٍ. [البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩)]

وَبَعدُ: فَإنَّا قَد نَظَرنَا فِي المَسَائِلِ الَّتِي يَختَلِفُ فِيهَا أهلُ السُّنَّةِ المُعَاصِرُونَ الَّذِينَ لَا يَختَلِفُونَ عَن هَوًىٰ، فَوَجَدنَاهَا تُقَارِبُ ثَلَاثِينَ مَسأَلَةً، وَوَزَّعنَاهَا عَلَىٰ إخوَانِنَا أهلِ السُّنَّةِ يَذكُرُونَ -إن شَاءَ اللهُ- الأَحَادِيثَ بِأَسَانِيدِهَا، وَيَنظُرُونَ فِي أقوَالِ الشُّرَّاحِ فِي فَهمِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ، وَإنِ احتِيجَ إلَىٰ نَظَرٍ فِي كُتُبِ الفُقَهَاءِ -رَحِمَهُمُ اللهُ- نُظِرَ فِيهَا، وَبَعدَ الانتِهَاءِ -إن شَاءَ اللهُ- سَيُنشَرُ فِي رِسَالَةٍ صَغِيرَةٍ.

وَقَد بَلَغَنِي أنَّ أهلَ السُّنَّةِ الَّذِينَ يُهِمُّهُم أَمْرُ المُسلِمِينَ فِي غَايَةٍ مِنَ الشَّوقِ إلَىٰ هَذَا، وَفِي هَذَا -إن شَاءَ اللهُ- قَطعُ ألسِنَةِ الحَاقِدِينَ عَلَىٰ أهلِ السُّنَّةِ الَّذِينَ يَسخَرُونَ مِنهُم، وَيَقُولُونَ: إنَّهُم يَختَلِفُونَ فِي الشَّيءِ التَّافِهِ، وَيُنَفِّرُونَ عَنهُم، وَيَلمِزُونَهُم بِمَا لَيسَ فِيهِم، شَأنُ المُبتَدِعَةِ وَذَوِي الأَهوَاءِ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ، أنَّهُم يُنَفِّرُونَ عَن أهلِ السُّنَّةِ، وَقَد سَاقَ عَنهُمُ ابنُ قُتَيبَةَ رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ «تَأوِيل مُختَلَفِ الحَدِيثِ» الشَّيءَ الكَثِيرَ مِنَ السُّخرِيَةِ بِأهلِ السُّنَّةِ.

وَقَد مَاتَ النَّظَّامُ وَأَبُو الهُذَيلِ وَغَيرُهُمَا مِن أعدَاءِ السُّنَّةِ، وَبَقِيَت سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيضَاءَ صَافِيَةً لَم يَضُرَّهَا سُخرِيَتُهُم، وَسَيَمُوتُ أعدَاءُ السُّنَّةِ المُعَاصِرُونَ، وَتَبقَىٰ سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لأنَّ اللهَ تَضَمَّنَ بِحِفظِهَا، فَقَالَ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

وَالذِّكرُ يَشمَلُ الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ؛ إذ كِلَاهُمَا وَحيٌ مِن عِندِ اللهِ قَالَ ﷻ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣-٤].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ألَا إنِّي أُوتِيتُ القُرآنَ وَمِثلَهُ مَعَهُ». [صحيح أبي داود (٤٦٠٤)]

هَذَا وَلَسنَا نُطَالِبُ أهلَ السُّنَّةِ المُعَاصِرِينَ ألَّا يَختَلِفُوا فِي صِحَّةِ الحَدِيثِ وَتَضعِيفِهِ، وَألَّا يَختَلِفُوا فِي فَهمِ الأَدِلَّةِ، فَإنَّ هَذَا أمرٌ قَدِ اختَلَفَ فِيهِ سَلَفُهُم -رَحِمَهُمُ اللهُ- كَمَا هُوَ

مَعرُوفٌ مِن سِيرَتِهم، بَلِ اختَلَفَ المَلَائِكَةُ الكِرَامُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [ص:٦٧-٦٩].

وَخَالَفَ سُلَيمَانُ أَبَاهُ دَاودَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء:٧٨-٧٩].

وَفِي «الصَّحِيحَينِ»: عَن أَبِي هُرَيرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَت امرَأَتَانِ مَعهُمَا ابنَاهمَا، جَاءَ الذِّئبُ فَذَهَبَ بِابنِ إحدَاهمَا، فَقَالَت صَاحِبَتُهَا: إنَّمَا ذَهَبَ بِابنِكِ.

وَقَالَتِ الأُخرَىٰ: إنَّمَا ذَهَبَ بِابنِكِ. فَتَحَاكَمَا إلَىٰ دَاودَ، فَقَضَىٰ بِهِ لِلكُبرَىٰ، فَخَرَجَتَا عَلَىٰ سُلَيمَانَ بنِ دَاودَ فَأَخبَرَتَاهُ، فَقَالَ: ايتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَينَهُمَا. فَقَالَتِ الصُّغرَىٰ: لَا تَفعَل -يَرحَمُكَ اللهُ- هُوَ ابنُهَا؛ فَقَضَىٰ بِهِ لِلصُّغرَىٰ».

قَالَ أَبُو هُرَيرَةَ: إن سَمِعتُ بِالسِّكِّينِ إلَّا يَومَئِذٍ، وَمَا كُنَّا نَقُولُ إلَّا: المُديَةَ. [البخاري (٣٤٢٧)، ومسلم (١٧٢٠)]

فَهَذِهِ نَصِيحَتِي لإخوَانِي فِي اللهِ أهلِ السُّنَّةِ، وَأسأَلُ اللهَ لَهُمُ النَّصرَ وَالتَّوفِيقَ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحبِهِ وسَلَّم تَسلِيمًا كَثِيرًا.

❊ ❊ ❊

(١٧) سُلَّمُ الوُصُولِ إِلَى مَعرِفَةِ الأُصُولِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَبْدَأُ باسمِ اللهِ مُستَعِينَا ... رَاضٍ بِهِ مُدبِّرًا مُعِينَا

والحَمدُ للهِ كَمَا هَدَانَا ... إلَى سَبِيلِ الحَقِّ واجتَبَانَا

أحمَدُهُ سُبحَانَهُ وأشكُرُه ... ومِن مَسَاوِي عَمَلي أستَغفِرُه

وأستَعِينُهُ عَلَى نَيلِ الرِّضَا ... وأستَمِدُّ لُطفَهُ فِيمَا قَضَى

وبعدُ إِني باليَقِينِ أشهَدُ ... شَهادَةَ الإخلاصِ ألَّا يُعبَدُ

بالحَقِّ مألُوهٌ سِوَى الرَّحمنِ ... مَن جَلَّ عَن عَيبٍ وعَن نُقصَانِ

وأن خيرَ خَلقِهِ مُحَمَّدَا ... مَن جاءَنَا بالبَيِّنَاتِ والهُدَى

رَسُولُهُ إلَى جَمِيعِ الخَلقِ ... بالنُّورِ والهُدَى ودِينِ الحَقِّ

صَلَّى عَلَيهِ رَبُّنَا وَمجَّدَا ... والآلُ وَالصَّحبُ دَوَامًا سَرمَدَا

وَبَعدُ هَذَا النَّظمُ في الأُصولِ ... لِمَن أرَادَ مَنهجَ الرَّسُولِ

سَأَلَنِي إيَّاهُ مَن لَا بُدَّ لِي ... مِنَ امتِثَالِ سُؤلِهِ المُمتَثَلِ

فَقُلتُ مَع عَجزِي ومَع إشفَاقِي ... مُعتَمِدًا علَى القَدِيرِ البَاقِي

مُقَدِّمَةٌ تُعَرِّفُ العَبدَ بِمَا خُلِقَ لَهُ، وَبِأَوَّلِ مَا فَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيه، وَبِمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَيه بِهِ المِيثَاقَ فِي ظَهرِ أَبِيهِ آدَمَ، وَبِمَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيه

اعلَم بِأَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا ... لَم يَترُكِ الخَلقَ سُدًى وَهَمَلَا

بَل خَلَقَ الخَلقَ لِيَعبُدُوهُ ... وَبِالإِلَهِيَّةِ يُفرِدُوهُ

أَخرَجَ فِيمَا قَد مَضَى مِن ظَهرِ ... آدَمَ ذُرِّيَّتَهُ كَالذَّرِّ

وَأَخَذَ العَهدَ عَلَيهِم أَنَّهُ ... لَا رَبَّ مَعبُودٌ بِحَقٍّ غَيرُهُ

وَبَعدَ هَذَا رُسلَهُ قَد أَرسَلَا ... لَهُم وَبِالحَقِّ الكِتَابَ أَنزَلَا

لِكَي بِذَا العَهدِ يُذَكِّرُوهُم ... وَيُنذِرُوهُم وَيُبَشِّرُوهُم

كَي لَا يَكُونَ حُجَّةٌ لِلنَّاسِ بَل ... للهِ أَعلَى حُجَّةٍ عَزَّ وَجَل

فَمَن يُصَدِّقهُم بِلَا شِقَاقِ ... فَقَد وَفَى بِذَلِكَ المِيثَاقِ

وَذَاكَ نَاجٍ مِن عَذَابِ النَّارِ ... وَذَلِكَ الوَارِثُ عُقبَى الدَّارِ

وَمَن بِهِم وَبِالكِتَابِ كَذَّبَا ... وَلَازَمَ الإِعرَاضَ عَنهُ وَالإِبَا

فَذَاكَ نَاقِضٌ كِلَا العَهدَينِ ... مُستَوجِبٌ لِلخِزيِ فِي الدَّارَينِ

فَصلٌ: فِي كَونِ التَّوحِيدِ يَنقَسِمُ إِلَى نَوعَينِ وَبَيَانِ النَّوعِ الأَوَّلِ وَهُوَ تَوحِيدُ المَعرِفَةِ وَالإِثبَاتِ

أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى العَبِيدِ ... مَعرِفَةُ الرَّحمَنِ بِالتَّوحِيدِ

إِذ هُوَ مِن كُلِّ الأَوَامِرِ أَعظَمُ ... وَهُوَ نَوعَانِ أَيَا مَن يَفهَمُ

إِثبَاتُ ذَاتِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا ... أَسمَائِهِ الحُسنَى صِفَاتِهِ العُلَا

وَأنَّــــهُ الـــرَّبُّ الجَلِـــيلُ الأكبَــرُ الخَالِــــقُ الـــبَارِئُ وَالمُـــصَوِّرُ

بَــاري البَــرَايَا مُنْــشِئُ الخَلائِــقِ مُـــبدِعُهُم بِـــلَا مِـــثالٍ سَـــابِقِ

الأوَّلُ المُــــبدِي بِـــلَا ابـــتِدَاءِ والآخِـــرُ البَاقِـــي بِـــلَا انـــتِهَاءِ

الأحَـــدُ الفَـــردُ القَدِيـــرُ الأزَلـــي الـــصَّمَدُ البَـــرُّ المُهَـــيمِنُ العَلِـــي

عُلُـــوَّ قَهـــرٍ وَعُلُـــوَّ الـــشَّانِ جَـــلَّ عَـــنِ الأضـــدَادِ وَالأعـــوَانِ

كَـــذَا لَـــهُ العُلُـــوُّ والفَوقِـــيَّه عَلَـــىٰ عِـــبَادِهِ بِـــلَا كَيفِـــيَّه

وَمَـــعَ ذَا مُطَّلِـــعٌ إلَـــيهِمُ بعلـمِـــهِ مُهَـــيمِنٌ عَلَـــيهِمُ

وَذِكـــرُهُ لِلقُـــربِ وَالمَعِـــيَّه لَـــم يَـــنفِ لِلعُلُـــوِّ وَالفَوقِـــيه

فَإِنَّـــهُ العَلِـــيُّ فِـــي دُنُـــوِّهِ وَهـــوَ القَـــرِيبُ جَـــلَّ فـــي عُلُـــوِّهِ

حَـــيٌّ وَقَـــيُّومٌ فَـــلَا يَـــنَامُ وَجَـــلَّ أن يُـــشبِهَهُ الأنَـــامُ

لَا تَـــبلُغُ الأوهَـــامُ كُـــنهَ ذَاتِـــهِ وَلَا يُكَـــيِّفُ الحِجَـــا صِـــفَاتِهِ

بَـــاقٍ فَـــلَا يَفنَـــىٰ وَلَا يَبِـــيدُ وَلَا يَكُـــونُ غَيـــرُ مَـــا يُـــرِيدُ

مُنفَـــرِدٌ بِالخَلـــقِ وَالإرَادَه وَحَـــاكِمٌ جَـــلَّ بِمَـــا أرَادَه

فَمَـــن يَـــشَأ وَفَّقَـــهُ بِفَـــضلِهِ وَمَـــن يَـــشَأ أضَـــلَّهُ بِعَدلِـــهِ

فَمِـــنهُمُ الـــشَّقِيُّ والـــسَّعِيدُ وَذَا مُقَـــرَّبٌ وَذَا طَـــرِيدُ

لِحِكمَـــةٍ بَالِغَـــةٍ قَـــضَاهَا يَـــستَوجِبُ الحَمـــدَ عَلَـــىٰ اقتِـــضَاهَا

وهـــوَ الَّـــذِي يَـــرَىٰ دَبِـــيبَ الـــذَّرِّ فِـــي الظُّلُمَـــاتِ فَـــوقَ صُـــمِّ الـــصَّخرِ

وَسَـــامِعٌ لِلجَهـــرِ وَالإخفَـــاتِ بِـــسَمعِهِ الوَاسِـــعِ لِلأصـــوَاتِ

وَعِلمُهُ بِمَا بَدَا وَمَا خَفِي أحَاطَ عِلمًا بالجَليِّ وَالخَفِي
وَهوَ الغَنِيُّ بِذَاتِهِ سُبحَانَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ تَعَالَىٰ شَانُهُ
وكُلُّ شَيءٍ رِزقُهُ عَليهِ وَكُلُّنَا مُفتَقِرٌ إلَيهِ
كَلَّمَ مُوسَىٰ عَبدَهُ تَكلِيمَا وَلَم يَزَل بِخَلقِهِ عَلِيمَا
كَلامُهُ جَلَّ عَنِ الإحصَاءِ وَالحَصرِ وَالنَّفَادِ وَالفَنَاءِ
لَو صَارَ أقلامًا جَمِيعُ الشَّجَرِ وَالبَحرُ تُلقَىٰ فِيهِ سَبعَةُ أبحُرِ
وَالخَلقُ تَكتُبُهُ بِكُلِّ آنِ فَنَت وَلَيسَ القَولُ مِنهُ فَانِ
وَالقَولُ فِي كِتَابِهِ المُفَصَّل بِأنَّهُ كَلامُهُ المُنَزَّل
عَلَىٰ الرَّسُولِ المُصطفَىٰ خَيرِ الوَرَىٰ لَيسَ بِمَخلُوقٍ ولا بِمُفتَرَىٰ
يُحفَظُ بِالقَلبِ وَبِاللِّسَانِ يُتلَىٰ كَمَا يُسمَعُ بِالآذَانِ
كَذَا بِالأبصَارِ إلَيهِ يُنظَرُ وَبِالأيَادِي خَطُّهُ يُسَطَّرُ
وَكُلُّ ذِي مَخلُوقَةٌ حَقِيقَه دُونَ كَلامِ بَارِئِ الخَلِيقَه
جَلَّت صِفَاتُ رَبِّنَا الرَّحمَنِ عَن وَصفِهَا بِالخَلقِ وَالحَدثَانِ
فَالصَّوتُ والألحَانُ صَوتُ القَارِي لكِنَّمَا المَتلُوُّ قَولُ البَارِي
مَا قَالَهُ لَا يَقبَلُ التَّبدِيلَا كَلَّا وَلَا أصدَقُ مِنهُ قِيلَا
وَقَد رَوَىٰ الثِّقَاتُ عَن خَيرِ المَلَا بِأنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَعَلَا
فِي ثُلُثِ اللَّيلِ الأخِيرِ يَنزِلُ يَقُولُ: هَل مِن تَائِبٍ فَيُقبِلُ
هَل مِن مُسِيءٍ طالِبٍ للمَغفِرَه يَجِد كَرِيمًا قَابِلًا لِلمَعذِرَه

يَمُـــنُّ بِالخَيـــرَاتِ وَالفَـــضَائِلِ	وَيَـــسْتُرُ العَـــيبَ ويُعطِـــي الـــسَّائِلِ
وَأَنَّـــهُ يَجِـــيءُ يَـــومَ الفَـــصلِ	كَمَـــا يَـــشَاءُ لِلقَـــضَاءِ العَـــدلِ
وأَنَّـــهُ يُـــرَىٰ بِـــلَا إنكَـــارِ	فِـــي جَـــنَّةِ الفِـــردَوسِ بِالأَبـــصَارِ
كُـــلٌّ يَـــرَاهُ رُؤيَـــةَ العِـــيَانِ	كَمَـــا أَتَـــىٰ فِـــي مُحكَـــمِ القُـــرآنِ
وَفِـــي حَـــدِيثِ سَـــيِّدِ الأَنَـــامِ	مِـــن غَيـــرِ مَـــا شَـــكٍّ وَلا إِبْهَـــامِ
رُؤيَـــةَ حَـــقٍّ لَـــيسَ يَمتَـــرُونَهَا	كَالـــشَّمسِ صَـــحوًا لَا سَـــحَابَ دُونَهَـــا
وَخُـــصَّ بالـــرُّؤيَـــةِ أولِـــيَاؤُهُ	فَـــضِيلَةً وَحُجِـــبُوا أَعـــدَاؤُهُ
وَكُـــلُّ مَـــا لَـــهُ مِـــنَ الـــصِّفَاتِ	أَثبَـــتَهَا فِـــي مُحكَـــمِ الآيَـــاتِ
أو صَـــحَّ فِـــيمَا قَالَـــهُ الرَّسُـــولُ	فَحَقُّـــهُ التَّـــسلِيمُ وَالقَـــبُولُ
نُمِـــرُّهَا صَـــرِيحَةً كَمَـــا أَتَـــت	مَـــعَ اعـــتِقَادِنَا لِمَـــا لَـــهُ اقتَـــضَت
مِـــن غَيـــرِ تَحـــرِيفٍ وَلَا تَعطِـــيلِ	وغَيـــرِ تَكيِـــيفٍ وَلَا تَمثِـــيلِ
بَـــل قَولُـــنَا قَـــولُ أَئِمَّـــةِ الهُـــدَىٰ	طُوبَـــىٰ لِمَـــن بِهَـــديِهِم قَـــدِ اهـــتَدَىٰ
وَسَـــمِّ ذَا الـــنَّوعَ مِـــنَ التَّوحِـــيدِ	تَوحِـــيدَ إِثـــبَاتٍ بِـــلا تَـــردِيدِ
قَـــد أَفـــصَحَ الوَحـــيُ المُبِـــينُ عَـــنهُ	فَالـــتَمِسِ الهُـــدَىٰ المُنِيـــرَ مِـــنهُ
لَا تَتَّـــبِع أَقـــوَالَ كُـــلِّ مَـــارِدِ	غَـــاوٍ مُـــضِلٍّ مَـــارِقٍ مُعانِـــدِ
فَلَـــيسَ بَعـــدَ رَدِّ ذَا التِّبـــيَانِ	مِـــثقَالُ ذَرَّةٍ مِـــنَ الإِيمَـــانِ

فَصلٌ: في بَيَانِ النَّوعِ الثَّاني مِنَ التَّوحِيد: وَهُوَ تَوحِيدُ الطَّلَبِ وَالقَصدِ وَأَنَّهُ هُوَ مَعنَى (لا إلَهَ إلا اللَّهِ)

هَـذا وَثَانِـي نوعَـيِ التَّوحِـيدِ — إفـرَادُ رَبِّ العَـرشِ عَـن نَدِيـدِ

أن تَعـبُدَ اللهَ إلَهًـا وَاحِـدَا — مُعتَـرِفًا بِحَقِّـهِ لا جَاحِـدَا

وَهـوَ الَّـذي بِـهِ الإلـهُ أرسَـلا — رُسـلَهُ يَدعُـونَ إلَـيـهِ أوَّلا

وأنـزَلَ الكِـتَابَ والتِّبـيَانَا — مِـن أجلِـهِ وَفَـرَّقَ الفُـرقَانَا

وكَلَّـفَ اللهُ الرَّسُـولَ المُجتَبَـىٰ — قِـتَالَ مَـن عَـنهُ تَوَلَّـىٰ وَأبَـىٰ

حَتَّـىٰ يَكُـونَ الـدِّينُ خَالِـصًا لَـهُ — سِـرًّا وَجَهـرًا دِقُّـهُ وَجِلُّـهُ

وَهَكَـذَا أُمَّـتُهُ قَـد كُلِّفُـوا — بِـذَا وَفـي نَـصِّ الكِـتَابِ وُصِـفُوا

وَقَـد حَـوَتهُ لَفظَـةُ الـشَّهَادَه — فَهـيَ سَـبِيلُ الفَـوزِ وَالـسَّعَادَه

مَـن قَالَهَـا مُعـتَقِدًا مَعـنَاهَا — وَكَـانَ عَـامِلًا بِمُقتَـضَاهَا

فـي القَـولِ والفِعـلِ ومَـاتَ مُؤمِـنَا — يُـبعَثُ يَـومَ الحَـشرِ نَـاجٍ آمِـنَا

فَـإنَّ مَعـنَاهَا الَّـذِي عَلَـيـهِ — دَلَّـت يَقِيـنًا وَهَـدَت إلَـيـهِ

أن لَـيسَ بِالحَـقِّ إلَـهٌ يُعـبَدُ — إلَّا الإلَـهُ الـوَاحِدُ المُنفَـرِدُ

بالخَلـقِ وَالـرِّزقِ وَبالتَّدبِيـرِ — جَـلَّ عَـنِ الـشَّرِيكِ وَالنَّظِيـرِ

وَبِـشُرُوطٍ سَـبعَةٍ قَـد قُـيِّدَت — وَفـي نُـصُوصِ الوَحـيِ حَقًّـا وَرَدَت

فَإنَّـهُ لَـم يَنـتَفِع قَائِلُهَـا — بِالـنُّطقِ إلَّا حَـيثُ يَـستَكمِلُهَا

العِلـمُ وَاليَقِـينُ وَالقَـبُولُ — وَالانقِـيَادُ فَـادرِ مَـا أقُـولُ

وَالـصِّدقُ وَالإخـلَاصُ وَالمَحَـبَّه — وَفَّقَـكَ اللهُ لِمَـا أحَـبَّه

فَصلٌ: فِي العِبَادَة وَذِكرِ بَعضِ أنوَاعِهَا وَأنَّ مَن صَرَفَ مِنهَا شَيئًا لِغَيرِ اللَّهِ فَقَد أشرَكَ

ثُمَّ العِبَادَةُ هِيَ اسمٌ جَامِعُ ... لِكُلِّ مَا يَرضَىٰ الإلهُ السَّامِعُ
وَفِي الحَدِيثِ مُخُّهَا الدُّعَاءُ ... خَوفٌ تَوَكُّلٌ كَذَا الرَّجَاءُ
وَرَغبَةٌ وَرَهبَةٌ خُشُوعُ ... وَخَشيَةٌ إنَابَةٌ خُضُوعُ
وَالاستِعَاذَةُ والاستِعَانَه ... كَذَا استِغَاثَةٌ بِهِ سُبحَانَه
وَالذَّبحُ وَالنَّذرُ وَغَيرُ ذَلِك ... فَافهَم هُدِيتَ أوضَحَ المَسَالِك
وَصَرفُ بَعضِهَا لِغَيرِ اللهِ ... شِركٌ وَذَاكَ أقبَحُ المَنَاهِي

فَصلٌ: فِي بَيَانِ ضِدِّ التَّوحِيد وَهُوَ الشِّركُ وَأنَّهُ يَنقَسِمُ إِلَى قِسمَينِ: أصغَر وَأكبَر، وَبَيَانِ كُلٍّ مِنهُمَا

وَالشِّركُ نَوعَانِ: فَشِركٌ أكبَرُ ... بِهِ خُلُودُ النَّارِ إذ لَا يُغفَرُ
وَهوَ اتِّخَاذُ العَبدِ غَيرَ اللَّهِ ... نِدًّا بِهِ مُسَوِّيًا مُضَاهِي
يَقصِدُهُ عِندَ نُزُولِ الضُّرِّ ... لِجَلبِ خَيرٍ أو لِدَفعِ الشَّرِّ
أو عِندَ أيِّ غَرَضٍ لَا يَقدِرُ ... عَلَيهِ إلَّا المَالِكُ المُقتَدِرُ
مَع جَعلِهِ لِذَلِكَ المَدعُوِّ ... أوِ المُعَظَّمِ أوِ المَرجُوِّ
فِي الغَيبِ سُلطَانًا بِهِ يَطَّلِعُ ... عَلَىٰ ضَمِيرِ مَن إلَيهِ يَفزَعُ
وَالثَّانِ شِركٌ أصغَرٌ وَهُوَ الرِّيَا ... فَسَّرَهُ بِهِ خِتَامُ الأنبِيَا
وَمِنهُ إقسَامٌ بِغَيرِ البَارِي ... كَمَا أتَىٰ فِي مُحكَمِ الأخبَارِ

فَصلٌ: في بَيانِ أُمورٍ يفعَلُهَا العَامَّةُ منهَا ما هُوَ شِركٌ وَمنهَا مَا هُوَ قَرِيبٌ مِنهُ وبَيَانِ حُكمِ الرُّقَى وَالتَّمائِمِ

وَمَــن يَــثِق بِــوَدعَةٍ أو نَــابِ ... أو حَلقَــةٍ أو أعــيُنِ الــذِّئَابِ

أو خَــيطٍ او عُــضوٍ مِــنَ النُّــسُورِ ... أو وَتَــرٍ أو تُــربَةِ القُــبُورِ

لأَيِّ أمــرٍ كــائِنٍ تَعَلَّقَــه ... وَكلَــهُ اللهُ إلَــىٰ مَــا عَلَّقَــه

ثُــمَّ الرُّقَــىٰ مِــن حُمَــةٍ أو عَــينِ ... فَــإن تكُــن مِــن خَــالِصِ الوَحيَــينِ

فَــذَاكَ مِــن هَــدي النَّبِــي وشِــرعَتِه ... وَذَاكَ لَا اخــتِلافَ فــي سُــنِّيَّتِه

أمَّــا الرُّقَــىٰ المَجهُــولَةُ المَعَانِــي ... فَــذَاكَ وَســوَاسٌ مِــنَ الــشَّيطَانِ

وَفِــيهِ قَــد جَــاءَ الحَــدِيثُ أنَّــه ... شِــركٌ بِــلا مِــريَةٍ فَاحذَرَنَّــه

إذ كُــلُّ مَــن يَقُــولُهُ لا يَــدرِي ... لَعَلَّــهُ يَكُــونُ مَحــضَ الكُفــرِ

أو هُــوَ مِــن سِــحرِ الــيَهُودِ مُقتَبَس ... عَلَــىٰ العَــوامِ لبَّــسُوهُ فَالتَــبَس

فَحــذَرًا ثــمَّ حَــذَارِ مِــنهُ ... لا تَعــرِفِ الحَــقَّ وَتَــنأَىٰ عَــنهُ

وفــي الــتَّمَائِمِ المُعَلَّقَــاتِ ... إن تَــكُ آيَــاتٍ مُبَيِّــنَاتِ

فَالاختِلَافُ وَاقِــعٌ بَــينَ الــسَّلَف ... فَبَعــضُهُم أجَازَهَــا والــبَعضُ كَــف

وإن تَكُــن مِمَّــا سِــوَىٰ الوَحيَــينِ ... فإنَّهَــا شِــركٌ بِغَيــرِ مَــينِ

بَــل إنَّهَــا قَــسِيمَةُ الأزلَامِ ... فــي الــبُعدِ عَــن سِــيمَا أُولِــي الإسلَامِ

فَصلٌ: مِنَ الشِّرك: فعلُ مَن يَتبرَّكُ بِشَجَرَةٍ أو حَجَرٍ أو بُقعةٍ أو قبرٍ أو نحوِها، يَتَّخِذُ ذلكَ المَكانَ عيداً، وبَيانُ أَنَّ الزِّيارَةَ تَنقَسِمُ إلى: (سُنِّيَّةٍ وبِدعيَّةٍ وشِركيَّةٍ)

هَــذَا ومِــن أعمَــالِ أهــلِ الــشِّركِ ... مِــن غَيــرِ مَــا تَــرَدُّدٍ أو شَــكِّ

مَــا يَقــصِدُ الجُهَّــالُ مِــن تَعظِــيمِ مَــا ... لَــم يَــأذَنِ اللهُ بِــأن يُعَظَّمَــا

كَمَــن يَلُــذ بِــبقعَةٍ أو حَجَــرِ ... أو قَبــرِ مَــيتٍ أو بِــبَعضِ الــشَّجَرِ

مُــتَّخِذًا لِــذَلِكَ المَكَــانِ ... عِــيدًا كَفِعــلِ عَابِــدِي الأوثَــانِ

ثُــمَّ الــزِّيارَةُ عَلَــى أقــسَامِ ... ثَلاثَــةٍ يَــا أُمَّــةَ الإســلامِ

فَــإن نَــوَى الزَّائِــرُ فــيمَا أضــمَرَه ... فــي نَفــسِهِ تَذكِــرَةً بالآخِــرَه

ثُــمَّ الــدُّعَا لَــهُ ولِلأمــوَاتِ ... بِالعَفــوِ والــصَّفحِ عَــنِ الــزَّلَّاتِ

وَلَــم يَكُــن شَــدَّ الــرِّحَالَ نَحــوَها ... وَلَــم يقُــل هُجــرًا كَقَــولِ الــسُّفَهَا

فَــتِلكَ سُــنَّةٌ أتَــت صَــرِيحَه ... فــي الــسُّنَنِ المُثبَــتَةِ الــصَّحِيحَه

أو قَــصَدَ الــدُّعَاءَ وَالتَّوَسُّــلا ... بِهِــم إلَــى الــرَّحمَنِ جَــلَّ وَعَــلَا

فَــبِدعَةٌ مُحدَثَــةٌ ضَــلَالَه ... بَعِــيدَةٌ عَــن هَــدي ذِي الرِّسَــالَه

وإن دَعَــا المَقــبُورَ نَفــسَهُ فَقَــد ... أشــرَكَ بِــاللهِ العَظِــيمِ وَجَحَــد

لَــن يَقــبَلَ اللهُ تَعَالَــى مِــنهُ ... صَــرفًا وَلا عَــدلًا فَــيَعفُو عَــنهُ

إذ كُــلُّ ذَنــبٍ مُوشِــكُ الغُفــرَانِ ... إلَّا اتِّخَــاذَ الــنِّدِّ لِلــرَّحمَنِ

فصلٌ: في بَيَانِ مَا وَقَعَ فِيهِ العَامَّةُ اليَومَ ممَّا يَفعَلُونَ عِندَ القُبُورِ وَمَا يَرتَكِبُونَهُ مِنَ الشِّركِ الصَّرِيحِ وَالغُلُوِّ المُفرِطِ فِي الأَموَاتِ

ومَــن عَلَــىٰ القَبــرِ سِــرَاجًا أَوقَــدَا ... أَوِ ابتَنَــىٰ عَلَــىٰ الــضَّرِيحِ مَــسجِدَا

فَإِنَّــهُ مُجَــدِّدٌ جِهَــارَا ... لِــسُنَنِ الــيَهُودِ والنَّــصَارَىٰ

كَــم حَــذَّرَ المُختَــارُ عَــن ذَا وَلَعَــن ... فَاعِلَــهُ كَمَــا رَوَىٰ أَهــلُ الــسُّنَن

بَــل قَــد نَهَــىٰ عَــنِ ارتِفَــاعِ القَبــرِ ... وَأَن يُــزَادَ فِــيهِ فَــوقَ الــشِّبرِ

وَكُــلُّ قَبــرٍ مُــشرِفٍ فَقَــد أَمَــر ... بِــأَن يُــسَوَّىٰ هَكَــذَا صَــحَّ الخَبَــر

وحَــذَّرَ الأُمَّــةَ عَــن إِطــرَائِهِ ... فَغَــرَّهُم إِبلِــيسُ باســتِجرَائِهِ

فَخَالَفُــوهُ جَهــرَةً وارتَكَــبُوا ... مَــا قَــد نَهَــىٰ عَــنهُ ولَــم يَجتَنِــبُوا

فَانظُــر إِلَــيهِم قَــد غَلَــوا وَزَادُوا ... وَرَفَعُــوا بِــنَاءَهَا وَشَــادُوا

بِالــشِّيدِ والآجُــرِّ وَالأَحــجَــارِ ... لاسِــيَّمَا فِــي هَــذِهِ الأَعــصَارِ

وَلِلقَــنَادِيلِ عَلَــيهَا أَوقَــدُوا ... وَكَــم لِــوَاءٍ فَــوقَهَا قَــد عَقَــدُوا

وَنَــصَبُوا الأَعــلَامَ وَالــرَّايَاتِ ... وَافتَتَــنُوا بِــالأَعظُمِ الــرُّفَاتِ

بَــل نَحَــرُوا فِــي سُــوحِهَا النَّحَائِــر ... فِعــلَ أُولِــي التَّــسيِيبِ والبَحَائِــر

والتَمَــسُوا الحَاجَــاتِ مِــن مَــوتَاهُم ... وَاتَّخَــذُوا إِلَهَهُــم هَــوَاهُــم

قَــد صَــادَهُم إِبلِــيسُ فِــي فِخَاخِــه ... بَــل بَعــضُهُم قَــد صَــارَ مِــن أَفــرَاخِه

يَدعُــو إِلَــىٰ عِــبَادَةِ الأَوثَــانِ ... بِالمَــالِ والــنَّفسِ وبِاللِّــسَانِ

فَلَــيتَ شِــعرِي مَــن أَبَــاحَ ذَلِــك ... وَأَورَطَ الأُمَّــةَ فِــي المَهَالِــك

فَــيَا شَــدِيدَ الطَّــولِ والإِنعَــامِ ... إِلَــيكَ نَــشكُو مِحــنَةَ الإِســلَامِ

فَصلٌ: في بَيانِ حَقيقَةِ السِّحرِ وَحَدِّ السَّاحِرِ وأَنَّ منهُ علمُ التَّنجيمِ وذِكرِ عُقوبَةِ مَن صدَّقَ كاهِنًا

وَالسِّحرُ حَقٌّ وَلَهُ تَأثِيرُ ... لكِن بِمَا قَدَّرَهُ القَدِيرُ

أعنِي بِذَا التَّقدِيرِ مَا قَد قَدَّرَه ... فِي الكَونِ لا فِي الشِّرعَةِ المُطَهَّرَه

واحكُم عَلَىٰ السَّاحِرِ بِالتَّكفِيرِ ... وَحَدُّهُ القَتلُ بِلا نَكِيرِ

كَمَا أتَىٰ فِي السُّنَّةِ المُصَرَّحَه ... مِمَّا رَوَاهُ التِّرمِذِي وَصَحَّحَه

عَن جُندُبٍ وَهَكَذَا فِي أَثَرِ ... أَمرٌ بِقَتلِهِم رُوِي عَن عُمَرِ

وَصَحَّ عَن حَفصَةَ عِندَ مَالِكِ ... مَا فِيهِ أقوَىٰ مُرشِدٍ لِلسَّالِكِ

هَذَا وَمِن أنوَاعِهِ وَشُعَبِه ... عِلمُ النُّجُومِ فَادرِ هَذَا وَانتَبِه

وَحَلُّهُ بِالوَحيِ نَصًّا يُشرَعُ ... أمَّا بِسِحرٍ مِثلِهِ فَيُمنَعُ

وَمَن يُصَدِّق كَاهِنًا فَقَد كَفَر ... بِمَا أتَىٰ بِهِ الرَّسُولُ المُعتَبَر

فَصلٌ: يَجمَعُ مَعنَى حَديثِ جِبريلَ المَشهُورِ في تَعليمِنَا الدِّينَ وَأَنَّهُ يَنقَسِمُ إِلَى ثَلاثِ مَراتِبَ: الإِسلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحسَانِ، وبيانِ أَركَانِ كُلٍّ منهَا

اعلَم بِأَنَّ الدِّينَ قَولٌ وعَمَل ... فَاحفَظهُ وَافهَم مَا عَلَيهِ ذَا اشتَمَل

كَفَاكَ مَا قَد قَالَهُ الرَّسُولُ ... إذ جَاءَهُ يَسألُهُ جِبرِيلُ

عَلَىٰ مَرَاتِبٍ ثَلاثٍ فَصَّلَه ... جَاءَت عَلَىٰ جَمِيعِهِ مُشتَمِلَه

الإِسلامِ والإِيمَانِ والإحسَانِ ... والكُلُّ مَبنِيٌّ عَلَىٰ أركَانِ

فَقَد أتَىٰ الإِسلامُ مَبنِيٌّ عَلَىٰ ... خَمسٍ، فَحَقِّق وَادرِ مَا قَد نُقِلَا

وَلَهَا الرُّكْنُ الأَسَاسُ الأعظَمُ … وَهُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ الأقوَمُ

رُكْنُ الشَّهَادَتَينِ فَاثْبُت وَاعتَصِم … بالعُروَةِ الوُثقَىٰ الَّتي لا تَنفَصِم

وثَانِيًا إقَامَةُ الصَّلَاةِ … وَثَالِثًا تَأدِيَةُ الزَّكَاةِ

وَالرَّابعُ الصِّيَامُ فَاسمَع وَاتَّبِع … وَالخَامِسُ الحَجُّ عَلَىٰ مَن يَستَطِع

فَتِلكَ خَمسَةٌ، وللإيمَانِ … سِتَّةُ أركَانٍ بِلَا نُكرَانِ

إيمَانُنَا بِاللهِ ذِي الجَلَالِ … وَمَا لَهُ مِن صِفَةِ الكَمَالِ

وَبالمَلائِكَةِ الكِرَامِ البَرَرَه … وَكُتْبِهِ المُنزَلَةِ المُطَهَّرَه

ورُسْلِهِ الهُدَاةِ لِلأَنَامِ … مِن غَيرِ تَفرِيقٍ وَلَا إيهَامِ

أوَّلُهُم نُوحٌ بِلا شَكٍّ كَمَا … أنَّ مُحَمَّدًا لَهُم قَد خَتَمَا

وَخَمسَةٌ مِنهُم أُولُو العَزمِ الأُلَىٰ … فِي سُورَةِ الأحزَابِ والشُّورَىٰ تَلا

وَبالمَعَادِ أيقِنْ بِلَا تَرَدُّدِ … ولا ادِّعَا عِلمٍ بِوَقتِ المَوعِدِ

لكِنَّنَا نُؤمِنُ مِن غَيرِ امتِرَا … بِكُلِّ مَا قَد صَحَّ عَن خَيرِ الوَرَىٰ

مِن ذِكرِ آيَاتٍ تَكُونُ قَبلَهَا … وَهِيَ عَلامَاتٌ وَأشرَاطٌ لَهَا

وَيَدخُلُ الإيمَانُ بِالمَوتِ وَمَا … مِن بَعدِهِ عَلَىٰ العِبَادِ حُتِمَا

وَأنَّ كُلًّا مُقعَدٌ مَسئُولُ: … مَا الرَّبُّ مَا الدِّينُ وَمَا الرَّسُولُ؟

وَعِندَ ذَا يُثَبِّتُ المُهَيمِنُ … بِثَابِتِ القَولِ الَّذِينَ آمَنُوا

وَيُوقِنُ المُرتَابُ عِندَ ذَلِك … بِأنَّ مَا مَورِدُهُ المَهَالِك

وَباللِّقَا والبَعثِ والنُّشُورِ … وَبِقِيَامِنَا مِنَ القُبُورِ

غُرلًا حُفَاةً كَجَرادٍ مُنتَشِر ... يَقُولُ ذُو الكُفرَانِ: ذَا يَومٌ عَسِر

وَيُجمَعُ الخَلقُ لِيَومِ الفَصلِ ... جَمِيعُهُم عُلوِيُّهُم والسُّفلِي

فِي مَوقِفٍ يَجِلُّ فِيهِ الخَطبُ ... وَيَعظُمُ الهَولُ بِهِ والكَربُ

وأُحضِرُوا للعَرضِ والحِسَابِ ... وَانقَطَعَت عَلائِقُ الأَنسَابِ

وارتَكَمَت سَحَائِبُ الأهوَالِ ... وانعَجَمَ البَلِيغُ فِي المَقَالِ

وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلقَيُّومِ ... وَاقتُصَّ مِن ذِي الظُّلمِ لِلمَظلُومِ

وَسَاوَتِ المُلُوكُ لِلأَجنَادِ ... وَجِيءَ بِالكِتَابِ والأَشهَادِ

وَشَهِدَت الأَعضَاءُ وَالجَوَارِحُ ... وَبَدَتِ السَّوءَاتُ والفَضَائِحُ

وَابتُلِيَت هُنَالِكَ السَّرَائِر ... وانكَشَفَ المَخفِيُّ فِي الضَّمَائِر

ونُشِرَت صَحَائِفُ الأَعمَالِ ... تُؤخَذُ باليَمِينِ والشِّمَالِ

طُوبَىٰ لِمَن يَأخُذُ بِاليَمِينِ ... كِتَابَهُ بُشرَىٰ بِحُورٍ عِينِ

وَالوَيلُ لِلآخِذِ بالشِّمَالِ ... وَرَاءَ ظَهرٍ لِلجَحِيمِ صَالِي

وَالوَزنُ بِالقِسطِ فَلَا ظُلمَ وَلَا ... يُؤخَذُ عَبدٌ بِسِوَىٰ مَا عَمِلَا

فَبَينَ نَاجٍ رَاجِحٍ مِيزَانُهُ ... وَمُقرِفٍ أوبَقَهُ عُدوَانُهُ

وَيُنصَبُ الجِسرُ بِلَا امتِرَاءِ ... كَمَا أَتَىٰ فِي مُحكَمِ الأَنبَاءِ

يَجُوزُهُ النَّاسُ عَلَىٰ أَحوَالِ ... بِقَدرِ كَسبِهِم مِنَ الأَعمَالِ

فَبَينَ مُجتَازٍ إِلَىٰ الجِنَانِ ... وَمُسرِفٍ يُكَبُّ فِي النِّيرَانِ

والنَّارُ والجَنَّةُ حَقٌّ وَهُمَا ... مَوجُودَتَانِ لا فَنَاءَ لَهُمَا

وَحَوضُ خَيرِ الخَلقِ حَقٌّ وبِهِ ... يَشرَبُ فِي الأُخرَىٰ جَمِيعُ حِزبِهِ

كَذَا لَهُ لِوَاءُ حَمدٍ يُنشَرُ ... وَتَحتَهُ الرُّسلُ جَمِيعًا تُحشَرُ

كَذَا لَهُ الشَّفَاعَةُ العُظمَىٰ كَمَا ... قَد خَصَّهُ اللهُ بِهَا تَكَرُّمَا

مِن بَعدِ إِذنِ اللهِ لا كَمَا يَرَىٰ ... كُلُّ قُبُورِيٍّ عَلَىٰ اللهِ افتَرَىٰ

يَشفَعُ أوَّلًا إلَىٰ الرَّحمَنِ فِي ... فَصلِ القَضَاءِ بَينَ أهلِ المَوقِفِ

مِن بَعدِ أن يَطلُبَهَا النَّاسُ إلَىٰ ... كُلِّ أُولِي العَزمِ الهُدَاةِ الفُضَلَا

وثَانِيًا يَشفَعُ فِي استِفتَاحِ ... دَارِ النَّعِيمِ لأُولِي الفَلاحِ

هَذَا وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ ... قَد خُصَّتَا بِهِ بِلَا نُكرَانِ

وثَالِثًا يَشفَعُ فِي أقوَامِ ... مَاتُوا عَلَىٰ دِينِ الهُدَىٰ الإِسلامِ

وأوبَقَتهُم كَثرَةُ الآثَامِ ... فَأُدخِلُوا النَّارَ بِذَا الإِجرَامِ

أن يَخرُجُوا مِنهَا إلَىٰ الجِنَانِ ... بِفَضلِ رَبِّ العَرشِ ذِي الإِحسَانِ

وَبَعدَهُ يَشفَعُ كُلُّ مُرسَلِ ... وَكُلُّ عَبدٍ ذِي صَلاحٍ وَوَلِي

وَيُخرِجُ اللهُ مِنَ النِّيرَانِ ... جَمِيعَ مَن مَاتَ عَلَىٰ الإِيمَانِ

فِي نَهَرِ الحَيَاةِ يُطرَحُونَا ... فَحمًا فَيَحيَونَ وَيَنبُتُونَا

كَأنَّمَا يَنبُتُ فِي هَيئَاتِهِ ... حِبُّ حَمِيلِ السَّيلِ فِي حَافَاتِهِ

والسَّادِسُ الإِيمَانُ بِالأقدَارِ ... فَأيقِنَن بِهَا ولا تُمَارِ

فَكُلُّ شَيءٍ بِقَضَاءٍ وَقَدَر ... والكُلُّ فِي أُمِّ الكِتَابِ مُستَطَر

لا نَوءَ لا عَدوَىٰ ولا طِيَرَ وَلا ... عَمَّا قَضَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ حِوَلَا

لَا غُـــولَ لَا هَامَـــةَ لَا ولاصَـــفَر كَمَــا بِــذَا أخبَــرَ سَــيِّدُ البَــشَر
وثَالِـــثٌ مَـــرتَبَةُ الإحـــسَانِ وَتِلْــكَ أعلاَهَــا لَــدَى الــرَّحمَنِ
وَهــوَ رُسُــوخُ القَلْــبِ فـي العِـرفَانِ حَتَّــى يَكُــونَ الغَــيبُ كَالعِــيَانِ

فَصلٌ: في كَونِ الإيمَانِ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنقُصُ بِالمَعصِيَةِ وَأَنَّ فَاسِقَ أهلِ المِلَّةِ لا يَكفُرُ بِذَنبٍ دُونَ الشِّركِ إلا إذَا استَحَلَّهُ وَأَنَّـهُ تَحتَ المَشِيئَةِ، وَأَنَّ التَّوبَةَ مَقبُولَةٌ مَا لَم يُغَرغِر

إيمَانُــنَا يَــزِيدُ بِالطَّاعَــاتِ وَنَقــصُهُ يَكُــونُ بَالــزَّلَّاتِ
وَأهلُــهُ فِــيهِ عَلَــى تَفَاضُــلِ هَــل أنــتَ كَــالأملاكِ أو كَالرُّسُــلِ
وَالفَاسِــقُ المِلِّــيُّ ذُو العِــصيَانِ لَــم يُــنفَ عَــنهُ مُطلَــقُ الإيمَــانِ
لَكِــن بقَــدرِ الفِــسقِ والمعَاصِــي إيمَانُــهُ مَــا زالَ فــي انــتِقَاصِ
ولَا نَقُــولُ إنَّــهُ فــي الــنَّارِ مُخَلَّــدٌ، بَــل أمــرُهُ للــبَارِي
تَحــتَ مَــشِيئَةِ الإلَــهِ الــنَّافِذَه إن شَــا عَفَــا عَــنهُ وإن شَــا آخَــذَه
بِقَــدرِ ذَنــبِهِ، وإلَــى الجِــنَانِ يُخــرَجُ إن مَــاتَ عَلَــى الإيمَــانِ
والعَــرضُ تَيــسِيرُ الحِــسَابِ فـي النَّبَا وَمَــن يُــنَاقَشِ الحِــسَابَ عُــذِّبَا
ولا نُكَفِّــرْ بِالمَعَاصِــي مُؤمِــنَا إلَّا مَــعَ اســتِحلَالِهِ لِمَــا جَنَــى
وَتُقــبَلُ الــتَّوبَةُ قَــبلَ الغَرغَــرَه كَمَــا أتَــى فــي الــشِّرعَةِ المُطَهَّــرَه
أمَّــا مَتَــى تُغلَــقُ عَــن طَالِــبِهَا؟ فَــبِطُلُوعِ الــشَّمسِ مِــن مَغــرِبِهَا

فصلٌ: في معرفة نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ وتبليغه الرِّسالة وإكمالِ الله لنا به الدِّينَ، وأنَّه خاتَمُ النبيِّينَ، وسيِّدُ ولدِ آدمَ أجمعينَ، وأنَّ من ادَّعى النُّبوَّة بعده فهو كاذبٌ

نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ مِنْ هَاشِمِ ... إِلَى الذَّبِيحِ دُونَ شَكٍّ يَنْتَمِي
أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَيْنَا مُرْشِدَا ... وَرَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَهُدَى
مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ الْمُطَهَّرَه ... هِجْرَتُهُ لِطَيْبَةَ الْمُنَوَّرَه
بَعْدَ ارْبَعِينَ بَدَأَ الْوَحْيُ بِهِ ... ثُمَّ دَعَا إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ
عَشْرَ سِنِينَ أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا ... رَبًّا تَعَالَى شَأْنُهُ وَوَحِّدُوا
وَكَانَ قَبْلَ ذَاكَ فِي غَارِ حِرَا ... يَخْلُو بِذِكْرِ رَبِّهِ عَنِ الْوَرَى
وَبَعْدَ خَمْسِينَ مِنَ الْأَعْوَامِ ... مَضَتْ لِعُمْرِ سَيِّدِ الْأَنَامِ
أَسْرَى بِهِ اللهُ إِلَيْهِ فِي الظُّلَمْ ... وَفَرَضَ الْخَمْسَ عَلَيْهِ وَحَتَمْ
وَبَعْدَ أَعْوَامٍ ثَلَاثَةٍ مَضَتْ ... مِنْ بَعْدِ مِعْرَاجِ النَّبِيِّ وَانْقَضَتْ
أُوذِنَ بِالْهِجْرَةِ نَحْوَ يَثْرِبَا ... مَعْ كُلِّ مُسْلِمٍ لَهُ قَدْ صَحِبَا
وَبَعْدَهَا كُلِّفَ بِالْقِتَالِ ... لِشِيعَةِ الْكُفْرَانِ وَالضَّلَالِ
حَتَّى أَتَوْا لِلدِّينِ مُنْقَادِينَا ... وَدَخَلُوا فِي السِّلْمِ مُذْعِنِينَا
وَبَعْدَ أَنْ قَدْ بَلَّغَ الرِّسَالَه ... وَاسْتَنْقَذَ الْخَلْقَ مِنَ الْجَهَالَه
وَأَكْمَلَ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَا ... وَقَامَ دِينُ الْحَقِّ وَاسْتَقَامَا
قَبَضَهُ اللهُ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى ... سُبْحَانَهُ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى
نَشْهَدُ بِالْحَقِّ بِلَا ارْتِيَابِ ... بِأَنَّهُ الْمُرْسَلُ بِالْكِتَابِ

وأنَّـــهُ بَلَّـــغَ مَـــا قَـــد أُرسِـــلَا بِـــهِ وَكُـــلَّ مَـــا إلَـــيهِ أُنـــزِلَا

وكُـــلُّ مَـــن مِـــن بَعـــدِهِ قَـــدِ ادَّعَـــىٰ نُـــبُوَّةً فَكَـــاذِبٌ فِـــيمَا ادَّعَـــىٰ

فَهـــوَ خِـــتَامُ الرُّسْـــلِ بِاتِّفَـــاقِ وأفـــضَلُ الخَلـــقِ عَلَـــىٰ الإطـــلَاقِ

فَصلٌ: فِيمَن هُوَ أفضَلُ الأُمَّةِ بَعدَ الرَّسُول ﷺ، وَذِكـرِ الصَّحَابَةِ بِمَحَاسِنِهِم وَالكَفِّ عَن مَسَاوِئِهِم وَمَا شَجَرَ بَينَهُم

وَبَعـــدَهُ الخَلِـــيفَةُ الـــشَّفِيقُ نِعـــمَ نَقِـــيبُ الأُمَّـــةِ الـــصِّدِّيقُ

ذَاكَ رَفِـــيقُ المُـــصطَفَىٰ فـــي الغَـــارِ شَـــيخُ المُهاجِـــرِينَ والأنـــصَارِ

وهُـــوَ الَّـــذِي بِنَفـــسِهِ تَوَلَّـــىٰ جِهَـــادَ مَـــن عَـــنِ الهُـــدَىٰ تَوَلَّـــىٰ

ثَانِـــيهِ فـــي الفَـــضلِ بِـــلَا ارتِـــيَابِ الـــصَّادِعُ الـــنَّاطِقُ بِالـــصَّوَابِ

أَعنِـــي بِـــهِ الـــشَّهمَ أَبَـــا حَفـــصٍ عُمَـــر مَـــن ظَاهَـــرَ الـــدِّينَ القَـــوِيمَ ونَـــصَر

الـــصَّارِمُ المُنكِـــي عَلَـــىٰ الكُفَّـــارِ وَمُوسِـــعُ الفُـــتُوحِ فـــي الأمـــصَارِ

ثَالِـــثُهُم عُـــثمَانُ ذُو الـــنُّورَينِ ذو الحِلـــمِ والحَـــيَا بِغَيـــرِ مَـــينِ

بَحـــرُ العلُـــومِ جَامِـــعُ القُـــرآنِ مِـــنهُ استَـــحَت مَلائِـــكُ الـــرَّحمَنِ

بَايَـــعَ عَـــنهُ سَـــيِّدُ الأكـــوَانِ بِكَفِّـــهِ فِـــي بَـــيعَةِ الرِّضـــوَانِ

والـــرَّابِعُ ابـــنُ عَـــمِّ خَيـــرِ الرُّسُـــلِ أعنِـــي الإمَـــامَ الحَـــقَّ ذا القَـــدرِ العَلِـــي

مُبِـــيدُ كُـــلِّ خَارِجِـــيٍّ مَـــارِقِ وَكُـــلِّ خِـــبٍّ رَافِـــضِيٍّ فَاسِـــقِ

مَـــن كَـــانَ للرَّسُـــولِ فـــي مَكَـــانِ هَـــارُونَ مِـــن مُوسَـــىٰ بِـــلَا نُكـــرَانِ

لَا فـــي نُـــبُوَّةٍ فَقَـــد قَـــدَّمتُ مَـــا يَكفِـــي لِمَـــن مِـــن سُـــوءِ ظَـــنٍّ سَـــلِمَا

فَالسِّتَّةُ المُكَمِّلُونَ العَشَرَه ... وَسَائِرُ الصَّحْبِ الكِرَامِ البَرَرَه

وأهلُ بَيتِ المُصطَفَىٰ الأطهَارُ ... وَتَابِعُوهُ السَّادَةُ الأَخيَارُ

فَكُلُّهُم فِي مُحكَمِ القُرءَانِ ... أَثنَىٰ عَلَيهِم خَالِقُ الأَكوَانِ

فِي الفَتحِ والحَدِيدِ والقِتَالِ ... وَغَيرِهَا بِأَكمَلِ الخِصَالِ

كَذَاكَ فِي التَّورَاةِ والإنجِيلِ ... صِفَاتُهُم مَعلُومَةُ التَّفصِيلِ

وذِكرُهُم فِي سُنَّةِ المُختَارِ ... قَد سَارَ سَيرَ الشَّمسِ فِي الأَقطَارِ

ثُمَّ السُّكُوتُ واجِبٌ عَمَّا جَرَىٰ ... بَينَهُمُ مِن فِعلِ مَا قَد قُدِّرَا

فَكُلُّهُم مُجتَهِدٌ مُثَابُ ... وَخِطؤُهُم يَغفِرُهُ الوَهَّابُ

خَاتِمَةٌ فِي وُجُوبِ التَّمَسُّكِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالرُّجُوعِ عِندَ الاختِلافِ إِلَيهِمَا، فَمَا خَالَفَهُمَا فَهُوَ رَدٌّ

شَرطُ قَبُولِ السَّعيِ أن يَجتَمِعَا ... فِيهِ إِصَابَةٌ وَإِخلَاصٌ مَعَا

للهِ رَبِّ العَرشِ لا سِوَاهُ ... مُوَافِقَ الشَّرعِ الَّذِي ارتَضَاهُ

وَكُلُّ مَا خَالَفَ لِلوَحيَينِ ... فَإِنَّهُ رَدٌّ بِغَيرِ مَينِ

وكُلُّ مَا فِيهِ الخِلَافُ نُصِبَا ... فَرَدُّهُ إِلَيهِمَا قَد وَجَبَا

فَالدِّينُ إِنَّمَا أَتَىٰ بِالنَّقلِ ... لَيسَ بِالأَوهَامِ وَحَدسِ العَقلِ

ثُمَّ إِلَىٰ هُنَا قَد انتَهَيتُ ... وَتَمَّ مَا بِجَمعِهِ عَنَيتُ

سَمَّيتُهُ بِسُلَّمِ الوُصُولِ ... إِلَىٰ سَمَا مَبَاحِثِ الأُصُولِ

والحَمدُ لِلَّهِ عَلَىٰ انتِهَائِي ... كَمَا حَمِدتُ اللهَ فِي ابتِدَائِي

أسألُهُ مَغفِرَةَ الذُّنُوبِ جَمِيعِهَا وَالسَّترَ لِلعُيُوبِ

ثُمَّ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ أبَدَا تَغشَى الرَّسُولَ المُصطَفَى مُحَمَّدَا

ثُمَّ جَمِيعَ صَحبِهِ والآلِ السَّادَةِ الأئِمَّةِ الأبدَالِ

تَدُومُ سَرمَدًا بِلا نَفَادِ مَا جَرَتِ الأَقلامُ بِالمِدَادِ

ثُمَّ الدُّعَا وَصِيَّةُ القُرَّاءِ جَمِيعِهِم مِن غَيرِ مَا استِثنَاءِ

أبيَاتُهَا (يُسرٌ) بِعَدِّ الجُمَّلِ تَأرِيخُهَا (الغُفرَانُ) فَافهَم وَادعُ لِي

❊ ❊ ❊

(١٨) سِتَّةُ أُصُولٍ عَظِيمَةٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مِن أَعجَبِ العُجَابِ، وَأَكبَرِ الآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ قُدرَةِ المَلِكِ الغَلَّابِ: سِتَّةُ أُصُولٍ بَيَّنَهَا الله تَعَالَىٰ بيَانًا وَاضِحًا لِلعَوَامِّ فَوقَ مَا يَظُنُّ الظَّانُّونَ، ثُمَّ بَعدَ هَذَا غَلِطَ فِيهَا كَثِيرٌ مِن أَذكِيَاءِ العَالَمِ وَعُقَلَاءِ بَنِي آدَمَ إِلَّا أَقَلَّ القَلِيلِ.

الأَصلُ الأَوَّلُ: إِخلَاصُ الدِّينِ لله تَعَالَىٰ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبَيَانُ ضِدِّهِ الَّذِي هُوَ الشِّركُ بِالله، وَكَونُ أَكثَرِ القُرآنِ فِي بَيَانِ هَذَا الأَصلِ مِن وُجُوهٍ شَتَّىٰ بِكَلَامٍ يَفهَمُهُ أَبلَدُ العَامَّةِ، ثُمَّ لَمَّا صَارَ عَلَىٰ أَكثَرِ الأُمَّةِ مَا صَارَ، أَظهَرَ لَهُمُ الشَّيطَانُ الإِخلَاصَ فِي صُورَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحِينَ، وَالتَّقصِيرِ فِي حُقُوقِهِم، وَأَظهَرَ لَهُمُ الشِّركَ بِالله فِي صُورَةِ مَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ وَأَتبَاعِهِم.

الأَصلُ الثَّانِي: أَمَرَ الله بِالاجتِمَاعِ فِي الدِّينِ، وَنَهَىٰ عَنِ التَّفَرُّقِ فِيهِ، فَبَيَّنَ الله هَذَا بَيَانًا شَافِيًا تَفهَمُهُ العَوَامُّ، وَنَهَانَا أَن نَكُونَ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاختَلَفُوا قَبلَنَا فَهَلَكُوا، وَذَكَرَ أَنَّهُ أَمَرَ المُسلِمِينَ بِالاجتِمَاعِ فِي الدِّينِ، وَنَهَاهُم عَنِ التَّفَرُّقِ فِيهِ، وَيَزِيدُهُ وُضُوحًا مَا وَرَدَت بِهِ السُّنَّةُ مِنَ العَجَبِ العُجَابِ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ صَارَ الأَمرُ إِلَىٰ أَنَّ الافتِرَاقَ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ هُوَ العِلمُ وَالفِقهُ فِي الدِّينِ، وَصَارَ الاجتِمَاعُ فِي الدِّينِ لَا يَقُولُهُ إِلَّا زِندِيقٌ أَو مَجنُونٌ!!

الأَصلُ الثَّالِثُ: أَنَّ مِن تَمَامِ الاجتِمَاعِ السَّمعَ وَالطَّاعَةَ لِمَن تَأَمَّرَ عَلَينَا وَلَو كَانَ عَبدًا حَبَشِيًّا، فَبَيَّنَ الله هَذَا بَيَانًا شَافِيًا كَافِيًا بِوجُوهٍ مِن أَنوَاعِ البَيَانِ شَرعًا وَقَدَرًا. ثُمَّ صَارَ هَذَا الأَصلُ لَا يُعرَفُ عِندَ أَكثَرِ مَن يَدَّعِي العِلمَ فَكَيفَ العَمَلُ بِهِ؟!

الأَصلُ الرَّابِعُ: بَيَانُ العِلمِ وَالعُلَمَاءِ، وَالفِقهِ وَالفُقَهَاءِ، وَبَيَانُ مَن تَشَبَّهَ بِهِم وَلَيسَ مِنهُم، وَقَد بَيَّنَ الله تَعَالَىٰ هَذَا الأَصلَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ البَقَرَةِ مِن قَولِهِ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ

نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ ﴾ [البقرة: ٤٠]. إِلَىٰ قَولِهِ: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ الآيَة [البقرة: ٤٧].

وَيَزِيدُهُ وُضُوحًا مَا صَرَّحَت بِهِ السُّنَّةُ فِي هَذَا الكَلَامِ الكَثِيرِ البَيِّنِ الوَاضِحِ لِلعَامِّيِّ البَلِيدِ، ثُمَّ صَارَ هَذَا أَغرَبَ الأَشيَاءِ، وَصَارَ العِلمُ وَالفِقهُ هُوَ البِدَعَ وَالضَّلَالَاتِ، وَخِيَارُ مَا عِندَهُم لَبْسُ الحَقِّ بِالبَاطِلِ، وَصَارَ العِلمُ الَّذِي فَرَضَهُ الله تَعَالَىٰ عَلَىٰ الخَلقِ وَمَدَحَهُ لَا يَتفَوَّهُ بِهِ إِلَّا زِندِيقٌ أَو مَجنُونٌ، وَصَارَ مَن أَنكَرَهُ وَعَادَاهُ وَصَنَّفَ فِي التَّحذِيرِ مِنهُ وَالنَّهيِ عَنهُ هُوَ الفَقِيهَ العَالِمَ.

الأَصلُ الخَامِسُ: بَيَانُ الله سُبحَانَهُ لأَولِيَاءِ الله، وَتَفرِيقُهُ بَينَهُم وَبَينَ المُتَشَبِّهِينَ بِهِم مِن أَعدَاءِ الله المُنَافِقِينَ وَالفُجَّارِ، وَيَكفِي فِي هَذَا آيَةٌ مِن سُورَةِ آلِ عِمرَانَ وَهِيَ قَولُهُ: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ الآيَة [آل عمران: ٣١].

وَآيَةٌ فِي سُورَةِ المَائِدَةِ، وَهِيَ قَولُهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ الآيَة [المائدة: ٥٤].

وَآيَةٌ فِي يُونُسَ، وَهِيَ قَولُهُ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

ثُمَّ صَارَ الأَمرُ عِندَ أَكثَرِ مَن يَدَّعِي العِلمَ، وَأَنَّهُ مِن هُدَاةِ الخَلقِ وَحُفَّاظِ الشَّرعِ إِلَىٰ أَنَّ الأَولِيَاءَ لَابُدَّ فِيهِم مِن تَركِ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ، وَمَن تَبِعَهُم فَلَيسَ مِنهُم.

وَلَابُدَّ مِن تَركِ الجِهَادِ، فَمَن جَاهَدَ فَلَيسَ مِنهُم، وَلَابُدَّ مِن تَركِ الإِيمَانِ وَالتَّقوَىٰ، فَمَن تَعَهَّدَ بِالإِيمَانِ وَالتَّقوَىٰ فَلَيسَ مِنهُم، يَا رَبَّنَا نَسأَلُكَ العَفوَ وَالعَافِيَةَ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

الأَصلُ السَّادِسُ: رَدُّ الشُّبهَةِ الَّتِي وَضَعَهَا الشَّيطَانُ فِي تَركِ القُرآنِ وَالسُّنَّةِ وَاتِّبَاعِ الآرَاءِ وَالأَهوَاءِ المُتَفَرِّقَةِ المُختَلِفَةِ، وَهِيَ أَنَّ القُرآنَ وَالسُّنَّةَ لَا يَعرِفُهُمَا إِلَّا المُجتَهِدُ المُطلَقُ، وَالمُجتَهِدُ هُوَ المَوصُوفُ بِكَذَا وَكَذَا أَوصَافًا لَعَلَّهَا لَا تُوجَدُ تَامَّةً فِي أَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ، فَإِن لَم يَكُنِ الإِنسَانُ كَذَلِكَ فَليُعرِض عَنهُمَا فَرضًا حَتمًا لَا شَكَّ وَلَا إِشكَالَ فِيهِ، وَمَن طَلَبَ الهُدَىٰ

منهُمَا فَهُوَ: إمَّا زنديقٌ، وَإمَّا مَجنُونٌ؛ لأَجلِ صُعُوبَةِ فَهمِهِمَا، فَسُبحَانَ الله وَبِحَمدِهِ كَم بَيَّنَ نه سُبحَانَهُ شَرعًا وَقَدَرًا، خَلقًا وَأَمرًا فِي رَدِّ هَذِهِ الشُّبهَةِ المَلعُونَةِ مِن وُجُوهٍ شَتَّىٰ بَلَغَت إلَىٰ حَدِّ الضَّرُورِيَّاتِ العَامَّةِ، وَلَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لَا يَعلَمُونَ: ﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ [يس:٧-١١].

آخِرُهُ وَالحَمدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَّىٰ الله عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّم تَسلِيمًا كَثِيرًا إلَىٰ يَومِ الدِّينِ.

❊ ❊ ❊

(١٩) القَوَاعِدُ الأربَعُ

أَسأَلُ اللهَ الكَرِيمَ رَبَّ العَرشِ العَظِيمِ أَن يَتَوَلَّاكَ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، وَأَن يَجعَلَكَ مُبَارَكًا أَينَمَا كُنتَ، وَأَن يَجعَلَكَ مِمَّن إِذَا أُعطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذنَبَ استَغفَرَ، فَإِنَّ هَؤلَاءِ الثَّلَاثَ عُنوَانُ السَّعَادَةِ.

اعلَم -أَرشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ- أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبرَاهِيمَ: أَن تَعبُدَ اللهَ مُخلِصًا لَهُ الدِّينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فَإِذَا عَرَفتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ فَاعلَم أَنَّ العِبَادَةَ لَا تُسَمَّىٰ عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تُسَمَّىٰ صَلَاةً إِلَّا مَعَ الطَّهَارَةِ.

فَإِذَا دَخَلَ الشِّركُ فِي العِبَادَةِ فَسَدَت؛ كَالحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ.

فَإِذَا عَرَفتَ أَنَّ الشِّركَ إِذَا خَالَطَ العِبَادَةَ أَفسَدَهَا وَأَحبَطَ العَمَلَ وَصَارَ صَاحِبُهُ مِنَ الخَالِدِينَ فِي النَّارِ؛ عَرَفتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيكَ هُوَ مَعرِفَةُ ذَلِكَ، لَعَلَّ اللهَ أَن يُخَلِّصَكَ مِن هَذِهِ الشَّبَكَةِ وَهِيَ الشِّركُ بِاللهِ؛ الذِي قَالَ الله تَعَالَىٰ فِيهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨].

وَذَلِكَ بِمَعرِفَةِ أَربَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا الله تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ:

القَاعِدَةُ الأُولَى

أَن تَعلَمَ أَنَّ الكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هُوَ الخَالِقُ المُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَم يُدخِلهُم فِي الإِسلَامِ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٣١].

القَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ

أنَّهُم يَقُولُونَ: مَا دَعَونَاهُم وَتَوَجَّهنَا إِلَيهِم إِلَّا لِطَلَبِ القُربَةِ وَالشَّفَاعَةِ.

فَدَلِيلُ القُربَةِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر:٣].

وَدَلِيلُ الشَّفَاعَةِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس:١٨].

وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنفِيَّةٌ وَشَفَاعَةٌ مُثبَتَةٌ.

فَالشَّفَاعَةُ المَنفِيَّةُ: مَا كَانَت تُطلَبُ مِن غَيرِ اللهِ فِيمَا لَا يَقدِرُ عَلَيهِ إِلَّا اللهُ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤].

وَالشَّفَاعَةُ المُثبَتَةُ: هِيَ الَّتِي تُطلَبُ مِنَ اللهِ، وَالشَّافِعُ مُكرَمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالمَشفُوعُ لَهُ هُوَ مَن رَضِيَ اللهُ قَولَهُ وَعَمَلَهُ بَعدَ الإِذنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

القَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَهَرَ عَلَىٰ أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِم: مِنهُم مَن يَعبُدُ المَلَائِكَةَ، وَمِنهُم مَن يَعبُدُ الأَنبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنهُم مَن يَعبُدُ الأَشجَارَ وَالأَحجَارَ، وَمِنهُم مَن يَعبُدُ الشَّمسَ وَالقَمَرَ، وَقَاتَلَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَم يُفَرِّق بَينَهُم.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٣].

وَدَلِيلُ الشَّمسِ وَالقَمَرِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ [فصلت:٣٧].

وَدَلِيلُ المَلَائِكَةِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ﴾ [آل عمران: ٨٠].

ودَلِيلُ الأَنبِيَاءِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ [المائدة:١١٦].

وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ: قَولُهُ تَعَالَىٰ:﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ [الإسراء:٥٧].

وَدَلِيلُ الأَشجَارِ وَالأَحجَارِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴾ [النجم:١٩-٢٠].

وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيثِيِّ ﷺ قَالَ: خَرَجنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ حُنَينٍ وَنَحنُ حُدَثَاءُ عَهدٍ بِكُفرٍ، وَلِلمُشرِكِينَ سِدرَةٌ يَعكُفُونَ عِندَهَا وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسلِحَتَهُم يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنوَاطٍ؛ فَمَرَرنَا بِسِدرَةٍ فَقُلنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجعَل لَنَا ذَاتَ أَنوَاطٍ، كَمَا لَهُم ذَاتُ أَنوَاطٍ. الحَدِيثَ. [صحيح الترمذي (٢١٨٠)].

القَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ

أَنَّ مُشرِكِي زَمَانِنَا أَغلَظُ شِركًا مِنَ الأَوَّلِينَ؛ لأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ وَيُخلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشرِكُو زَمَانِنَا شِركُهُم دَائِمٌ فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ!!

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٥].

❊ ❊ ❊

(٢٠) الأُصُولُ الثلاثة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعلَم -رَحِمَكَ اللهُ- أنَّهُ يَجِبُ عَلَينَا تَعَلُّمُ أَربَعِ مَسَائِلَ:

الأُولَىٰ: العِلمُ، وَهُوَ مَعرِفَةُ اللهِ، وَمَعرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعرِفَةُ دِينِ الإسلَامِ بِالأَدِلَّةِ.

الثَّانِيَةُ: العَمَلُ بِهِ.

الثَّالِثَةُ: الدَّعوَةُ إِلَيهِ.

الرَّابِعَةُ: الصَّبرُ عَلَىٰ الأَذَىٰ فِيهِ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [سورة العصر].

قَالَ الشَّافِعِيُّ -رَحِمَهُ الله تَعَالَىٰ-: لَو مَا أَنزَلَ الله حُجَّةً عَلَىٰ خَلقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتهُم.

وَقَالَ البُخَارِيُّ -رَحِمَهُ الله تَعَالَىٰ-: بَابُ العِلمِ قَبلَ القَولِ وَالعَمَلِ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد:١٩]. فَبَدَأَ بِالعِلمِ قَبلَ القَولِ وَالعَمَلِ.

اعلَم -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّهُ يَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُسلِمٍ وَمُسلِمَةٍ تَعَلُّمُ ثَلَاثِ هَذِهِ المَسَائِلِ وَالعَمَلُ بِهِنَّ:

الأُولَىٰ: أَنَّ الله خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا، وَلَم يَترُكنَا هَمَلًا، بَل أَرسَلَ إِلَينَا رَسُولًا، فَمَن أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَـٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا

﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل:١٥-١٦].

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الله لَا يَرضَىٰ أَن يُشرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ لَا مَلَكٌ مُقرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرسَلٌ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨].

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَن أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ الله لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةُ مَن حَادَّ الله وَرَسُولَهُ، وَلَو كَانَ أَقرَبَ قَرِيبٍ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

اعلَم -أَرشَدَكَ الله لِطَاعَتِهِ- أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبرَاهِيمَ: أَن تَعبُدَ اللهَ مُخلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُم لَهَا، كَمَا قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وَمَعنَىٰ يَعبُدُونَ: يُوَحِّدُونَ، وَأَعظَمُ مَا أَمَرَ الله بِهِ التَّوحِيدُ وَهُو إِفرَادُ الله بِالعِبَادَةِ، وَأَعظَمُ مَا نَهَىٰ عَنهُ الشِّركُ، وَهُوَ: دَعوَةُ غَيرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾ [النساء:٣٦].

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَىٰ الإِنسَانِ مَعرِفَتُهَا؟

فَقُل: مَعرِفَةُ العَبدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

الأَصلُ الأَوَّلُ: مَعرِفَةُ الرَّبِّ

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَن رَبُّكَ؟

فَقُل: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّىٰ جَمِيعَ العَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعبُودِي لَيسَ لِي مَعبُودٌ سِوَاهُ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢]، وَكُلُّ مَا سِوَىٰ الله عَالَمٌ.

وَأَنَا وَاحِدٌ مِن ذَلِكَ العَالَمِ.

فَإذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفتَ رَبَّكَ؟

فَقُل: بِآيَاتِهِ، وَمَخلُوقَاتِهِ. وَمِن آيَاتِهِ: اللَيلُ وَالنَّهَارُ، وَالشَّمسُ وَالقَمَرُ، وَمِن مَخلُوقَاتِهِ: السَّمَوَاتُ السَّبعُ وَالأَرَضُونَ السَّبعُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَا بَينَهُمَا.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت:٣٧].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف:٥٤].

وَالرَّبُّ: هُوَ المَعبُودُ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢١- ٢٢].

قَالَ ابنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ الله تَعَالَىٰ-: الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشيَاءِ هُوَ المُستَحِقُّ لِلعِبَادَةِ.

وَأَنوَاعُ العِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ الله بِهَا مِثلُ: الإِسلَامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحسَانِ، وَمِنهُ: الدُّعَاءُ، وَالخَوفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغبَةُ، وَالرَّهبَةُ، وَالخُشُوعُ، وَالخَشيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاستِعَانَةُ، وَالاستِعَاذَةُ، وَالاستِغَاثَةُ، وَالذَّبحُ، وَالنَّذرُ، وَغَيرُ ذَلِكَ مِن أَنوَاعِ العِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ الله بِها، كُلُّهَا لله تَعَالَىٰ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن:١٨].

فَمَن صَرَفَ مِنهَا شَيئًا لِغَيرِ الله؛ فَهُوَ مُشرِكٌ كَافِرٌ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٧].

وَفِي الحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ». [ضعيف الجامع (٣٠٠٣)].

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وَدَلِيلُ الخَوفِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]. وَقَولُهُ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق: ٣].

وَدَلِيلُ الرَّغبَةِ وَالرَّهبَةِ وَالخُشُوعِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وَدَلِيلُ الخَشيَةِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠].

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤].

وَدَلِيلُ الاستِعَانَةِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

وَفِي الحَدِيثِ: «إِذَا استَعَنتَ فَاستَعِن بِاللهِ» [صحيح الجامع (٧٩٥٧)].

وَدَلِيلُ الاستِعَاذَةِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١].

وَدَلِيلُ الاستِغَاثَةِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

وَدَلِيلُ الذَّبحِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

وَمِنَ السُّنَّةِ: «لَعَنَ اللهُ مَن ذَبَحَ لِغَيرِ اللهِ». [مسلم (١٩٧٨)].

وَدَلِيلُ النَّذرِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

الأصلُ الثَّاني: مَعرِفةُ دِينِ الإسلامِ بِالأدلَّة

وَهُوَ الاستِسلَامُ لله بِالتَّوحِيدِ وَالانقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ وَالبَرَاءَةُ مِنَ الشِّركِ وَأَهلِهِ، وَهُوَ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ: الإِسلَامُ وَالإِيمَانُ وَالإِحسَانُ، وَكُلُّ مَرتَبَةٍ لَهَا أَركَانٌ.

المَرتَبَةُ الأُولَىٰ: الشَّهَادَتَانِ:

فَأَركَانُ الإِسلَامِ خَمسَةٌ: شَهَادَةُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَومُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيتِ اللهِ الحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:١٨].

وَمَعنَاهَا: لَا مَعبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا الله وَحدَهُ.

(لَا إِلَهَ): نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعبَدُ مِن دُونِ اللهِ.

(إِلَّا اللهُ): مُثبِتًا العِبَادَةَ لله وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلكِهِ.

وَتَفسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف:٢٦ - ٢٨].

وَقَولُهُ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٦٤].

وَدَلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وَمَعنَىٰ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصدِيقُهُ فِيمَا أَخبَرَ، وَاجتِنَابُ مَا عَنهُ نَهَىٰ وَزَجَرَ، وَأَلَّا يُعبَدَ الله إِلَّا بِمَا شَرَعَ.

وَدَلِيلُ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَتَفسِيرِ التَّوحِيدِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

وَدَلِيلُ الصِّيَامِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣].

وَدَلِيلُ الحَجِّ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧].

المَرتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ: وَهُوَ بِضعٌ وَسَبعُونَ شُعبَةً، فَأَعلَاهَا: قَولُ: لَا إِلَهَ إِلَا اللهُ، وَأَدنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ.

وَأَركَانُهُ سِتَّةٌ: أَن تُؤمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَومِ الآخِرِ، وَتُؤمِنَ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ هَذِهِ الأَركَانِ السِّتَّةِ:

قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة:١٧٧].

وَدَلِيلُ القَدَرِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القمر:٤٩].

المَرتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحسَانُ:

رُكنٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ: «أَن تَعبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَم تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨].

وَقَولُهُ: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠].

وَقَولُهُ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾ [يونس:٦١].

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ:

حَدِيثُ جِبرَائِيلَ المَشهُورُ عَن عُمَرَ ﷺ قَالَ: «بَينَمَا نَحنُ جُلُوسٌ عِندَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذ طَلَعَ عَلَينَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَىٰ عَلَيهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَأَسنَدَ رُكبَتَيهِ إِلَىٰ رُكبَتَيهِ، وَوَضَعَ كَفَّيهِ عَلَىٰ فَخِذَيهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخبِرنِي عَنِ الإِسلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: الإِسلَامُ أَن تَشهَدَ أَن لَا إِلَهَ إِلَا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيتَ إِنِ استَطَعتَ إِلَيهِ سَبِيلًا.

قَالَ: صَدَقتَ، فَعَجِبنَا لَهُ يَسأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخبِرنِي عَنِ الإِيمَانِ، قَالَ: أَن تُؤمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَومِ الآخِرِ، وَتُؤمِنَ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ.

قَالَ: صَدَقتَ. قَالَ: فَأَخبِرنِي عَنِ الإِحسَانِ، قَالَ: أَن تَعبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَم تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

قَالَ: فَأَخبِرنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: مَا المَسئُولُ عَنهَا بِأَعلَمَ مِنَ السَّائِلِ.

قَالَ: فَأَخبِرنِي عَن أَمَارَاتِهَا، قَالَ: أَن تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَن تَرَىٰ الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنيَانِ.

قَالَ: فَمَضَىٰ، فَلَبِثنَا مَلِيًّا فَقَالَ: يَا عُمَرُ، أَتَدرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعلَمُ.

قَالَ: هَذَا جِبرِيلُ أَتَاكُم يُعَلِّمُكُم أَمرَ دِينِكُم». [مسلم (٨)].

الأَصلُ الثَّالِثُ: مَعرِفَةُ نَبِيِّكُم مُحَمَّدٍ ﷺ

وَهُوَ: مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ اللهِ بنِ عَبدِ المُطَّلِبِ بنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِن قُرَيشٍ، وَقُرَيشٌ مِنَ العَرَبِ، وَالعَرَبُ مِن ذُرِّيَّةِ إِسمَاعِيلَ بنِ إِبرَاهِيمَ الخَلِيلِ -عَلَيهِ وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا أَفضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ- وَلَهُ مِنَ العُمرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنهَا أَربَعُونَ قَبلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلَاثٌ وَعِشرُونَ نَبِيًّا وَرَسُولًا.

نُبِّئَ بـ: (اقرأ)، وأُرسِلَ بـ: (المُدَّثِّر)، وبَلَدُهُ مَكَّةُ، وهَاجَرَ إِلَىٰ المَدِينَةِ، بَعَثَهُ الله بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّركِ ويَدعُو إِلَىٰ التَّوحِيدِ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾ [المدثر:١-٧].

وَمَعنَىٰ ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾: يُنذِرُ عَنِ الشِّركِ وَيَدعُو إِلَىٰ التَّوحِيدِ، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾: أَي: عَظِّمهُ بِالتَّوحِيدِ، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾: أَي: طَهِّر أَعمَالَكَ عَنِ الشِّركِ، ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ الرُّجزُ: الأَصنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَركُهَا، وَالبَرَاءَةُ مِنهَا وَأَهلِهَا.

أَخَذَ عَلَىٰ هَذَا عَشرَ سِنِينَ يَدعُو إِلَىٰ التَّوحِيدِ، وَبَعدَ العَشرِ عُرِجَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَفُرِضَت عَلَيهِ الصَّلَوَاتُ الخَمسُ، وَصَلَّىٰ فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَبَعدَهَا أُمِرَ بِالهِجرَةِ إِلَىٰ المَدِينَةِ.

وَالهِجرَةُ: الانتِقَالُ مِن بَلَدِ الشِّركِ إِلَىٰ بَلَدِ الإِسلَامِ.

وَالهِجرَةُ: فَرِيضَةٌ عَلَىٰ هَذِهِ الأُمَّةِ مِن بَلَدِ الشِّركِ إِلَىٰ بَلَدِ الإِسلَامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَىٰ أَن تَقُومَ السَّاعَةُ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ۝٩٧ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ۝٩٨ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا﴾ [النساء:٩٧-٩٩].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [العنكبوت:٥٦].

قَالَ البَغَوِيُّ -رَحِمَهُ الله تَعَالَىٰ-: سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ فِي المُسلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ لَم يُهَاجِرُوا نَادَاهُمُ الله بِاسمِ الإِيمَانِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ الهِجرَةِ مِنَ السُّنَّةِ:

قَولُهُ ﷺ: «لَا تَنقَطِعُ الهِجرَةُ حَتَّىٰ تَنقَطِعَ التَّوبَةُ، وَلَا تَنقَطِعُ التَّوبَةُ حَتَّىٰ تَطلُعَ الشَّمسُ

مِن مَغرِبِهَا». [صحيح الجامع (٧٤٦٩)].

فَلَمَّا استَقَرَّ بِالمَدِينَةِ أَمَرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسلَامِ، مِثلُ: الزَّكَاةِ، وَالصَّومِ، وَالحَجِّ، وَالجِهَادِ، وَالأَذَانِ، وَالأَمرِ بِالمَعرُوفِ وَالنَّهيِ عَنِ المُنكَرِ، وَغَيرِ ذَلِكَ مِن شَرَائِعِ الإِسلَامِ، أَخَذَ عَلَىٰ هَذَا عَشرَ سِنِينَ، وَبَعدَهَا تُوُفِّيَ صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلَيهِ، وَدِينُهُ بَاقٍ، وَهَذَا دِينُهُ، لَا خَيرَ إِلَّا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيهِ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَّرَهَا مِنهُ.

وَالخَيرُ الَّذِي دَلَّ عَلَيهِ: التَّوحِيدُ وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ الله وَيَرضَاهُ.

وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَ مِنهُ: الشِّركُ وَجَمِيعُ مَا يَكرَهُهُ الله وَيَأبَاهُ.

بَعَثَهُ الله إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً، وَافتَرَضَ الله طَاعَتَهُ عَلَىٰ جَمِيعِ الثَّقَلَينِ: الجِنِّ وَالإِنسِ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وَأَكمَلَ الله بِهِ الدِّينَ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ مَوتِهِ ﷺ:

قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠-٣١].

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبعَثُونَ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧-١٨].

وَبَعدَ البَعثِ مُحَاسَبُونَ، وَمَجزِيُّونَ بِأَعمَالِهِم.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

وَمَن كَذَّبَ بِالبَعثِ كَفَرَ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعالَىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن:٧].

وأَرسَلَ الله جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعالَىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥].

وَأَوَّلُهُم نُوحٌ عليه السلام، وَآخِرهُم مُحَمَّدٌ ﷺ.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ أَوَّلَهُم نُوحٌ عليه السلام:

قَولُهُ تَعالَىٰ: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء:١٦٣].

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ الله إِلَيهَا رَسُولًا مِن نُوحٍ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ، يَأمُرُهُم بِعِبَادَةِ اللهِ وَحدَهُ، وَيَنهَاهُم عَن عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

وافتَرَضَ اللهُ عَلَىٰ جَمِيعِ العِبَادِ الكُفرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِالله.

قَالَ ابنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ الله تَعالَىٰ-: الطَّاغُوتُ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ العَبدُ حَدَّهُ مِن مَعبُودٍ أَو مَتبُوعٍ أَو مُطَاعٍ.

وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرةٌ، وَرُءوسُهُم خَمسَةٌ: إِبلِيسُ -لَعَنَهُ اللهُ-، وَمَن عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَن دَعَا النَّاسَ إِلَىٰ عِبَادَةِ نَفسِهِ، وَمَنِ ادَّعَىٰ شَيئًا مِن عِلمِ الغَيبِ، وَمَن حَكَمَ بِغَيرِ مَا أَنزَلَ اللهُ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعالَىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وَهَذَا مَعنَىٰ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

وَفِي الحَدِيثِ: «رَأسُ الأَمرِ الإِسلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِروَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله». [صحيح الجامع (٥١٣٦)].

وَالله أَعلَمُ. وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّمَ.

(٢١) صريح السنة للطبري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

أخبَرَنَا الشَّيخُ أبُو مُحَمَّدٍ الحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ بنِ الحُسَينِ بنِ الحَسَنِ الأسَدِيُّ، أنبَأنَا جَدِّي أبو القَاسِمِ الحُسَينُ بنُ الحَسَنِ بنِ مُحَمَّدٍ الأسَدِيُّ، أنبَأنَا أبو القَاسِمِ عَلِيُّ بنُ أبِي العَلَاءِ، أنبَأنَا أبو مُحَمَّدٍ عَبدُ الرَّحمَنِ بنِ عُثمَانَ بنِ أبِي نَصرٍ، أنبَأنَا أبو سَعِيدٍ عَمرُو بنُ مُحَمَّدِ بنِ يَحيَىٰ الدِّينَوَرِي، قَالَ: قُرِئَ عَلَىٰ أبِي جَعفرٍ مُحَمَّدِ بنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ -وَأنَا أسمَعُ-.

١ - الحَمدُ للهِ مُفْلِجِ الحَقِّ وَنَاصِرِهِ، وَمُدحِضِ البَاطِلِ وَمَاحِقِهِ، الَّذِي اختَارَ الإسلَامَ لِنَفسِهِ دِينًا فَأمَرَ بِهِ، وَأحَاطَهُ وَتَوَكَّلَ بِحِفظِهِ، وَضَمِنَ إظهَارَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَو كَرِهَ المُشرِكُونَ، ثُمَّ اصطَفَىٰ مِن خَلقِهِ رُسُلًا ابتَعَثَهُم بِالدُّعَاءِ إلَيهِ، وَأمَرَهُم بِالقِيَامِ بِهِ، وَالصَّبرِ عَلَىٰ مَا نَابَهُم فِيهِ مِن جَهَلَةِ خَلقِهِ، وَامتَحَنَهُم مِنَ المِحَنِ بِصُنُوفٍ، وَابتَلَاهُم مِنَ البَلَاءِ بِضُرُوبٍ؛ تَكرِيمًا لَهُم غَير تَذلِيلٍ، وَتَشرِيفًا غَير تَخسِيرٍ، وَرَفَعَ بَعضَهُم فَوقَ بَعضٍ دَرَجَاتٍ، فَكَانَ أرفَعُهُم عِندَهُ دَرَجَةً أحَدَّهُم إمضَاءً مَعَ شِدَّةِ المِحَنِ، وَأقرَبَهُم إلَيهِ زُلفًا، وَأحسَنَهُم إنفَاذًا لِمَا أرسَلَهُ بِهِ مَعَ عَظِيمِ البَلِيَّةِ.

٢ - يَقُولُ اللهُ عَجَلَّ فِي مُحكَمِ كِتَابِهِ لِنَبِيِّهِ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وَقَالَ لَهُ ﷺ وَلِأتبَاعِهِ -رِضوَانُ اللهِ عَلَيهِم-: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وَقَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ۝١١ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ﴾ [الأحزاب:٩-١٢].

وَقَالَ -تَعَالَىٰ ذِكرُهُ-: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت:٢-٣].

٣- فَلَم يُخلِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أحَدًا مِن مُكرَمِي رُسُلِهِ، وَمُقَرَّبِي أولِيَائِهِ مِن مِحنَةٍ فِي عَاجِلَةٍ دُونَ آجِلَةٍ، لِيَستَوجِبَ بِصَبرِهِ عَلَيهَا مِن رَبِّهِ مِنَ الكَرَامَةِ مَا أعَدَّ لَهُ، وَمِنَ المَنزِلَةِ لَدَيهِ مَا كَتَبَهُ لَهُ، ثُمَّ جَعَلَ -تَعَالَىٰ جَلَّ وَعَلَا- ذِكرُهُ عُلَمَاءَ كُلِّ أُمَّةِ نَبِيٍّ ابتَعَثَهُ مِنهُم وُرَّاثَهُ مِن بَعدِهِ، وَالقُوَّامَ بِالدِّينِ بَعدَ اختِرَامِهِ إلَيهِ وَقَبضِهِ، الذَّابِّينَ عَن عُرَاهُ وَأسبَابِهِ، وَالحَامِينَ عَن أعلَامِهِ وَشَرَائِعِهِ، وَالنَّاصِبِينَ دُونَهُ لِمَن بَغَاهُ وَحَادَّهُ، وَالدَّافِعِينَ عَنهُ كَيدَ الشَّيطَانِ وَضَلَالَهُ.

٤- فَضَّلَهُم بِشَرَفِ العِلمِ، وَكَرَّمَهُم بِوَقَارِ الحِلمِ، وَجَعَلَهُم لِلدِّينِ وَأهلِهِ أعلَامًا. وَلِلإسلَامِ وَالهُدَىٰ مَنَارًا، وَلِلخَلقِ قَادَةً، وَلِلعِبَادِ أئِمَّةً وَسَادَةً، إلَيهِم مَفزَعُهُم عِندَ الحَاجَةِ. وَبِهِم استِغَاثَتُهُم عِندَ النَّائِبَةِ[1]، لَا يُثنِيهِم عِندَ التَّعَطُّفِ وَالتَّحَنُّنِ عَلَيهِم سُوءُ مَا هُم مِن أنفُسِهِم يُولُونَ، وَلَا تَصُدُّهُم عَنِ الرِّقَّةِ عَلَيهِم وَالرَّأفَةِ بِهِم قُبحُ مَا إلَيهِ مَا يَأتُونَ مُحَرَّمٌ مَنَعَهُم طَلَبُ جَزِيلِ ثَوَابِ اللهِ فِيهِم، وَتَوَخِّيًا طَلَبَ رِضَا اللهِ فِي الأخذِ بِالفَضلِ عَلَيهِم.

ثُمَّ جَعَلَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- ذِكرُهُ عُلَمَاءَ أمَّةِ نَبِيِّنَا مِن أفضَلِ عُلَمَاءِ الأُمَمِ الَّتِي خَلَت قَبلَهَا فِيمَا كَانَ قُسِمَ لَهُم مِنَ المَنَازِلِ وَالدَّرَجَاتِ وَالمَرَاتِبِ وَالكَرَامَاتِ قِسمًا، وَأجزَلَ لَهُم فِيهِ حَظًّا وَنَصِيبًا مَعَ ابتِلَاءِ اللهِ أفاضِلَهَا بِمَنَافِعِهَا وَامتِحَانِهِ خِيَارَهَا بِشِرَارِهَا، وَرُفَعَاءَهَا بِسُفَلِهَا

(١) لا يعني المصنف بذلك الاستغاثة بهم بعد موتهم، بل هو في حال حياتهم من إصلاح ودعوة إلى الخير. [المحقق]

وضُعَفَائِهَا، فلَم يَكُن يُثنِيهِم مَا كَانُوا بِهِ مِنهُم يُبتَلَونَ، وَلَا كَانَ يَصُدُّهُم مَا فِي اللهِ مِنهُم يَلقَونَ عَنِ النَّصِيحَةِ للهِ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ أَيَّامَ حَيَاتِهِم.

بَل كَانُوا بِعِلمِهِم عَلَىٰ جَهلِهِم يَعُودُونَ، وَبِحِلمِهِم لِسَفَهِهِم يَتَعَمَّدُونَ، وَبِفَضلِهِم عَلَىٰ نَقصِهِم يَأخذُونَ، بَل كَانَ لَا يَرضَىٰ كَبِيرٌ مِنهُم مَا أزلَفَهُ لِنَفسِهِ عِندَ اللهِ مِن فَضلِ ذَلِكَ أَيَّامَ حَيَاتِهِ، وَادَّخَرَ مِنهُ مِن كَرِيمِ الذَّخَائِرِ لَدَيهِ قَبلَ مَمَاتِهِ، حَتَّىٰ تَبقَىٰ لِمَن بَعدَهُ آثَارًا عَلَىٰ الأَيَّامِ بَاقِيَةً، وَلَهُم إِلَىٰ الرَّشَادِ هَادِيَةً.

جَزَاهُمُ اللهُ عَن أُمَّةِ نَبِيِّهِم أفضَلَ مَا جَزَىٰ عَالِمَ أُمَّةٍ عَنهُم، وَحَبَاهُم مِنَ الثَّوَابِ أجزَلَ ثَوَابٍ، وَجَعَلَنَا مِمَّن قَسَمَ لَهُ مِن صَالِحِ مَا قَسَمَ لَهُم، وَألحَقَنَا بِمَنَازِلِهِم وَكَرَّمَنَا بِحُبِّهِم وَمَعرِفَةِ حُقُوقِهِم، وَأَعَاذَنَا وَالمُسلِمِينَ جَمِيعًا مِن مُردِيَاتِ الأَهوَاءِ وَمُضِلَّاتِ الآرَاءِ إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

٥- ثُمَّ إِنَّه لَم يَزَل مِن بَعدِ مُضِيِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِسَبِيلِهِ حَوَادِثُ فِي كُلِّ دَهرٍ تَحدُثُ، وَنَوَازِلُ فِي كُلِّ عَصرٍ تَنزِلُ، يَفزَعُ فِيهَا الجَاهِلُ إِلَىٰ العَالِمِ فَيَكشِفُ فِيهَا العَالِمُ سُدَفَ الظَّلَامِ عَنِ الجَاهِلِ بِالعِلمِ الَّذِي آتَاهُ اللهُ، وَفَضَّلَهُ بِهِ عَلَىٰ غَيرِهِ، إِمَّا مِن أثَرٍ، وَإِمَّا مِن نَظَرٍ.

فَكَانَ مِن قَدِيمِ الحَادِثَةِ بَعدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الحَوَادِثِ الَّتِي تَنَازَعَت فِيهِ أُمَّتُه، وَاختِلَافِهَا فِي أفضَلِهِم بَعدَهُ ﷺ، وَأَحَقِّهِم بِالإِمَامَةِ وَأولَاهُم بِالخِلَافَةِ.

٦- ثُمَّ القَولُ فِي أعمَالِ العِبَادِ؛ طَاعَتِهَا وَمَعَاصِيهَا، وَهَل هِيَ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ أم الأَمرُ فِي ذَلِكَ المُبهَم مُفَوَّضٌ.

٧ - ثُمَّ القَولُ فِي الإِيمَانِ، هَل هُوَ قَولٌ وَعَمَلٌ، أم هُوَ قَولٌ بِغَيرِ عَمَلٍ، وَهَل يَزِيدُ وَيَنقُصُ، أم لَا زِيَادَةَ لَهُ وَلَا نُقصَانَ.

٨- ثُمَّ القَولُ فِي القُرآنِ، هَل هُوَ مَخلُوقٌ أو غَيرُ مَخلُوقٍ.

٩- ثُمَّ رُؤيَةُ المُؤمِنِينَ رَبَّهُم تَعَالَىٰ يَومَ القِيَامَةِ.

١٠- ثُمَّ القَولُ فِي ألفَاظِهِم بِالقُرآنِ.

١١ - ثُمَّ حَدَثَ فِي دَهرِنَا هَذَا حَمَاقَاتٌ خَاضَ فِيهَا أهلُ الجَهلِ وَالغَبَاءِ، وَنَوْكَىٰ الأُمَّةِ الرَّعَاعَ يُتعِبُ إحصَاؤُهَا وَيُمَلُّ تَعدَادُهَا، فِيهَا القَولُ فِي اسمِ الشَّيءِ أَهُوَ هُوَ أم هُوَ غَيرُهُ. وَنَحنُ نُبَيِّنُ الصَّوَابَ لَدَينَا مِنَ القَولِ فِي ذَلِكَ إن شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ، وَبِاللهِ التَّوفِيقُ.

القَولُ فِي القُرآنِ وَأنَّهُ كَلامُ اللهِ:

١٢ - فَأَوَّلُ مَا نَبدَأُ بِالقَولِ فِيهِ مِن ذَلِكَ عِندَنَا: القُرآنُ كَلَامُ اللهِ وَتَنزِيلُهُ، إذ كَانَ مِن مَعَانِي تَوحِيدِهِ، فَالصَّوَابُ مِنَ القَولِ فِي ذَلِكَ عِندَنَا أَنَّهُ كَلَامُ اللهِ غَيرُ مَخلُوقٍ، كَيفَ كُتِبَ وَحَيثُ تُلِيَ وَفِي أيِّ مَوضِعٍ قُرِئَ، فِي السَّمَاءِ وُجِدَ وَفِي الأرضِ حَيثُ حُفِظَ فِي اللَّوحِ المَحفُوظِ كَانَ مَكتُوبًا، وَفِي أَلوَاحِ صِبيَانِ الكَتَاتِيبِ مَرسُومًا، فِي حَجَرٍ نُقِشَ، أو فِي وَرَقٍ خُطَّ، أو فِي القَلبِ حُفِظَ وَبِلِسَانٍ لُفِظَ.

فَمَن قَالَ غَيرَ ذَلِكَ أوِ ادَّعَىٰ أَنَّ قُرآنًا فِي الأرضِ أو فِي السَّمَاءِ سِوَىٰ القُرآنِ الَّذِي نَتلُوهُ بِألسِنَتِنَا وَنَكتُبُهُ فِي مَصَاحِفِنَا، أوِ اعتَقَدَ غَيرَ ذَلِكَ بِقَلبِهِ، أو أضمَرَهُ فِي نَفسِهِ، أو قَالَهُ بِلِسَانِهِ دَائِنًا بِهِ فَهُوَ بِاللهِ كَافِرٌ حَلَالُ الدَّمِ، بَرِيءٌ مِنَ اللهِ، وَاللهُ مِنهُ بَرِيءٌ بِقَولِ اللهِ ﷻ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج:٢١-٢٢].

وَقَالَ وَقَولُهُ الحَقُّ ﷻ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦].

١٣ - فَأَخبَرَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَنَّهُ فِي اللَّوحِ المَحفُوظِ مَكتُوبٍ، وَأَنَّهُ مِن لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَسمُوعٌ، وَهُوَ قُرآنٌ وَاحِدٌ مِن مُحَمَّدٍ مَسمُوعٌ فِي اللَّوحِ المَحفُوظِ مَكتُوبٌ، وَكَذَلِكَ هُوَ فِي الصُّدُورِ مَحفُوظٌ وَبِألسُنِ الشُّيوخِ وَالشَّبَابِ مَتلُوٌّ.

١٤ - قَالَ أبو جَعفَرٍ: فَمَن رَوَىٰ عَنَّا أو حَكَىٰ عَنَّا أو تَقَوَّلَ عَلَينَا؛ فَادَّعَىٰ أَنَّا قُلنَا غَيرَ ذَلِكَ؛ فَعَلَيهِ لَعنَةُ اللهِ وَغَضَبُهُ وَلَعنَةُ اللَّاعِنِينَ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أجمَعِينَ، لَا قَبِلَ اللهُ لَهُ صَرفًا وَلَا عَدلًا، وَهَتَكَ سِترَهُ وَفَضَحَهُ عَلَىٰ رُءُوسِ الأشهَادِ يَومَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُم

ونَهُمُ اللَّعنَةُ وَلَهُم سُوءُ الدَّارِ.

١٥ - حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بنُ سَهلٍ الرَّملِي حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بنُ دَاودَ حَدَّثَنَا مَعبَدٌ أبو عَبدِ الرَّحمَنِ عَن مُعَاوِيَةَ بنِ عَمَّارٍ الدُّهنِي قَالَ: قُلتُ لِجَعفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ ﷺ: إنَّهُم يَسأَلُونَ عَنِ القُرآنِ مَخلُوقٌ أو خَالِقٌ؟

فَقَالَ: إنَّهُ لَيسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخلُوقٍ، وَلكِنَّهُ كَلَامُ اللهِ ﷻ.

١٦ - وَحدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ مَنصُورٍ الآمِلِيُّ، حَدَّثَنَا الحَكَمُ بنُ مُحَمَّدٍ الآمِلِيُّ أبُو مَروَانَ، حَدَّثَنَا ابنُ عُيَينَةَ قَالَ: سَمِعتُ عَمرَو بنَ دِينَارٍ يَقُولُ: أدرَكتُ مَشَايِخَنَا مُنذُ سَبعِينَ سَنَةً يَقُولُونَ: القُرآنُ كَلَامُ اللهِ، مِنهُ بَدَأَ وَإلَيهِ يَعُودُ.

القَولُ فِي رُؤيَةِ اللهِ ﷻ :

١٧ - وَأمَّا الصَّوَابُ مِنَ القَولِ فِي رُؤيَةِ المُؤمِنِينَ رَبَّهُم ﷻ يَومَ القِيَامَةِ، وَهُوَ دِينُنَا الَّذِي نَدِينُ اللهَ بِهِ، وَأدرَكنَا عَلَيهِ أهلَ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ فَهُوَ: أنَّ أهلَ الجَنَّةِ يَرَونَهُ عَلَىٰ مَا صَحَّت بِهِ الأخبَارُ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ.

١٨ - حَدَّثَنَا أبُو السَّائِبِ سَلَمُ بنُ جُنَادَةَ، حَدَّثَنَا ابنُ فُضَيلٍ، وحَدَّثَنَا تَمِيمُ بنُ المُنتَصِرِ وَمُجَاهِدُ بنُ مُوسَىٰ، قَالَ تَمِيمٌ: أنبَأنَا يَزِيدُ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بنُ هَارُونَ، وَحَدَّثَنَا ابنُ الصَّبَّاحِ حَدَّثَنَا سُفيَانُ، وَمَروَانُ بنُ مُعَاوِيَةَ، وَيَزِيدُ بنُ هَارُونَ جَمِيعًا عَن إسمَاعِيلَ بنِ أبِي خَالِدٍ عَن قَيسِ بنِ أبِي حَازِمٍ عَن جَرِيرِ بنِ عَبدِ اللهِ قَالَ: «كُنَّا جُلُوسًا عِندَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَنَظَرَ إلَىٰ القَمَرِ لَيلَةَ البَدرِ، فَقَالَ: إنَّكُم رَاءُونَ رَبَّكُم ﷻ كَمَا تَرَونَ هَذَا القَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤيَتِهِ؛ فَإنِ استَطَعتُم ألَّا تُغلَبُوا عَلَىٰ صَلَاةٍ قَبلَ طُلُوعِ الشَّمسِ وَقَبلَ غُرُوبِهَا فَافعَلُوا، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق:٣٩]» [البخاري ٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣)]. وَلَفظُ الحَدِيثِ لِحَدِيثِ مُجَاهِدٍ.

قَالَ يَزِيدُ: مَن كَذَّبَ بِهَذَا الحَدِيثِ فَهُوَ بَرِيءٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ، حَلَفَ غَيرَ مَرَّةٍ.

وَأقُولُ أنَا: صَدَقَ رَسُولُ اللهِ، وَصَدَقَ يَزِيدُ، وَقَالَ الحَقَّ.

القَولُ فِي أفعَالِ العِبَادِ وَحَسَنَاتِهِم وَسَيِّئَاتِهِم:

١٩- وَأمَّا الصَّوَابُ مِنَ القَولِ لَدَينَا فِيمَا اختُلِفَ فِيهِ مِن أفعَالِ العِبَادِ وَحَسَنَاتِهِم وَسَيِّئَاتِهِم؛ فَإنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ مِن عِندِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَاللهُ سُبحَانَهُ مُقَدِّرُهُ وَمُدَبِّرُهُ، لَا يَكُونَ شَيءٌ إلَّا بِإذنِهِ، وَلَا يَحدُثُ شَيءٌ إلَّا بِمَشِيئَتِهِ، لَهُ الخَلقُ وَالأمرُ كَمَا يُرِيدُ.

٢٠- حَدَّثَنِي زِيَادُ بنُ يَحيَىٰ الحَسَّانِيُّ، وَعُبَيدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ الفِريَابِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا عَبدُ اللهِ بنُ مَيمُون حَدَّثَنَا جَعفَرُ بنُ مُحَمَّدٍ عَن أبِيهِ عَن جَابِرَ بنِ عَبدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: «لَا يُؤمِنُ عَبدٌ حَتَّىٰ يُؤمِنَ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ، وَحَتَّىٰ يَعلَمَ أنَّ مَا أصَابَهُ لَم يَكُن لِيُخطِئَهُ، وَمَ أخطَأهُ لَم يَكُن لِيُصِيبَهُ». [صحيح الجامع (٧٥٨٥)].

اللَّفظُ لِحَدِيثِ أبِي الخَطَّابِ زِيَادِ بنِ يَحيَىٰ.

٢١- حَدَّثَنِي يَعقُوبُ بنُ إبرَاهِيمَ الجُوزجَانِيُّ حَدَّثَنَا ابنُ أبِي حَازِمٍ حَدَّثَنِي أبِي عَنِ ابنِ عُمَرَ قَالَ: «القَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ؛ فَإن مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُم، وَإن مَاتُوا فَلَا تَشهَدُوهُم».

القَولُ فِي صَحَابَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ:

٢٢- وَأمَّا الحَقُّ فِي اختِلَافِهِم فِي أفضَلِ أصحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَمَا جَاءَ عَنهُ ﷺ وَتَتَابَعَ عَلَىٰ القَولِ بِهِ السَّلَفُ وَذَلِكَ مَا:

٢٣- حَدَّثَنِي مُوسَىٰ بنُ سَهلٍ الرَّملِي، وَأحمَدُ بنُ مَنصُورِ بنِ سَيَّارٍ الرَّمَادِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا عَبدُ اللهِ بنُ صَالِحٍ حَدَّثَنِي نَافِعُ بنُ يَزِيدَ عَن زُهرَةَ بنِ مَعبَدٍ عَن سَعِيدِ بنِ المُسَيَّبِ عَن جَابِرِ بنِ عَبدِ اللهِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ -جَلَّ وَعَلَا- اختَارَ أصحَابِي عَلَىٰ جَمِيعِ العَالَمِينَ سِوَىٰ النَّبِيِّينَ وَالمُرسَلِينَ، وَاختَارَ مِن أصحَابِي أبَا بَكرٍ وَعُمَرَ وَعُثمَانَ وَعَلِيًّا -رِضوَانُ الله عَلَيهِم-؛ فَجَعَلَهُم خَيرَ أصحَابِي، وَفِي أصحَابِي كُلِّهِم خَيرٌ، وَاختَارَ أمَّتِي عَلَىٰ سَائِرِ الأُمَمِ

ـ ختارَ مِن أُمَّتِي أربَعَةَ قُرونٍ مِن بَعدِ أصحَابِي: القَرنُ الأوَّلُ وَالثَّانِي وَالثَّالِثُ تَترَىٰ، وَالقَرنُ ـرّابعُ فَردًا». [الضعيفة (٦١٢٣)].

٢٤- وَكَذَلِكَ نَقُولُ: فَأفضَلُ أصحَابِه الصِّدِّيقُ أبو بَكرٍ ﷺ، ثُمَّ الفَارُوقُ بَعدَهُ عُمَرُ، ثُمَّ ذو النُّورَينِ عُثمَانُ بنُ عَفَّانَ، ثُمَّ أمِيرُ المُؤمِنِينَ، وَإمَامُ المُتَّقِينَ عَلِيُّ بنُ أبِي طَالِبٍ -رِضوَانُ ـه عَلَيهِم أجمَعِينَ-.

٢٥- وَأمَّا أولَىٰ الأقوَالِ بِالصَّوَابِ عِندَنَا فِيمَا اختَلَفُوا: مَن أولَىٰ الصَّحَابَةِ بِالإمَامَةِ، ـبِقَولِ مَن قَالَ بِمَا:

٢٦- حَدَّثَنِي بِهِ مُحَمَّدُ بنُ عمَارَةَ الأسَدِيُّ حَدَّثَنَا عُبَيدُ اللهِ بنُ مُوسَىٰ حَدَّثَنَا حَشرَجُ بنُ نُبَاتَةَ حَدَّثَنِي سَعِيدُ بنُ جُمْهَانَ عَن سَفِينَةَ مَولَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «الخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ مِن بَعدِ ذَلِكَ مُلكٌ».

قَالَ لِي سَفِينَةُ: أمْسِكْ خِلَافَة أبِي بَكرٍ سَنَتَانِ، وَخِلَافَةَ عُمَرَ عَشرٌ، وَخِلَافَةَ عُثمَانَ اثنَتَا عَشْرَةَ، وَخِلَافَةَ عَلِيٍّ سِتٌّ.

قَالَ: فَنَظَرتُ فَوَجَدتُهَا ثَلَاثِينَ سَنَةً. [الصحيحة (٤٥٩)]

القَولُ فِي الإيمَانِ زِيَادَتُهُ وَنُقصَانُهُ:

٢٧- وَأمَّا القَولُ فِي الإيمَانِ، هَل هُوَ قَولٌ وَعَمَلٌ، وَهَل يَزِيدُ وَيَنقُصُ أم لَا زِيَادَةَ فِيهِ وَلَا نُقصَان؛ فَإنَّ الصَّوَابَ فِيهِ قَولُ مَن قَالَ: هُوَ قَولٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنقُصُ، وَبِهِ جَاءَ الخَبَرُ عَن جَمَاعَةٍ مِن أصحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَعَلَيهِ مَضَىٰ أهلُ الدِّينِ وَالفَضلِ.

٢٨- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ عَلِي بنِ الحَسَنِ بنِ شَقِيقٍ قَالَ: سَألنَا أبَا عَبدِ اللهِ أحمَدَ ابنَ حَنبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ الإيمَانِ فِي مَعنَىٰ الزِّيَادَةِ وَالنُّقصَانِ، فَقَالَ: حَدَّثَنَا الحَسَنُ بنُ مُوسَىٰ الأشيَبُ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بنُ سَلَمَةَ عَن أبِي جَعفَرٍ الخَطمِيِّ عَن أبِيهِ عَن جَدِّهِ عُمَيرِ ابنِ حَبِيبٍ، قَالَ: الإيمَانُ يَزِيدُ وَيَنقُصُ.

فَقِيلَ: وَمَا زِيَادَتُهُ وَمَا نُقصَانُهُ؟

فَقَالَ: إِذَا ذَكَرنَا اللهَ فَحَمِدنَاهُ وَسَبَّحنَاهُ فَذَلِكَ زِيَادَتُهُ، وَإِذَا غَفَلنَا وَضَيَّعنَا وَنَسِينَا فَذَلِكَ نُقصَانُهُ.

٢٩- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بنُ سَهلٍ الرَّملِيُّ حَدَّثَنَا الوَلِيدُ بنُ مُسلِمٍ قَالَ: سَمِعتُ الأوزَاعِيَّ، وَمَالِكَ بنَ أَنَسٍ، وَسَعِيدَ بنَ عَبدِ العَزِيزِ -رَحِمَهُم اللهُ- يُنكِرونَ قَولَ مَن يَقُولُ: إنَّ الإِيمَان إِقرَارٌ بِلَا عَمَلٍ، وَيَقُولُونَ: لَا إِيمَانَ إِلَّا بِعَمَلٍ وَلَا عَمَلَ إِلَّا بِإِيمَانٍ.

القَولُ فِي أَلفَاظِ العِبَادِ بِالقُرآنِ:

٣٠- وَأَمَّا القَولُ فِي أَلفَاظِ العِبَادِ بِالقُرآنِ، فَلَا أَثَرَ فِيهِ نَعلَمُهُ عَن صَحَابِيٍّ مَضَىٰ وَلَا تَابِعِيٍّ قَضَىٰ، إِلَّا عَمَّن فِي قَولِهِ الغَنَاءُ وَالشِّفَاءُ -رَحمَةُ اللهِ عَلَيهِ، وَرِضوَانُهُ- وَفِي اتِّبَاعِهِ الرُّشدُ وَالهُدَىٰ، وَمَن يَقُومُ قَولُهُ لَدَينَا مَقَامَ قَولِ الأَئِمَّةِ الأُولَىٰ، أَبِي عَبدِ اللهِ أَحمَدَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ حَنبَلٍ ﷺ.

٣١- فَإِنَّ أَبَا إِسمَاعِيلَ التِّرمِذِيَّ حَدَّثَنِي قَالَ: سَمِعتُ أَبَا عَبدِ اللهِ أَحمَدَ بنَ حَنبَلٍ يَقُولُ: اللَّفظِيَّةُ جَهمِيَّةٌ؛ لِقَولِ اللهِ -جَلَّ اسمُهُ-: ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]. فَمِمَّن يَسمَعُ؟

٣٢- ثُمَّ سَمِعتُ جَمَاعَةً مِن أَصحَابِنَا لَا أَحفَظُ أَسمَاءَهُم يَذكُرُونَ عَنهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: مَن قَالَ: (لَفظِي بِالقُرآنِ مَخلُوقٌ)؛ فَهُوَ جَهمِيٌّ، وَمَن قَالَ: (هُوَ غَيرُ مَخلُوقٍ)؛ فَهُوَ مُبتَدِعٌ.

٣٣- وَلَا قَولَ فِي ذَلِكَ عِندَنَا يَجُوزُ أَن نَقُولَهُ إِذ لَم يَكُن لَنَا فِيهِ إِمَامٌ نَأتَمُّ بِهِ سِوَاهُ، وَفِيهِ الكِفَايَةُ وَالمَنعُ، وَهُوَ الإِمَامُ المُتَّبَعُ -رَحمَةُ اللهِ عَلَيهِ وَرِضوَانُهُ-.

القَولُ فِي الاسمِ أَهُوَ المُسَمَّى أم هُوَ غَيرُ المُسَمَّى:

٣٤- وَأَمَّا القَولُ فِي الاسمِ أَهُوَ المُسَمَّىٰ أَم غَيرُ المُسَمَّىٰ؛ فَإِنَّهُ مِنَ الحَمَاقَاتِ الحَادِثَةِ الَّتِي لَا أَثَرَ فِيهَا فَيُتَّبَعَ، وَلَا قَولَ مِن إِمَامٍ فَيُستَمَعَ، فَالخَوضُ فِيهِ شَينٌ، وَالصَّمتُ عَنهُ زَينٌ.

٣٥- وَحَسبُ امرِئٍ مِنَ العِلمِ بِهِ وَالقَولِ فِيهِ أَن يَنتَهِيَ إِلَىٰ قَولِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ ثَنَاؤُهُ-

الصَّادِقُ، وهُوَ قَولُهُ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وَيَعلَمُ أَنَّ رَبَّهُ هُوَ الَّذِي عَلَىٰ العَرشِ استَوَىٰ، لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأرضِ وَمَا بَينَهُمَا وَمَا تَحتَ الثَّرَىٰ، فَمَن تَجَاوَزَ ذَلِكَ فَقَد خَابَ وَخَسِرَ وَضَلَّ وَهَلَكَ.

التَّحذِيرُ مِن تَقوِيلِ أحَدٍ مَا لَم يَقُلهُ :

٣٦- فَليُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنكُم -أيُّهَا النَّاسُ- مَن بَعُدَ مِنَّا فَنَأَىٰ، أو قَرُبَ فَدَنَا: أَنَّ الَّذِي نُدِينُ اللهَ بِهِ فِي الأشيَاءِ الَّتِي ذَكَرنَاهَا مَا بَيَّنَّاهُ لَكُم عَلَىٰ وَصفِنَا، فَمَن رَوَىٰ عَنَّا خِلَافَ ذَلِكَ أو أَضَافَ إلَينَا سِوَاهُ، أو نَحَلَنَا فِي ذَلِكَ قَولًا غَيرَهُ؛ فَهُوَ كَاذِبٌ مُفتَرٍ مُتَخَرِّصٌ مُعتَدٍ، يَبُوءُ بِسَخطِ اللهِ، وَعَلَيهِ غَضَبُ اللهِ وَلَعنَتُهُ فِي الدَّارَينِ، وَحُقَّ عَلَىٰ اللهِ أن يُورِدَهُ المَورِدَ الَّذِي وَرَّدَ رَسُولُ اللهِ ضُرَبَاءَهُ، وَأن يُحِلَّه المَحِلَّ الَّذِي أخبَرَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ أَنَّ اللهَ يُحِلُّ أمثَالَهُ عَلَىٰ مَا أخبَرَ ﷺ.

٣٧- قَالَ أبُو جَعفَرٍ: وَذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا أبُو كُرَيبٍ حَدَّثَنَا المُحَارِبِيُّ عَن إسمَاعِيلَ ابنِ عَيَّاشٍ الحِمصِي عَن ثَعلَبَةَ بنِ مُسلِمٍ الخَثعَمِيِّ عَن أيُّوبَ بنِ بَشِيرٍ العِجلِي عَن شُفَي بنِ مَاتِعٍ الأصبَحِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أربَعَةٌ يُؤذُونَ أهلَ النَّارِ عَلَىٰ مَا بِهِم مِنَ الأذَىٰ، يَسعَونَ بَينَ الحَمِيمِ وَالجَحِيمِ يَدعُونَ بِالوَيلِ وَالثُّبُورِ، يَقُولُ أهلُ النَّارِ بَعضُهُم لِبَعضٍ: مَا بَالُ هَؤُلَاءِ قَد آذَونَا عَلَىٰ مَا بِنَا مِنَ الأذَىٰ؟

فَرَجُلٌ مُغلَقٌ عَلَيهِ تَابُوتٌ مِن جَمرٍ، وَرَجُلٌ يَجُرُّ أمعَاءَهُ، وَرَجُلٌ يَسِيلُ فُوهُ قَيحًا وَدَمًا، وَرَجُلٌ يَأكُلُ لَحمَهُ.

فَيَقُولُ لِصَاحِبِ التَّابُوتِ: مَا بَالُ الأبعَدِ قَد آذَانَا عَلَىٰ مَا بِنَا مِنَ الأذَىٰ؟!

فَيَقُولُ: إنَّ الأبعَدَ مَاتَ وَفِي عُنُقِهِ أموَالُ النَّاسِ.

وَيُقَالُ لِلَّذِي يَجُرُّ أمعَاءَهُ: مَا بَالُ الأبعَدِ قَد آذَانَا عَلَىٰ مَا بِنَا مِنَ الأذَىٰ؟!

-قَالَ: فَذَكَرَ كَلَامًا سَقَطَ مِنِّي-.

وَيُقَالُ لِلَّذِي يَسِيلُ فُوهُ قَيحًا وَدَمًا: مَا بَالُ الأبعَدِ قَد آذَانَا عَلَىٰ مَا بِنَا مِنَ الأذَىٰ؟!

فَيَقُولُ: إنَّ الأبعَدَ كَانَ يَنظُرُ إلَىٰ كُلِّ كَلِمَةٍ قَذِعَةٍ قَبِيحَةٍ فَيَستَلِذُّهَا كَمَا يَستَلِذُّ الرَّفَثَ.

وَيُقَالُ لِلَّذِي يَأكُلُ لَحمَهُ: مَا بَالُ الأبعَدِ قَد آذَانَا عَلَىٰ مَا بِنَا مِنَ الأذَىٰ؟!

فَيَقُولُ: إنَّ الأبعَدَ كَانَ يَمشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَيَأكُلُ لُحُومَ النَّاسِ». [ضعيف الترغيب (١٦٨٤)]

٣٨- حَدَّثَنَا خَلَّادُ بنُ أسلَمَ عَنِ النَّضرِ بنِ شُمَيلٍ بنِ حَرَشَةَ عَن مُوسَىٰ بنِ عُقبَةَ عَن عُمَرَ بنِ عَبدِ اللهِ الأنصَارِيِّ عَن أبِي الدَّردَاءِ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ: «مَن ذَكَرَ امرأً بِمَا لَيسَ فِيهِ لِيَعِيبَهُ حَبَسَهُ اللهُ فِي جَهَنَّمَ حَتَّىٰ يَأتِيَ بِنَفَاذِ مَا قَالَ فِيهِ». [ضعيف الترغيب (١٣٥٩)]

٣٩- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ عَوفٍ الطَّائِيُّ، وَمُحَمَّدُ بنُ مُسلِمٍ الرَّازِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا أبُو المُغِيرَةِ عَبدُ القُدُّوسِ بنُ الحَجَّاجِ حَدَّثَنَا صَفوَانُ بنُ عَمرٍو قَالَ: حَدَّثَنِي رَاشِدُ بنُ سَعدٍ، وَعَبدُ الرَّحمَنِ ابنُ جُبَيرِ بنِ نُفَيرٍ عَن أنَسِ بنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرتُ بِقَومٍ لَهُم أظفَارٌ مِن نُحَاسٍ يَخمِشُونَ صُدُورَهُم، فَقُلتُ: مَن هَؤلَاءِ يَا جِبرِيلُ؟! قَالَ: هَؤلَاءِ الَّذِينَ يَأكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أعرَاضِهِم». [الصحيحة (٥٣٣)]

٤٠- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بنُ سَهلٍ الرَّملِيُّ حَدَّثَنَا الوَلِيدُ بنُ مُسلِمٍ عَن عُثمَانَ بنِ أبِي العَاتِكَةِ عَن أبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: «أتَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَقِيعَ الغَرقَدِ، فَوَقَفَ عَلَىٰ قَبرَينِ ثَرِيَّينِ فَقَالَ: أدَفَنتُم هُنَا فُلَانًا وَفُلَانَةَ -أو قَالَ: فُلَانًا وَفُلَانًا-؟

فَقَالُوا: نَعَم يَا رَسُولَ اللهِ.

فَقَالَ: قَد أُقعِدَ فُلَانٌ الآنَ يُضرَبُ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ، لَقَد ضُرِبَ ضَربَةً مَا بَقِيَ مِنهُ عُضوٌ إلَّا انقَطَعَ وَلَقَد تَطَايَرَ قَبرُهُ نَارًا، وَلَقَد صَرَخَ صَرخَةً سَمِعَهَا الخَلَائِقُ إلَّا الثَّقَلَينِ مِنَ الجِنِّ وَالإنسِ، وَلَولَا تَمرِيجٌ فِي قُلُوبِكُم وَتَزَيُّدُكُم فِي الحَدِيثِ لَسَمِعتُم مَا أسمَعُ.

ثُمَّ قَالَ: الآنَ يُضرَبُ هَذَا، الآنَ يُضرَبُ هَذَا، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ، لَقَد ضُرِبَ ضَربَةً مَا بَقِيَ مِنهُ عُضوٌ إلَّا انقَطَعَ وَلَقَد تَطَايَرَ قَبرُهُ نَارًا، وَلَقَد صَرَخَ صَرخَةً سَمِعَتهَا الخَلَائِقُ إلَّا الثَّقَلَينِ مِنَ الجِنِّ وَالإنسِ، وَلَولَا تَمرِيجٌ فِي قُلُوبِكُم وَتَزَيدُكُم فِي الحَدِيثِ

سَمِعتُم مَا أسمَعُ.

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا ذَنبُهُمَا؟!

قَالَ: أَمَّا فُلَانٌ؛ فَإِنَّهُ كَانَ لَا يَستَبرِئُ مِنَ البَولِ، وَأَمَّا فُلَانٌ -أو: فُلَانَةٌ- فَإِنَّهُ كَانَ يَأكُلُ لُحُومَ النَّاسِ». [ضعيف الترغيب (١٦٩٣)]

٤١- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ يَزِيدَ الرِّفَاعِيُّ حَدَّثَنَا ابنُ فُضَيلٍ ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ العَلَاءِ حَدَّثَنَا أَسوَدُ بنُ عَامِرٍ حَدَّثَنَا أَبُو بَكرِ بنُ عَيَّاشٍ جَمِيعًا، عَنِ الأعمَشِ عَن سَعِيدِ ابنِ عَبدِ اللهِ عَن أَبِي بُرزَةَ الأسلَمِيِّ قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا مَعشَرَ مَن آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَم يَدخُلِ الإِيمَانُ قَلبَهُ، لَا تَغتَابُوا المُسلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَورَاتِهِم؛ فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَورَاتِهِم تَتَبَّعَ اللهُ عَورَتَهُ، وَمَن تَتَبَّعَ عَورَتَهُ يَفضَحهُ فِي بَيتِهِ». [صحيح الترغيب (٢٣٤٠)]

آخِرُ الكِتَابِ، وَالحَمدُ للهِ وَحدَهُ.

وَكَانَ الفَرَاغُ مِنهُ فِي يَومِ الأربعَاءِ ثَانِيَ عَشرَ مِن شَهرِ المُحَرَّمِ الحَرَامِ، افتِتَاحِ سَنَةَ أربَعَةٍ وَثَمَانِينَ وَأَلفٍ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّم تَسلِيمًا كَثِيرًا دَائِمًا إِلَىٰ يَومِ الدِّينِ، آمِين آمِين آمِين.

❊ ❊ ❊

(٢٢) شرح السنة للمزني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَخْبَرَنَا الفَقِيهُ الإِمَامُ: شَمْسُ الدِّينِ، أَبُو العِزِّ، يُوسُفُ بنُ عُمَرَ بنِ أَبِي نَصْرٍ الهَكَّارِيُّ فِي شَهْرِ صَفَرٍ، سَنَةَ سِتَّ عَشرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الشَّيخُ الإِمَامُ الحَافِظُ الثِّقَةُ بَقِيَّةُ السَّلَفِ: أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُثْمَانَ بنِ عِيسَىٰ بنِ دِرْبَاسٍ المَارَانِيُّ، مِنْ لَفْظِهِ، بِالمُوصِلِ، فِي تَاسِعَ عَشَرَ مِنْ جُمَادَىٰ الأُولَىٰ، سَنَةَ إِحدَىٰ عَشرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ، قَالَ: أَخبَرَنَا الشَّيخُ الصَّالِحُ العَالِمُ: أَبُو عَبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ أَحمَدَ بنِ حَمْدِ بنِ مُفَرِّجِ بنِ غَيَّاثٍ، الأَرتَاحِيُّ، بِقِرَاءَتِي عَلَيهِ، بِفُسطَاطِ مِصرَ، قَالَ: أَخبَرَنَا الشَّيخُ المُسنَدُ العَالِمُ: أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ الحُسَينِ بنِ عُمَرَ المُوصَلِيُّ الفَرَّاءُ، فِيمَا أَذِنَ فِيهِ لِي.

ح: قَالَ الشَّيخُ إِبرَاهِيمُ بنُ عُثمَانَ.

وَأَخبَرَنَا الشَّيخُ الإِمَامُ الفَقِيهُ الحَافِظُ: أَبُو طَاهِرٍ، أَحمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ أَحمَدَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ إِبرَاهِيمَ بنِ سِلَفَةَ، الأَصبَهَانِيُّ، السِّلَفِيُّ فِي كِتَابِهِ إِلَينَا مِنَ الإِسكَندَرِيَّةِ، فِي رَبِيعٍ الآخِرِ سَنَةَ أَربَعٍ وَسَبعِينَ وَخَمسِمِائَةٍ، قَالَ: أَخبَرَنَا الشَّرِيفُ أَبو مُحَمَّدٍ عَبدُ المَلِكِ بنُ الحَسَنِ بنِ بِتِنَّةَ، الأَنصَارِيُّ بِمَكَّةَ، بِقِرَاءَتِي عَلَيهِ، فِي سَنَةِ تِسعٍ وَتِسعِينَ وَأَربَعِمِائَةٍ، قَالَا: أَخبَرَنَا أَبُو عَبدِ اللهِ الحُسَينُ بنُ عَلِيٍّ النَّسَوِيُّ الفَقِيهُ -قَدِمَ عَلَينَا مَكَّةَ-، أَخبَرَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ إِسمَاعِيلُ بنُ رَجَاءَ بنِ سَعِيدٍ، العَسقَلَانِيُّ، بِعَسقَلَانَ، أَخبَرَنِي أَبُو الحُسَينِ مُحَمَّدُ بنُ أَحمَدَ بنِ عَبدِ الرَّحمَنِ المَلطِيُّ، وَأَبُو أَحمَدَ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَبدِ الرَّحِيمِ القَيسَرَانِيُّ، قَالَا: أَخبَرَنَا أَحمَدُ بنُ بَكرٍ اليَازُورِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي الحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ اليَازُورِيُّ الفَقِيهُ، حَدَّثَنِي عَلِيُّ بنُ عَبدِ اللهِ الحُلوَانِيُّ، قَالَ: كُنتُ بِطَرَابُلسِ المَغرِبِ، فَذَكَرتُ أَنَا وَأَصحَابٌ لَنَا السُّنَّةَ، إِلَىٰ أَن

ذَكَرنَا المُزَنِيَّ رَحِمَهُ اللهُ، فَقَالَ بَعضُ أصحَابِنَا: بَلَغَنِي أنَّه يَتَكَلَّمُ فِي القُرآنِ وَيَقِفُ عِندَهُ، وَذَكَرَ آخَرُ أنَّهُ يَقُولُهُ، إلَىٰ أنِ اجتَمَعَ مَعَنَا قَومٌ أُخَرُ، فَغَمَّ النَّاسَ ذَلِكَ غَمًّا شَدِيدًا، فَكَتَبنَا إلَيهِ كِتَابًا نُرِيدُ أن نَستَعلِمُ مِنهُ؛ فَكَتَبَ إلَينَا «شَرح السُّنَّة» فِي القَدَرِ وَالإرجَاءِ وَالقُرآنِ وَالبَعثِ وَالنُّشُورِ وَالمَوَازِينِ وَفِي النَّظَرِ، فَكَتَبَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَصَمَنَا اللهُ وَإيَّاكُم بِالتَّقوَىٰ، وَوَفَّقَنَا وَإيَّاكُم لِمُوَافَقَةِ الهُدَىٰ.

أمَّا بَعدُ:

فَإنَّكَ -أصلَحَكَ اللهُ- سَألتَنِي أن أُوضِحَ لَكَ مِنَ السُّنَّةِ أمرًا تُصَبِّرُ نَفسَكَ عَلَىٰ التَّمَسُّكِ بِهِ، وَتَدرَأُ بِهِ عَنكَ شُبَهَ الأقَاوِيلِ، وَزَيغَ مُحدَثَاتِ الضَّالِّينَ، وَقَد شَرَحتُ لَكَ مِنهَاجًا مُوضِحًا لَم آلُ نَفسِي وَإيَّاكَ فِيهِ نُصحًا، بَدَأتُ فِيهِ بِحَمدِ اللهِ ذِي الرُّشدِ السَّدِيدِ.

الحَمدُ للهِ أحَقُّ مَن ذُكِرَ، وَأولَىٰ مَن شُكِرَ، وَعَلَيهِ أُثنِيَ.

١ - الوَاحِدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَيسَ لَهُ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، جَلَّ عَنِ المَثِيلِ، فَلَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا عَدِيلَ، السَّمِيعُ البَصِيرُ، العَلِيمُ الخَبِيرُ، المَنِيعُ الرَّفِيعُ.

٢ - عَالٍ عَلَىٰ عَرشِهِ، وَهُوَ دَانٍ بِعِلمِهِ مِن خَلقِهِ.

٣ - أحَاطَ عِلمُهُ بِالأُمُورِ، وَأنفَذَ فِي خَلقِهِ سَابِقَ المَقدُورِ، ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

فَالخَلقُ عَامِلُونَ بِسَابِقِ عِلمِهِ، وَنَافِذُونَ لِمَا خَلَقَهُم لَهُ مِن خَيرٍ وَشَرٍّ. لَا يَملِكُونَ لأنفُسِهِم مِنَ الطَّاعَةِ نَفعًا، وَلَا يَجِدُونَ إلَىٰ صَرفِ المَعصِيَةِ عَنهَا دَفعًا، خَلَقَ الخَلقَ بِمَشِيئَتِهِ مِن غَيرِ حَاجَةٍ كَانَت بِهِ.

٤ - وَخَلَقَ المَلَائِكَةَ جَمِيعًا لِطَاعَتِهِ، وَجَبَلَهُم عَلَىٰ عِبَادَتِهِ؛ فَمِنهُم مَلَائِكَةٌ بِقُدرَتِهِ لِلعَرشِ حَامِلُونَ، وَطَائِفَةٌ مِنهُم حَولَ عَرشِهِ يُسَبِّحُونَ، وَآخَرُونَ بِحَمدِهِ يُقَدِّسُونَ،

وَاصطَفَىٰ مِنهُم رُسُلًا إِلَىٰ رُسُلِهِ، وَبَعض مُدَبِّرونَ لأمرِهِ.

٥- ثُمَّ خلَقَ آدمَ بِيَدِهِ، وَأسكَنَهُ جَنَّتَهُ، وَقَبلَ ذَلِكَ لِلأرضِ خلقَهُ، وَنَهَاهُ عَنِ شَجَرَةٍ قَد نَفَذَ قَضَاؤُهُ عَلَيهِ بِأكلِهَا، ثُمَّ ابتَلاهُ بِمَا نَهَاهُ عَنهُ مِنهَا، ثُمَّ سَلَّطَ عَلَيهِ عَدُوَّهُ فَأغوَاهُ عَلَيهَا، وَجَعَلَ أَكلَهُ لَهَا إِلَىٰ الأرضِ سَبَبًا، فَمَا وَجَدَ إِلَىٰ تَركِ أكلِهَا سَبِيلًا، وَلَا عَنهُ لَهَا مَذهَبًا.

٦- ثُمَّ خَلَقَ لِلجَنَّةِ مِن ذُرِّيَّتِهِ أهلًا؛ فَهُم بِأعمَالِهَا بِمَشِيئَتِهِ عَامِلُونَ، وَبِقُدرَتِهِ وَبِإِرَادَتِهِ يَنفُذُونَ.

وَخلَقَ مِن ذُرِّيَّتِهِ لِلنَّارِ أهلًا، فَخَلَقَ لَهُم أَعيُنًا لَا يُبصِرُونَ بِهَا، وَآذَانًا لَا يَسمَعُونَ بِهَا، وَقُلُوبًا لَا يَفقَهُونَ بِهَا، فَهُم بِذَلِكَ عَنِ الهُدَىٰ مَحجُوبُونَ، وَبِأعمَالِ أهلِ النَّارِ بِسَابِقِ قَدَرِهِ يَعمَلُونَ.

٧- وَالإِيمَانُ قَولٌ وَعَمَلٌ، وَهُمَا سِيَّانِ وَنِظَامَانِ وَقَرِينَانِ، لَا نُفَرِّقُ بَينَهُمَا، لَا إِيمَانَ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا عَمَلَ إِلَّا بِإِيمَانٍ.

وَالمُؤمِنُونَ فِي الإِيمَانِ يَتَفَاضَلُونَ، وَبِصَالِحِ الأعمَالِ هُم مُتَزَايِدُونَ، وَلَا يَخرُجُونَ بِالذُّنُوبِ مِنَ الإِيمَانِ، وَلَا يُكفَّرونَ بِرُكُوبِ كَبِيرَةٍ وَلَا عِصيَانٍ، وَلَا نُوجِبُ لِمُحسِنِهِم الجِنَانَ بَعدَ مَن أوجَبَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَلَا نَشهَدُ عَلَىٰ مُسِيئِهِم بِالنَّارِ.

٨- وَالقُرآنُ كَلَامُ اللهِ ﷻ، وَمِن لَدُنهُ، وَلَيسَ بِمَخلُوقٍ فَيَبِيدُ.

٩- وَكَلِمَاتُ اللهِ، وَقُدرَةُ اللهِ، وَنَعتُهُ وَصِفَاتُهُ، كَامِلَاتٌ غَيرُ مَخلُوقَاتٍ، دَائِمَاتٌ أَزَلِيَّاتٌ، وَلَيسَت بِمُحدَثَاتٍ فَتَبِيدُ، وَلَا كَانَ رَبُّنَا نَاقِصًا فَيَزِيدُ.

جَلَّت صِفَاتُهُ عَن شَبَهِ صِفَاتِ المَخلُوقِينَ، وَقَصُرَت عَنهُ فِطَنُ الوَاصِفِينَ، قَرِيبٌ بِالإِجَابَةِ عِندَ السُّؤَالِ، بَعِيدٌ بِالتَّعَزُّزِ لَا يُنَالُ، عَالٍ عَلَىٰ عَرشِهِ، بَائِنٌ مِن خَلقِهِ، مَوجُودٌ وَلَيسَ بِمَعدُومٍ وَلَا بِمَفقُودٍ.

١٠- وَالخَلقُ مَيِّتُونَ بِآجَالِهِم، عِندَ نَفَادِ أرزَاقِهِم، وَانقِطَاعِ آثَارِهِم.

١١- ثُمَّ هُم بَعدَ الضَّغطَةِ فِي القُبُورِ مُسَاءَلُونَ.

١٢ - وَبَعدَ البِلَىٰ مَنشُورُونَ، وَيَومَ القِيَامَةِ إِلَىٰ رَبِّهِم مَحشُورُونَ، وَلَدَىٰ العَرضِ عَلَيهِ مُحَاسَبُونَ، بِحَضرَةِ المَوَازِينِ، وَنَشرِ صُحُفِ الدَّوَاوِينِ، أحصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ، ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:٤]، لَو كَانَ غَيرُ اللهِ ﷻ الحَاكِمَ بَينَ خَلقِهِ؛ لَكِنَّهُ اللهُ يَلِي الحُكمَ بَينَهُم بِعَدلِهِ بِمِقدَارِ القَائِلَةِ فِي الدُّنيَا، ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام:٦٢]، كَمَا بَدَأَهُ لَهُم مِن شَقَاوَةٍ وَسَعَادَةٍ يَومَئِذٍ يَعُودُونَ، ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى:٧].

١٣ - وَأَهلُ الجَنَّةِ يَومَئِذٍ فِي الجَنَّةِ يَتَنَعَّمُونَ، وَبِصُنُوفِ اللَّذَّاتِ يَتلَذَّذُونَ، وَبِأَفضَلِ الكَرَامَاتِ يُحبَرُونَ.

١٤ - فَهُم حِينَئِذٍ إِلَىٰ رَبِّهِم يَنظُرُونَ، لَا يُمَارُونَ فِي النَّظَرِ إِلَيهِ وَلَا يَشُكُّونَ، فَوُجُوهُهُم بِكَرَامَتِهِ نَاضِرَةٌ، وَأَعيُنُهُم بِفَضلِهِ إِلَيهِ نَاظِرَةٌ، فِي نَعِيمٍ دَائِمٍ مُقِيمٍ ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨]. ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد:٣٥].

وَأَهلُ الجَحدِ عَن رَبِّهِم يَومَئِذٍ مَحجُوبُونَ، وَفِي النَّارِ يُسجَرُونَ ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [المائدة:٨٠]، ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر:٣٦]. خَلَا مَن شَاءَ اللهُ مِنَ المُوَحِّدِينَ إِخرَاجَهُم مِنهَا.

١٥ - وَالطَّاعَةُ لِأُولِي الأَمرِ فِيمَا كَانَ عِندَ اللهِ ﷻ مَرضِيًّا، وَاجتِنَابُ مَا كَانَ عِندَ اللهِ مُسخِطًا.

وَتَركُ الخُرُوجِ عِندَ تَعَدِّيهِم وَجَورِهِم، وَالتَّوبَةُ إِلَىٰ اللهِ ﷻ كَيمَا يَعطِفُ بِهِم عَلَىٰ رَعِيَّتِهِم.

١٦ - وَالإِمسَاكُ عَن تَكفِيرِ أَهلِ القِبلَةِ، وَالبَرَاءَةُ مِنهُم فِيمَا أَحدَثُوا مَا لَم يَبتَدِعُوا ضَلَالًا، فَمَنِ ابتَدَعَ مِنهُم ضَلَالًا، كَانَ عَلَىٰ أَهلِ القِبلَةِ خَارِجًا، وَمِنَ الدِّينِ مَارِقًا، وَيُتَقَرَّبُ إِلَىٰ اللهِ ﷻ بِالبَرَاءَةِ مِنهُ، وَيُهجَرُ وَيُحتَقَرُ، وَتُجتَنَبُ غُدَّتُهُ، فَهِيَ أَعدَىٰ مِن غُدَّةِ الجَرَبِ.

١٧ - وَيُقَالُ بِفَضلِ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَبِي بَكرِ الصِّدِّيقِ ﷺ؛ فَهُوَ أَفضَلُ الخَلقِ وَأَخيَرُهُم بَعدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَنُثَنِّي بَعدَهُ بِالفَارُوقِ، وَهُوَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ ﷺ؛ فَهُمَا وَزِيرَا رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَضَجِيعَاهُ فِي قَبرِهِ، وَنُثَلِّثُ بِذِي النُّورَينِ عُثمَانَ بنِ عَفَّانَ ﷺ، ثُمَّ بِذِي الفَضلِ وَالتُّقَىٰ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنهُم أَجمَعِينَ-.

ثُمَّ البَاقِينَ مِنَ العَشَرَةِ الَّذِينَ أَوجَبَ لَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ الجَنَّةَ، وَنَخلِصُ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنهُم مِنَ المَحَبَّةِ بِقَدرِ الَّذِي أَوجَبَ لَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ التَّفضِيلِ، ثُمَّ لِسَائِرِ أَصحَابِهِ مِن بَعدِهِم -رَضِيَ اللهُ عَنهُم أَجمَعِينَ-.

وَيُقَالُ بِفَضلِهِم، وَيُذكَرُونَ بِمَحَاسِنِ أَفعَالِهِم، وَنُمسِكُ عَنِ الخَوضِ فِيمَا شَجَرَ بَينَهُم، فَهُم خِيَارُ أَهلِ الأَرضِ بَعدَ نَبِيِّهِم، ارتَضَاهُمُ اللهُ ﷻ لِنَبِيِّهِ، وَجَعَلَهُم أَنصَارًا لِدِينِهِ، فَهُم أَئِمَّةُ الدِّينِ، وَأَعلَامُ المُسلِمِينَ، رَضِيَ اللهُ عَنهُم أَجمَعِينَ.

١٨ - وَلَا نَترُكُ حُضُورَ الجُمُعَةِ، وَصَلَاةٌ مَعَ بَرِّ هَذِهِ الأُمَّةِ وَفَاجِرِهَا لَازِمٌ، مَا كَانَ مِنَ البِدعَةِ بَرِيئًا، فَإِنِ ابتَدَعَ ضَلَالًا فَلَا صَلَاةَ خَلفَهُ، وَالجِهَادُ مَعَ كُلِّ إِمَامٍ عَدلٍ أَو جَائِرٍ، وَالحَجُّ.

١٩ - وَقَصرُ الصَّلَاةِ فِي الأَسفَارِ، وَالاختِيَارُ فِيهِ بَينَ الصِّيَامِ وَالإِفطَارِ فِي الأَسفَارِ إِن شَاءَ صَامَ، وَإِن شَاءَ أَفطَرَ.

٢٠ - هَذِهِ مَقَالَاتٌ وَأَفعَالٌ اجتَمَعَ عَلَيهَا المَاضُونَ الأَوَّلُونَ مِن أَئِمَّةِ الهُدَىٰ، وَبِتَوفِيقِ اللهِ اعتَصَمَ بِهَا التَّابِعُونَ قُدوَةً وَرِضًا، وَجَانَبُوا التَّكَلُّفَ فِيمَا كُفُوا، فَسُدِّدُوا -بِعَونِ اللهِ- وَوُفِّقُوا، لَم يَرغَبُوا عَنِ الاتِّبَاعِ فَيُقَصِّرُوا، وَلَم يُجَاوِزُوهُ تَزَيُّدًا فَيَعتَدُوا، فَنَحنُ بِاللهِ وَاثِقُونَ، وَعَلَيهِ مُتَوَكِّلُونَ، وَإِلَيهِ فِي اتِّبَاعِ آثَارِهِم رَاغِبُونَ.

٢١ - فَهَذَا «شَرحُ السُّنَّةِ» تَحَرَّيتُ كَشفَهَا، وَأَوضَحتُهَا؛ فَمَن وَفَّقَهُ اللهُ لِلقِيَامِ بِمَا أَبَنتُه مَعَ مَعُونَتِهِ لَهُ بِالقِيَامِ عَلَىٰ أَدَاءِ فَرَائِضِهِ بِالاحتِيَاطِ فِي النَّجَاسَاتِ، وَإِسبَاغِ الطَّهَارَةِ عَلَىٰ الطَّاعَاتِ، وَأَدَاءِ الصَّلَوَاتِ عَلَىٰ الاستِطَاعَاتِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ عَلَىٰ أَهلِ الجِدَاتِ، وَالحَجِّ عَلَىٰ أَهلِ الجِدَةِ وَالاستِطَاعَاتِ، وَصِيَامِ الشَّهرِ لِأَهلِ الصِّحَّاتِ، وَخَمسُ صَلَوَاتٍ سَنَّهَا

رَسُولُ اللهِ ﷺ: صَلَاةَ الوترِ فِي كُلِّ لَيلَةٍ، وَرَكعَتَا الفَجرِ، وَصَلَاةَ الفِطرِ وَالنَّحرِ، وَصَلَاةَ كُسُوفِ الشَّمسِ وَالقَمَرِ إذَا نَزَلَ، وَصَلَاةَ الاستِسقَاءِ مَتَىٰ وَجَبَ.

٢٢- وَاجتِنَابُ المَحَارِمِ، وَالاحتِرَازُ مِنَ النَّمِيمَةِ، وَالكَذِبِ، وَالغِيبَةِ، وَالبَغي بِغَيرِ الحَقِّ، وَأن يُقَالَ عَلَىٰ اللهِ مَا لَا يُعلَمُ، كُلُّ هَذَا كَبَائِرُ مُحَرَّمَاتٌ.

وَالتَّحَرِّي فِي المَكَاسِبِ، وَالمَطَاعِمِ، وَالمَحَارِمِ، وَالمَشَارِبِ، وَالمَلَابِسِ، وَاجتِنَابِ الشَّهَوَاتِ، فَإِنَّهَا دَاعِيَةٌ لِرُكُوبِ المُحَرَّمَاتِ؛ فَمَن رَعَىٰ حَولَ الحِمَىٰ؛ فَإِنَّهُ يُوشِكُ أن يَقَعَ فِي الحِمَىٰ.

فَمَن يُسِّرَ لِهَذَا فَإِنَّهُ مِنَ الدِّينِ عَلَىٰ هُدًىٰ، وَمِنَ الرَّحمَةِ عَلَىٰ رَجَاءٍ.

وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ إِلَىٰ سَبِيلِهِ الأقوَمِ، بِمَنِّهِ الجَزِيلِ الأقدَمِ، وَجَلَالِهِ العَلِيِّ الأكرَمِ.

وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَن قَرَأ عَلَينَا السَّلَامَ، وَلَا يَنَالُ سَلَامُ اللهِ الضَّالِّينَ.

وَالحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

نُجِزَت الرِّسَالَةُ بِحَمدِ اللهِ وَمَنِّهِ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأصحَابِهِ وَأزوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ، وَسَلَّم كَثِيرًا كَثِيرًا.

❊ ❊ ❊

(٢٣) تطهير الجنان والأركان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ القَائِل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣]، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَفضَلِ دَاعٍ إِلَىٰ التَّوحِيدِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُم بِإِحسَانٍ إِلَىٰ يَومِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعدُ:

فَلَا يَخفَىٰ أَنَّ عِلمَ التَّوحِيدِ هُو أَفضَلُ العُلُومِ عَلَىٰ الإِطلَاقِ؛ إِذ هُو الَّذِي مِن أَجلِهِ بَعَثَ الله الرُّسُلَ وَأَنزَلَ الكُتُبَ، وَأَنَّهُ خُلَاصَةُ دَعوَةِ الأَنبِيَاءِ وَزُبدَةُ رِسَالَةِ المُرسَلِينَ.

هَذَا وَقَد كُنتُ كَتَبتُ -فِيمَا سَلَفَ- رِسَالَةً وَجِيزَةً وَسَمَّيتُهَا: «تَطهِيرُ الجَنَانِ عَن دَرَنِ الشِّركِ وَالكُفرَانِ»، وَهِي عَلَىٰ صِغَرِ حَجمِهَا قَد حَوَت أَنوَاعَ التَّوحِيدِ الثَّلَاثَةِ، وَبَرهَنَت بِالأَدِلَّةِ النَّقلِيَّةِ وَالعَقلِيَّةِ عَلَىٰ تَأيِيدِ مُحتَوَيَاتِهَا، كَمَا احتَوَت عَلَىٰ دَحضِ الشُّبُهَاتِ الَّتِي يُورِدُهَا المُبتَدِعُونَ.

وَقَد طُبِعَت -وَلله الحَمدُ- مَرَّاتٍ عَدِيدَةً فِي قَطَر وَالكويت وَفِي مِصرَ، وَحَصَلَ عَلَيهَا -ولله الحَمدُ- إِقبَالٌ مِن القُرَّاءِ، وَلَمَّا نَفِدَتِ الطَّبعَاتُ السَّابِقَةُ رَغِبَ فَضِيلَةُ الشَّيخ عبد الله الأنصَارِي فِي إِعَادَةِ طَبعِهَا، وَهُو مِن أَكبَرِ الدُّعَاةِ إِلَىٰ دِينِ الله وَإِرشَادِ النَّاسِ إِلَىٰ الطَّرِيقِ المُستَقِيمِ، وَقَد كَثَّفَ جُهُودَهُ -جَزَاهُ الله خَيرًا عَلَىٰ نَشرِ العِلْمِ بِمُختَلَفِ طُرُقِهِ؛ مِن إِرشَادٍ وَوَعظٍ وَتَألِيفٍ وَنَشرِ الكُتُبِ العِلمِيَّةِ مِن مُختَلَفِ العُلُومِ وَتَوزِيعِهَا عَلَىٰ المُستَحِقِّينَ وَإِرسَالِهَا إِلَىٰ كَثِيرٍ مِنَ الأمصَارِ لِأَهلِ العِلمِ وَالكُلِّيَّاتِ وَالجَامِعَاتِ وَالمَدَارِسِ، فَلَهُ فِي هَذَا المَجَالِ البَاعُ الطَّوِيلُ، وَيَرجِعُ الفَضلُ أَوَّلًا لله ﷻ ثُمَّ إِلَىٰ سُمو أَمِير البِلَادِ -حَفِظَهُ الله-

الشَّيخ خَلِيفَة بن حَمَد آل ثاني، فَإِنَّهُ يَبذُلُ فِي هَذَا السَّبِيلِ الأموَالَ الطَّائِلَةَ.

فَوَافقتُ عَلَىٰ هَذَا المَرَامِ لِنَفعِ الخَاصِّ وَالعَامِّ، رَاجِيًا المَثُوبَةَ مِن رَبِّ العَالَمِينَ فِي يَوم لَا يَنفَعُ فِيهِ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَن أَتَىٰ اللهَ بِقَلبٍ سَلِيمٍ، وَمَا زِدتُ فِيهَا مِنَ الطَّبَعَاتِ السَّابِقَةِ إِلَّا فِي مَوضِعَينِ:

الأَوَّلُ: نَوَاقِضُ الإِسلَامِ بَعدَ أَن ذَكَرتُ شُرُوطَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

الثَّانِي: تَعلِيقٌ عَلَىٰ حَيَاةِ الأَنبِيَاءِ وَالشُّهَدَاءِ وَتَفنِيدُ شُبه المُحتَجِّينَ عَلَىٰ سَمَاعِ الأَموَاتِ وَتَصَرفَاتِهِم بَعدَ المَمَاتِ.

وَالحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجمَعِينَ.

أحمد بن حجر بوطامي آل ابن علي

قاضي المحكمة الشرعية الأولىٰ بدولة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

خُطبةُ الكتَاب

الحَمدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَنَا بِالعِبَادَةِ، وَبِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَوَعَدَنَا بِالحُسنَىٰ مَعَ الزِّيَادَةِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، البَالِغِ مُنتَهَىٰ الشَّرَفِ وَالسِّيَادَةِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصحَابِهِ الَّذِينَ مَنَحَهُمُ اللهُ العِزَّةَ وَالسَّعَادَةَ.

أَمَّا بَعدُ:

فَلَا زَالَ الإِسلَامُ مُنذُ أَن طَلَعَ فَجرُهُ مُحَارَبًا، حُورِبَ مِن قُرَيشٍ وَسَائِرِ مُشرِكِي العَرَبِ، وَمِنَ اليَهُودِ وَالفُرسِ وَالرُّومِ وَالتَّترِ وَالصَّلِيبِيِّينَ، وَكَتَبَ اللهُ النَّصرَ المُؤَزَّرَ لِلإِسلَامِ وَالمُسلِمِينَ، وَأَذَلَّ اللهُ المُشرِكِينَ وَالكَافِرِينَ، وَلَكِنَّ الأَعدَاءَ -وَإِن خَذَلَهُمُ اللهُ- مَا فَتِئُوا يَحِيكُونَ المُؤَامَرَاتِ وَالدَّسَائِسَ، وَيَبُثُّونَ دِعَايَاتِهِمُ الضَّالَّةَ ضِدَّ الإِسلَامِ وَالمُسلِمِينَ، فَتَعَدَّدَت مَقَالَاتُهُم، وَتَنَوَّعَت مَذَاهِبُهُم، وَانتَسَبَ كَثِيرٌ مِنهُم إِلَىٰ الإِسلَامِ؛ لِأَجلِ أَن تَرُوجَ عَقَائِدُهُم وَيَتِمَّ لَهُمُ القَضَاءُ عَلَىٰ الإِسلَامِ -لَا سَمَحَ اللهُ-.

وَمِن أَشَدِّهَا فَتكًا، وَأَخبَثِهَا مَكرًا، وَأَكثَرِهَا رَوَاجًا: دِعَايَةُ المُخَرِّفِينَ وَالقُبُورِيِّينَ وَالصُّوفِيَّةِ المُبطِلِينَ[1] الَّذِينَ لَم يَدَّخِرُوا وُسعًا فِي نَشرِ البِدَعِ وَالضَّلَالَاتِ بِاسمِ الدِّينِ،

---

(١) لَا المُحِقِّينَ؛ لِأَنَّ الصُّوفِيَّةَ قِسمَانِ: قِسمٌ مُحِقُّونَ، وَهُمُ الَّذِينَ تَقَيَّدُوا بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلَم يَتَجَاوَزُوهُمَا، وَكُلُّ مَا فِي الأَمرِ أَنَّهُم غَلَّبُوا جَانِبَ الآخِرَةِ عَلَىٰ الدُّنيَا، كَالجِيلَانِي وَالجُنَيد وَسَهل التستري وَأَمثَالِهِم.

وَصُوفِيَّةٌ مُبطِلُونَ: وَهُمُ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَيَتَعَدَّونَ حُدُودَهُمَا، وَيَأتُونَ بِعَقَائِدَ مَا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلطَانٍ، وَبِأَعمَالٍ مُختَرَعَةٍ يَبرَأُ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ المُطَهَّرَةُ مِنهَا؛ كَاعتِقَادِهِم بِوَحدَةِ الوُجُودِ، وَاختِرَاعِهِم أَذكَارًا وَاحتِفَالَاتٍ يَمتَزِجُ فِيهَا الذِّكرُ بِالرَّقصِ، وَيَختَلِطُ فِيهَا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، وَتُدَقُّ فِيهَا الطُّبُولُ، وَتُنشَرُ فِيهَا الأَعلَامُ، وَيَأتُونَ بِمَخَارِيقَ، كَضَربِ أَنفُسِهِم بِالسِّكِّينِ وَالخِنجَرِ وَأَكلِ

وَالدِّينُ مِنهَا بَرِيءٌ.

كَمَا دَعَوا إِلَىٰ عِبَادَةِ القُبُورِ وَحَسَّنُوهَا لِلجَمَاهِيرِ بِشَتَّىٰ الأَسَالِيبِ، مِن بِنَاءِ القِبَابِ وَالأضرِحَةِ عَلَيهَا وَتَزوِيقِهَا، وَوَضعِ السُّتُورِ النَّفِيسَةِ عَلَيهَا لِجَذبِ النَّاظِرِينَ وَالزَّائِرِينَ إِلَيهَا، وأَن تَكُونَ تِلكَ القِبَابُ مَحَلَّ الدَّهشَةِ وَالإِعجَابِ، وَجَعَلُوا السَّدَنَةَ حَولَهَا لِيَطُوفُوا بِالزَّائِرِينَ حَولَ الضَّرِيحِ، وَيُعَلِّمُوهُم كَيفَ يَدعُونَ الأَولِيَاءَ، وَيُنزِلُونَ بِهِم حَاجَاتِهِم.

وَمِنَ اختِرَاعِ حِكَايَاتٍ سَمِجَةٍ عَنِ القُبُورِ، وَكَرَامَاتٍ مُختَلَقَةٍ لَا تَمُتُّ إِلَىٰ الصِّحَّةِ بِنَصِيبٍ، وَمِن إِنشَادِ قَصَائِدَ تَطفَحُ بِالاستِغَاثَاتِ وَالنِّدَاءَاتِ الَّتِي لَا تَصلُحُ إِلَّا لِخَالِقِ الأَرضِ وَالسَّمَوَاتِ.

وَمِن تَألِيفِ كُتُبٍ تَدعُو إِلَىٰ عِبَادَةِ الأَنبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، سُبِكَت فِي قَالَبِ حُبِّ الأَنبِيَاءِ وَالأَولِيَاءِ، وَأَنَّهُم هُمُ الشُّفَعَاءُ لَنَا عِندَ اللهِ، وَالوَاسِطَةُ بَينَنَا وَبَينَهُ تَعَالَىٰ. وَيُعَزِّزُونَ كَلَامَهُم بِحِكَايَاتٍ عَنِ الصَّالِحِينَ لَيسَ لَهَا حَظٌّ مِنَ الصِّدقِ، وَبِأَحَادِيثَ مَوضُوعَةٍ، كَحَدِيثِ: «لَوِ اعتَقَدتُم بِحَجَرٍ لَنَفَعَكُم»[1] [قال ابن القيم في «المنار المنيف» (ص١٣٩): «هو من وضع المشركين عبَّاد الأوثان»]، وَبِأَقيِسَةٍ فَاسِدَةٍ، وَبِمَا لَا يَدُلُّ عَلَىٰ مَطلَبِهِم مِن آيَةٍ أَو حَدِيثٍ صَحِيحٍ كَمَا سَتَرَىٰ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ.

وَعَمَّ هَذَا الدَّاءُ الوَبِيلُ سَائِرَ الأَقطَارِ الإِسلَامِيَّةِ، وَلَم يَسلَم مِنهُ إِلَّا القَلِيلُ مِن عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ وَالعُلَمَاءِ العَامِلِينَ الَّذِينَ عَرَفُوا التَّوحِيدَ الَّذِي جَاءَ بِهِ الأَنبِيَاءُ وَالمُرسَلُونَ، وَبَعضُ الأَقطَارِ الإِسلَامِيَّةِ؛ كَالمَملَكَةِ العَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ؛ بِفَضلِ دَعوَةِ عُلَمَائِهَا المُخلِصِينَ وَمُلُوكِهَا المُهتَدِينَ.

=

النَّارِ! اللَّهُمَّ اهدِ عِبَادَكَ إِلَىٰ الصِّرَاطِ المُستَقِيمِ.

(١) هَذَا الحَدِيثُ صَرِيحٌ فِي الوَثَنِيَّةِ المَحضَةِ، يُنَادِي عَلَىٰ قَائِلِهِ بِأَنَّهُ مِن أَشَدِّ أَعدَاءِ الإِسلَامِ، وَمِنَ الدُّعَاةِ إِلَىٰ عِبَادَةِ الأَحجَارِ وَالأَوثَانِ وَالأَصنَامِ! فَكَيفَ يَرُوجُ مِثلُ هَذَا الحَدِيثِ عَلَىٰ أُنَاسٍ يَزعُمُونَ أَنَّهُم مِنَ العُلَمَاءِ!

فَنَتَج مِن جرَّاءِ تِلك الدَّعَايَاتِ الضَّالَّةِ المُضَلِّلَةِ الَّتِي قَامَ بِهَا وَنَشِطَ لَهَا المُبَشِّرُونَ بِالضَّلَالِ وَعِبَادَةِ غَيرِ ذِي الجَلَالِ أَنِ انخَدَعَ بِهَا الأَكثَرُونَ، وَانصَرَفُوا عَن تَوحِيدِ الإِلَهِ العَظِيمِ خَالِقِ الأَنَامِ، وَتَحَمَّسُوا لَهَا، وَأَخَذُوا يَتَقَرَّبُونَ إِلَىٰ قُبُورِ الأَنبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَتَجَاوَزَ الأَمرُ حَتَّىٰ تَقَرَّبُوا إِلَىٰ الأَشجَارِ وَالغِيرَانِ المَنسُوبَةِ إِلَيهِم بِأَنوَاعِ النُّذُورِ، وَدُعَائِهِم لِكَشفِ ضُرٍّ نَزَلَ بِهِم، أَو طَلَبِ وَلَدٍ أَو رِزقٍ أَو وَظِيفَةٍ أَو مَطَرٍ، مِمَّا لَيسَ فِي قُدرَةِ أَحَدٍ إِلَّا رَبُّ العَالَمِينَ!

وَطَافُوا بِقُبُورِهِم كَمَا يُطَافُ بِالكَعبَةِ المُعَظَّمَةِ، وَشَدُّوا الرِّحَالَ إِلَيهِم مِنَ الأَمَاكِنِ الشَّاسِعَةِ بِقَصدِ الحَجِّ لِتِلكَ المَزَارَاتِ البِدعِيَّةِ، وَأَوقَفُوا الأَموَالَ الطَّائِلَةَ عَلَىٰ تِلكَ الأَضرِحَةِ المُقَدَّسَةِ عِندَهُم، حَتَّىٰ إِنَّهُ قَد تَجتَمِعُ فِي خَزَائِنِ بَعضِ المَقبُورِينَ أَموَالٌ تُعَدُّ بِالمَلَايِينِ.

وَرَحِمَ اللهُ شَاعِرَ النِّيلِ «حَافِظ إِبرَاهِيم» حَيثُ قَالَ:

أَحيَاؤُنَا لَا يُرزَقُونَ بِدِرهَمٍ ... وَبِأَلفِ أَلفٍ تُرزَقُ الأَموَاتُ

مَن لِي بِحَظِّ النَّائِمِينَ بِحُفرَةٍ ... قَامَت عَلَىٰ أَعتَابِهَا الصَّلَوَاتُ

يَسعَىٰ الأَنَامُ لَهَا وَيَجرِي حَولَهَا ... بَحرُ النُّذُورِ وَتُقرَأُ الآيَاتُ

وَيُقَالُ هَذَا البَابُ بَابُ المُصطَفَىٰ ... وَوَسِيلَةٌ تُقضَىٰ بِهَا الحَاجَاتُ

وَإِنَّكَ لَتَجِدُ الزِّحَامَ حَولَ تِلكَ القُبُورِ وَاختِلَاطَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَبُكَاءَ الكَثِيرِينَ وَصُرَاخَهُم وَعَوِيلَهُم وَدَوِيَّ أَدعِيَتِهِم.

كَمَا تَجِدُ كَثِيرًا مِن مُدَّعِي العِلمِ وَمُرَوِّجِي الضَّلَالِ يُحَسِّنُونَ لَهُم تِلكَ الأَعمَالَ. وَيَحُضُّونَهُم عَلَىٰ تِلكَ المُنكَرَاتِ، مِن أَجلِ نَيلِ الحُطَامِ، وَيَأتِي أُولَئِكَ الجُهَّالُ هَذِهِ الشِّركِيَّاتِ وَالبِدَعَ وَالضَّلَالَ، بِاعتِقَادِ أَنَّهَا مِن صَمِيمِ الدِّينِ، وَأَنَّهَا تُقَرِّبُهُم إِلَىٰ رَبِّ العَالَمِينَ؛ لِكَونِهِم مَخدُوعِينَ بِدِعَايَاتِ أَدعِيَاءِ العِلمِ وَرُؤَسَاءِ الضَّلَالِ، وَسَدَنَةِ الضَّرَائِحِ.

وَالوَيلُ كُلُّ الوَيلِ لِمَن أنكَرَ عَلَيهِم وَأَفَادَهُم أَنَّ هَذِهِ الأَعمَالَ لَيسَت مِنَ الدِّينِ بِشَيءٍ؛ بَل تُنَافِيهِ، وَالدِّينُ مِنهَا بَرِيءٌ، وَأَنَّ الوَاجِبَ عَلَيكُمْ أَنِ تُفرِدُوا رَبَّكُم بِهَذِهِ العِبَادَاتِ الَّتِي تَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ الأَموَاتِ، الَّذِينَ لَا يَملِكُونَ لِأَنفُسِهِم نَفعًا وَلَا ضَرًّا وَلَا حَيَاةً وَلَا مَوتًا وَلَا نُشُورًا فَضلًا عَن غَيرِهِم.

وَالعُلَمَاءُ إِزَاءَ هَذِهِ البِدَعِ وَالشِّركِيَّاتِ أَصنَافٌ ثَلَاثَةٌ:

* صِنفٌ يُؤَيِّدُ تِلكَ البِدَعَ وَالخُزَعبَلَاتِ وَيَدعُو إِلَيهَا، وَقَد يَكتُبُ وَيَنشُرُ فِي تَأيِيدِ مَذهَبِهِ، لَاسِيَّمَا إِذَا كَانَت لَهُ مَصلَحَةٌ مَادِّيَّةٌ.

* وَصِنفٌ يَعرِفُ الحَقَّ، وَأَنَّ مَا عَلَيهِ جُمهُورُ النَّاسِ بَاطِلٌ وَضَلَالٌ، لَكِنَّهُ يُسَايِرُ العَامَّةَ وَأَشبَاهَهُم، إِمَّا رَجَاءً، وَإِمَّا رَهبَةً أَو جُبنًا!

* وَصِنفٌ يُنكِرُ ذَلِكَ وَيَدعُو النَّاسَ إِلَىٰ تَركِ تِلكَ المُحدَثَاتِ، وَيُرشِدُهُم إِلَىٰ التَّوحِيدِ وَالتَّمَسُّكِ بِالسُّنَّةِ المُطَهَّرَةِ، وَهَؤُلَاءِ قَلِيلُونَ بِالنِّسْبَةِ لِذَيْنك الصِّنفَيْنِ.

وَبِالرَّغمِ مِن كَثرَةِ المُؤَلَّفَاتِ فِي هَذَا العَصرِ[1] مِنَ المَمَالِكِ العَرَبِيَّةِ وَغَيرِهَا، وَتَنَوُّرِ أَذهَانِ الكَثِيرِينَ، لَكِنَّهُم لَم يَهتَمُّوا بِعِلمِ التَّوحِيدِ، لَاسِيَّمَا تَوحِيدُ الأُلُوهِيَّةِ، وَقَد يَذكُرُ بَعضُهُم فِي ثَنَايَا كِتَابِهِ سَطرًا أَو سُطُورًا يَستَهجِنُ هَذِهِ الأَعمَالَ وَيَقُولُ: لَيسَت مِنَ الإِسلَامِ فِي شَيءٍ، وَلَكِنَّ هَذَا غَيرُ كَافٍ.

وَلِذَا رَأَيتُ أَنَّ الحَاجَةَ مَاسَّةٌ فِي وَضعِ رِسَالَةٍ فِي بَيَانِ أَقسَامِ التَّوحِيدِ، وَبَسطِ الكَلَامِ عَلَىٰ تَوحِيدِ الأُلُوهِيَّةِ مُعَزَّزًا بِالأَدِلَّةِ مِنَ القُرآنِ الكَرِيمِ وَأَحَادِيثِ الرَّسُولِ العَظِيمِ الصَّحِيحَةِ أَوِ الحَسَنَةِ، وَدَفعِ شُبَهِ المُبتَدِعَةِ، لَعَلَّ اللهَ يَنفَعُ بِهَا عِبَادَهُ.

وَلَكِن لِكَثرَةِ الشَّوَاغِلِ لَم يَقوَ العَزمُ حَتَّىٰ شَرَّفَنَا الشَّيخُ عَبدُ الحَمِيدِ البَكرِيُّ السِّيلَانِيُّ،

---

(١) كَتَبَ عُلَمَاءُ الدَّعوَةِ النَّجدِيَّةِ رَسَائِلَ عَدِيدَةً فِي بَيَانِ التَّوحِيدِ وَالشِّركِ، كَمَا كَتَبَ الشَّيخُ الصَّنعَانِيُّ، وَالشَّيخُ صِدِّيق حَسَن خَان، وَنَفَعَ اللهُ بِهَا، وَلَكِن لَم أَجِدهَا بِالنَّحوِ الَّذِي رَأَيتُهُ وَكَتَبتُهُ.

الدَّاعِيَةُ لِتَوحِيدِ اللهِ وَإِفرَادِهِ بِالعِبَادَةِ، وَالتَّمَسُّكِ بِسُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ وَخُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَالمُحَارِبُ لِلبِدَعِ وَالمُحدَثَاتِ وَالزِّيَادَةِ فِي دِينِ الإِسلَامِ.

وَقَد ذَكَرَ لَنَا الأَخُ المَذكُورُ أَنَّهُ يُلَاقِي كَثِيرًا مِنَ العَنَاءِ وَالنَّصَبِ فِي «سِيلَانَ» مِنَ الَّذِينَ يَدعُوهُم إِلَىٰ نَبذِ الخُرَافَاتِ وَالبِدَعِ، وَعِبَادَةِ غَيرِ اللهِ، وَطَلَبَ مِنِّي أَن أُسَجِّلَ لَهُ كَلِمَةً فِي التَّوحِيدِ، فَسَجَّلتُ لَهُ بِالمُسَجِّلِ الَّذِي مَعَهُ.

فَلَمَّا انتَهَيتُ مِنَ الإِلقَاءِ، قَالَ الشَّيخُ عَبدُ الحَمِيدِ: يَحسُنُ أَن تَكتُبَ هَذَا الَّذِي أَلقَيتَهُ، لِيَكُونَ كَرِسَالَةٍ، ثُمَّ تَطبَعَهَا وَتَنشُرَهَا، وَعَلَيَّ بِحَولِ اللهِ وَقُوَّتِهِ أَن أُترجِمَهَا إِلَىٰ اللُّغَةِ السِّيلَانِيَّةِ والمَلِّيبَارِيَّةِ، وَقَد تَرجَمَهَا إِلَىٰ اللُّغَةِ المَلِّيبَارِيَّةِ أَخُونَا الفَاضِلُ مُحَمَّد سَلِيم مِيرَان المَلِّيبَارِيُّ، وَطُبِعَت.

فَأَجَبتُهُ إِلَىٰ ذَلِكَ؛ رَجَاءَ الثَّوَابِ مِنَ المَلِكِ العَلَّامِ، والنَّفعِ لِسَائِرِ الأَنَامِ، فَكَتَبتُ المَوضُوعَ وَرَاجَعتُهُ وَهَذَّبتُهُ، وَزِدتُ عَلَيهِ بَعضَ الفَوَائِدِ، وَعَلَّقتُ عَلَيهِ تَعَالِيقَ مُوجَزَةً، وَأَصبَحَ رِسَالَةً مُفِيدَةً، حَاوِيَةً لِأَقسَامِ التَّوحِيدِ، مُؤَيَّدَةً بِالأَدِلَّةِ مِنَ القُرآنِ وَالسُّنَّةِ وَالأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، وَدَفعِ الشُّبُهَاتِ البِدعِيَّةِ، وَسَمَّيتُهَا:

«تَطهِيرُ الجَنَانِ وَالأَركَانِ عَن دَرَنِ الشِّركِ والكُفرَانِ»

أَسأَلُ اللهَ العَظِيمَ أَن يَجعَلَ هَذَا العَمَلَ خَالِصًا لِوَجهِهِ الكَرِيمِ، وَمُوجِبًا لِلفَوزِ بِجَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحبِهِ وَالتَّابِعِينَ.

أَحمَدُ بنُ حَجَرٍ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحبِهِ أجمَعِينَ.

أَمَّا بَعدُ:

فَقَد قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]. أَي: لِآمُرَهُم أَن يَعبُدُونِي وَيُفرِدُونِي بِالعِبَادَةِ، وَهَذَا هُوَ التَّوحِيدُ[1] الَّذِي جَاءَت بِهِ الرُّسُلُ -عَلَيهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- مِن عَهدِ نُوحٍ إِلَىٰ عَهدِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

أَقسَامُ التَّوحِيدِ:

يَنقَسِمُ التَّوحِيدُ إِلَىٰ ثَلَاثَةِ أَقسَامٍ:

تَوحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوحِيدُ الأُلُوهِيَّةِ، وَتَوحِيدُ الأَسمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

١ - تَوحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ:

وَهُوَ اعتِقَادُ أَنَّ الله ﷻ خَالِقُ العِبَادِ وَرَازِقُهُم، مُحيِيهِم وَمُمِيتُهُم.

أَو نَقُولُ: إِفرَادُ اللهِ بِأَفعَالِهِ، مِثلُ اعتِقَادِ أَنَّهُ خَالِقٌ وَرَازِقٌ.

وَهَذَا قَد أَقَرَّ بِهِ المُشرِكُونَ السَّالِفُونَ، وَجَمِيعُ أَهلِ المِلَلِ مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ وَالمَجُوسِ، وَلَم يُنكِر هَذَا التَّوحِيدَ إِلَّا الدَّهرِيَّةُ فِيمَا سَلَفَ، وَالشُّيُوعِيَّةُ فِي زَمَانِنَا.

---

(١) التَّوحِيدُ: مَصدَرُ وَحَّدَ يُوَحِّدُ، وَهُوَ لُغَةً: العِلمُ بِأَنَّ الشَّيءَ وَاحِدٌ، وَاصطِلَاحًا: علمٌ يُقتَدَرُ بِهِ عَلَىٰ إِثبَاتِ العَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ، مُكتَسَبٌ مِن أَدِلَّتِهَا النَّقلِيَّةِ وَالعَقلِيَّةِ، وَشَرعًا: إِفرَادُ المَعبُودِ بِالعِبَادَةِ، مَعَ اعتِقَادِ وَحدَتِهِ وَالتَّصدِيقِ بِهَا ذَاتًا وَصِفَاتٍ وَأَفعَالًا.

الدَّلِيلُ عَلَىٰ تَوحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ:

يُقَالُ لِهَؤُلَاءِ الجُهَلَاءِ المُنكِرِينَ لِلرَّبِّ الكَرِيمِ: إِنَّهُ لَا يَقبَلُ ذُو عَقلٍ أَن يَكُونَ أَثَرٌ بِلَا مُؤَثِّرٍ، وَفِعلٌ بِلَا فَاعِلٍ، وَخَلقٌ بِلَا خَالِقٍ، وَمِمَّا لَا خِلَافَ فِيهِ أَنَّكَ إِذَا رَأَيتَ إِبرَةً أَيقَنتَ أَنَّ لَهَا صَانِعًا، فَكَيفَ بِهَذَا الكَونِ العَظِيمِ الَّذِي يُبهِرُ العُقُولَ، وَيُحَيِّرُ الأَلبَابَ قَد وُجِدَ بِلَا مُوجِدٍ، وَنُظِّمَ بِلَا مُنَظِّمٍ؟!

وَكَأَنَّ كُلَّ مَا فِيهِ مِن نُجُومٍ وَغُيُومٍ، وَبُرُوقٍ وَرُعُودٍ، وَقِفَارٍ وَبِحَارٍ، وَلَيلٍ وَنَهَارٍ، وَظُلُمَاتٍ وَأَنوَارٍ، وَأَشجَارٍ وَأَزهَارٍ، وَجِنٍّ وَإِنسٍ، وَمَلَكٍ وَحَيَوَانٍ، إِلَىٰ أَنوَاعٍ لَا يُحصِيهَا العَدُّ، وَلَا يَأتِي عَلَيهَا الحَصرُ، قَد وُجِدَت بِلَا مُوجِدٍ يُخرِجُهَا مِنَ العَدَمِ، اللَّهُمَّ لَا يَقُولُ هَذَا مَن كَانَ عِندَهُ مُسكَةٌ مِنَ العَقلِ، أَو ذَرَّةٌ مِن فَهمٍ.

وَبِالجُملَةِ: فَالبَرَاهِينُ عَلَىٰ رُبُوبِيَّتِهِ لَا يَأتِي عَلَيهَا العَدُّ، وَصَدَقَ اللهُ إِذ قَالَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور:٣٥]. وَقَولُهُ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر:٦٢].

الدَّلِيلُ عَلَىٰ إِقرَارِ المُشرِكِينَ بِتَوحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان:٢٥]. وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس:٣١-٣٢]. وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩].

عَلَىٰ أَنَّ الشِّركَ مَأخُوذٌ مِنَ «الشَّرِكَةِ» يُفِيدُ إِقرَارَهُم بِالرُّبُوبِيَّةِ إِلَّا أَنَّهُم يَجعَلُونَ مَعَهُ اللهِ تَعَالَىٰ شَرِيكًا فِي العِبَادَةِ، كَشَرِيكَينِ فِي شَيءٍ مَثَلًا مَعَ أَنَّهُم مَا كَانُوا يُسَاوُونَ آلِهَتَهُم بِاللهِ فِي كُلِّ شَيءٍ؛ بَل فِي المَحَبَّةِ وَالخُضُوعِ لَا فِي الخَلقِ وَالإِيجَادِ وَالنَّفعِ وَالضُّرِّ.

تَوحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ لَا يُدخِلُ الإنسَانَ فِي دِينِ الإسلامِ:

لِتَعلَم أَيُّهَا القَارِئُ الكَرِيمُ: أَنَّ هَذَا التَّوحِيدَ لَا يُدخِلُ الإنسَانَ فِي دِينِ الإسلامِ، وَلَا يَعصِمُ دَمَهُ وَمَالَهُ، وَلَا يُنجِيهِ فِي الآخِرَةِ مِنَ النَّارِ، إِلَّا إِذَا أَتَىٰ مَعَهُ بِتَوحِيدِ الأُلُوهِيَّةِ.

٢ - تَوحِيدُ الأُلُوهِيَّةِ:

وَيُقَالُ لَهُ: تَوحِيدُ العِبَادَةِ، وَهُوَ: إِفرَادُ اللهِ بِالعِبَادَةِ؛ لِأَنَّهُ المُستَحِقُّ لِأَن يُعبَدَ، لَا سِوَاهُ مَهمَا سَمَت دَرَجَتُهُ وَعَلَت مَنزِلَتُهُ، وَهُوَ التَّوحِيدُ الَّذِي جَاءَت بِهِ الرُّسُلُ إِلَىٰ أُمَمِهِم؛ لأَنَّ الرُّسُلَ عليهم السلام جَاءُوا بِتَقرِيرِ تَوحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ الَّذِي كَانَت أُمَمُهُم تَعتَقِدُهُ، وَدَعوَتِهِم إِلَىٰ تَوحِيدِ الأُلُوهِيَّةِ، كَمَا أَخبَرَ اللهُ عَنهُم فِي كِتَابِهِ المَجِيدِ.

قَالَ اللهُ مُخبِرًا عَن نُوحٍ عليه السلام: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ [هود:٢٥-٢٦].

وَقَالَ عَن هُودٍ: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾ [هود:٥٠].

وَقَالَ عَن صَالِحٍ: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [هود:٦١].

وَقَالَ الله عَن شُعَيبٍ: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [هود: ٨٤].

وَقَالَ اللهُ مُخبِرًا عَن مُوسَىٰ عليه السلام فِي مُحَاجَّتِهِ مَعَ فِرعَونَ: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٤] إِلَىٰ آخِرِ الآيَاتِ.

وَقَالَ اللهُ مُخبِرًا عَن مُوسَىٰ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ لِبَنِي إِسرَائِيلَ: ﴿ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٠].

وَقَالَ عَن عِيسَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٥١].

وَأَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أن يَقُولَ لِأَهلِ الكِتَابِ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ مُنَادِيًا جَمِيعَ البَشَرِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

وَبِالجُملَةِ: فَالرُّسُلُ كُلُّهُم بُعِثُوا لِتَوحِيدِ الأُلُوهِيَّةِ، وَدَعوَةِ القَومِ إِلَىٰ إِفرَادِ اللهِ بِالعِبَادَةِ، وَاجتِنَابِ عِبَادَةِ الطَّوَاغِيتِ وَالأَصنَامِ، كَمَا قَالَ اللهُ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[1] [النحل: ٣٦]. فَقَد سَمِعتَ دَعوَةَ كُلِّ رَسُولٍ لِقَومِهِ، فَكَانَ أَوَّلُ مَا يَقرَعُ أَسمَاعَ قَومِهِ: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩، ومواضع أخرىٰ].

---

(١) وَالطَّاغُوتُ: مُشتَقٌّ مِنَ الطُّغيَانِ، وَهُوَ مُجَاوَزَةُ الحَدِّ، وَيُطلَقُ عَلَىٰ الشَّيطَانِ وَالكُهَّانِ، وَكُلِّ مَا عُبِدَ مِن دُونِ اللهِ.

وَقَد حَدَّهُ العَلَّامَةُ ابنُ القَيِّمِ حَدًّا جَامِعًا، فَقَالَ: «الطَّاغُوتُ كُلُّ مَا تَجَاوَزَ بِهِ العَبدُ حَدَّهُ، مِن مَعبُودٍ، أَو مَتبُوعٍ، أَو مُطَاعٍ، فَطَاغُوتُ كُلِّ قَومٍ مَن يَتَحَاكَمُونَ إِلَيهِ غَيرَ اللهِ وَرَسُولِهِ، أَو يَعبُدُونَهُ مِن دُونِ اللهِ، أَو يَتَّبِعُونَهُ عَلَىٰ غَيرِ بَصِيرَةٍ مِنَ اللهِ، أَو يُطِيعُونَهُ فِيمَا لَا يَعلَمُونَ أَنَّهُ طَاعَةٌ لِلَّهِ».

فَإِذَا تَأَمَّلتَ هَذَا التَّعرِيفَ عَرَفتَ أَنَّ حُكمَ القَانُونِ مِنَ الطَّاغُوتِ، وَأَنَّ الحَاكِمَ القَانُونِيَّ طَاغُوتٌ؛ لِأَنَّهُ يَحكُمُ بِتَشرِيعٍ وَضعِيٍّ لَا يَستَنِدُ إِلَىٰ القُرآنِ وَالسُّنَّةِ وَلَا إِجمَاعِ الأُمَّةِ.

وَقَد ذَكَرَ اللهُ فِي عِدَّةِ آيٍ مِنَ القُرآنِ: أَنَّ الحُكمَ لِلَّهِ، وَأَنَّ مَرَدَّ النِّزَاعِ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠]، وَقَالَ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وقال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وآية: ﴿هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، وآية: ﴿هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

تَفسِيرُ العِبَادَةِ:

العِبَادَةُ فِي اللُّغَةِ مَعنَاهَا: التَّذَلُّلُ وَالخُضُوعُ، يُقَالُ: طَرِيقٌ مُعَبَّدٌ؛ أَي: مُذَلَّلٌ[1].

وَفِي الشَّرعِ: مَعنَىٰ العِبَادَةِ -كَمَا قَالَ شَيخُ الإِسلَامِ- هِيَ: «طَاعَةُ اللهِ، بِامتِثَالِ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ عَلَىٰ أَلسِنَةِ الرُّسُلِ».

وَقَالَ أَيضًا: «العِبَادَةُ اسمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرضَاهُ مِن الأَعمَالِ وَالأَقوَالِ وَالأَفعَالِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ». اهـ

فَعَلَىٰ المُسلِمِ أَن يُفرِدَ رَبَّهُ بِجَمِيعِ أَنوَاعِ العِبَادَاتِ، مُخلِصًا لِلَّهِ فِيهَا، وَأَن يَأتِيَ بِهَا عَلَىٰ الوَجهِ الَّذِي سَنَّهُ رَسُولُ اللهِ قَولًا أَو عَمَلًا.

شُمُولُ العِبَادَةِ لِلأَنوَاعِ الآتِيَةِ:

وَاعلَم أَنَّ العِبَادَةَ تَشمَلُ الصَّلَاةَ، وَالطَّوَافَ، وَالحَجَّ، وَالصَّومَ، وَالنَّذرَ، وَالاعتِكَافَ، وَالذَّبحَ، وَالسُّجُودَ، وَالرُّكُوعَ، وَالخَوفَ وَالرَّهبَةَ، وَالرَّغبَةَ، وَالخَشيَةَ، وَالتَّوَكُّلَ، وَالاستِغَاثَةَ، وَالرَّجَاءَ.. إِلَىٰ غَيرِ ذَلِكَ مِن أَنوَاعِ العِبَادَاتِ الَّتِي شَرَعَهَا اللهُ فِي قُرآنِهِ المَجِيدِ، أَو شَرَعَهَا

(١) لَابُدَّ لَهَا مِن رُكنَينِ أَسَاسِيَّينِ: الأَوَّلُ: نِهَايَةُ الخُضُوعِ وَالذُّلِّ، وَالثَّانِي: غَايَةُ المَحَبَّةِ.
قَالَ شَيخُ الإِسلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ بَعدَ أَن فَسَّرَ العِبَادَةَ بِمَعنَىٰ الذُّلِّ مَا نَصُّهُ: «لَكِنِ العِبَادَةُ المَأمُورُ بِهَا تَتَضَمَّنُ مَعنَىٰ الذُّلِّ وَمَعنَىٰ الحُبِّ، فَهِيَ تَتَضَمَّنُ غَايَةَ الذُّلِّ لِلَّهِ تَعَالَىٰ بِغَايَةِ المَحَبَّةِ لَهُ».
قَالَ: «وَمَن خَضَعَ لِإِنسَانٍ مَعَ بُغضِهِ لَهُ لَا يَكُونُ عَابِدًا لَهُ، وَلِهَذَا لَا يَكفِي أَحَدُهُمَا فِي عِبَادَةِ اللهِ؛ بَل يَجِبُ أَن يَكُونَ اللهُ أَحَبَّ إِلَىٰ العَبدِ مِن كُلِّ شَيءٍ، وَأَن يَكُونَ اللهُ أَعظَمَ عِندَهُ مِن كُلِّ شَيءٍ؛ بَل لَا يَستَحِقُّ المَحَبَّةَ وَالخُضُوعَ التَّامَ إِلَّا اللهُ.
وَمَا أُحِبَّ لِغَيرِ اللهِ فَمَحَبَّتُهُ فَاسِدَةٌ، وَمَا عُظِّمَ لِغَيرِ اللهِ فَتَعظِيمُهُ بَاطِلٌ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤] اهـ من العبودية.

رَسُولُ اللهِ بِالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ القَولِيَّةِ أَوِ العَمَلِيَّةِ.

فَمَن صَرَفَ شَيئًا مِنهَا لِغَيرِ اللهِ يَكُونُ مُشرِكًا، لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٧]، وَقَولُهُ: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨].

فَـ: «أَحَدٌ» جَاءَت نَكِرَةً فِي سِيَاقِ النَّهيِ، تَعُمُّ كُلَّ مَخلُوقٍ، رَسُولًا كَانَ أَو مَلَكًا أَو صَالِحًا.

أَوَّلُ حُدُوثِ الشِّركِ:

إِذَا ثَبَتَ هَذَا، فَاعلَم أَنَّ أَوَّلَ مَا حَدَثَ الشِّركُ فِي قَومِ نُوحٍ، وَلَمَّا أَرسَلَ اللهُ إِلَيهِم نُوحًا يَدعُوهُم إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ وَحدَهُ، وَتَركِ عِبَادَةِ تِلكَ الأَصنَامِ، عَانَدُوا وَأَصَرُّوا عَلَىٰ شِركِهِم، وَقَابَلُوا نُوحًا بِالكُفرِ وَالتَّكذِيبِ، وَقَالُوا - كَمَا فِي القُرآنِ الكَرِيمِ-: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: ٢٣].

فِي الصَّحِيحِ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي هَذِهِ الآيَةِ، قَالَ: « أَسمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِن قَومِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوحَىٰ الشَّيطَانُ إِلَىٰ قَومِهِم أَنِ انصِبُوا إِلَىٰ مَجَالِسِهِم الَّتِي كَانُوا يَجلِسُونَ فِيهَا أَنصَابًا[1]؛ أَي: صَوِّرُوهُم عَلَىٰ صُوَرِ أُولَئِكَ الصَّالِحِينَ، وَسَمُّوهَا بِأَسمَائِهِم؛ فَفَعَلُوا، فَلَم تُعبَد حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ العِلمُ عُبِدَت» [صحيح البخاري (٤٩٢٠)].

قَالَ الحَافِظُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «قَالَ غَيرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: لَمَّا مَاتُوا عَكَفُوا عَلَىٰ قُبُورِهِم، ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُم، ثُمَّ طَالَ عَلَيهِمُ الأَمَدُ فَعَبَدُوهُم».

---

(١) أَنصَاب: جَمعُ نُصُبٍ، وأَصلُهُ مَا نُصِبَ، كَغَرَضٍ وَنَحوِهِ، وَالمُرَادُ هُنَا: الأَصنَامُ المُصَوَّرَةُ عَلَىٰ صُوَرِهِم، المَنصُوبَةِ فِي مَجَالِسِهِم.

سَبَبُ الشِّركِ الغُلُوُّ فِي الصَّالِحِينَ:

وَمِن هُنَا نَعلَمُ أَنَّ الشِّركَ إِنَّمَا حَدَثَ فِي بَنِي آدَمَ بِسَبَبِ الغُلُوِّ فِي الصَّالِحِينَ.

وَمَعنَىٰ الغُلُوِّ: الإِفرَاطُ بِالتَّعظِيمِ بِالقَولِ وَالاعتِقَادِ، وَلِهَذَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ﴾ [النساء: ١٧١]، أَي: لَا تُفرِطُوا فِي تَعظِيمِهِ حَتَّىٰ تَرفَعُوهُ عَن مَنزِلَتِهِ الَّتِي أَنزَلَهُ اللهُ فِيهَا، فَتُنزِلُوهُ المَنزِلَةَ الَّتِي لَا تَنبَغِي إِلَّا لِلَّهِ.

وَلِهَذَا وَرَدَ الحَدِيثُ الصَّحِيحُ عَن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تُطرُونِي كَمَا أَطرَتِ النَّصَارَىٰ عِيسَىٰ بنَ مَريَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبدٌ، فَقُولُوا: عَبدُ اللهِ وَرَسُولُهُ» [البخاري (٣٤٤٥)]. أَي: لَا تَتَجَاوَزُوا الحَدَّ فِي مَدحِي، فَتُنزِلُونِي فَوقَ مَنزِلَتِي الَّتِي أَنزَلَنِي اللهُ بِهَا، كَمَا غَلَتِ النَّصَارَىٰ فِي عِيسَىٰ فَادَّعَوا فِيهِ الأُلُوهِيَّةَ.

وَلَكِن أَبَىٰ الجَاهِلُونَ وَالمُحَرِّفُونَ إِلَّا مُخَالَفَةَ أَمرِ رَسُولِ اللهِ، وَارتِكَابِ نَهيِهِ، فَنَاقَضُوهُ أَعظَمَ مُنَاقَضَةٍ، وضَاهَئُوا النَّصَارَىٰ فِي غُلُوِّهِم وَشِركِهِم، وَبَنَوا القِبَابَ[1]

---

(١) قُلتُ فِي مَنظُومَتِي «اللآلِئ السَّنِيَّة»:

عَبَدَ الأَكثَرُ مِنهُم صَالِحًا	وَنَبِيًّا وَوَلِيًّا شُهِرَا
كُلُّ قُطرٍ عِندَهُم مَعبُودُهُم	أَشرَكُوهُ بِالَّذِي قَد فَطَرَا
وَقِبَابًا فَوقَهُم قَد أَسَّسُوا	خَالَفُوا المُختَارَ فِيمَا حَذَّرَا
كَم حَدِيثٍ ثَابِتٍ قَد وَرَدَا	قَد نَهَىٰ الأُمَّةَ مِمَّا صَدَرَا
وَأَبُو الهَيَّاجِ هَذَاكَ التَّقِي	عَن عَلِيِّ المُرتَضَىٰ قَد أَخبَرَا
طَمسُ تِمثَالٍ وَقَبرٍ مُشرِفٍ	هَدمُهُ يُروَىٰ، وَذَا قَد حُرِّرَا
وَذَوُو العِلمِ قَد حَكَمُوا	رَاجِعِ الكُتبَ تَجِد مَا سُطِرَا

وَالمَسَاجِدَ عَلَىٰ أَضرِحَةِ الأَولِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَصَلَّوا فِيهَا- وَإِن كَانَ لِلَّهِ- لَكِن بِقَصدِ التَّعظِيمِ لِلمَقبُورِينَ، وَطَافُوا بِقُبُورِهِم، وَاستَغَاثُوا بِهِم فِي كَشفِ المُلِمَّاتِ وَقَضَاءِ الحَاجَاتِ، وَرَأَوا أَنَّ الصَّلَاةَ فِي أَضرِحَةِ الأَولِيَاءِ أَفضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ فِي المَسَاجِدِ.

وَقَد وَرَدَ فِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ عَن عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَت: «لِمَا نُزِلَ[1] بِرَسُولِ اللهِ ﷺ طَفِقَ[2] يَطرَحُ خَمِيصَةً[3] لَهُ عَلَىٰ وَجهِهِ، فَإِذَا اغتَمَّ[4] بِهَا كَشَفَهَا، فَقَالَ -وَهُوَ كَذَلِكَ-: «لَعنَةُ اللهِ عَلَىٰ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنبِيَائِهِم مَسَاجِدَ، يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا[5]، وَلَولَا ذَلِكَ أُبرِزَ قَبرُهُ، غَيرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَن يُتَّخَذَ مَسجِدًا» أَخرَجَهُ الشَّيخَانِ[6]. [البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١)].

وَجَرَىٰ مِنهُمُ الغُلُوُّ فِي الشِّعرِ وَالنَّثرِ مَا يَطُولُ عَدُّهُ، حَتَّىٰ جَوَّزُوا الاستِغَاثَةَ بِالرَّسُولِ وَسَائِرِ الصَّالِحِينَ، فِي كُلِّ مَا يُستَغَاثُ فِيهِ بِاللهِ، وَنَسَبُوا إِلَيهِ عِلمَ الغَيبِ!! حَتَّىٰ قَالَ بَعضُ الغُلَاةِ: لَم يُفَارِقِ الرَّسُولُ الدُّنيَا حَتَّىٰ عَلِمَ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ!!، وَخَالَفُوا صَرِيحَ القُرآنِ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ

---

(١) نُزِلَ: بِضَمِّ النُّونِ وَكَسرِ الزَّايِ، مَبنِيٌّ لِمَا لَم يُسَمَّ فَاعِلُهُ؛ أَي: نَزَلَ بِهِ مَلَكُ المَوتِ.

(٢) طَفِقَ: بِكَسرِ الفَاءِ وَفَتحِهَا، وَالكَسرُ أَفصَحُ، كَمَا جَاءَ فِي القُرآنِ الكَرِيمِ: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾، وَمَعنَاهُ: جَعَلَ.

(٣) خَمِيصَة: بِفَتحِ الخَاءِ: كِسَاءٌ لَهُ أَعلَامٌ.

(٤) إِذَا اغتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا: أَي: إِذَا احتَبَسَ نَفسُهُ عَنِ الخُرُوجِ كَشَفَهَا عَن وَجهِهِ.

(٥) يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا .....: هَذَا مِن كَلَامِ عَائِشَةَ رضي الله عنها.

(٦) لَعَنَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ هَذَا الفِعلِ بِعَينِهِ، وَهُوَ اتِّخَاذُ قُبُورِ الأَنبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ مَسَاجِدَ، أَي: كَنَائِسَ وَبِيعًا يَتَعَبَّدُونَ وَيَسجُدُونَ فِيهَا لِلَّهِ، وَإِن لَم يُسَمُّوهَا مَسَاجِدَ، فَإِنَّ الاعتِبَارَ بِالمَعنَىٰ لَا بِالاسمِ، وَمِثلُ ذَلِكَ: القِبَابُ وَالمَسَاجِدُ المَبنِيَّةُ عَلَىٰ قُبُورِ الأَنبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ؛ فَإِنَّهَا هِيَ المَسَاجِدُ المَلعُونُ مَن بَنَاهَا عَلَىٰ قُبُورِهِم، وَإِن لَم يُسَمِّهَا مَن بَنَاهَا مَسَاجِدَ، وَفِيهِ رَدٌّ عَلَىٰ مَن أَجَازَ البِنَاءَ عَلَىٰ قُبُورِ العُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ تَمِيِيزًا لَهُم عَن غَيرِهِم؛ فَإِذَا كَانَ ﷺ لَعَنَ مَن بَنَىٰ المَسَاجِدَ عَلَىٰ قُبُورِ الأَنبِيَاءِ فَكَيفَ بِمَن بَنَاهَا عَلَىٰ قُبُورِ غَيرِهِم؟! اهـ (مِن تَيسِيرِ العزيز الحميد).

ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]. وَقَالَ تَعَالَىٰ مُخبِرًا عَن رَسُولِهِ: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]. وَقَولُهُ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾(١) [النمل: ٦٥].

وَإِذ عَلِمتُم أَنَّ الشِّركَ حَدَثَ بِسَبَبِ الغُلُوِّ فِي الصَّالِحِينَ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا جَاءَتِ الرُّسُلُ مِن أَوَّلِهِم إِلَىٰ آخِرِهِم يَدعُونَ العِبَادَ إِلَىٰ إِفرَادِ اللهِ بِالعِبَادَةِ، لَا إِلَىٰ إِثبَاتِ أَنَّهُ خَلَقَهُم وَنَحوِهِ، إِذ هُم مُقِرُّونَ بِذَلِكَ كَمَا قَرَّرنَاهُ وكَرَّرنَاهُ، وَلِذَا قَالُوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠]؛ أَي: لِنُفرِدَهُ بِالعِبَادَةِ ونَخُصَّهُ بِهَا مِن دُونِ آلِهَتِنَا.

أنواعُ العبادةِ وأدلّتُها:

اعلَمُوا أَنَّ مِن أَنوَاعِ العِبَادَةِ -كَمَا سَبَقَ-: الرُّكُوعَ، وَالسُّجُودَ، وَالطَّوَافَ، وَالنَّذرَ، وَالذَّبحَ، وَالاستِغَاثَةَ، وَالاستِعَانَةَ، وَالحَلِفَ، وَالتَّوَكُّلَ، إِلَىٰ غَيرِ ذَلِكَ مِمَّا مَرَّ.

فَدَلِيلُ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ: قَولُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾ [الحج: ٧٧].

وَدَلِيلُ الصَّلاةِ وَالذَّبحِ قَولُهُ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]. وَقَولُهُ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٢-٣]. وَلِلحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «لَعَنَ اللهُ مَن ذَبَحَ لِغَيرِ اللهِ» [مسلم (١٩٧٨)].

وَدَلِيلُ النَّذرِ وَالطَّوَافِ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ

---

(١) وَهَذِهِ الآيَةِ كَمَا تَرَىٰ انفِرَاده بِعِلمِ الغَيبِ، وَأَنَّهُ لَا يَعلَمُهُ سِوَاهُ، وَلِذَلِكَ قَالَت عَائِشَةُ رضي الله عنها: «مَن زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا يَعلَمُ الغَيبَ فَقَد أَعظَمَ الفِريَةَ عَلَىٰ اللهِ»، وكَونُهُ ﷺ أَخبَرَ بِبَعضِ المُغَيَّبَاتِ فَهُوَ مِن وَحيِ اللهِ لَهُ.

ٱلْعَتِيقِ﴾(١) [الحج: ٢٩].

(١) أي: لَا يَنذِرُوا لِغَيرِ اللهِ، وَلَا يَطُوفُوا بِغَيرِ البَيتِ العَتِيقِ، فَلَا يَجُوزُ النَّذرُ لِلأَولِيَاءِ وَلَا لِلصَّالِحِينَ. وَلَا الطَّوَافُ بِقُبُورِهِم كَمَا يَفعَلُهُ الجَاهِلُونَ بِقَبرِ الجِيلَانِيِّ وَالحُسَينِ وَالبَدَوِيِّ وَالدُّسُوقِيِّ وَغَيرِهِم، فَإِنَّ هَذَا شِركٌ لَا مِرَاءَ فِيه، وَكَثِيرٌ مِنَ المُبتَدِعِينَ الجَاهِلِينَ المُخَرِّفِينَ يَنذِرُ للصَّالِحِينَ، وَبَعضُهُم يُرسِلُ أَموَالًا مِن بُلدَانِ الخَلِيجِ العَرَبِيِّ لِقُبُورِ الأَولِيَاءِ -بِزَعمِهِم- فِي إِيرَانَ، لِلسَّدَنَةِ وَلِتَعمِيرِ القِبَابِ!!
كَمَا يَفعَلُ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ الهُنُودِ وَالبَاكِستَانِيِّينَ، بِنَذرِهِم لِعَبدِ القَادِرِ الجِيلَانِيِّ أَموَالًا طَائِلَةً، وَإِرسَالِهِم إِلَىٰ ضَرِيحِهِ أَموَالًا وَافِرَةً، هَذَا مِمَّن زَعَمَ أَنَّهُ مِن أَهلِ السُّنَّةِ!
وَأَمَّا شِيعَةُ الهُنُودِ وَالبَاكِستَانِيِّينَ وَالإِيرَانِيِّينَ فَإِنَّهُم يَنذِرُونَ أَموَالًا لِقُبُورِ أَهلِ البَيتِ فِي النَّجَفِ وَكَربَلَاءَ وَخُرَاسَانَ وَقُم، وَيَشُدُّونَ الرِّحَالَ مِن مُختَلَفِ الأَقطَارِ إِلَىٰ تِلكَ القُبُورِ، لِلطَّوَافِ بِهَا، وَالاستِغَاثَةِ بِسَاكِنِيهَا، وَطَلَبِ قَضَاءِ الحَاجَاتِ، وَتَفرِيجِ الكُرُبَاتِ مِمَّا لَا يَقدِرُ عَلَيهِ إِلَّا خَالِقُ الأَرضِ وَالسَّمَوَاتِ.
وَكَمَا لَا يَجُوزُ النَّذرُ لِقُبُورِ الأَولِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، فَكَذَا لَا يَجُوزُ الوَقفُ مِن بُيُوتٍ وَعَقَارٍ عَلَىٰ قُبُورِهِم، فَمَن نَذَرَ لِغَيرِ اللهِ فَلَا يَجِبُ عَلَيهِ الوَفَاءُ؛ بَل يَستَغفِرُ اللهَ وَيَتُوبُ إِلَيهِ، وَيَأتِي بِالشَّهَادَتَينِ؛ لِأَنَّهُ مُرتَدٌّ إِن عَلِمَ أَنَّ النَّذرَ لِغَيرِ اللهِ شِركٌ.
وَمَن وَقَفَ عَقَارًا أَو حَيَوَانًا عَلَىٰ قُبُورِ الأَولِيَاءِ فَوَقفُهُ بَاطِلٌ، أَو وَصَّىٰ لَهَا، فَوَصِيَّتُهُ بَاطِلَةٌ، وَذَلِكَ العَقَارُ أَوِ الحَيَوَانِ لَا زَالَ عَلَىٰ مِلكِ صَاحِبِهِ، نَسأَلُ اللهَ لَنَا وَلَهُمُ الهِدَايَةَ وَالتَّوفِيقَ.
وَقَولُ بَعضِهِم: إِنَّ النَّذرَ لِلَّهِ وَالثَّوَابَ لِلوَلِيِّ كَلَامٌ بَاطِلٌ وَضَلَالٌ عَاطِلٌ، فَأَيُّ شَيءٍ أَدخَلَ الوَلِيَّ هُنَا؟ إِن كَانَ قَصدُهُ الصَّدَقَةَ فَليَتَصَدَّق عَلَىٰ الفُقَرَاءِ، عَن نَفسِهِ وَعَن أَبَوَيهِ وَأَقَارِبِهِ!
وَمَا يُدرِيهِ بِأَنَّ صَاحِبَ هَذَا القَبرِ وَلِيٌّ!! وَالأُمُورُ بِخَوَاتِيمِهَا، فَقَد يَكُونُ ظَاهِرُهُ صِدِّيقًا وَبَاطِنُهُ زِندِيقًا.
وَيُظهِرُ كَذِبَهُم وَضَلَالَهُم أَنَّهُم يَأخُذُونَ الأَغنَامَ وَيَذبَحُونَهَا عِندَ القَبرِ، فَإِذَا أَنكَرتَ عَلَيهِم قَالُوا: الذَّبحُ لِلَّهِ وَالثَّوَابُ لِلوَلِيِّ! وَلَيسَ القَصدُ مِن هَذَا إِلَّا التَّلبِيسَ وَقَلبَ الحَقَائِقِ، وَهُم لَم يَقصِدُوا إِلَّا الوَلِيَّ.
عَلَىٰ أَنَّ العُلَمَاءَ قَد صَرَّحُوا أَلَّا يُذبَحَ لِلَّهِ بِمَكَانٍ يُذبَحُ فِيهِ لِغَيرِ اللهِ، لِلحَدِيثِ عَن ثَابِتِ بنِ الضَّحَّاكِ، قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ أَن يَنحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ، فَسَأَلَ النَّبِيَّ فَقَالَ: «هَل كَانَ فِيه وَثَنٌ مِن أَوثَانِ الجَاهِلِيَّةِ يُعبَدُ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَوفِ بِنَذرِكَ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذرٍ فِي مَعصِيَةِ اللهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَملِكُ ابنُ آدَمَ» رواه أبو داود.

وَدَلِيلُ الحَلِفِ: الحَدِيثُ الوَارِدُ عَنِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَن حَلَفَ بِغَيرِ اللهِ فَقَد أَشرَكَ»[صححه الألباني في الإرواء (٢٥٦١)]. وَفِي لَفظٍ: «فَقَد كَفَرَ».

وَدَلِيلُ الاستِعَانَةِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]. وَالحَدِيثُ الصَّحِيحُ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ: «إِذَا سَأَلتَ فَاسأَلِ اللهَ، وَإِذَا استَعَنتَ فَاستَعِن بِاللهِ» [صححه الألباني في ظلال الجنة (٣١٦)].

وَدَلِيلُ الخَوفِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وَدَلِيلُ الرَّهبَةِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [النحل: ٥١].

وَدَلِيلُ الاستِغَاثَةِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦].

وَهَذَا خِطَابٌ لِلرَّسُولِ ﷺ -كَمَا تَرَىٰ-؛ أَي: لَا تَدعُ -يَا مُحَمَّدُ- مِن دُونِ مَعبُودِكَ وَخَالِقِكَ شَيئًا لَا يَنفَعُكَ فِي الدُّنيَا وَلَا فِي الآخِرَةِ، وَلَا يَضُرُّكَ فِي دِينٍ وَلَا دُنيَا -يَعنِي بِذَلِكَ الآلِهَةَ وَالأَصنَامَ-؛ فَإِن فَعَلتَ: فَدَعَوتَهَا مِن دُونِ اللهِ؛ فَإِنَّكَ إِذَن مِنَ الظَّالِمِينَ؛ أَي: المُشرِكِينَ بِاللهِ. وَالرَّسُولُ ﷺ مَعصُومٌ مِنَ الشِّركِ وَمِن كَبَائِرِ الذُّنُوبِ[1]، وَإِنَّمَا هَذَا تَعلِيمٌ لِلأُمَّةِ.

وَقَولُهُ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧]. وَقَولُهُ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥-٦].

وَالمُستَغِيثُ بِالرَّسُولِ إِنَّمَا يُنَادِي وَيَدعُو غَيرَ اللهِ، كَأَن يَستَغِيثَ قَائِلًا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنقِذنِي مِن هَذِهِ الشِّدَّةِ، أَو: يَا عَبدَ القَادِرِ، أَو: يَا دُسُوقِيُّ، أَو: يَا رِفَاعِيُّ، أَو: يَا بَدَوِيُّ... إِلَخ.

---

(١) وَمِن صَغَائِرِهَا أَيضًا.

وَلَا رَيبَ أَنَّ المُستَغِيثَ بِغَيرِ اللهِ دَاخِلٌ فِي هَذِهِ الآيَةِ وَأَمثَالِهَا، وَكَيفَ يَستَغِيثُ العَاقِلُ المُؤمِنُ بِغَيرِ اللهِ، وَهُوَ يَقرَأُ هَذِهِ الآيَاتِ أَو يَسمَعُهَا؟! وَمِنهَا قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[1] [النمل: ٦٢].

---

(١) قَالَ العَبادِي فِي مَنظُومَتِهِ «هِدَايَة المُرِيد»:

وَمَـن يَقُـل غَيـرُ الإلـه يَملِـكُ ... ضَـرًّا وَنَفعًـا فَهُـو أَيـضًا مُـشرِكُ

وَمَـن يُـنَادِي مَيـتًا أَو غَائِـبَا ... وَيَـرتَجِيه رَاغِـبًا وَرَاهِـبَا

لِدَفـعِ ضُـرٍّ أَو حُـصُول نَفـعِ ... فَـذَاكَ شِـركٌ عِـندَ أَهـلِ الـشَّرعِ

كَمَـن يُـنَادِي مُـستَغِيثًا بِأَحَـدْ ... أَو مُـستَعِينًا أَو رَجَـا مِـنهُ الـوَلَدْ

إِذْ ذَاكَ فِـي العَـادَةِ لَـيس يَقـدُرُ ... عَلَـيهِ إِلَّا الـوَاحِدُ المُقـتَدِرُ

وَكُـلُّ مَـا اسـتَحَالَ فِـي العَـادَاتِ ... كَطَلَـبِ الأحـيَاءِ مِـنَ الأَمـوَاتِ

فَلَـم يَجُـز لِمـسلِمٍ أَن يَفعَلَـهْ ... وَأَنكَـرَ الـشَّرعُ عَلَـىٰ مَـن فَعَلَـهْ

فَمَـا لَكُـم يَـا مَعـشَرَ الجُهَّـالِ ... تَدعُـونَ غَيـر الله ذِي الجَـلَالِ

فِـي جَلـبِ نَفـعٍ أَو لِدَفـعِ ضُـرٍّ ... أَو بـرء سُـقمٍ وَارتِفَـاعِ شَـرِّ

مَـن لَـيس يُغنِـي نَفـسَهُ مِـن ضُرِّهَا ... وَلَـم يُطِـق إِنقَاذَهَـا مِـن فَقـرِهَا

وَتَـستَمِدُّونَ مِـنَ الأَمـوَاتِ ... تَيـسِير عُـسرٍ وَقَـضَا الحَاجَـاتِ

أَلَـم تَـرَوا أَنَّ الـدُّعَا عِـبَادَهْ ... لَا يَمتَـرِي فِـيهِ ذَوو الـشَّهَادَهْ

فَمَـن دَعَـا غَيـرَ الإِلَـهِ أَحَـدَا ... يَمـنحه الخَيـرَ وَيَكفِـيه الـرَّدَىٰ

فَإِنَّـهُ لِمَـن دَعَـاهُ عَابِـدُ ... سَـوَاءٌ الجَاهِـلُ وَالمُعَانِـدُ

وَفِـي ثُـبُوتِ النَّهـي فِـي الكِـتَابِ ... دَلَائِـلٌ لِمُبتَغِـي الـصَّوَابِ

يَكفِـيكَ أَنَّ الله قَـالَ ادعُونِـي ... كَمِـثلِ مَـا قَـد قَـالَ فَاعبُدُونِـي

يُبَيِّنُ اللهُ فِي هَذِهِ الآيَةِ: أَنَّ المُشرِكِينَ مِنَ العَرَبِ وَنَحوِهِم، كَانُوا يَعلَمُونَ أَنَّهُ لَا يُجِيبُ المُضطَرَّ وَيَكشِفُ السُّوءَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ، فَذَكَرَ ذَلِكَ مُحتَجًّا عَلَيهِم فِي اتِّخَاذِهِم الشُّفَعَاءَ مِن دُونِهِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ بِالاستِفهَامِ الإِنكَارِيِّ؛ أَي: لَيسَ إِلَهٌ مَعَ اللهِ يُجِيبُ المُضطَرَّ وَيَكشِفُ السُّوءَ.

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ بِإِسنَادِهِ أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُنَافِقٌ يُؤذِي المُؤمِنِينَ، فَقَالَ بَعضُهُم: قُومُوا بِنَا نَستَغِيثُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِن هَذَا المُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُ لَا يُستَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُستَغَاثُ بِاللهِ» [الطبراني كما في مجمع الزوائد (١٠/ ١٥٩)].

الرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ وَالنَّذرُ لِغَيرِ اللهِ:

فَمَن رَكَعَ أَو سَجَدَ لِحَيٍّ أَو لِمَيِّتٍ، أَو نَذَرَ لِغَيرِ اللهِ، كَأَن يَنذِرَ لِقُبُورِ الأَولِيَاءِ أَوِ الصَّالِحِينَ، أَو يَذبَحَ لَهُم، أَو لِلأَشجَارِ أَو لِلعُيُونِ، أَو يَطُوفَ بِقَبرِ نَبِيٍّ أَو وَلِيٍّ، كَأَن يَطُوفَ بِقَبرِ الرَّسُولِ ﷺ، أَو بِقَبرِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ، أَو بِقَبرِ الحَسَنِ أَوِ الحُسَينِ، أَو عَلِيِّ بنِ مُوسَى الرِّضَا، أَو عَبدِ القَادِرِ الجِيلَانِيِّ، أَوِ البَدَوِيِّ، أَوِ الرِّفَاعِيِّ أَو غَيرِهِم.

أَو يَستَغِيثَ بِهِم فِي الشَّدَائِدِ، كَأَن يَقُولَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنقِذنِي، يَا رَسُولَ اللهِ فَرِّج عَنِّي هَذَا الكَربَ، المَدَدَ يَا عَبدَ القَادِرِ يَا جِيلَانِيُّ.

أَو يَطلُبَ مِن غَيرِ اللهِ مَا لَا يَقدِرُ عَلَيهِ إِلَّا اللهُ، كَأَن يَطلُبَ عَافِيَةً مِن مَرَضٍ لَهُ أَو لِغَيرِهِ، أَو قُدُومَ غَائِبٍ، أَو يَرزُقَهُ وَلَدًا، أَو يَأتِيَ لَهُ بِرِزقٍ أَو يُفَرِّجَ عَنهُ شِدَّةً أَو كُربَةً، أَو نَحوَ ذَلِكَ مِنَ الأُمُورِ الَّتِي لَيسَت فِي قُدرَةِ المَخلُوقِ أَن يَفعَلَهَا.

فَإِنَّهُ يَكُونُ بِكُلِّ فِعلٍ مِن هَذِهِ الأَفعَالِ مُشرِكًا بِاللهِ العَظِيمِ[1] شِركًا أَكبَرَ، لَا يَغفِرُ اللهُ لَهُ

---

(١) قَالَ شَيخُ الإِسلَامِ: الشِّركُ نَوعَانِ: أَكبَرُ وَأَصغَرُ، فَمَن خَلُصَ مِنهُمَا وَجَبَت لَهُ الجَنَّةُ، وَمَن مَاتَ عَلَى الأَكبَرِ وَجَبَت لَهُ النَّارُ، وَمَن خَلُصَ مِنَ الأَكبَرِ وَحَصَلَ لَهُ بَعضُ الأَصغَرِ مَعَ حَسَنَاتٍ رَاجِحَةٍ عَلَى ذُنُوبِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن خَلُصَ مِنَ الأَكبَرِ وَلَكِن كَثُرَ الأَصغَرُ حَتَّى رَجَحَت بِهِ سَيِّئَاتُهُ دَخَلَ النَّارَ. =

إِلَّا أَن يَتُوبَ؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨].

أَمَّا مَا كَانَ فِي إِمكَانِ المَخلُوقِ الحَيِّ، فَلَا بَأسَ بِأَن يَستَعِينَ بِهِ، مِثلَ: أَن تَطلُبَ مِنهُ أَن يُعِينَكَ فِي قَضَاءِ حَاجَةٍ، أَو إِنقَاذٍ مِن غَرَقٍ أَو حَرِيقٍ أَو مَا سِوَىٰ ذَلِكَ.

الآيَاتُ الآمِرَةُ بِعِبَادَتِه وَالْمُبَيِّنَةُ عَجزَ الْمَعبُودَاتِ البَاطِلَةِ:

هَذَا وَقَد أَكثَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ المَجِيدِ مِنَ الآيَاتِ الآمِرَةِ بِعِبَادَتِهِ وَالحَاثَّةِ عَلَيهَا، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١].

وَقَالَ اللهُ: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [النساء: ٣٦].

وَقَالَ: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وَقَالَ مُبَيِّنًا عَجزَ تِلكَ الآلِهَةِ الَّتِي عَبَدَهَا المُشرِكُونَ مِن أَن تَجلِبَ لَهُم نَفعًا، أَو تَدفَعَ عَنهُم ضُرًّا؛ بَل وَلَا تَدفَعُ عَن نَفسِهَا فَضلًا عَن غَيرِهَا فَقَالَ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج: ٧٣].

=

فَالشِّركُ يُؤَاخَذُ بِهِ العَبدُ إِذَا كَانَ أَكبَرَ، أَو كَانَ كَثِيرًا أَصغَرَ وَالأَصغَرُ القَلِيلُ فِي جَانِبِ الإِخلَاصِ الكَثِيرِ لَا يُؤَاخَذُ بِهِ. اهـ (من تيسير العزيز الحميد)

فَالشِّركُ الأَكبَرُ كَالسُّجُودِ وَالنَّذرِ لِغَيرِ اللهِ، وَالأَصغَرُ كَالرِّيَاءِ وَالحَلِفِ بِغَيرِ اللهِ، إِذَا لَم يَقصِد تَعظِيمَ المَخلُوقِ كَتَعظِيمِ اللهِ.

فِتـنَةُ الشِّـركِ وَمَـا مِـن فِتـنَةٍ	مِـثلهَا بَـينَ البَـرَايَا تُـوجَدُ
لَـيسَ غَيـرُ اللهِ فِـي سُـلطَانِهِ	مِـن إِلَـهٍ يُتَّقَـىٰ أَو يُعـبَدُ
مَالِـكُ المُلـكِ تَعَالَـىٰ مَـا لَـهُ	فِـي عُـلَاهُ مِـن شَـرِيكٍ يُعـبَدُ

لِلشَّاعِرِ أَحمد مُحَرَّم

وَقَالَ مُبَيِّنًا أَنَّ النَّفعَ وَالضُّرَّ بِيَدِهِ لَا بِيَدِ غَيرِهِ بِقَولِهِ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ﴾ [يونس: ١٠٧].

وَأَخبَرَ اللهُ ﷻ أَنَّهُ يُبَكِّتُ النَّصَارَىٰ وَيُوَبِّخُهُم عَلَىٰ عِبَادَتِهِم لِلمَسِيحِ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧]. فَانظُرُوا كَيفَ يَتَبَرَّأُ المَسِيحُ مِن عُبَّادِهِ النَّصَارَىٰ وَيَقُولُ: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ﴾؟!

وَاللهُ يَعلَمُ أَنَّ المَسِيحَ لَم يَأمُر بِعِبَادَتِهِ، وَلَا يَرضَىٰ بِذَلِكَ، وَلَكِن يُرِيدُ اللهُ مِن هَذِهِ الآيَاتِ أَنْ يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ أَنَّ عِبَادَةَ المَسِيحِ الَّذِي هُوَ مِنَ الأَنبِيَاءِ المُرسَلِينَ لَا تَجُوزُ، بَل وَيَكُونَ شِركًا، فَكَيفَ بِعِبَادَةِ غَيرِهِ مِنَ الأَولِيَاءِ، وَمِنَ الأَشجَارِ، وَمِنَ الغِيرَانِ وَالكُهُوفِ؟!

أَلَم يَسمَعْ هَؤُلَاءِ الضَّالُّونَ قَولَ اللهِ مُخَاطِبًا لِسَيِّدِ العَالَمِينَ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ﴾ [يونس:١٠٧].

فَإِذَا كَانَ الضُّرُّ النَّازِلُ بِالرَّسُولِ لَا يَستَطِيعُ أَن يَدفَعَهُ، فَكَيفَ يَستَطِيعُ الرَّسُولُ -وَأَولَىٰ مَن هُو دُونَهُ- أَن يَدفَعَ ضُرًّا نَزَلَ بِغَيرِهِ؟!

أَلَم يَسمَع هَؤُلَاءِ قَولَ اللهِ العَظِيمِ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠].

أَلَم يَنعَ عَلَىٰ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ بِاتِّخَاذِهِم أَحبَارَهُم وَرُهبَانَهُم أَربَابًا مِن دُونِ اللهِ[1]،

---

(١) روىٰ الإمام أحمد والترمذي وحسَّنه، عن عديِّ بن حاتم، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يقرأُ هَذِهِ الآيَةَ، فَقُلتُ لَهُ: إِنَّا لَسنَا نَعبُدُهم، قَالَ: «أَلَيسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ؟! وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّونَهُ؟! فقلتُ: بَلَىٰ، قال: فَتِلكَ عِبَادَتُهُم».

فَأَنتَ تَرَىٰ أَنَّ الحَدِيثَ يُصَرِّحُ أَنَّ عِبَادَةَ الأَحبَارِ وَالرُّهبَانِ هِيَ طَاعَتُهُم فِي خِلَافِ حُكمِ اللهِ وَرَسُولِهِ.
=

كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

الفَرقُ بَينَ تَوحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوحِيدِ الأُلُوهِيَّةِ وَجَهلُ الكَثِيرِينَ بِهِ:

فَالوَاجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُسلِمٍ أَن يُمَيِّزَ الفَرقَ بَينَ تَوحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَتَوحِيدِ الأُلُوهِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ قَد أَخطَأَ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ العُلَمَاءِ، فَضلًا عَنِ الجُهَلَاءِ، وَذَلِكَ أَنَّ أُولَئِكَ المُخطِئِينَ فَسَّرُوا

=

قَالَ شَيخُ الإِسلَامِ -مَا مَعنَاهُ مُختَصَرًا-: إِنَّ هَؤُلَاءِ المُقَلِّدِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الأَحبَارَ أَربَابًا فِي تَحلِيلِ مَا حَرَّمَ اللهُ وَعَكسِهِ، يَكُونُونَ عَلَىٰ وَجهَينِ:

أحدهما: يَعلَمُونَ أَن الأَحبَارَ وَالرُّهبَانَ قَد بَدَّلُوا دِينَ اللهِ فَيَتَّبِعُونَهُم عَلَىٰ التَّبدِيلِ فَيَعتَقِدُونَ تَحلِيلَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَعَكسَهُ، اتِّبَاعًا لِرُؤُسَائِهِم، فَهَذَا كُفرٌ، وَقَد جَعَلَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ شِركًا، وَإِن لَم يَكُونُوا يُصَلُّونَ لَهُم وَيَسجُدُونَ.

الثاني: يَعتَقِدُونَ تَحرِيمَ الحَرَامِ وَعَكسَهُ، لَكِن أَطَاعُوهُم فِي مَعصِيَةِ اللهِ، كَمَا يَفعَلُ المُسلِمُ مَا يَفعَلُهُ مِنَ المَعَاصِي الَّتِي يَعتَقِدُ أَنَّهَا مَعَاصٍ، فَهَؤُلَاءِ لَهُم حُكمُ أَمثَالِهِم مِن أَهلِ الذُّنُوبِ. اهـ

وَمِثلُ هَؤُلَاءِ: المُقَلِّدُونَ لِلمُجتَهِدِينَ، الَّذِينَ يُخَالِفُونَ آيَ القُرآنِ وَنَصَّ الحَدِيثِ الصَّحِيحِ الآتِي بِخِلَافِ مَذهَبِهِم، فَيَجمُدُونَ عَلَىٰ المَذهَبِ وَيَتَعَصَّبُونَ له؛ بِحُجَّةِ أَنَّ صَاحِبَ المَذهَبِ أَعلَمُ مِنَّا! وَالمُتَحَذلِقُ مِنهُم يُؤَوِّلُ الآيَةَ عَلَىٰ حَسَبِ أَهوَائِهِ وَمَذهَبِهِ، وَيَرُدُّ الحَدِيثَ بـ: «لَعَلَّهُ لَم يَصِحَّ عِندَ إِمَامِنَا»! أو: «لَعَلَّ لَهُ نَاسِخًا أو مُخَصِّصًا لَا نَعلَمُهُ»، وَنَحوُ ذَلِكَ مِنَ الأَعذَارِ الوَاهِيَةِ وَالشُّبُهَاتِ الدَّاحِضَةِ، وَأَينَ هَؤُلَاءِ مِن هَذِهِ الآيَةِ الشَّرِيفَةِ، وَمِن قَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣]، ومِن قَولِهِ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

عَلَىٰ أَنَّ الأَئِمَّةَ -رَحِمَهُمُ اللهُ- لَهُمُ الفَضلُ فِي تَدوِينِ العُلُومِ -وَمَكَانَتُهُم لَا تَخفَىٰ-، وَقَد نَهَوا عَن تَقلِيدِهِم وَتَقلِيدِ غَيرِهِم، وَلَيسَ كَلَامُنَا فِي العَاجِزِ، أَو مَن لَم يَظهَر لَهُ الدَّلِيلُ، فَإِنَّ هَذَا لَا بَأسَ لَهُ أَن يُقَلِّدَ. وَإِنَّمَا كَلَامُنَا فِيمَن حَوَىٰ مِنَ العُلُومِ مَا يُمَكِّنُهُ مِن فَهمِ الآيَاتِ وَالأَحَادِيثِ، أَو ظَهَرَ لَهُ الدَّلِيلُ بِخِلَافِ المَذهَبِ وَإِن لَم يَحوِ مِنَ العِلمِ شَيئًا كَثِيرًا، فَإِنَّ مِثلَ هَذَا لَا عُذرَ لَهُ فِي تَركِ النَّصِّ وَالأَخذِ بِالتَّقلِيدِ.

كَلِمَةَ (الإِلَهِ) بِالقَادِرِ عَلَىٰ الاختِرَاعِ، أَوِ الخَالِقِ، أَو المَالِكِ.

وَالحَالُ أَنَّ الأَمرَ لَيسَ كَذَلِكَ؛ بَلِ (الإِلَهُ) يُطلَقُ عَلَىٰ كُلِّ مَعبُودٍ بِحَقٍّ أَو بَاطِلٍ[١]، وَلِهَذَا لَمَّا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ لِمُشرِكِي قُرَيشٍ: «قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفلِحُوا، وَتَملِكُوا بِهَا العَرَبَ وَتَدِينُ لَكُم بِهَا العَجَمُ» [الحاكم (٢/ ٦١١، ٦١٢)].

قَالُوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴾ [ص: ٥-٧].

وَأَمَّا لَفظُ الجَلَالَةِ، فَلَا يُطلَقُ إِلَّا عَلَىٰ اللهِ العَظِيمِ، فَمُشرِكُو العَرَبِ كَانُوا أَعرَفَ بِمَعنَىٰ الإِلَهِ مِن مُشرِكِي زَمَانِنَا، وَالبَلِيَّةُ كُلُّ البَلِيَّةِ، وَالجَهلُ كُلُّ الجَهلِ، أَنَّ الكَثِيرِينَ مِمَّن يَنطِقُونَ بِشَهَادَةِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، لَا يَعرِفُونَ مَعنَىٰ هَاتَينِ الكَلِمَتَينِ!!

مَعنَى (لَا إِلَهَ إِلا الله)[٢]:

---

(١) هَذَا أَصلُ وَضعِهِ فِي اللُّغَةِ، ثُمَّ غَلَبَ عَلَىٰ المَعبُودِ بِحَقٍّ.

(٢) شُرُوطُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ السَّبعَةُ:

١ - العِلمُ المُنَافِي لِلجَهلِ: فَمَن لَم يَعرِف المَعنَىٰ فَهُوَ جَاهِلٌ بِمَدلُولِهَا. وَمَعنَاهَا: البَرَاءَةُ مِن كُلِّ مَا يُعبَدُ مِن دُونِ اللهِ، وَإِخلَاصُ العِبَادَةِ لِلَّهِ وَحدَهُ.

٢ - اليَقِينُ المُنَافِي لِلشَّكِّ: لأَنَّ مِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُهَا وَهُوَ شَاكٌّ فِيمَا دَلَّت عَلَيهِ مِن مَعنَاهَا.

٣- الإِخلَاصُ المُنَافِي لِلشِّركِ: فَإِنَّ مَن لَم يُخلِص أَعمَالَهُ كُلَّهَا لِلَّهِ فَهُوَ مُشرِكٌ شِركًا يُنَافِي الإِخلَاصَ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الزمر: ١١].

٤ - الصِّدقُ المُنَافِي لِلنِّفَاقِ: لأَنَّ المُنَافِقِينَ يَقُولُونَهَا، وَلَكِنَّهُم لَم يُطَابِق قَولُهُم مَا فِي جَنَانِهِم، فَصَارَ قَولُهُم كَذِبًا، لِمُخَالَفَةِ الظَّاهِرِ لِلبَاطِنِ، كَمَا أَخبَرَ اللهُ عَنهُم: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ [الفتح: ١١].

٥ - القَبُولُ المُنَافِي لِلرَّدِّ: لأَنَّ فِي النَّاسِ مَن يَقُولُهَا مَعَ مَعرِفَةِ مَعنَاهَا، لَكِن لَا يَقبَلُ مِمَّن دَعَاهُ إِلَيهَا، إِمَّا كِبرًا، وإِمَّا حَسَدًا، أَو غَيرَ ذَلِكَ مِنَ الأَسبَابِ.

٦ - الانقِيَادُ المُنَافِي لِلتَّركِ: وَيَحصُلُ الانقِيَادُ بِالعَمَلِ بِمَا فَرَضَهُ اللهُ، وَتَركِ مَا حَرَّمَهُ اللهُ، وَالتِزَام ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الإِسلَامَ حَقِيقَتُهُ أَن يُسلِمَ العَبدُ بِقَلبِهِ وَجَوارِحِهِ لله، وَيَنقَادَ لَهُ بِالتَّوحِيدِ وَالطَّاعَةِ، كَمَا قَالَ اللهُ: =

فَلو عَرَفُوا أَنَّ مَعنَىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»: أَي: لَا مَعبُودَ بِحَقٍّ فِي الوُجُودِ إِلَّا اللهُ.

«فَلَا إِلَهَ»: نَفيٌ لِجَمِيعِ المَعبُودَاتِ البَاطِلَةِ.

وَ«إِلَّا اللهُ»: إِثبَاتٌ لِلمَعبُودِ الحَقِّ جَلَّ جَلَالُهُ.

وَلَو عَرَفُوا هَذَا المَعنَىٰ، وَعَرَفُوا أَنَّ مَا يَأتُونَ بِهِ لِأَولِيَائِهِم وَسَادَتِهِم وَقُبُورِ صَالِحِيهِم، مِنَ الذَّبحِ أَوِ النَّذرِ لَهُم، أَوِ التَّبَرُّكِ بِتُرَابِ قُبُورِهِم، أَوِ الصَّلَاةِ إِلَيهِم، أَوِ الطَّوَافِ بِأَضرِحَتِهِم، أَو طَلَبِ قَضَاءِ حَاجَةٍ مِنهُم، تَألِيهٌ لِأُولَئِكَ الصَّالِحِينَ، وَالإِلَهِيَّةُ لَا تَصلُحُ إِلَّا لِلَّهِ.

لَعَلِمُوا أَنَّ هَذَا شِركٌ أَكبَرُ، وَقَد قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وَإِذ ذَكَرتُ لِلقَارِئِ شُرُوطَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ هِيَ كَلِمَةُ التَّقوَىٰ وَمِفتَاحُ الإِسلَامِ وَمِفتَاحُ الجَنَّةِ دَارِ السَّلَامِ.

نَوَاقِضُ الإِسلَامِ:

فَمِنَ الجَدِيرِ أَن أَذكُرَ نَوَاقِضَ الإِسلَامِ، فَهَاكَ بَيَانَهَا:

الأَوَّلُ: الشِّركُ فِي عِبَادَةِ اللهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]. ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وَمِنهُ الذَّبحُ لِغَيرِ اللهِ، كَمَن يَذبَحُ لِلجِنِّ أَو لِلقُبُورِ.

الثَّانِي: مَن جَعَلَ بَينَهُ وَبَينَ اللهِ وَسَائِطَ يَدعُوهُم وَيَسأَلُهُمُ الشَّفَاعَةَ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَيهِم: فَقَد كَفَرَ إِجمَاعًا.

=

﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢].

٧- المَحَبَّةُ المُنَافِيَةُ لِضِدِّهَا: فَلَا يَحصُلُ لِقَائِلِهَا مَعرِفَةٌ وَقَبُولٌ إِلَّا بِالمَحَبَّةِ، لِمَا دَلَّت عَلَيهِ مِنَ الإِخلَاصِ المُنَافِي لِلشِّركِ، فَمَن أَحَبَّ اللهَ أَحَبَّ دِينَهُ، وَمَن لَا، فَلَا. انتهى مُلَخَّصًا من كلام الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب -رحمهم الله-.

الثَّالِثُ: مَن لَم يُكَفِّرِ المُشرِكِينَ، أَو يَشكُّ فِي كُفرِهِم أَو مَذهَبِهِم كَفَرَ.

الرَّابِعُ: مَنِ اعتَقَدَ أَنَّ غَيرَ هَديِ النَّبِيِّ ﷺ أَكمَلُ مِن هَديِهِ، أَو أَنَّ حُكمَ غَيرِهِ أَحسَنُ مِن حُكمِهِ، كَالَّذِينَ يُفَضِّلُونَ حُكمَ الطَّوَاغِيتِ عَلَىٰ حُكمِهِ، فَهُوَ كَافِرٌ.

الخَامِسُ: مَن أَبغَضَ شَيئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَلَو عَمِلَ بِهِ فَقَد كَفَرَ.

السَّادِسُ: مَنِ استَهزَأَ بِشَيءٍ مِن دِينِ الرَّسُولِ أَوَ ثَوابِهِ أَو عِقَابِهِ، وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

السَّابِعُ: السِّحرُ، وَمِنهُ: الصَّرفُ وَالعَطفُ، فَمَن فَعَلَهُ أَو رَضِيَ بِه كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢].

الثَّامِنُ: مُظَاهَرَةُ المُشرِكِينَ وَمُعَاوَنَتُهُم عَلَىٰ المُسلِمِينَ، وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

التَّاسِعُ: مَنِ اعتَقَدَ أَنَّ بَعضَ النَّاسِ يَسَعُهُ الخُرُوجُ عَن شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَمَا وَسِعَ الخَضِرَ الخُرُوجُ عَن شَرِيعَةِ مُوسَىٰ عليه السلام فَهُوَ كَافِرٌ.

العَاشِرُ: الإِعرَاضُ عَن دِينِ اللهِ لَا يَتَعَلَّمُهُ وَلَا يَعمَلُ بِهِ، وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

وَلَا فَرقَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ النَّوَاقِضِ بَينَ الهَازِلِ وَالجَادِّ، وَالخَائِفِ إِلَّا المُكرَهَ، وَكُلُّهَا مِن أَعظَمِ مَا يَكُونُ خَطَرًا، وَأَكثَرُ مَا يَكُونُ وُقُوعًا فَيَنبَغِي لِلمُسلِمِ أَن يَحذَرَهَا وَيَخَافَ مِنهَا، نَعُوذُ بِاللهِ مِن مُوجِبَاتِ غَضَبِهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ[1].

مَعنَى (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ):

وَلَو عَرَفُوا أَنَّ مَعنَىٰ «أَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ»: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصدِيقُهُ فِيمَا

(١) كتاب «مجموعة التوحيد».

أَخبَرَ، وَاجتِنَابُ مَا عَنهُ نَهَىٰ وَزَجَرَ، وَأَلَّا يَعبُدُوا اللهَ إِلَّا بِمَا شَرَعَ، لَا بِالأَهوَاءِ وَالبِدَعِ.

وَتَدَبَّرُوا قَولَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: ٧].

وَقَولَهُ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٥].

وَقَولَهُ: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1] [النور: ٦٣].

وَقَولَهُ ﷺ: «مَن عَمِلَ عَمَلًا لَيسَ عَلَيهِ أَمرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[2].

وَقَولَهُ فِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ: «عَلَيكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهدِيِّينَ مِن بَعدِي، عَضُّوا عَلَيهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُم وَمُحدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. [صححه الألباني في ظلال الجنة للألباني (١/ ١٨)].

بَيَانُ بَعضِ البِدَعِ[3]:

---

(١) أمره: أي: أمر الرَّسُول، فِتنَةٌ: أي: شِركٌ أو كُفرٌ.

(٢) رواه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها، والمتفق عليه: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»؛ أي: مردود على صاحبه.

(٣) البِدعَةُ لُغَةً: الأَمرُ المُحدَثُ الَّذِي لَم يَسبِق لَهُ نَظِيرٌ؛ لِأَنَّ مَادَّةَ (بدع) لِلاختِرَاعِ.

وَعَرَّفَ عُلَمَاءُ الفِقهِ وَالحَدِيثِ البِدعَةَ بِتَعَارِيفَ، أَحسَنُهَا وأَوضَحُهَا: «الأَمرُ المُحدَثُ بَعدَ الرَّسُولِ بِقَصدِ التَّقَرُّبِ إِلَىٰ اللهِ»، فَبِقَصدِ التَّقَرُّبِ خَرَجَت البِدَعُ الدُّنيَوِيَّةُ؛ كَإِحدَاثِ البَارُودِ وَالقَهوَةِ وَالمَنَاجِلِ وَالسَّيَّارَاتِ وَالطَّائِرَاتِ وَمَا أَشبَهَ ذَلِكَ.

وَتَقسِيمُ بَعضِ العُلَمَاءِ البِدعَةَ إِلَىٰ حَسَنَةٍ وَقَبِيحَةٍ تَقسِيمٌ بَاطِلٌ لَا مُستَنَدَ لَهُ مِنَ الشَّرعِ، وَالتَّقسِيمُ الصَّحِيحُ أَنَّهَا قِسمَانِ: دِينِيَّةٌ وَدُنيَوِيَّةٌ، وَقَد عَرَفتَهُمَا مِمَّا سَبَقَ.

وَكَيفَ يَكُونُ لِتَقسِيمِهِم إِلَىٰ حَسَنَةٍ وَقَبِيحَةٍ أَصلٌ وَهُوَ يُنَافِي القُرآنَ وَالحَدِيثَ؟! وَإِلَيكَ البَيَانُ عَلَىٰ وَجهِ الاختِصَارِ.

=

لو عرفَ النَّاسُ معنىٰ الشَّهادتَينِ لعَلِموا أنَّ كثيرًا مِن صلَواتِهم وأدعِيَتِهم وأذكارِهم وأحزابِهم -مِمَّا ابتَدعَهُ بَعضُ الفُقهاءِ الجامِدِينَ أو المُتَصوِّفَةِ المُبطِلِينَ- أنَّها مِنَ البِدَعِ والضَّلالاتِ الَّتِي ما أنزَلَ اللهُ بِها مِن سُلطانٍ، مِثلُ الذِّكرِ بالاسمِ المُفرَدِ: (اللهُ اللهُ، أو: يا هُوَ يا هُوَ)، ومِثلُ حِلَقِ المُريدِينَ -اجتِماعُهُم فِي حَلقَاتٍ- الَّذِينَ يَزعُمُونَ أنَّهُم يَذكُرُونَ اللهَ بِمِثلِ هَذِهِ الأذكارِ المُختَرَعَةِ، وكَصَلاةِ الرَّغائِبِ[1]، ومِثلُ حِزبِ البَحرِ وأمثالِهِ، وابتِهالاتِ وصَلَواتٍ ومُناجاةٍ وإنشادِ قَصائِدَ فِي مَدحِ النَّبِيِّ ﷺ فوقَ المَنائِرِ قَبلَ الفَجرِ، وفِي لَيلَةِ الجُمُعَةِ ويَومِها، وبَعضِ صِيَغِ صَلَواتٍ علىٰ الرَّسُولِ لَم تَرِدِ السُّنَّةُ بِها.

مِثلَ قَولِهِم: «اللَّهُمَّ صَلِّ علىٰ مُحَمَّدٍ عَدَدَ ما فِي عِلمِ اللهِ صَلاةً دائِمَةً بِدَوامِ مُلكِ اللهِ».

=

١ - أمَّا القُرآنُ، فقَد قالَ اللهُ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فَمَا انتَقَلَ الرَّسُولُ مِنَ الدُّنيا إلَّا والدِّينُ كامِلٌ لا يَحتاجُ إلىٰ الزِّيادَةِ، ونُضِيفُ إلىٰ ذَلِكَ: أنَّ التَّشريعَ مِن حَقِّ رَبِّ العالَمِينَ، ولَيسَ مِن حَقِّ البَشَرِ، ولَئِن جازَتِ الزِّيادَةُ فِي الدِّينِ جازَ النَّقصُ! ولا قائِلَ بِذَلِكَ:

بِدِينِ الإسلامِ إن جازَ زَيدٌ ... فَجازَ النَّقصُ أيضًا أن يَكُونا

كَفَىٰ ذا القَولِ قُبحًا يا خَلِيلِي ... ولا يَرضاهُ إلَّا الجاهِلُونا

٢ - وأمَّا الحَدِيثُ: فَفِي الصَّحِيحِ: «إيَّاكُم ومُحدَثاتِ الأُمُورِ، فإنَّ كُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وكُلَّ بِدعَةٍ ضَلالَةٌ»، ولَفظُ «كُل» لِلعُمُومِ، ولا يَخرجُ فَردٌ مِنَ الأفرادِ المُبتَدَعَةِ إلَّا بِمُخَصِّصٍ، فأينَ المُخَصِّصُ هُنا حَتَّىٰ يُقالَ هَذِهِ بِدعَةٌ حَسَنَةٌ وخَرَجَت مِن حَيِّزِ العُمُومِ؟ فإن كانَ المُخَصِّصُ حَدِيثَ: «ما رآهُ المُسلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِندَ اللهِ حَسَنٌ» فالجَوابُ: أوَّلًا: إنَّ هَذا لَيسَ بِحَدِيثٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ بَل مِن كَلامِ ابنِ مَسعودٍ.

وثانِيًا: إن (ال) فِي كَلِمَةِ «المُسلِمُون» إن كانَت لِلاستِغراقِ -أي: كُلُّ المُسلِمِينَ-: فإجماعٌ، والإجماعُ حُجَّةٌ ولا كَلامَ فِيهِ، وإن كانَت لِلجِنسِ فَيَستَحسِنُ بَعضُ المُسلِمِينَ هَذا الأمرَ ويَستَقبِحُهُ البَعضُ الآخَرُ، كَما هُوَ الواقِعُ فِي أكثَرِ البِدَعِ، وعَلَيهِ سَقَطَ الاحتِجاجُ بِهَذا الأثَرِ.

(١) مِن أشنَعِ البِدَعِ وأقبَحِها: بِدعَةُ صَلاةِ الظُّهرِ بَعدَ صَلاةِ الجُمُعَةِ، بِحُجَّةِ أنَّ العَدَدَ ناقِصٌ عَنِ الأربَعِينَ، أو أنَّ المَأمُومِينَ لا يُحسِنُونَ القِراءَةَ، فإنَّ هَذِهِ البِدعَةَ الضَّالَّةَ تَجُرُّ إلىٰ الكُفرِ إنِ اعتَقَدَ أنَّ صَلاةَ الظُّهرِ بَعدَ الجُمُعَةِ فَرضٌ، وإلىٰ البِدعَةِ والضَّلالِ إنِ اعتَقَدَ أنَّها سُنَّةٌ.

وَكَقَولِهِم: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ وَغَفَلَ عَن ذِكرِكَ الغَافِلُونَ»!

لِأَنَّ الصَّلَاةَ عَلَىٰ الرَّسُولِ مِن أَجَلِّ القُرُبَاتِ، كَيفَ لَا وَقَد أَمَرَنَا بِهَا فِي كِتَابِهِ المَجِيدِ، بِقَولِهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وَالصِّيَغُ الوَارِدَةُ فِي الصَّلَاةِ عَلَىٰ الرَّسُولِ مُدَوَّنَةٌ فِي كُتُبِ السُّنَّةِ، لَا حَاجَةَ إِلَىٰ الِاختِرَاعِ وَالِابتِدَاعِ فِي صِيَغِهَا؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ عَلَيهِ ﷺ عِبَادَةٌ، وَالعِبَادَةُ مَبنِيَّةٌ عَلَىٰ التَّوقِيفِ.

مِنَ صِيَغِ الصَّلَاةِ عَلَى الرَّسُولِ:

وَمِنَ الصِّيَغِ الوَارِدَةِ لِلصَّلَاةِ عَلَيهِ ﷺ مَا رَوَاهُ مُسلِمٌ عَنِ ابنِ نُمَيرٍ، عَن رَوحِ بنِ عُبَادَةَ، وَعَبدِ اللهِ بنِ نَافِعٍ الصَّائِغِ، أَنَّهُم قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيفَ نُصَلِّيَ عَلَيكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَأَزوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيتَ عَلَىٰ آلِ إِبرَاهِيمَ، وَبَارِك عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَأَزوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكتَ عَلَىٰ آلِ إِبرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» [مسلم (٤٠٧)].

وَكَمَا رَوَاهُ البُخَارِيُّ عَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ، قَالَ: قُلنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا السَّلَامُ عَلَيكَ عَرَفنَاهُ، فَكَيفَ الصَّلَاةُ عَلَيكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ عَبدِكَ وَرَسُولِكَ، كَمَا صَلَّيتَ عَلَىٰ إِبرَاهِيمَ، وَبَارِك عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكتَ عَلَىٰ آلِ إِبرَاهِيمَ» [البخاري (٤٧٩٨)].

شُبهَةٌ لِلقُبُورِيِّينَ وَرَدُّهَا:

وَإِنَّمَا قُلنَا: يَجِبُ عَلَىٰ المُسلِمِ أَن يُمَيِّزَ الفَرقَ بَينَ تَوحِيدِ الأُلُوهِيَّةِ وَتَوحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ؛ لِأَنَّ المُوَحِّدَ إِذَا أَنكَرَ عَلَيهِم مَا يَأتُونَ مِن أَفَانِينِ العِبَادَاتِ، وَأَنوَاعِ التَّضَرُّعَاتِ لِتِلكَ القُبُورِ، وَقَالَ لَهُم: إِنَّ عَمَلَكُم هَذَا شِركٌ، غَضِبُوا وَقَالُوا: كَيفَ تَصِفُنَا بِالشِّركِ وَنَحنُ نَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّ اللهَ هُوَ الخَالِقُ الرَّازِقُ المُحيِي المُمِيتُ، وَبِيَدِهِ

النَّفعُ وَالضُّرُّ، وَإِلَيهِ المَرجِعُ وَالمَصِيرُ؟! وَغَايَةُ الأَمرِ: أَنَّنَا نَجعَلُ هَؤُلَاءِ الأَنبِيَاءَ أَوِ الصُّلَحَاءَ شُفَعَاءَ يَشفَعُونَ لَنَا عِندَ اللهِ؛ لأَنَّنَا مُلَطَّخُونَ بِأَنجَاسِ الذُّنُوبِ، لَيسَ لَنَا قَدرٌ حَتَّىٰ نَطلُبَ مِنَ اللهِ أَن يَغفِرَ ذُنُوبَنَا، أَو يَقضِيَ حَاجَتَنَا، أَو يَدفَعَ ضُرَّنَا، فَنَستَشفِعَ بِهَؤُلَاءِ وَنَجعَلَهُم وُسَطَاءَ بَينَنَا وَبَينَ اللهِ، لِمَا نَعلَمُ مَا لَهُم مِنَ الجَاهِ وَالمَنزِلَةِ بِمَثَابَةِ الوَزِيرِ عِندَ المَلِكِ؛ حَيثُ إِنَّ أَفرَادَ الرَّعِيَّةِ لَا يَستَطِيعُونَ أَن يَصِلُوا إِلَىٰ المَلِكِ إِذَا حَلَّ بِهِم ظُلمٌ أَو كَارِثَةٌ، فَيَتَوَسَّلُونَ بِالوَزِيرِ أَوِ المُقَرَّبِ؛ لِيَشفَعَ لَهُم عِندَ المَلِكِ أَوِ السُّلطَانِ أَوِ الوَزِيرِ لِيَقضِيَ المَلِكُ حَوَائِجَهُم، أَو يَدفَعَ عَنهُمُ الظُّلمَ.

فَنَقُولُ لِهَؤُلَاءِ الجُهَلَاءِ فِي الجَوَابِ:

أَوَّلًا: إِنَّ عَقِيدَتَكُم هِيَ عَقِيدَةُ المُشرِكِينَ بِذَاتِهَا، قَالَ اللهُ إِخبَارًا عَنِ المُشرِكِينَ السَّالِفِينَ: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨].

وَقَالَ اللهُ فِي آيَةٍ أُخرَىٰ إِخبَارًا عَنهُم: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣].

فَاعتِقَادُ أُولَئِكَ المُشرِكِينَ بِأَنَّ اللهَ خَالِقُهُم وَرَازِقُهُم... إِلَخ لَم يَنفَعهُم، وَلَم يَحقِن دِمَاءَهُم؛ لِأَنَّهُم عَبَدُوا الأَصنَامَ لِيُقَرِّبُوهُم إِلَىٰ اللهِ، وَلِيَشفَعُوا لَهُم، لَم يَعبُدُوهَا لِأَنَّهَا خَالِقَةٌ وَرَازِقَةٌ وَمُدَبِّرَةٌ لِلأُمُورِ[1]، وَلَا يَخفَىٰ هَذَا عَلَىٰ أَحَدٍ قَرَأَ القُرآنَ وَتَدَبَّرَهُ.

---

(١) إِذ لَا يَتَصَوَّرُ عَاقِلٌ عَرَفَ حَالَ المُشرِكِينَ، وَمَا أُوتُوا مِن فَهمٍ وَعَقلٍ أَن يَنحِتُوا أَصنَامًا بِأَيدِيهِم وَيَعتَقِدُوا أَنَّهَا خَالِقَةٌ وَرَازِقَةٌ وَمُدَبِّرَةٌ، وَلَا يُوجَدُ عَاقِلٌ يَعتَقِدُ ذَلِكَ، لَا فِي الوَثَنِيِّينَ السَّالِفِينَ، وَلَا الحَاضِرِينَ، وَلَكِن عَبَدُوهَا عَلَىٰ أَنَّهَا صُوَرُ قَومٍ صَالِحِينَ، وَتَقَرَّبُوا إِلَيهَا بِالعِبَادَاتِ لِكَي تَشفَعَ لَهُم عِندَ اللهِ، كَمَا نَطَقَ القُرآنُ بِذَلِكَ.

تَشبِيهُ الخَالِقِ بِالْمَخلُوقِ:

وَثَانِيًا: إِنَّ هَؤُلَاءِ الجُهَلَاءِ قَد شَبَّهُوا الرَّبَّ العَظِيمَ بِالمَلِكِ البَشَرِيِّ.

قَد شَبَّهُوا رَبَّ العَالَمِينَ بِالسُّلطَانِ المَخلُوقِ مِن مَاءٍ مَهِينٍ.

قَد شَبَّهُوا أَعدَلَ العَادِلِينَ وَأَرحَمَ الرَّاحِمِينَ بِالمَلِكِ المَخلُوقِ الَّذِي قَد يَكُونُ مِن أَظلَمِ الظَّالِمِينَ.

قَد شَبَّهُوا اللهَ بِالمَخلُوقِ وَتَوَسَّلُوا إِلَيهِ بِالشُّفَعَاءِ وَالأَندَادِ، فَجَمَعُوا بَينَ الشِّركِ وَالتَّشبِيهِ، وَلَم يَعلَمُوا أَنَّهُ لَا يُقَاسُ الإِلَهُ بِالمَخلُوقِ، وَلَا الرَّبُّ المَالِكُ بِالمَملُوكِ.

وَبَيَانُ ذَلِكَ عَلَىٰ وَجهِ الاختِصَارِ: أَنَّ المَلِكَ البَشَرِيَّ قَد لَا يَعلَمُ بِالظُّلمِ الوَاقِعِ عَلَىٰ ذَلِكَ المُتَوَسِّلِ بِالوَزِيرِ، أَو يَعلَمُ أَنَّ الظُّلمَ الوَاقِعَ مِن أَحَدِ أَبنَائِهِ أَو عَشِيرَتِهِ مِمَّن يُجَامِلُهُم وَلَا يُرِيدُ أَن يَجرَحَ عَوَاطِفَهُم! أَو أَنَّ الظُّلمَ صَدَرَ مِنهُ عَلَىٰ ذَلِكَ.

فَأَنَّىٰ يُقَاسُ الخَالِقُ بِالمَخلُوقِ؟!

فَهَلِ اللهُ لَا يَعلَمُ بِالظُّلمِ الوَاقِعِ عَلَىٰ هَذَا العَبدِ؟! أَو لَا يَعلَمُ بِحَاجَتِهِ، أَو بِالضُّرِّ الَّذِي مَسَّهُ؟! وَهُوَ القَائِلُ: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

وَهَلِ اللهُ يَصدُرُ مِنهُ الظُّلمُ لِأَحَدٍ؟!

أَو لَهُ أَقرِبَاءُ يُنزِلُونَ ظُلمَهُم بِأَحَدٍ مِنَ العِبَادِ؟!

وَهَل لِلَّهِ وَزِيرٌ أَو مُعِينٌ أَو ظَهِيرٌ حَتَّىٰ يَتَوسَّلَ إِلَيهِ العِبَادُ؛ لِيَشفَعَ لَهُم عِندَ اللهِ ذَلكَ الوَزِيرُ أَو المُعِينُ أَوِ الظَّهِيرُ؟!

فَمَا أَفسَدَ هَذَا القِيَاسَ وَأَخبَثَهُ! وَمَا أَجهَلَ هَؤُلَاءِ وَأَكفَرَهُم بِاللهِ.

لا وَاسِطَةَ بَينَ الخَالِقِ وَالمَخلُوقِ إِلاَّ فِي تَبلِيغِ الشَّرَائِعِ:

وَأَيُّ حَاجَةٍ إِلَىٰ وَاسِطَةٍ؟! وَاللهُ يَقُولُ: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

وَيَقُولُ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وَالوَاسِطَةُ لِلتَّبلِيغِ هُمُ الرُّسُلُ -عَلَيهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ-، أَمَّا الوَاسِطَةُ فِي رَفعِ ضُرٍّ أَو جَلبِ نَفعٍ، فَتِلكَ عَقِيدَةُ المُشرِكِينَ!

كَيفَ تَكُونُ وَاسِطَةٌ بَينَ العَبدِ وَرَبِّهِ، وَقَد قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ(١)﴾ [غافر:٦٠]. لَم يَقُلِ اللهُ: ادعُوا أَولِيَائِي، أَوِ ادعُوا أَنبِيَائِي، أَوِ استَغِيثُوا بِأَحِبَّائِي وَالصَّالِحِينَ مِن عِبَادِي، بَل قَالَ: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر: ٦٠].

وَقَالَ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦].

وَفِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ: «مَن لَم يَسأَلِ اللهَ يَغضَب عَلَيهِ» [صحيح سنن ابن ماجه (٣٢٤)]، كَمَا وَرَدَ فِي الحَدِيثِ: «ادعُوا الله وَأَنتُم مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ» [صحيح الجامع (٢٤٣)]، وَلَم يَقُلِ الرَّسُولُ ﷺ: ادعُوا الأَنبِيَاءَ حَتَّى يَطلُبُوا مِنَ اللهِ لَكُم، أَو تَوَسَّلُوا بِالأَنبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ!

عَدَمُ ثُبُوتِ التَّوَسُّلِ عَنِ النَّبِيِّ وَأَصحَابِهِ:

وَلِذَا لَم يَثبُتِ التَّوَسُّلُ عَنِ الأَنبِيَاءِ بَعضِهِم بِبَعضٍ، كَمَا لَم يَثبُت التَّوَسُّلُ عَنِ الصَّحَابَةِ بِالرَّسُولِ ﷺ، وَلَم يَثبُت عَنِ التَّابِعِينَ، وَلَا عَنِ الأَئِمَّةِ المُعتَبَرِينَ.

التَّوَسُّلُ قِسمَانِ: مَشرُوعٌ وَمَمنُوعٌ.

أَمَّا المَشرُوعُ، فَهُوَ قِسمَانِ أَيضًا:

القِسمُ الأَوَّلُ: هُوَ التَّوَسُّلُ بِالإِيمَانِ بِاللهِ وَبِرَسُولِه وَبِالأَعمَالِ الصَّالِحَةِ، وَلَم يَقَع فِي هَذَا خِلَافٌ بَينَ العُلَمَاءِ، سَوَاءٌ كَانَ فِي حَيَاةِ الرَّسُولِ أَو بَعدَ مَوتِهِ.

القِسمُ الثَّانِي مِنَ المَشرُوعِ: التَّوَسُّلُ بِدُعَائِهِ ﷺ يَومَ كَانَ حَيًّا، بِأَن يَأتِي السَّائِلُ فَيَسأَلُ الرَّسُولَ ﷺ أَن يَطلُبَ لَهُ مِنَ اللهِ العَافِيَةَ، كَمَا طَلَبَ الأَعرَابِيُّ مِنَ الرَّسُولِ أَن يَستَسقِيَ لَهُم

(١) دَاخِرِين: صَاغِرِين.

[البخاري (١٠١٣)، ومسلم (٨٩٧)]، وَكَمَا طَلَبَ الأَعمَىٰ مِنَ الرَّسُولِ أَن يَدعُوَ لَهُ بِرَدِّ بَصَرِهِ- إِن صَحَّ حَدِيثُ الأَعمَىٰ[1]، وَكَمَا طَلَبَتِ الجَارِيَةُ السَّودَاءُ -الَّتِي كَانَت تُصرَعُ- أَن يُعَافِيَهَا الله، فَخَيَّرَهَا الرَّسُولُ بَينَ الصَّبرِ وَبَينَ أَن يَدعُوَ لَهَا، فَاختَارَتِ الصَّبرَ، وَسَأَلَتهُ أَن يَدعُوَ الله أَلَّا تَتَكَشَّفَ عِندَمَا يَأتِيهَا الصَّرَعُ.

وَهَذَا التَّوَسُّلُ الَّذِي هُوَ بِدُعَائِهِ قَدِ انقَطَعَ بِمَوتِهِ ﷺ، فَلَا يَجُوزُ لِمُسلِمٍ أَن يَأتِيَ قَبرَ رَسُولِ اللهِ، فَيَسأَلَهُ حَاجَةً، أَو غُفرَانَ ذَنبٍ، أَو كَشفَ ضُرٍّ، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ ذَلِكَ: أَنَّ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ انقَطَعَ المَطَرُ وَأَرَادَ عُمَرُ أَن يَستَسقِيَ، وَطَلَبَ مِنَ العَبَّاسِ بنِ عَبدِ المُطَّلِبِ أَن يَدعُوَ لَهُم بِالاستِسقَاءِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا إِذَا أَجدَبنَا نَتَوَسَّلُ إِلَيكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا» ثُمَّ قَالَ: «قُم يَا عَبَّاسُ فَادعُ اللهَ لَنَا» رَوَاهُ البُخَارِيُّ [(١٠١٠)].

فَلَو كَانَ التَّوَسُّلُ بِالرَّسُولِ بَعدَ مَوتِهِ جَائِزًا، لَمَا عَدَلَتِ الصَّحَابَةُ عَنِ الرَّسُولِ إِلَىٰ العَبَّاسِ بنِ عَبدِ المُطَّلِبِ، وَهَذَا مِنَ الوُضُوحِ بِمَكَانٍ لَا يَخفَىٰ إِلَّا عَلَىٰ مَن أَعمَاهُ التَّعَصُّبُ وَالعِنَادُ، وَسَلَكَ سَبِيلَ أَهلِ الضَّلَالِ وَالفَسَادِ.

وَلِزِيَادَةِ الإِيضَاحِ وَالبَيَانِ نُورِدُ لَكُم بَعضَ أَدعِيَةِ الأَنبِيَاءِ -عَلَيهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-:

أَدعيَةُ الرُّسُلِ:

فَهَذَا أَبُونَا آدَمُ، لَمَّا اقتَرَفَ الخَطِيئَةَ قَالَ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا

---

(١) لَم يَصِحَّ حَدِيثُ الأَعمَىٰ، وهو حديث عُثمان بن حنيف، قَال في «صيانة الإنسان»: هو غير ثابتٍ؛ لأَنَّ في سنده أبا جعفر الرازي، وهو سيِّئ الحفظ يَهِم كثيرًا، فلا يُحتجُّ بما ينفرد به. اهـ

وعلىٰ فَرضِ صِحَّتِهِ، فَإِنَّهُ تَوَسُّلٌ بِدُعَائِهِ ﷺ؛ لِأَنَّ فِي الحديث عن عثمان بن حنيف: أَنَّ رجلًا ضَريرًا أَتَىٰ النَّبِيَّ، فَقَالَ: يا نَبِيَّ اللهِ، ادعُ اللهَ أَن يُعَافِيَنِي، قَال: «إِن شِئتَ أَخَّرتُ ذَلِكَ فَهُوَ خَيرٌ لآخِرَتِكَ، وَإِن شِئتَ دَعَوتُ لَكَ»، قال: لَا، بَلِ ادعُ اللهَ لِي، فَأَمَرَهُ أَن يَتَوَضَّأَ وَأَن يُصَلِّيَ رَكعَتَينِ، وَأَن يَدعُوَ بالدعاء المَذكُورِ فِي الحديث، فالحديثُ نصٌّ فِي التَّوَسُّلِ بدعائه ﷺ، والتَّوَسُّلُ بِدُعَاءِ الرَّسُولِ وَغَيرِهِ فِي الحَيَاةِ جَائِزٌ لَا خِلَافَ فِيهِ، وَلَيسَ فِي هَذَا الحَدِيثِ: أَسأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ، أَو بِجَاهِ مُحَمَّدٍ، حَتَّىٰ يَصِحَّ استدلالُهُم.

تَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

فَلَم يَتَوَسَّل أَبُونَا آدَمُ بِمُحَمَّدٍ كَمَا زَعَمَ الزَّاعِمُونَ، وَأَورَدُوهُ حَدِيثًا عَن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ ﷺ!! قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا اقتَرَفَ آدَمُ الخَطِيئَةَ قَالَ: يَا رَبِّ، أَسأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَا غَفَرتَ لِي، فَقَالَ اللهُ: يَا آدَمُ، وَكَيفَ عَرَفتَ مُحَمَّدًا وَلَم أَخلُقهُ؟ قَالَ: يَا رَبِّ؛ لِأَنَّكَ لَمَّا خَلَقتَنِي بِيَدِكَ وَنَفَختَ فِيَّ مِن رُوحِكَ رَفَعتُ رَأسِي فَرَأَيتُ عَلَىٰ قَوَائِمِ العَرشِ مَكتُوبًا: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ»، فَعَلِمتُ أَنَّكَ لَم تُضِف إِلَىٰ اسمِكَ إِلَّا أَحَبَّ الخَلقِ إِلَيكَ، فَقَالَ اللهُ: صَدَقتَ يَا آدَمُ؛ إِنَّهُ لَأَحَبُّ الخَلقِ إِلَيَّ، ادعُنِي بِحَقِّهِ فَقَد غَفَرتُ لَكَ، وَلَولَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقتُكَ» رَوَاهُ الحَاكِمُ فِي مُستَدرَكِهِ [السلسلة الضعيفة (٢٥)].

وَقَد أَجَابَ أَهلُ العِلمِ: أَنَّ الحَاكِمَ مُتَسَاهِلٌ فِي تَصحِيحِ الأَحَادِيثِ، حَتَّىٰ اتَّهَمَهُ بَعضُهُم بِسُوءِ العَقِيدَةِ، فَقَد قَالَ الذَّهَبِيُّ فِي تَعلِيقِهِ عَلَىٰ المُستَدرَكِ فِي خُصُوصِ هَذَا الحَدِيثِ: إِنَّهُ حَدِيثٌ مَوضُوعٌ، فَلَا حُجَّةَ فِي مَوضُوعٍ؛ بَل وَلَا فِي ضَعِيفٍ.

وَإِذ سَمِعتُم دُعَاءَ آدَمَ ﷺ فَاسمَعُوا دُعَاءَ نُوحٍ، كَمَا أَخبَرَ اللهُ عَنهُ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨].

وَقَالَ اللهُ عَن إِبرَاهِيمَ ﷺ: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾[1] [إبراهيم: ٤١].

وَقَالَ اللهُ مُخبِرًا عَن أَيُّوبَ: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وَعَن يُونُسَ لَمَّا التَقَمَهُ الحُوتُ: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

---

(١) دعاء إبراهيم لوالده قبل أن يتبين له أنه عَدُوٌّ لله؛ كما أخبر الله عنه: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

وَعَن زَكَرِيَّا: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩٠].

وَعَن يُوسُفَ ﷺ: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وَأَدعِيَةُ الرَّسُولِ ﷺ كَثِيرَةٌ مَبثُوثَةٌ فِي كُتُبِ السُّنَّةِ، وَفِي كُتُبِ الأَذكَارِ:

وَمِنهَا: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ العَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنيَايَ وَأَهلِي وَمَالِي وَبَدَنِي..» [صحيح سنن ابن ماجه (٣١٢١)]. إِلَىٰ آخِرِ الدُّعَاءِ.

وَمِنهَا: دُعَاءُ سَيِّدِ الاستِغفَارِ المَشهُورِ [البخاري (٦٣٠٦)].

وَمِنهَا: دُعَاءُ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَدعُوكَ كَمَا أَمَرتَنَا، فَاستَجِب لَنَا كَمَا وَعَدتَنَا، اللَّهُم اقسِم لَنَا مِن خَشيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَينَنَا وبَينَ مَعَاصِيكَ، وَمِن طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ اليَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَينَا مَصَائِبَ الدُّنيَا، اللَّهُم مَتِّعنَا بِأَسمَاعِنَا وَأَبصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحيَيتَنَا، وَاجعَلهُ الوَارِثَ مِنَّا...» [صحيح سنن الترمذي (٣٥٠٢)] إلخ.

فَهَل يَستَطِيعُ أَحَدٌ مِن هَؤُلَاءِ أَن يَأتِيَ بِحَرفٍ مِنَ القُرآنِ، أَو مِنَ السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ عَلَىٰ مَشرُوعِيَّةِ التَّوَسُّلِ بِالصَّالِحِينَ أَو الأَنبِيَاءِ وَالمُرسَلِينَ، فَضلًا عَنِ الاستِغَاثَةِ بِالرَّسُولِ أَو بِغَيرِهِ؟ فَإِنَّ الاستِغَاثَةَ بِغَيرِ اللهِ شِركٌ لَا رَيبَ فِيهَا، وَأَمَّا التَّوَسُّلُ فَهُوَ بِدعَةٌ، لَا كُفرٌ.

وَمِنَ الأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ أَنَّ التَّوَسُّلَ يَكُونُ بِالأَعمَالِ الصَّالِحَةِ، مَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ [البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣)] عَنِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ انطَبَقَت عَلَيهِمُ الصَّخرَةُ، فَتَوَسَّلَ أَحَدُهُم بِبِرِّ وَالِدَيهِ، وَالثَّانِي تَوَسَّلَ بِتَعَفُّفِهِ عَنِ الزِّنَا بَعدَ أَن جَلَسَ مِنَ المَرأَةِ مَجلِسَ الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ، وَالثَّالِثُ تَوَسَّلَ بِتَنمِيَةِ أَجرِ الأَجِيرِ بَعدَ أَن ذَهَبَ وَتَرَكَ أُجرَتَهُ، ثُمَّ رَجَعَ بَعدَ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ وَطَلَبَ أُجرَتَهُ فَرَدَّهَا عَلَيهِ فَإِذَا هِيَ مَالٌ كَثِيرٌ.

وَأَمَّا احتِجَاجُهُم بِآيَةِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

فَالجَوَابُ عَنهَا: أَنَّ الوَسِيلَةَ هُنَا مَعنَاهَا: التَّقَرُّبُ إِلَىٰ اللهِ بِالأَعمَالِ الصَّالِحَةِ، أَو بِأَسمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، كَمَّا بَيَّنَّا فِي التَّوَسُّلِ المَشرُوعِ، لَا كَمَا يَقُولُ المُبتَدِعُونَ: أَن نَجعَلَ الأَنبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ شُفَعَاءَ وَوُسَطَاءَ، وَيَقُولُونَ: إِنَّهَا مِنَ الوَسَائِلِ المَأمُورِ بِهَا، وَيُفَسِّرُونَ الآيَةَ بِهَا، أَو يَزعُمُونَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ ثَابِتَةٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَنَحنُ نَسأَلُهُ لِأَنَّ اللهَ قَد مَنَحَهُ إِيَّاهَا.

إِثبَاتُ الشَّفَاعَةِ لِلرَّسُولِ:

وَأَمَّا احتِجَاجُهُم بِثُبُوتِ الشَّفَاعَةِ لِنَبِيِّنَا ﷺ، فَالجَوَابُ:

لَا رَيبَ أَنَّ لِلرَّسُولِ ﷺ شَفَاعَاتٍ مُتَعَدِّدَةً:

أَعظَمُهَا: الشَّفَاعَةُ العُظمَىٰ يَومَ القِيَامَةِ لِإِرَاحَةِ النَّاسِ مِن عَنَاءِ المَوقِفِ العَظِيمِ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ مَخصُوصَةٌ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَهُ شَفَاعَةٌ أُخرَىٰ فِي إِخرَاجِ بَعضِ مَن دَخَلَ النَّارَ مِنَ المُوَحِّدِينَ، وَأُخرَىٰ فِي رَفعِ دَرَجَاتِ المُؤمِنِينَ فِي الجَنَّةِ، وَلَكِنَّ اعتِقَادَنَا بِثُبُوتِ الشَّفَاعَةِ لَهُ؛ لَا يُسَوِّغُ لِلمُسلِمِ اتِّكَالًا عَلَىٰ هَذِهِ الشَّفَاعَةِ أَن يَسأَلَ رَسُولَ اللهِ فِي الدُّنيَا شَفَاعَتَهُ، أَو غُفرَانَ ذُنُوبِهِ؛ كَأَن يَقُولَ: يَا مُحَمَّدُ اشفَع لِيَ، يَا مُحَمَّدُ اغفِر لِي ذَنبِي، أَدرِكنِي، أَستَجِيرُ بِكَ مِمَّن ظَلَمَنِي، أَو أَسأَلُكَ يَا مُحَمَّدُ الشَّفَاعَةَ.. فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ لَا يَجُوزُ.

بَل يَقُولُ: اللَّهُمَّ ارزُقنِي شَفَاعَةَ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ، اللَّهُمَّ شَفِّع فِيَّ مُحَمَّدًا. أَو يَقُولُ: اللَّهُمَّ لَا تَحرِمنِي مِنَ شَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ، فَإِذَا لَم يَجُز لِلإِنسَانِ أَن يَقُولَ مُخَاطِبًا الرَّسُولَ ﷺ: اشفَع لِي، أَو أَغِثنِي، أَو أَستَجِيرُ بِكَ؛ فَأَولَىٰ أَلَّا يَجُوزَ بِغَيرِهِ مِنَ الأَولِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَلَا يُغتَرُّ بِقَولِ بَعضِ الشُّعَرَاءِ:

يَا أَكرَمَ الخَلقِ مَا لِي مَن أَلُوذُ بِهِ ... سِوَاكَ عِندَ حُلُولِ الحَادِثِ العَمِمِ

فَإِنَّ هَذَا الكَلَامَ شِركٌ وَضَلَالٌ، وَلَكِنَّ اللهَ أَعلَمُ بِقَائِلِهِ، هَل مَاتَ عَلَىٰ هَذَا أَو تَابَ؟

يَقُولُ: مَا لِي مَن أَلُوذُ بِهِ، وَنَقُولُ لَهُ:

لُذ بِالإِلَهِ وَلَا تَلُذ بِسِوَاهُ ... مَن لَاذَ بِالمَلِكِ الجَلِيلِ كَفَاهُ

حُجَجُ الْمُبتَدِعَةِ فِي جَوازِ التَّوَسُّلِ والاستِغاثَةِ:

وَقَد كَثُرَ فِي كَلَام بَعضِ الشُّعَرَاءِ مِنَ الِاستِغَاثَاتِ وَالنِّدَاءَاتِ لِلرَّسُولِ ﷺ وَلِغَيرِهِ[1]، كَمَا كَثُرَ فِي كَلَامِ المُتَأَخِّرِينَ مِنَ التَّوَسُّلَاتِ وَالاستِغَاثَاتِ، وَتَجوِيزِهِم لَهُمَا بِشُبَهٍ وَاهِيَةٍ، لَيسَ عَلَيهَا شُبهَةُ الصَّوَابِ، فَضلًا عَنِ الحُجَّةِ وَالدَّلِيلِ.

١ - مِثلُ احتِجَاجِهِم عَلَىٰ التَّوَسُّلِ بِحَدِيثِ آدَمَ السَّابِقِ ذِكرُهُ.

٢ - وَبِحَدِيثِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيكَ، وَبِحَقِّ مَمشَايَ إِلَيكَ».

٣- وَبِحَدِيثِ فَاطِمَةَ بِنتِ أَسَدٍ الَّذِي رَوَاهُ ابنُ حِبَّانَ وَالحَاكِمُ عَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ، قَالَ: «لَمَّا مَاتَت فَاطِمَةُ بِنتُ أَسَدِ بنِ هَاشِمٍ أُمُّ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ -وَكَانَت قَد رَبَّتِ النَّبِيَّ ﷺ فَجَلَسَ عِندَ رَأسِهَا، وَقَالَ: «رَحِمَكِ اللهُ يَا أُمِّي بَعدَ أُمِّي»- إِلَىٰ أَن قَالَ لَمَّا أَدخَلَهَا اللَّحدَ: «اللَّهُمَّ اغفِر لِأُمِّي فَاطِمَةَ بِنتِ أَسَدٍ وَوَسِّع لَهَا مُدخَلَهَا بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالأَنبِيَاءِ الَّذِينَ مِن قَبلِي، فَإِنَّكَ أَرحَمُ الرَّاحِمِينَ».

٤- وَمِثلُ احتِجَاجِهِم عَلَىٰ جَوَازِ الاستِغَاثَةِ بِقَولِهِ تَعَالَىٰ فِي قِصَّةِ مُوسَىٰ: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥].

---

(١) كَمَا قَالَ بَعضُهُم:

وَحُـلَّ عُقـدَةَ قَلبِـي يَـا مُحَمَّـدُ مِـن	هَـمٍّ عَلَـىٰ خَطَـرَاتِ القَلـبِ مُطَّـرِدِ
أَرجُـوكَ فِـي سَـكَرَاتِ المَـوتِ تَـشهَدُنِي	كَـيمَا يَهُـونَ إِذِ الأَنفَـاسُ فِـي صُـعُدِ

وَقَالَ بَعضُهُم:

يَـا سَـيِّدِي يَـا صَـفِيَّ الـدِّينِ يَـا سَـنَدِي	يَـا عُمدَتِـي بَـل وَيَـا ذُخـرِي وَمُفتَخَـرِي
أَنـتَ المَـلَاذُ لِمَـا أَخـشَىٰ ضَـرُورَتَهُ	وَأَنـتَ لِـي مَلجَـأٌ مِـن حَـادِثِ الدَّهـرِ

فانظُر إلىٰ الغُلُوِّ الشَّنِيعِ مِن هَذَينِ الشَّاعِرَينِ اللَّذَينِ نَسِيَا أَنَّ المُرتَجَىٰ والمَلَاذَ لِلعَبدِ هُوَ اللهُ -كَمَا في الآيَاتِ المارَّةِ-، والقرآنُ مَملُوءٌ بالآيَاتِ الَّتِي تُصَرِّحُ أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي بِيَدِهِ النَّفعُ وَالضُّرُّ، وَأَنَّهُ إِلَيهِ المَرجِعُ وَالمَصِيرُ.

٥- وَبِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

٦ - وَبِمِثْلِ قَولِهِم: «لَا فَرقَ بَينَ الأَحيَاءِ وَالأَموَاتِ، فَإِذَا جَازَ التَّوَسُّلُ بِالنَّبِيِّ حَيًّا جَازَ بِهِ مَيِّتًا؛ لِأَنَّهُ حَيٌّ فِي قَبرِهِ، وَهَكَذَا سَائِرُ الأَنبِيَاءِ؛ لِأَنَّ الأَنبِيَاءَ أَعلَىٰ مَقَامًا مِنَ الشُّهَدَاءِ، وَالشُّهَدَاءُ قَد قَالَ اللهُ فِيهِم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

٧ - بِمَا يَرْوونَهُ مِن حَدِيثِ: «إِذَا أَعيَتكُمُ الأُمُورِ فَعَلَيكُم بِأَهلِ القُبُورِ».

٨- وَحَدِيثِ: «تَوَسَّلُوا بِجَاهِي، فَإِنَّ جَاهِي عِندَ اللهِ عَظِيمٌ»!

إِلَىٰ غَيرِ ذَلِكَ مِنَ الِاحتِجَاجَاتِ الوَاهِيَةِ السَّمِجَةِ البَارِدَةِ، الَّتِي تَستَوجِبُ الضَّحِكَ عَلَيهِم وَالرِّثَاءَ لِحَالِهِم.

الرَّدُّ[1] عَلَى حُجَجِ المُبتَدِعِينَ وَتَفنِيدُهَا:

---

(١) وبَقِيَت لَهُم شُبهَةٌ، وهِيَ: أَنَّهُم قَالُوا لِلمُوَحِّدِينَ: إِنَّكُم تَعمِدُونَ إِلَىٰ الآيَاتِ الَّتِي نَزَلَت فِي الأَصنَامِ وَعَابِدِيهَا فَتُنزِلُونَهَا عَلَىٰ المُسلِمِين الَّذِين يَتَوَسَّلُونَ بِالصَّالِحِين، ويَستَغِيثُونَ بِالمُرسَلِين، وَيَأتُونَ بِكُلِّ شَرَائِعِ الدِّين، فَتجعلُونَ المُرسَلِينَ والصَّالِحِينَ فِي سِلكِ الأَصنَامِ وَالأَوثَانِ، والمُتَوَسِّلِينَ فِي سِلكِ عَبَدَتِهَا.

فَالجَوابُ:

أَوَّلًا: صَرَّحَ العُلَمَاءُ أَنَّ العِبرَةَ بِعُمُومِ اللَّفظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ.

ثَانِيًا: أَنَّ المُشرِكِينَ السَّالِفِينَ، وَالكَافِرِينَ الغَابِرِينَ، مِنهُم مَن كَانَ يَعبُدُ الأَنبِيَاءَ كَعِيسَىٰ وَعُزَيرٍ، وَمِنهُم مَن كَانَ يَعبُدُ الصَّالِحِينَ، كَوَدٍّ وَسُوَاعَ وَيَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسرَ، فَكَفَّرَهُمُ اللهُ جَمِيعًا، وَأَخبَرَ عَن كُفرِهم، وكَلِمَةُ: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فِي مِثلِ قَولِهِ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ﴾، وكلمة: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ تشمل كُلَّ مَعبُودٍ غَيرَ اللهِ، وَلَو كَانَ نَبِيًّا أَو مَلَكًا، وَقَد رَأَيتُم أَنَّ اللهَ كَفَّرَ اليَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ بِطَاعَتِهِم لِلأَحبَارِ وَالرُّهبَانِ فِي تَحرِيمِ الحَلَالِ، وَتَحلِيلِ الحَرَامِ، فَضلًا عَنِ السُّجُودِ لِغَيرِ اللهِ وَالنَّذرِ لَهُم وَالطَّوَافِ بِهِم.

وَإِلَىٰ القَارِئِ الجَوَابُ عَن تِلكَ الشُّبَهِ، فَنَقُولُ:

أَوَّلًا: لِيَعلَم القَارِئُ أَنَّ التَّوَسُّلَ بِدعَةٌ لَيسَ بِكُفرٍ، وَإِنَّمَا الكُفرُ هَوَ الاستِغَاثَةُ بِرَسُولِ اللهِ أَو بِغَيرِهِ، كَمَا مَرَّ غَيرَ مَرَّةٍ.

وَثَانِيًا: لَيسَ فِي التَّوَسُّلِ بِالأَموَاتِ حَدِيثٌ صَحِيحٌ أَو حَسَنٌ، وَكُلُّ مَا وَرَدَ إِمَّا ضَعِيفٌ وَإِمَّا مَوضُوعٌ.

١ - فأَمَّا حَدِيثُ الاحتِجَاجِ بِتَوَسُّلِ آدَمَ؛ فَقَد سَبَقَ الجَوَابُ عَنه.

٢ - وَأَمَّا حَدِيثُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ» [السلسلة الضعيفة (٢٤)]؛ فَإِنَّهُ ضَعِيفٌ.

قَالَ الحَافِظُ الهَيثَمِيُّ فِي «مَجمَعِ الزَّوَائِدِ»: هَذَا إِسنَادٌ مُسَلسَلٌ بِالضُّعَفَاءِ: عَطِيَّةُ وَهُوَ العَوفِيُّ، وَالفُضَيلُ بنُ مَرزُوقٍ، وَالفَضلُ بنُ المُوَفَّقِ، كُلُّهُم ضُعَفَاء، وَعَلَىٰ تَسلِيمِ أَنَّهُمُ اختَلَفُوا فِي الفُضَيلِ بنِ مَرزُوقٍ: فَضَعَّفَهُ ابنُ حِبَّانَ وَالنَّسَائِيُّ وَأَبُو حَاتِمٍ، وَوَثَّقَهُ ابنُ مَعِينٍ، وَقَالَ ابنُ حِبَّانَ فِيهِ: يَروِي عَن عَطِيَّةَ العَوفِيِّ المَوضُوعَاتِ، وَهُوَ فِي هَذَا الحَدِيثِ عَن عَطِيَّةَ العَوفِيِّ؛ فَإِنَّ الجَرحَ مُقَدَّمٌ عَلَىٰ التَّعدِيلِ.

عَلَىٰ أَنَّنَا لَو سَلَّمنَا بِصِحَّةِ الحَدِيثِ؛ فَإِنَّا لَا نُسَلِّمُ أَنَّ حَقَّ السَّائِلِينَ مَخلُوقٌ؛ إِذ حَقُّهُم هُوَ إِجَابَةُ اللهِ وَإِعطَاؤُهُم سُؤَالَهُم، وَهُمَا صِفَتَانِ لَهُ تَعَالَىٰ، فَحَقُّ الخَلقِ قَد يَكُونُ صِفَةً مِن صِفَاتِ اللهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

٣- وَالجَوَابُ عَن حَدِيثِ فَاطِمَةَ بِنتِ أَسَدٍ: أَنَّهُ ضَعِيفٌ أَيضًا، فَإِنَّ فِيهِ رَوحَ بنَ صَالِحٍ المِصرِيَّ، وَهُوَ ضَعِيفٌ، وَعَلَىٰ فَرضِ تَسلِيمِ صَحَّتِهِ، فَحَقُّ الأَنبِيَاءِ غَيرُ مَخلُوقٍ كَمَا قَدَّمنَا فِي حَدِيثِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ»؛ بَل إِنَّهُ صَفَةٌ مِن صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَهُوَ نُصرَتُهُ لِلأَنبِيَاءِ، وَإِرضَاؤُهُم وَإِعلَاؤُهُم عَلَىٰ أَعدَائِهِم.

٤ - وَأَمَّا احتِجَاجُهُم عَلَىٰ الاستِغَاثَةِ بِقَولِهِ تَعَالَىٰ فِي قِصَّةِ مُوسَىٰ: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ﴾ [القصص: ١٥]، فَمَا أَسمَجَهُ مِنَ استِدلَالٍ وَمَا أَبرَدَهُ!! لِأَنَّهَا استِغَاثَةُ حَيٍّ بِحَيٍّ فِيمَا

يَقدِرُ عَلَيهِ، وَلَيسَ فِي هَذَا خِلَافٌ، عَلَىٰ أن فِعلَ الرَّجُلِ الإسرَائِيلِيِّ لَيسَ بِحُجَّةٍ، وَإِجَابَةُ مُوسَىٰ لَهُ وَتَقرِيرُهُ عَلَيهِ لَيسَ بِحُجَّةٍ؛ لأن ذَلِكَ قَبلَ أن يُوحَىٰ إِلَيهِ، وَسُكُوتُ الأَنبِيَاءِ قَبلَ بَعثَتِهِم لَا يَدُلُّ عَلَىٰ جَوَازِ المَسكُوتِ عَنهُ. وَبَعدَ ذَلِكَ كُلِّهِ لَيسَ هُوَ فِي شَرِيعَتِنَا.

٥- وَأَمَّا احتِجَاجُهُم بِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ﴾ [النساء: ٦٤].

فَالجَوَابُ: أَنَّ غَايَتَهَا تَعلِيقُ غُفرَانِ ذُنُوبِهِم عَلَىٰ مَجِيئِهِم إِلَيهِ ﷺ واستِغفَارِهِمُ اللهَ، وَاستِغفَارِ الرَّسُولِ لَهُم، وَأَنَّهُم لِيمُوا عَلَىٰ تَركِ ذَلِكَ، وَلَيسَ فِيهَا أَنَّهُم طَلَبُوهُ وَلَا أُمِرُوا أَن يَطلُبُوهُ.

وَثَانِيًا: أَنَّ الآيَةَ مُعَلِّقَةٌ ذَلِكَ عَلَىٰ إِتيَانِهِ ﷺ، وَإِتيَانُهُ غَيرُ مُتَأَتٍّ بَعدَ مَوتِهِ! إِذ لَا يُمكِنُ إِلَّا إِتيَانُ قَبرِهِ، وَمَن أَتَىٰ القَبرَ لَا يُقَالُ أَنَّهُ أَتَىٰ صَاحِبَ القَبرِ إِلَّا عَلَىٰ سَبِيلِ التَّسَامُحِ وَالتَّجَوُّزِ.

ثَالِثًا: هِيَ وَاقِعَةٌ مُعَيَّنَةٌ لَا تُفِيدُ العُمُومَ بِمَعنَاهَا وَلَا لَفظِهَا، وَقَعَت فِي حَيَاتِهِ ﷺ، فَمِن أَينَ أَخَذُوا التَّعمِيمَ فِي الحَيَاةِ وَالمَمَاتِ؟

وَلَو دَلَّت عَلَىٰ العُمُومِ فِي الحَيَاةِ وَالمَمَاتِ لَكَانَت مُخَصَّصَةً وَمَقصُورَةً عَلَىٰ الحَيَاةِ، وَدَلِيلُ التَّخصِيصِ: الأَخبَارُ الشَّرعِيَّةُ الدَّالَّةِ عَلَىٰ أَنَّ الأَموَاتَ لَا يَسمَعُونَ وَلَا يُجِيبُونَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]. وَفِي الحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ مُسلِمٌ: «إِذَا مَاتَ ابنُ آدَمَ انقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدعُو لَهُ، أَو عِلمٍ يُنتَفَعُ بِهِ» [مسلم (١٦٣١)].

وَلِأَنَّ الصَّحَابَةَ وَمَن بَعدَهُم مَا فَهِمُوا شُمُولَهَا لِلمَوتِ، وَلِذَا لَم يَدعُوهُ ﷺ بَعدَ المَوتِ، وَلَم يَأتِ إِلَينَا أَنَّهُم دَعَوهُ بَعدَ المَوتِ، كَمَا قَد أَتَىٰ إِلَينَا أَنَّهُم سَأَلُوهُ الدُّعَاءَ فِي حَيَاتِهِ ﷺ.

حَدِيثُ القَلِيبِ:

تَعَلَّقَ القُبُورِيُّونَ المُبتَدِعُونَ بِحَدِيثِ القَلِيبِ: أَنَّ المَوتَىٰ يَسمَعُونَ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَجَابَ عُمَرَ: «مَا أَنتُم بِأَسمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنهُم» [البخاري (١٣٧٠)، ومسلم (٢٨٧٣)]، وَبِحَدِيثِ:

«وَإِنَّهُ لَيَسمَعُ الآنَ قَرعَ نِعَالِهِم» إِذ أَتَاهُ المَلَكَانِ [البخاري (١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠)].

فَاحتَجُّوا عَلَىٰ سَمَاعِ الأَموَاتِ بِهَذَينِ الحَدِيثَينِ، وَإِذَا كَانُوا يَسمَعُونَ: فَيُجِيبُونَ الدَّاعِينَ لَهُم! وَالمُستَغِيثِينَ بِهِم، فَيَقضُونَ حَوَائِجَهُم، وَيَنَالُ المُستَغِيثُ بُغيَتَهُ وَالطَّالِبَ مِنهُم ضَالَّتَهُ وَقَصدَهُ، كَمَا استَدَلُّوا بِذَينِك الحَدِيثَينِ عَلَىٰ نَدب قِرَاءَةِ الأَحيَاءِ عَلَىٰ قُبُورِ المَوتَىٰ.

وَالجَوَابُ: أَنَّ حَدِيثَ القَلِيبِ وَقَعَ مُعجِزَةً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَخَوَارِقُ العَادَاتِ لَا يُقَاسُ عَلَيهَا، فَكَيفَ وَاللهُ يَقُولُ: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢].

وَأَمَّا الحَدِيثُ الثَّانِي؛ فَالجَوَابُ: أَنَّهُ مُقَيَّدٌ بِتِلكَ السَّاعَةِ الَّتِي سَيَأتِيهِ المَلَكَانِ، وَلَيسَ سَمَاعُهُ فِي كُلِّ وَقتٍ، وَإِذَا أَرَدتَ هَذَا البَحثَ مَبسُوطًا لِتَروِيَ غَلِيلَكَ وَتَشفِيَ عَلِيلَكَ فَارجع إِلَىٰ رِسَالَةِ: «الآيَاتِ البَيِّنَاتِ فِي عَدَمِ سَمَاعِ الأَموَاتِ» لِلعَلَّامَةِ الأَلُوسِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٦- وَأَمَّا قَولُهُم: لَا فَرقَ بَينَ الأَحيَاءِ وَالأَموَاتِ فِي جَوَازِ التَّوَسُّلِ وَالاستِغَاثَةِ، وَمَا ثَبَتَ لِأَحَدِ المِثلَينِ ثَبَتَ لِلآخَرِ، وَقَد ثَبَتَت حَيَاةُ الأَنبِيَاءِ فِي قُبُورِهِم؛ لِأَنَّهُم أَعلَىٰ مَقَامًا مِنَ الشُّهَدَاءِ؛ فَجَازَت الاستِغَاثَةُ وَالتَّوَسُّلُ بِهِم وَبِالشُّهَدَاءِ وَالأَولِيَاءِ.

فَالجَوَابُ: أَنَّ هَذِهِ المَقَالَةَ مُصَادِمَةٌ لِلقُرآنِ صَرِيحًا؛ لأَن القُرآنَ يَقُولُ: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]. وَيَقُولُ: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾ [الروم: ٥٢].

فَسُبحَانَ اللهِ الَّذِي أَعمَىٰ بَصَائِرَ هَؤُلَاءِ القُبُورِيِّينَ الدَّجَاجِلَةِ المُضِلِّينَ حَتَّىٰ سَوَّوا بَينَ الأَحيَاءِ وَالمَيِّتِينَ!

بَل قَالُوا: إِنَّ الأَروَاحَ بَعدَ مُفَارَقَةِ الأَجسَامِ بَاقِيَةٌ وَتَتَصَرَّفُ التَّصَرُّفَ التَّامَّ!

فَعَلَىٰ عُقُولِهِم العَفَاءُ وَالدَّمَارُ، فَمَا أَجهَلَ هَؤُلَاءِ وَمَا أَكفَرَهُم! فَلَو كَانُوا أَحيَاءً -كَمَا زَعَمَ هَؤُلَاءِ- لَمَا جَازَ دَفنُهُم وَتَقسِيمُ أَموَالِهِم وَتَزَوُّجُ نِسَائِهِم- بِالنِّسبَةِ لِغَيرِ الرَّسُولِ ﷺ.

وَإِنَّا نَرَىٰ المَيِّتَ يُهَانُ وَيُوطَأُ، وَهُوَ لَا يَتَحَرَّكُ وَلَا يَدفَعُ عَن نَفسِهِ، أَتَرَاهُ رَضِيَ لَهَا

نهوَانَ؟! وَلَا أَظُنُّ أَن سَمِعَ النَّاسُ أَبطَلَ مِن هَذَا الكَلَامِ، وَأَفسَدَ مِن هَذَا القِيَاسِ.

٧- وَقَولُهُم: إِنَّ الأَروَاحَ تَتَصَرَّفُ بَعدَ مُفَارَقَةِ الأَجسَامِ لِأَنَّهَا حَيَّةٌ؛ فَكَلَامٌ بَاطِلٌ.

وَأَيُّ تَصَرُّفٍ لَهَا؟ وَهَل يَلزَمُ مِن حَيَاتِهَا أَن تَكُونَ قَادِرَةً مُجِيبَةً لِلمُستَغِيثِينَ وَالسَّائِلِينَ؟

وَلَو جَازَ لَنَا أَن نَستَغِيثَ بِهَؤُلَاءِ لِأَنَّهُم أَحيَاءٌ، جَازَ لَنَا أَن نَستَغِيثَ بِالمَلَائِكَةِ الَّذِينَ لَا خِلَافَ فِي حَيَاتِهِم، وَبِالحُورِ وَالوِلدَانِ، وَبِأَروَاحِ الكُفَّارِ، وَبِالجَانِّ؛ لِأَنَّهُم أَحيَاءٌ، سُبحَانَكَ هَذَا بُهتَانٌ عَظِيمٌ! لَا يَقُولُ هَذَا إِلَّا مَن سَفِهَ نَفسَهُ، وَتَجَرَّدَ مِن عَقلِهِ، اللَّهُمَّ اهدِنَا إِلَىٰ صِرَاطِ الحَقِّ وَالطَّرِيقِ المُستَقِيمِ.

٨- وَأَمَّا حَدِيثُ: «إِذَا أَعيَتكُمُ الأُمُورُ..» فَإِنَّهُ مَكذُوبٌ، وَمِن وَضعِ الزَّنَادِقَةِ الَّذِينَ قَصَدُوا إِفسَادَ الدِّينِ.

٩- وَحَدِيثُ: «تَوَسَّلُوا بِجَاهِي» مَوضُوعٌ، لَم يَختَلِف فِي وَضعِهِ اثنَانِ.

وَلَا رَيبَ عِندَ المُسلِمِينَ جَمِيعِهِم، أَنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَاهًا عَظِيمًا وَمَقَامًا مَحمُودًا، وَأَنَّهُ أَفضَلُ الوَرَىٰ وَخَاتَمُ الأَنبِيَاءِ وَالمُرسَلِينَ.

وَلَكِنَّ هَذَا لَا يُسَوِّغُ لَنَا التَّوَسُّلَ وَالاستِغَاثَةَ بِهِ؛ وَإِن كَانَ الأَنبِيَاءُ أَحيَاءً فِي قُبُورِهِم حَيَاةً بَرزَخِيَّةً لَا يَعلَمُهَا إِلَّا اللهُ؛ لِأَنَّ الحَيَاةَ البَرزَخِيَّةَ لَا تُقَاسُ بِالحَيَاةِ الدُّنيَا[1]، وَلَا تُعطَىٰ

(١) وحَيثُ إِنَّ كَثِيرًا مِن ذَوِي البِدَعِ وَالضَّلَالِ وَالدُّعَاةَ إِلَىٰ عِبَادَةِ الأَموَاتِ مِنَ الأَنبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ يُشَاغِبُونَ فِي حَيَاةِ الأَنبِيَاءِ وَالشُّهَدَاءِ، وَيَزعُمُونَ أَنَّ حَيَاتَهُم كَالحَيَاةِ الدُّنيَوِيَّةِ، يَأكُلُونَ وَيَشرَبُونَ وَيَنكِحُونَ كَسَائِرِ أَهلِ الدُّنيَا، وَبِنَاءً عَلَىٰ ذَلِكَ جَوَّزُوا الاستِغَاثَةَ بِهِم فِي الشَّدَائِدِ وَالمُلِمَّاتِ؛ بَل وَنَدَبُوا إِلَىٰ ذَلِكَ وَضَلَّلُوا مَن يَنهَىٰ عَنِ الاستِغَاثَةِ بِالأَموَاتِ وَيَجعَلُهَا شِركًا بِرَبِّ العَالَمِينَ.

وَنَحنُ نَقُولُ: إِنَّهَا حَيَاةٌ بَرزَخِيَّةٌ غَيبِيَّةٌ لَا يَعلَمُ كُنهَهَا إِلَّا اللهُ.

فَلِذَا يَجدُرُ بِي أَن أَذكُرَ بَعضَ كَلَامِ المُفَسِّرِينَ الأَجِلَّاءِ فِي هَذَا المَوضُوعِ، وَنَكتَفِي بِأَربَعَةٍ مِن كِبَارِهِم لِيَتَبَيَّنَ صِحَّةُ قَولِنَا وبُطلَانُ قَولِهِم، وَإِلَىٰ القَارِئِ بَيَانُ ذَلِكَ:

قَالَ العَلَّامَةُ ابنُ جَرِيرٍ فِي تَفسِيرِهِ تَحتَ قَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]؛ يَعنِي: الَّذِينَ قُتِلُوا بِأُحُدٍ مِن أَصحَابِ رَسُولِ اللهِ، يَقُولُ اللهُ: =

=

وَلَا تحسَبَنَّهُم يَا مُحَمَّدُ أَموَاتًا لَا يُحِسُّونَ شَيئًا، وَلَا يَتَلَذَّذُونَ وَلَا يَتَنَعَّمُونَ، فَإِنَّهُم أَحيَاءٌ عِندِي مُتَنَعِّمُونَ فِي رِزقِي، فَرِحُونَ مَسرُورُونَ بِمَا آتَيتُهُم مِن كَرَامَتِي وَفَضلِي، وَحَبَوتُهُم مِن جَزِيلِ ثَوَابِي وَعَطَائِي...، ثُم ساقَ أحاديثَ وآثارًا نَحوًا من عشرين حديثًا وأثرًا، منها: عَن مَسرُوقِ بنِ الأَجدَعِ، قَالَ: سَأَلنَا عَبدَ اللهِ بنَ مَسعُودٍ عَن هَذِهِ الآيَاتِ: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآيَة، قَالَ: أَمَا إِنَّا قَد سَأَلنَا عَنهَا، فَقِيلَ لَنَا: «إِنَّهُ لَمَّا أُصِيبَ إِخوَانُكُم بِأُحُدٍ جَعَلَ اللهُ أَروَاحَهُم فِي أَجوَافِ طَيرٍ خُضرٍ تَرِدُ أَنهَارَ الجَنَّةِ وَتَأكُلُ مِن ثِمَارِهَا، وَتَأوِي إِلَىٰ قَنَادِيلَ مِن ذَهَبٍ فِي ظِلِّ العَرشِ، فَيَطَّلِعُ اللهُ إِلَيهِم اطِّلَاعَةً، فَيَقُولُ: يَا عِبَادِي مَا تَشتَهُونَ فَأَزِيدُكُم؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا لَا فَوقَ مَا أَعطَيتَنَا، الجَنَّةَ نَأكُلُ مِنهَا حَيثُ شِئنَا -ثَلَاثَ مَرَّاتٍ-، فَيَطَّلِعُ فَيَقُولُ: يَا عِبَادِي مَا تَشتَهُونَ فَأَزِيدُكُم؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا لَا فَوقَ مَا أَعطَيتَنَا، الجَنَّةَ نَأكُلُ مِنهَا حَيثُ شِئنَا، إِلَّا أَنَّا نُحِبُّ أَن تَرُدَّ أَروَاحَنَا فِي أَجسَادِنَا، ثُمَّ تَرُدَّنَا إِلَىٰ الدُّنيَا فَنُقَاتِلَ فِيكَ حَتَّىٰ نُقتَلَ فِيكَ مَرَّةً أُخرَىٰ». تفسير ابن جرير - طبعة دار المعارف.

وَقَالَ الحَافِظُ ابنُ كَثِيرٍ فِي تَفسِيرِ الآيَةِ: يُخبِرُ اللهُ تَعَالَىٰ عَنِ الشُّهَدَاءِ بِأَنَّهُم وَإِن قُتِلُوا فِي هَذِهِ الدَّارِ فَأَروَاحُهُم حَيَّةٌ مَرزُوقَةٌ فِي دَارِ القَرَارِ، ثُمَّ أَورَدَ ابنُ كَثِيرٍ كَثِيرًا مِمَّا أَورَدَهُ ابنُ جَرِيرٍ، وَمِنهَا: مَا أَخرَجَهُ الإِمَامُ أَحمَدُ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا أُصِيبَ إِخوَانُكُم يَومَ أُحُدٍ جَعَلَ اللهُ أَروَاحَهُم فِي أَجوَافِ طَيرٍ خُضرٍ تَرِدُ أَنهَارَ الجَنَّةِ وَتَأكُلُ مِن ثِمَارِهَا، وَتَأوِي إِلَىٰ قَنَادِيلَ مِن ذَهَبٍ فِي ظِلِّ العَرشِ...» الحديث.

وَقَالَ العَلَّامَةُ ابنُ الجَوزِيِّ فِي تَفسِيرِ قَولِهِ: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، ذَكَرَ سَبَبَ النُّزُولِ أَنَّهَا فِي شُهَدَاءِ أُحُدٍ، ثُمَّ قَالَ: «أَي: لَا تَقُولُوا هُم أَموَاتٌ، لَا تَصِلُ أَروَاحُهُم إِلَىٰ الجِنَانِ، وَلَا تَنَالُ مِن تُحَفِ اللهِ مَا لَا يَنَالُهُ الأَحيَاءُ، بَل هُم أَحيَاءٌ أَروَاحُهُم فِي حَوَاصِلِ طَيرٍ خُضرٍ تَسرَحُ فِي الجَنَّةِ، فَهُم أَحيَاءٌ مِن هَذِهِ النَّاحِيَةِ وَإِن كَانُوا أَموَاتًا مِن جِهَةِ خُرُوجِ الرُّوحِ». اهـ

وَلَمَّا استَشعَرَ اعتِرَاضًا بِأَنَّ جَمِيعَ المُؤمِنِينَ مُنَعَّمُونَ بَعدَ مَوتِهِم فَلِمَ خَصَصتُمُ الشُّهَدَاءَ؟ أَجَابَ: «إِنَّ الشُّهَدَاءَ فُضِّلُوا عَلَىٰ غَيرِهِم بِأَنَّهُم مَرزُوقُونَ مِن مَطَاعِمِ الجَنَّةِ وَمَآكِلِهَا، وَغَيرُهُم مُنَعَّمٌ بِمَا دُونَ ذَلِكَ» اهـ من زاد المسير ج١ سورة البقرة، ص١٦١ طبعة المكتب الإسلامي.

وَقَالَ العَلَّامَةُ القَاسِمِيُّ فِي «تَفسِيرِهِ» نَقلًا عَنِ البَيضَاوِي وَحَوَاشِيهِ: «إِنَّ إِثبَاتَ الحَيَاةِ لِلشُّهَدَاءِ فِي زَمَانِ بُطلَانِ الجَسَدِ وَفَسَادِ البِنيَةِ وَنَفيِ الشُّعُورِ بِهَا، دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ حَيَاتَهُم لَيسَت بِالجَسَدِ وَلَا مِن جِنسِ حَيَاةِ الحَيَوَانِ؛ لأَنَّهَا بِصِحَّةِ البِنيَةِ وَاعتِدَالِ المِزَاجِ، وَإِنَّمَا هِيَ أَمرٌ يُدرَكُ بِالوَحيِ لَا بِالعَقلِ» اهـ. مِن

=

=

محاسن التأويل ج٢ - طبعة دار إحياء الكتب العربية.
تَأَمَّل كَلَامَ ابنِ جَرِيرٍ، وَقَولَهُ: «إِنَّهُم أَحيَاءٌ عِندِي مُتَنَعِّمُونَ فِي رِزقِي».
وَكَلَامَ ابنِ الجَوزِيِّ: «فَهُم أَحيَاءٌ مِن هَذِهِ النَّاحِيَةِ -أي: مِن نَاحِيَةِ أَنَّ أَروَاحَهُم فِي حَوَاصِلِ طَيرٍ خُضرٍ- وَإِن كَانُوا أَموَاتًا مِن جِهَةِ خُرُوجِ الرُّوحِ».
وَكَلَامَ ابنِ كَثِيرٍ إِذ يَقُول: «إِنَّهُم وَإِن قُتِلُوا فِي هَذِهِ الدَّارِ فَأَروَاحُهُم حَيَّةٌ مَرزُوقَةٌ فِي دَارِ القَرَارِ».
وَكَلَامَ البَيضَاوِيِّ: «إِنَّ حَيَاتَهُم لَيسَت بِالجَسَدِ وَلَا مِن جِنسِ حَيَاةِ الحَيَوَانِ».
فَإِذَا أَحطتَ عَلمًا بِذَلِكَ تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ مَا ذَهَبَ إِلَيهِ أَهلُ التَّخرِيفِ -إِنَّ حَيَاتَهُم مِن جِنسِ حَيَاتِنَا يَأكُلُونَ وَيَشرَبُونَ وَيَنكِحُونَ- اعتِقَادٌ فَاسِدٌ يَأبَاهُ كُلُّ ذِي عَقلٍ سَلِيمٍ فَضلًا عَمَّن تَحَلَّىٰ بِالعِلمِ وَالعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ.
وَقَولُهُ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ البَقَرَةِ: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾، وَفِي سُورَةِ آلِ عِمرَانَ: ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩] كافٍ فِي بُطلَانِ مَا ذَهَبَ إِلَيهِ المُبتَدِعَةُ فِي إِثبَاتِ الحَيَاةِ لَهُم كَالحَيَاةِ الدُّنيَوِيَّةِ.
عَلَىٰ أَنَّهُ فَسَّرَ بَعضُهُم تِلكَ الحَيَاةِ بِحَيَاةِ الذِّكرِ الجَمِيلِ وَالثَّنَاءِ الجَلِيلِ، وَقِيلَ: إِنَّ المُرَادَ بِالمَوتِ وَالحَيَاةِ: الضَّلَالَ وَالهُدَىٰ؛ أَي: لَا تَقُولُوا هُم أَموَاتٌ فِي الدُّنيَا ضَالُّونَ عَنِ الصِّرَاطِ المُستَقِيمِ؛ بَل هُم أَحيَاءٌ بِالطَّاعَةِ قَائِمُونَ بِأَعبَائِهَا، وَقِيلَ غَيرُ ذَلِكَ(*).
وَلَكِن خَيرُ تَفسِيرٍ لِحَيَاتِهِم مَا فَسَّرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَمَا سَبَقَ فِي الحَدِيثَينِ السَّابِقَينِ، وَكَمَا سَبَقَ مِن كَلَامِ المُفَسِّرِينَ.
وَالخُلَاصَةُ: أَنَّ حَيَاةَ الشُّهَدَاءِ وَالأَنبِيَاءِ مِن بَابِ أَولَىٰ حَيَاةٌ غَيبِيَّةٌ بَرزَخِيَّةٌ لَا يَعلَمُ كُنهَهَا إِلَّا اللهُ سُبحَانَهُ، وَلِكُلِّ دَارٍ حُكمٌ، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ الدُّنيَا فَلَا يَجُوزُ لَنَا أَن نُطَبِّقَ عَلَيهِمُ الأَحكَامَ الدُّنيَوِيَّةَ.
قَالَ الشَّيخُ أحمد بنُ مُحمَّد بن عِوَضٍ العَبَّادِيُّ اليَمَنِيُّ فِي مَنظُومَتِهِ «هِدَايَةِ المُرِيد»:

وَالشُّهَدَاءُ وَأَنبِيَاءُ اللهِ ... فَإِنَّهُم أَحيَاءُ عِندَ اللهِ
وَمَا لَهُم حُكمُ الحَيَاةِ عِندَنَا ... لِكَونِهِم قَد فَارَقُوا دَارَ الفَنَا
وَمَن يَقُل حَيَاتُهُم لَا تَنقَطِع ... فَذَاكَ كَذَّابٌ مَرِيدٌ مُبتَدِع

=

(*) وَلَو ذَهَبنَا نَنقلُ كَلَامَ المُفَسِّرِين فِي هَذَا المَوضُوعِ لَصَارَ يَتَطَلَّبُ مُجَلَّدًا ضَخمًا، وَنَحن قَصدنا الايجَاز، وَفِيمَا نَقَلنَاهُ كِفَايَة، وَيَتَبَيَّن بِهِ أَنَّ مَا ذَهَبَ إِلَيهِ أَهل الضَّلَال هُو مِن أَكبَر البِدَعِ وَالضَّلَالِ.

أَحكَامَهَا، فَإِذَا جَازَ أَن نَسأَلَهُ ﷺ فِي حَيَاتِهِ الدُّعَاءَ، بِأَن يَطلُبَ لَنَا مِنَ اللهِ قَضَاءَ حَاجَةٍ أَو غُفرَانَ ذَنبٍ، فَلَا يَجُوزُ بَعدَ مَمَاتِهِ أَن نَسأَلَهُ قِيَاسًا عَلَىٰ حَيَاتِهِ الدُّنيَوِيَّةِ.

وَأَينَ هَؤُلَاءِ مِنَ الآيَاتِ القُرآنِيَّةِ الَّتِي تُنَادِي بِأَن لَيسَ لِغَيرِ اللهِ أَمرٌ أَو تَصَرُّفٌ، أَو قُدرَةٌ فِي دَفعِ ضُرٍّ، أَو جَلبِ نَفعٍ، سَوَاءٌ أَكَانَ نَبِيًّا أَم غَيرَهُ، كَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨].

وَقَولِهِ: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝٢١ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن: ٢١-٢٢].

وَقَولِهِ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

إِلَىٰ غَيرِ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ الَّتِي فِيهَا الخِطَابُ لِلرَّسُولِ ﷺ مُبَيِّنًا أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ النَّفعُ وَالضُّرُّ هُوَ اللهُ وَحدَهُ لَا غَيرُ، وَأَنَّ المَعبُودَاتِ مِن دُونِ اللهِ لَا تُغنِي شَيئًا، وَأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ مَعَ أَنَّهُ سَيِّدُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَإِمَامُ الأَنبِيَاءِ وَالمُرسَلِينَ لَا يَملِكُ لِنَفسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفعًا، فَضلًا عَن غَيرِهِ.

وَقَد ثَبَتَ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَت آيَةُ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]: «يَا بَنِي كَعبِ بنِ لُؤَيٍّ، أَنقِذُوا أَنفُسَكُم مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبدِ شَمسٍ، أَنقِذُوا أَنفُسَكُم مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبدِ مَنَافٍ، أَنقِذُوا أَنفُسَكُم مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبدِ المُطَّلِبِ،

=

قَـد كَـذَّبَ القُـرآنَ(*) وَالرَّسُـولَا وَخَالَـفَ المَعقُـولَ وَالمَـنقُولَا

(*) يُشِيرُ إِلَىٰ الآيَةِ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠-٣١].
وَقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

نقِذُوا أنفُسَكُم مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ بِنتَ مُحَمَّدٍ، أَنقِذِي نَفسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَملِكُ لَكُم مِنَ اللهِ شَيئًا» [البخاري (٤٧٧١)، ومسلم (٢٠٦)].

وَفِي رِوَايَةٍ: «يَا مَعشَرَ قُرَيشٍ، اشتَرُوا أَنفُسَكُم مِنَ اللهِ، فَإِنِّي لَا أُغنِي عَنكُم مِنَ اللهِ شَيئًا، يَا بَنِي عَبدِ المُطَّلِبِ، لَا أُغنِي عَنكُم مِنَ اللهِ شَيئًا، يَا عَبَّاسُ بنَ عَبدِ المُطَّلِبِ لَا أُغنِي عَنكَ مِنَ اللهِ شَيئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ، لَا أُغنِي عَنكِ مِنَ اللهِ شَيئًا، يَا فَاطِمَةُ بِنتَ رَسُولِ اللهِ، سَلِينِي مِن مَالِي مَا شِئتِ، لَا أُغنِي عَنكِ مِنَ اللهِ شَيئًا».

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]؛ أَي: نَخُصُّكَ بِالعِبَادَةِ وَلَا نَعبُدُ سِوَاكَ، وَنَستَعِينُ بِكَ فِي أُمُورِ الدُّنيَا وَالدِّينِ، وَلَا نَستَعِينُ بِأَحَدٍ غَيرِكَ.

وَحَدِيثُ: «إِذَا سَأَلتَ فَاسأَلِ اللهَ، وَإِذَا استَعَنتَ فَاستَعِن بِاللهِ»[١].

لَو تَدَبَّرَ هَؤُلَاءِ المُبتَدِعُونَ تِلكَ الآيَاتِ وَالأَحَادِيثَ، وَرَاجَعُوا تَفَاسِيرَ الأَئِمَّةِ المُحَقِّقِينَ لِتِلكَ الآيَاتِ، وَشُرُوحَ تِلكَ الأَحَادِيثِ شُرُوحَ الأَجِلَّاءِ المُعتَبَرِينَ؛ لَعَلِمُوا أَنَّ تَوَسُّلَاتِهِم بِالرَّسُولِ، أَو بِالأَنبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ لَيسَ لَهَا أَصلٌ فِي الدِّينِ، وَأَنَّ الاستِغَاثَةَ وَالاستِعَانَةَ بِهِم مِنَ الشِّركِ وَالكُفرِ المُبِينِ.

٣ - تَوحِيدُ الأَسمَاءِ وَالصِّفَاتِ:

وَهُوَ أَن يَعتَقِدَ العَبدُ اعتِقَادًا جَازِمًا أَنَّ مَا أَخبَرَ بِهِ اللهُ فِي كِتَابِهِ، مِن أَوصَافِهِ العُليَا وَأَسمَائِهِ الحُسنَىٰ، وَكَذَا مَا جَاءَت بِهِ الأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ مِن أَسمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، هِيَ كَمَا تَلِيقُ بِجَلَالِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ وَكِبرِيَائِهِ. فَمِن تِلكَ الصِّفَاتِ:

صِفَةُ الحَيَاةِ لَهُ جَلَّ، كَمَا قَالَ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥، وآل عمران: ٢].

---

(١) رواه الترمذي من حديث ابن عباس، الذي أوله: قال: «كُنتُ خَلفَ النَّبِيِّ يومًا فقَالَ: يا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احفَظِ اللهَ يَحفَظكَ...» إلخ. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وَصِفَةُ العِلْمِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

وَصِفَةُ الإِرَادَةِ، لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وَالقُدرَةِ، لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الفتح: ٢١].

وَالسَّمعِ وَالبَصَرِ، لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤].

وَالكَلَامِ، لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وَقَولِهِ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وَالرَّحمَةِ، لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

وَصِفَةِ الحُبِّ، لِقَولِهِ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

وَاليَدَينِ، لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥].

وَالوَجهِ، لِقَولِهِ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

وَالاستِوَاءِ عَلَىٰ العَرشِ، لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ فِي سَبعِ آيَاتٍ مِنَ القُرآنِ.

وَالنُّزُولِ، لِلحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «يَنزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنيَا، فَيُنَادِي: هَل مِن مُستَغفِرٍ فَأَغفِرَ لَهُ؟ هَل مِن سَائِلٍ فَأُعطِيَهُ؟ هَل مِن تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيهِ؟» [البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨)].

إِلَىٰ غَيرِ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي لَا نَستَطِيعُ حَصرَهَا فِي عِشرِينَ صِفَةً، وَحَصرُهَا فِي عِشرِينَ مِن مُبتَدَعَاتِ الخَلَفِ، بَل وَلَا حَصرُهَا فِي أَكثَرَ مِن عِشرِينَ؛ إِنَّمَا الوَاجِبُ الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا وَرَدَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ مِن صِفَاتِ الله وَأَسمَائِهِ، إِثبَاتًا بِلَا تَمثِيلٍ، وَتَنزِيهًا بِلَا تَعطِيلٍ.

وَالقَولُ الشَّامِلُ فِي هَذَا البَابِ: أَن يُوصَفَ اللهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفسَهُ، أَو وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ.

وبِمَا وَصَفَهُ بِهِ السَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ، لَا يُتَجَاوَزُ القُرآنُ وَالحَدِيثُ، فَمَذهَبُ السَّلَفِ حَقٌّ بَينَ بَاطِلَينِ، بَينَ بَاطِلِ التَّمثِيلِ وَبَاطِلِ التَّعطِيلِ، فَالمُشَبِّهُ يَعبُدُ صَنَمًا، وَالمُعَطِّلُ يَعبُدُ عَدَمًا، وَالمُوَحِّدُ يَعبُدُ إِلَهَ الأَرضِ وَالسَّمَاءِ[1]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، فَصَدرُ الآيَةِ تَنزِيهٌ لِلَّهِ عَن مُمَاثَلَةِ المَخلُوقَاتِ، وَرَدٌّ عَلَى المُشَبِّهَةِ، وَآخِرُ الآيَةِ إِثبَاتُ صِفَتَي السَّمعِ وَالبَصَرِ فِي قَولِهِ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ وَرَدٌّ عَلَى المُعَطِّلَةِ، فَالسَّلَفُ الصَّالِحُ لَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِ اللهِ بِصِفَاتِ خَلقِهِ، كَمَا لَا يُمَثِّلُونَ ذَاتَهُ بِذَاتِ خَلقِهِ.

فَالكَلَامُ فِي الصِّفَاتِ فَرعٌ عَنِ الكَلَامِ فِي الذَّاتِ، فَكَمَا أَنَّ ذَاتَهُ المُقَدَّسَةَ لَا تُشبِهُ ذَوَاتَ المَخلُوقِينَ، فَصِفَاتُهُ لَا تُشبِهُ صِفَاتِ المَخلُوقِينَ.

فَإِذَا قُلنَا: لِلَّهِ عِلمٌ وَلِلمَخلُوقِ عِلمٌ، كَمَا قَالَ فِي كِتَابِهِ المَجِيدِ: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩، والأنعام: ١٠١، والحديد: ٣]، وَقَالَ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

وَقَالَ فِي حَقِّ المَخلُوقِ: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨].

وَقَالَ عَن نَبِيِّهِ يُوسُفَ: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

فَلَا شَكَّ أَنَّ لَيسَ عِلمِ اللهِ كَعِلمِ يُوسُفَ أَو إِسحَاقَ عليهما السلام.

وَوَصَفَ نَفسَهُ بِالرَّأفَةِ وَالرَّحمَةِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]، وَقَالَ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وَقَالَ فِي حَقِّ الرَّسُولِ ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، فَلَيسَت رَحمَةُ اللهِ كَرَحمَةِ المَخلُوقِ، وَلَا رَأفَتُهُ كَرَأفَةِ المَخلُوقِ.

---

(١) وَرَحِمَ اللهُ ابنَ القَيِّمِ حيثُ قَالَ:

مَــن شَــبَّهَ اللهَ العَظِـيمَ بِخَلقِــهِ ... فَهــوَ النَّسِـيبُ لِمُشـرِكٍ نَـصرَانِي

أَو عَطَّــلَ الــرَّحمَنَ عَــن أَوصَــافِهِ ... فَهــوَ الكَفُــورُ وَلَـيسَ ذَا إِيمَــانِ

وَوَصَفَ نَفسَهُ بِالسَّمعِ وَالبَصَرِ فِي غَيرِ مَا آيَةٍ مِن كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾، وَقَالَ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]،

وَقَالَ فِي حَقِّ المَخلُوقِ: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢].

وَنَحنُ لَا نَشُكُّ أَنَّ مَا فِي القُرآنِ حَقٌّ، فَلِلَّهِ سَمعٌ وَبَصَرٌ حَقِيقِيَّانِ لائِقَانِ لِجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ، كَمَا أَنَّ لِلمَخلُوقِ سَمعًا وَبَصَرًا حَقِيقِيَّينِ مُنَاسِبَينِ لِحَالِهِ مِن فَقرِهِ وَفَنَائِهِ.

وَبَينَ سَمعِ وَبَصَرِ الخَالِقِ، وَسَمعِ وَبَصَرِ المَخلُوقِ، كَمَثَلِ مَا بَينَ ذَاتِ الخَالِقِ وَالمَخلُوقِ.

وَوَصَفَ نَفسَهُ بِالحَيَاةِ، فَقَالَ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥، وآل عمران:٢]، وَقَالَ: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر:٦٥].

وَوَصَفَ بَعضَ المَخلُوقِينَ بِالحَيَاةِ، فَقَالَ: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وَقَالَ: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ [مريم: ١٥].

فَلَيسَت حَيَاةُ الخَالِقِ كَحَيَاةِ المَخلُوقِ.

وَقَالَ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

وَقَالَ فِي حَقِّ المَخلُوقِ: ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾ فَلَيسَ استِوَاؤُهُ كَاستِوَاءِ السَّفِينَةِ عَلَى الجُودِيِّ.

وَالحَاصِلُ: أَنَّنَا لَا نَتَعَدَّى القُرآنَ وَالحَدِيثَ، وَلَا نُؤَوِّلُ صِفَاتِ اللهِ الوَارِدَةَ فِي الوَحيَينِ بِتَأوِيلاتِ الجَهمِيَّةِ وَالمُعتَزِلَةِ القَائِلِينَ: إِنَّ اليَدَ بِمَعنَى النِّعمَةِ، وَالاستِوَاءَ بِمَعنَى الاستِيلَاءِ[1]،

---

(١) احتَجُّوا عَلَى ذَلِكَ بِقَولِ الشَّاعِرِ:

قَدِ استَوَى بِشرٌ عَلَى العِرَاقِ ... مِن غَيرِ سَيفٍ وَدَمٍ مِهرَاقِ

والجَوَابُ: أَنَّ هَذَا البَيتَ أَوَّلًا مَصنُوعٌ لَا يُحتَجُّ بِهِ، وَثَانِيًا: إِن قَالُوا استِيلَاءُ اللهِ كَاستِيلَاءِ بِشرٍ عَلَى =

والوَجهَ بِمَعنَىٰ الذَّاتِ، وَالرَّحمَةَ بِمَعنَىٰ التَّفَضُّلِ، وَنُزُولَهُ بِمَعنَىٰ نُزُولِ أَمرِهِ أَو رَحمَتِهِ، أَو ملائكتِهِ، وَمَا أَشبَهَ ذَلِكَ مِنَ التَّأوِيلاتِ الفَاسِدَةِ، النَّابِعَةِ مِن مَنَابِعِ الفَلسَفَةِ وَالهَوَىٰ.

تِلكَ التَّأوِيلَاتُ الَّتِي تَئُولُ بِالإِنسَانِ إِلَىٰ الكُفرِ، وَتَجعَلُ الشَّرِيعَةَ أُلعُوبَةً بِأَيدِي المُبطِلِينَ وَالهَدَّامِينَ، بِحَيثُ إِنَّهُ لَا يُرِيدُ مُبطِلٌ أَن يَهدِمَ عَقِيدَةً أَو حُكمًا شَرعِيًّا، إِلَّا وَقَد أَتَىٰ مِن بَابِ التَّأوِيلِ، وَكَفَىٰ بِهَذَا قُبحًا وَضَلَالًا.

وَعَلَىٰ اعتِقَادِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفسَهُ، أَو وَصَفَهُ رَسُولُهُ، بِمَا أَتَىٰ فِي القُرآنِ وَالأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ مِن غَيرِ تَمثِيلٍ وَلَا تَكيِيفٍ وَلَا تَعطِيلٍ، مَضَىٰ عَصرُ الرَّسُولِ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِم مِنَ الأَئِمَّةِ المُعتَبَرِينَ، كَالإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَالإِمَامِ الشَّافِعِيِّ، وَالإِمَامِ مَالِكٍ، وَالإِمَامِ أَحمَدَ بنِ حَنبَلٍ، وَالبُخَارِيِّ، وَمُسلِمٍ، وَالتِّرمِذِيِّ، وَالنَّسَائِيِّ، وَأَبِي دَاوُدَ، وَالثَّورِيِّ، وَابنِ عُيَينَةَ، وَغَيرِهِم مِنَ المُحَدِّثِينَ وَالفُقَهَاءِ المُعتَبَرِينَ، وَالصُّوفِيَّةِ المُحِقِّينَ؛ كَالجُنَيدِ وَالجِيلَانِيِّ وَأَبِي نُعَيمٍ، وَاللُّغَوِيِّينَ المُحَقِّقِينَ؛ كَالخَلِيلِ بنِ أَحمَدَ، وَثَعلَبٍ، وَغَيرِهِمَا.

وَآخِرُ دَعوَانَا أَنِ الحَمدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

نَسأَلُ اللهَ أَن يَنفَعَنَا وَيَنفَعَ إِخوَانَنَا المُسلِمِينَ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ.

❊ ❊ ❊

=

العِرَاقِ، فَهَذَا هُوَ التَّشبِيهُ بِعَينِهِ، وَإِن قَالُوا: استِيلَاءُ اللهِ يَخُصُّهُ عَلَىٰ مَا يَلِيقُ بِهِ، وَاستِيلَاءُ بِشرٍ كَذَلِكَ، فَهَلَّا أَبقَوُا اللَّفظَ القُرآنِيَّ، وَقَالُوا: استِوَاءٌ يَلِيقُ بِجَلَالِهِ؟!

وَلَا مَفَرَّ لَهُم مِن أَحَدِ هَذَينِ الأَمرَينِ. انظر بحث الاستواء في «العلو» للذهبي، وفي «الجيوش الإسلامية» لابن القيم، وفي كتابي «العقائد السلفية» فقد أتيت في بحث الاستواء بما لا مزيد بعده، وفنَّدتُ شُبَهَهُم العَقلِيَّةَ والنَّقلِيَّةَ، والحمدُ لله علىٰ ذلك.

(٢٤) الجَامِعُ لِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحدَهُ

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحبِهِ أَجمَعِينَ:

قَالَ الشَّيخُ الإِمَامُ مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ الوَهَّابِ -رَحِمَهُ الله تَعَالَىٰ-:

فَإِن قِيلَ: فَمَا الجَامِعُ لِعِبَادَةِ الله وَحدَهُ؟

قُلتُ: طَاعَتُهُ بِامتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

فَإِن قِيلَ: فَمَا أَنوَاعُ العِبَادَةِ الَّتِي لَا تَصلُحُ إِلَّا للهِ تَعَالَىٰ.

قُلتُ: مِن أَنوَاعِهَا: الدُّعَاءُ.

وَالاستِعَانَةُ.

وَالاستِغَاثَةُ.

وَذَبحُ القُربَانِ.

وَالنَّذرُ.

وَالخَوفُ.

وَالرَّجَاءُ.

وَالتَّوَكُّلُ.

وَالإِنَابَةُ.

وَالمَحَبَّةُ.

وَالخَشيَةُ.

وَالرَّغبَةُ، وَالرَّهبَةُ، وَالتَّأَلُّهُ.

وَالرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ، وَالخُشُوعُ.

وَالتَّذَلُّلُ، وَالتَّعظِيمُ الَّذِي هُوَ مِن خَصَائِصِ الإِلَهِيَّةِ.

وَدَلِيلُ الدُّعَاءِ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الرعد: ١٤].

وَدَلِيلُ الاستِعَانَةِ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

وَدَلِيلُ الاستِغَاثَةِ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

وَدَلِيلُ الذَّبحِ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

وَدَلِيلُ النَّذرِ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

وَدَلِيلُ الخَوفِ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤].

وَدَلِيلُ المَحَبَّةِ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وَدَلِيلُ الخَشيَةِ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤].

وَدَلِيل الرَّغبَة وَالرَّهبَة قَولُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وَدَلِيلُ التَّأَلُّهِ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣].

وَدَلِيلُ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾ [الحج:٧٧].

وَدَلِيلُ الخُشُوعِ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران:١٩٩]، وَنَحوُهَا.

فَمَن صَرَفَ شَيئًا مِن هَذِهِ الأَنوَاعِ لِغَيرِ اللهِ تَعَالَىٰ فَقَد أَشرَكَ بِاللهِ غَيرَهُ.

فَإِن قِيلَ: فَمَا أَجَلُّ أَمرٍ أَمَرَ اللهُ بِهِ؟

قِيلَ: تَوحِيدُهُ بِالعِبَادَةِ، وَقَد تَقَدَّمَ بَيَانُهُ.

وَأَعظَمُ نَهيٍ نَهَىٰ اللهُ عَنهُ: الشِّركُ بِهِ، وَهُوَ: أَن يَدعُوَ مَعَ اللهِ غَيرَهُ، أَو يَقصِدَهُ بِغَيرِ ذَلِكَ مِن أَنوَاعِ العِبَادَةِ.

فَمَن صَرَفَ شَيئًا مِن أَنوَاعِ العِبَادَةِ لِغَيرِ اللهِ تَعَالَىٰ فَقَد اتَّخَذَهُ رَبًّا وَإِلَهًا، وَأَشرَكَ مَعَ اللهِ غَيرَهُ، أَو يَقصِدُهُ بِغَيرِ ذَلِكَ مِن أَنوَاعِ العِبَادَةِ، وَقَد تَقَدَّمَ مِنَ الآيَاتِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ هَذَا هُوَ الشِّركُ الَّذِي نَهَىٰ اللهُ عَنهُ، وَأَنكَرَه عَلَىٰ المُشرِكِينَ.

وَقَد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢]، وَاللهُ أَعلَمُ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحبِهِ أَجمَعِينَ.

❊ ❊ ❊

(٢٥) مَعنَى الطَّاغُوتِ

قَالَ الشَّيخُ الإِمَامُ مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ الوَهَّابِ -رَحِمَهُ الله تَعَالَىٰ-:

اعلَم -رَحِمَكَ الله تَعَالَىٰ- أَنَّ أَوَّلَ مَا فَرَضَ الله عَلَىٰ ابنِ آدَمَ: الكُفرُ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانُ بِهِ.

وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ [النحل:٣٦].

فَأَمَّا صِفَةُ الكُفرِ بِالطَّاغُوتِ، فَهُوَ: أَن تَعتَقِدَ بُطلَانَ عِبَادَةِ غَيرِ اللهِ، وَتَترُكَهَا وَتُبغِضَهَا، وَتُكَفِّرَ أَهلَهَا وَتُعَادِيَهُم.

وَأَمَّا مَعنَىٰ الإِيمَانِ بِالله، فَهُوَ: أَن تَعتَقِدَ أَنَّ الله هُوَ الإِلَهُ المَعبُودُ وَحدَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ.

وَتُخلِصَ جَمِيعَ أَنوَاعِ العِبَادَةِ كُلِّهَا لله، وَتَنفِيَهَا عَن كُلِّ مَعبُودٍ سِوَاهُ.

وَتُحِبَّ أَهلَ الإِخلَاصِ وَتُوَالِيَهُم، وَتُبغِضَ أَهلَ الشِّركِ وَتُعَادِيَهُم.

وَهَذِهِ مِلَّةُ إِبرَاهِيمَ الَّتِي سَفِهَ نَفسَهُ مَن رَغِبَ عَنهَا.

وَهَذِهِ هِيَ الأُسوَةُ الَّتِي أَخبَرَ الله بِهَا فِي قَولِهِ: ﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ ﴾ [المُمتحنة:٤].

وَالطَّاغُوتُ عَامٌّ: فَكُلُّ مَا عُبِدَ مِن دُونِ الله وَرَضِيَ بِالعِبَادَةِ مِن مَعبُودٍ أَو مَتبُوعٍ أَو مُطَاعٍ فِي غَيرِ طَاعَةِ الله وَرَسُولِهِ فَهُوَ طَاغُوتٌ.

وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرَةٌ، وَرُءُوسُهُم خَمسَةٌ:

الأَوَّلُ: الشَّيطَانُ الدَّاعِي إِلَىٰ عِبَادَةِ غَيرِ الله، وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ

﴿يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس:٦٠].

الثَّانِي: الحَاكِمُ الجَائِرُ المُغَيِّرُ لأَحكَامِ الله تَعَالَىٰ.

وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠].

الثَّالِثُ: الَّذِي حَكَمَ بِغَيرِ مَا أَنزَلَ الله، وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

الرَّابِعُ: الَّذِي يَدَّعِي عِلمَ الغَيبِ مِن دُونِ الله، وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦-٢٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩].

الخَامِسُ: الَّذِي يُعبَدُ مِن دُونِ الله وَهُوَ رَاضٍ بِالعِبَادَةِ.

وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَـٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٢٩].

وَاعلَم أَنَّ الإِنسَانَ لَا يَصِيرُ مُؤمِنًا بِالله إِلَّا بِالكُفرِ بِالطَّاغُوتِ، وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦].

الرُّشدُ: دِينُ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَالغَيُّ: دِينُ أَبِي جَهلٍ.

وَالعُروَةُ الوُثقَىٰ: شَهَادَةُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ وَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ لِلنَّفيِ وَالإِثبَاتِ.

تَنفِي جَمِيعَ أَنوَاعِ العِبَادَةِ عَن غَيرِ الله تَعَالَىٰ، وَتُثبِتُ جَمِيعَ أَنوَاعِ العِبَادَةِ كُلَّهَا لله وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

* * *

(٢٦) مَسَائِلُ الجَاهِلِيَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الشَّيخُ مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ الوَهَّابِ -رَحِمَهُ الله تَعَالَىٰ-:

هَذِهِ أُمُورٌ خَالَفَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا عَلَيهِ أَهلُ الجَاهِلِيَّةِ الكِتَابِيِّينَ وَالأُمِّيِّينَ، مِمَّا لَا غِنَىٰ لِلمُسلِمِ عَن مَعرِفَتِهَا.

فَالضِّدُّ يُظهِرُ حُسنَهُ الضِّدُّ وَبِضِدِّهَا تَتَبَيَّنُ الأَشيَاءُ

فَأَهَمُّ مَا فِيهَا وَأَشَدُّهَا خَطَرًا عَدَمُ إِيمَانِ القَلبِ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، فَإِنِ انضَافَ إِلَىٰ ذَلِكَ استِحسَانُ مَا عَلَيهِ أَهلُ الجَاهِلِيَّةِ تَمَّتِ الخَسَارَةُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [العنكبوت:٥٢].

المَسأَلَةُ الأُولَىٰ: أَنَّهُم يَتَعَبَّدُونَ بِإِشرَاكِ الصَّالِحِينَ فِي دُعَاءِ اللهِ وَعِبَادَتِهِ يُرِيدُونَ شَفَاعَتَهُم عِندَ اللهِ لِظَنِّهِم أَنَّ الله يُحِبُّ ذَلِكَ وَأَنَّ الصَّالِحِينَ يُحِبُّونَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣].

وَهَذِهِ أَعظَمُ مَسأَلَةٍ خَالَفَهُم فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَتَىٰ بِالإِخلَاصِ، وَأَخبَرَ أَنَّهُ دِينُ اللهِ الَّذِي أَرسَلَ بِهِ جَمِيعَ الرُّسُلِ، وَأَنَّهُ لَا يَقبَلُ مِنَ الأَعمَالِ إِلَّا الخَالِصَ، وَأَخبَرَ أَنَّ مَن فَعَلَ مَا استَحسَنُوا فَقَد حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الجَنَّةَ وَمَأوَاهُ النَّارُ.

وَهَذِهِ هِيَ المَسأَلَةُ الَّتِي تَفرَّقَ النَّاسُ لأَجلِهَا بَينَ مُسلِمٍ وَكَافِرٍ، وَعِندَهَا وَقَعَتِ العَدَاوَةُ؛ وَلأَجلِهَا شُرِعَ الجِهَادُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ ﴾ [الأنفال:٣٩].

الثَّانِيَةُ: أَنَّهُم مُتَفرِّقُونَ فِي دِينِهِم، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾ [الروم: ٣٢].

وَكَذَلِكَ فِي دُنيَاهُم وَيَرَونَ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الصَّوَابُ، فَأَتَىٰ بِالاجتِمَاعِ فِي الدِّينِ بِقَولِهِ: ﴿۞شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾ [الشورى:١٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ ﴾ [الأنعام:١٥٩].

وَنَهَانَا عَن مُشَابَهَتِهِم بِقَولِهِ: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ ﴾ [آل عمران:١٠٥].

وَنَهَانَا عَنِ التَّفَرُّقِ فِي الدُّنيَا بِقَولِهِ: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ [آل عمران:١٠٣].

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مُخَالَفَةَ وَلِيِّ الأَمرِ وَعَدَمَ الانقِيَادِ لَهُ فَضِيلَةٌ، وَالسَّمعُ وَالطَّاعَةُ لَهُ ذُلٌّ وَمَهَانَةٌ، فَخَالَفَهُم رَسُولُ الله ﷺ وَأَمَرَ بِالصَّبرِ عَلَىٰ جَورِ الوُلَاةِ، وَأَمَرَ بِالسَّمعِ وَالطَّاعَةِ لَهُم وَالنَّصِيحَةِ، وَغَلَّظَ فِي ذَلِكَ وَأَبدَىٰ فِيهِ وَأَعَادَ.

وَهَذِهِ الثَّلَاثُ هِيَ الَّتِي جَمَعَ بَينَهَا فِيمَا صَحَّ عَنهُ فِي الصَّحِيحَينِ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الله يَرضَىٰ لَكُم ثَلَاثًا: أَن تَعبُدُوهُ وَلَا تُشرِكُوا بِهِ شَيئًا، وَأَن تَعتَصِمُوا بِحَبلِ الله جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَن تُنَاصِحُوا مَن وَلَّاهُ الله أَمرَكُم». [مسلم (١٧١٥)، وأحمد (٨٥٨١)، وانظر: صحيح الجامع (١٨٩٥)].

وَلَم يَقَع خَلَلٌ فِي دِينِ النَّاسِ وَدُنيَاهُم إِلَّا بِسَبَبِ الإِخلَالِ بِهَذِهِ الثَّلَاثِ أَو بَعضِهَا.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ دِينَهُم مَبنِيٌّ عَلَىٰ أُصُولٍ أَعظَمُهَا التَّقلِيدُ، فَهُوَ القَاعِدَةُ الكُبرَىٰ لِجَمِيعِ الكُفَّارِ أَوَّلِهِم وَآخِرِهِم، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ

مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف:٢٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [لقمان:٢١].

فَأَتَاهُم بِقَولِهِ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ ﴾ الآيَة [سبأ:٤٦].

وَقَولِهِ: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:٣].

الخَامِسَةُ: أَنَّ مِن أَكبَرِ قَوَاعِدِهِم الاغتِرَارُ بِالأَكثَرِ، وَيَحتَجُّونَ بِهِ عَلَىٰ صِحَّةِ الشَّيءِ. وَيَستَدِلُّونَ عَلَىٰ بُطلَانِ الشَّيءِ بِغُربَتِهِ وَقِلَّةِ أَهلِهِ، فَأَتَاهُم بِضِدِّ ذَلِكَ وَأَوضَحَهُ فِي غَيرِ مَوضِعٍ مِنَ القُرآنِ.

السَّادِسَةُ: الاحتِجَاجُ بِالمُتَقَدِّمِينَ كَقَولِهِ: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [طه: ٥١].

﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون:٢٤].

السَّابِعَةُ: الاستِدلَالُ بِقَومٍ أُعطُوا قُوَىً فِي الأَفهَامِ وَالأَعمَالِ وَفِي المُلكِ وَالمَالِ وَالجَاهِ، فَرَدَّ اللهُ ذَلِكَ بِقَولِهِ: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ ﴾ الآيَةَ [الأحقاف:٢٦].

وَقَولِهِ: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ ﴾ [البقرة:٨٩].

وَقَولِهِ: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ ﴾ الآيَةَ [البقرة:١٤٦].

الثَّامِنَةُ: الاستِدلَالُ عَلَىٰ بُطلَانِ الشَّيءِ بِأَنَّهُ لَم يَتَّبِعهُ إِلَّا الضُّعَفَاءُ كَقَولِهِ: ﴿ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾ [الشعراء:١١١].

وَقَولِهِ: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ ﴾ فَرَدَّه اللهُ بِقَولِهِ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأنعام:٥٣].

التَّاسِعَةُ: الاقتِدَاءُ بِفَسَقَةِ العُلَمَاءِ وَالعُبَّادِ فَأَتَىٰ بِقَولِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣٤].

وبِقَولِهِ: ﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:٧٧].

العَاشِرَةُ: الاستِدلَالُ عَلَىٰ بُطلَانِ الدِّينِ بِقِلَّةِ أَفهَامِ أَهلِهِ وَعَدَمِ حِفظِهِم كَقَولِهِم: ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ [هود:٢٧].

الحَادِيَةَ عَشرَةَ: الاستِدلَالُ بِالقِيَاسِ الفَاسِدِ كَقَولِهِم: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠].

الثَّانِيَةَ عَشرَةَ: إِنكَارُ القِيَاسِ الصَّحِيحِ، وَالجَامِعُ لِهَذَا وَمَا قَبلَهُ عَدَمُ فَهمِ الجَامِعِ وَالفَارِقِ.

الثَّالِثَةَ عَشرَةَ: الغُلُوُّ فِي العُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ كَقَولِهِ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [النساء:١٧١].

الرَّابِعَةَ عَشرَةَ: أَنَّ كُلَّ مَا تَقَدَّمَ مَبنِيٌّ عَلَىٰ قَاعِدَةٍ، وَهِيَ: النَّفيُ وَالإِثبَاتُ، فَيَتَّبِعُونَ الهَوَىٰ وَالظَّنَّ، وَيُعرِضُونَ عَمَّا جَاءَت بِهِ الرُّسُلُ.

الخَامِسَةَ عَشرَةَ: اعتِذَارُهُم عَنِ اتِّبَاعِ مَا آتَاهُمُ الله بِعَدَمِ الفَهمِ كَقَولِهِم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ [البقرة: ٨٨].

﴿يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هود:٩١].

فَأَكذَبَهُمُ اللهُ وَبَيَّنَ أَنَّ ذَلِكَ بِسَبَبِ الطَّبعِ عَلَىٰ قُلُوبِهِم، وَأَنَّ الطَّبعَ بِسَبَبِ كُفرِهِم.

السَّادِسَةَ عَشرَةَ: اعتِيَاضُهُم عَمَّا أَتَاهُم مِنَ اللهِ بِكُتُبِ السِّحرِ؛ كَمَا ذَكَرَ اللهُ ذَلِكَ فِي قَولِهِ: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [البقرة:١٠١-١٠٢].

السَّابِعَةَ عَشرَةَ: نِسبَةُ بَاطِلِهِم إِلَىٰ الأَنبِيَاءِ كَقَولِهِ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾.

وَقَولِهِ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ [آل عمران:٦٧].

الثَّامِنَةَ عَشرَةَ: تَنَاقُضُهُم فِي الانتِسَابِ، يَنتَسِبُونَ إِلَىٰ إِبرَاهِيمَ مَعَ إِظهَارِهِم تَركَ اتِّبَاعِهِ.

التَّاسِعَةَ عَشرَةَ: قَدحُهُم فِي بَعضِ الصَّالِحِينَ بِفعِلِ بَعضِ المُنتَسِبِينَ إِلَيهِم كَقَدحِ اليَهُودِ فِي عِيسَىٰ، وَقَدحِ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ فِي مُحَمَّدٍ ﷺ.

العِشرُونَ: اعتِقَادُهُم فِي مَخَارِيقِ السَّحَرَةِ وَأَمثَالِهِم أَنَّهَا مِن كَرَامَاتِ الصَّالِحِينَ، وَنِسبَتِهِ إِلَىٰ الأَنبِيَاءِ كَمَا نَسَبُوهُ لِسُلَيمَانَ عليه السلام.

الحَادِيَةُ وَالعِشرُونَ: تَعَبُّدُهُم بِالمُكَاءِ وَالتَّصدِيَةِ.

الثَّانِيَةُ وَالعِشرُونَ: أَنَّهُمُ اتَّخَذُوا دِينَهُم لَهوًا وَلَعِبًا.

الثَّالِثَةُ وَالعِشرُونَ: أَنَّ الحَيَاةَ الدُّنيَا غَرَّتهُم فَظَنُّوا أَنَّ عَطَاءَ الله مِنهَا يَدُلُّ عَلَىٰ رِضَاهُ كَقَولِهِم: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ:٣٥].

الرَّابِعَةُ وَالعِشرُونَ: تَركُ الدُّخُولِ فِي الحَقِّ إِذَا سَبَقَهُم إِلَيهِ الضُّعَفَاء تَكَبُّرًا وَأَنَفَةً، فَأَنزَلَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الأنعام:٥٢] الآيَات.

الخَامِسَةُ وَالعِشرُونَ: الاستِدلَالُ عَلَىٰ بُطلَانِهِ بِسَبقِ الضُّعَفَاءِ كَقَولِهِ: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف:١١].

السَّادِسَةُ وَالعِشرُونَ: تَحرِيفُ كِتَابِ الله مِن بَعدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُم يَعلَمُونَ.

السَّابِعَةُ وَالعِشرُونَ: تَصنِيفُ الكُتُبِ البَاطِلَةِ وَنِسبَتُهَا إِلَىٰ الله كَقَولِهِ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [البقرة:٧٩] الآيَة.

الثَّامِنَةُ وَالعِشرُونَ: أَنَّهُم لَا يَقبَلُونَ مِنَ الحَقِّ إِلَّا الَّذِي مَعَ طَائِفَتِهِم كَقَولِهِ: ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ الآيَةَ. [البقرة:٩١].

التَّاسِعَةُ وَالعِشرُونَ: أَنَّهُم مَعَ ذَلِكَ لَا يَعلَمُونَ بِمَا تَقُولُهُ طَائِفَتُهُم كَمَا نَبَّهَ الله تَعَالَىٰ عَلَيهِ بِقَولِهِ: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٩١].

الثَّلَاثُونَ: وَهِيَ مِن عَجَائِبِ آيَاتِ الله: أَنَّهُم لَمَّا تَرَكُوا وَصِيَّةَ الله بِالاجتِمَاعِ، وَارتَكَبُوا مَا نَهَىٰ الله عَنهُ مِنَ الافتِرَاقِ، صَارَ كُلُّ حِزبٍ بِمَا لَدَيهِم فَرِحِينَ.

الحَادِيَةُ وَالثَّلَاثُونَ: وَهِيَ مِن أَعجَبِ الآيَاتِ أَيضًا: مُعَادَاتُهُم الدِّينَ الَّذِي انتَسَبُوا إِلَيهِ

غَايَةَ العَدَاوَةِ، وَمَحبَّتُهُم دِينَ الكُفَّارِ الَّذِينَ عَادَوهُم وَعَادَوا نَبِيَّهُم وَفِئَتَهُم غَايَةَ المَحبَّةِ، كَمَا فَعلُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا أَتَاهُم بِدِينِ مُوسَىٰ ﷺ، وَاتَّبَعُوا كُتُبَ السِّحرِ وَهِيَ مِن دِينِ آلِ فِرعَونَ.

الثَّانِيَةُ وَالثَّلَاثُونَ: كُفرُهُم بِالحَقِّ إِذَا كَانَ مَعَ مَن لَا يَهوَونَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [البقرة:١١٣] الآيَة.

الثَّالِثَةُ وَالثَّلَاثُون: إِنكَارُهُم مَا أَقَرُّوا أَنَّهُ دِينُهُم كَمَا فَعلُوا فِي حَجِّ البَيت فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة:١٣٠].

الرَّابِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ: أَنَّ كُلَّ فِرقَةٍ تَدَّعِي أَنَّهَا النَّاجِيَةُ فَأَكذَبَهُمُ الله بِقَولِهِ: ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة:١١١].

ثُمَّ بَيَّنَ الصَّوَابَ بِقَولِهِ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ الآيَةَ. [البقرة:١١٢].

الخَامِسَةُ وَالثَّلَاثُونَ: التَّعَبُّدُ بِكَشفِ العَورَاتِ كَقَولِهِ: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف:٢٨].

السَّادِسَةُ وَالثَّلَاثُونَ: التَّعَبُّدُ بِتَحرِيمِ الحَلَالِ كَمَا تَعَبَّدُوا بِالشِّركِ.

السَّابِعَةُ وَالثَّلَاثُونُ: التَّعَبُّدُ بِاتِّخَاذِ الأَحبَارِ وَالرُّهبَانِ أَربَابًا مِن دُونِ اللهِ.

الثَّامِنَةُ وَالثَّلَاثُونَ: الإِلحَادُ فِي الصِّفَاتِ؛ كَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت:٢٢].

التَّاسِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ: الإِلحَادُ فِي الأَسمَاءِ؛ كَقَولِهِ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد:٣٠].

الأَربَعُونَ: التَّعطِيلُ، كَقَولِ آلِ فِرعَونَ.

الحَادِيَةُ وَالأَربَعُونَ: نِسبَةُ النَّقَائِصِ إِلَيهِ سُبحَانَهُ؛ كَالوَلَدِ وَالحَاجَةِ وَالتَّعَبِ مَعَ تَنزِيهِ رُهبَانِهِم عَن بَعضِ ذَلِكَ.

الثَّانِيَةُ وَالأَربَعُونَ: الشِّركُ فِي المُلكِ كَقَولِ المَجُوسِ.

الثَّالِثَةُ وَالأَربَعُونَ: جُحُودُ القَدَرِ.

الرَّابِعَةُ وَالأَربَعُونَ: الاحتِجَاجُ عَلَىٰ الله بِهِ.

الخَامِسَةُ وَالأَربَعُونَ: مُعَارَضَةُ شَرعِ الله بِقَدَرِهِ.

السَّادِسَةُ وَالأَربَعُونَ: مَسَبَّةُ الدَّهرِ كَقَولِهِم: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية:٢٤].

السَّابِعَةُ وَالأَربَعُونَ: إِضَافَةُ نِعَمِ الله إِلَىٰ غَيرِهِ كَقَولِهِ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل:٨٣].

الثَّامِنَةُ وَالأَربَعُونَ: الكُفرُ بِآيَاتِ الله.

التَّاسِعَةُ وَالأَربَعُونَ: جَحدُ بَعضِهَا.

الخَمسُونَ: قَولُهُم: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:٩١].

الحَادِيَةُ وَالخَمسُونَ: قَولُهُم فِي القُرآنِ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٥].

الثَّانِيَةُ وَالخَمسُونَ: القَدحُ فِي حِكمَةِ الله تَعَالَىٰ.

الثَّالِثَةُ وَالخَمسُونَ: إِعمَالُ الحِيَلِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ فِي دَفعِ مَا جَاءَت بِهِ الرُّسُلُ؛ كَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٥٤].

وَقَولِهِ: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ﴾ [آل عمران:٧٢].

الرَّابِعَةُ وَالخَمسُونَ: الإِقرَارُ بِالحَقِّ لِيَتَوَصَّلُوا بِهِ إِلَىٰ دَفعِهِ كَمَا قَالَ فِي الآيَةِ.

الخَامِسَةُ وَالخَمسُونَ: التَّعَصُّبُ لِلمَذهَبِ؛ كَقَولِهِ فِيهَا: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [آل عمران:٧٣].

السَّادِسَةُ وَالخَمسُونَ: تَسمِيَةُ اتِّبَاعِ الإِسلَامِ شِركًا كَمَا ذَكَرَهُ فِي قَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٧٩] الآيَتَين.

السَّابِعَةُ وَالخَمسُونَ: تَحرِيفُ الكَلِمِ عَن مَوَاضِعِهِ.

الثَّامِنَةُ وَالخَمسُونَ: لَيُّ الأَلسِنَةِ بِالكِتَابِ.

التَّاسِعَةُ وَالخَمسُونَ: تَلقِيبُ أَهلِ الهُدَىٰ بِالصُّبَاةِ وَالحَشوِيَّةِ.

السِّتُّونَ: افتِرَاءُ الكَذِبِ عَلَىٰ اللهِ.

الحَادِيَةُ وَالسِّتُّون: التَّكذِيبُ بِالحَقِّ.

الثَّانِيَةُ وَالسِّتُّونَ: كَونُهُم إِذَا غُلِبُوا بِالحُجَّةِ فَزِعُوا إِلَىٰ الشَّكوَىٰ لِلمُلُوكِ كَمَا قَالُوا: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:١٢٧].

الثَّالِثَةُ وَالسِّتُّونَ: رَميُهُم إِيَّاهُم بِالفَسَادِ فِي الأَرضِ كَمَا فِي الآيَةِ.

الرَّابِعَةُ وَالسِّتُّونَ: رَميُهُم إِيَّاهُم بِانتِقَاصِ دِينِ المَلِكِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

وَكَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ [غافر:٢٦] الآيَة.

الخَامِسَةُ وَالسِّتُّونَ: رَميُهُم إِيَّاهُم بِانتِقَاصِ آلِهَةِ المَلِكِ كَمَا فِي الآيَةِ.

السَّادِسَةُ وَالسِّتُّونَ: رَميُهُم إِيَّاهُم بِتَبدِيلِ الدِّينِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر:٢٦].

السَّابِعَةُ وَالسِّتُّونَ: رَميُهُم إِيَّاهُم بِانتِقَاصِ المَلِكِ كَقَولِهِم: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف:١٢٧].

الثَّامِنَةُ وَالسِّتُّونَ: دَعوَاهُم العَمَلَ بِمَا عِندَهُم مِنَ الحَقِّ كَقَولِهِم: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة:٩١]، مَعَ تَركِهِم إِيَّاهُ.

التَّاسِعَةُ وَالسِّتُّونَ: الزِّيَادَةُ فِي العِبَادَةِ كَفِعلِهِم يَومَ عَاشُورَاءَ.

السَّبعُونَ: نَقصُهُم مِنهَا، كَتَركِهِم الوُقُوفَ بِعَرَفَاتٍ.

الحَادِيَةُ وَالسَّبعُونَ: تَركِهِم الوَاجِبَ وَرَعًا.

الثَّانِيَةُ وَالسَّبعُونَ: تَعَبُّدُهُم بِتَركِ الطَّيِّبَاتِ مِن الرِّزقِ.

الثَالِثَةُ وَالسَّبعُونَ: تَعَبُّدُهُم بِتَركِ زِينَةِ اللهِ.

الرَّابِعَةُ وَالسَّبعُونَ: دَعوَتُهُم النَّاسَ إِلَىٰ الضَّلَالِ بِغَيرِ عِلمٍ.

الخَامِسَةُ وَالسَّبعُونَ: دَعوَتُهُم إِيَّاهُم إِلَىٰ الكُفرِ مَعَ العِلمِ.

السَّادِسَةُ وَالسَّبعُونَ: المَكرُ الكُبَّارُ كَفِعلِ قَومِ نُوحٍ.

السَّابِعَةُ وَالسَّبعُونَ: أنَّ أئِمَّتَهُم إمَّا عَالِمٌ فَاجِرٌ، وَإِمَّا عَابِدٌ جَاهِلٌ؛ كَمَا فِي قَولِهِ: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ إِلَىٰ قَولِهِ: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة:٧٥-٧٨].

الثَّامِنَةُ وَالسَّبعُونَ: دَعوَاهُم أَنَّهُم أَولِيَاءُ الله مِن دُونِ النَّاسِ.

التَّاسِعَةُ وَالسَّبعُونَ: دَعوَاهُم مَحَبَّةَ الله مَعَ تَركِهِم شَرعَهُ؛ فَطَالَبَهُمُ الله بِقَولِهِ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ الآيَةَ [آل عمران:٣١].

الثَّمَانُونَ: تَمَنِّيهِمُ الأَمَانِيَّ الكَاذِبَةَ كَقَولِهِم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة:٨٠].

وَقَولِهِم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾ [البقرة:١١١].

الحَادِيَةُ وَالثَّمَانُونَ: اتِّخَاذُ قُبُورِ أَنبِيَائِهِم وَصَالِحِيهِم مَسَاجِدَ.

الثَّانِيَةُ وَالثَّمَانُونَ: اتِّخَاذُ آثَارِ أَنبِيَائِهِم مَسَاجِدَ كَمَا ذُكِرَ عَن عُمَرَ.

الثَّالِثَةُ وَالثَّمَانُونَ: اتِّخَاذُ السُّرُجِ عَلَىٰ القُبُورِ.

الرَّابِعَةُ وَالثَّمَانُونَ: اتِّخَاذُهَا أَعيَادًا.

الخَامِسَةُ وَالثَّمَانُونَ: الذَّبحُ عِندَ القُبُورِ.

السَّادِسَةُ وَالثَّمَانُونَ: التَّبَرُّكُ بِآثَارِ المُعَظَّمِينَ كَدَارِ النَّدوَةِ، وَافتِخَارُ مَن كَانَت تَحتَ يَدِهِ بِذَلِكَ، كَمَا قِيلَ لِحَكِيمِ بنِ حِزَامٍ: بِعتَ مَكرُمَةَ قُرَيشٍ؟! فَقَالَ: ذَهَبَتِ المَكَارِمُ إِلَّا التَّقوَىٰ.

السَّابِعَةُ وَالثَّمَانُونَ: الفَخرُ بِالأَحسَابِ.

الثَّامِنَةُ وَالثَّمَانُونَ: الطَّعنُ فِي الأَنسَابِ.

التَّاسِعَةُ وَالثَّمَانُونَ: الاستِسقَاءُ بِالأَنوَاءِ.

التِّسعُونَ: النِّيَاحَةُ.

الحَادِيَةُ وَالتِّسعُونَ: أَنَّ أَجَلَّ فَضَائِلِهِمُ البَغيُ، فَذَكَرَ الله فِيهِ مَا ذَكَرَ.

الثَّانِيَةُ وَالتِّسعُونَ: أَنَّ أَجَلَّ فَضَائِلِهِمُ الفَخرُ وَلَو بِحَقٍّ، فَنَهَىٰ عَنهُ.

الثَّالِثَةُ وَالتِّسعُونَ: أَنَّ تَعَصُّبَ الإِنسَانِ لِطَائِفَتِهِ عَلَىٰ الحَقِّ وَالبَاطِلِ أَمرٌ لَا بُدَّ مِنهُ عِندَهُم، فَذَكَرَ الله فِيهِ مَا ذَكَرَ.

الرَّابِعَةُ وَالتِّسعُونَ: أَنَّ مِن دِينِهِم أَخذَ الرَّجُلِ بِجَرِيمَةِ غَيرِهِ، فَأَنزَلَ الله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء:١٥].

الخَامِسَةُ وَالتِّسعُونَ: تَعيِيرُ الرَّجُلِ بِمَا فِي غَيرِهِ فَقَالَ: «أَعَيَّرتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ». [البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١)].

السَّادِسَةُ وَالتِّسعُونَ: الافتِخَارُ بِوِلَايَةِ البَيتِ، فَذَمَّهُمُ الله بِقَولِهِ: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾ [المؤمنون:٦٧].

السَّابِعَةُ وَالتِّسعُونَ: الافتِخَارُ بِكَونِهِم ذُرِّيَّةَ الأَنبِيَاءِ؛ فَأَتَىٰ اللهُ بِقَولِهِ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ الآيَةَ [البقرة:١٣٤].

الثَّامِنَةُ وَالتِّسعُونَ: الافتِخَارُ بِالصَّنَائِعِ كَفِعلِ أَهلِ الرِّحلَتَينِ عَلَىٰ أَهلِ الحَرثِ.

التَّاسِعَةُ وَالتِّسعُونَ: عَظَمَةُ الدُّنيَا فِي قُلُوبِهِم؛ كَقَولِهِم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف:٣١].

المِائَةُ: التَّحَكُّمُ عَلَىٰ الله كَمَا فِي الآيَةِ.

الحَادِيَةُ بَعدَ المِائَةِ: ازدِرَاءُ الفُقَرَاءِ؛ فَأَتَاهُم بِقَولِهِ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الأنعام:٥٢].

الثَّانِيَةُ بَعدَ المِائَةِ: رَميُهُم أَتبَاعَ الرُّسُلِ بِعَدَمِ الإِخلَاصِ وَطَلَبِ الدُّنيَا، فَأَجَابَهُم بِقَولِهِ: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ الآيَةَ [الأنعام: ٥٢]. وَأَمثَالُهَا.

الثَّالِثَةُ بَعدَ المِائَةِ: الكُفرُ بِالمَلَائِكَةِ.

الرَّابِعَةُ بَعدَ المِائَةِ: الكُفرُ بِالرُّسُلِ.

الخَامِسَةُ بَعدَ المِائَةِ: الكُفرُ بِالكُتُبِ.

السَّادِسَةُ بَعدَ المِائَةِ: الإِعرَاضُ عَمَّا جَاءَ عَنِ اللهِ.

السَّابِعَةُ بَعدَ المِائَةِ: الكُفرُ بِاليَومِ الآخِرِ.

الثَّامِنَةُ بَعدَ المِائَةِ: التَّكذِيبُ بِلِقَاءِ اللهِ.

التَّاسِعَةُ بَعدَ المِائَةِ: التَّكذِيبُ بِبَعضِ مَا أَخبَرَت بِهِ الرُّسُلُ عَنِ اليَومِ الآخِرِ كَمَا فِي قَولِهِ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾ [الكهف:١٠٥].

وَمِنهَا: التَّكذِيبُ بِقَولِهِ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤].

وَقَولِهِ: ﴿لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة:٢٥٤].

وَقَولِهِ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦].

العَاشِرَةُ بَعدَ المِائَةِ: قَتلُ الَّذِينَ يَأمُرُونَ بِالقِسطِ مِنَ النَّاسِ.

الحَادِيَةَ عَشرَةَ بَعدَ المِائَةِ: الإِيمَانُ بِالجِبتِ وَالطَّاغُوتِ.

الثَّانِيَةَ عَشرَةَ بَعدَ المِائَةِ: تَفضِيلُ دِينِ المُشرِكِينَ عَلَىٰ دِينِ المُسلِمِينَ.

الثَّالِثَةَ عَشرَةَ بعدَ المِائَةِ: لَبسُ الحَقِّ بِالبَاطِلِ.

الرَّابِعَةَ عَشرَةَ بَعدَ المِائَةِ: كِتمَانُ الحَقِّ مَعَ العِلمِ بِهِ.

الخَامِسَةَ عَشرَةَ بَعدَ المِائَةِ: قَاعِدَةُ الضَّلَالِ وَهِيَ القَولُ عَلَىٰ اللهِ بِلَا عِلمٍ.

السَّادِسَةَ عَشرَةَ بَعدَ المِائَةَ: التَّنَاقُضُ الوَاضِحُ لَمَّا كَذَّبُوا بِالحَقِّ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق:٥].

السَّابِعَةَ عَشرَةَ بَعدَ المِائَةِ: الإِيمَانُ بِبَعضِ المُنَزَّلِ دُونَ بَعضٍ.

الثَّامِنَةَ عَشرَةَ بَعدَ المِائَةِ: التَّفرِيقُ بَينَ الرُّسُلِ.

التَّاسِعَةَ عَشرَةَ بَعدَ المِائَةِ: مُخَاصَمَتُهُم فِيمَا لَيسَ لَهُم بِهِ عِلمٌ.

العِشرُونَ بَعدَ المِائَةِ: دَعوَاهُمُ اتِّبَاعَ السَّلَفِ مَعَ التَّصرِيحِ بِمُخَالَفَتِهِم.

الحَادِيَةُ وَالعِشرُونَ بَعدَ المِائَةِ: صَدُّهُم عَن سَبِيلِ اللهِ مَن آمَنَ بِهِ.

الثَّانِيَةُ وَالعِشرُونَ بَعدَ المِائَةِ: مُوَدَّتُهُم الكُفرَ وَالكَافِرِينَ.

الثَّالِثَةُ وَالعِشرُونَ بَعدَ المِائَةِ، وَالرَّابِعَةُ، وَالخَامِسَةُ، وَالسَّادِسَةُ، وَالسَّابِعَةُ، وَالثَّامِنَةُ وَالعِشرُونَ بَعدَ المِائَةِ: العِيَافَةُ، وَالطَّرقُ، وَالطِّيَرَةُ، وَالكِهَانَةُ، وَالتَّحَاكُمُ إِلَىٰ الطَّاغُوتِ، وَكَرَاهَةُ التَّزوِيجِ بَينَ العَبدَينِ، وَاللهُ أَعلَمُ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّمَ.

❊ ❊ ❊

(٢٧) كَشفُ الشُّبُهَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعلَم -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّ التَّوحِيدَ هُوَ: إِفرَادُ اللهِ سُبحَانَهُ بِالعِبَادَةِ.

وَهُوَ دِينُ الرُّسُلِ الَّذِي أَرسَلَهُمُ اللهُ بِهِ إِلَىٰ عِبَادِهِ، فَأَوَّلُهُم نُوحٌ ﷺ، أَرسَلَهُ اللهُ إِلَىٰ قَومِهِ لَمَّا غَلَوا فِي الصَّالِحِينَ: وَدًّا، وَسُوَاعًا، وَيَغُوثَ، وَيَعُوقَ، وَنَسرًا.

وَآخِرُ الرُّسُلِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَهُوَ الَّذِي كَسَرَ صُوَرَ هَؤُلَاءِ الصَّالِحِينَ، أَرسَلَهُ اللهُ إِلَىٰ أُنَاسٍ يَتَعَبَّدُونَ، وَيَحُجُّونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، وَيَذكُرُونَ اللهَ كَثِيرًا، وَلَكِنَّهُم يَجعَلُونَ بَعضَ المَخلُوقَاتِ وَسَائِطَ بَينَهُم وَبَينَ اللهِ، يَقُولُونَ: نُرِيدُ مِنهُمُ التَّقَرُّبَ إِلَىٰ اللهِ، وَنُرِيدُ شَفَاعَتَهُم عِندَهُ مِثلَ المَلَائِكَةِ، وَعِيسَىٰ وَمَريَمَ وَأُنَاسٍ غَيرِهِم مِنَ الصَّالِحِينَ.

فَبَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ يُجَدِّدُ لَهُم دِينَ أَبِيهِم إِبرَاهِيمَ ﷺ، وَيُخبِرُهُم أَنَّ هَذَا التَّقَرُّبَ وَالاعتِقَادَ مَحضُ حَقِّ اللهِ تَعَالَىٰ، لَا يَصلُحُ مِنهُ شَيءٌ لِغَيرِ اللهِ، لَا لِمَلَكٍ مُقَرَّبٍ، وَلَا لِنَبِيٍّ مُرسَلٍ فَضلًا عَن غَيرِهِمَا.

وَإِلَّا فَهَؤُلَاءِ المُشرِكُونَ يَشهَدُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الخَالِقُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّهُ لَا يَرزُقُ إِلَّا هُوَ، وَلَا يُحيِي وَلَا يُمِيتُ إِلَّا هُوَ، وَلَا يُدَبِّرُ الأَمرَ إِلَّا هُوَ، وَأَنَّ جَمِيعَ السَّمَوَاتِ وَمَن فِيهِنَّ، وَالأَرَضِينَ السَّبعِ وَمَن فِيهِنَّ؛ كُلُّهُم عَبِيدُهُ وَتَحتَ تَصَرُّفِهِ وَقَهرِهِ.

فَإِذَا أَرَدتَ الدَّلِيلَ عَلَىٰ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ يَشهَدُونَ بِهَذَا؛ فَاقرَأ قَولَهُ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١].

وَقَولُهُ: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩]. وَغَيرَ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ.

فَإِذَا تَحَقَّقتَ أَنَّهُم مُقِرُّونَ بِهَذَا وَلَم يُدخِلهُم فِي التَّوحِيدِ الَّذِي دَعَاهُم إِلَيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعَرَفتَ أَنَّ التَّوحِيدَ الَّذِي جَحَدُوهُ هُوَ تَوحِيدُ العِبَادَةِ الَّذِي يُسَمِّيهِ المُشرِكُونَ فِي زَمَانِنَا: «الاعتِقَادَ».

كَمَا كَانُوا يَدعُونَ اللهَ سُبحَانَهُ لَيلًا وَنَهَارًا، ثُمَّ مِنهُم مَن يَدعُو المَلَائِكَةَ لأَجلِ صَلَاحِهِم وَقُربِهِم مِنَ اللهِ؛ لِيَشفَعُوا لَهُ.

أَو يَدعُو رَجُلًا صَالِحًا مِثلَ: اللَّاتِ، أَو نَبِيًّا مِثلَ: عِيسَىٰ.

وَعَرَفتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاتَلَهُم عَلَىٰ هَذَا الشِّركِ وَدَعَاهُم إِلَىٰ إِخلَاصِ العِبَادَةِ للهِ وَحدَهُ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

وَكَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٤].

وَتَحَقَّقتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاتَلَهُم لِيَكُونَ الدُّعَاءُ كُلُّهُ للهِ، وَالذَّبحُ كُلُّه للهِ، وَالنَّذرُ كُلُّهُ للهِ، وَالاستِغَاثَةُ كُلُّهَا بِاللهِ؛ وَجَمِيعُ أَنوَاعِ العِبَادَاتِ كُلُّهَا للهِ.

وَعَرَفتَ أَنَّ إِقرَارَهُم بِتَوحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ لَم يُدخِلهُم فِي الإِسلَامِ، وَأَنَّ قَصدَهُمُ المَلَائِكَةَ، وَالأَنبِيَاءَ، وَالأَولِيَاءَ يُرِيدُونَ شَفَاعَتَهُم، وَالتَّقَرُّبَ إِلَىٰ اللهِ بِذَلِكَ هُوَ الَّذِي أَحَلَّ دِمَاءَهُم وَأَموَالَهُم، عَرَفتَ حِينَئِذٍ التَّوحِيدَ الَّذِي دَعَت إِلَيهِ الرُّسُلُ، وَأَبَىٰ عَنِ الإِقرَارِ بِهِ المُشرِكُونَ.

وَهَذَا التَّوحِيدُ هُوَ مَعنَىٰ قَولِكَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» فَإِنَّ الإِلَهَ عِندَهُم هُوَ الَّذِي يُقصَدُ لأَجلِ هَذِهِ الأُمُورِ؛ سَوَاءٌ كَانَ مَلَكًا، أَو نَبِيًّا، أَو وَلِيًّا، أَو شَجَرَةً، أَو قَبرًا، أَو جِنِّيًّا، لَم يُرِيدُوا أَنَّ الإِلَهَ هُوَ الخَالِقُ الرَّازِقُ المُدَبِّرُ؛ فَإِنَّهُم يَعلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ للهِ وَحدَهُ كَمَا قَدَّمتُ لَكَ، وَإِنَّمَا يَعنُونَ بِالإِلَه مَا يَعنِي المُشرِكُونَ فِي زَمَانِنَا بِلَفظِ «السَّيِّدِ»، فَأَتَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ يَدعُوهُم إِلَىٰ كَلِمَةِ

التَّوحِيدِ وَهِيَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

وَالمُرَادُ مِن هَذِهِ الكَلِمَةِ مَعنَاهَا لَا مُجَرَّدُ لَفظِهَا.

وَالكُفَّارُ الجُهَّالُ يَعلَمُونَ أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذِهِ الكَلِمَةِ هُوَ: إِفرَادُ اللهِ تَعَالَىٰ بِالتَّعلُّقِ بِهِ، وَالكُفرُ بِمَا يُعبَدُ مِن دُونِ اللهِ وَالبَرَاءَةُ مِنهُ، فَإِنَّهُ لَمَّا قَالَ لَهُم: قُولُوا: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»؛ قَالُوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص:٥].

فَإِذَا عَرَفتَ أَنَّ جُهَّالَ الكُفَّارِ يَعرِفُونَ ذَلِكَ، فَالعَجَبُ مِمَّن يَدَّعِي الإِسلَامَ وَهُوَ لَا يَعرِفُ مِن تَفسِيرِ هَذِهِ الكَلِمَةِ مَا عَرَفَهُ جُهَّالُ الكُفَّارِ، بَل يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ التَّلَفُّظُ بِحُرُوفِهَا مِن غَيرِ اعتِقَادِ القَلبِ لِشَيءٍ مِنَ المَعَانِي، وَالحَاذِقُ مِنهُم يَظُنُّ أَنَّ مَعنَاهَا: «لَا يَخلُقُ وَلَا يَرزُقُ إِلَّا اللهُ، وَلَا يُدَبِّرُ الأَمرَ إِلَّا اللهُ».

فَلَا خَيرَ فِي رَجُلٍ جُهَّالُ الكُفَّارِ أَعلَمُ مِنهُ بِمَعنَىٰ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

إِذَا عَرَفتَ مَا ذَكَرتُ لَكَ مَعرِفَةَ قَلبٍ، وَعَرَفتَ الشِّركَ بِاللهِ الَّذِي قَالَ اللهُ فِيهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨].

وَعَرَفتَ دِينَ اللهِ الَّذِي أَرسَلَ بِهِ الرُّسُلَ مِن أَوَّلِهِم إِلَىٰ آخِرِهِم الَّذِي لَا يَقبَلُ اللهُ مِن أَحَدٍ دِينًا سِوَاهُ، وَعَرَفتَ مَا أَصبَحَ غَالِبُ النَّاسِ فِيهِ مِنَ الجَهلِ بِهَذَا.

أَفَادَكَ فَائِدَتَينِ:

الأُولَىٰ: الفَرَحُ بِفَضلِ اللهِ وَرَحمَتِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس:٥٨].

وَأَفَادَكَ أَيضًا: الخَوفَ العَظِيمَ.

فَإِنَّكَ إِذَا عَرَفتَ أَنَّ الإِنسَانَ يَكفُرُ بِكَلِمَةٍ يُخرِجُهَا مِن لِسَانِهِ، وَقَد يَقُولُهَا وَهُوَ جَاهِلٌ: فَلَا يُعذَرُ بِالجَهلِ.

وَقَد يَقُولُهَا وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهَا تُقَرِّبُهُ إِلَىٰ الله كَمَا كَانَ يَظُنُّ المُشرِكُونَ، خُصُوصًا إِن أَلهَمَكَ اللهُ مَا قَصَّ عَن قَومِ مُوسَىٰ مَعَ صَلَاحِهِم وَعِلمِهِم أَنَّهُم أَتَوهُ قَائِلِينَ: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا

كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ [الأعراف:١٣٨].

فَحِينَئِذٍ يَعظُمُ خوفُكَ وَحِرصُكَ عَلَىٰ مَا يُخَلِّصُكَ مِن هَذَا وَأَمثَالِهِ.

وَاعلَم أَنَّ اللهَ سُبحَانَهُ مِن حِكمَتِهِ لَم يَبعَث نَبيًّا بِهَذَا التَّوحِيدِ إِلَّا جَعَلَ لَهُ أَعدَاءً؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام:١١٢].

وَقَد يَكُونُ لأَعدَاءِ التَّوحِيدِ عُلُومٌ كَثِيرَةٌ وَكُتُبٌ وَحُجَجٌ؛ كَمَا قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ [غافر:٨٣].

إِذَا عَرَفتَ ذَلِكَ، وَعَرَفتَ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَىٰ اللهِ لَا بُدَّ لَهُ مِن أَعدَاءٍ قَاعِدِينَ عَلَيهِ، أَهلِ فَصَاحَةٍ وَعِلمٍ وَحُجَجٍ، فَالوَاجِبُ عَلَيكَ أَن تَتَعَلَّمَ مِن دِينِ اللهِ مَا يَصِيرُ سِلَاحًا لَكَ تُقَاتِلُ بِهِ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ قَالَ إِمَامُهُم وَمُقَدَّمُهُم لِرَبِّكَ ﷻ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٦-١٧].

وَلَكِن إِذَا أَقبَلتَ عَلَىٰ اللهِ وَأَصغَيتَ إِلَىٰ حُجَجِهِ وَبَيِّنَاتِهِ فَلَا تَخَف وَلَا تَحزَن: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء:٧٦].

وَالعَامِّيُّ مِنَ المُوَحِّدِينَ يَغلِبُ أَلفًا مِن عُلَمَاءِ هَؤُلَاءِ المُشرِكِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات:١٧٣].

فَجُندُ اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ بِالحُجَّةِ وَاللِّسَانِ، كَمَا أَنَّهُمُ الغَالِبُونَ بِالسَّيفِ وَالسِّنَانِ، وَإِنَّمَا الخَوفُ عَلَىٰ المُوَحِّدِ الَّذِي يَسلُكُ الطَّرِيقَ وَلَيسَ مَعَهُ سِلَاحٌ.

وَقَد مَنَّ الله تَعَالَىٰ عَلَينَا بِكِتَابِهِ الَّذِي جَعَلَهُ: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل:٨٩].

فَلَا يَأتِي صَاحِبُ بَاطِلٍ بِحُجَّةٍ إِلَّا وَفِي القُرآنِ مَا يَنقُضُهَا وَيُبَيِّنُ بُطلَانَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان:٣٣].

قَالَ بَعضُ المُفَسِّرِينَ: هَذِهِ الآيَةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ حُجَّةٍ يَأتِي بِهَا أَهلُ البَاطِلِ إِلَىٰ يَومِ القِيَامَةِ.

وَأَنَا أَذكرُ لَكَ أَشيَاءَ مِمَّا ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ؛ جَوَابًا لِكَلَامٍ احتَجَّ بِهِ المُشرِكُونَ فِي زَمَانِنَا عَلَينَا.

فَنَقُولُ: جَوَابُ أَهلِ البَاطِلِ مِن طَرِيقَينِ: مُجمَلٍ، وَمُفَصَّلٍ.

أَمَّا المُجمَلُ: فَهُوَ الأَمرُ العَظِيمُ وَالفَائِدَةُ الكَبِيرَةُ لِمَن عَقَلَهَا؛ وَذَلِكَ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران:٧].

وَقَد صَحَّ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا رَأَيتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّىٰ اللهُ فَاحذَرُوهُم». [البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥)].

مِثَالُ ذَلِكَ: إِذَا قَالَ لَكَ بَعضُ المُشرِكِينَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس:٦٢].

وَأَنَّ الشَّفَاعَةَ حَقٌّ، وَأَنَّ الأَنبِيَاءَ لَهُم جَاهٌ عِندَ اللهِ، أَو ذَكَرَ كَلَامًا لِلنَّبِيِّ ﷺ، يَستَدِلُّ بِهِ عَلَىٰ شَيءٍ مِن بَاطِلِهِ، وَأَنتَ لَا تَفهَمُ مَعنَىٰ الكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ، فَجَاوِبهُ بِقَولِكَ: إِنَّ اللهَ ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ أَنَّ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم زَيغٌ يَترُكُونَ المُحكَمَ وَيَتَّبِعُونَ المُتَشَابِهَ.

وَمَا ذَكَرتُهُ لَكَ مِن أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذَكَرَ أَنَّ المُشرِكِينَ يُقِرُّونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّ كُفرَهُم بِتَعَلُّقِهِم عَلَىٰ المَلَائِكَةِ وَالأَنبِيَاءِ وَالأَولِيَاءِ مَعَ قَولِهِم: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨]. هَذَا أَمرٌ مُحكَمٌ بَيِّنٌ، لَا يَقدِرُ أَحَدٌ أَن يُغَيِّرَ مَعنَاهُ.

وَمَا ذَكَرتَ لِي أَيُّهَا المُشرِكُ مِنَ القُرآنِ أَو كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ لَا أَعرِفُ مَعنَاهُ، وَلَكِن أَقطَعُ أَنَّ كَلَامَ اللهِ لَا يَتَنَاقَضُ، وَأَنَّ كَلَامَ النَّبِيِّ ﷺ لَا يُخَالِفُ كَلَامَ اللهِ.

وَهَذَا جَوَابٌ جَيِّدٌ سَدِيدٌ؛ وَلَكِن لَا يَفهَمُهُ إِلَّا مَن وَفَّقَهُ اللهُ؛ فَلَا تَستَهِن بِهِ، فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت:٣٥].

وَأَمَّا الجَوَابُ المُفَصَّلُ: فَإِنَّ أَعدَاءَ اللهِ لَهُم اعتِرَاضَاتٌ كَثِيرَةٌ عَلَىٰ دِينِ الرُّسُلِ يَصُدُّونَ بِهَا النَّاسَ عَنهُ، مِنهَا قَولُهُم: نَحنُ لَا نُشرِكُ بِاللهِ، بَل نَشهَدُ أَنَّهُ لَا يَخلُقُ وَلَا يَرزُقُ وَلَا يَنفَعُ

وَلَا يَضُرُّ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًاﷺ لَا يَملِكُ لِنَفسِهِ نَفعًا وَلَا ضَرًّا فَضلًا عَن عَبدِ القَادِرِ أَو غَيرِهِ، وَلَكِن أَنَا مُذنِبٌ، وَالصَّالِحُونَ لَهُم جَاهٌ عِندَ اللهِ، وَأَطلُبُ مِنَ اللهِ بِهِم.

فَجَاوِبهُ بِمَا تَقَدَّمَ، وَهُوَ: أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ اللهِﷺ مُقِرُّونَ بِمَا ذَكَرتَ، وَمُقِرُّونَ بِأَنَّ أوثَانَهُم لَا تُدَبِّرُ شَيئًا وَإِنَّمَا أَرَادُوا الجَاهَ وَالشَّفَاعَةَ.

وَاقرَأ عَلَيهِ مَا ذَكَرَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ وَوَضَّحهُ.

فَإِن قَالَ: هَؤلَاءِ الآيَاتُ نَزَلَت فِيمَن يَعبُدُ الأَصنَامَ، فَكَيفَ تَجعَلُونَ الصَّالِحِينَ مِثلَ الأَصنَامِ؟! أَم كَيفَ تَجعَلُونَ الأَنبِيَاءَ أَصنَامًا؟ فَجَاوِبهُ بِمَا تَقَدَّمَ.

فَإِنَّه إِذَا أَقَرَّ أَنَّ الكُفَّار يَشهَدُونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ كُلِّهَا لله، وَأَنَّهُم مَا أَرَادُوا مِمَّن قَصَدُوا إِلَّا الشَّفَاعَةَ، وَلَكِن أَرَادَ أَن يُفَرِّقَ بَينَ فِعلِهِ وَفِعلِهِم بِمَا ذَكَرَه.

فَاذكُر لَهُ أَنَّ الكُفَّارَ مِنهُم مَن يَدعُو الصَّالِحِينَ وَالأَصنَامَ.

وَمِنهُم مَن يَدعُو الأَولِيَاءَ الَّذِينَ قَالَ الله فِيهِم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ [الإسراء:٥٧].

وَيَدعُونَ عِيسَى بنَ مَريَمَ وَأُمَّهُ، وَقَد قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ۝٧٥ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [المائدة:٧٥-٧٦].

وَاذكُر لَهُ قَولَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ۝٤٠ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴾ [سبأ:٤٠-٤١].

وَقَولَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾ [المائدة:١١٦].

فَقُل لَهُ: عَرَفتَ أَنَّ اللهَ كَفَّرَ مَن قَصَدَ الأَصنَامَ، وَكَفَّرَ أَيضًا مَن قَصَدَ الصَّالِحِينَ وَقَاتَلَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ.

فَإِن قَالَ: الكُفَّارُ يُرِيدُونَ مِنهُم، وَأَنَا أَشهَدُ أَنَّ اللهَ هُوَ النَّافِعُ الضَّارُّ المُدَبِّرُ، لا أُرِيدُ إِلَّا مِنهُ، وَالصَّالِحُونَ لَيسَ لَهُم مِنَ الأَمرِ شَيءٌ، وَلَكِن أَقصِدُهُم أَرجُو مِنَ اللهِ شَفَاعَتَهُم.

فَالجَوَابُ: أَنَّ هَذَا قَولُ الكُفَّارِ سَوَاءً بِسَوَاءٍ؛ وَاقرَأ عَلَيهِ قَولَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣].

وَقَولَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس:١٨].

وَاعلَم: أَنَّ هَذِهِ الشُّبَهَ الثَّلَاثَ هِيَ أَكبَرُ مَا عِندَهُم، فَإِذَا عَرَفتَ أَنَّ الله وَضَّحَهَا لَنَا فِي كِتَابِهِ، وَفَهِمتَهَا فَهمًا جَيِّدًا؛ فَمَا بَعدَهَا أَيسَرُ مِنهَا.

فَإِن قَالَ: أَنَا لَا أَعبُدُ إِلَّا اللهَ، وَهَذَا الالتِجَاءُ إِلَىٰ الصَّالِحِينَ وَدُعَاؤُهُم لَيسَ بِعِبَادَةٍ.

فَقُل لَهُ: أَنتَ تُقِرُّ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيكَ إِخلَاصَ العِبَادَةِ للهِ وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيكَ.

فَإِذَا قَالَ: نَعَم.

فَقُل لَهُ: بَيِّن لِي هَذَا الَّذِي فُرِضَ عَلَيكَ وَهُوَ إِخلَاصُ العِبَادَةِ للهِ وَحدَهُ، وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيكَ.

فَإِن كَانَ لَا يَعرِفُ العِبَادَةَ وَلَا أَنوَاعَهَا، فَبَيِّنهَا لَهُ بِقَولِكَ: قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿ٱدۡعُوا۟ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعًا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأعراف:٥٥].

فَإِذَا أَعلَمتَهُ بِهَذَا، فَقُل لَهُ: هَل عَلِمتَ هَذِهِ عِبَادَةً للهِ.

فَلَابُدَّ أَن يَقُولَ: نَعَم. وَالدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ.

فَقُل لَهُ: إِذَا أَقرَرتَ أَنَّهَا عِبَادَةٌ لله، وَدَعَوتَ اللهَ لَيلًا وَنَهَارًا، خَوفًا وَطَمَعًا، ثُمَّ دَعَوتَ فِي تِلكَ الحَاجَةِ نَبِيًّا أَو غَيرَهُ، هَل أَشرَكتَ فِي عِبَادَةِ اللهِ غَيرَهُ؟

فَلَا بُدَّ أَن يَقُولَ: نَعَم.

فَقُل لَهُ: فَإِذَا عَلِمتَ بِقَولِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ [الكوثر:٢]. وَأَطَعتَ الله

وَنَحَرتَ لَهُ، هَل هَذَا عِبَادَةٌ؟

فَلَابُدَّ أَن يَقُولَ: نَعَم.

فَقُل لَهُ: إِذَا نَحَرتَ لِمَخلُوقٍ: نَبِيٍّ، أَو جِنِّيٍّ أَو غَيرِهِمَا، هَل أَشرَكتَ فِي هَذِهِ العِبَادَةِ غَيرَ اللهِ؟

فَلَابُدَّ أَن يُقِرَّ، وَيَقُولَ: نَعَم.

وَقُل لَهُ أَيضًا: المُشرِكُونَ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ القُرآنُ، هَل كَانُوا يَعبُدُونَ المَلَائِكَةَ وَالصَّالِحِينَ وَاللَّاتَ وَغَيرَ ذَلِكَ؟

فَلَابُدَّ أَن يَقُولَ: نَعَم.

فَقُل لَهُ: وَهَل كَانَت عِبَادَتُهُم إِيَّاهُم إِلَّا فِي الدُّعَاءِ وَالذَّبحِ وَالالتِجَاءِ وَنَحوِ ذَلِكَ، وَإِلَّا فَهُم مُقِرُّونَ أَنَّهُم عَبِيدُهُ وَتَحتَ قَهرِهِ، وَأَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الأَمرَ، وَلَكِن دَعَوهُم وَالتَجَئُوا إِلَيهِم لِلجَاهِ وَالشَّفَاعَةِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ جِدًّا.

فَإِن قَالَ: أَتُنكِرُ شَفَاعَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَبرَأُ مِنهَا؟!

فَقُل: لَا أُنكِرُهَا وَلَا أَتَبَرَّأُ مِنهَا، بَل هُوَ ﷺ الشَّافِعُ وَالمُشَفَّعُ؛ وَأَرجُو شَفَاعَتَهُ، وَلَكِنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا للهِ، كَمَا قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤].

وَلَا تَكُونُ إِلَّا مِن بَعدِ إِذنِ اللهِ كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وَلَا يَشفَعُ النَّبِيُّ فِي أَحَدٍ إِلَّا مِن بَعدِ أَن يَأذَنَ اللهُ فِيهِ كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَلَا يَشفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨].

وَهُو لَا يَرضَىٰ إِلَّا التَّوحِيدَ كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَمَن يَبتَغِ غَيرَ ٱلإِسلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقبَلَ مِنهُ﴾ [آل عمران:٨٥].

فَإِذَا كَانَتِ الشَّفَاعَةُ كُلُّهَا للهِ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا مِن بَعدِ إِذنِهِ، وَلَا يَشفَعُ النَّبِيُّ ﷺ وَلَا غَيرُهُ فِي أَحَدٍ حَتَّىٰ يَأذَنَ اللهُ فِيهِ، وَلَا يَأذَنُ إِلَّا لِأَهلِ التَّوحِيدِ؛ تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا للهِ؛

فَاطلُبهَا مِنهُ؛ وَقُل: اللَّهُمَّ لَا تَحرِمنِي شَفَاعَتَهُ، اللَّهُمَّ شَفِّعهُ فِيَّ، وَأَمثَالُ هَذَا.

فَإِن قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ أُعطِيَ الشَّفَاعَةَ، وَأَنَا أَطلُبُهُ مِمَّا أَعطَاهُ اللهُ؟

فَالجَوَابُ: أَنَّ اللهَ أَعطَاهُ الشَّفَاعَةَ وَنَهَاكَ عَن هَذَا فَقَالَ: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن ١٨].

فَإِذَا كُنتَ تَدعُو اللهَ أَن يُشَفِّعَ نَبِيَّهُ فِيكَ فَأَطِعهُ فِي قَولِهِ: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾.

وَأَيضًا فَإِنَّ الشَّفَاعَةَ أُعطِيَهَا غَيرُ النَّبِيِّ ﷺ، فَصَحَّ أَنَّ المَلَائِكَةَ يَشفَعُونَ، وَالأَولِيَاءَ يَشفَعُونَ، وَالأَفرَاطَ يَشفَعُونَ، أَتَقُولُ: إِنَّ اللهَ أَعطَاهُمُ الشَّفَاعَةَ فَأَطلُبُهَا مِنهُم؟!

فَإِن قُلتَ هَذَا؛ رَجَعتَ إِلَىٰ عِبَادَةِ الصَّالِحِينَ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ.

وَإِن قُلتَ: لَا؛ بَطَلَ قَولُكَ: «أَعطَاهُ اللهُ الشَّفَاعَةَ وَأَنَا أَطلُبُهُ مِمَّا أَعطَاهُ اللهُ».

فَإِن قَالَ: أَنَا لَا أُشرِكُ بِاللهِ شَيئًا؛ حَاشَىٰ وَكَلَّا، وَلَكِنَّ الالتِجَاءَ إِلَىٰ الصَّالِحِينَ لَيسَ بِشِركٍ.

فَقُل لَهُ: إِذَا كُنتَ تُقِرُّ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ الشِّركَ أَعظَمَ مِن تَحرِيمِ الزِّنَا، وَتُقِرُّ أَنَّ اللهَ لَا يَغفِرُهُ. فَمَا هَذَا الأَمرُ الَّذِي حَرَّمَهُ اللهُ وَذَكَرَ أَنَّهُ لَا يَغفِرُهُ؟ فَإِنَّهُ لَا يَدرِي.

فَقُل لَهُ: كَيفَ تُبَرِّئُ نَفسَكَ مِنَ الشِّركِ وَأَنتَ لَا تَعرِفُهُ؟ أَم كَيفَ يُحَرِّمُ اللهُ عَلَيكَ هَذ وَيَذكُرُ أَنَّهُ لَا يَغفِرُهُ وَلَا تَسأَلُ عَنهُ وَلَا تَعرِفُهُ؟

أَتَظُنُّ أَنَّ اللهَ يُحَرِّمُهُ وَلَا يُبَيِّنُهُ لَنَا؟!

فَإِن قَالَ: الشِّركُ عِبَادَةُ الأَصنَامِ، وَنَحنُ لَا نَعبُدُ الأَصنَامَ.

فَقُل لَهُ: مَا مَعنَىٰ عِبَادَةِ الأَصنَامِ؟ أَتَظُنُّ أَنَّهُم يَعتَقِدُونَ أَنَّ تِلكَ الأَخشَابَ وَالأَحجَار تَخلُقُ وَتَرزُقُ وَتُدَبِّرُ أَمرَ مَن دَعَاهَا؟ فَهَذَا يُكَذِّبُهُ القُرآنُ.

وَإِن قَالَ: هُوَ مَن قَصَدَ خَشَبَةً، أَو حَجَرًا، أَو بِنيَةً عَلَىٰ قَبرٍ أَو غَيرِهِ، يَدعُونَ ذَلِكَ وَيَذبَحُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ يُقَرِّبُنَا إِلَىٰ اللهِ زُلفَىٰ، وَيَدفَعُ اللهُ عَنَّا بِبَرَكَتِهِ أَو يُعطِينَا بِبَرَكَتِهِ.

فَقُل: صَدَقتَ، وَهَذَا هُوَ فِعلُكُم عِندَ الأَحجَارِ وَالأَبنِيَةِ الَّتِي عَلَىٰ القُبُورِ وَغَيرِهَا.

فَهَذَا أَقَرَّ أَنَّ فِعلَهُم هَذَا هُوَ عِبَادَةُ الأَصنَامِ فَهُوَ المَطلُوبُ.

وَيُقَالُ لَهُ أَيضًا: قَولُكَ: الشِّركُ عِبَادَةُ الأَصنَامِ، هَل مُرَادُكَ أَنَّ الشِّركَ مَخصُوصٌ بِهَذَا، وَأَنَّ الاعتِمَادَ عَلَىٰ الصَّالِحِينَ وَدُعَاءَهُم لَا يَدخُلُ فِي ذَلِكَ؟

فَهَذَا يَرُدُّهُ مَا ذَكَرَ الله فِي كِتَابِهِ مِن كُفرِ مَن تَعَلَّقَ عَلَىٰ المَلَائِكَةِ أَو عِيسَىٰ أَوِ الصَّالِحِينَ.

فَلَابُدَّ أَن يُقِرَّ لَكَ أَنَّ مَن أَشرَكَ فِي عِبَادَةِ اللهِ أَحَدًا مِنَ الصَّالِحِينَ لَهُوَ الشِّركُ المَذكُورُ فِي القُرآنِ وَهَذَا هُوَ المَطلُوبُ.

وَسِرُّ المَسأَلَةِ: أَنَّهُ إِذَا قَالَ: أَنَا لَا أُشرِكُ بِاللهِ.

فَقُل لَهُ: وَمَا الشِّركُ بِاللهِ؟ فَسِّرهُ لِي.

فَإِن قَالَ: هُوَ عِبَادَةُ الأَصنَامِ.

فَقُل: وَمَا مَعنَىٰ عِبَادَةِ الأَصنَامِ؟ فَسِّرهَا لِي.

فَإِن قَالَ: أَنَا لَا أَعبُدُ إِلَّا اللهَ.

فَقُل: مَا مَعنَىٰ عِبَادَةِ اللهِ؟ فَسِّرهَا لِي.

فَإِن فَسَّرَهَا بِمَا بَيَّنَهُ القُرآنُ فَهُوَ المَطلُوبُ، وَإِن لَم يَعرِفهُ فَكَيفَ يَدَّعِي شَيئًا وَهُوَ لَا يَعرِفُهُ؟!

وَإِن فَسَّرَ ذَلِكَ بِغَيرِ مَعنَاهُ بَيَّنتَ لَهُ الآيَاتِ الوَاضِحَاتِ فِي مَعنَىٰ الشِّركِ بِاللهِ وَعِبَادَةِ الأَوثَانِ، وَأَنَّهُ الَّذِي يَفعَلُونَهُ فِي هَذَا الزَّمَانِ بِعَينِهِ، وَأَنَّ عِبَادَةَ اللهِ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هِيَ الَّتِي يُنكِرُونَ عَلَينَا، وَيَصِيحُونَ كَمَا صَاحَ إِخوانُهُم؛ حَيثُ قَالُوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡءَالِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴾ [ص:٥].

فَإِذَا عَرَفتَ أَنَّ هَذَا الَّذِي يُسَمِّيهِ المُشرِكُونَ فِي زَمَانِنَا «كَبِير الاعتِقَادِ» هُوَ الشِّركُ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ القُرآنُ، وَقَاتَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ عَلَيهِ، فَاعلَم أَنَّ شِركَ الأَوَّلِينَ أَخَفُّ مِن شِركِ أَهلِ زَمَانِنَا بِأَمرَينِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الأَوَّلِينَ لَا يُشرِكُونَ وَلَا يَدعُونَ المَلَائِكَةَ وَالأَولِيَاءَ وَالأَوثَانَ مَعَ اللهِ إِلَّا فِي

الرَّخَاءِ، وَأَمَّا الشِّدَّةُ فَيُخلِصُونَ للهِ الدِّينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء:٦٧].

وَقَولُهُ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠-٤١].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ إِلَىٰ قَولِهِ: ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر:٨].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمان:٣٢].

فَمَن فَهِمَ هَذِهِ المَسأَلَةَ الَّتِي وَضَّحَهَا اللهُ فِي كِتَابِهِ وَهِيَ أَنَّ المُشرِكِينَ الَّذِينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدعُونَ اللهَ وَيَدعُونَ غَيرَهُ فِي الرَّخَاءِ، وَأَمَّا فِي الضَّرَّاءِ وَالشِّدَّةِ فَلَا يَدعُونَ إِلَّا اللهَ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَيَنسَونَ سَادَتَهُم؛ تَبَيَّنَ لَهُ الفَرقُ بَينَ شِركِ أَهلِ زَمَانِنَا وَشِركِ الأَوَّلِينَ. وَلَكِن أَينَ مَن يَفهَمُ قَلبُهُ هَذِهِ المَسأَلَةَ فَهمًا رَاسِخًا، وَاللهُ المُستَعَانُ.

وَالأَمرُ الثَّانِي: أَنَّ الأَوَّلِينَ يَدعُونَ مَعَ اللهِ أُنَاسًا مُقَرَّبِينَ عِندَ اللهِ: إِمَّا أَنبِيَاءَ، وَإِمَّا أَولِيَاءَ، وَإِمَّا مَلَائِكَةً، أَو يَدعُونَ أَشجَارًا، أَو أَحجَارًا مُطِيعَةً للهِ لَيسَت عَاصِيَةً.

وَأَهلُ زَمَانِنَا يَدعُونَ مَعَ اللهِ أُنَاسًا مِن أَفسَقِ النَّاسِ، وَالَّذِينَ يَدعُونَهُم هُمُ الَّذِينَ يَحكُونَ عَنهُم الفُجُورَ مِنَ الزِّنَا وَالسَّرِقَةِ وَتَركِ الصَّلَاةِ وَغَيرِ ذَلِكَ.

وَالَّذِي يَعتَقِدُ فِي الصَّالِحِ أَوِ الَّذِي لَا يَعصِي مِثلَ الخَشَبِ وَالحَجَرِ أَهوَنُ مِمَّن يَعتَقِدُ فِيمَن يُشَاهِدُ فِسقَهُ وَفَسَادَهُ وَيَشهَدُ بِهِ.

إِذَا تَحَقَّقتَ أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ أَصَحُّ عُقُولًا، وَأَخَفُّ شِركًا مِن هَؤُلَاءِ. فَاعلَم أَنَّ لِهَؤُلَاءِ شُبهَةً يُورِدُونَهَا عَلَىٰ مَا ذَكَرنَا وَهِيَ مِن أَعظَمِ شُبَهِهِم، فَأَصغِ سَمعَكَ لِجَوَابِهَا، وَهِيَ:

أَنَّهُم يَقُولُونَ: إِنَّ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ القُرآنُ لَا يَشهَدُونَ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيُكَذِّبُونَ الرَّسُولَ ﷺ. وَيُنكِرُونَ البَعثَ، وَيُكَذِّبُونَ القُرآنَ وَيَجعَلُونَهُ سِحرًا، وَنَحنُ نَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ

مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَنُصَدِّقُ القُرآنَ، وَنؤمِنُ بِالبَعثِ، وَنُصَلِّي وَنَصُومُ، فَكَيفَ تجعَلُونَنَا مِثلَ أُولَئِكَ؟!

فَالجَوَابُ: أَنَّهُ لَا خِلَافَ بَينَ العُلَمَاءِ كُلِّهِم أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَدَّقَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي شَيءٍ وَكَذَّبَهُ فِي شَيءٍ، أَنَّهُ كَافِرٌ لَم يَدخُل فِي الإِسلَامِ.

وَكَذَلِكَ إِذَا آمَنَ بِبَعضِ القُرآنِ وَجَحَدَ بَعضَهُ كَمَن أَقَرَّ بِالتَّوحِيدِ وَجَحَدَ وجُوبَ الصَّلَاةِ، أَو أَقَرَّ بِالتَّوحِيدِ وَالصَّلَاةِ وَجَحَدَ وجُوبَ الزَّكَاةِ، أَو أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ الصَّومَ، أَو أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ الحَجَّ، وَلَمَّا لَم يَنقَد أُنَاسٌ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لِلحَجِّ أَنزَلَ اللهُ فِي حَقِّهِم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وَمَن أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ البَعثَ كَفَرَ بِالإِجمَاعِ، وَحَلَّ دَمُهُ وَمَالُهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

فَإِذَا كَانَ الله قَد صَرَّحَ فِي كِتَابِهِ: أَنَّ مَن آمَنَ بِبَعضٍ وَكَفَرَ بِبَعضٍ؛ فَهُوَ الكَافِرُ حَقًّا، زَالَت هَذِهِ الشُّبهَةُ، وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا بَعضُ أَهلِ الأَحسَاءِ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَرسَلَهُ إِلَينَا.

وَيُقَالُ أَيضًا: إِذَا كُنتَ تُقِرُّ أَنَّ مَن صَدَّقَ الرَّسُولَ ﷺ فِي كُلِّ شَيءٍ، وَجَحَدَ وجُوبَ الصَّلَاةِ؛ أَنَّهُ كَافِرٌ حَلَالُ الدَّمِ وَالمَالِ بِالإِجمَاعِ، وَكَذَلِكَ إِذَا أَقَرَّ بِكُلِّ شَيءٍ إِلَّا البَعثَ، وَكَذَلِكَ لَو جَحَدَ وجُوبَ صَومِ رَمَضَانَ؛ وَصَدَّقَ بِذَلِكَ كُلِّهِ لَا تَختَلِفُ المَذَاهِبُ فِيهِ، وَقَد نَطَقَ بِهِ القُرآنُ كَمَا قَدَّمنَا.

فَمَعلُومٌ أَنَّ التَّوحِيدَ هُوَ أَعظَمُ فَرِيضَةٍ جَاءَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَهُوَ أَعظَمُ مِنَ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصَّومِ، وَالحَجِّ، فَكَيفَ إِذَا جَحَدَ الإِنسَانُ شَيئًا مِن هَذِهِ الأُمُورِ كَفَرَ وَلَو عَمِلَ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَإِذَا جَحَدَ التَّوحِيدَ الَّذِي هُوَ دِينُ الرُّسُلِ كُلِّهِم لَا يَكفُرُ؟!

سُبحَانَ الله! مَا أَعجَبَ هَذَا الجَهلَ!

وَيُقَالُ أَيضًا: هَؤلَاءِ أَصحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ، وَقَد أَسلَمُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُم يَشهَدُونَ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ﷺ، وَيُؤَذِّنُونَ وَيُصَلُّونَ.

فَإِن قَالَ: إِنَّهُم يَقُولُونَ: إِنَّ مُسَيلِمَةَ نَبِيٌّ.

قُلنَا: هَذَا هُوَ المَطلُوبُ، إِذَا كَانَ مَن رَفَع رَجُلًا إِلَىٰ رُتبَةِ النَّبِيِّ ﷺ كَفَرَ، وَحَلَّ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَلَم تَنفَعهُ الشَّهَادَتَانِ وَلَا الصَّلَاةُ، فَكَيفَ بِمَن رَفَعَ شَمسَانَ أَو يُوسُفَ أَو صَحَابِيًّا أَو نَبِيًّا إِلَىٰ مَرتَبَةِ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ؟!

سُبحَانَ اللهِ! مَا أَعظَمَ شَأنَهُ! ﴿ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الروم: ٥٩].

وَيُقَالُ أَيضًا: الَّذِينَ حَرَّقَهُم عَلَيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه بِالنَّارِ، كُلُّهُم يَدَّعُونَ الإِسلَامَ وَهُم مِن أَصحَابِ عَلِيٍّ رضي الله عنه، وَتَعَلَّمُوا العِلمَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَلَكِن اعتَقَدُوا فِي عَلِيٍّ مِثلَ الاعتِقَادِ فِي يُوسُفَ وَشَمسَانَ وَأَمثَالِهِمَا، فَكَيفَ أَجمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَىٰ قَتلِهِم وَكُفرِهِم؟

أَتَظُنُّون أَنَّ الصَّحَابَةَ يُكَفِّرُونَ المُسلِمِينَ؟

أَم تَظُنُّونَ أَنَّ الاعتِقَادَ فِي تَاجٍ وَأَمثَالِهِ لَا يَضُرُّ، وَالاعتِقَادَ فِي عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه يُكَفِّرُ؟!

وَيُقَالُ أَيضًا: بَنُو عُبَيدٍ القَدَّاحُ الَّذِينَ مَلَكُوا المَغرِبَ وَمِصرَ فِي زَمَانِ بَنِي العَبَّاسِ. كُلُّهُم يَشهَدُونَ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيَدَّعُونَ الإِسلَامَ، وَيُصَلُّونَ الجُمُعَةَ وَالجَمَاعَةَ، فَلَمَّا أَظهَرُوا مُخَالَفَةَ الشَّرِيعَةِ فِي أَشيَاءَ دُونَ مَا نَحنُ فِيهِ؛ أَجمَعَ العُلَمَاءُ عَلَىٰ كُفرِهِم وَقِتَالِهِم، وَأَنَّ بِلَادَهُم بِلَادُ حَربٍ، وَغَزَاهُمُ المُسلِمُونَ حَتَّىٰ استَنقَذُوا مَا بِأَيدِيهِم مِن بُلدَانِ المُسلِمِينَ.

وَيُقَالُ أَيضًا: إِذَا كَانَ الأَوَّلُونَ لَم يَكفُرُوا إِلَّا لأَنَّهُم جَمَعُوا بَينَ الشِّركِ وَتَكذِيبِ الرَّسُولِ وَالقُرآنِ، وَإِنكَارِ البَعثِ وَغَيرِ ذَلِكَ، فَمَا مَعنَىٰ البَابِ الَّذِي ذَكَرَهُ العُلَمَاءُ فِي كُلِّ

مذهب: (بَابُ حُكمِ المُرتَدِّ)، وَهُوَ المَسلِمُ الَّذِي يَكفرُ بَعدَ إِسلاَمِهِ، ثُمَّ ذَكَرُوا أَنوَاعًا كَثِيرَةً، كُلُّ نَوعٍ مِنهَا يُكَفِّرُ وَيُحِلُّ دَمَ الرَّجُلِ وَمَالَهُ، حَتَّىٰ أَنَّهُم ذَكَرُوا أَشيَاءَ يَسِيرَةً عِندَ مَن فَعَلَهَا، مِثلُ كَلِمَةٍ يَذكُرُهَا بِلِسَانِهِ دُونَ قَلبِهِ، أَو كَلِمَةً يَذكُرُهَا عَلَىٰ وَجهِ المَزحِ وَاللَّعِبِ.

وَيُقَالُ أَيضًا: الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِم: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة:٧٤].

أَمَا سَمِعتَ اللهَ كَفَّرَهُم بِكَلِمَةٍ مَعَ كَونِهِم فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَيُجَاهِدُونَ مَعَهُ وَيُصَلُّونَ، وَيُزَكُّونَ وَيَحُجُّونَ، وَيُوَحِّدُونَ.

وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِم: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

فَهَؤلَاءِ الَّذِينَ صَرَّحَ اللهُ فِيهِم أَنَّهُم كَفَرُوا بَعدَ إِيمَانِهِم وَهُم مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزوَةِ تَبُوكَ، قَالُوا كَلِمَةً ذَكَرُوا أَنَّهُم قَالُوهَا عَلَىٰ وَجهِ المَزحِ.

فَتَأَمَّل هَذِهِ الشُّبهَةَ وَهِيَ قَولُهُم: تُكَفِّرُونَ مِنَ المُسلِمِينَ أُنَاسًا يَشهَدُونَ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيُصَلُّونَ وَيَصُومُونَ.

ثُمَّ تَأَمَّل جَوَابَهَا، فَإِنَّهُ مِن أَنفَعِ مَا فِي هَذِهِ الأَورَاقِ.

وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَىٰ ذَلِكَ أَيضًا: مَا حَكَىٰ اللهُ عَن بَنِي إِسرَائِيلَ مَعَ إِسلَامِهِم وَعِلمِهِم وَصَلَاحِهِم، أَنَّهُم قَالُوا لِمُوسَىٰ: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨].

وَقَولُ أُنَاسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ: «اجعَل لَنَا ذَاتَ أَنوَاطٍ...»؛ فَحَلَفَ النَّبِيُّ ﷺ، أَنَّ هَذَا نَظِيرُ قَولِ بَنِي إِسرَائِيلَ: اجعَل لَنَا إِلَهًا. [صحيح، المشكاة (٥٤٠٨)].

وَلَكِن لِلمُشرِكِينَ شُبهَةٌ يُدلُونَ بِهَا عِندَ هَذِهِ القِصَّةِ، وَهِيَ: أَنَّهُم يَقُولُونَ: إِنَّ بَنِي إِسرَائِيلَ لَم يَكفُرُوا بِذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ اجعَل لَنَا ذَاتَ أَنوَاطٍ. لَم يَكفُرُوا.

فَالجَوَابُ أَن نَقُولَ: إِنَّ بَنِي إِسرَائِيلَ لَم يَفعَلُوا ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ لَم يَفعَلُوا ذَلِكَ، وَلَا خِلَافَ أَنَّ بَنِي إِسرَائِيلَ لَو فَعَلُوا ذَلِكَ لَكَفَرُوا.

وَكَذَلِكَ لَا خِلَافَ فِي أَنَّ الَّذِينَ نَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ لَو لَم يُطِيعُوهُ، وَاتَّخَذُوا ذَاتَ أَنوَاطٍ بَعدَ نَهيِهِ لَكَفَرُوا، وَهَذَا هُوَ المَطلُوبُ.

وَلَكِن هَذِهِ القِصَّةُ تُفِيدُ: أَنَّ المُسلِمَ -بَلِ العَالِمَ- قَد يَقَعُ فِي أَنوَاعٍ مِنَ الشِّركِ لَا يَدرِي عَنهَا، فَتُفِيدُ التَّعَلُّمَ وَالتَّحَرُّزَ وَمَعرِفَةَ أَنَّ قَولَ الجَاهِلِ: «التَّوحِيدُ فَهِمنَاهُ!!» أَنَّ هَذَا مِن أَكبَرِ الجَهلِ وَمَكَايِدِ الشَّيطَانِ.

وَتُفِيدُ أَيضًا: أَنَّ المُسلِمَ المُجتَهِدَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلَامِ كُفرٍ، وَهُوَ لَا يَدرِي فَنُبِّهَ عَلَىٰ ذَلِكَ فَتَابَ مِن سَاعَتِهِ، أَنَّهُ لَا يَكفُرُ كَمَا فَعَلَ بَنُو إِسرَائِيلَ، وَالَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ.

وَتُفِيدُ أَيضًا: أَنَّهُ لَو لَم يَكفُر فَإِنَّهُ يُغَلَّظُ عَلَيهِ الكَلَامُ تَغلِيظًا شَدِيدًا، كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وَلِلمُشرِكِينَ شُبهَةٌ أُخرَىٰ:

يَقُولُونَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَنكَرَ عَلَىٰ أُسَامَةَ قَتلَ مَن قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» وَقَالَ لَهُ: «أَقَتَلتَهُ بَعدَمَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟!» [البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦)].

وَكَذَلِكَ قَولُهُ: «أُمِرتُ أَن أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» [البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢)]. وَأَحَادِيثُ أُخرَىٰ فِي الكَفِّ عَمَّن قَالَهَا.

وَمرادُ هَؤُلَاءِ الجَهَلَةِ أَنَّ مَن قَالَهَا لَا يَكفُرُ، وَلَا يُقتَلُ وَلَو فَعَلَ مَا فَعَلَ.

فَيُقَالُ لِهَؤُلَاءِ المُشرِكِينَ الجُهَّالِ:

مَعلُومٌ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاتَلَ اليَهُودَ وَسَبَاهُم وَهُم يَقُولُونَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

وَأَنَّ أَصحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ وَهُم يَشهَدُونَ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُصَلُّونَ وَيَدَّعُونَ الإِسلَامَ.

وَكَذَلِكَ الَّذِينَ حَرَّقَهُم عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ بِالنَّارِ.

وَهَؤُلَاءِ الجَهَلَةُ مُقِرُّونَ أَنَّ مَن أَنكَرَ البَعثَ كُفِّرَ وَقُتِلَ وَلَو قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مَن جَحَدَ شَيئًا مِن أَركَانِ الإِسلَامِ كُفِّرَ وَقُتِلَ وَلَو قَالَهَا.

فَكَيفَ لَا تَنفَعُهُ إِذَا جَحَدَ فَرعًا مِنَ الفُرُوعِ، وَتَنفَعُهُ إِذَا جَحَدَ التَّوحِيدَ الَّذِي هُوَ أَسَاسُ

دِينِ الرُّسُلِ وَرَأْسُهُ؟!

وَلَكِنَّ أَعدَاءَ اللهِ مَا فَهِمُوا مَعنَىٰ الأَحَادِيثِ:

فَأَمَّا حَدِيثُ أُسَامَةَ، فَإِنَّهُ قَتَلَ رَجُلًا ادَّعَىٰ الإِسلَامَ بِسَبَبِ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ مَا ادَّعَىٰ الإِسلَامَ إِلَّا خَوفًا عَلَىٰ دَمِهِ وَمَالِهِ، وَالرَّجُلُ إِذَا أَظهَرَ الإِسلَامَ وَجَبَ الكَفُّ عَنهُ حَتَّىٰ يُتَبَيَّنَ مِنهُ مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ.

وَأَنزَلَ الله تَعَالَىٰ فِي ذَلِكَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء: ٩٤]؛ أَي: فَتَثَبَّتُوا.

فَالآيَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ يَجِبُ الكَفُّ عَنهُ وَالتَّثَبُّتُ، فَإِذَا تَبَيَّنَ مِنهُ بَعدَ ذَلِكَ مَا يُخَالِفُ الإِسلَامَ قُتِلَ؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾ وَلَو كَانَ لَا يُقتَلُ إِذَا قَالَهَا لَم يَكُن لِلتَّثَبُّتِ مَعنًىٰ.

وَكَذَلِكَ الحَدِيثُ الآخَرُ وَأَمثَالُهُ مَعنَاهُ مَا ذَكَرنَاهُ: أَنَّ مَن أَظهَرَ التَّوحِيدَ وَالإِسلَامَ وَجَبَ الكَفُّ عَنهُ إِلَىٰ أَن يَتَبَيَّنَ مِنهُ مَا يُنَاقِضُ ذَلِكَ.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ هَذَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَقَتَلتَهُ بَعدَمَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله؟!» [البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦)].

وَقَالَ: «أُمِرتُ أَن أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا الله» [البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢)].

هُوَ الَّذِي قَالَ فِي الخَوَارِجِ: «أَينَمَا لَقِيتُمُوهُم فَاقتُلُوهُم؛ لَئِن أَدرَكتُهُم لَأَقتُلَنَّهُم قَتلَ عَادٍ» [البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦)]. مَعَ كَونِهِم مِن أَكثَرِ النَّاسِ عِبَادَةً وَتَهلِيلًا وَتَسبِيحًا، حَتَّىٰ أَنَّ الصَّحَابَةَ يَحقِرُونَ صَلَاتَهُم عِندَهُم، وَهُم تَعَلَّمُوا العِلمَ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَلَم تَنفَعهُم لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَلَا كَثرَةُ العِبَادَةِ، وَلَا ادِّعَاءُ الإِسلَامِ لَمَّا ظَهَرَ مِنهُم مُخَالَفَةُ الشَّرِيعَةِ.

وَكَذَلِكَ مَا ذَكَرنَاهُ مِن قِتَالِ اليَهُودِ، وَقِتَالِ الصَّحَابَةِ بَنِي حَنِيفَةَ.

وَكَذَلِكَ أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَن يَغزُوَ بَنِي المُصطَلَقِ لَمَّا أَخبَرَهُ رَجُلٌ أَنَّهُم مَنَعُوا الزَّكَاةَ؛ حَتَّىٰ أَنزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات:٦]. وَكَانَ الرَّجُلُ كَاذِبًا عَلَيهِم.

وَكُلُّ هَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الأَحَادِيثِ الَّتِي احتَجُّوا بِهَا مَا ذَكَرنَاهُ.

وَلَهُم شُبهَةٌ أُخرَىٰ: وَهُو مَا ذَكَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ: أَنَّ النَّاسَ يَومَ القِيَامَةِ يَستَغِيثُونَ بِآدَمَ، ثُمَّ بِنُوحٍ، ثُمَّ بِإِبرَاهِيمَ، ثُمَّ بِمُوسَىٰ، ثُمَّ بِعِيسَىٰ، فَكُلُّهُم يَعتَذِرُونَ حَتَّىٰ يَنتَهُوا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قَالُوا: فَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الاستِغَاثَةَ بِغَيرِ اللهِ لَيسَت شِركًا.

وَالجَوَابُ: أَن نَقُولَ: سُبحَانَ مَن طَبَعَ عَلَىٰ قُلُوبِ أَعدَائِهِ! فَإِنَّ الاستِغَاثَةَ بِالمَخلُوقِ فِيمَا يَقدِرُ عَلَيهِ لَا نُنكِرُهَا، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي قِصَّةِ مُوسَىٰ: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥].

وَكَمَا يَستَغِيثُ الإِنسَانُ بِأَصحَابِهِ فِي الحَربِ أَو غَيرِهِ فِي أَشيَاءَ يَقدِرُ عَلَيهَا المَخلُوقُ.

وَنَحنُ أَنكَرنَا استِغَاثَةَ العِبَادَةِ الَّتِي يَفعَلُونَهَا عِندَ قُبُورِ الأَولِيَاءِ، أَو فِي غَيبَتِهِم فِي الأَشيَاءِ الَّتِي لَا يَقدِرُ عَلَيهَا إِلَّا اللهُ.

إِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ، فَاستِغَاثَتُهُم بِالأَنبِيَاءِ يَومَ القِيَامَةِ يُرِيدُونَ مِنهُم أَن يَدعُوا اللهَ أَن يُحَاسِبَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَستَرِيحَ أَهلُ الجَنَّةِ مِن كَربِ المَوقِفِ.

وَهَذَا جَائِزٌ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، وَذَلِكَ أَن تَأتِيَ عِندَ رَجُلٍ صَالِحٍ حَيٍّ يُجَالِسُكَ، وَيَسمَعُ كَلَامَكَ، فَتَقُولَ لَهُ: ادعُ اللهَ لِي. كَمَا كَانَ أَصحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَسأَلُونَهُ ذَلِكَ فِي حَيَاتِهِ.

وَأَمَّا بَعدَ مَوتِهِ فَحَاشَىٰ وَكَلَّا أَنَّهُم سَأَلُوهُ ذَلِكَ عِندَ قَبرِهِ؛ بَل أَنكَرَ السَّلَفُ الصَّالِحُ عَلَىٰ مَن قَصَدَ دُعَاءَ اللهِ عِندَ قَبرِهِ، فَكَيفَ بِدُعَائِهِ نَفسِهِ!!

وَلَهُم شُبهَةٌ أُخرَىٰ: وَهِيَ قِصَّةُ إِبرَاهِيمَ لَمَّا أُلقِيَ فِي النَّارِ اعتَرَضَ لَهُ جِبرِيلُ فِي الهَوَاءِ. فَقَالَ لَهُ: أَلَكَ حَاجَةٌ؟ فَقَالَ إِبرَاهِيمُ: أَمَّا إِلَيكَ فَلَا.

قَالُوا: فَلَو كَانَتِ الاستِغَاثَةُ بِجِبرِيلَ شِركًا لَم يَعرِضهَا عَلَىٰ إِبرَاهِيمَ!

فَالجَوَابُ: أَنَّ هَذَا مِن جِنسِ الشُّبهَةِ الأُولَىٰ؛ فَإِنَّ جِبرِيلَ عَرَضَ عَلَيهِ أَن يَنفَعَهُ بِأَمرٍ يَقدِرُ عَلَيهِ، فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥].

فَلَو أَذِنَ اللهُ لَهُ أَن يَأخُذَ نَارَ إِبرَاهِيمَ وَمَا حَولَهَا مِنَ الأَرضِ وَالجِبَالِ وَيُلقِيهَا فِي

ـمشرِقِ أَوِ المَغرِبِ لَفعَلَ، وَلَو أَمَرَهُ أَن يَضَعَ إِبرَاهِيمَ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ عَنهُم لَفَعَلَ، وَلَو أَمَرَهُ ـن يرفعَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ لفَعَلَ.

وَهَذَا كَرَجُلٍ غَنِيٍّ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ، يَرَىٰ رَجُلًا مُحتَاجًا فَيَعرِضُ عَلَيهِ أَن يُقرِضَهُ، أَو أَن يَهَبَهُ شَيئًا يَقضِي بِهِ حَاجَتَهُ، فَيَأبَىٰ ذَلِكَ الرَّجُلُ المُحتَاجُ أَن يَأخُذَ، وَيَصبِرُ إِلَىٰ أَن يَأتِيَهُ اللهُ بِرِزقٍ لا مِنَّةَ فِيهِ لأَحَدٍ، فَأَينَ هَذَا مِنَ استِغَاثَةِ العِبَادَةِ وَالشِّركِ لَو كَانُوا يَفقَهُونَ؟!

وَلنَختِمِ الكَلَامَ -إِن شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ- بِمَسأَلَةٍ عَظِيمَةٍ مُهِمَّةٍ جِدًّا تُفهَمُ مِمَّا تَقَدَّمَ، وَلَكِن نُفرِدُ لَهَا الكَلَامَ لِعِظَمِ شَأنِهَا، وَلِكَثرَةِ الغَلَطِ فِيهَا.

فَنَقُولُ: لَا خِلَافَ أَنَّ التَّوحِيدَ لَا بُدَّ أَن يَكُونَ بِالقَلبِ وَاللِّسَانِ وَالعَمَلِ، فَإِنِ اختَلَّ شَيءٌ مِن هَذَا لَم يَكُنِ الرَّجُلُ مُسلِمًا، فَإِن عَرَفَ التَّوحِيدَ وَلَم يَعمَل بِهِ فَهُوَ كَافِرٌ مُعَانِدٌ كَكُفرِ فِرعَونَ وَإِبلِيسَ وَأَمثَالِهِمَا.

وَهَذَا يَغلَطُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، يَقُولُونَ: هَذَا حَقٌّ، وَنَحنُ نَفهَمُ هَذَا، وَنَشهَدُ أَنَّهُ الحَقُّ، وَلَكِنَّا لَا نَقدِرُ أَن نَفعَلَهُ، وَلَا يَجُوزُ عِندَ أَهلِ بَلَدِنَا إِلَّا مَن وَافَقَهُم، وَغَيرُ ذَلِكَ مِنَ الأَعذَارِ.

وَلَم يَدرِ المِسكِينُ أَنَّ غَالِبَ أَئِمَّةِ الكُفرِ يَعرِفُونَ الحَقَّ، وَلَم يَترُكُوهُ إِلَّا لِشَيءٍ مِنَ الأَعذَارِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ [التوبة:٩]. وَغَيرُ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ، كَقَولِهِ: ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ﴾ [البقرة:١٤٦].

فَإِن عَمِلَ بِالتَّوحِيدِ عَمَلًا ظَاهِرًا وَهُوَ لَا يَفهَمُهُ، أَو لَا يَعتَقِدُهُ بِقَلبِهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَهُوَ شَرٌّ مِنَ الكَافِرِ الخَالِصِ؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥].

وَهَذِهِ المَسأَلَةُ كَبِيرَةٌ وَطَوِيلَةٌ تَتَبَيَّنُ لَكَ إِذَا تَأَمَّلتَهَا فِي أَلسِنَةِ النَّاسِ تَرَىٰ مَن يَعرِفُ الحَقَّ وَيَترُكُ العَمَلَ بِهِ لِخَوفِ نَقصِ دُنيَا، أَو جَاهٍ، أَو مُدَارَاةٍ لأَحَدٍ.

وَتَرَىٰ مَن يَعمَلُ بِهِ ظَاهِرًا لَا بَاطِنًا، فَإِذَا سَأَلتَهُ عَمَّا يَعتَقِدُهُ بِقَلبِهِ فَإِذَا هُوَ لَا يَعرِفُه، وَلَكِن عَلَيكَ بِفَهمِ آيَتَينِ مِن كِتَابِ اللهِ:

أُولَاهُمَا: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة:٦٦].

فَإِذَا تَحقَّقتَ أَنَّ بَعضَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ غَزَوا الرُّومَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَفَرُوا بِسَبَبِ كَلِمَةٍ قَالُوهَا عَلَىٰ وَجهِ المَزحِ وَاللَّعِبِ، تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِالكُفرِ، أَو يَعمَلُ بِهِ خَوفًا مِن نَقصِ مَالٍ، أَو جَاهٍ، أَو مُدَارَاةٍ لأَحَدٍ أَعظَمُ مِمَّن يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ يَمزَحُ بِهَا.

وَالآيَةُ الثَّانِيَةُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [النحل:١٠٦-١٠٧].

فَلَم يَعذُرِ اللهُ مِن هَؤُلَاءِ إِلَّا مَن أُكرِهَ مَعَ كَونِ قَلبِهِ مُطمَئِنًّا بِالإِيمَانِ.

وَأَمَّا غَيرُ هَذَا فَقَد كَفَرَ بَعدَ إِيمَانِهِ سَوَاءٌ فَعَلَهُ خَوفًا، أَو مُدَارَاةً، أَو مَشَحَّةً بِوَطَنِهِ أَو أَهلِهِ أَو عَشِيرَتِهِ أَو مَالِهِ، أَو فَعَلَهُ عَلَىٰ وَجهِ المَزحِ، أَو لِغَيرِ ذَلِكَ مِنَ الأَغرَاضِ إِلَّا المُكرَهَ.

فَالآيَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ هَذَا مِن جِهَتَينِ:

الأُولَىٰ: قَولُهُ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ فَلَم يَستَثنِ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَّا المُكرَهَ.

وَمَعلُومٌ: أَنَّ الإِنسَانَ لَا يُكرَهُ إِلَّا عَلَىٰ الكَلَامِ أَوِ الفِعلِ، وَأَمَّا عَقِيدَةُ القَلبِ فَلَا يُكرَهُ عَلَيهَا أَحَدٌ.

وَالثَّانِيَةُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النحل ١٠٧]، فَصَرَّحَ أَنَّ هَذَا الكُفرَ وَالعَذَابَ لَم يَكُن بِسَبَبِ الاعتِقَادِ، أَوِ الجَهلِ، أَوِ البُغضِ لِلدِّينِ، أَو مَحَبَّةِ الكُفرِ، وَإِنَّمَا سَبَبُهُ أَنَّ لَهُ فِي ذَلِكَ حَظًّا مِن حُظُوظِ الدُّنيَا فَآثَرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ.

وَاللهُ ﷻ أَعلَمُ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّمَ.

❊ ❊ ❊

(٢٨) مَا يَتَمَيَّزُ بِهِ الْمُسلِمُ عَنِ الْمُشرِكِ

الْمُقَدِّمَة

الحَمدُ للهِ الَّذِي يُستَدَلُّ عَلَىٰ وُجُودِهِ بِبَدَائِعِ مَا لَهُ مِنَ الأَفعَال، المُنَزَّهِ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ عَنِ النَّظَائِرِ وَالأَمثَال، أَنشَأَ المَوجُودَاتِ فَلَا يَعزُبُ عَن عِلمِهِ مِثقَال.

أَحمَدُهُ سُبحَانَهُ وَأَشكُرُهُ؛ إِذ هَدَانَا لِدِينِ الإِسلَام، وَأَزَاحَ عَنا شُبَهَ الزَّيغِ وَالضَّلَال، وَأَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةَ مُوَحِّدٍ لَهُ فِي الغُدُوِّ وَالآصَال، وَأَشهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ، نَبِيٌّ جَاءَنَا بِدِينٍ قَوِيمٍ فَارتَوينَا مِمَّا جَاءَنَا بِهِ مِن عَذبٍ زُلَال، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ وَأَصحَابِهِ الَّذِينَ هُم خَيرُ صَحبٍ وَآل، وَسَلِّم تَسلِيمًا.

أَمَّا بَعدُ:

فَقَد طَلَبَ مِنِّي بَعضُ الأَصدِقَاءِ الَّذِينَ لَا تَنبَغِي مُخَالَفَتُهُم أَن أَجمَعَ مُؤَلَّفًا يَشتَمِلُ عَلَىٰ مَسَائِلَ أَربَعٍ، وَقَوَاعِدَ أَربَعٍ، يَتَمَيَّزُ بِهِنَّ المُسلِمُ مِنَ المُشرِكِ.

الأُولَىٰ: أَنَّ الَّذِي خَلَقَنَا وَصَوَّرَنَا لَم يَترُكنَا هَمَلًا، بَل أَرسَلَ إِلَينَا رَسُولًا مَعَهُ كِتَابٌ مِن رَبِّنَا، فَمَن أَطَاعَ فَهُوَ فِي الجَنَّة، وَمَن عَصَىٰ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا﴾ [المزمل:١٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [النساء: ١٣-١٤].

الثَّانِيَةُ: أَنَّهُ سُبحَانَهُ مَا خَلَقَ الخَلقَ إِلَّا لِيَعبُدُوهُ وَحدَهُ مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ ذَلِكَ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

وَقَالَ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ

دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة:٥].

الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ الشِّركُ فِي عِبَادَتِكَ بَطَلَت وَلَم تُقبَل، وَأَنَّ كُلَّ ذَنبٍ يُرجَىٰ لَهُ العَفوُ إِلَّا الشِّركَ، وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥].

وَقَالَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة:٧٢].

وَمِن نَوعِ هَذَا الشِّركِ: أَن يَعتَقِدَ الإِنسَانُ فِي غَيرِ الله: مِن نَجمٍ، أَو إِنسَانٍ، أَو نَبِيٍّ، أَو صَالِحٍ، أَو كَاهِنٍ، أَو سَاحِرٍ، أَو نَبَاتٍ، أَو حَيَوَانٍ، أَو غَيرِ ذَلِكَ؛ أَنَّهُ يَقدِرُ بِذَاتِهِ عَلَىٰ جَلبِ مَنفَعَةٍ مَن دَعَاهُ أَوِ استَغَاثَ بِهِ، أَو دَفعِ ضُرِّهِ، فَقَد قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ﴾ [فاطر:٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ﴾ [يونس:١٠٧].

أَنَّهُ ﷻ بِهَذِهِ الصِّفَةِ وَجَبَ أَلَّا يُستَغَاثَ إِلَّا بِهِ، وَلَا يُستَعَانَ إِلَّا بِهِ، وَلَا يُدعَىٰ إِلَّا هُوَ. وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة:٥١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ مُوَبِّخًا لأَهلِ الكِتَابِ الَّذِينَ يَستَغِيثُونَ بِعِيسَىٰ وَعُزَيرٍ عليهما السلام لَمَّا أَنزَلَ الله عَلَيهِمُ القَحطَ وَالجُوعَ: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء:٥٦-٥٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ

فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨].

وَمِن نوعِ هَذَا الشِّركِ: التَّوَكُّلُ، وَالصَّلَاةُ، وَالنَّذرُ، وَالذَّبحُ لِغَيرِ الله، قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ﴾ [هود:١٢٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم:١٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ إِلَىٰ قَولِهِ: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة:٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر:٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢].

وَمِن نَوعِ هَذَا الشِّركِ: تَحليلُ مَا حَرَّمَ الله، وتَحرِيمُ مَا أَحَلَّ الله، وَاعتِقَادُ ذَلِكَ، فَقَد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١].

وَقَالَ عَدِيُّ بنُ حَاتِم: «يَا رَسُولَ الله، مَا عَبَدُوهُم. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: أَمَا أَحَلُّوا الحَرَامَ فَأَطَاعُوهُم، وَحَرَّمُوا الحَلَالَ فَأَطَاعُوهُم؟ قَالَ: بَلَىٰ. قَالَ: فَتِلكَ عِبَادَتُهُم». [صحيح الترمذي (٣٠٩٥)].

وَأَحبَارُهُم وَرُهبَانُهُم: عُلَمَاؤهُم وَعُبَّادُهُم، وَذَلِكَ أَنَّهُم اتَّخَذُوهُم أَربَابًا، وَهُم لَا يَعتَقِدُونَ رُبُوبِيَّتَهُم؛ بَل يَقُولُونَ: رَبُّنَا وَرَبُّهُمُ الله؛ وَلَكنَّهُم أَطَاعُوهُم فِي تَحلِيلِ مَا حَرَّمَ الله وتَحرِيمِ مَا أَحَلَّ الله، وَجَعَلَ الله ذَلِكَ عِبَادَةً، فَمَن أَطَاعَ إِنسَانًا عَالِمًا، أَو عَابِدًا، أَو غَيرَهُ فِي تَحرِيمِ مَا أَحَلَّ الله، أَو تَحلِيلِ مَا حَرَّمَ الله، وَاعتَقَدَ ذَلِكَ بِقَلبِهِ فَقَدِ اتَّخَذَهُ رَبًّا كَالَّذِين اتَّخَذُوا

أَحبَارَهُم وَرُهبَانَهُم أَربَابًا مِن دُونِ اللهِ.

وَمِن ذَلِكَ: أَنَّ أُنَاسًا مِنَ المُشرِكِينَ قَالُوا: «يَا مُحَمَّدُ، المَيتَةُ مَن قَتَلَهَا؟ قَالَ: الله. قَالُوا: كَيفَ تَجعَلُ قَتلَكَ أَنتَ وَأَصحَابَكَ حَلالًا وَقَتلَ الله حَرَامًا؟ فَنَزَلَ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]». [صحيح أبي داود (٢٨١٩)].

وَمِن نَوعِ هَذَا الشِّركِ: الاعتِكَافُ عَلَىٰ قُبُورِ المَشهُورِينَ بِالنُّبُوَّةِ، أَوِ الصُّحبَةِ، أَوِ الوِلَايَةِ، وَشَدُّ الرِّحَالِ إِلَىٰ زِيَارَتِهَا؛ لأَنَّ النَّاس يَعرِفُونَ الرَّجُلَ الصَّالِحَ وَبَرَكَتَهُ وَدُعَاءَهُ فَيَعكُفُونَ عَلَىٰ قَبرِهِ وَيَقصِدُونَ ذَلِكَ، فَتَارَةً يَسأَلُونَهُ، وَتَارَةً يَسأَلُونَ الله عِندَهُ، وَتَارَةً يُصَلُّونَ وَيَدعُونَ الله عِندَ قَبرِهِ.

وَلَمَّا كَانَ هَذَا بَدءَ الشِّركِ؛ سَدَّ النَّبِيُّ ﷺ هَذَا البَابَ، فَفِي الصَّحِيحَينِ أَنَّهُ قَالَ فِي مَرَضِ مَوتِهِ: «لَعَنَ الله اليَهُودَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَولِيَائِهِم مَسَاجِدَ» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا، قَالَت عَائِشَةُ: «وَلَولَا ذَلِكَ لأُبرِزَ قَبرُهُ؛ وَلَكِن كَرِهَ أَن يُتَّخَذَ مَسجِدًا». [البخاري (١٣٣٠)، ومسلم (٥٣١)].

وَقَالَ ﷺ: «لَا تَتَّخِذُوا قَبرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ حَيثُ كُنتُم، فَإِنَّ صَلَاتَكُم تَبلُغُنِي». [صحيح الجامع (٧٢٢٦)].

وَقَالَ ﷺ: «لَعَنَ الله زَائِرَاتِ القُبُورِ وَالمُتَّخِذِينَ عَلَيهَا المَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ». [ضعيف الجامع (٤٦٩١)].

وَفِي المُوَطَّإِ عَنهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تَجعَل قَبرِي وَثَنًا يُعبَدُ». [صحيح، المشكاة (٧٥٠)].

وَفِي صَحِيحِ مُسلِمٍ عَن عَلِيٍّ قَالَ: «بَعَثَنِي رَسُولُ الله أَلَّا أَدَعَ قَبرًا مُشرِفًا إِلَا سَوَّيتُهُ، وَلَا أَدَعَ تِمثَالًا إِلَا طَمَستُهُ». [مسلم (٩٦٩)].

فَأَمَرَ بِمَسحِ التَّمَاثِيلِ مِنَ الصُّوَرِ المُمَثَّلَةِ عَلَىٰ صُوَرِ المَيِّتِ وَالتِّمثَالِ الشَّاخِصِ المُشرِفِ فَوقَ قَبرِهِ، فَإِنَّ الشِّركَ يَحصُلُ بِهَذَا أَو بِهَذَا.

وَبَلَغَ عُمَرَ ﷺ أَنَّ قَومًا يَذهَبُونَ إِلَىٰ الشَّجَرَةِ الَّتِي بَايَعَ النَّبِيُّ ﷺ أَصحَابَهُ تَحتَهَا فَأَمَرَ

قطعها.

وأرسل إليه أبو موسى أنه ظهر بتستر قبر دانيال، وعنده مصحف فيه أخبار ما سيكون، وفيه أخبار المسلمين، وأنهم إذا جدبوا كشفوا عن القبر فمطروا، فأرسل إليه عمر يأمره أن يحفر في النهار ثلاثة عشر قبرا، ويدفنه بالليل بواحد منها لئلا يعرفه الناس فيفتنون به.

واتخاذ القبور مساجد مما حرم الله ورسوله، وإن لم يبن عليها مسجد؛ ولما كان اتخاذ القبور مساجد، وبناء المساجد عليها محرمًا؛ لم يكن من ذلك شيء على عهد الصحابة والتابعين، وكان الخليل ﷺ في المغارة التي دفن فيها، وهي مسدودة لا أحد يدخلها، ولا شد الصحابة الرحال إليه، ولا إلى غيره من المقابر.

ففي الصحيحين عنه ﷺ قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا». [البخاري (١١٩٧)، ومسلم (٨٢٧)].

فكان من يأتي منهم إلى المسجد الأقصى يصلون فيه، ثم يرجعون لا يأتون مغارة الخليل ﷺ ولا غيرها، وكانت مسدودة حتى استولى النصارى على الشام في أواخر المائة الرابعة، وجعلوا ذلك مكان كنيسة.

ولما فتح المسلمون البلاد اتخذه بعض الناس مسجدا، وأهل العلم ينكرون ذلك، وهذه البقاع وأمثالها لم يكن السابقون الأولون يقصدونها؛ فإنها محل الشرك، ولهذا توجد فيها الشياطين كثيرا، وقد رآهم غير واحد على صورة الإنسان يتلون لهم الغيب، فيظنون أنهم رجال من الإنس غائبون عن الأبصار، وإنما هم جن، والجن يسمون رجالا، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦].

وما حدث في الإسلام من هذه الخرافات وأمثاله ينافي ما بعث الله به محمدا ﷺ من كمال التوحيد وإحياء الدين، وسد أبواب الشرك التي يفتحها الشيطان.

ولهذا يوجد من كان أبعد عن التوحيد والإخلاص، ومعرفة الإسلام أكثر تعظيما

لِمَوَاضِعِ الشِّركِ، فَالعَارِفُونَ لِسُنَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ أولَىٰ بِالتَّوحِيدِ وَالإِخلَاصِ، وَأَهلُ الجَهلِ بِذَلِكَ أَقرَبُ إِلَىٰ الشِّركِ وَالبِدَعِ، وَلِهَذَا يُوجَدُ فِي الرَّافِضَةِ أَكثَرَ مِمَّا يُوجَدُ فِي غَيرِهِم؛ لأَنَّهُم أَجهَلُ مِن غَيرِهِم، وَأَكثَرُ شِركًا وبِدَعًا، وَلِهَذَا يُعَظِّمُونَ المَشَاهِدَ، وَيُخرِبُونَ المَسَاجِدَ، فَالمَسَاجِدُ لَا يُصَلُّونَ فِيهَا جُمُعَةً وَلَا جَمَاعَةً، وَأَمَّا المَشَاهِدُ فَيُعَظِّمُونَهَا حَتَّىٰ يَرَوا زِيَارَتَهَا أَولَىٰ مِن الحَجِّ!!

وَكُلَّمَا كَانَ الرَّجُلُ أَتبَعَ لِدِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ كَانَ أَكمَلَ تَوحِيدًا لله وَإِخلَاصًا لِدِينِهِ، وَإِذَا أَبعَدَ عَن مُتَابَعَتِهِ؛ نَقُصَ مِن دِينِهِ بِحَسَبِ ذَلِكَ، فَإِذَا أَكثَرَ بُعدَهُ عَنهُ ظَهَرَ فِيهِ الشِّركُ وَالبِدَعُ مَا لَا يَظهَرُ فِيمَن هُوَ أَقرَبُ مِنهُ لاتِّبَاعِ الرَّسُولِ ﷺ، وَاللهُ إِنَّمَا أَمَرَ بِالعِبَادَةِ فِي المَسَاجِدِ وَذَلِكَ عِمَارَتُهَا.

فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:١٨]. وَلَم يَقُل: مَشَاهِدَ الله، وَأَمَا نَفسُ بِنَاءِ المَسَاجِدِ فَيَجُوزُ أَن يَبنِيَهُ البَرُّ وَالفَاجِرُ، وَذَلِكَ كَمَا قَالَ ﷺ: «مَن بَنَىٰ مَسجِدًا، بَنَىٰ الله لَهُ بَيتًا فِي الجَنَّةِ». [البخاري (٤٥٠)، ومسلم (٥٣٣)].

ثُمَّ كَثِيرٌ مِنَ المَشَاهِدِ أَو أَكثَرُهَا كَذِبٌ، كَالَّذِي بِالقَاهِرَةِ عَلَىٰ رَأسِ الحُسَينِ ﷺ، فَإِنَّ الرَّأسَ لَم يُحمَل إِلَىٰ هُنَاكَ، وَكَذَلِكَ مَشهَدُ عَلِيٍّ إِنَّمَا حَدَثَ فِي دَولَةِ بَنِي بُوَيهِ.

قَالَ الحَافِظُ وَغَيرُهُ: هُوَ قَبرُ المُغِيرَةِ بنِ شُعبَةَ، وَعَلِيٌّ إِنَّمَا دُفِنَ بِقَصرِ الإِمَارَةِ بِالكُوفَةِ، وَدُفِنَ مُعَاوِيَةُ بِقَصرِ الإِمَارَةِ بِدِمَشقَ، وَدُفِنَ عَمرُو بنُ العَاصِ بِقَصرِ الإِمَارَةِ بِمِصرَ خَوفًا عَلَيهِم إِذَا دُفِنُوا فِي المَقَابِرِ أَن تَنبِشَهُمُ الخَوَارِجُ.

المَسأَلَة الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ إِذَا كَانَ عَمَلُكَ صَوَابًا وَلَم يَكُن خَالِصًا لَم يُقبَل، وَإِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَم يَكُن صَوَابًا لَم يُقبَل، فَلَابُدَّ أَن يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا عَلَىٰ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلِذَلِكَ قَالَ سُبحَانَهُ فِي عُلَمَاءِ أَهلِ الكِتَابِ وَعُبَّادِهِم وقُرَّائِهِم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية:٢-٤].

وَهَذِهِ الآيَاتُ لَيسَت فِي أَهلِ الكِتَابِ خَاصَّةً؛ بَل كُلُّ مَنِ اجتَهَدَ فِي عِلمٍ أو عَمَلٍ أو قِرَاءَةٍ وَلَيسَ مُوَافِقًا لِشَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَهُوَ مِنَ الأَخسَرِينَ أَعمَالًا الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي مُحكَمِ كِتَابِهِ العَزِيزِ وَإِن كَانَ لَهُ ذَكَاءٌ وَفِطنَةٌ، وَفِيهِ زُهدٌ وَأَخلَاقٌ، فَهَذَا العُذرُ لَا يُوجِبُ السَّعَادَةَ وَالنَّجَاةَ مِنَ العَذَابِ إِلَّا بِاتِّبَاعِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَإِنَّمَا قُوَّةُ الذَّكَاءِ بِمَنزِلَةِ قُوَّةِ البَدَنِ وَقُوَّةِ الإِرَادَةِ، فَالَّذِي يُؤتَىٰ فَضَائِلَ عِلمِيَّةً وَإِرَادَةً قَوِيَّةً، وَلَيسَ مُوَافِقًا لِلشَّرِيعَةِ بِمَنزِلَةِ مَن يُؤتَىٰ قُوَّةً فِي جِسمِهِ وَبَدَنِهِ.

وَرُوِيَ فِي صَحِيحِ البُخَارِيِّ عَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَخرُجُ فِيكُم قَومٌ تَحقِرُونَ صَلَاتَكُم مَعَ صَلَاتِهِم، وَصِيَامَكُم مَعَ صِيَامِهِم، وَعَمَلَكُم مَعَ عَمَلِهِم، يَقرَءُونَ القُرآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُم، يَمرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمرُقُ السَّهمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَنظُرُ فِي النَّصلِ فَلَا يَرَىٰ شَيئًا، وَيَنظُرُ فِي القِدحِ فَلَا يَرَىٰ شَيئًا، وَيَنظُرُ فِي الرِّيشِ فَلَا يَرَىٰ شَيئًا، وَيَتَمَارَىٰ فِي الفُوقِ». [البخاري (٥٠٥٨)، ومسلم (١٠٦٤)].

وَرَوَىٰ فِي صَحِيحِ البُخَارِيِّ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ نَاسٌ حُدَثَاءُ الأَسنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحلَامِ، يَقُولُونَ مِن قَولِ خَيرِ البَرِيَّةِ، يَمرُقُونَ مِنَ الإِسلَامِ كَمَا يَمرُقُ السَّهمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُم حَنَاجِرَهُم، فَأَينَمَا لَقِيتُمُوهُم فَاقتُلُوهُم، فَإِنَّ فِي قَتلِهِم أَجرًا لِمَن قَتَلَهُم يَومَ القِيَامَةِ». [البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦)].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ رِجَالٌ كَذَّابُونَ، يَأتُونَ مِنَ الأَحَادِيثِ بِمَا لَم تَسمَعُوا وَلَا آبَاؤُكُم، فَإِيَّاكُم وَإِيَّاهُم، لَا يُضِلُّونَكُم وَلَا يَفتِنُونَكُم». رَوَاهُ أَبُو هُرَيرَةَ. [مسلم (٧)].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِن نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِن أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصحَابٌ يَأخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقتَدُونَ بِأَمرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخلُفُ مِن بَعدِهِم خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفعَلُونَ، وَيَفعَلُونَ مَا لَا يُؤمَرُونَ، فَمَن جَاهَدَهُم بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤمِنٌ، وَمَن جَاهَدَهُم بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤمِنٌ، وَمَن جَاهَدَهُم بِقَلبِهِ فَهُوَ مُؤمِنٌ، وَلَيسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَردَلٍ». رَوَاهُ

ابنُ مَسعُودٍ ﷺ. [مسلم (٥٠)].

وَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّتِي عَلَىٰ الحَقِّ لَا يَضُرُّهُم مَن خَذَلَهُم وَلَا مَن خَالَفَهُم حَتَّىٰ يَأتِيَ الله بِأَمرِهِ وَهُم عَلَىٰ ذَلِكَ». رَوَاهُ مُعَاوِيَةُ ﷺ. [البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٠٣٧)].

قَالَ ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَن أَبَىٰ. قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَمَن يَأبَىٰ؟ قَالَ: مَن أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن عَصَانِي فَقَد أَبَىٰ». رَوَاهُ أَبُو هُرَيرَةَ ﷺ. [البخاري (٧٢٨٠)].

وَعَنِ ابنِ عَمرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يُؤمِنُ أَحَدُكُم حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئتُ بِهِ». [ضعيف، ظلال الجنة (١٥)].

وَقَد تَبَيَّنَ أَنَّ الوَاجِبَ: طَلَبُ عِلمِ مَا أَنزَلَ الله عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ مِنَ الكِتَابِ وَالحِكمَةِ. وَمَعرِفَةِ مَا أَرَادَ بِذَلِكَ كَمَا كَانَ عَلَيهِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ، وَمَن سَلَكَ سَبِيلَهُم، فَكُلُّ مَا يَحتَاجُ إِلَيهِ النَّاسُ فَقَد بَيَّنَهُ الله وَرَسُولُهُ ﷺ بَيَانًا شَافِيًا كَافِيًا، فَكَيفَ أُصُولُ التَوحِيدِ وَالإِيمَانِ؟!

ثُمَّ إِذَا عَرَفَ مَا بَيَّنَهُ الرَّسُولُ ﷺ نَظَرَ فِي أَقوَالِ النَّاسِ وَمَا أَرَادُوا بِهَا، فَعُرِضَت عَلَى الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالعَقلِ الصَّرِيحِ الَّذِي هُوَ مُوَافِقٌ لِلرَّسُولِ، فَإِنَّهُ المِيزَانُ مَعَ الكِتَابِ فَهَذَا سَبِيلُ الهُدَىٰ.

وَأَمَّا سَبِيلُ الضَّلَالِ وَالبِدَعِ وَالجَهلِ فَعَكسُهُ أَن تُبدِعَ بِدعَةً بِآرَاءِ رِجَالٍ وَتَأوِيلَاتِهِم، ثُمَّ تَجعَلُ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ تَبَعًا لَهَا، وَتَحرِيفُ أَلفَاظِهِ وَتَأوِيلُهُ عَلَىٰ وَفقِ مَا أَصَّلُوهُ، وَهَؤلَاءِ تَجِدُهُم فِي نَفسِ الأَمرِ يَعتَمِدُونَ عَلَىٰ مَا جَاء بِهِ الرَّسُولُ، وَلَا يَتَلَقَّونَ مِنهُ الهُدَىٰ، وَلَكِن مَا وَافَقَهُم مِنهُ، وَجَعَلُوهُ حُجَّةً لَا عُمدَةً، وَمَا خَالَفَهُم مِنهُ تَأَوَّلُوهُ كَالَّذِين يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ، أَو فَوَّضُوهُ كَالَّذِينَ لَا يَعلَمُونَ الكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ، وَكَثِيرٌ مِنهُم إِنَّمَا يَنظُرُ فِي تَفسِيرِ القُرآنِ وَالحَدِيثِ وَفِيمَا يَقُولُهُ مُوَافَقَةً عَلَىٰ المَذهَبِ.

وَكَثِيرٌ مِنهُم لَم يَكُن عُمدَتُهُم فِي نَفسِ الأَمرِ اتِّبَاعَ نَصٍّ أَصلًا؛ كَالَّذِينَ ذَكَرَهُمُ الله مِن

ليهود: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

ثُمَّ جاءَ مِن بَعدِهِم مَن ظَنَّ صِدقَ مَا افتَرَىٰ أُولَئِكَ وَهُم فِي شَكٍّ مِنهُم، كَمَا قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [الشورىٰ: ١٤].

فَفِي الصَّحِيحَينِ عَنهُ ﷺ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كَانَ قَبلَكُم حَذوَ القُذَّةِ بِالقُذَّةِ، حَتَّىٰ لَو دَخلُوا جُحرَ ضَبٍّ لَدَخلتُمُوهُ.

قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، اليَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: فَمَن؟». [البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩)].

فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ مَا ذَمَّ الله بِهِ أَهلَ الكِتَابِ يَكُونُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ مَن يُشبِهُهُم فِيهِ، هَذَا حَقٌّ قَد شُوهِدَ.

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

فَمَن تَدَبَّرَ مَا أَخبَرَ الله بِهِ رَسُولَهُ ﷺ، رَأَىٰ أَنَّه قَد وَقَعَ مِن ذَلِكَ أُمُورٌ كَثِيرَةٌ، وَمَن زَادَ فِي الدِّينِ بِشَيءٍ مَا فَعَلَهُ الرَّسُولُ ﷺ وَلَيسَ عَلَيهِ الصَّحَابَةُ وَالتَابِعُونَ فَكَأَنَّمَا نَقَصَ.

عَن أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا تُشَدِّدُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُم، فَيُشَدِّدَ الله عَلَيكُم، فَإِنَّ قَومًا شَدَّدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِم، فَشَدَّدَ الله عَلَيهِم، فَتِلكَ بَقَايَاهُم فِي الصَّوَامِعِ وَالدِّيَارِ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧]». [الصحيحة (٣١٢٤)].

وَعَن عَائِشَةَ رضي الله عنها عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا بَالُ قَومٍ يَتَنَزَّهُونَ عَن شَيءٍ أَصنَعُهُ؟ فَوَالله إِنِّي لَأَعلَمُهُم وَأَشَدُّهُم لله خَشيَةً». [البخاري (٦١٠١)، ومسلم (٢٣٥٦)].

وَعَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ قَالَ: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهطٍ إِلَىٰ بُيُوتِ أَزوَاجِ رَسُولِ الله ﷺ يَسأَلُونَ عَن عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخبِرُوا كَأَنَّهُم تَقَالُّوهَا، قَالُوا: وَأَينَ نَحنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَد غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ أَحَدُهُم: أَمَّا أَنَا فَأُصَلِّي اللَّيلَ وَلَا أَرقُدُ. وَقَالَ أَحَدُهُم: أَنَا أَصُومُ الدَّهرَ وَلَا أُفطِرُ. وَقَالَ الآخَرُ: أَنَا أَعتَزِلُ النِّسَاءَ وَلَا أَتَزَوَّجُ. فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «أَنتُم الَّذِينَ قُلتُم كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَالله إِنِّي لَأَخشَاكُم لله وَأَتقَاكُم لَهُ؛ وَلَكِنِّي أَصُومُ وَأُفطِرُ،

وَأُصَلِّي وَأَرقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَن رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيسَ مِنِّي». رَوَاهُ البُخَارِيُّ. [البخاري (٥٠٦٣)].

وَقَالَ ﷺ: «أَنتُم أَعلَمُ بِأَمرِ دُنيَاكُم فَخُذُوا بِهِ». [مسلم (٢٣٦٣)].

وَعَن عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ﴾ [آل عمران:٧].

قَالَ ﷺ: «إِذَا رَأَيتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ المُتَشَابِهَ وَيَترُكُونَ المُحكَمَ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّىٰ الله أَهلَ الزَّيغِ فَاحذَرُوهُم». [البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥)].

وَعَنِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: هَاجَرتُ إِلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ فَسَمِعَ صَوتَ رَجُلَينِ اختَلَفَا فِي آيَةٍ فَخَرَجَ فِي وَجهِهِ الغَضَبُ فَقَالَ: «إِنَّمَا هَلَكَ مَن كَانَ قَبلَكُم بِكَثرَةِ سُؤَالِهِم وَاختِلَافِهِم عَلَىٰ أَنبِيَائِهِم، فَإِذَا أَمَرتُكُم بِشَيءٍ فَأتُوا مِنهُ مَا استَطَعتُم، وَإِذَا نَهَيتُكُم عَن شَيءٍ فَاجتَنِبُوهُ».
[البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه].

وَقَالَ ﷺ: «مَن أَحيَا سُنَّةً مِن سُنَّتِي قَد أُمِيتَت بَعدِي؛ فَإِنَّ لَهُ مِنَ الأَجرِ مِثلَ أُجُورِ مَن عَمِلَ بِهَا مِن غَيرِ أَن يَنقُصَ مِن أُجُورِهِم شَيئًا، وَمَنِ ابتَدَعَ بِدعَةً ضَلَالَةً لَا يَرضَاهَا الله وَرَسُولُهُ؛ كَانَ عَلَيهِ مِنَ الإِثمِ مِثلُ آثَامِ مَن عَمِلَ بِهَا لَا يَنقُصُ ذَلِكَ مِن أَوزَارِهِم شَيئًا». رَوَاهُ بِلَالُ بنُ الحَارِثِ المَازِنِيُّ رضي الله عنه. [ضعيف الجامع (٩٦٥)].

وَرُوِيَ فِي صَحِيحِ البُخَارِيِّ وَمُسلِمٍ عَن عَائِشَةَ قَالَت: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَن أَحدَثَ فِي أَمرِنَا هَذَا مَا لَيسَ مِنهُ فَهُوَ رَدٌّ». [البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)].

وَرُوِيَ عَن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ لِعَائِشَةَ: «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾ [الأنعام: ١٥٩]: أَصحَابُ البِدَعِ وَالأَهوَاءِ مِن هَذِهِ الأُمَّةِ». [ضعيف، ظلال الجنة (٤)].

وَعَنِ العِربَاضِ بنِ سَارِيَةَ قَالَ: صَلَّىٰ بِنَا رَسُولُ الله ﷺ الصُّبحَ فَوَعَظَنَا مَوعِظَةً وَجِلَت مِنهَا القُلُوبُ، وَذَرَفَت مِنهَا العُيُونُ. وَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ الله، كَأَنَّهَا مَوعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَأَوصِنَا.

قَالَ: «أَوصِيكُم بِتَقوَىٰ الله، وَالسَّمعِ وَالطَّاعَةِ لأَمِيرِكُم وَإِن كَانَ عَبدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَن يَعِش مِنكُم فَسَيَرَىٰ اختِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهدِيِّينَ مِن بَعدِي، عَضُّوا عَلَيهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُم وَمُحدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ». [صحيح الترغيب (٣٧)].

رُوِيَ فِي سُنَنِ أَبِي دَاود، وَالتِّرمِذِيِّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

وَرُوِيَ عَن عَبدِ الله بنِ عُمَرَ ﭬ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «تَفَرَّقَت بَنُو إِسرَائِيلَ عَلَىٰ ثِنتَينِ وَسَبعِينَ مِلَّةً، وَسَتَتَفَرَّقُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُم فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً».

قَالُوا: مَن هُم يَا رَسُولَ الله؟

قَالَ: مَن عَمِلَ بِمَا أَنَا عَلَيهِ وَأَصحَابِي». [صحيح الجامع (٥٣٤٣)].

قَالَ عَبدُ الله بنُ مَسعُودٍ ﭬ: «إِنَّ أَحسَنَ الحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَأَحسَنَ الهَدي، هَديُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا». [البخاري (٦٠٩٨)].

رَوَاهُ جَابِرٌ مَرفُوعًا إِلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ. [مسلم (٨٦٧)].

وَعَن أَبِي المُختَارِ الطَّائِيِّ عَن ابنِ أَخِي الحَارِثِ الأَعوَرِ قَالَ: «مَرَرتُ بِالمَسجِدِ، فَإِذَا النَّاسُ يَخُوضُونَ فِي الأَحَادِيثِ، فَدَخَلتُ عَلَىٰ عَلِيٍّ ﭬ، فَقُلتُ: يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ، أَلَا تَرَىٰ أَنَّ النَّاسَ قَد خَاضُوا فِي الأَحَادِيثِ. قَالَ: أَوَقَد فَعَلُوهَا؟ قُلتُ: نَعَم.

قَالَ: فَإِنِّي سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: أَلَا إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتنَةٌ. قُلتُ: فَمَا المَخرَجُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: كِتَابُ الله؛ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبلَكُم، وَخَبَرُ مَا بَعدَكُم، وَحُكمُ مَا بَينَكُم، وَهُو الفَصلُ لَيسَ بِالهَزلِ، مَن تَرَكَهُ مِن جَبَّارٍ قَصَمَهُ الله، وَمَنِ ابتَغَىٰ الهُدَىٰ مِن غَيرِهِ أَضَلَّهُ الله، وَهُوَ حَبلُ الله المَتِينُ، وَهُوَ الذِّكرُ الحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ المُستَقِيمُ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الأَهوَاءُ، وَلَا تَلتَبِسُ بِهِ الأَلسُنُ، وَلَا يَشبَعُ مِنهُ العُلَمَاءُ، وَلَا يَخلَقُ عَلَىٰ كَثرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنقَضِي عَجَائِبُهُ، وَهُوَ الَّذِي لَم تَنتَهِ الجِنُّ إِذ سَمِعَتهُ حَتَّىٰ قَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا

﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ [الجن:١-٢].

مَن قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَن عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَن دَعَا إِلَيهِ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُستَقِيمٍ». [ضعيف الجامع (٢٠٨١)].

قَولُهُ: «لَا تَزِيغُ بِهِ الأَهوَاءُ». يَعنِي: لَا يَصِيرُ بِسَبَبِهِ مُبتَدِعًا ضَالًّا.

وَقَولُهُ: «لَا تَلتَبِسُ بِهِ الأَلسُنُ». أَي: لَا يَختَلِطُ بِهِ غَيرُهُ بِحَيثُ يُشبِهُهُ، وَيَلتَبِسُ الحَقُّ بِالبَاطِلِ، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَىٰ لِلغُرَبَاءِ؛ الَّذِينَ يُصلِحُونَ مَا أَفسَدَ النَّاسُ مِن بَعدِي مِن سُنَّتِي». رَوَاهُ طَلحَةُ عَن أَبِيهِ عَن جَدِّهِ. [ضعيف الجامع (١٤٤١)].

قَالَ ﷺ: «مَن تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي عِندَ فَسَادِ أُمَّتِي فَلَهُ أَجرُ مِائَةِ شَهِيدٍ». رَوَاهُ أَبُو هُرَيرَةَ. [ضعيف، المشكاة (١٧٦)].

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّكُم فِي زَمَنٍ مَن تَرَكَ مِنكُم عُشرَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ هَلَكَ، ثُمَّ يَأتِي زَمَانٌ مَن عَمِلَ بِعُشرِ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ نَجَا». حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ضعيف الجامع (٢٠٣٨)].

وَعَن عَبدِ اللهِ بنِ مَسعُودٍ ﷺ قَالَ: «خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: هَٰذِهِ سَبِيلُ اللهِ. ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَن يَمِينِهِ وَعَن شِمَالِهِ، وَقَالَ: هَٰذِهِ سُبُلٌ عَلَىٰ كُلِّ سَبِيلٍ مِنهَا شَيطَانٌ يَدعُو إِلَيهِ، وَقَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. [حسن، المشكاة (١٦٦)].

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَزَلَ القُرآنُ عَلَىٰ خَمسَةِ وُجُوهٍ: حَلَالٍ، وَحَرَامٍ، وَمُحكَمٍ، وَمُتَشَابِهٍ، وَأَمثَالٍ؛ فَأَحِلُّوا الحَلَالَ، وَحَرِّمُوا الحَرَامَ، وَاعمَلُوا بِالمُحكَمِ، وَآمِنُوا بِالمُتَشَابِهِ، وَاعتَبِرُوا بِالأَمثَالِ». [ضعيف الجامع (٩٣٥)].

وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الأَمرُ ثَلَاثَةٌ: أَمرٌ بَيِّنٌ غَيُّهُ فَاجتَنِبهُ، وَأَمرٌ بَيِّنٌ رُشدُهُ فَاتَّبِعهُ، وَأَمرٌ اختُلِفَ فِيهِ؛ فَكِلهُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ». [ضعيف، المشكاة (١٨٣)].

وَفِي الصَّحِيحَينِ عَن أَبِي مُوسَىٰ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَثَلُ المُؤمِنِ الَّذِي يَقرَأُ القُرآنَ مَثَلُ الأُترُجَّةِ طَعمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ المُؤمِنِ الَّذِي لَا يَقرَأُ القُرآنَ مَثَلُ التَّمرَةِ طَعمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي يَقرَأُ القُرآنَ مَثَلُ الرَّيحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقرَأُ القُرآنَ مَثَلُ الحَنظَلَةِ طَعمُهَا مُرٌّ وَلَا رِيحَ لَهَا». [البخاري (٥٤٢٧)، ومسلم (٧٩٧)].

فَبَيَّنَ أَنَّ فِي الَّذِينَ يَقرَءونَ القُرآنَ مُؤمِنِينَ وَمُنَافِقِينَ، وَإِذَا كَانَت سَعَادَةُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ هِيَ بِاتِّبَاعِ المُرسَلِينَ، فَمِنَ المَعلُومِ أَنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِذَلِكَ أَعلَمُهُم بِآثَارِ المُرسَلِينَ وَأَتبَعُهُم لِذَلِكَ، فَالعَالِمُونَ بِأَقوَالِهِم وَأَفعَالِهِم المُتَّبِعُونَ لَهَا هُم أَهلُ السَّعَادَةِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَهُمُ الطَّائِفَةُ النَّاجِيَةُ مِن أَهلِ كُلِّ مِلَّةٍ، وَهُم مِن أَهلِ السُّنَّةِ وَالحَدِيثِ مِن هَذِهِ الأُمَّةِ، وَالرُّسُلُ عَلَيهِمُ البَلَاغُ المُبِينُ، وَقَد بَلَّغُوا البَلَاغَ المُبِينَ.

وَخَاتَمُ الرُّسُلِ مُحَمَّدٌ ﷺ أَنزَلَ اللهُ عَلَيهِ كِتَابَهُ مُصَدِّقًا لِمَا بَينَ يَدَيهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيمِنًا عَلَيهِ، فَهُوَ المُهَيمِنُ عَلَىٰ جَمِيعِ الكُتُبِ.

وَقَد بَيَّنَ أَبيَنَ بَلَاغٍ وَأَتَمَّهُ وَأَكمَلَهُ، وَكَانَ أَنصَحَ الخَلقِ لِعِبَادِ اللهِ، وَكَانَ بِالمُؤمِنِينَ رَءُوفًا رَحِيمًا، بَلَّغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّىٰ الأَمَانَةَ، وَجَاهَدَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَعَبَدَ اللهَ حَتَّىٰ أَتَاهُ اليَقِينُ.

فَأَسعَدُ الخَلقِ وَأَعظَمُهُم نَعِيمًا وَأَعلَاهُم دَرَجَةً؛ أَعظَمُهُم اتِّبَاعًا لَهُ، وَمُوَافَقَةً عِلمًا وَعَمَلًا.

وَاللهُ ﷻ أَعلَمُ.

❊ ❊ ❊

(٢٩) الجَوهَرَةُ الفَرِيدَةُ

خُطبَةُ العَقِيدَةِ

الحَمـدُ للهِ لا يُحصَىٰ لَـهُ عَـدَدُ ... ولا يُحِـيطُ بِـهِ الأَقـلامُ والمُـدَدُ

حَمـدًا لِرَبِّـي كَثيـرًا دائمًـا أبـدًا ... فـي السِّرِّ والجَهرِ فـي الدَّارَينِ مُـستَرَدُ

مِـلءَ الـسَّمواتِ وَالأَرضِـينَ أَجمَعِهَـا ... وَمِـلءَ مَـا شَـاءَ بَعـدُ الـوَاحِدُ الـصَّمَدُ

ثُـمَّ الـصَّلاةُ عَلـىٰ خَيـرِ الأَنَـامِ رَسُـو ... لِ اللهِ أَحمَـدَ مَـع صَـحبٍ بِـهِ سَـعِدوا

وأَهـلِ بَـيتِ النَّبِـي وَالآلِ قاطِـبَةً ... وَالتَّابعـينَ الأُلَـىٰ للـدِّينِ هُـم عَـضُدُ

وَالرُّسـلِ أجمَعِهِـم وَالتَّابِعِـينَ لَهُـم ... مِـن دُونِ أَن يَعدِلـوا عَمَّـا إلـيهِ هُـدُوا

أَزكَـىٰ صَـلاةٍ مَـعَ التَّسلِيمِ دَائِمَـةً ... مَـا إِن لَهَـا أَبَـدًا حَـدٌّ وَلَا أَمَـدُ

وبعـد ذِي فـي أُصُـولِ الـدِّينِ «جَوهَـرةٌ ... فَـرِيدَةٌ» بِـسَنَا التَّوحِـيدِ تَـتَّقِدُ

بِـشَرحِ كُـلِّ عُـرَىٰ الإسـلامِ كَافِلَـةٌ ... وَنَقـضِ كُـلِّ الـذي أَعـداؤهُ عَقَـدُوا

وَمَـا أُبَـرِّئُ نَفـسِي مِـن لَـوازِمِهَا ... وَ أَحمَـدُ اللهَ مِـنهُ العَـونُ والرَّشَـدُ

وَاللهَ أَسـأَلُ مِـنهُ رَحمَـةً وهُـدًىٰ ... فَـضلًا وَمَـا لِـي إِلَّا اللهُ مُـستَنَدُ

مُقَدِّمَةٌ: فِي بَرَاءَةِ الْمُتَّبِعِينَ مِن جَرَاءَةِ الْمُبدِعِينَ وَافتِرَاءَاتِ الْمُبتَدِعِينَ

إِنِّـي بَـرَاءٌ مِـنَ الأَهـوا وَمَـا وَلَـدَت ... وَوَالِـدِيهَا الحَـيَارَىٰ سَـاءَ مَـا وَلَـدُوا

وَاللهِ لَسْتُ بِجَهْمِيٍّ أَخَا جَدَلٍ   يَقُولُ فِي اللهِ قَوْلًا غَيْرَ مَا يَرِدُ

يُكَذِّبُونَ بِأَسْمَاءِ الإِلَهِ وَأَوْ   صَافٍ لَهُ بَلْ لِذَاتِ اللهِ قَدْ جَحَدُوا

كَلَّا وَلَسْتُ لِرَبِّي مِنْ مُشَبِّهَةٍ   إِذْ مَنْ يُشَبِّهُهُ مَعْبُودُهُ جَسَدُ

وَلَا بِمُعْتَزِلِيٍّ أَوْ أَخَا جَبْرٍ   فِي السَّيِّئَاتِ عَلَى الأَقْدَارِ يَنْتَقِدُ

كَلَّا وَلَسْتُ بِشِيعِيٍّ أَخَا دَغَلٍ   فِي قَلْبِهِ لِصِحَابِ المُصْطَفَى حُقَدُ

كَلاَّ وَلَا نَاصِبِيٍّ ضِدَّ ذَلِكَ بَلْ   حُبُّ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الآلِ نَعْتَقِدُ

وَمَا أَرِسْطُو وَلَا الطُّوسِي أئمَّتَنَا   وَلَا ابْنُ سَبْعِينَ ذَاكَ الكَاذِبُ الفَنِدُ

وَلَا ابْنُ سِينَا وَفَارَابِيهِ قُدوَتَنَا   وَلَا الَّذِي لِفُصُوصِ الشَّرِّ يَسْتَنِدُ

مُؤَسِّسُ الزَّيْغِ وَالإِلْحَادِ حَيْثُ يَرَى   كُلَّ الخَلَائِقِ بِالبَارِي قَدِ اتَّحَدُوا

مَعْبُودُهُ كُلُّ شَيْءٍ فِي الوُجُودِ بَدَا   الكَلْبُ وَالقِرْدُ وَالخِنْزِيرُ وَالأَسَدُ

وَلَا الطَّرَائِقُ وَالأَهْوَاءُ وَالبِدَعُ الضْـ   ـضُلَّالُ مِمَّنْ عَلَى الوَحْيَيْنِ يَنْتَقِدُ

وَلَا نُحَكِّمُ فِي النَّصِّ العُقُولَ وَلَا   نَتَائِجَ المَنْطِقِ المَمْحُوقِ نَعْتَمِدُ

لَكِنْ لَنَا نَصُّ آيَاتِ الكِتَابِ وَمَا   عَنِ الرَّسُولِ رَوَى الأَثْبَاتُ مُعْتَمَدُ

لَنَا نُصُوصُ الصَّحِيحَيْنِ اللَّذَيْنِ لَهَا   أَهْلُ الوِفَاقِ وَأَهْلُ الخُلْفِ قَدْ شَهِدُوا

وَالأَرْبَعُ السُّنَنُ الغُرُّ الَّتِي اشْتَهَرَتْ   كُلٌّ إِلَى المُصْطَفَى يَعْلُو لَهُ سَنَدُ

كَذَا المُوَطَّا مَعَ المُسْتَخْرَجَاتِ لَنَا   كَذَا المَسَانِيدُ لِلْمُحْتَجِّ مُسْتَنَدُ

مُسْتَمْسِكِينَ بِهَا مُسْتَسْلِمِينَ لَهَا   عَنْهَا نَذُبُّ الهَوَى إِنَّا لَهَا عَضُدُ

وَلَا نُصِيخُ لِعَصْرِيٍّ يَفُوهُ بِمَا   يُنَاقِضُ الشَّرْعَ أَوْ إِيَّاهُ يَعْتَقِدُ

يَرَىٰ الطَّبِيعَةَ فِي الأَشْيَا مُؤَثِّرَةً ... أَيْنَ الطَّبِيعَةُ يَا مَخْذُولُ إِذ وُجِدُوا؟

وَمَا مَجَلَّاتُهُم وِرْدِي وَلَا صَدَرِي ... وَمَا لِمُعْتَنِقِيهَا فِي الفَلَاحِ يَدُ

إِذ يُدخِلُونَ بِهَا عَادَاتِهِم وَسَجَا ... يَاهُم وحُكْمَ طَوَاغِيتٍ لَهُم طَرَدوا

مُحَسِّنِينَ لَهَا كَيما تَرُوجُ عَلَىٰ ... عُمي البَصَائِرِ مِمَّن فَاتَهُ الرَّشَدُ

مِن أَجلِ ذَلِكَ قَد أَضحَىٰ زَنَادِقَةٌ ... كَثِيرُهُم لِسَبِيلِ الغَيِّ قَد قَصَدُوا

يَرَونَ أَن تَبرُزَ الأُنثَىٰ بِزِينَتِهَا ... وَبَيعَهَا البُضعَ تَأجِيلًا وَتَنتَقِدُ

مِن أَجلِ ذَلِكَ بِالإِفرَنجِ قَد شُغِفُوا ... بِهُم تَزَيَّوا وَفِي زَيِّ التُّقَىٰ زَهِدُوا

وَبِالعَوَائِدِ مِنهُم كُلِّهَا اتَّصَفُوا ... وَفِطرَةَ اللهِ تَغيِيرًا لَهَا اعتَمَدُوا

عَلَىٰ صَحَائِفِهِم يَا صَاحِ قَد عَكَفُوا ... وَلَو تَلَوتَ كِتَابَ اللهِ مَا سَجَدُوا

وَعَن تَدَبُّرِ حُكمِ الشَّرعِ قَد صُرِفُوا ... وَفِي المَجَلَّاتِ كُلَّ الذَّوقِ قَد وَجَدُوا

وَلِلشَّوَارِبِ أَعفَوا واللُّحَىٰ نَتَفُوا ... تَشَبُّهًا وَمُجَارَاةً وَمَا اتَّأَدُوا

قَالُوا رُقِيًّا فَقُلنَا لِلحَضِيضِ نَعَم ... تُفضُونَ مِنهُ إِلَىٰ سِجِّينَ مُؤتَصَدُ

ثَقَافَةٌ مِن سَمَاجٍ سَاءَ مَا أَلِفُوا ... حَضَارَةٌ مِن مُرُوجٍ هُم لَهَا عَمَدُوا

عَصرِيَّةٌ عَصَرَت خُبثًا فَحَاصِلُهَا ... سُمٌّ نَقِيعٌ وَيَا أَغمَارُ فَازدَرِدُوا

مَوتٌ وَسَمَّوهُ تَجدِيدَ الحَيَاةِ فَيَا ... لَيتَ الدُّعَاةَ لَهَا فِي الرَّمسِ قَد لُحِدُوا

دُعَاةُ سُوءٍ إِلَىٰ السَّوأَىٰ تَشَابَهَتِ الـ ... قُلُوبُ مِنهُم وفِي الإِضلَالِ قَد جَهِدُوا

مَا بَينَ مُستَعلِنٍ مِنهُم وَمُستَتِرٍ ... وَمُستَبِدٌّ وَمَن بِالغَيرِ مُحتَشِدُ

لَهُم إِلَىٰ دَرَكَاتِ الشَّرِّ أَهوِيَةٌ ... لَكِن إِلَىٰ دَرَجَاتِ الخَيرِ مَا صَعِدُوا

وَفِـي الـضَّلَالَاتِ والأَهـوَا لَهُـم شُـبَهٌ ... وَعَـن سَـبِيلِ الهُـدَىٰ والحَـقِّ قَـد بَلِـدُوا

صُـمٌّ وَلَـو سَـمِعُوا، بُكـمٌ وَلَـو نَطَقُـوا ... عُمـيٌ وَلَـو نَظَـرُوا، بُهـتٌ بِمَـا شَـهِدُوا

عَمُـوا عَـنِ الحَـقِّ صُـمُّوا عَـن تَدَبُّـرِهِ ... عَـن قَـولِهِ خَرِسُـوا فـي غَـيِّهم سَـمَدُوا

كَـأَنَّهُـم إذ تَـرَىٰ خُـشـبٌ مُـسَنَّدَةٌ ... وَنَحـسَـبُ القَـومَ أيقَاظًـا وَقَـد رَقَـدُوا

بَاعُـوا بِهَـا الـدِّينَ طَوعًا عَـن تَرَاضٍ وَمَا ... بَالَـوا بِـذَا حَـيثُ عِـند اللهِ قَـد كَـسَدُوا

يَـا غُـربَةَ الـدِّينِ والمُستَمـسِكينَ بِـهِ ... كَقَـابِضِ الجَمـرِ صَـبرًا وَهـوَ يَـتَّقِدُ

المُقبِلِـينَ عَلَـيهِ عِـندَ غُـربَتِهِ ... وَالمُـصلِحِينَ إِذا مَـا غَيـرُهُم فَـسَدُوا

إِن أَعـرَضَ الـنَّاسُ عَـن تِبيَانِهِ نَطَقُـوا ... بِـهِ وَإِن أَحجَمُـوا عَـن نَـصرِهِ نَهَـدُوا

هَـذَا وَقَـد آنَ نَظـمُ العِقـدِ مُعتَـصِمًا ... بِـاللهِ حَـسبِي عَلَـيهِ جَـلَّ أَعـتَمِدُ

أَبوَابُ أُمُورِ الدِّينِ

والـدِّينُ قَـولٌ بِقَلـبِ واللِّسَانِ وأعـ ... ـمَـالٌ بِقَلـبِ وَبِالأَركَـانِ مُعـتَمِدُ

يَـزدَادُ بالذِّكـرِ وَالطَّاعَـاتِ ثُـمَّ لَـهُ ... بِالـذَّنبِ وَالغَفلَـةِ النُّقـصَانُ مُطَّـرِدُ

وَأَهلُـهُ فِـيهِ مَفـضُولٌ وَفَاضِـلُهُ ... مِـنهُم ظَلُـومٌ وَسَـبَّاقٌ وَمُقتَـصِدُ

وَهَـاكَ مَـا سَأَلَ الـرُّوحُ الأَمِـينُ رَسُـو ... لَ اللهِ عَـن شَـرحِهِ وَالـصَّحبُ قَـد شَـهِدُوا

فَكَـانَ ذَاكَ الجَـوَابُ الـدِّينَ أَجمَعَـهُ ... شَـهِدُوا فَافهَمـهُ عِقدًا صَفَا ما شَابَهُ عُقَدُ

بَابٌ: الإيمَانُ بِاللّهِ تَعَالَى وَأَسمَائِهِ وَصِفَاتِهِ

بِـاللهِ نُـؤمِنُ فَـردٌ وَاحِـدٌ أَحَـدٌ ... وَلَـم يَلِـد لَا وَلَـم يُـولَد هُـوَ الـصَّمَدُ

وَلَا إِلَـهَ وَلَا رَبَّ سِـوَاهُ وَلَـم ... يَكُـن لَـهُ كُفُـوًا مِـن خَلقِـهِ أَحَـدُ

حَـيٌّ سَـمِيعٌ بَـصِيرٌ جَـلَّ مُقْـتَدِرٌ عَـدلٌ حَكِـيمٌ عَلِـيمٌ قَاهِـرٌ صَـمَدُ
هُـوَ العَلِـيُّ هُـوَ الأعلَـىٰ هُوَ المُـتَعَا لِـي كُـلِّ مَعنَـىٰ عُلُـوِّ اللهِ نَعـتَقِدُ
قَهـرًا وَقَـدرًا وَذَاتًـا جَـلَّ خَالِقُـنَا مَـا حَـلَّ فِيـنَا وَلَا بِالخَلـقِ مُـتَّحِدُ
فِـي سَـبعِ آيِ مِـنَ القُـرآنِ صَـرَّحَ بِاسـ ـتَوَىٰ عَلَـىٰ العَـرشِ رَبِّـي فَهـوَ مُنفَـرِدُ
وَلَفـظُ فَـوقٍ أتَـىٰ مَـعَ الاقتِـرَانِ بِمِـن وَدُونَهَـا لِمُـرِيدِ الحَـقِّ مُـستَنَدُ
وَفِي السَّماءِ اتلُهَا فِي المُلكِ وَاضِحَةً وَكَـم حَدِيـثًا بِهَـا يَعلُـو بِـهِ الـسَّنَدُ
وَتَعـرُجُ الـرُّوحُ وَالأَمـلَاكُ صَـاعِدَةً أَمَـا إِلَـىٰ رَبِّهِـم نَحـوَ العُـلَا صَـعِدُوا
وَهَكَـذَا يَـصعَدُ المَقـبُولُ مِـن عَمَـلٍ مِـنَ العِـبَادِ لِمَـن إِيَّـاهُ قَـد عَـبَدُوا
كَـذا عُـرُوجُ رَسُـولِ اللهِ حِـينَ سَـرَىٰ قُـل لِـي إِلَـىٰ مَـن لَـهُ قَـد كَـانَ مُـصطَعَدُ؟
وَحِـينَ خُطبَـتِهِ فِـي جَمـعِ حَجَّـتِهِ أَشَـارَ رَأسٌ لَـهُ نَحـوَ العُـلَا وَيَـدُ
أَلَـيسَ يَـشهَدُ رَبُّ العَـرشِ جَـلَّ عَلَـىٰ تَبلِـيغِهِ ثُـمَّ أَهـلُ الجَمـعِ قَـد شَـهِدُوا؟
وَسَـنَّ رَفـعَ المُـصَلِّي فِـي تَـشَهُّدِهِ سَـبَّاحَةً لِعُلُـوِّ اللهِ يَعـتَقِدُ
وَكُـلُّ دَاعٍ إِلَـىٰ مَـن رَافِـعٌ يَـدَهُ؟ إِلَّا إِلَـىٰ مَـن يَجِـي مِـن عِـندِهِ المَـدَدُ
وَكَـم لِهَـذَا بَـرَاهِينًا مُـؤَيِّدَةً وَحِـينَ يَـسمَعُهَا الجَهمِـيُّ يَـرتَعِدُ
وَنَحـنُ نُثـبِتُ مَـا الوَحـيَانِ تُثبِـتُهُ مِـن أَنَّ ذَا العَـرشِ فَـوقَ العَـرشِ مُنفَـرِدُ
يَدنُـو كَمَـا شَـاءَ مِمَّـن شَـا وَيَفعَـلُ مَـا يَـشَا وَلَا كَـيفَ فِـي وَصـفٍ لَـهُ يَـرِدُ
وَكُـلُّ أَسـمَائِهِ الحُـسنَىٰ نُقِـرُّ بِهَـا مِمَّـا عَلِمـنَا وَمِمَّـا اسـتأثَرَ الـصَّمَدُ
مُـستَيقِنِينَ بِمَـا دَلَّـت عَلَـيهِ وَمِـن ثَلَاثَـةِ الأوجُـهِ اعلَـم ذِكـرَهَا يَـرِدُ

دلَّت علَى ذاتِ مولانا مُطابقةً ... به تليقُ بها الرَّحمنُ مُنفرِدُ
كذا تضمَّنتِ المُشتقَّ مِن صِفةٍ ... نحوَ العَلِيمِ بعِلمٍ ثُمَّ تطَّرِدُ
كذلِكَ استلزَمَت باقي الصِّفاتِ كمَا ... لِلقُدرةِ استلزَمَ الرَّحمنُ والصَّمَدُ
وكُلُّ مَا جاءَ في الوحيَينِ مِن صِفةٍ ... للهِ نُثبِتُها والنَّصَّ نعتَمِدُ
صِفاتُ ذاتٍ وأفعالٌ نُمِرُّ ولَا ... نقُولُ كَيفَ ولَا ننفي كمَن جحَدُوا
لَكِن علَى مَا بِمولانا يَليقُ كمَا ... أرادَهُ وعَناهُ اللهُ نعتَقِدُ
وفي الشَّهادةِ عِلمُ القَلبِ مُشترَطٌ ... يَقِينُهُ انقَد قَبولٌ لَيسَ يُفتَقَدُ
إخلاصُكَ الصِّدقُ فِيهَا مَع مَحبَّتِها ... كذَا الوَلَا والبَرا فيها لَهَا عُمُدُ
فيهِ نُوَالِي أُولِي التَّقوىٰ وَننصُرُهُم ... وَكُلُّ أعدائهِ إنَّا لَهُم لَعَدُو

فَصلٌ

والشِّركُ جَعلُكَ نِدًّا لِلإلهِ ولَم ... يُشارِكِ اللهَ في تَخليقِنَا أحَدُ
تدعُوهُ ترجُوهُ تخشَاهُ وتَقصِدُهُ ... لِدَفعِ شَرٍّ وَمِنهُ الخَيرَ تَرتَفِدُ
وعِلمُهُ بِكَ مَع سَمعِ الدُّعَاءِ وقُد ... رَةٍ وسُلطَانِ غَيبٍ فِيهِ نَعتَقِدُ
مِثلَ الأُلىٰ بِدُعَا الأمواتِ قَد هَتَفُوا ... يَرجُونَ نَجدَتَهُم مِن بَعدِ مَا لُحِدُوا
وكَم نُذُورًا وقُربانًا لَهَا صَرَفوا ... ظُلمًا ومِن أنفَسِ المَنقُوشِ كَم نَقَدُوا
وكَم قِبَابًا علَيهَا زُخرِفَت ولَهَا ... أُعلِي النَّسِيجُ كِسَاءً لَيسَ يُفتَقَدُ
فَهُم يَلُوذُونَ في دَفعِ الشُّرُورِ بِهَا ... كَمَا لَهَا فِي قَضَا الحَاجَاتِ قَد قَصَدُوا
ويَصرِفُونَ لَهَا كُلَّ العِبَادَةِ دُو ... نَ اللهِ جَهرًا ولِلتَّوحِيدِ قَد جَحَدُوا

إن لَـم تَكُـن هَـذِهِ الأفعَـالُ يَـا عُلَمَـا ... شِـركًا فَمَا الشِّركُ؟ قولوا لي أَوِ ابتَعِدُوا

إن لَـم تَكُـن هَـذِهِ شِـركًا فَلَيسَ عَلَىٰ ... وَجـهِ البَسِـيطَةِ شِـركٌ قَـطُّ يُنتَقَدُ

بَابٌ: الإيمَانُ بِالمَلائِكَةِ

وَبِالمَلَائِكَـةِ الرُّسـلِ الكِـرام عِـبَا ... دِ اللهِ نُـؤمِنُ خَابـوا مَـن لَهُـم عَـبَدُوا

مِـن دُونِ رَبِّـي تَعَالَـىٰ وَالتَّـبَابُ لِمَـن ... كَانُـوا لَـهُ وَلَهُـم والمُرسَـلينَ عَـدُو

بَـل هُـم عِـبَادٌ كِـرَامٌ يَعمَلُـونَ بِـأَمـ ... ـرِ اللهِ لـيسَ لَـهُ نِـدٌّ وَلَا وَلَـدُ

مِـنهُم أَمِـينٌ لِوَحـيِ اللهِ يُـبلِغُهُ ... لِرُسـلِهِ وَهُـوَ جِبـرِيلٌ بِـهِ يَفِـدُ

وَلِلـرِّيَاحِ وَقَطـرِ وَالسَّـحَابِ فَمِيـ ... ـكَالٌ بِـذَاكَ إِلَيـهِ الكَيـلُ وَالعَـدَدُ

كَـذَاكَ بالصُّورِ إسـرافيلُ وُكِّـلَ وَهـ ... ـوَ الآنَ مُنتَظِـرٌ أَن يَـأذَنَ الصَّمَدُ

وَحَامِلُو العَرشِ مَع مَن حَولَهُم ذُكِرُوا ... وَزَائِـرُو بَيـتِهِ المَعمُـورِ مَـا افتُقِدُوا

والحَافِظُـونَ عَلَينَـا الكَاتِـبُونَ لِمَـا ... نَسعَىٰ وفي الحَشرِ إذ يُؤتَىٰ بِهِم شَهِدُوا

وَآخَـرُونَ بِحِفـظِ العَـبدِ قَـد وُكِلُـوا ... حَتَّـىٰ إذا جَـاءهُ المَقـدُورُ لَـم يَفِـدُوا

وَالمَـوتُ وُكِّـلَ حَقًّـا بِالـوَفَاة لِـرُو ... حِ العَـبدِ قَبـضًا إذَا مِـنهَا خَـلا الجَسَـدُ

وَمُنكَـرٌ وَنَكِيـرٌ وُكِّـلَا بِـسُؤَا ... لِ العَـبدِ فِـي القَبـرِ عَمَّـا كَـانَ يَعتَقِدُ

كَـذَاكَ رِضـوَانُ فِـي أَعـوَانِهِ خَـزَنُوا ... لِجَـنَّةِ الخُلـدِ بُـشرَىٰ مَـن بِهَـا وُعِـدُوا

كَـذَا زَبَانِـيَةُ النِّيـرَانِ يَقـدُمُهُم ... فِـي شَـأنِهَا مَالِـكٌ بِالغَـيظِ يَـتَّقِدُ

وَآخَـرُونَ فَـسَيَّاحُونَ حَـيثُ أَتَـوا ... مَجَـالِسَ الذِّكـرِ حَفُّـوا مَـن بِهَـا قَعَـدُوا

وَغَيـرُهُم مِـن جُـنُودٍ لَـيسَ يَعلمُهَـا ... إِلَّا العَلِـيمُ الخَبِيـرُ الـوَاحِدُ الأَحَـدُ

بَابٌ: الإيمَانُ بِكُتُبِ اللَّهِ الْمُنْزلَةِ

وَكُتْبُهُ بِالهُدَىٰ وَالحَقِّ مُنزَلَةٌ ... نُورًا وَذِكرَىٰ وَبُشرَىٰ لِلَّذِينَ هُدُوا

ثُمَّ القُرآنُ كَلَامُ اللهِ لَيسَ كَمَا ... قَالَ الَّذِينَ عَلَىٰ الإلحَادِ قَد مَرَدُوا

جَعدٌ وَجَهمٌ وَبِشرٌ ثُمَّ شِيعَتُهُم ... أَلَا فَبُعدًا لَهُم بُعدًا وَقَد بَعِدُوا

تَكَلَّمَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ بِهِ ... قَولًا وَأَنزَلَهُ وَحيًا بِهِ الرَّشَدُ

نَتلُوهُ نَسمَعُهُ نَرَاهُ نَكتُبُهُ ... خَطًّا وَنَحفَظُهُ بِالقَلبِ نَعتَقِدُ

وَكُلُّ أَفعَالِنَا مَخلُوقَةٌ وَكَذَا ... آلاتُنَا الرَّقُّ والأَقلامُ وَالمُدَدُ

وَلَيسَ مَخلُوقًا القُرآنُ حَيثُ تُلِي ... أَو خُطَّ فَهوَ كَلَامُ اللهِ مُستَرَدُ

وَالوَاقِفُونَ فَشَرٌّ نِحلَةً وَكَذَا ... لَفظِيَّةٌ سَاءَ مَا رَاحُوا وَمَا قَصَدُوا

بَابٌ: الإِيمَانُ بِالرُّسُلِ عليهم السلام

وَالرُّسلُ حَقٌّ بِلَا تَفرِيقَ بَينَهُمُو ... وَكُلُّهُم لِلصِّرَاطِ المُستَقِيمِ هُدُوا

وَبِالخَوَارِقِ وَالإِعجَازِ أَيَّدَهُم ... رَبِّي عَلَىٰ الحَقِّ مَا خَانُوا وَمَا فَنَدُوا

وَفَضَّلَ اللهُ بَعضَ المُرسَلِينَ عَلَىٰ ... بَعضٍ بِمَا شَاءَ فِي الدُّنيَا وَمَا وُعِدُوا

مِن ذَاكَ أَعطَىٰ لِإِبرَاهِيمَ خُلَّتَهُ ... كَذَا لأَحمَدَ لَم يَشرُكهُمَا أَحَدُ

وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ دُونَ وَاسِطَةٍ ... حَقًّا وَخَطَّ لَهُ التَّورَاةَ فاعتَمِدُوا

وَكَانَ عِيسَىٰ بِإِذنِ اللهِ يُبرِئُ مِن ... عَلَّاتِ سُوءٍ ويُحيِي المَيتَ قَد فُقِدُوا

والكُلُّ فِي دَعوَةِ التَّوحِيدِ مَا اختَلَفُوا ... أَمَّا الفُرُوعُ فَفِيهَا النَّسخَ قَد تَجِدُ

إِلَّا شَرِيعَتَنَا الغَرَّا فَلَيسَ لَهَا ... مِن نَاسِخٍ مَا رَسَا فِي أَرضِهِ أُحُدُ

إذ كَـانَ أَحمـدُ خَـتمَ المُرسَـلِينَ فَمَـن مِـن بَعـدِهِ رَامَ وَحـيًا كَـاذِبٌ فَـنِدُ
وكَـانَ بِعثَـتُهُ لِلخَلـقِ قَاطِـبَةً وَشَـرعُهُ شَـامِلٌ لَـم يَعـدُهُ أَحَـدُ
وَلَـم يَسَـع أَحَـدًا عَـنها الخُـرُوجُ وَلَـو كَـانَ النَّبِـيُّونَ أَحـياءً لَهَـا قَـصَدُوا

بَابٌ: الإِيمَانُ بِاليَومِ الآخِرِ

وَالـيَومُ الآخِـرُ حَـقٌّ ثُـمَّ سَـاعَتُهُ بِمُنتَهـىٰ عِلمِهَـا الـرَّحمنُ مُنفَـرِدُ
وَالمَـوتُ حَـقٌّ وَمَـن جَـاءَت مَنِيَّـتُهُ بِـأَيِّ حَـتفٍ فَـبِالمَقدُورِ مُفـتَقَدُ
مَـا إن لَـهُ عَـنهُ مِـن مُـستَأخِرٍ أَبَـدًا كَـلَّا وَلَا عَـنهُ مِـن مُـستَقدِمٍ يَجِـدُ
كُـلٌّ إِلَـىٰ أَجَـلٍ يَجـرِي عَلَـىٰ قَـدَرٍ مَـا لِامـرِئٍ عَـن قَـضَاءِ اللهِ مُلـتَحَدُ
وَفِتـنَةُ القَبـرِ حَـقٌّ وَالعَـذَابُ بِـهِ لِكَافِـرٍ وَنَعِـيمٌ لِلأُلَـىٰ سَـعِدُوا
وَلِلقِـيَامَةِ آيَـاتٌ إِذَا وَجَـبَت فَلَـيسَ مِـن تَـوبَةٍ تُجـدِي وَتَلـتَحِدُ
مِـن ذَاكَ أَن تَـستَبِينَ الـشَّمسُ طَالِعَـةً مِـن حَـيثُ مَغـرِبُهَا وَالخَلـقُ قَـد شَـهِدُوا
كَـذَاكَ دَابَّـةُ أَرضٍ أَن تُكَلِّمَهُـم جَهـرًا وَتَفـرُقَ بِالتَّمييـزِ مَـن تَجِـدُ
نُـزُولُ عِيـسَىٰ لِـدَجَّالٍ فَيَقـتُلَهُ وَفَـتحُ سَـدٍّ عِـبَادٍ مَـا لَهُـم عَـدَدُ
كَـذَا الـدُّخَانُ وَرِيـحٌ وَهـيَ مُرسَـلَةٌ لِقَـبضِ أَنفُـسِ مَـن لِلـدِّينِ يَعـتَقِدُ
وَغَيـرُهَا مِـن أُمُـورٍ فـي الكِـتَابِ جَـرَت ذِكـرَىٰ وَصَـحَّ بِهَـا فـي الـسُّنَّةِ الـسَّنَدُ
وَالـنَّفخُ فـي الـصُّورِ حَـقٌّ أَوَّلًا فَـزَعٌ فَـصَعقَةٌ فَقِـيَامٌ بَعـدَ مَـا رَقَـدُوا
وَالـوَزنُ بِالقِـسطِ وَالأَعمَـالُ مُحـضَرَةٌ في الـصُّحفِ تُنشَرُ وَالأَشـهَادُ قَد شَهِدُوا
وَالجِـسرُ مَـا بَـينَ ظَهرَانِـي الجَحِيمِ كَمَا فـي الـنَّصِّ إِن أَحَـدٌ إِلَّا لَهَـا يَـرِدُ

يَجُوزُهُ النَّاسُ بِالأَعمَالِ تَحمِلُهُم ... عَلَيهِ لَيسَ القُوىٰ وَالعَدُّ وَالعُدَدُ

كَالبَرقِ والطَّرفِ أَو مَرِّ الرِّيَاحِ وَكَالـ ... ـجِيَادِ أَو كَرِكَابِ النُّوقِ تَنشَرِدُ

وَذَاكَ يَعدُو وَذَا يَمشِي عَلَيهِ وَذَا ... زَحفًا وَذَا كُبَّ فِي نَارٍ بِهِ تَقِدُ

وَالنَّارُ حَقٌّ وَجَنَّاتُ النَّعِيمِ وَلَا ... نَقُولُ تَفنَىٰ وَلَا ذَا الآنَ تُفتَقَدُ

هَذِي لِأَعدائِهِ قَد أُرصِدَت أَبَدًا ... وَذِي لِأَحبَابِهِ وَالكُلُّ قَد خَلَدُوا

وَحَوضُ أَحمَدَ قَد أَعطَاهُ خَالِقُهُ ... غَوثًا لِأُمَّتِهِ فِي الحَشرِ إِذ تَرِدُ

وَالرُّسلُ تَحتَ لِوَاءِ الحَمدِ تُحشَرُ إِذ ... ذَاكَ اللِّوَا لِخِتَامِ الرُّسلِ يَنعَقِدُ

كَذَا المَقَامُ لَهُ المَحمُودُ حَيثُ بِهِ ... فِي شَأنِهِ كُلُّ أَهلِ الجَمعِ قَد حَمِدُوا

وَهوَ الشَّفَاعَةُ فِي فَصلِ القَضَاءِ وفِي ... فَتحِ الجِنَانِ لِأَهلِيهَا إِذَا وَفَدُوا

وَفِي عُصَاةِ أُولِي التَّوحِيدِ يُخرِجُهُم ... مِنَ الجَحِيمِ وَيُدرِيهِم بِمَا سَجَدُوا

وَبَعدَهُ يَشفَعُ الأَملَاكُ وَالشُّهَدَا ... وَالأَنبِيَاءُ وَأَتبَاعٌ لَهُم سَعِدُوا

فَيُخرِجُونَهُمو فَحمًا قَدِ امتَحَشُوا ... مِنَ الجَحِيمِ قَدِ اسودُّوا وَقَد خَمَدُوا

فَيُطرَحُونَ بِنَهرٍ يَنبُتُونَ بِهِ ... نَبتَ الحُبُوبِ بِسَيلٍ جَاءَ يَطَّرِدُ

ثُمَّ الشَّفَاعَةُ مُلكٌ لِلإِلَهِ وَلَا ... شَرِيكَ جَلَّ لَهُ فِي مُلكِهِ أَحَدُ

فَلَيسَ يَشفَعُ إِلَّا مَن يَشَاءُ وَفِي ... مَن شَاءَ حِينَ يَشَاءُ الوَاحِدُ الصَّمَدُ

وَيُخرِجُ اللهُ أَقوَامًا بِرَحمَتِهِ ... بِلَا شَفَاعَةٍ لَا يُحصَىٰ لَهُم عَدَدُ

وَلَيسَ يَخلُدُ فِي نَارِ الجَحِيمِ سِوَىٰ ... مَن كَانَ بِالكُفرِ عَن مَولَاهُ يَبتَعِدُ

يَا عُظمَ مَا رَكِبُوا يَا سُوءَ مَا نَكَبُوا ... عَن رَبِّهِم حُجِبُوا مِن فَضلِهِ بَعِدُوا

بَابٌ: الإِيمَانُ بِالنَّظَرِ إِلَى اللَّهِ ﷻ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ

وَالمُؤمِـــنُونَ يَـــرَونَ اللهَ خَـــالِقَهُم ... يَـومَ اللِّقَـا وَعـدُهُ الـصِّدقُ الـذِي وُعِـدُوا

يَـرَونَهُ فـي مَقَـامِ الحَـشرِ حِـينَ يُـنَا ... دِيهِـم لِيَتَّـبِعَ الأَقْـوَامُ مَـا عَـبَدُوا

فَيَتْـبَعُ المُجـرِمُ الأَنـدَادَ تَقـدُمُهُم ... إِلَـىٰ جَهَـنَّمَ وِردًا سَـاءَ مَـا وَرَدُوا

وَالمُؤمِـنُونَ لِمَـولَاهُم قَـدِ انتَظَـرُوا ... إِذَا تَجَلَّـىٰ لَهُـم سُـبحَانَهُ سَـجَدُوا

إِلَّا المُـنَافِقُ يَبقَـىٰ ظَهـرُهُ طَـبَقًا ... إِذ فِـي الحَـيَاةِ إِذَا قِـيلَ اسـجُدُوا مَـرَدُوا

كَـذَا الـزِّيَادَةُ فـي يَـومِ المَـزِيدِ إِذَا ... عَلَـىٰ الـنَّجَائِبِ لِلـرَّحمَنِ قَـد وَفَـدُوا

فَالأَنبِـيَاءُ كَـذَا الـصِّدِّيقُ وَالـشُّهَدَا ... عَلَـىٰ مَنَابِـرَ نُـورٍ فـي العُـلا قَعَـدُوا

وَغَيـرُهُم مِـن أُولـي الـتقوَىٰ مَجَالِسُهُم ... كُثـبَانُ مِـسكٍ أَلَا يَـا نِعمَـتِ المُهُـدُ

مِـن فَـوقِهِم أَشـرَفَ الـرَّحمَنُ جَـلَّ وَنَـا ... دَاهُـم سَـلَامٌ عَلَـيكُم كُلُّهـم شَـهِدُوا

يَـرَونَهُ جَهـرَةً لَا يَمتَـرُونَ كَمَـا ... لِلـشَّمسِ صَـحوًا يَـرَىٰ مَـن مَـا بِـهِ رَمَـدُ

هُـنَاكَ يَـذهَلُ كُـلٌّ عَـن نَعِـيمِهِمُو ... بِـذَا النَّعِـيمِ فَـيَا نُعمَـىٰ لَهُـم حُمِـدُوا

وَذَا لَهُـم أَبَـدًا فـي كُـلِّ جُمعَـتِهِم ... بُـشرَىٰ وَطُوبَـىٰ لِمَـن فـي وَفـدِهِم يَفِـدُ

بَابٌ: الإِيمَانُ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ

كَـذَاكَ بِالقَـدَرِ المَقـدُورِ نُـؤمِنُ مِـن ... خَيـرٍ وَشَـرٍّ وَذَا فـي دِينِـنَا عُمُـدُ

وَلَا مُـنَافَاةَ بَـينَ الـشَّرعِ وَالقَـدَرِ الـ ... ـمَحتُومِ لَكِـن أُولُـو الأَهـوَاءِ قَـد مَـرَدُوا

فَـإِنَّ الايمَـانَ بِالأَقـدَارِ مُـرتَبِطٌ ... بِالـشَّرعِ ذَا دُونَ هَـذَا لَـيسَ يَـنعَقِدُ

إِيَّـاهُ نَعـبُدُ إِذعَانًـا لِـشِرعَتِهِ ... بِالنَّهـي مُنزَجِـرِينَ الأَمـرَ نَعـتَمِدُ

وَنَستَعِينُ عَلىٰ كُلِّ الأُمُورِ بِهِ ... إذ كُلُّهَا قَدَرٌ مِن عِندِهِ تَرِدُ

أَحَاطَ عِلمًا بِهَا رَبِّي وَقَدَّرَهَا ... دِقًّا وَجُلًّا وَمَن يَشقَىٰ وَ مَن سَعِدُوا

مِن قَبلِ إِيجَادِهَا حَقًّا وَسَطَّرَهَا ... فِي اللَّوحِ جَفَّت بِهَا الأَقلَامُ وَالمُدَدُ

كَيفِيَّةٌ وَزَمَانٌ وَالمَكَانُ فَلَا ... يَعدُو امرُؤٌ مَا قَضَاهُ الوَاحِدُ الصَّمَدُ

بِقَولِ كُن مَا يَشَا أَمضَىٰ بِقُدرَتِهِ ... بِالخَلقِ وَالأَمرِ ربُّ العَرشِ مُنفَرِدُ

وَقُدرَةُ العَبدِ حَقًّا مَع مَشِيئَتِهِ ... لَكِن لِمَا شَاءَ مِنهُ اللهُ نَعتَقِدُ

إِذ كَانَ ذَاتًا وَفِعلًا كُلُّهُ عَدَمٌ ... إِلَّا إِذَا جَاءَهُ مِن رَبِّهِ المَدَدُ

مَن يَهدِهِ اللهُ فَهوَ المُهتَدِي وَكَذَا ... مَن شَاءَ إِضلَالَهُ أَنَّىٰ لَهُ الرَّشَدُ

مُجمَلُ أَركَانِ الإِسلامِ

هَذَا وَقَد بُنِيَ الإِسلَامُ فَادرِ عَلَىٰ ... خَمسٍ دَعَائِمَ فَاحفَظ إِنَّهَا العُمُدُ

هِيَ الشَّهَادَةُ فَاعلَم وَالصَّلَاةُ مَعَ الزْ ... زَكَاةِ وَالصَّومِ ثُمَّ الحَجِّ فَاعتَمِدُوا

وَذِروَةُ الدِّينِ أَعلَاهَا الجِهَادُ حِمًىٰ ... لِحَقِّهِ وَلأَهلِ الكُفرِ مُضطَهَدُ

جَامِعُ وَصفِ الإِحسَانِ

هَذَا والاحسَانُ فِي سِرٍّ وَفِي عَلَنٍ ... أَصلٌ وَمَعنَاهُ عَن خَيرِ الوَرَىٰ يَرِدُ

أَن تَعبُدَ اللهَ بِاستِحضَارِ رُؤيَتِهِ ... إِيَّاكَ ثُمَّ كَمَن إِيَّاهُ قَد شَهِدُوا

بَابٌ: نَوَاقِضُ الإِسلامِ -أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنهَا-

ولَيسَ يَخرُجُ مِنَ الإِسلَامِ دَاخِلُهُ ... إِلَّا بِإِنكَارِ مَا فِيهِ بِهِ يَرِدُ

أَمَّا المَعَاصِي الَّتِي مِن دُونِ ذَاكَ فَلَا ... تَكفِيرَ إِلَّا لِمَن لِلحِلِّ يَعتَقِدُ

وَالكُفرُ إن كَانَ عَن جَهلِ الكَفُورِ فَتَكـ ـــذِيبٌ كَكُفـرِ قُـرَيشٍ حِيـنَمَا مَـرَدُوا
أو كَانَ عَـن عِلمِهِ فَهوَ الجُحُودُ كَكُفـ ـفَـارِ اليهودِ الأُلَىٰ بِالمُصطَفَىٰ جَحَدُوا
أو بِالإبَـاءِ مَـعَ الإقـرَارِ فَهـوَ عِـنَا دٌ كَالـرَّجِيمِ إِذِ الأمـلاكُ قَـد سَـجَدُوا
أَو أبطَـنَ الكُفـرَ بِالإسـلَامِ مُـستَتِرًا فَهـوَ الـنِّفَاقُ فَهَـذي أربَـعٌ تَـرِدُ
مُقَـابِلَاتٌ لِقَـولِ القَلـبِ مَـع عَمَـلٍ مِـنهُ وَقَـولِ لِـسَانٍ مَعَـهُ يَـنعَقِدُ
كَـذَا لِـسَائِرِ أعمَـالِ الجَـوَارِحِ فَـاعـ ـلَم أربَـعٌ قَابَلَـتهَا فَاسـتَوَىٰ العَـدَدُ

بَابٌ: شِرْكٌ دُونَ شِرك وَكُفرٌ دُونَ كُفرٍ وَظُلمٌ دُونَ ظُلمٍ وَفُسُوقٌ دُونَ فُسُوقٍ وَنِفَاقٌ دُونَ نِفَاقٍ

وَالـشِّركُ قَـد جَـاءَ مِـنهُ أَصـغَرٌ وَهـوَ الـرِّ رِيَـاءُ مِمَّـن سِـوَىٰ الـرَّحمَنِ مَـا عَـبَدُوا
كَمَـن يُـصَلِّي لِرَبِّـي ثُـمَّ زَيَّـنَهَا لِمَـا يَـرَىٰ أن إِلَـيهِ نَاظِـرٌ أَحَـدُ
كَـذَلِكَ الحَلـفُ بِالمَخلُـوقِ مِـن وَثَـنٍ كَـذَا الأَمَانَـةُ وَالآبَـاءُ وَالـوَلَدُ
وَبِالـشَّهَادَةِ فَالـسَّاهِي يُكَفَّـرُ كَـي يُقِـرَّ فِـي القَلـبِ مَعـنَاهَا وَيَرتَـصِدُ
وَنَحـوُ لَـولَا فُـلانٌ كَـانَ كَـيتَ وَمَـا شَـاءَ الإِلَـهُ وَشِـئتَ الكُـلُّ مُنـتَقَدُ
وَهَكَـذَا كُـلُّ لَفـظٍ فِـيهِ تَـسوِيَةٌ بِـاللهِ جَـلَّ وَلَكِـن لَـيسَ يُعـتَقَدُ
وَلانـتِفَاءِ التَّـسَاوِي جَـازَ ثُـمَّ مَكَـا نَ الـوَاوِ نَـصًّا وَأَهـلُ العِلـمِ مَـا انتَقَدُوا
وَالكُفرُ وَالظُّلـمُ فَاعلَم وَالفُسُوقُ كَذَا النـ ـنِفَاقُ كُـلٌّ عَلَـىٰ نَوعَـينِ قَـد يَـرِدُ
فَالكُفـرُ بِـاللهِ مَعلُـومٌ وَسُـمِّيَ بِـالـ ـكُفـرِ القِـتَالُ لِـذِي الإِسـلامِ يُعـتَمَدُ
وَالظُّلـمُ لِلـشِّركِ وَصـفٌ ثُـمَّ أُطلِـقَ فِـي تَظَـالُمِ الخَلـقِ مِـنهُ الغِـشُّ وَالحَـسَدُ

وَالفِسقُ فِي وَصفِ إبلِيسَ اللَّعِينِ أَتَىٰ ... وَقَاذِفٍ مَا عَنِ الإسلَامِ يَبتَعِدُ

كَذَا النِّفَاقُ أَتَىٰ فِي الكُفرِ أَقبَحُهُ ... وَجَاءَ فِي وَصفِ ذِي خُلفٍ لِمَا يَعِدُ

أَو خَاصَمُوا فَجَرُوا أَو عَاهَدُوا غَدَرُوا ... وَالخَائِنِينَ وَمَن إن حَدَّثُوا فَنَدُوا

بَابٌ: مَعنَى النُّصُوصِ الَّتِي فِيهَا نَفيُ الإِيمَانِ عَن مُرتَكِبِ بَعضِ المَعَاصِي

وَحَيثُ مَا نُفِيَ الإيمَانُ فِي أَثَرٍ ... عَمَّن عَصَىٰ وَمِنَ التَّوحِيدِ قَد عَقَدُوا

فَالمُستَحِلُّ أَوِ المَقصُودُ فَارَقَهُ ... إِيمَانُهُ حَالَةَ العِصيَانِ يَصطَعِدُ

أَوِ المُرَادُ بِهِ نَفيَ الكَمَالِ وَعَن ... تَفسِيرِهَا بَعضُ أَهلِ العِلمِ قَد قَصَدُوا

تَكُونُ أَرهَبَ أَمَّا أَن نُكَفِّرَهُ ... فَقَد رَدَدنَا عَلَىٰ القُرآنِ إِذ نَجِدُ

أَن أَثبَتَ اللهُ لِلجَانِي الأُخُوَّةَ وَالـ ... إِيمَانَ مَا قَالَ فِيهِ كَافِرٌ وَعَدُو

بَابٌ: التَّوبَةُ وَشُرُوطُهَا

وَتُقبَلُ التَّوبَةُ اعلَم قَبلَ حَشرَجَةِ الصُّـ ... ـدُورِ مِن كُلِّ ذَنبٍ نَالَهُ أَحَدُ

شُرُوطُهَا يَا أَخِي الإِقلَاعُ مَع نَدَمٍ ... وَلَا يَعُودُ لَهُ بَل عَنهُ يَبتَعِدُ

وَإِن يَكُن فِيهِ حَقُّ الآدَمِي فَتَحَلْـ ... ـلَل حَيثُ أَمكَنَ وَليَعرِض لَهُ القَوَدُ

بَابٌ: حُكمُ السِّحرِ وَالكَهَانَةِ وَالتَّنجِيمِ وَالتَّطَيُّرِ وَالاستِسقَاءِ بِالأَنوَاءِ وَالعَينِ

وَالسِّحرُ حَقٌّ وُقُوعًا بَاطِلٌ عَمَلًا ... فَمِنهُ حِرزٌ وَمِنهُ النَّفثُ وَالعُقَدُ

وَحُكمُهُ الكُفرُ فِي نَصِّ الكِتَابِ أَتَىٰ ... وَحَدُّ فَاعِلِهِ بِالسَّيفِ يُحتَصَدُ

ثُــمَّ الكَهَانَــةُ كُفــرٌ والتَّطَيُّــرُ وَالــتَّـ ... ـنْجِــيمُ وَالــنَّوءُ مِمَّــن فــيهِ يَعــتَقِدُ

وَالعَــينُ حَــقٌّ وَبِالمَقــدُورِ ثَــورَتُهَا ... وَلْيَغتَــسِلْ عَــائِنٌ مِــنهَا لِمَــن يَجِــدُ

بَابٌ: حُكمُ الرُّقَى وَالتَّعَالِيقِ

ثُـمَّ الرُّقَـىٰ إن تَكُـن بِالوَحيِ دُونَ تَـصَرْ ... رُفٍ وَلَا صَــرفِ قَلــبٍ لَــيسَ يُنــتَقَدُ

وَلِلــصَّحَابَةِ خُلــفٌ فــي تَعَلُّــقِ آيَــ ... ـاتِ الكِــتَابِ وَوِردٍ لِلنَّبِــيِّ يَــرِدُ

وَالمَــنعُ أولَــىٰ فَأمَّــا مَــا عَــدَاهُ فَــلَا ... خِــلَافَ فِــي مَــنعِهِ إذ فِــيهِ مُــستَنَدُ

بَابٌ: الخِلافَةُ وَمَحَبَّةُ الصَّحَابَةِ وَأهلِ البَيتِ ﷺ

ثُـمَّ الخَلِيفَةُ مِـن بَعـدِ النَّبِـيِّ هُـوَ الـصْـ ... ـصِدِّيقُ أَسـعَدُ مَـن بِالمُـصطَفَىٰ سُـعِدُوا

وَبَعــدَهُ عُمَــرُ الفَــارُوقُ ذَاكَ أَبُــو ... حَفـصٍ لَـهُ الـضِّدُّ وَالأَعـوَانُ قَـد شَـهِدُوا

كَــذَاكَ عُــثمَانُ ذو الــنُّورَينِ ثَالِــثُهُم ... بِظُلمِــهِ بَــاءَ أَهــلُ البَغــيِ إذ قَــصَدُوا

كَــذَا عَلــيٌّ أَبــو الــسِّبطَينِ رَابِعُهُــم ... بِالحَــقِّ مُعتَــضِدٌ لِلكُفــرِ مُــضطَهِدُ

فَهَــؤُلَاءِ بِــلَا شَــكٍّ خِلافَــتُهُم ... بِمُقتَــضَىٰ الــنَّصِّ وَالإجمَــاعُ مُــنعَقِدُ

وَأَهــلُ بَــيتِ النَّبِــي وَالــصَّحبُ قَاطِبَةً ... عَــنهُم نَــذُبُّ وَحُــبَّ القَــومِ نَعــتَقِدُ

وَالحَقُّ فـي فِتـنَةٍ بَـينَ الـصِّحَابِ جَرَت ... هُــوَ الــسُّكُوتُ وَأَنَّ الكُــلَّ مُجــتَهِدُ

وَالنَّـصرُ أَنَّ أَبَـا الـسِّبطَينِ كَـانَ هُـوَ الـ ... ـمُحِــقُّ مَــن رَدَّ هَــذَا قَــولُهُ فَــنَدُ

تَــبًّا لِرَافِــضَةٍ سُــحقًا لِنَاصِــبَةٍ ... قُــبحًا لِمَارِقَــةٍ ضَــلُّوا وَمَــا رَشَــدُوا

بَابٌ: وُجُوبُ طَاعَةِ أُولِي الأَمرِ

ثُــمَّ الأَئمَّــةُ فــي المَعــرُوفِ طَاعَــتُهُم ... مَفرُوضَــةٌ وَفِ بِالعَهــدِ الَّــذِي عَقَــدُوا

وَلَا يَجُـوزُ خُـرُوجٌ بِالسِّلَاحِ عَلَيـ ـهِم مَا أَقَامُوا عَلَىٰ السَّمحَاءِ وَاقتَصَدُوا

أَمَّا إِذَا أظهَـرُوا الكُفـرَ البَوَاحَ فَقَا تِلُـوا أئمَّـةَ كُفـرٍ حَيـثُمَا وُجِـدُوا

بَابٌ: وُجُوبُ النَّصِيحَةِ فِي الدِّينِ وَالأَمرِ بِالمَعرُوفِ وَالنَّهيِ عَنِ المُنكَرِ

ثُـمَّ النَّصِيحَةُ قُـل فَـرضٌ بِكُـلٍّ مَعَـا نِيهَا هَـيَ الـدِّينُ فَـاعلَم إِذ هِـيَ العُمُـدُ

للهِ وَالرُّسُـلِ وَالقُـرآنِ ثُـمَّ وُلَا ةِ الأَمـرِ ثُـمَّ عُمُـومِ المُسلِمِينَ هُـدُوا

وَالأَمـرُ بِالعُـرفِ مَـع عِلـمٍ بِـهِ وَلِعَفـ ـوٍ خُـذ وَأَعـرِض عَـنِ الجُهَّـالِ يَتَّـئِدُوا

كَـذَلِكَ النَّهـيُ عَـن نُكـرٍ وَمَـورِدِهِ قَـولٌ فَـسُخطًا إِذَا لَـم تَـستَطِعهُ يَـدُ

بَابٌ: الشَّرعُ وَأُصُولُ الفِقهِ

وَالـشَّرعُ مَـا أَذِنَ اللهُ العَظِـيمُ بِـهِ مِـنَ الكِـتَابِ وَآثَـارِ النَّبِـي تَـرِدُ

مِمَّـا رَوَىٰ العَـدلُ مَحفُـوظًا وَمُتَّـصِلًا عَـن مِـثلِهِ صَـحَّ مَـرفوعًا بِـهِ الـسَّنَدُ

وَالقَـولُ وَالفِعـلُ وَالتَّقرِيـرُ حَيـثُ أَتَـىٰ عَـنِ الرَّسُـولِ فللتَّـشرِيعِ يُعـتَمَدُ

إِلَّا إِذَا جَـاءَ بُـرهَانٌ يُخَصِّـصُهُ بِالمُـصطَفَىٰ أَو بِـشَخصٍ فِـيهِ يَنفَـرِدُ

وَالأَصـلُ فـي الأَمرِ فَـاعلَم لِلوُجُوبِ فَلَا يُـصَارُ لِلـنَّدبِ إِذ لَا صَـارِفٌ يَـرِدُ

وَالنَّهـيُ لِلحَظـرِ إِذ لَا نَـصَّ يَـصرِفُهُ إِلَـىٰ الكَـرَاهَةِ هَـذا الحَـقُّ يُعـتَقَدُ

وَمُـستَوِي الطَّـرَفَينِ ادعُ المُـبَاحَ فَـلا يُـلامُ فِـي فِعلِـهِ أَو تَـركِهِ أَحَـدُ

وَمَـا بِـهِ يَنتَفِـي حُكـمٌ فَمَانِعُـهُ وَعَكـسُهُ سَـبَبٌ يَدرِيـهِ مُجـتَهِدُ

وَالـشَّرطُ مَـا رَتَّـبَ الإِجـزَا وَصِـحَّتَهُ عَلَـيهِ أَو نَفـيُ حُكـمٍ حِـينَ يُفـتَقَدُ

وَنَافِـذٌ وَبِـهِ اعـتُدَّ الـصَّحيحُ كَمَـا نَقيـضُهُ بَاطِـلٌ لَيـسَت لَـهُ عُمُـدُ
ثُـمَّ الوَسِـيلَةُ تُعطَـىٰ حُكـمَ غَايَـتِهَا فَرضًـا وَنَـدبًا وَحَظـرًا عَـنهُ يُبـتَعَدُ
وَالرُّخـصَةُ الإِذنُ فـي أَصـلٍ لِمَعـذِرَةٍ وَضِـدُّهَا عَـزمَةٌ بِالأَصـلِ تَـنعَقِدُ
وَالأَصـلُ أَنَّ نُـصُوصَ الـشَّرعِ مُحكَمَـةٌ إِلَّا إِذَا جَـا بِـنَقلِ الأَصـلِ مُـستَنَدُ
وَأَيُّ نَـصٍّ أَتَـىٰ مِـثلٌ يُعَارِضُـهُ وَأَمكَـنَ الجَمـعُ فَهـوَ الحَـقُّ يُعـتَمَدُ
وَحَـيثُ لَا وَدَرَيـتَ الآخِـرَ اقـضِ بِـهِ نَـسخًا لِحُكـمِ الَّـذي مِـن قَـبلِهِ يَـرِدُ
أَو لَا فَـرَجِّح مَتَـىٰ تَـبدُو قَـرَائِنُ تَـر جِـيحٍ عَلَـيهَا احـتَوَىٰ مَـتنٌ أَوِ الـسَّنَدُ
وَالمُطلَـقَ احمِـل عَلَـىٰ فَحوَىٰ مُقَيِّدِهِ وَخُـصَّ مَـا عَـمَّ بِالتَّخـصِيصِ إِذ تَجِـدُ
وَالحَظـرَ قَـدِّم عَلَـىٰ دَاعِـي إِبَاحَـتِهِ كَـذَا عَلَـىٰ النَّفـي فَالإِثـبَاتُ مُعتَـضِدُ
كَـذَا الـصَّرِيحُ عَلَـىٰ المَفهُومِ فَاقضِ بِهِ وَهَكَـذَا فَاعتَبِـر إِن أَنـتَ مُنـتَقِدُ
وَأَيُّ فَـرعٍ أَتَـت فِـي الأَصـلِ عِلَّـتُهُ أَو كَـانَ أَولَـىٰ بِهَـا فَـالحُكمُ يَطَّـرِدُ
وَلَا تُقَـدِّم أَقَاوِيـلَ الـرِّجَالِ عَلَـىٰ نَـصِّ الـشَّرِيعَةِ كَالغَالِـينَ إِذ جَحَـدُوا
وَلَا تُقَلِّـد وَكُـن فـي الحَـقِّ مُتَّـبِعًا إِنَّ اتِّـبَاعَكَ فَلـتَعلَم هُـوَ الرَّشَـدُ
إِذِ الأَئِمَّـةُ بِالتَّقلِـيدِ مَـا أَذِنُـوا لَكِـن رِدِ المَـورِدَ العَـذبَ الَّـذي وَرَدُوا
وَلتَـستَعِن بِفُهُـومِ القَـومِ إِنَّ لَهُـم بَـصَائِرًا كَـم بِهَـا يَـنحَلُّ مُـنعَقِدُ
وَأَعلَـمُ الأُمَّـةِ الـصَّحبُ الأُلَـىٰ حَضَرُوا مَوَاقِـعَ الـشَّرعِ وَالتَّنـزِيلَ قَـد شَـهِدُوا
أَدرَىٰ الأَنَـامِ بِتَفـسِيرِ الكِـتَابِ وَأَفـ ـعَـالِ الرَّسُـولِ وَأَقـوَالٍ لَـهُ تَـرِدُ
إِجمَـاعُهُم حُجَّـةٌ قَطعًـا وَخُلفُهُمُـو لَـم يَعـدُهُ الحَـقُّ فَلـيَعلَمهُ مُجـتَهِدُ

ارْدُدْ أَقَاوِيلَهُم نَحوَ النُّصُوصِ فَمَا يُوَافِقُ النَّصَّ فَهوَ الحَقُّ مُعتَضَدُ

مَا لَم تَجِد فِيهِ نَصًّا قَدِّمِ الخُلَفَا إِذ هُم بِنَصِّ رَسُولِ اللهِ قَد رَشَدُوا

فَالتَّابِعُونَ بِإِحسَانٍ فَتَابِعُهُم مِنَ الأَئِمَّةِ لِلحَقِّ المُبِينِ هُدُوا

كَالسَّبعَةِ الأَنجُمِ الزُّهرِ الذِينَ يَرَىٰ إِجمَاعَهُم مَالِكٌ كَالنَّصِّ يُعتَمَدُ

وَابنِ المُبَارَكِ وَالبَصرِي هُوَ الحَسَنُ الـ ـمَرضِيُّ حَقًّا وَحَمَّادًا هُمُو حَمِدُوا

كَذَاكَ سُفيَانُ مَع سُفيَانَ ثُمَّ فَتَىٰ الـ أَوزَاعِ فَاعلَم وَمِن أَقرَانِهِم عَدَدُ

ثُمَّ الأَئِمَّةُ نُعمَانٌ وَمَالِكُهُم وَالشَّافِعِي أَحمَدُ فِي دِينِنَا عُمُدُ

وَغَيرُهُم مِن أُولِي التَّقوَىٰ الذِينَ لَهُم بَصَائِرٌ بِضِيَاءِ الوَحيِ تَتَّقِدُ

أُولَئِكَ القَومُ يَحيَا القَلبُ إِن ذُكِرُوا وَيُذكَرُ اللهُ إِن ذِكرَاهُمُو تَرِدُ

أَئِمَّةُ النَّقلِ وَالتَّفسِيرِ لَيسَ لَهُم سِوَىٰ الكِتَابِ وَنَصِّ المُصطَفَىٰ سَنَدُ

أَحبَارُ مِلَّتِهِ أَنصَارُ سُنَّتِهِ لَا يَعدِلُونَ بِهَا مَا قَالَهُ أَحَدُ

أَعلَامَهَا نَشَرُوا أَحكَامَهَا نَصَرُوا أَعدَاءَهَا كَسَرُوا نُقَّالَهَا نَقَدُوا

هُمُو الرُّجُومُ لِسُرَّاقِ الحَدِيثِ كَمَا لِكُلِّ مُستَرِقٍ شُهبُ السَّما رَصَدُ

بُدُورُ تِمٍّ سِوَىٰ أَنَّ البُدُورَ لَهَا غَيبُوبَةٌ أَبَدًا وَالنَّقصُ مُطَّرِدُ

وَهُم مَدَىٰ الدَّهرِ مَا زَالَت مَآثِرُهُم فِي جِدَّةٍ وَانجِلَاءٍ مُنذُ مَا وُسِدُوا

أُولَئِكَ المَلأُ الغُرُّ الأُلَىٰ مَلَئُوا الـ أَقطَارَ عِلمًا وَغَيرَ النَّصِّ مَا اعتَقَدُوا

كُلٌّ لَهُ قَدَمٌ فِي الدِّينِ رَاسِخَةٌ وَكُلُّهُم فِي بَيَانِ الحَقِّ مُجتَهِدُ

فَإِن أَصَابَ لَهُ أَجرَانِ قَد كَمُلَا وَالأَجرُ مَع خَطَأٍ وَالعَفوُ مُتَّعَدُ

وَالحَــقُّ لَــيسَ بِفَــرِدٍ قَــطُّ مُنحَــصِرًا	إِلَّا الرَّسُــولُ هُــوَ المَعــصُومُ لَا أَحَــدُ
صَــلَّىٰ عَلَــيهِ إِلَــهُ العَــرشِ فَاطِــرُهُ	مُــسَلِّمًا مَــا بِــأَقلَامٍ جَــرَىٰ المُــدَدُ
وَالآلِ وَالــصَّحبِ ثُــمَّ التَّابِعِــينَ لَهــُم	وَالحَمــدُ للهِ لَا يُحــصَىٰ لَــهُ عَــدَدُ

❊ ❊ ❊

(٣٠) مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ: مَا تَنطِقُ بِهِ الأَلسِنَةُ وَتَعتَقِدُهُ الأَفئِدَةُ مِن وَاجِبِ أُمُورِ الدِّيَانَاتِ:

مِن ذَلِكَ: الإِيمَانُ بِالقَلبِ، وَالنُّطقُ بِاللِّسَانِ:

أَنَّ اللهَ إِلَهٌ وَاحِدٌ، لَا إِلَهَ غَيرُهُ، وَلَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ، وَلَا وَلَدَ لَهُ، وَلَا وَالِدَ لَهُ، وَلَا صَاحِبَةَ لَهُ، وَلَا شَرِيكَ لَهُ.

لَيسَ لأَوَّلِيَّتِهِ ابتِدَاءٌ، وَلَا لآخِرِيَّتِهِ انقِضَاءٌ، لَا يَبلُغُ كُنهَ صِفَتِهِ الوَاصِفُونَ، وَلَا يُحِيطُ بِأَمرِهِ المُتَفَكِّرُونَ، يَعتَبِرُ المُتَفَكِّرُونَ بِآيَاتِهِ، وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي مَاهِيَّةِ ذَاتِهِ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

العَالِمُ، الخَبِيرُ، المُدَبِّرُ القَدِيرُ، السَّمِيعُ البَصِيرُ، العَلِيُّ الكَبِيرُ، وَأَنَّهُ فَوقَ عَرشِهِ المَجِيدِ بِذَاتِهِ، وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعِلمِهِ، خَلَقَ الإِنسَانَ وَيَعلَمُ مَا تُوَسوِسُ بِهِ نَفسُهُ، وَهُوَ أَقرَبُ إِلَيهِ مِن حَبلِ الوَرِيدِ، وَمَا تَسقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعلَمُهَا، وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرضِ وَلَا رَطبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ.

عَلَى العَرشِ استَوَى، وَعَلَى المُلكِ احتَوَى، وَلَهُ الأَسمَاءُ الحُسنَى وَالصِّفَاتُ العُلَا، لَم يَزَل بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَسمَائِهِ، تَعَالَى أَن تَكُونَ صِفَاتُهُ مَخلُوقَةً، وَأَسمَاؤُهُ مُحدَثَةً.

كَلَّمَ مُوسَى بِكَلَامِهِ الَّذِي هُوَ صِفَةُ ذَاتِهِ، لَا خَلقٌ مِن خَلقِهِ، وَتَجَلَّى لِلجَبَلِ فَصَارَ دَكًّا مِن جَلَالِهِ، وَأَنَّ القُرآنَ كَلَامُ اللهِ، لَيسَ بِمَخلُوقٍ فَيَبِيدُ، وَلا صِفَةٍ لِمَخلُوقٍ فَيَنفَدُ.

وَالإِيمَانُ بِالقَدَرِ خَيرِه وَشَرِّهِ، حُلوِهِ وَمُرِّهِ، وَكُلُّ ذَلِكَ قَد قَدَّرَهُ اللهُ رَبُّنَا، وَمَقَادِيرُ الأُمُورِ

بِيَدِهِ، وَمَصدَرُهَا عَن قَضَائِهِ.

عَلِمَ كُلَّ شَيءٍ قَبلَ كَونِهِ، فَجَرَىٰ عَلَىٰ قَدَرِهِ، لَا يَكُونُ مِن عِبَادِهِ قَولٌ وَلَا عَمَلٌ إِلَّا وَقَد قَضَاهُ، وَسَبَقَ عِلمُهُ بِهِ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

يُضِلُّ مَن يَشَاءُ فَيَخذُلُهُ بِعَدلِهِ، وَيَهدِي مَن يَشَاءُ فَيُوَفِّقُهُ بِفَضلِهِ، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ بِتَيسِيرِهِ إِلَىٰ مَا سَبَقَ مِن عِلمِهِ وَقَدَرِهِ مِن شَقِيٍّ أَو سَعِيدٍ.

تَعَالَىٰ أَن يَكُونَ فِي مُلكِهِ مَا لَا يُرِيدُ، أَو يَكُونَ لأَحَدٍ عَنهُ غِنًى، خَالِقًا لِكُلِّ شَيءٍ أَلَا هُو رَبُّ العِبَادِ وَرَبُّ أَعمَالِهِم، وَالمُقَدِّرُ لِحَرَكَاتِهِم وَآجَالِهِم، البَاعِثُ الرُّسُلَ إِلَيهِم لإِقَامَةِ الحُجَّةِ عَلَيهِم.

ثُمَّ خَتَمَ الرِّسَالَةَ وَالنِّذَارَةَ وَالنُّبُوَّةَ بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ ﷺ، فَجَعَلَهُ آخِرَ المُرسَلِينَ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَىٰ اللهِ بِإِذنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، وَأَنزَلَ عَلَيهِ كِتَابَهُ الحَكِيمَ، وَشَرَحَ بِهِ دِينَهُ القَوِيمَ، وَهَدَىٰ بِهِ الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ.

وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللهَ يَبعَثُ مَن يَمُوتُ، كَمَا بَدَأَهُم يَعُودُونَ.

وَأَنَّ اللهَ ﷻ ضَاعَفَ لِعِبَادِهِ المُؤمِنِينَ الحَسَنَاتِ، وَصَفَحَ لَهُم بِالتَّوبَةِ عَن كَبَائِرِ السَّيِّئَاتِ، وَغَفَرَ لَهُم الصَّغَائِرَ بِاجتِنَابِ الكَبَائِرِ، وَجَعَلَ مَن لَم يَتُب مِنَ الكَبَائِرِ صَائِرًا إِلَىٰ مَشِيئَتِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وَمَن عَاقَبَهُ اللهُ بِنَارِهِ أَخرَجَهُ مِنهَا بِإِيمَانِهِ، فَأَدخَلَهُ بِهِ جَنَّتَهُ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧].

وَيُخرِجُ مِنهَا بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ، مَن شَفَعَ لَهُ مِن أَهلِ الكَبَائِرِ مِن أُمَّتِهِ.

وَأَنَّ اللهَ سُبحَانَهُ قَد خَلَقَ الجَنَّةَ، فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لأَولِيَائِهِ، وَأَكرَمَهُم فِيهَا بِالنَّظَرِ إِلَىٰ وَجهِهِ الكَرِيمِ، وَهِيَ الَّتِي أَهبَطَ مِنهَا آدَمَ نَبِيَّهُ وَخَلِيفَتَهُ إِلَىٰ أَرضِهِ بِمَا سَبَقَ فِي سَابِقِ عِلمِهِ.

وَخَلَقَ النَّارَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لِمَن كَفَرَ بِهِ وَأَلحَدَ فِي آيَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَجَعَلَهُم مَحجُوبِينَ عَن رُؤيَتِهِ.

وَأَنَّ اللهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- يَجِيءُ يَومَ القِيَامَةِ وَالمَلَكُ صَفًّا صَفًّا، لِعَرضِ الأُمَمِ وَحِسَابِهَا وَعُقُوبَتِهَا وَثَوابِهَا، وَتُوضَعُ المَوَازِينُ لِوَزنِ أَعمَالِ العِبَادِ، فَمَن ثَقُلَت مَوَازِينُهُ؛ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ، وَيُؤتَونَ صَحَائِفَهُم بِأَعمَالِهِم، فَمَن أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ؛ فَسَوفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَمَن أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهرِهِ؛ فَأُولَئِكَ يَصلَونَ سَعِيرًا.

وَأَنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ، يَجُوزُهُ العِبَادُ بِقَدرِ أَعمَالِهِم، فَنَاجُونَ مُتَفَاوِتُونَ فِي سُرعَةِ النَّجَاةِ عَلَيهِ مِن نَارِ جَهَنَّمَ، وَقَومٌ أَوبَقَتهُم فِيهَا أَعمَالُهُم.

وَالإِيمَانُ بِحَوضِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، تَرِدُهُ أُمَّتُهُ، لَا يَظمَأُ مَن شَرِبَ مِنهُ، وَيُذَادُ عَنهُ مَن بَدَّلَ وَغَيَّرَ.

وَأَنَّ الإِيمَانَ قَولٌ بِاللِّسَانِ، وَإِخلَاصٌ بِالقَلبِ، وَعَمَلٌ بِالجَوَارِحِ، يَزِيدُ بِزِيَادَةِ الأَعمَالِ، وَيَنقُصُ بِنَقصِهَا، فَيَكُونُ فِيهَا النَّقصُ وَبِهَا الزِّيَادَةُ، وَلَا يَكمُلُ قَولُ الإِيمَانِ إِلَّا بِالعَمَلِ، وَلَا قَولٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلَا قَولٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ.

وَأَنَّهُ لَا يُكَفَّرُ أَحَدٌ بِذَنبٍ مِن أَهلِ القِبلَةِ.

وَأَنَّ الشُّهَدَاءَ أَحيَاءٌ عِندَ رَبِّهِم يُرزَقُونَ، وَأَروَاحَ أَهلِ السَّعَادَةِ بَاقِيَةٌ نَاعِمَةٌ إِلَىٰ يَومِ يُبعَثُونَ، وَأَروَاحَ أَهلِ الشَّقَاوَةِ مُعَذَّبَةٌ إِلَىٰ يَومِ الدِّينِ.

وَأَنَّ المُؤمِنِينَ يُفتَنُونَ فِي قُبُورِهِم وَيُسأَلُونَ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وَأَنَّ عَلَىٰ العِبَادِ حَفَظَةً يَكتُبُونَ أَعمَالَهُم، وَلَا يَسقُطُ شَيءٌ مِن ذَلِكَ عَن عِلمِ رَبِّهِم، وَأَنَّ مَلَكَ المَوتِ يَقبِضُ الأَروَاحَ بِإِذنِ رَبِّهِ.

وَأَنَّ خَيرَ القُرُونِ القَرنُ الَّذِينَ رَأَوا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَآمَنُوا بِهِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم.

وَأَفضَلُ الصَّحَابَةِ الخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ المَهدِيُّونَ: أَبُو بَكرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ -رَضِيَ اللهُ عَنهُم أَجمَعِينَ-.

وَأَلَّا يُذكَرَ أَحَدٌ مِن صَحَابَةِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَّا بِأَحسَنِ ذِكرٍ، وَالإِمسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَينَهُم، وَأَنَّهُم أَحَقُّ النَّاسِ أَن يُلتَمَسَ لَهُم أَحسَنُ المَخَارِجِ، وَيُظَنَّ بِهِم أَحسَنُ المَذَاهِبِ.

وَالطَّاعَةُ لأَئِمَّةِ المُسلِمِينَ مِن وُلَاةِ أُمُورِهِم وَعُلَمَائِهِم، وَاتِّبَاعُ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَاقتِفَاءُ آثَارِهِم، وَالاستِغفَارُ لَهُم، وَتَركُ المِرَاءِ وَالجِدَالِ فِي الدِّينِ، وَتَركُ مَا أَحدَثَهُ المُحدِثُونَ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَزوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَسَلَّمَ تَسلِيمًا كَثِيرًا.

❊ ❊ ❊

(٣١) بَابُ فَضْلِ الإسلامِ

وَقَولِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

وَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ الآيَةَ [يونس:١٠٤].

وَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد:٢٨].

وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ ابنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَثَلُكُم وَمَثَلُ أَهلِ الكِتَابَينِ كَمَثَلِ رَجُلٍ استَأجَرَ أُجَرَاءَ فَقَالَ: مَن يَعْمَلُ لِي مِن غُدوَةٍ إِلَىٰ نِصفِ النَّهَارِ عَلَىٰ قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ اليَهُودُ.

ثُمَّ قَالَ: مَن يَعْمَلُ لِي مِن نِصفِ النَّهَارِ إِلَىٰ صَلَاةِ العَصرِ عَلَىٰ قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ النَّصَارَىٰ.

ثُمَّ قَالَ: مَن يَعْمَلُ لِي مِن صَلَاةِ العَصرِ إِلَىٰ أَن تَغِيبَ الشَّمسُ عَلَىٰ قِيرَاطَينِ؟ فَأَنتُم هُم، فَغَضِبَ اليَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ، وَقَالُوا: مَا لَنَا أَكثَرَ عَمَلًا وَأَقَلَّ أَجرًا؟!

قَالَ: هَل نَقَصتُكُم مِن حَقِّكُم شَيئًا؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: ذَلِكَ فَضلِي أُوتِيهِ مَن أَشَاءُ» [البخاري (٢٢٨٦)].

وَفِيهِ أَيضًا عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَضَلَّ اللهُ عَنِ الجُمُعَةِ مَن كَانَ قَبلَنَا، فَكَانَ لِليَهُودِ يَومُ السَّبتِ، وَلِلنَّصَارَىٰ يَومُ الأَحَدِ، فَجَاءَ اللهُ بِنَا فَهَدَانَا لِيَومِ الجُمُعَةِ، وَكَذَلِكَ هُم تَبَعٌ لَنَا يَومَ القِيَامَةِ، نَحنُ الآخِرُونَ مِن أَهلِ الدُّنيَا، وَالأَوَّلُونَ يَومَ القِيَامَةِ» [مسلم (٨٥٦)].

وَفِيهِ تَعلِيقًا عَنِ النَّبِي ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَىٰ اللهِ: الحَنِيفِيَّةُ السَّمحَةُ» [صحيح الجامع (١٦٠)] انتَهَىٰ.

وَعَن أُبَيِّ بنِ كَعبٍ ﷺ قَالَ: «عَلَيكُم بِالسَّبِيلِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنَّهُ لَيسَ مِن عَبدٍ عَلَىٰ سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ ذَكَرَ الله فَفَاضَت عَينَاهُ مِن خَشيَةِ الله فَتَمَسُّهُ النَّارُ، وَلَيسَ مِن عَبدٍ عَلَىٰ سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ ذَكَرَ الرَّحمَنَ فَاقْشَعَرَّ جِلدُهُ مِن مَخَافَةِ اللهِ إِلَّا كَانَ مَثَلُهُ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ يَبِسَ وَرَقُهَا فَبَينَمَا هِيَ كَذَلِكَ إِذ أَصَابَتهَا الرِّيحُ فَتَحَاتَّ عَنهَا وَرَقُهَا؛ إِلَّا تَحَاتَت عَنهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَحَاتُّ عَن هَذِهِ الشَّجَرَةِ وَرَقُهَا، وَإِنَّ اقتِصَادًا فِي سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ خَيرٌ مِنَ اجتِهَادٍ فِي خِلَافِ سَبِيلِ الله وَسُنَّتِهِ. فَانظُرُوا أَعمَالَكُم فَإِنْ كَانَتِ اجتِهَادًا أَو اقتِصَادًا أَنْ تَكُونَ عَلَىٰ مِنهَاجِ الأَنبِيَاءِ وَسُنَّتِهِم».

وَعَن أَبِي الدَّردَاءِ ﷺ قَالَ: «يَا حَبَّذَا نَومُ الأَكيَاسِ وَإِفطَارُهُم، كَيفَ يُعِيبُونَ سَهَرَ الحَمقَىٰ وَصَومَهُم، وَلَمِثقَالُ ذَرَّةٍ مِن بِرٍّ مَع تَقوَىٰ وَيَقِينٍ أَعظَمُ وَأَفضَلُ وَأَرجَحُ مِن عِبَادَةِ المُغتَرِّينَ».

بَابُ الدُّخُولِ فِي الإِسلَامِ

وَقَولِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

وَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

وَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام:١٥٣].

قَالَ مُجَاهِدٌ: «السُّبُلُ: البِدَعُ وَالشُّبُهَاتُ».

وَعَن عَائِشَةَ ﵂ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَن أَحدَثَ فِي أَمرِنَا هَذَا مَا لَيسَ مِنهُ فَهُو رَدٌّ». أَخرَجَاهُ. [البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)].

وَفِي لَفظٍ: «مَن عَمِلَ عَمَلًا لَيسَ عَلَيهِ أَمرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».[مسلم (١٧١٨)].

وَلِلبُخَارِيِّ عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَن أَبَىٰ.

قِيلَ: وَمَن يَأبَىٰ؟! قَالَ: مَن أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن عَصَانِي فَقَد أَبَىٰ». [البخاري (٧٢٨٠)].

وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَبغَضُ النَّاسِ إِلَىٰ اللهِ ثَلاثَةٌ: مُلحِدٌ فِي الحَرَمِ، وَمُبتَغٍ فِي الإِسلَامِ سُنَّةَ الجَاهِلِيَّةِ، وَمُطَّلِبٌ دَمَ امرِئٍ بِغَيرِ حَقٍّ لِيُهرِيقَ دَمَهُ». رَوَاهُ البُخَارِيُّ. [البخاري (٦٨٨٢)].

قَالَ ابنُ تَيمِيَّةَ: قَولُهُ: «سُنَّةَ الجَاهِلِيَّةِ» يَندَرِجُ فِيهَا كُلُّ جَاهِلِيَّةٍ مُطلَقَةٍ أَو مُقَيَّدَةٍ، أَي: فِي شَخصٍ دُونَ شَخصٍ، كِتَابِيَّةٍ، أَو وَثَنِيَّةٍ، أَو غَيرِهِمَا مِن كُلِّ مُخَالِفٍ لِمَا جَاءَ بِهِ المُرسَلُونَ.

وَفِي الصَّحِيحِ عَن حُذَيفَةَ ﷺ قَالَ: «يَا مَعشَرَ القُرَّاءِ، استَقِيمُوا؛ فَقَد سَبَقتُم سَبقًا بَعِيدًا، فَإِن أَخَذتُم يَمِينًا وَشِمَالًا لَقَد ضَلَلتُم ضَلالًا بَعِيدًا». [البخاري (٧٢٨٢)].

وَعَن مُحَمَّدِ بنِ وَضَّاحٍ: أَنَّهُ كَانَ يَدخُلُ المَسجِدَ فَيَقِفُ عَلَىٰ الحِلَقِ فَيَقُولُ... فَذَكَرَهُ، وَقَالَ: أَنبَأَنَا سُفيَانُ بنُ عُيَينَةَ، عَن مُجَالِدٍ، عَنِ الشَّعبِيِّ، عَن مَسرُوقٍ قَالَ: قَالَ عَبدُ اللهِ -يَعنِي: ابنَ مَسعُودٍ-: «لَيسَ عَامٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعدَهُ أَشَرُّ مِنهُ، لا أَقُولُ: عَامٌ أَمطَرُ مِن عَامٍ، وَلا عَامٌ أَخصَبُ مِن عَامٍ، وَلا أَمِيرٌ خَيرٌ مِن أَمِيرٍ؛ لَكِن ذَهَابُ عُلَمَائِكُم وَخِيَارِكُم، ثُمَّ يَحدُثُ أَقوَامٌ يَقِيسُونَ الأُمُورَ بِآرَائِهِم فَيُهدَمُ الإِسلَامُ وَيَنثَلِمُ».

بَابُ تَفسِيرِ الإِسلَامِ

وَقَولِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾ [آل عمران: ٢٠] الآيَةُ.

وَفِي الصَّحِيحِ عَن عُمَرَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الإِسلَامُ: أَن تَشهَدَ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيتَ إِنِ استَطَعتَ إِلَيهِ سَبِيلًا». [مسلم (٨)].

وَفِيهِ عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ مَرفُوعًا: «المُسلِمُ مَن سَلِمَ المُسلِمُونَ مِن لِسَانِهِ وَيَدِهِ». [البخاري (١٠)، ومسلم (٤٠)].

وَعَن بَهزِ بنِ حَكِيمٍ، عَن أَبِيهِ، عَن جَدِّهِ أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الإِسلَامِ فَقَالَ: «أَن يُسلِمَ قَلبُكَ للهِ، وَأَن تُوَلِّيَ وَجهَكَ إِلَىٰ اللهِ، وَأَن تُصَلِّيَ الصَّلَاةَ المَكتُوبَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفرُوضَةَ». رَوَاهُ أَحمَدُ. [حسنه الألباني فِي تحقيقه لكتاب «الإيمان» لابن تيمية].

وَعَن أَبِي قِلَابَةَ، عَن عَمرِو بنِ عَبَسَةَ، عَن رَجُلٍ مِن أَهلِ الشَّامِ، عَن أَبِيهِ أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: مَا الإِسلَامُ؟ قَالَ: «أَن تُسلِمَ قَلبَكَ لله ﷻ، وَيَسلَمَ المُسلِمُونَ مِن لِسَانِكَ وَيَدِكَ.

قَالَ: أَيُّ الإِسلَامِ أَفضَلُ؟ قَالَ: الإِيمَانُ.

قَالَ: وَمَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: أَن تُؤمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالبَعثِ بَعدَ المَوتِ».

[قال الألباني فِي تحقيق كتاب «الإيمان» لابن تيمية: صحيح بشواهده].

بَابُ

قَولِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَجِيءُ الأَعمَالُ يَومَ القِيَامَةِ: فَتَجِيءُ الصَّلَاةُ فَتَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَا الصَّلَاةُ، فَيَقُولُ: إِنَّكِ عَلَىٰ خَيرٍ، ثُمَّ تَجِيءُ الصَّدَقَةُ فَتَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَا الصَّدَقَةُ، فَيَقُولُ: إِنَّكِ عَلَىٰ خَيرٍ، ثُمَّ يَجِيءُ الصِّيَامُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَا الصِّيَامُ، فَيَقُولُ: إِنَّكَ عَلَىٰ خَيرٍ، ثُمَّ تَجِيءُ الأَعمَالُ عَلَىٰ ذَلِكَ فَيَقُولُ: إِنَّكِ عَلَىٰ خَيرٍ، ثُمَّ يَجِيءُ الإِسلَامُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنتَ السَّلَامُ، وَأَنَا الإِسلَامُ فَيَقُولُ: إِنَّكَ عَلَىٰ خَيرٍ، بِكَ اليَومَ آخُذُ وَبِكَ أُعطِي. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]». رَوَاهُ أَحمَدُ. [ضعيف الترغيب (٥٢٢٤)].

وَفِي الصَّحِيحِ عَن عَائِشَةَ ﵂ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَن عَمِلَ عَمَلًا لَيسَ عَلَيهِ أَمرُنَا فَهُوَ رَدٌّ». رَوَاهُ أَحمَدُ. [مسلم (١٧١٨)].

بَابُ وجُوبِ الاستِغنَاءِ بِمُتَابَعتِهِ ﷺ عَن كُلِّ مَا سِوَاهُ

وَقَولِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل:٨٩].

رَوَىٰ النَّسَائِيُّ وَغَيرُهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ رَأَىٰ فِي يَدِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ وَرَقَةً مِنَ التَّورَاةِ فَقَالَ: «أَمُتَهَوِّكُونَ يَا ابنَ الخَطَّابِ؟! لَقَد جِئتُكُم بِهَا بَيضَاءَ نَقِيَّةً، لَو كَانَ مُوسَىٰ حَيًّا وَاتَّبَعتُمُوهُ وَتَرَكتُمُونِي ضَلَلتُم».

وَفِي رِوَايَةٍ: «لَو كَانَ مُوسَىٰ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلا اتِّبَاعِي.

فَقَالَ عُمَرُ: رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا». [حسن، الإرواء (١٥٨٩)].

بَابُ مَا جَاءَ فِي الخُرُوجِ عَن دَعوَى الإِسلامِ

وَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾ [الحج:٧٨].

عَنِ الحَارِثِ الأَشعَرِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «آمُرُكُم بِخَمسٍ، اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: السَّمعِ، وَالطَّاعَةِ، وَالجِهَادِ، وَالهِجرَةِ، وَالجَمَاعَةِ، فَإِنَّهُ مَن خَالَفَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبرٍ فَقَد خَلَعَ رِبقَةَ الإِسلَامِ مِن عُنُقِهِ إِلَّا أَن يَرجِعَ، وَمَن دَعَا بِدَعوَىٰ الجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِن جُثَا جَهَنَّمَ.

فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِن صَلَّىٰ وَصَامَ؟ قَالَ: وَإِن صَلَّىٰ وَصَامَ، فَادعُوا بِدَعوَىٰ اللهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ المُسلِمِينَ المُؤمِنِينَ عِبَادَ اللهِ». رَوَاهُ أَحمَدُ وَالتِّرمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ. [صحيح الجامع (١٧٢٤)].

وَفِي الصَّحِيحِ: «مَن فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبرٍ فَمَاتَ فَمِيتَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ». [البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩)].

وَفِيهِ: «أَبِدَعوَىٰ الجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَينَ أَظهُرِكُم؟!». [البخاري (٣٥١٨)، ومسلم (٢٥٨٤)].

وَقَالَ أَبُو العَبَّاسِ: «كُلُّ مَا خَرَجَ عَن دَعوَىٰ الإِسلَامِ وَالقُرآنِ مِن نَسَبٍ أَو بَلَدٍ أَو جِنسٍ أَو مَذهَبٍ أَو طَرِيقَةٍ فَهُوَ مِن عَزَاءِ الجَاهِلِيَّةِ، بَل لَمَّا اختَصَمَ مُهَاجِرِيٌّ وَأَنصَارِيٌّ فَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لَلمُهَاجِرِينَ! وَقَالَ الأَنصَارِيُّ: يَا لَلأَنصَارِ!

قَالَﷺ: أَبِدَعوَىٰ الجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَينَ أَظهُرِكُم؟! وَغَضِبَ لِذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا».

بَابُ وجُوبِ الدُّخُولِ فِي الإِسلامِ كُلِّهِ وَتَركِ مَا سِوَاهُ

وَقَولِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً ﴾ [البقرة:٢٠٨].

وَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ ﴾ [النساء:٦٠].

وَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي قَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران:١٠٦]: «تَبيَضُّ وُجُوهُ أَهلِ السُّنَّةِ وَالائتِلافِ، وَتَسوَدُّ وُجُوهُ أَهلِ البِدَعِ وَالاختِلافِ».

عَن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَىٰ أُمَّتِي مَا أَتَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسرَائِيلَ حَذوَ النَّعلِ بِالنَّعلِ، [حَتَّىٰ إِن كَانَ مِنهُم مَن أَتَىٰ أُمَّهُ عَلانِيَةً كَانَ فِي أُمَّتِي مَن يَصنَعُ ذَلِكَ]، وَإِنَّ بَنِي إِسرَائِيلَ تَفَرَّقَت عَلَىٰ ثِنتَينِ وَسَبعِينَ مِلَّةً» وَتَمَامُ الحَدِيثِ قَوله: «وَتَفتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَىٰ ثَلاثٍ وَسَبعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُم فِي النَّارِ إِلا مِلَّةً وَاحِدَةً. قَالُوا: مَن هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيهِ وَأَصحَابِي» رَوَاه التِّرمِذِيُّ. [صحيح الجامع (٥٣٤٣)، وما بين المعقوفين ضعيف].

فَليَتَأَمَّلِ المُؤمِنُ الَّذِي يَرجُو لِقَاءَ اللهِ كَلامَ الصَّادِقِ المَصدُوقِ فِي هَذَا المَقَامِ، خُصُوصًا قَولَهُ: «مَا أَنَا عَلَيهِ وَأَصحَابِي».

يَا لِهَذِهِ المَوعِظَةِ لَو وَافَقَت مِنَ القُلُوبِ حَيَاةً!

وَرَوَاهُ أَيضًا مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ وَصَحَّحَهُ؛ وَلَكِن لَيسَ فِيهِ ذِكرُ النَّارِ، وَهُو فِي حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ عِندَ أَحمَدَ وَأَبِي دَاودَ، وَفِيهِ: «إِنَّهُ سَيَخرُجُ مِن أُمَّتِي قَومٌ تَتَجَارَىٰ بِهِم تِلكَ الأَهوَاءُ كَمَا يَتَجَارَىٰ الكَلَبُ بِصَاحِبِهِ، فَلا يَبقَىٰ مِنهُ عِرقٌ وَلا مِفصَلٌ إِلَّا دَخَلَهُ». [صحيح الجامع (٢٦٤١)].

وَقَد تَقَدَّمَ قَولُهُ: «وَمُبتَغٍ فِي الإِسلَامِ سُنَّةَ الجَاهِلِيَّةِ». [البخاري (٦٨٨٢)].

بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ البِدعَةَ أَشَدُّ مِنَ الكَبَائِرِ

لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨].

وَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

وَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [النحل:٢٥].

وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ ﷺ قَالَ فِي الخَوارِجِ: «أَينَمَا لَقِيتُمُوهُم فَاقتُلُوهُم». [البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦)].

وَفِيهِ أَنَّهُ ﷺ نَهَىٰ عَن قَتلِ أُمَرَاءِ الجَورِ مَا صَلَّوا. [مسلم (١٨٥٤)].

وَعَن جَرِيرِ بنِ عَبدِ اللهِ ﷺ أَنَّ رَجُلًا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ فَقَالَ ﷺ: «مَن سَنَّ فِي الإِسلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجرُهَا وَأَجرُ مَن عَمِلَ بِهَا مِن بَعدِهِ مِن غَيرِ أَن يَنقُصَ مِن أُجُورِهِم شَيءٌ، وَمَن سَنَّ فِي الإِسلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيهِ وِزرُهَا وَوِزرُ مَن عَمِلَ بِهَا مِن غَيرِ أَن يَنقُصَ مِن أَوزَارِهِم شَيءٌ». رَوَاهُ مُسلِمٌ. [مسلم (١٠١٧)].

وَلَهُ مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ، وَلَفظُهُ: «مَن دَعَا إِلَىٰ هُدًىٰ...». ثُمَّ قَالَ: «مَن دَعَا إِلَىٰ ضَلَالَةٍ...». [مسلم (٢٦٧٤)].

بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ اللَّهَ احتَجَزَ التَّوبَةَ عَلَى صَاحِبِ البِدعَةِ

هَذَا مَروِيٌّ مِن حَدِيثِ أَنَسٍ وَمِن مَرَاسِيلِ الحَسَنِ. [الصحيحة (١٦٢٠)].

وَذَكَرَ ابنُ وَضَّاحٍ عَن أَيُّوبَ قَالَ: كَانَ عِندَنَا رَجُلٌ يَرَىٰ رَأيًا فَتَرَكَهُ فَأَتَيتُ مُحَمَّدَ بنَ سِيرِينَ فَقُلتُ: أَشَعَرتَ أَنَّ فُلانًا تَرَكَ رَأيَهُ؟ قَالَ: انظُر إِلَىٰ مَاذَا يَتَحَوَّلُ؛ إِنَّ آخِرَ الحَدِيثِ أَشَدُّ عَلَيهِم مِن أَوَّلِهِ: «يَمرُقُونَ مِنَ الإِسلَامِ، ثُمَّ لا يَعُودُونَ إِلَيهِ». [البخاري (٧٥٦٢)].

وَسُئِلَ أَحمَدُ بنُ حَنبَلٍ عَن مَعنَىٰ ذَلِكَ؛ فَقَالَ: لا يُوَفَّقُ لِلتَّوبَةِ.

بَابٌ

قَولِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ إِلَىٰ قَولِهِ: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران:٦٥-٦٧]. وَقَولِهِ: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [البقرة:١٣٠].

وَفِيهِ حَدِيثُ الخَوَارِجِ، وَقَد تَقَدَّمَ.

وَفِيهِ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «إِنَّ آلَ أَبِي فُلَانٍ لَيسُوا لِي بِأَولِيَاءَ؛ إِنَّمَا أَولِيَائِي المُتَّقُونَ». [البخاري (٥٩٩٠)، ومسلم (٢١٥)].

وَفِيهِ أَيضًا عَن أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذُكِرَ لَهُ أَنَّ بَعضَ الصَّحَابَةِ قَالَ: أَمَّا أَنَا فَلا آكُلُ اللَّحمَ، وَقَالَ آخَرُ: أَمَّا أَنَا فَأَقُومُ وَلا أَنَامُ، وَقَالَ آخَرُ: أَمَّا أَنَا فَلا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ آخَرُ: أَمَّا أَنَا فَأَصُومُ وَلا أُفطِرُ.

فَقَالَ ﷺ: «لَكِنِّي أَقُومُ وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَآكُلُ اللَّحمَ؛ فَمَن رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيسَ مِنِّي». [البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)].

فَتَأَمَّل إِذَا كَانَ بَعضُ الصَّحَابَةِ لَمَّا أَرَادُوا التَّبَتُّلَ لِلعِبَادَةِ قِيلَ فِيه هَذَا الكَلَامُ الغَلِيظُ وَسُمِّيَ فِعلُهُ رُغُوبًا عَنِ السُّنَّةِ، فَمَا ظَنُّكَ بِغَيرِ هَذَا مِنَ البِدَعِ وَمَا ظَنُّكَ بِغَيرِ الصَّحَابَةِ؟!!

بَابٌ

قَولِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم:٣٠].

وَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٢].

وَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل:١٢٣].

وَعَنِ ابنِ مَسعُودٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ وِلاةً مِنَ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ وَلِيِّيَ أَبِي إِبراهِيمُ وَخَلِيلُ رَبِّي. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]». رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ. [صحيح الجامع (٢١٥٨)].

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لا يَنظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُم وَأَموَالِكُم؛ وَلَكِن يَنظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُم وَأَعمَالِكُم». [مسلم (٢٥٦٤)].

وَلَهُمَا عَنِ ابنِ مَسعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا فَرَطُكُم عَلَىٰ الحَوضِ، وَلَيُرفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالٌ مِنكُم حَتَّىٰ إِذَا أَهوَيتُ لأُنَاوِلَهُمُ اختُلِجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَي رَبِّ، أَصحَابِي! يَقُولُ: إِنَّكَ لا تَدرِي مَا أَحدَثُوا بَعدَكَ». [البخاري (٧٠٤٩)، ومسلم (٢٢٩٧)].

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «وَدِدتُ أَنَّا قَد رَأَينَا إِخوَانَنَا». قَالُوا: أَوَلَسنَا إِخوَانَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟!

قَالَ: أَنتُم أَصحَابِي، وَإِخوَانُنَا هُمُ الَّذِينَ لَم يَأتُوا بَعدُ.

قَالُوا: فَكَيفَ تَعرِفُ مَن لَم يَأتِ بَعدُ مِن أُمَّتِك يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: أَرَأَيتَ لَو أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَينَ ظَهرَي خَيلٍ دُهمٍ بُهمٍ أَلا يَعرِفُ خَيلَهُ؟

قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: فَإِنَّهُم يَأتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُم عَلَىٰ الحَوضِ، أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَن حَوضِي كَمَا يُذَادُ البَعِيرُ الضَّالُّ؛ فَأُنَادِيهِم: أَلَا هَلُمَّ، فَيُقَالُ: إِنَّهُم بَدَّلُوا بَعدَكَ، فَأَقُولُ: سُحقًا سُحقًا». [مسلم (٢٤٩)].

وَلِلبُخَارِيِّ: «بَينَمَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمرَةٌ، حَتَّىٰ إِذَا عَرَفتُهُم خَرَجَ رَجُلٌ مِن بَينِي وَبَينِهِم فَقَالَ: هَلُمَّ، فَقُلتُ: أَينَ؟ قَالَ: إِلَىٰ النَّارِ. قُلتُ: وَمَا شَأنُهُم؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارتَدُّوا بَعدَكَ عَلَىٰ أَدبَارِهِمُ القَهقَرَىٰ، ثُمَّ إِذَا زُمرَةٌ ...». فَذَكَرَ مِثلَهُ... قَالَ: «فَلا أُرَاهُ يَخلُصُ مِنهُم إِلَّا مِثلُ هَمَلِ النَّعَمِ». [البخاري (٦٥٨٧)].

وَلَهُمَا مِن حَدِيثِ ابنِ عَبَّاسٍ ﷺ: «فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ

عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة:١١٧]». [البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠)].

وَلهُمَا عَنهُ مَرفُوعًا: «مَا مِن مَولُودٍ يُولَدُ إلَّا يُولَدُ عَلَىٰ الفِطرَةِ، فَأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِه، أَو يُنَصِّرَانِهِ، أَو يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمعَاءَ هَل تُحِسُّون فِيهَا مِن جَدعَاءَ حَتَّىٰ تَكُونُوا أَنتُم تَجدَعُونَهَا». ثُمَّ قَرَأَ أَبُو هُرَيرَةَ ﷺ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ. [البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨)].

وَعَن حُذَيفَةَ ﷺ قَالَ: «كَانَ النَّاسُ يَسألُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الخَيرِ، وَكُنْتُ أَسألُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَن يُدرِكَنِي، فَقُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءنَا اللهُ بِهَذَا الخَيرِ، فَهَل بَعدَ هَذَا الخَيرِ مِن شَرٍّ؟

قَالَ: نَعَم.

فَقُلتُ: وَهَل بَعدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِن خَيرٍ؟

قَالَ: نَعَم، وَفِيهِ دَخَنٌ.

قُلتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟

قَالَ: قَومٌ يَستَنُّونَ بِغَيرِ سُنَّتِي وَيَهتَدُونَ بِغَيرِ هَديِي، تَعرِفُ مِنهُم وَتُنكِرُ.

قُلتُ: فَهَل بَعدَ ذَلِكَ الخَيرِ مِن شَرٍّ؟

قَالَ: نَعَم، فِتنَةٌ عَميَاءُ، وَدُعَاةٌ عَلَىٰ أَبوَابِ جَهَنَّمَ مَن أَجَابَهُم إِلَيهَا قَذَفُوهُ فِيهَا.

قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفهُم لَنَا؟

فَقَالَ: هُم مِن جِلدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِألسِنَتِنَا.

قُلتُ: فَمَا تَأمُرُنِي إِن أَدرَكَنِي ذَلِكَ؟

قَالَ: تَلزَمُ جَمَاعَةَ المُسلِمِينَ وَإِمَامَهُم.

قُلتُ: فَإِن لَم يَكُن لَهُم جَمَاعَةٌ وَلا إِمَامٌ؟

قَالَ: فَاعتَزِل تِلكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَو أَن تَعَضَّ عَلَىٰ أَصلِ شَجَرَةٍ حَتَّىٰ يُدرِكَكَ المَوتُ وَأَنتَ عَلَىٰ ذَلِكَ». أَخرَجَاهُ. [البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧)].

وَزَادَ أَبُو دَاود: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «يَخرُجُ الدَّجَّالُ مَعَهُ نَهرٌ وَنَارٌ، فَمَن وَقَعَ فِي نَارِه؛ وَجَبَ أَجرُهُ وَحُطَّ عَنهُ وِزرُهُ، وَمَن وَقَعَ فِي نَهرِهِ وَجَبَ وِزرُهُ وَحُطَّ أَجرُهُ.

قَالَ: قُلتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ هِيَ قِيَامُ السَّاعَةِ». [مسلم (٢٩٣٤)].

قَالَ أَبُو العَالِيَةِ: «تَعَلَّمُوا الإِسلَامَ فَإِذَا تَعَلَّمتُمُوهُ فَلا تَرغَبُوا عَنهُ، وَعَلَيكُم بِالصِّرَاطِ المُستَقِيمِ فَإِنَّه الإِسلَامُ، وَلا تَتَحَرَّفُوا عَنِ الصِّرَاطِ يَمِيناً وَلا شِمَالًا، وَعَلِيكُم بِسُنَّةِ نَبِيِّكُم وَإِيَّاكُم وَهَذِهِ الأَهوَاءَ».

تَأَمَّل كَلَامَ أَبِي العَالِيَةِ هَذَا، مَا أَجَلَّهُ! وَاعرِف زَمَانَه الَّذِي يُحَذِّرُ فِيهِ مِنَ الأَهوَاءِ الَّتِي مَنِ اتَّبَعَهَا فَقَد رَغِبَ عَنِ الإِسلَامِ، وَتَفسِيرَ الإِسلَامِ بِالسُّنَّةِ، وَخَوفَه عَلَىٰ أَعلَامِ التَّابِعِينَ وَعُلَمَائِهِم مِنَ الخُرُوجِ عَنِ السُّنَّةِ وَالكِتَابِ، يَتَبَيَّن لَكَ مَعنَىٰ قَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة:١٣١].

وَقَولِهِ: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢].

وَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ [البقرة: ١٣٠].

وَأَشبَاهُ هَذِهِ الأُصُولِ الكِبَارِ الَّتِي هِيَ أَصلُ الأُصُولِ وَالنَّاسُ عَنهَا فِي غَفلَةٍ، وَبِمَعرِفَتِهِ يَتَبيَّنُ مَعنَىٰ الأَحَادِيثِ فِي هَذَا البَابِ وَأَمثَالِهَا، وَأَمَّا الإِنسَانُ الَّذِي يَقرَؤُهَا وَأَشبَاهَهَا وَهُوَ آمِنٌ مُطمَئِنٌّ أَنَّهَا لا تَنَالُهُ، وَيَظُنُّهَا فِي قَومٍ كَانُوا فَبَادُوا: ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩].

وَعَنِ ابنِ مَسعُودٍ ﷺ قَالَ: «خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللهِ، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَن يَمِينِه وَعَن شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ سُبُلٌ مُتَفَرِّقَةٌ عَلَىٰ كُلِّ سَبِيلٍ مِنهَا شَيطَانٌ يَدعُو إِلَيهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]». رَوَاهُ أَحمَدُ وَالنَّسَائِيُّ. [حسن، المشكاة (١٦٦)].

بَابُ مَا جَاءَ فِي غُربَةِ الإِسلامِ وَفَضلِ الغُرَبَاءِ

وَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ﴾ [هود:١١٦] الآيَةَ.

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ مَرفُوعًا: «بَدَأَ الإِسلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ فَطُوبَىٰ لِلغُرَبَاءِ». رَوَاهُ مُسلِمٌ. [مسلم (١٤٥)].

وَرَوَاهُ أَحمَدُ مِن حَدِيثِ ابنِ مَسعُودٍ ﷺ، وَفِيهِ: قِيلَ: مَنِ الغُرَبَاءُ؟ قَالَ: «النُّزَّاعُ مِنَ القَبَائِلِ». [ضعيف ابن ماجه (٨٦٢)].

وَفِي رِوَايَةٍ: «الَّذِينَ يَصلُحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ». [الصحيحة (١٢٧٣)].

وَرَوَاهُ أَحمَدُ مِن حَدِيثِ سَعدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَفِيهِ: «فَطُوبَىٰ يَومَئِذٍ لِلغُرَبَاء إِذَا فَسَدَ النَّاسُ».

وَلِلتِّرمِذِيِّ مِن حَدِيثِ كَثِيرِ بنِ عَبدِ اللهِ، عَن أَبِيهِ، عَن جَدِّهِ: «فَطُوبَىٰ لِلغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصلِحُونَ مَا أَفسَدَ النَّاسُ مِن سُنَّتِي». [ضعيف الجامع (١٤٤١)].

وَعَن أَبِي أُمَيَّةَ قَالَ: سَأَلتُ أَبَا ثَعلَبَةَ الخُشَنِيَّ ﷺ: كَيفَ تَقُولُ فِي هَذِهِ الآيَةِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥].

قَالَ: أَمَا وَاللهِ لَقَد سَأَلتَ عَنهَا خَبِيرًا؛ سَأَلتُ عَنهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «بَلِ ائتَمِرُوا بِالمَعرُوفِ وَتَنَاهَوا عَنِ المُنكَرِ حَتَّىٰ إِذَا رَأَيتُم شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًىٰ مُتَّبَعًا، وَدُنيَا مُؤثَرَةً، وَإِعجَابَ كُلِّ ذِي رَأيٍ بِرَأيِهِ، فَعَلَيكَ بِنَفسِكَ، وَدَع عَنكَ العَوَامَّ، فَإِنَّ مِن وَرَائِكُم أَيَّامًا الصَّبرُ فِيهِنَّ مِثلُ القَبضِ عَلَىٰ الجَمرِ، لِلعَامِلِ فِيهِنَّ مِثلُ أَجرِ خَمسِينَ رَجُلًا يَعمَلُونَ مِثلَ عَمَلِكُم.

قِيلَ: مِنَّا أَم مِنهُم؟ قَالَ: «بَل مِنكُم». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ وَالتِّرمِذِيُّ. [ضعيف الجامع (٢٣٤٤)].

وَرَوَىٰ ابنُ وَضَّاحٍ مَعنَاهُ مِن حَدِيثِ ابنِ عُمَرَ ﷺ وَلَفظُهُ: «إِنَّ مِن بَعدِكُم أَيَّامًا لِلصَّابِرِ فِيهَا المُتَمَسِّكِ بِمِثلِ مَا أَنتُم عَلَيهِ اليَومَ لَهُ أَجرُ خَمسِينَ مِنكُم».

ثُمَّ قَالَ: أَنبَأَنَا مُحَمَّدُ بنُ سَعِيدٍ: أَنبَأَنَا أَسَدٌ قَالَ: أَنبَأَنَا سُفيَانُ بنُ عُيَينَةَ، عَن أَسلَمَ

البَصرِيِّ، عَن سَعِيدِ بن أَبِي الحَسَنِ قَالَ: قُلتُ لِسُفيَانَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَالَ: نَعَم. قَالَ: «إِنَّكُم اليَومَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِن رَبِّكُم، تَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَتَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ، وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَم يَظهَر فِيكُم السَّكرَتَانِ: سَكرَةُ الجَهلِ، وَسَكرَةُ حُبِّ العَيشِ، وَسَتُحَوَّلُونَ عَن ذَلِكَ؛ فَالمُتَمَسِّكُ يَومَئِذٍ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَهُ أَجرُ خَمسِينَ». قِيلَ: مِنهُم، قَالَ: «بَل مِنكُم».

وَلَهُ بِإِسنَادٍ عَنِ المُعَافِرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «طُوبَىٰ لِلغُرَبَاءِ، الَّذِينَ يَتَمَسَّكُونَ بِكِتَابِ اللهِ حِينَ يُترَكُ، وَيعمَلُونَ بِسُنَّتِي يَومَ تُترَكُ».

بَابُ التَّحذِيرِ مِنَ البِدَعِ

عَنِ العِربَاضِ بنِ سَارِيَةَ ﵁ قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوعِظَةً بَلِيغَةً وَجِلَت مِنهَا القُلُوبُ وَذَرَفَت مِنهَا العُيُونُ، قُلنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّهَا مَوعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعهَدُ إِلَينَا، قَالَ: «أُوصِيكُم بِتَقوَىٰ اللهِ ﷻ، وَالسَّمعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِن تَأَمَّرَ عَلَيكُم عَبدٌ، فَإِنَّهُ مَن يَعِش مِنكُم فَسَيَرَىٰ اختِلافًا كَثِيرًا؛ فَعَلَيكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهدِيِّينَ مِن بَعدِي، عَضُّوا عَلَيهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُم وَمُحدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ». قَالَ التِّرمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. [صحيح الجامع (٢٥٤٩)].

وَعَن حُذَيفَةَ ﵁ قَالَ: «كُلُّ عِبَادَةٍ لَا يَتَعَبَّدُهَا أَصحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ فَلَا تَعَبَّدُوهَا؛ فَإِنَّ الأَوَّلَ لَم يَدَع لِلآخِرِ مَقَالًا، فَاتَّقُوا اللهَ يَا مَعشَرَ القُرَّاءِ، وَخُذُوا طَرِيقَ مَن كَانَ قَبلَكُم». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ.

وَقَالَ الدَّارِمِيُّ: أَخبَرَنَا الحَكَمُ بنُ المُبَارَكِ: أَنبَأَنَا عَمرُو بنُ يَحيَىٰ قَالَ: سَمِعتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَن أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا نَجلِسُ عَلَىٰ بَابِ عَبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ ﵁ قَبلَ صَلَاةِ الغَدَاةِ، فَإِذَا خَرَجَ مَشَينَا مَعَهُ إِلَىٰ المَسجِدِ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَىٰ الأَشعَرِيُّ ﵁ فَقَالَ: أَخَرَجَ إِلَيكُم أَبُو عَبدِ الرَّحمَنِ بَعدُ؟ قُلنَا: لَا، فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّىٰ خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ قُمنَا إِلَيهِ جَمِيعًا فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَىٰ: يَا أَبَا عَبدِ الرَّحمَنِ، إِنِّي رَأَيتُ آنِفًا فِي المَسجِدِ أَمرًا أَنكَرتُهُ وَلَم أَرَ -وَالحَمدُ للهِ-

إلَّا خيرًا، قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: إن عِشتَ فَسَتَرَاهُ..قَالَ: رَأيتُ فِي المَسجِدِ قَومًا حِلَقًا جُلوسًا يَنتَظِرونَ الصَّلاةَ، فِي كُلِّ حَلقَةٍ رَجُلٌ وَفِي أيدِيهِم حَصًىٰ، فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِائَةً، فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: هَلِّلُوا مِائَةً، فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِائَةً، فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً.

قَالَ: فَمَاذَا قُلتَ لَهُم؟ قَالَ: مَا قُلتُ لَهُم شَيئًا انتِظَارَ أمرِكَ أو انتِظَارَ رَأيكَ. قَالَ: أفَلا أمَرتَهُم أن يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِم وَضَمِنتَ لَهُمُ ألَّا يَضِيعَ مِن حَسَنَاتِهِم شَيءٌ؟ ثُمَّ مَضَىٰ وَمَضَينَا مَعَهُ حَتَّىٰ أتَىٰ حَلقَةً مِن تِلكَ الحِلَقِ.

فَوَقَفَ عَلَيهِم فَقَالَ: مَا هَذَا الذِي أرَاكُم تَصنَعُونَ؟ قَالُوا: يَا أبَا عَبدِ الرَّحمَنِ حَصًىٰ نَعُدُّ بِهِ التَّكبِيرَ وَالتَّهلِيلَ وَالتَّسبيحَ، قَالَ: فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُم فَأنَا ضَامِنٌ ألَّا يَضِيعَ مِن حَسَنَاتِكُم شَيءٌ، وَيحَكُم يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ! مَا أسرَعَ هَلَكَتَكُم، هَؤلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُم ﷺ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَم تَبلَ، وَآنِيَتُهُ لَم تُكسَر، وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ إنَّكُم لَعَلَىٰ مِلَّةٍ هِيَ أهدَىٰ مِن مِلَّةِ مُحَمَّدٍ أو مُفتَتِحُو بَابَ ضَلَالَةٍ.

قَالُوا: وَالله يَا أبَا عَبدِ الرَّحمَنِ مَا أرَدنَا إلَّا الخَيرَ.

قَالَ: وَكَم مِن مُرِيدٍ لِلخَيرِ لَن يُصِيبَهُ، إنَّ رَسُولَ الله ﷺ حَدَّثَنَا أنَّ قَومًا يَقرَءونَ القُرآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُم، وَايمُ الله مَا أدرِي لَعَلَّ أكثَرَهُم مِنكُم، ثُمَّ تَوَلَّىٰ عَنهُم.

فَقَالَ عَمرُو بنُ سَلِمَةَ ﷺ: رَأينَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الخَلقِ يُطَاعِنُونَنَا يَومَ النَّهرَوَانِ مَعَ الخَوَارِجِ. [الصحيحة (٢٠٠٥)].

وَالله المُستَعَانُ وَعَلَيهِ التُّكلَانُ.

وَصَلَّىٰ الله وَسَلَّمَ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحبِهِ أجمَعِينَ.

❋ ❋ ❋

(٣٢) الوَاجِبَاتُ الْمُتَحَتِّمَاتُ الْمَعرِفَةِ عَلَىٰ كُلِّ مُسلِمٍ وَمُسلِمَةٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الأُصُولُ الثَّلاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُسلِمٍ وَمُسلِمَةٍ تَعَلُّمُهَا:

وَهِيَ: مَعرِفَةُ العَبدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَن رَبُّكَ؟ فَقُل: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي وَرَبَّىٰ جَمِيعَ العَالَمِينَ بِنِعمَتِهِ، وَهُوَ مَعبُودِي لَيسَ لِي مَعبُودٌ سِوَاهُ.

وَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا دِينُكَ؟ فَقُل: دِينِي الإِسلَامُ، وَهُوَ: الاستِسلَامُ للهِ بِالتَّوحِيدِ، وَالانقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالبَرَاءَةُ مِنَ الشِّركِ وَأَهلِهِ.

وَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَن نَبِيُّكَ؟ فَقُل: مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ اللهِ بنِ عَبدِ المُطَّلِبِ بنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِن قُرَيشٍ، وَقُرَيشٌ مِنَ العَرَبِ، وَالعَرَبُ مِن ذُرِّيَّةِ إِسمَاعِيلَ بنِ إِبرَاهِيمَ الخَلِيلِ -عَلَيهِمَا وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا أَفضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسلِيمِ-.

أَصلُ الدِّينِ وَقَاعِدَتُه أَمرَانِ:

الأَوَّلُ: الأَمرُ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالتَّحرِيضُ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَالمُوَالَاةُ فِيهِ، وَتَكفِيرُ مَن تَرَكَهُ.

الثَّانِي: الإِنذَارُ عَنِ الشِّركِ فِي عِبَادَةِ اللهِ وَالتَّغلِيظُ فِي ذَلِكَ، وَالمُعَادَاةُ فِيهِ وَتَكفِيرُ مَن فَعَلَهُ.

شُرُوطُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ:

الأَوَّلُ: العِلمُ بِمَعنَاهَا نَفيًا وَإِثبَاتًا.

الثَّانِي: اليَقِينُ: وَهُوَ كَمَالُ العِلمِ بِهَا المُنَافِي لِلشَّكِّ وَالرَّيبِ.

الثَّالِثُ: الإِخلَاصُ: المُنَافِي لِلشِّركِ.

الرَّابِعُ: الصِّدقُ: المُنَافِي لِلكَذِبِ، المَانِعُ مِن النِّفَاقِ.

الخَامِسُ: المَحَبَّةُ لِهَذِهِ الكَلِمَةِ وَلِمَا دَلَّت عَلَيهِ، وَالسُّرُورُ بِذَلِكَ.

السَّادِسُ: الانقِيَادُ بِحُقُوقِهَا، وَهِيَ الأَعمَالُ الوَاجِبَةُ إِخلَاصًا للهِ وَطَلَبًا لِمَرضَاتِهِ.

السَّابِعُ: القَبُولُ المُنَافِي لِلرَّدِّ.

أَدِلَّةُ هَذِهِ الشُّرُوطِ مِن كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ وَمِن سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ:

دَلِيلُ العِلمِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [مُحَمَّد:١٩].

وَقَولُهُ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف:٨٦]؛ أي بـ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ بِقُلُوبِهِم مَا نَطَقُوا بِهِ بِأَلسِنَتِهِم.

وَمِنَ السُّنَّةِ: الحَدِيثُ الثَّابِتُ فِي الصَّحِيحِ عَن عُثمَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن مَاتَ وَهُوَ يَعلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ» [مسلم (٢٦)].

وَدَلِيلُ اليَقِينِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات:١٥]. فَاشتَرَطَ فِي صِدقِ إِيمَانِهِم بِاللهِ وَرَسُولِهِ كَونَهُم لَم يَرتَابُوا؛ أَي: لَم يَشُكُّوا، فَأَمَّا المُرتَابُ فَهُوَ مِنَ المُنَافِقِينَ.

وَمِنَ السُّنَّةِ: الحَدِيثُ الثَّابِتُ فِي الصَّحِيحِ عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلقَىٰ اللهَ بِهِمَا عَبدٌ غَيرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا يَلقَىٰ اللهَ بِهِمَا عَبدٌ غَيرَ شَاكٍّ فِيهِمَا فَيُحجَبُ عَنِ الجَنَّةِ». [مسلم (٢٧)].

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ أَيضًا مِن حَدِيثٍ طَوِيلٍ: «مَن لَقِيتَ مِن وَرَاءِ هَذَا الحَائِطِ يَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُستَيقِنًا بِهَا قَلبُهُ فَبَشِّرهُ بِالجَنَّةِ». [مسلم (٣١)].

وَدَلِيلُ الإِخلَاصِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ ﴾ [الزمر:٣].

وَقولُهُ سُبحَانَهُ: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة:٥].

وَمِنَ السُّنَّةِ: الحَدِيثُ الثَّابِتُ فِي الصَّحِيحِ عَن أَبِي هُرَيرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَسعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَن قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِن قَلبِهِ أَو نَفسِهِ» [البخاري (٩٩)].

وَفِي الصَّحِيحِ عَن عِتبَانَ بنِ مَالِكٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَن قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبتَغِي بِذَلِكَ وَجهَ اللهِ ﷻ». [البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣)].

وَلِلنَّسَائِيِّ فِي اليَومِ وَاللَّيلَةِ مِن حَدِيثِ رَجُلَينِ مِنَ الصَّحَابَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَن قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلكُ وَلَهُ الحَمدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، مُخلِصًا بِهَا قَلبُهُ، يُصَدِّقُ بِهَا لِسَانُهُ إِلَّا فَتَقَ اللهُ لَهَا السَّمَاءَ فَتقًا، حَتَّىٰ يَنظُرَ إِلَىٰ قَائِلِهَا مِن أَهلِ الأَرضِ، وَحُقَّ لِعَبدٍ نَظَرَ اللهُ إِلَيهِ أَن يُعطِيَهُ سُؤلَهُ» [ضعيف الترغيب (٩٣٢)].

وَدَلِيلُ الصِّدقِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت:١-٣].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴾ [البقرة:٨-١٠].

وَمِنَ السُّنَّةِ: مَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَينِ عَن مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَا مِن أَحَدٍ يَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ صَادِقًا مِن قَلبِهِ؛ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ» [البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢)].

وَدَلِيلُ المَحَبَّةِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ ﴾ [البقرة:١٦٥].

وَقَولُهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ﴾ [المائدة:٥٤].

وَمِنَ السُّنَّةِ: مَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَن أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ مَن كُنَّ

فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَن يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَن يُحِبَّ المَرءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَن يَكرَهَ أَن يَعُودَ فِي الكُفرِ بَعدَ إِذ أَنقَذَهُ اللهُ مِنهُ كَمَا يَكرَهُ أَن يُقذَفَ فِي النَّارِ» [البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣)].

وَدَلِيلُ الانقِيَادِ: لِمَا دَلَّ عَلَيهِ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ ﴾ [الزمر:٥٤].

وَقَولُهُ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء:١٢٥].

وَقَولُهُ: ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [لقمان: ٢٢]. أَي: بِـ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

وَمِنَ السُّنَّةِ: قَولُهُ ﷺ: «لَا يُؤمِنُ أَحَدُكُم حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئتُ بِهِ» [ضعيف. المشكاة (١٦٧)]. وَهَذَا هُوَ تَمَامُ الانقِيَادِ وَغَايَتُهُ.

وَدَلِيلُ القَبُولِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [الزخرف:٢٣-٢٥]. وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ [الصافات:٣٥-٣٦].

وَمِنَ السُّنَّةِ: مَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَن أَبِي مُوسَىٰ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَىٰ وَالعِلمِ كَمَثَلِ الغَيثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرضًا؛ فَكَانَ مِنهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ المَاءَ فَأَنبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشبَ الكَثِيرَ، وَكَانَت مِنهَا أَجَادِبُ أَمسَكَتِ المَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ مِنهَا طَائِفَةً أُخرَىٰ إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمسِكُ مَاءً وَلَا تُنبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَن فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَن لَم يَرفَع بِذَلِكَ رَأسًا وَلَم يَقبَل هُدَىٰ اللهِ الَّذِي أُرسِلتُ بِهِ» [البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢)].

نَوَاقِضُ الإِسلامِ

اعلَم أَنَّ نَوَاقِضَ الإِسلَامِ عَشَرَةٌ:

الأَوَّلُ: الشِّركُ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَىٰ: قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:١١٦].

وَقَالَ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة:٧٢].

وَمِنهُ: الذَّبحُ لِغَيرِ اللهِ؛ كَمَن يَذبَحُ لِلجِنِّ أَو لِلقَبرِ.

الثَّانِي: مَن جَعَلَ بَينَهُ وَبَينَ اللهِ وَسَائِطَ يَدعُوهُم وَيَسأَلُهُمُ الشَّفَاعَةَ وَيَتَوَكَّلُ عَلَيهِم؛ كَفَرَ إِجمَاعًا.

الثَّالِثُ: مَن لَم يُكَفِّرِ المُشرِكِينَ أَو يَشُكُّ فِي كُفرِهِم أَو صَحَّحَ مَذهَبَهُم؛ كَفَرَ.

الرَّابِعُ: مَنِ اعتَقَدَ أَنَّ غَيرَ هَديِ النَّبِيِّ ﷺ أَكمَلُ مِن هَديِهِ، أَو أَنَّ حُكمَ غَيرِهِ أَحسَنُ مِن حُكمِهِ -كَالَّذِي يُفَضِّلُ حُكمَ الطَّوَاغِيتِ عَلَىٰ حُكمِهِ-؛ فَهُوَ كَافِرٌ.

الخَامِسُ: مَن أَبغَضَ شَيئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَلَو عَمِلَ بِهِ؛ كَفَرَ.

السَّادِسُ: مَنِ استَهزَأَ بِشَيءٍ مِن دِينِ الرَّسُولِ ﷺ أَو ثَوَابِهِ أَو عِقَابِهِ، كَفَرَ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

السَّابِعُ: السِّحرُ: وَمِنهُ الصَّرفُ وَالعَطفُ، فَمَن فَعَلَهُ أَو رَضِيَ بِهِ؛ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [البقرة:١٠٢].

الثَّامِنُ: مُظَاهَرَةُ المُشرِكِينَ وَمُعَاوَنَتُهُم عَلَىٰ المُسلِمِينَ، وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة:٥١].

التَّاسِعُ: مَنِ اعتَقَدَ أَنَّ بَعضَ النَّاسِ يَسَعُهُ الخُرُوجُ عَن شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَمَا وَسِعَ

الخَضِرَ الخُرُوجُ عَن شَرِيعَةِ مُوسَىٰ الطَّيْلاً؛ فَهُوَ كَافِرٌ.

العَاشِرُ: الإِعرَاضُ عَن دِينِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ لَا يَتَعَلَّمُهُ، وَلَا يَعمَلُ بِهِ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢].

وَلَا فَرقَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ النَّوَاقِضِ بَينَ الهَازِلِ وَالجَادِّ وَالخَائِفِ؛ إِلَّا المُكرَهَ.

وَكُلُّهَا مِن أَعظَمِ مَا يَكُونُ خَطَرًا وَأَكثَرُ مَا يَكُونُ وُقُوعًا؛ فَيَنبَغِي لِلمُسلِمِ أَن يَحذَرَهَا وَيَخَافَ مِنهَا عَلَىٰ نَفسِهِ؛ نَعُوذُ بِاللهِ مِن مُوجِبَاتِ غَضَبِهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ.

التَّوحِيدُ ثَلَاثَةُ أَنوَاعٍ:

الأَوَّلُ: تَوحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ: وَهُوَ الَّذِي أَقَرَّ بِهِ الكُفَّارُ عَلَىٰ زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَم يُدخِلهُم فِي الإِسلَامِ وَقَاتَلَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ وَاستَحَلَّ دِمَاءَهُم وَأَموَالَهُم.

وَهُوَ تَوحِيدُ اللهِ بِفِعلِهِ تَعَالَىٰ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس ٣١].

وَالآيَاتُ عَلَىٰ هَذَا كَثِيرَةٌ جِدًّا.

الثَّانِي: تَوحِيدُ الأُلُوهِيَّةِ: وَهُوَ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ النِّزَاعُ فِي قَدِيمِ الدَّهرِ وَحَدِيثِهِ، وَهُوَ تَوحِيدُ اللهِ بِأَفعَالِ العِبَادِ: كَالدُّعَاءِ، وَالنَّذرِ، وَالنَّحرِ، وَالرَّجَاءِ، وَالخَوفِ، وَالتَّوَكُّلِ، وَالرَّغبَةِ، وَالرَّهبَةِ، وَالإِنَابَةِ.

وَكُلُّ نَوعٍ مِن هَذِهِ الأَنوَاعِ عَلَيهِ دَلِيلٌ مِنَ القُرآنِ.

الثَّالِثُ: تَوحِيدُ الذَّاتِ وَالأَسمَاءِ وَالصِّفَاتِ: قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص ١-٤].

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

ضِدُّ التَّوحِيدِ: الشِّركُ:

وَهُوَ ثَلاثَةُ أَنواعٍ: شِركٌ أَكبَرُ، وَشِركٌ أَصغَرُ، وَشِركٌ خَفِيٌّ.

النَّوعُ الأَوَّلُ مِن أَنواعِ الشِّركِ:

الشِّركُ الأَكبَرُ لَا يَغفِرُهُ اللهُ وَلَا يَقبَلُ مَعَهُ عَمَلًا صَالِحًا، قَالَ الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦].

وَقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣].

وَقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨].

وَالشِّركُ الأَكبَرُ أَربَعَةُ أَنواعٍ:

النَّوعُ الأَوَّلُ: شِركُ الدَّعوَةِ:

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت:٦٥].

النَّوعُ الثَّانِي: شِركُ النِّيَّةِ وَالإِرَادَةِ وَالقَصدِ:

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٥-١٦].

النَّوعُ الثَّالِثُ: شِركُ الطَّاعَةِ:

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعالَىٰ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١].

وَتَفسِيرُهَا الَّذِي لَا إِشكَالَ فِيهِ: طَاعَةُ العُلَمَاءِ وَالعُبَّادِ فِي المَعصِيَةِ لَا دُعَاؤُهُم إِيَّاهُم؛ كَمَا فَسَّرَهَا النَّبِيُّ ﷺ لِعَدِيِّ بنِ حَاتِمٍ لَمَّا سَأَلَهُ فَقَالَ: لَسنَا نَعبُدُهُم. فَذَكَرَ لَهُ أَنَّ عِبَادَتَهُم طَاعَتُهُم فِي المَعصِيَةِ. [الصحيحة (٣٢٩٣)].

النَّوعُ الرَّابِعُ: شِركُ المَحَبَّةِ:

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ ﴾ [البقرة:١٦٥].

النَّوعُ الثَّانِي مِن أَنوَاعِ الشِّركِ:

شِركٌ أَصغَرُ: وَهُوَ الرِّيَاءُ، وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ [الكهف:١١٠].

النَّوعُ الثَّالِثُ مِن أَنوَاعِ الشِّركِ:

شِركٌ خَفِيٌّ: وَالدَّلِيلُ عَلَيهِ: قَولُهُ ﷺ: «الشِّركُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ أَخفَىٰ مِن دَبِيبِ النَّملَةِ السَّودَاءِ عَلَىٰ صَفَاةٍ سَودَاءَ فِي ظُلمَةِ اللَّيلِ».

وَكَفَّارَتُهُ قَولُهُ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَن أُشرِكَ بِكَ شَيئًا وَأَنَا أَعلَمُ، وَأَستَغفِرُكَ مِنَ الذَّنبِ الَّذِي لَا أَعلَمُ». [صحيح الجامع (٣٧٣١)].

الكُفرُ كُفرَانِ:

النَّوعُ الأَوَّلُ: كُفرٌ يُخرِجُ عَنِ المِلَّةِ؛ وَهُوَ خَمسَةُ أَنوَاعٍ:

النَّوعُ الأَوَّلُ: كُفرُ التَّكذِيبِ:

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٨].

النَّوعُ الثَّانِي: كُفرُ الإبَاءِ وَالاستِكبَارِ مَعَ التَّصدِيقِ:

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٣٤].

النَّوعُ الثَّالِثُ: كُفرُ الشَّكِّ وَهُوَ كُفرُ الظَّنِّ:

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٣٥-٣٨].

النَّوعُ الرَّابعُ: كُفرُ الإعرَاضِ:

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴾ [الأحقاف:٣].

النَّوعُ الخَامِسُ: كُفرُ النِّفَاقِ:

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون:٣].

النَّوعُ الثَّانِي مِن نوعَي الكُفرِ: وَهُوَ كُفرٌ أصغَرُ لَا يُخرِجُ مِنَ المِلَّةِ، وَهُوَ كُفرُ النِّعمَةِ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعالَىٰ: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل:١١٢].

النِّفَاقُ نَوعَانِ: اعتِقَادِيٌّ وَعَمَلِيٌّ:

النِّفَاقُ الاعتِقَادِيُّ: سِتَّةُ أَنوَاعٍ صَاحِبُهَا مِن أَهلِ الدَّركِ الأَسفَلِ مِنَ النَّارِ:

الأَوَّلُ: تَكذِيبُ الرَّسُولِ ﷺ.

الثَّانِي: تَكذِيبُ بَعضِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ.

الثَّالِثُ: بُغضُ الرَّسُولِ ﷺ.

الرَّابِعُ: بُغضُ بَعضِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ.

الخَامِسُ: المَسَرَّةُ بِانخِفَاضِ دِينِ الرَّسُولِ ﷺ.

السَّادِسُ: الكَرَاهِيَةُ بِانتِصَارِ دِينِ الرَّسُولِ ﷺ.

النِّفَاقُ العَمَلِيُّ:

النِّفَاقُ العَمَلِيُّ خَمسَةُ أَنوَاعٍ:

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ ﷺ: «آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخلَفَ، وَإِذَا اؤتُمِنَ خَانَ» [البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩)].

وَفِي رِوَايَةٍ: «وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ» [البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨)].

مَعنَىٰ الطَّاغُوتِ وَرُءوسُ أَنوَاعِهِ:

اعلَم -رَحِمَكَ الله تَعَالَىٰ-: أَنَّ أَوَّلَ مَا فَرَضَ الله عَلَىٰ ابنِ آدَمَ الكُفرُ بِالطَّاغُوتِ. وَالإِيمَانُ بِاللهِ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

فَأَمَّا صِفَةُ الكُفرِ بِالطَّاغُوتِ: فَأَن تَعتَقِدَ بُطلَانَ عِبَادَةِ غَيرِ اللهِ وَتَترُكَهَا وَتُبغِضَهَا وَتُكَفِّرَ أَهلَهَا وَتُعَادِيَهُم.

وَأَمَّا مَعنَىٰ الإِيمَانِ بِاللهِ: فَأَن تَعتَقِدَ أَنَّ اللهَ هُوَ الإِلَهُ المَعبُودُ وَحدَهُ دُونَ مَن سِوَاهُ. وَتُخلِصَ جَمِيعَ أَنوَاعِ العِبَادَةِ كُلَّهَا للهِ، وَتَنفِيَهَا عَن كُلِّ مَعبُودٍ سِوَاهُ، وَتُحِبَّ أَهلَ الإِخلَاصِ وَتُوَالِيَهُم، وَتُبغِضَ أَهلَ الشِّركِ وَتُعَادِيَهُم.

وَهَذِهِ مِلَّةُ إِبرَاهِيمَ الَّتِي سَفِهَ نَفسَهُ مَن رَغِبَ عَنهَا، وَهَذِهِ هِيَ الأُسوَةُ الَّتِي أَخبَرَ اللهُ بِهِ فِي قَولِهِ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة:٤].

وَالطَّاغُوتُ عَامٌّ؛ فَكُلُّ مَا عُبِدَ مِن دُونِ اللهِ وَرَضِيَ بِالعِبَادَةِ مِن مَعبُودٍ أَو مَتبُوعٍ أَو مُطَاعٍ

فِي غَيرِ طَاعَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ فَهُوَ طَاغُوتٌ.

وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرَةٌ، وَرُءُوسُهُم خَمسَةٌ:

الأَوَّلُ: الشَّيطَانُ الدَّاعِي إِلَىٰ عِبَادَةِ غَيرِ اللهِ:

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يس: ٦٠].

الثَّانِي: الحَاكِمُ الجَائِرُ المُغَيِّرُ لأَحكَامِ اللهِ تَعَالَىٰ:

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ٦٠].

الثَّالِثُ: الَّذِي يَحكُمُ بِغَيرِ مَا أَنزَلَ اللهُ:

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

الرَّابِعُ: الَّذِي يَدَّعِي عِلمَ الغَيبِ مِن دُونِ اللهِ:

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

الخَامِسُ: الَّذِي يُعبَدُ مِن دُونِ اللهِ وَهُوَ رَاضٍ بِالعِبَادَةِ:

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٢٩].

وَاعلَم أَنَّ الإِنسَانَ مَا يَصِيرُ مُؤمِنًا بِالله إِلَّا بِالكُفرِ بِالطَّاغُوتِ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ

وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٥٦].

الرُّشدُ: دِينُ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَالغَيُّ: دِينُ أَبِي جَهلٍ.

وَالعُروَةُ الوُثقَىٰ: شَهَادَةُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

وَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ لِلنَّفيِ وَالإِثبَاتِ.

تَنفِي جَمِيعَ أَنوَاعِ العِبَادَةِ عَن غَيرِ اللهِ، وَتُثبِتُ جَمِيعَ أَنوَاعِ العِبَادَةِ كُلَّهَا للهِ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَالحَمدُ للهِ الَّذِي بِنِعمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ.

* * *

(٣٣) هذه دعوتنا وعقيدتنا

إنَّ الحَمدَ للهِ نَحمَدُهُ، وَنَستَعِينُهُ، وَنَستَغفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنَا وَمِن سَيِّئَاتِ أعمَالِنَا، مَن يَهدِ اللهُ فَهُوَ المُهتَدِي، وَمَن يُضلِل فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشهَدُ أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعدُ:

فَإِنَّهَا لَمَّا كَثُرَتِ العَقَائِدُ المُختَلِفَةُ، وَانتَشَرَت دَعَوَاتٌ شَتَّى، وَصَارَ حَالُ أَصحَابِهَا كَمَا قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون:٥٣]. وَحَالُ أَصحَابِهَا كَمَا قِيلَ:

وكُلٌّ يَدَّعِي وَصلًا لِلَيلَى ... ولَيلَى لا تُقِرُّ لَهُم بِذَاكَا

وَلَا تَجِدُ أَصحَابَ دَعوَةٍ إِلَّا وَهُم يَدَّعُونَ أَنَّهُم عَلَى الصِّرَاطِ المُستَقِيمِ، فَذَلِكُم فِرعَونُ الَّذِي يَقُولُ: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]. يَقُولُ لِقَومِهِ: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر:٢٩].

وَيَقُولُ فِي شَأنِ نَبِيِّ اللهِ مُوسَى ؑ: ﴿ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾ [غافر:٢٦].

وَيقُولُ هُوَ وَقَومُهُ فِي شَأنِ مُوسَىٰ وَهَارُونَ عليهما السلام: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾ [طه:٦٣].

وَيقُولُ تعالى عَن دَعوَىٰ المُنَافِقِينَ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة:١١].

قَالَ اللهُ تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٢-١٣].

وَإِلَيكَ مِثالًا: هَذِهِ الطَّائِفَةُ الضَّالَّةُ المَارِقَةُ الإِسمَاعِيلِيَّةُ بِنَجرَانَ وَالفَرعِ وَالعَطفَينِ وَالأَحسَاءِ وَالقَطِيفِ وَالبَحرَينِ وَالمَدِينَةِ، وَهُمُ المُسَمَّونَ بِالنَّخَاوِلَةِ، وَبِحِرَاز وَعِرَاس وَبِنقم بِصَنعَاءَ وَبِالهِندِ، وَمَشَايِخُهُم يُسَمَّونَ بِالمَكَارِمَةِ، وَلَيسُوا بِمَكَارِمَةٍ.

وَالمَكَارِمَةُ يَنتَسِبُونَ إِلَىٰ المَذهَبِ البَاطِنِيِّ المُلحِدِ المُحَادِّ للهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلإِسلَامِ، فَقَد قَتَلَ أَسلَافُهُمُ الحَجِيجَ بِبَيتِ اللهِ الحَرَامِ وَاقتَلَعُوا الحَجَرَ الأَسودَ! وَبَقِيَ عِندَهُم فَترَةً مِنَ الزَّمَنِ، ثُمَّ رَدُّوا كَسرًا مِنه.

فَالمَكَارِمَةُ لَيسُوا بِمُسلِمِينَ، بَل هُم أَضَرُّ عَلَىٰ الإِسلَامِ مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُم يَنشُرُونَ دَعوَتَهُم بِالكُتُبِ وَبِغَيرِهَا مِنَ الإِغرَاءَاتِ المَالِيَّةِ، حَتَّىٰ إِنَّهُم أَصبَحُوا فِي نَجرَانَ يُعطُونَ بَعضَ ضِعَافِ النُّفُوسِ مِنَ اليَمَنِيِّينَ تَابِعيَّةً، يَزعُمُونَ أَنَّهُم يَدعُونَهُ إِلَىٰ الالتِحَاقِ بِالسُّعُودِيَّةِ، وَفِي الوَاقِعِ لَا يَدعونَهُ إِلَىٰ الالتِحَاقِ بِالسُّعُودِيَّةِ، وَلَكِن يَدعُونَهُ لِلالتِحَاقِ بِالمَذهَبِ الإِسمَاعِيلِيِّ القُرمُطِيِّ البَاطِنِيِّ، فَهُم لَا يُحِبُّونَ السُّعُودِيَّةَ، وَلَا يُحِبُّونَ أَحَدًا لَيسَ عَلَىٰ مَذهَبِهِم البَاطِلِ.

أَقُولُ هَذَا عَن خِبرَةٍ وَمَعرِفَةٍ بِهِم؛ لأَنِّي مَكَثتُ بِنَجرَانَ قَدرَ سَنَتَينِ.

ذَهَبتُ ذَاتَ لَيلَةٍ إِلَىٰ بَعضِ أَهلِ نَجرَانَ فَوَجَدتُ كِتَابًا مِن كُتُبِهِم، وَقَرَأتُ فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ الضَّلَالُ المُبِينُ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البقرة:٦٧]. قَالُوا: عَائِشَةُ! وَكُلُّ مُسلِمٍ يَقرَأُ القُرآنَ

يَعلَمُ أنَّهَا فِي مُوسَىٰ وَقَومِهِ.

وَالجِبتُ وَالطَّاغُوتُ: أبو بَكرٍ وَعُمَرُ، وَمَوَاقِفُهُمَا المُبَارَكَة فِي الإسلَامِ فِي عَصرِ النُّبُوَّةِ وَبَعدَهُ مَعرُوفَةٌ لَدَىٰ كُلِّ مُسلِمٍ، وَأَنَّهُمَا مِن أهلِ الجَنَّةِ كَمَا جَاءَت بِذَلِكَ الأحَادِيثُ المُتَكَاثِرَةُ.

وَهُم يَزعُمُونَ لأتبَاعِهِم أنَّهُم يُحِبُّونَ أهلَ البَيتِ، وَمَا أكثَرَ البَلَاءِ الَّذِي دَخَلَ عَلَىٰ الإسلَامِ بِسَبَبِ دَعوَىٰ مَحَبَّةِ أهلِ بَيتِ النُّبُوَّةِ -رَحِمَهُمُ اللهُ-!

مِن أجلِ هَذِهِ التُّرَّهَاتِ وَالأبَاطِيلِ وَالدِّعَايَاتِ الكَاذِبَةِ، وَمِن أجلِ جَهلِ كَثِيرٍ مِنَ المُسلِمِينَ بِدِينِهِم حَتَّىٰ لَقَد أصبَحَ كَثِيرٌ مِنهُم مُتَحَيِّرًا، كَمَا أخبَرُونَا بِذَلِكَ.

وَمِن أجلِ الدِّعَايَاتِ المَلعُونَةِ مِنَ الشُّيوعِيَّةِ وَالبَعثِيَّةِ وَالرَّافِضَةِ وَالصُّوفِيَّةِ الَّتِي تُنَفِّرُ المُسلِمِينَ عَنِ الدُّعَاةِ إِلَىٰ اللهِ، رَأيتُ أن أجمَعَ نَبذَةً عَن دَعوَةِ أهلِ السُّنَّةِ بِاليَمَنِ، فَأقُولُ -وَبِاللهِ التَّوفِيقِ-:

هَذِهِ دَعوَتُنَا وَعَقِيدَتُنَا

١ - نُؤمِنُ بِاللهِ، وَبِأسمَائِهِ، وَصِفَاتِهِ كَمَا وَرَدَت فِي كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِن غَيرِ تَحرِيفٍ، وَلَا تَأوِيلٍ، وَلَا تَمثِيلٍ، وَلَا تَشبِيهٍ، وَلَا تَعطِيلٍ.

٢ - نَعتَقِدُ أنَّ نِدَاءَ الأموَاتِ وَالاستِعَانَةَ بِهِم وَكَذَا الأحيَاءُ فِيمَا لَا يَقدِرُ عَلَيهِ إِلَّا اللهُ شِركٌ بِاللهِ.

وَهَكَذَا العَقِيدَةُ فِي الحُرُوزِ وَالعَزَائِمِ أنَّهَا تَنفَعُ مَعَ اللهِ أو مِن دُونِ اللهِ شِركٌ، وَحَملُهَا مَعَ غَيرِ عَقِيدَةٍ خُرَافَةٌ.

٣ - نَأخُذُ بِظَاهِرِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَا نُؤَوِّلُ إِلَّا بِدَلِيلٍ يَقتَضِي التَّأوِيلَ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

٤ - نُؤمِنُ بِأنَّ المُؤمِنِينَ سَيَرَونَ رَبَّهُم فِي الآخِرَةِ بِلَا كَيفٍ، وَنُؤمِنُ بِالشَّفَاعَةِ وَبِخُرُوجِ

المُوَحِّدِينَ مِنَ النَّارِ.

٥- نُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَنُبغِضُ مَن تَكَلَّمَ فِيهِم، وَنعتَقِدُ أنَّ الطَّعنَ فِيهِم طَعنٌ فِي الدِّينِ؛ لأنَّهُم حَمَلَتُهُ إلَينَا، وَنُحِبُّ أهلَ بَيتِ النُّبُوَّةِ حُبًّا شَرعِيًّا.

٦- نُحِبُّ أهلَ الحَدِيثِ وَسَائِرَ سَلَفِ الأُمَّةِ مِن أهلِ السُّنَّةِ.

٧- نَكرَهُ عِلمَ الكَلَامِ، وَنَرَىٰ أنَّهُ مِن أعظَمِ الأسبَابِ لِتَفرِقَةِ الأُمَّةِ.

٨- لَا نَقبَلُ مِن كُتُبِ الفِقهُ وَمِن كُتُبِ التَّفسِيرِ وَمِنَ القَصَصِ القَدِيمَةِ وَمِنَ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ إلَّا مَا ثَبَتَ عَنِ اللهِ أو عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَيسَ مَعنَاهُ أنَّنَا نَنبُذُهَا، أو نَزعُمُ أنَّنَا نَستَغنِيَ عَنهَا، بَل نَستَفِيدُ مِنَ استِنبَاطَاتِ عُلَمَائِنَا الفُقَهَاءِ وَغَيرِهِم، وَلَكِن لَا نَقبَلُ الحُكمَ إلَّا بِدَلِيلٍ صَحِيحٍ.

٩- لَا نَكتُبُ فِي كِتَابَاتِنَا وَلَا نُلقِيَ فِي دُرُوسِنَا، وَلَا نَخطُبُ إلَّا بِقُرآنٍ أو حَدِيثٍ صَالِحٍ لِلحُجِّيَّةِ، وَنَكرَهُ مَا يَصدُرُ مِن كَثِيرٍ مِنَ الكُتَّابِ وَالوَاعِظِينَ مِنَ الأقَاصِيصِ البَاطِلَةِ، وَمِنَ الأحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ وَالمَوضُوعَةِ.

١٠- لَا نُكَفِّرُ مُسلِمًا بِذَنبٍ إلَّا الشِّركَ بِاللهِ، أو تَركَ الصَّلَاةِ أوِ الرِّدَّةَ، أعَاذَنَا اللهُ وَإيَّاكُم مِن ذَلِكَ.

١١- نُؤمِنُ بِأنَّ القُرآنَ كَلَامُ اللهِ غَيرُ مَخلُوقٍ.

١٢- نَرَىٰ وُجُوبَ التَّعَاونِ مَعَ أيِّ مُسلِمٍ فِي الحَقِّ، وَنَبرَأُ إلَىٰ اللهِ مِنَ الدَّعَوَاتِ الجَاهِلِيَّةِ.

١٣- لَا نَرَىٰ الخُروجَ عَلَىٰ الحُكَّامِ المُسلِمِينَ مَهمَا كَانُوا مُسلِمِينَ، وَلَا نَرَىٰ الانقِلَابَاتِ سَبَبًا لِلإصلَاحِ، بَل لإفسَادِ المُجتَمَعِ، أمَّا حُكَّامُ عَدَن فَنَرَىٰ قِتَالَهُم وَاجِبًا حَتَّىٰ يَتُوبُوا مِنَ الإلحَادِ، وَمِنَ الاشتِرَاكِيَّةِ، وَمِن دَعوَةِ النَّاسِ إلَىٰ عِبَادَةِ «لِينِينَ وَمَارِكس» وَغَيرِهِمَا مِن زُعَمَاءِ الكُفرِ[1].

---

(١) وقد أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، أما الآن فالحكومة مسلمة.

١٤ - نَرَىٰ هَذِهِ الجَمَاعَاتِ المُعَاصِرَةَ المُتَكَاثِرَةَ سَبَبًا لِفُرقَةِ المُسلِمِينَ وَإضعَافِهِم.

١٥ - نَرَىٰ دَعوَةَ الإخوَانِ المُسلِمِينَ غَيرَ قَادِرَةٍ وَغَيرَ صَالِحَةً لإصلَاحِ المُجتَمَعِ؛ إذ قَد أصبَحَت دَعوَةً سِيَاسِيَّةً لَا رُوحِيَّةً، وَأيضًا دَعوَةً مُبتَدَعَةً؛ لأنَّهَا دَعوَةٌ إلَىٰ مُبَايَعَةِ مَجهُولٍ، وَدَعوَةُ فِتنَةٍ لأنَّهَا قَائِمَةٌ عَلَىٰ جَهلٍ، وَسَائِرَةٌ عَلَىٰ جَهلٍ، وَنَنصَحُ بَعضَ الإخوَةِ العَامِلِينَ فِيهَا مِنَ الأفَاضِلِ بِالتَّخَلِّي عَنهَا حَتَّىٰ لَا يَضِيعُ وَقتهُم فِيمَا لَا يَنفَعُ الإسلَامِ وَالمُسلِمِينَ، وَعَلَىٰ المُسلِمِ أن يَكُونَ هَمُّهُ أنَّ اللهَ يَنصُرُ الإسلَامَ وَالمُسلِمِينَ.

١٦- وَأمَّا جَمَاعَةُ التَّبلِيغِ فَإلَيكَ مَا كَتَبَهُ الأخُ الفَاضِلُ مُحَمَّد بنُ عَبدِ الوَهَّابِ الوِصَابِيُّ. فَقَالَ -حَفِظَهُ اللهُ-:

١ - يَعمَلُونَ بِالأحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ بَل وَالمَوضُوعَةِ وَمَا لَا أصلَ لَهَا.

٢- تُوجَدُ فِيهِم بِدَعٌ كَثِيرَةٌ، بَل إنَّ دَعوَتَهُم مَبنِيَّةٌ عَلَىٰ البِدَعِ إذ عَمُودُ دَعوَتِهِم الفَقرِي هُوَ الخُرُوجُ بِهَذا التَّحدِيدِ: مِن كُلِّ شَهرٍ ٣ أيَّام، وَفِي السَّنَةِ أربَعُونَ يومًا، وَفِي العُمُرِ أربَعَةُ أشهُرٍ، وَفِي كُلِّ أسبُوعٍ جَولَتَانِ: جَولَةٌ فِي المَسجِدِ الَّذِي تُصَلِّي فِيهِ، وَالثَّانِيَةُ مُتَنَقِّلَةٌ!

وَفِي كُلِّ يومٍ حَلقَتَانِ: حَلقَةٌ فِي المَسجِدِ الَّذِي تُصَلِّي فِيهِ، وَالثَّانِيَةُ فِي البَيتِ، وَلَن يَرضَوا عَنِ الشَّخصِ إلَّا إذَا التَزَمَهُ، وَلَا شَكَّ أنَّهُ بِدعَةٌ فِي الدِّينِ مَا أنزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلطَانٍ.

٣- يَرَونَ أنَّ الدَّعوَةَ إلَىٰ التَّوحِيدِ تَنفِيرٌ لِلأُمَّةِ.

٤- يَرَونَ أنَّ الدَّعوَةَ إلَىٰ السُّنَّةِ تَنفِيرٌ لِلأُمَّةِ.

٥- يَقُولُ أمِيرُهُم بِالحُدَيدَةِ: بِدعَةٌ تَجمَعُ النَّاسَ خَيرٌ مِن سُنَّةٍ تُفَرِّقُ بَينَهُم.

٦- يُكِنُّونَ العَدَاوَةَ لأهلِ السُّنَّةِ.

٧- يُزَهِّدُونَ النَّاسَ عَنِ العِلمِ النَّافِعِ تَلمِيحًا وَتَصرِيحًا.

٨- يَرَونَ أنَّهُ لَا نَجَاةَ لِلنَّاسِ إلَّا عَن طَرِيقِهِم، وَيَضرِبُونَ عَلَىٰ ذَلِكَ مَثَلًا بِسَفِينَةِ نُوحٍ، مَن رَكِبَ فِيهَا نَجَا، وَمَن لَم يَركَب هَلَكَ، وَيَقُولُونَ: إنَّ دَعوَتَنَا كَسَفِينَةِ نُوحٍ، وَقَد سَمِعتُ هَذَا المَثَلَ مِنهُم فِي الأُردُنِّ وَاليَمَنِ.

٩ - لَا يَهتَمُّونَ بِتَوحِيدِ الأُلُوهِيَّة، وَتَوحِيدِ الأسمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

١٠ - إنَّهُم غَيرُ مُستَعِدِّينَ لِطَلَبِ العِلمِ، وَيَرَونَ الوَقتَ الَّذِي يُصرَفُ فِي طَلَبِ العِلمِ ضَائِعًا.

وَفِيهِم غَيرُ مَا ذُكِرَ.

١٧ - نَتَقَيَّدُ فِي فَهمِنَا لِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِفَهمِ سَلَفِ الأُمَّةِ مِنَ المُحَدِّثِينَ، غَير مُقَلِّدِينَ لأفرَادِهِم، بَل نَأخُذُ الحَقَّ مِمَّن جَاءَ بِهِ، وَنَحنُ نَعلَمُ أنَّ هُنَاكَ مَن يَدَّعِي السَّلَفِيَّةَ، وَالسَّلَفِيَّةُ بَرِيئَةٌ مِنهُ؛ إذ قَد أصبَحَ يُجَارِي المُجتَمَعَ فِي تَحلِيلِ مَا حَرَّمَ اللهُ «كَأصحَابِ عَبدِ الرَّحمَنِ عَبد الخَالِقِ وَمُحَمَّد سُرور».

١٨ - نَعتَقِدُ أنَّ السِّيَاسَةَ جُزءٌ مِنَ الدِّينِ، وَالَّذِينَ يُحَاوِلُونَ فَصلَ الدِّينِ عَنِ السِّيَاسَةِ إنَّمَا يُحَاوِلُونَ هَدمَ الدِّينِ، وَانتِشَارَ الفَوضَىٰ وَكَذَا مَا شَاعَ فِي بَعضِ البِلَادِ الإسلَامِيَّةِ: «الدِّينُ للهِ وَالوَطَنُ لِلجَمِيعِ». دَعوَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، بَل الكُلُّ للهِ.

١٩ - نَعتَقِدُ أنْ لَا عِزَّ وَلَا نَصرَ لِلمُسلِمِينَ حَتَّىٰ يَرجِعُوا إلَىٰ كِتَابِ اللهِ وسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

٢٠ - نُبغِضُ الأحزَابَ المُعَاصِرَةَ: الحِزبَ الشُّيُوعِي المُلحِد، وَالحِزبَ البَعثِيَّ المُلحِد، وَالحِزبَ النَّاصِرِيَّ المُلحِد، وَالحِزبَ الاشتِرَاكِيَّ المُلحِد، وَالحِزبُ الرَّافِضِيَّ المَارِقَ.

وَنَرَىٰ أنَّ النَّاسَ يَنقَسِمُونَ إلَىٰ حِزبَينِ: حِزبِ الرَّحمَنِ: وَهُمُ الَّذِينَ تَنطَبِقُ عَلَيهِم أركَانُ الإسلَامِ وَأركَانُ الإيمَانِ غَيرَ رَادِّينَ شَيئًا مِن شَرعِ اللهِ.

وَحِزبِ الشَّيطَانِ: وَهُمُ المُحَارِبُونَ لِشَرعِ اللهِ.

٢١ - نُنكِرُ عَلَىٰ الَّذِينَ يُقَسِّمُونَ الدِّينَ إلَىٰ قُشُورٍ وَلُبَابٍ، وَنَعلَمُ أنَّ هَذِهِ دَعوَةٌ هَدَّامَةٌ.

٢٢ - نُنكِرُ عَلَىٰ مَن يُزَهِّدُ فِي عِلمِ السُّنَّةِ، وَيَقُولُ: لَيسَ هَذَا وَقتَهُ، وَهَكَذَا مَن يُزَهِّدُ فِي العَمَلِ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

٢٣ - نَرَىٰ تَقدِيمَ الأهَمِّ فَالأهَمِّ، فَالوَاجِبُ عَلَىٰ المُسلِمِينَ أن يَهتَمُّوا بِإصلَاحِ العَقِيدَةِ،

ثُمَّ بِالقَضَاءِ عَلَىٰ الشُّيُوعِيَّةِ وَحِزبِ البَعثِ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالاتِّحَادِ عَلَىٰ التَّمَسُّكِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

٢٤- نَرَىٰ أنَّ الجَمَاعَةَ الَّتِي تَضُمُّ الرَّافِضِيَّ وَالشِّيعِيَّ وَالصُّوفِيَّ وَالسُّنِّيَّ غيرُ قَادِرَةٍ عَلَىٰ مُوَاجَهَةِ الأعدَاءِ؛ لأنَّ هَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا بِأُخُوَّةٍ صَادِقَةٍ وَاتِّحَادٍ فِي العَقِيدَةِ.

٢٥- نُنكِرُ عَلَىٰ مَن كَابَرَ وَزَعَمَ أنَّ الدُّعَاةَ إِلَىٰ اللهِ وَهَّابِيَّةٌ عُمَلَاءُ، وَنَعلَمُ قَصدَهُمُ الخَبِيثُ أنَّهُم يُرِيدُونَ أن يَجعَلُوا بَينَ العَامَّةِ وَبَينَ أهلِ العِلمِ حَاجِزًا.

٢٦- دَعوَتُنَا وَعَقِيدَتُنَا أحَبُّ إِلَينَا مِن أَنْفُسِنَا وَأموَالِنَا وَأبنَائِنَا، فَلَسنَا مُستَعِدِّينَ أن نَبِيعَهَا بِالذَّهَبِ وَالوَرِقِ، نَقُولُ هَذَا حَتَّىٰ لَا يَطمَعَ فِي الدَّعوَةِ طَامِعٌ، وَيَظُنُّ أنَّهُ يَستَطِيعُ أن يَستَمِيلَنَا بِالدِّرهَمِ وَالدِّينَارِ، عَلَىٰ أنَّ ذَوِي السِّيَاسَةِ يَعلَمُونَ عَنَّا هَذَا، مِن أجلِ هَذَا فَهُم آيِسُونَ مِن أن يُطَمِّعُونَا بِمَنَاصِبَ أو بِمَالٍ.

٢٧- الحُكُومَاتُ نُحِبُّهَا بِقَدرِ مَا فِيهَا مِنَ الخَيرِ، وَنُبغِضُهَا لِمَا فِيهَا مِنَ الشَّرِّ، وَلَا نُجِيزُ الخُرُوجَ عَلَيهَا إِلَّا أن نَرَىٰ كُفرًا بَوَاحًا عِندَنَا فِيهِ مِنَ اللهِ بُرهَانٌ، بِشَرطِ أن نَكُونَ قَادِرِينَ، وَأَلَّا تَكُونَ المَعرَكَةُ بَينَ المُسلِمِينَ مِنَ الجَانِبَينِ، فَإِنَّ الحُكَّامَ يُصَوِّرُونَ الخَارِجِينَ عَلَيهِم بِصُورَةِ المُخَرِّبِينَ المُفسِدِينَ، وَثَمَّةَ شُرُوطٍ تُرَاجَعُ مِن كُتُبِنَا الأُخرَىٰ.

٢٨- نَقبَلُ التَّوجِيهَ وَالنُّصحَ مِمَّن وَجَّهَنَا، وَنَعلَمُ أَنَّنَا طَلَبَةُ عِلمٍ، نُصِيبُ وَنُخطِئُ، وَنَجهَلُ وَنَعلَمُ.

٢٩- نُحِبُّ عُلَمَاءَ السُّنَّةِ المُعَاصِرِينَ، وَنَرغَبُ فِي الاستِفَادَةِ مِنهُم، وَنَأسَفُ لِجُمُودِ كَثِيرٍ مِنهُم.

٣٠- لَا نَقبَلُ الفَتوَىٰ إِلَّا بِدَلِيلٍ مِن كِتَابِ اللهِ أو سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الثَّابِتَةِ.

٣١- نُنكِرُ عَلَىٰ المَسئُولِينَ وَغَيرِهِم زِيَارَةَ قَبرِ «لِينِين» وَغَيرِهِ مِن زُعَمَاءِ الإلحَادِ لِلتَّعظِيمِ.

٣٢- نُنكِرُ عَلَىٰ حُكَّامِ المُسلِمِينَ الاتِّحَادَ مَعَ أعدَاءِ الإسلَامِ سَوَاء كَانُوا أمرِيكِيِّينَ

أو شُيوعِيينَ.

٣٣- الدَّعَوَاتُ الجَاهِلِيَّةُ كَالقَومِيَّةِ وَالعُرُوبَةِ نُنكِرُهَا، وَنَعتَبِرُهَا دَعَوَاتٍ جَاهِلِيَّةً، وَمِنَ الأَسبَابِ الَّتِي أَخَّرَتِ المُسلِمِينَ.

٣٤- نَنتَظِرُ مُجَدِّدًا يُجَدِّدُ اللهُ بِهِ هَذَا الدِّينَ؛ لِمَا رَوَاهُ أَبو دَاود فِي «سُنَنِهِ»: عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَبعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَىٰ رَأسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَن يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا» [صحيح الجامع (١٨٧٤)]. وَنَرجُو أَن تَكُونَ اليَقظَةُ الإِسلَامِيَّةُ مُمَهِّدَةً لَهُ.

٣٥- نَعتَقِدُ ضَلَالَ مَن يُنكِرُ أَحَادِيثَ المَهدِيِّ وَالدَّجَّالِ، وَنُزُولِ عِيسَىٰ بنِ مَريَمَ ﷺ. وَلَسنَا نَعنِي مَهدِيَّ الرَّافِضَةِ، بَل إِمَامٌ مِن أَهلِ بَيتِ النُّبُوَّةِ، وَمِن أَهلِ السُّنَّةِ يَملأُ الأَرضَ عَدلًا وَقِسطًا، كَمَا مُلِئَت ظُلمًا وَجَورًا، وَقُلنَا إِنَّهُ مِن أَهلِ السُّنَّةِ؛ لأَنَّ سَبَّ أَفَاضِلِ الصَّحَابَةِ لَيسَ مِنَ العَدلِ.

٣٦- هَذِهِ نَفَثَاتٌ عَن عَقِيدَتِنَا وَدَعوَتِنَا، وَذِكرُهَا بِأَدِلَّتِهَا يُطَوِّلُ الكِتَابَ، وَقَد ذَكَرتُ جُلَّ أَدِلَّتِهَا فِي «المَخرَجِ مِنَ الفِتنَةِ»، وَمَن لَدَيهِ أَيُّ اعتِرَاضٍ عَلَىٰ هَذَا فَنَحنُ مُستَعِدُّونَ لِقَبُولِ النُّصحِ إِن كَانَ مُحِقًّا، وَلِمُنَاظَرَتِهِ إِن كَانَ مُخطِئًا، وَلِلإِعرَاضِ عَنهُ إِن كَانَ مُعَانِدًا. وَاللهُ أَعلَمُ.

هَذَا وَمِمَّا يَنبَغِي أَن يُعلَمَ أَنَّ هَذَا لَيسَ شَامِلًا لِدَعوَتِنَا وَلِعَقِيدَتِنَا، فَإِنَّ دَعوَتَنَا مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ إِلَىٰ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَهَكَذَا العَقِيدَةُ، وَحَسبُنَا اللهُ وَنِعمَ الوَكِيلُ، وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

مَن يُنفِقُ عَلَى هَذِهِ الدَّعوَةِ المُبَارَكَةِ الَّتِي قَد مَلأَتِ الآفَاقِ

مَا أَشبَهَ اللَّيلَةَ بِالبَارِحَةِ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ

لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون:٧-٨].

بَدَأَتِ الدَّعوَةُ فَأَرَادَ أعداءُ السُّنَّةِ أن يَقضُوا عَلَيهَا فِي عُقرِ دَارِهَا، وَدَافَعَ اللهُ عَنهَا وَالحَمدُ للهِ، ثُمَّ عَطَفَ اللهُ قُلُوبَ قَبِيلَتِي وَدَاعَةَ -جزَاهُمُ اللهُ خَيرًا- فَدَافَعُوا عَنِ الدَّعوَة، ثُمَّ وَفَّقَ اللهُ بَعضَ أهلِ الخَيرِ وَسَاعَدُوا الدَّعوَةَ بِشَيءٍ مِنَ المَالِ.

فَلَمَّا رَأَىٰ أعداءُ السُّنَّةِ أنَّ الدَّعوَةَ انتَشَرَت؛ جُنَّ جُنُونَهُم، فَتَارَةً يَقُولُونَ: هَؤُلَاءِ عُمَلَاءٌ لِلوَهَّابِيَّةِ! مِن أينَ لَهُمُ المَالُ؟ يَستَغرِبُونَ هَذَا؛ لأنَّهُم لَا يُؤمِنُونَ بِقَولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت:٦٠].

وَقَولِهِ ﷻ: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:٦].

لَا يَدرُونَ أنَّ طَلَبَةَ العِلمِ قَد وَطَّنُوا أنفُسَهُم عَلَىٰ الصَّبرِ عَلَىٰ الجُوعِ وَالشَّعثِ وَالعُرْيِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمِن أجلِ إعلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ، وَالجُوعُ وَغَيرُهُ مِنَ المَتَاعِبِ سَيَزُولُ عِندَمَا يَلقَىٰ طَالِبُ العِلمِ مَا أعَدَّهُ اللهُ لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَقَد صَبَرَ سَلَفُنَا -رِضوَانُ اللهِ عَلَيهِم- عَلَىٰ مَا هُوَ أشَدُّ مِن هَذَا، كَمَا هُوَ مَعلُومٌ مِن سِيَرِهِم -رَحِمَهُمُ اللهُ-.

إنَّ مَا أعطَىٰ اللهُ طَلَبَةَ العِلمِ مِنَ الاستِفَادَةِ فِي الزَّمَنِ القَصِيرِ فَرُبَّ أخٍ يَبقَىٰ مَعَنَا نَحوَ سَنَة وَنِصف أو سَنَتَينِ فَتُصبِحُ مَعلُومَاتُهُ تُعَادِلُ مَعلُومَاتِ أصحَابِ الكُلِّيَّاتِ، إنَّهَا البَرَكَةُ الإلَهِيَّةُ لَمَّا خَلُصَت نِيَّةُ الطَّالِبِ وَالمُدَرِّسِ، وَتَعلَّمَ الطَّالِبُ للهِ، وَعَلَّمَ المُعَلِّمُ للهِ، بَارَكَ اللهُ فِي الفَهمِ وَالحِفظِ وَالزَّمَنِ، وَهَذَا بِخِلَافِ أصحَابِ الدُّنيا، المُعَلِّمُ مِن أجلِ الرَّاتِبِ، وَالطَّالِبُ مِن أجلِ الشَّهَادَةِ، وَلَقَد أحسَنَ مَن قَالَ:

يَـا خيـرة الأقـوَالِ	وَضَـعُوكَ فِـي الأغـلَالِ
لَـيسَ المُـدَرِّس مُخلِـصًا	والطِّفـلُ غَيـر مُبَالِـي
هَـذَا لِنَـيلِ شَـهَادَة	وَذَا لِنَـيلِ المَـالِ

بَل أقبَحُ مِن هَذَا أنَّ الدَّعوَةَ قَد أصبَحَت مَصدَرَ رِزقٍ عِندَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، فَرُبَّ شَخصٍ يَتَظَاهَرُ بِالدَّعوَةِ إلَىٰ اللهِ، وَيَجمَعُ الأموَالَ مِن عِندِ النَّاسِ، ثُمَّ يَشتَرِي بِهَا أرَاضِيَ

وَسَيَّارَاتٍ لِمَصلَحَتِهِ الخَاصَّةِ، وَهَذِهِ إِسَاءَةٌ إِلَىٰ الدِّينِ وَالدَّعوَةِ إِلَىٰ اللهِ.

وَلسنَا نَقُولُ: إنَّ الدُّعَاةَ إِلَىٰ اللهِ كُلَّهُم كَذَلِكَ، فَفِيهِم مَن بِهِ غَيرَةٌ عَلَىٰ الإسلَامِ، وَيَصبِرُ عَلَىٰ الفَقرِ وَالأذَىٰ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّةِ مُحَمَّدٍ عَلَىٰ الحَقِّ ظَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُم مَن خَالَفَهُم، وَلَا مَن خَذَلَهُم حَتَّىٰ يَأتِيَهُم أمرُ اللهِ وَهُم عَلَىٰ ذَلِكَ، كَمَا أخبَرَ بِذَلِكَ الصَّادِقُ المَصدُوقُ.

أَعدَاءُ الدَّعوَةِ

إنَّ دَعوَةً مَلَأَتِ الآفَاقِ فِي مُدَّةِ سِتِّ سِنِينَ وَصَلَ خَبَرُهَا إِلَىٰ أَقصَىٰ الدُّنيَا، وَأَصبَحَتِ الفَتَاوَىٰ تَرِدُ إِلَىٰ القَائِمِينَ عَلَيهَا مِن جَمِيعِ البِلَادِ الإسلَامِيَّةِ، وَأَصبَحَ طَلَبَةُ العِلمِ بَينَ وَافِدٍ إِلَيهَا وَبَينَ مُتَمَنٍّ أن يَتَيَسَّرَ لَهُ ذَلِكَ.

دَعوَةٌ بَلَغَت فَوقَ الوَصفِ الَّذِي وَصَفتُ لَكَ، وَأصبَحَ المُسلِمُونَ يَتَتَبَّعُونَ أخبَارَهَا، وَيَنتَظِرونَ الخَيرَ العَمِيمِ مِنهَا، وَالخَيرُ وَالبَرَكَةُ مِنَ اللهِ.

دَعوَةُ لَيسَ لِلقَائِمِينَ عَلَيهَا مَطمَعٌ فِي كَرَاسٍ وَلَا مُلكٍ وَلَا رِيَاسَةٍ، وَيَرَونَ العِلمَ أرفَعَ مِن ذَلِكَ، كَمَا يَقُولُ اللهُ ﷻ: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾ [المجادلة: ١١].

وَيَرونَ الدَّعوَةَ إِلَىٰ اللهِ أرفَعَ مِنَ السُّلطَةِ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣].

إنَّهُ لَا يُستَغرَبُ مِن دَعوَةٍ بَلَغَت هَذَا المَبلَغِ أن يَكُونَ أعدَاؤُهَا أكثَر مِنَ الحَصَىٰ، وَأنَا أُلَخِّصُهُم لَكَ لِتَزدَادَ ثِقَةً أنَّ الدَّعوَةَ عَلَىٰ حَقٍّ، فَإنَّ أعدَاءَ الإسلَامِ لَا يَتَنَكَّرُونَ إلَّا لِلحَقِّ وَلَا يَخَافُونَ إلَّا مِنهُ.

وَاقرَأ تَنَكُّرَ أعدَاءِ الرُّسُلِ لِرُسُلِ اللهِ، قَالَ اللهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ الكَرِيمِ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ

﴿... وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم:١٣-١٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ [الأعراف:٨٨].

وَقَالَ ﷻ فِي شَأنِ نَبِيِّ اللهِ لُوطٍ ﷺ: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۝٨١ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف:٨٠-٨٢].

وَفِي «الصَّحِيحِ»: «أنَّ وَرَقَةَ بنَ نوفلٍ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا لَيتَنِي مَعَكَ إذ يُخرِجُك قَومُكَ! قَالَ: أَوَمُخرِجِيَّ هُم؟ قَالَ: مَا أتَىٰ أحَدٌ بِمِثلِ مَا أتَيتَ بِهِ إلَّا عُودِيَ -أو بِهَذَا المَعنَىٰ-». [البخاري (٤)، ومسلم (١٦٠)]

فَأعداءُ الدَّعوَةِ بِالأمسِ هُمُ الشُّيُوعِيُّونَ وَالبَعثِيُّونَ وَالنَّاصِرِيُّونَ.

وَزِيَادَة اليَوم: مُسلِمُونَ يُصَلُّونَ، وَيَصُومُونَ، وَلَكِنَّهُم جَاهِلُونَ، فَهُم يُعَادُونَ مَا يَرَونَهُ يُخَالِفُ عَادَاتِهِمُ القَدِيمَةَ، وَيَستَثِيرهُم أعدَاءُ الإسلَامِ مِن شُيوعِيينَ وَبَعثِيينَ وَنَاصِرِيينَ، وَمِن أُولَئِكَ المُصَلِّينَ: الرَّافِضَةُ -وَأمرُهُم مَعرُوفٌ مِن قَدِيمِ الزَّمَانِ-، وَمِنهُمُ الصُّوفِيَّةُ، وَمِنهُمُ الإخوَانُ المُسلِمُونَ، وَمِنهُمُ المُتَعَصِّبُونَ لِلمَذَاهِبِ المُقَلِّدُونَ تَقلِيدًا أعمَىٰ الَّذِي يَصدُقُ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنهُم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣].

هَؤُلَاءِ الرَّافِضَةُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إنَّ الوَهَّابِيَّةَ -وَيَعنُونَ: الدُّعَاةَ إلَىٰ اللهِ- أضَرُّ عَلَىٰ الإسلَامِ مِنَ الشُّيوعِيَّةِ! انعَكَسَ الأمرُ عَلَيهِم، وَأصبَحَ الرَّافِضَةُ فِي نَظَرِ المُجتَمَعِ مَبغُوضِينَ لِمَا يَرَونَهُ مِنهُم مِن بُغضِ الحَقِّ، وَالوقُوفِ فِي وَجهِ السُّنَّةِ.

❊ ❊ ❊

(٣٤) القصيدة الحائية

١-	تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ وَاتَّبِعِ الهُدَىٰ	وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ
٢-	وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي	أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ
٣-	وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنَا	بِذَلِكَ دَانَ الأتقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا
٤-	وَلَا تَكُ فِي القُرْآنِ بِالوَقْفِ قَائِلًا	كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا
٥-	وَلَا تَقُلِ القُرْآنُ خَلْقٌ قَرَأْتُهُ	فَإِنَّ كَلَامَ اللهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ
٦-	وَقُلْ يَتَجَلَّىٰ اللهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً	كَمَا البَدْرُ لَا يَخْفَىٰ وَرَبُّكَ أَوْضَحُ
٧-	وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ	وَلَيْسَ لَهُ شِبْهٌ تَعَالَىٰ المُسَبَّحُ
٨-	وَقَدْ يُنْكِرُ الجَهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا	بِمِصْدَاقِ مَا قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرِّحُ
٩-	رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ	فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ
١٠-	وَقَدْ يُنْكِرُ الجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينَهُ	وَكِلْتَا يَدَيْهِ بِالفَوَاضِلِ تَنْفَحُ
١١-	وَقُلْ يَنْزِلُ الجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ	بِلَا كَيْفَ جَلَّ الوَاحِدُ المُتَمَدِّحُ
١٢-	إِلَىٰ طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ	فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ
١٣-	يَقُولُ أَلَا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا	وَمُسْتَمْنِحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَيُمْنَحُ
١٤-	رَوَىٰ ذَاكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ	أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُم وَقُبِّحُوا
١٥-	وَقُلْ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ	وَزِيرَاهُ قِدْمًا ثُمَّ عُثْمَانُ الارْجَحُ
١٦-	وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ	عَلِيٌّ حَلِيفُ الخَيْرِ بِالخَيْرِ مُنْجِحُ

١٧- وَإِنَّهُـم لَلـرَّهْطُ لَا رَيْـبَ فِـيهِمُ عَلَىٰ نُجُبِ الفِرْدَوْسِ بِالنُّورِ تَسْرَحُ

١٨- سَعِيدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةُ وَعَامِرُ فِهْرٍ وَالزُّبَيْرُ المُمَدَّحُ

١٩- وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ وَلَا تَكُ طَعَّانًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ

٢٠- فَقَدْ نَطَقَ الوَحْيُ المُبِينُ بِفَضْلِهِمْ وَفِي الفَتْحِ آيٌ لِلصَّحَابَةِ تَمْدَحُ

٢١- وَبِالقَدَرِ المَقْدُورِ أَيْقِنْ فَإِنَّهُ دِعَامَةُ عِقْدِ الدِّينِ، وَالدِّينُ أَفْيَحُ

٢٢- وَلَا تُنْكِرَنْ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا وَلَا الحَوْضَ وَالمِيزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ

٢٣- وَقُلْ يُخْرِجُ اللهُ العَظِيمُ بِفَضْلِهِ مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الفَحْمِ تُطْرَحُ

٢٤- عَلَىٰ النَّهْرِ فِي الفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ كَحِبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ

٢٥- وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ وَقُلْ فِي عَذَابِ القَبْرِ حَقٌّ مُوَضَّحُ

٢٦- وَلَا تُكْفِرَنْ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصَوْا فَكُلُّهُمُ يَعْصِي وَذُو العَرْشِ يَصْفَحُ

٢٧- وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الخَوَارِجِ إِنَّهُ مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضَحُ

٢٨- وَلَا تَكُ مُرْجِيًّا لَعُوبًا بِدِينِهِ أَلَا إِنَّمَا المُرْجِيُّ بِالدِّينِ يَمْزَحُ

٢٩- وَقُلْ: إِنَّمَا الإِيمَانُ: قَوْلٌ وَنِيَّةٌ وَفِعْلٌ عَلَىٰ قَوْلِ النَّبِيِّ مُصَرَّحُ

٣٠- وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالمَعَاصِي وَتَارَةً بِطَاعَتِهِ يَنْمِي وَفِي الوَزْنِ يَرْجَحُ

٣١- وَدَعْ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهُمْ فَقَوْلُ رَسُولِ اللهِ أَزْكَىٰ وَأَشْرَحُ

٣٢- وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَهَّوْا بِدِينِهِمْ فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الحَدِيثِ وَتَقْدَحُ

٣٣- إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِ هَذِهِ فَأَنْتَ عَلَىٰ خَيْرٍ تَبِيتُ وَتُصْبِحُ

❊ ❊ ❊

(٣٥) المنظومة الرائية في السنة للزنجاني

أَخبَرَنَا الشَّيخُ الإِمَامُ أَبُو عبدِ الله مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ الله الهَرَوِيُّ، قَالَ: قَرَأتُ عَلَىٰ الشَّيخِ الإِمَامِ الحَافِظِ أَبِي مُحَمَّدٍ المُبَارَكِ بنِ عَلِيٍّ بن الحُسَينِ بنِ الطَّبَّاخِ فِي حَرَمِ الله تَعَالَىٰ فِي شُهُورِ سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِينَ وَخمسمِائَةٍ، قُلتُ لَهُ: أَخبَرَكُم الشَّيخُ الإِمَامُ أَبُو القَاسِمِ إِسمَاعِيلُ ابنُ أَحمَدَ بنِ عُمَرَ السَّمَرْقَندِيُّ، قَالَ: أَخبَرَنَا الشَّيخُ الإِمَامُ أَبُو القَاسِمِ سَعدُ بنُ عَلِيٍّ بنِ مُحَمَّدٍ الزَّنْجَانِيُّ، قَالَ:

١ تَدَبَّرْ كَلَامَ اللهِ وَاعْتَمِدِ الخَبَرْ — وَدَعْ عَنْكَ رَأْيًا لَا يُلَائِمُهُ أَثَرْ

٢ وَنَهْجَ الهُدَىٰ فَالزَمْهُ وَاقْتَدِ بِالأُلَىٰ — هُمُ شَهِدُوا التَّنْزِيلَ عَلَّكَ تَنْجَبِرْ

٣ وَكُنْ مُوقِنًا أَنَّا وَكُلَّ مُكَلَّفٍ — أُمِرْنَا بِقَفْوِ الحَقِّ وَالأَخْذِ بِالحَذَرْ

٤ وَحُكِّمَ فِيمَا بَيْنَنَا قَولُ مَالِكٍ — قَدِيمٍ حَلِيمٍ عَالِمِ الغَيبِ مُقْتَدِرْ

٥ سَمِيعٍ بَصِيرٍ وَاحِدٍ مُتَكَلِّمٍ — مُرِيدٍ لِمَا يَجْرِي عَلَىٰ الخَلْقِ مِنْ قَدَرْ

٦ وَقَولُ رَسُولٍ قَدْ تَحَقَّقَ صِدْقُهُ — بِمَا جَاءَهُ مِنْ مُعْجِزٍ قَاهِرٍ ظَهَرْ

٧ فَقِيلَ لَنَا: رُدُّوا إِلَىٰ اللهِ أَمْرَكُم — إِذَا مَا تَنَازَعْتُمْ لِتَنْجُوا مِنَ الغَرَرْ

٨ أَوِ اتَّبِعُوا مَا سَنَّ فِيهِ مُحَمَّدٌ — فَطَاعَتُهُ تُرضِي الَّذِي أَنْزَلَ الزُّبُرْ

٩ فَمَنْ خَالَفَ الوَحْيَ المُبِينَ بِعَقْلِهِ — فَذَاكَ امْرُؤٌ قَدْ خَابَ حَقًّا وَقَدْ خَسِرْ

١٠ وَفِي تَرْكِ أَمْرِ المُصْطَفَىٰ فِتْنَةٌ فَذَرْ — خِلَافَ الَّذِي قَدْ قَالَهُ وَاتْلُ وَاعْتَبِرْ

١١ وَمَا اجْتَمَعَتْ فِيهِ الصَّحَابَةُ حُجَّةٌ — وَتِلْكَ سَبِيلُ المُؤْمِنِينَ لِمَنْ سَبَرْ

١٢ وَمَا لَمْ يَكُنْ فِي عَصْرِهِمْ مُتَعَارَفًا وَجَاءَ بِهِ مَنْ بَعْدَهُم رُدَّ بَلْ زُجِرْ

١٣ فَفِي الأَخْذِ بِالإِجْمَاعِ فَاعْلَمْ سَعَادَةٌ كَمَا فِي شُذُوذِ القَولِ نَوعٌ مِنَ الخَطَرْ

١٤ وَمُعْتَرِضٌ اتْرُكِ اعْتِمَادَ مَقَالِهِ يُفَارِقُ قَولَ التَّابِعِينَ وَمَنْ غَبَرْ

١٥ وَأمثَلُ أَهْلِ العِلْمِ فِينَا طَرِيقَةً وَأغْزَرُهُمْ عِلْمًا مُقِيمٌ عَلَىٰ الأَثَرْ

١٦ وَأجْهَلُ مَنْ تَلْقَىٰ مِنَ النَّاسِ مُعْجَبٌ بِخَاطِرِهِ يُصْغِي إِلَىٰ كُلِّ مَنْ هَذَرْ

١٧ فَدَعْ عَنْكَ قَولَ النَّاسِ فِيمَا كُفِيتَهُ فَمَا فِي اسْتِمَاعِ الزَّيغِ شَيءٌ سِوَىٰ الضَّرَرْ

١٨ لَقَدْ أَوْضَحَ اللهُ الكَرِيمُ بِلُطْفِهِ لَنَا الأَمْرَ فِي القُرْآنِ فَانْهَضْ بِمَا أَمَرْ

١٩ وَخَلَّفَ فِينَا سُنَّةً نَقْتَدِي بِهَا مُحَمَّدٌ المَبْعُوثُ عَونًا إِلَىٰ البَشَرْ

٢٠ وَمَنَّ عَلَىٰ المَأمُورِ بِالعَقْلِ آلَةً بِهَا يَعْرِفُ المُتْلَىٰ مِنَ القَولِ وَالعِبَرْ

٢١ فَلَا تَكُ بِدْعِيًّا تَزُوغُ عَنِ الهُدَىٰ وَتُحْدِثُ فَالإِحْدَاثُ يُدْنِي إِلَىٰ سَقَرْ

٢٢ وَلَا تَجْلِسَنْ عِنْدَ المُجَادِلِ سَاعَةً فَعَنْهُ رَسُولُ اللهِ مِنْ قَبْلُ قَدْ زَجَرْ

٢٣ وَمَنْ رَدَّ أَخْبَارَ النَّبِيِّ مُقَدِّمًا لِخَاطِرِهِ ذَاكَ امْرُؤٌ مَا لَهُ بَصَرْ

٢٤ وَلَا تَسْمَعَنْ دَاعِي الكَلَامِ فَإِنَّهُ عَدُوٌّ لِهَذَا الدِّينِ عَنْ حَمْلِهِ حَسَرْ

٢٥ وَأَصْحَابُهُ قَدْ أَبْدَعُوا وَتَنَطَّعُوا وَجَازُوا حُدُودَ الحَقِّ بِالإِفْكِ وَالأَشَرْ

٢٦ وَخُذْ وَصْفَهُم عَنْ صَاحِبِ الشَّرْعِ إِنَّهُ شَدِيدٌ عَلَيهِم لِلَّذِي مِنْهُمُ خَبَرْ

٢٧ وَقَدْ عَدَّهُم سَبْعِينَ صِنْفًا نَبِيُّنَا وَصِنْفَينِ كُلٌّ مُحْدِثٌ زَائِغٌ ذَعِرْ

٢٨ فَذُو الرَّفضِ مَنْسُوبٌ إِلَىٰ الشِّرْكِ عَادِلٌ عَنِ الحَقِّ ذُو بُهْتٍ عَلَىٰ اللهِ وَالنُّذُرْ

٢٩ وَعَقْدِي صَحِيحٌ فِي الخَوَارِجِ أَنَّهُم كِلَابٌ تَعَاوَىٰ فِي ضَلَالٍ وَفِي سُعُرْ

٣٠ وَيُـوردُهُم مَـا أَحْدَثُـوا مِـنْ مَقَـالِهِم — لَظًـىٰ ذَاتَ لَهْـبٍ لَا تُبَقِّـي وَلَا تَـذَرْ

٣١ وَأَبْـرَأُ مِـنْ صِـنْفَينِ قَـدْ لُعِـنَا مَعًـا — فَـذَا أَظْهَـرَ الإِرْجَـا وَذَا أَنْكَـرَ القَـدَرْ

٣٢ وَمَـا قَالَـهُ جَهْـمٌ فَحَقًّـا ضَـلَالَةٌ — وَبِـشْرٌ فَمَـا أَبْـدَاهُ جَهْـلًا قَـدِ انْتَـشَرْ

٣٣ وَجَعْـدٌ فَقَـدْ أَرْدَاهُ خُـبْثُ مَقَالِـهِ — وَأَمَّـا ابْـنُ كُـلَّابٍ فَأَقْـبِحْ بِمَـا ذَكَـرْ

٣٤ وَجَـاءَ ابْـنُ كَـرَّامٍ بِهُجْـرٍ وَلَـمْ يَكُـنْ — لَـهُ قَـدَمٌ فِـي العِلْـمِ لَكِـنَّهُ جَـسَرْ

٣٥ وَسَـقَّفَ هَـذَا الأَشْـعَرِيُّ كَلَامَـهُ — وَأَرْبَـىٰ عَلَـىٰ مَـنْ قَـبْلَهُ مِـنْ ذَوِي الدَّبَـرْ

٣٦ فَمَـا قَالَـهُ قَـدْ بَـانَ لِلحَـقِّ ظَاهِـرًا — وَمَا فِي الهُـدَىٰ عَمْـدًا لِمَـنْ مَـازَ وَادَّكَـرْ

٣٧ يُكَفِّـرُ هَـذَا ذَاكَ فِـيمَا يَقُـولُهُ — وَيَذْكُـرُ ذَا عَـنْهُ الَّـذِي عِـنْدَهُ ذُكِـرْ

٣٨ وَبِالعَقْـلِ فِـيمَا يَـزْعُمُونَ تَبَايَـنُوا — وَكُلُّهِـمُ قَـدْ فَـارَقَ العَقْـلَ لَـوْ شَـعَرْ

٣٩ فَـدَعْ عَـنْكَ مَـا قَـدْ أَبدَعُـوا وَتَـنَطَّعُوا — وَلَازِمْ طَـرِيقَ الحَـقِّ وَالـنَّصِّ وَاصْـطَبِرْ

٤٠ وَخُـذْ مُقْتَضَىٰ الآثَارِ وَالوَحْيِ فِي الَّذِي — تَـنَازَعَ فِـيهِ الـنَّاسُ مِـنْ هَـذِهِ الفِقَـرْ

٤١ فَمَـا لِـذَوِي التَّحْـصِيلِ عُـذْرٌ بِتَـرْكِ مَـا — أَتَـاهُ بِـهِ جِبْـرِيلُ فِـي مَنْـزِلِ الـسُّوَرْ

٤٢ وَبَـيَّنَ فَحْـوَاهُ النَّبِـيُّ بِـشَرْحِهِ — وَأَدَّىٰ إِلَىٰ الأَصْـحَابِ مَـا عَنْهُ قَدْ سُطِرْ

٤٣ فَـبِاللهِ تَوْفِيقِـي وَآمُـلُ عَفْـوَه — وَأَسْـأَلُهُ حِفْظًـا يَقِينِـي مِـنَ الغِيَـرْ

٤٤ لأَسْـعَدَ بِالفَـوزِ المُبِـينِ مُـسَابِقًا — إِلَىٰ جَنَّةِ الفِـرْدَوْسِ فِـي صَـالِحِ الزُّمَـرْ

❊ ❊ ❊

(٣٦) المنظومة اللامية

يَا سَائِلِي عَن مَذهَبِي وَعَقِيدَتِي ... رُزِقَ الهُدَىٰ مَن لِلهِدَايَةِ يَسأَلُ

اسمَع كَلَامَ مُحَقِّقٍ فِي قَولِهِ ... لَا يَنثَنِي عَنهُ وَلَا يَتَبَدَّلُ

حُبُّ الصَّحَابَةِ كُلِّهِم لِي مَذهَبٌ ... وَمَوَدَّةُ القُربَىٰ بِهَا أَتَوَسَّلُ

وَلِكُلِّهِم قَدرٌ وَفَضلٌ سَاطِعٌ ... لَكِنَّمَا الصِّدِّيقُ مِنهُم أَفضَلُ

وَأَقُولُ فِي القُرآنِ مَا جَاءَت بِهِ ... آيَاتُهُ فَهُوَ الكَرِيمُ المُنزَلُ

وَأَقُولُ قَالَ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ ... وَالمُصطَفَىٰ الهَادِي وَلَا أَتَأَوَّلُ

وَجَمِيعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أُمِرُّهَا ... حَقًّا كَمَا نَقَلَ الطِّرَازُ الأَوَّلُ

وَأَرُدُّ عُهدَتَهَا إِلَىٰ نُقَّالِهَا ... وَأَصُونُهَا عَن كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ

قُبحًا لِمَن نَبَذَ القُرَانَ وَرَاءَهُ ... وَإِذَا استَدَلَّ يَقُولُ قَالَ الأَخطَلُ

وَالمُؤمِنُونَ يَرَونَ حَقًّا رَبَّهُم ... وَإِلَىٰ السَّمَاءِ بِغَيرِ كَيفٍ يَنزِلُ

وَأُقِرُّ بِالمِيزَانِ وَالحَوضِ الَّذِي ... أَرجُو بِأَنِّي مِنهُ رِيًّا أَنهَلُ

وَكَذَا الصِّرَاطُ يُمَدُّ فَوقَ جَهَنَّمٍ ... فَمُوَحِّدٌ نَاجٍ وَآخَرُ مُهمَلُ

وَالنَّارُ يَصلَاهَا الشَّقِيُّ بِحِكمَةٍ ... وَكَذَا التَّقِيُّ إِلَىٰ الجِنَانِ سَيَدخُلُ

وَلِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ فِي قَبرِهِ ... عَمَلٌ يُقَارِنُهُ هُنَاكَ وَيُسأَلُ

هَذَا اعتِقَادُ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ ... وَأَبِي حَنِيفَةَ ثُمَّ أَحمَدَ يُنقَلُ

فَإِنِ اتَّبَعتَ سَبِيلَهُم فَمُوَفَّقٌ ... وَإِنِ ابتَدَعتَ فَمَا عَلَيكَ مُعَوَّلُ

❊ ❊ ❊

(٣٧) أعلامُ السُنَّةِ المَنشُورَة لاعتِقادِ الطائِفَة النَاجيَة المَنصُورَة

مقدّمة المؤلف

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝٢ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣﴾ [الأنعام].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أحد صمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ۝١١٦ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝١١٧﴾ [البقرة]، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٨﴾ [القصص]، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبياء].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٣٣﴾ [التوبة]، صلى الله عليه وعلى آله وصَحْبِه، الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، وعلى التابعين لهم بإحسان، الذين لا ينحرفون عن السُّنة ولا يعدلون، بل إياها يقتفون، وبها يتمسكون وعليها يُوالون ويُعادون وعندها يقفون، وعنها يَذُبُّون، ويناضلون، وعلى جميع مَنْ سلك سبيلهم وقفا أثرهم إلى يوم يبعثون.

أما بعد:

فهذا مختصر جليل نافع، عظيم الفائدة جم المنافع، يشتمل على قواعد الدين، ويتضمن أُصول التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأُنزلت به الكتب ولا نجاة لمن بغيره يدين؛ ويدل ويرشد إلى سلوك المحجة البيضاء ومنهج الحق

المستبين، شرحتُ فيه أمور الإيمان وخصاله، وما يزيل جميعه أو ينافي كماله، وذكرت فيه كل مسألة مصحوبة بدليلها، ليتضح أمرها وتتجلّى حقيقتها ويبين سبيلها، واقتصرت فيه على مذهب أهل السنة والأتباع، وأهملت أقوال أهل الأهواء والابتداع؛ إذ هي لا تُذكر إلا للرد عليها، وإرسال سهام السنة عليها، وقد تصدى لكشف عوارها الأئمة الأجلّة، وصنّفوا في ردها وإبعادها المصنفات المستقلة، مع أن الضد يُعرف بضده ويُخرّج بتعريف ضابطه وحدّه، فإذا طلعت الشمس لم يفتقر النهار إلى استدلال، وإذا استبان الحق واتضح فما بعده إلا الضلال، ورتّبتُه على طريقة السؤال ليستيقظ الطالب وينتبه، ثم أردفه بالجواب الذي يتضح الأمر به ولا يشتبه. وسميته: **«أَعلَامُ السُّنَّةِ الْمَنشُورَة لاعتِقادِ الطائِفَة النَّاجيَة المَنصُورَة»**.

والله أسأل أن يجعله ابتغاء وجهه الأعلى، وأن ينفعنا بِمَا علَّمنا، ويعلّمنا ما ينفعنا، نعمة منه وفضلاً، إنه على كل شيء قدير، وبعباده لطيف خبير، وإليه المرجع والمصير، وهو مولانا فنعم المولى ونعم النصير.

* * *

الأسئلة والأجوبة

[س ١] ما أول ما يجب على العباد؟

ج: أول ما يجب على العباد معرفة الأمر الذي خلقهم الله له؛ وأخذ عليهم الميثاق به، وأرسل به رسله إليهم، وأنزل به كتبه عليهم، ولأجله خلقت الدنيا والآخرة، والجنة والنار، وبه حقت الحاقة ووقعت الواقعة، وفي شأنه تنصب الموازين وتتطاير الصحف، وفيه تكون الشقاوة والسعادة، وعلى حسبه تقسم الأنوار، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

[س ٢] ما هو ذلك الأمر الذي خلق الله تعالى الخلق لأجله؟

ج: قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الدخان]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [ص: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الجاثية]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]. . . . الآيات.

[س ٣] ما معنى العبد؟

ج: العبد إنْ أُريد به المُعَبَّد، أي: المذلل المسخّر، فهو بهذا المعنى شامل لجميع المخلوقات من العوالم العلوية والسفلية، من عاقل وغيره، ورَطْب ويابس، ومتحرك وساكن، وظاهر وكامن، ومؤمن وكافر، وبَرّ وفاجر، وغير ذلك.

الكل مخلوق لله ﷻ مَرْبُوب له، مسخّر بتسخيره، ومُدبّر بتدبيره، ولكل منهما رسْم يقف عليه، وحدّ ينتهي إليه، كل يجري لأجل مسمى لا يتجاوزه مثقال ذرة ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]، وتدبير العدل الحكيم، وإن

أُريد به العابد المحب المتذلل، خص ذلك بالمؤمنين الذين هم عباده المكرمون، وأولياؤه المتقون، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

[س ٤] ما هي العبادة؟

ج: العبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، والبراءة مما ينافي ذلك ويضاده.

[س ٥] متى يكون العمل عبادة؟

ج: إذا أكمل فيه شيئان: وهما كمال الحب مع كمال الذل، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧]. وقد جمع الله تعالى بين ذلك في قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

[س ٦] ما علامة محبة العبد ربَّه ﷻ؟

ج: علامة ذلك أن يحب ما يحبه الله تعالى، ويبغض ما يسخطه، فيمتثل أوامره، ويجتنب مناهيه، ويوالي أولياءه، ويعادي أعداءه، ولذا كان أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض فيه.

[س ٧] بماذا عرف العباد ما يحبه الله ويرضاه؟

ج: عرفوه بإرسال الله تعالى الرسل، وإنزاله الكتب، آمراً بما يحبه الله ويرضاه، ناهياً عما يكرهه ويأباه، وبذلك قامت عليهم حُجّته الدامغة، وظهرت حكمته البالغة، قال الله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران].

[س ٨] كم شروط العبادة؟

ج: شروط العبادة ثلاثة:

الأول: صدق العزيمة وهو شرط في وجودها.

والثاني: إخلاص النية.

والثالث: موافقة الشَّرع الذي أمر الله تعالى أن لا يُدان إلا به، وهما شرطان في قبولها.

[س ٩] ما هو صدق العزيمة؟

ج: هو ترك التكاسل والتواني، وبذل الجهد في أن يصدق قوله بفعله، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف]

[س ١٠] ما معنى إخلاص النية؟

ج: هو أن يكون مراد العبد بجميع أقواله وأعماله الظاهرة والباطنة ابتغاء وجه الله تعالى، قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليل]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩]، وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الشورى] وغيرها من الآيات.

[س ١١] ما هو الشرع الذي أمر الله تعالى ألا يُدانَ إلا به؟

ج: هي الحنيفية ملَّة إبراهيم عليه السلام، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، وغيرها من الآيات.

[س ١٢] كم مراتب دين الإسلام؟

ج: هي ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وكل واحد منها إذا أطلق شمل الدين كله.

[س ١٣] ما معنى الإسلام؟

ج: معناه الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤].

[س ١٤] ما الدليل على شموله الدين كله عند الإطلاق؟

ج: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال النبي ﷺ: «**بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ**».

وقال ﷺ: «**أفضل الإسلام إيمانٌ بالله**»، وغير ذلك كثير.

[س ١٥] ما الدليل على تعريفه بالأركان الخمسة عند التفصيل؟

ج: قوله ﷺ في حديث سؤال جبريل إيّاه عن الدين: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعتَ إليه سبيلا**».

وقوله ﷺ: «**بُنيَ الإسلام على خمس**» فذكر هذه، غير أنه قدّم الحج على صوم رمضان، وكلاهما في الصحيحين.

[س ١٦] ما محل الشهادتين من الدين؟

ج: لا يدخل العبد في الدين إلا بهما. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١٥] و[النور: ٦٢] وقال النبي ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله**» الحديث، وغير ذلك كثير.

[س ١٧] ما دليل شهادة أن لا إله إلا الله؟

ج: قول الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران]، وقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٦٢]، وقوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]، وقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الإسراء]، الآيات وغيرها.

[س ١٨] ما معنى شهادة أن لا إله إلا الله؟

ج: معناها: نفي استحقاق العبادة عن كل ما سوى الله تعالى، وإثباتها لله ﷻ وحده لا شريك له في عبادته، كما أنه ليس له شريك في ملكه، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج].

[س ١٩] ما هي شروط شهادة أن لا إله إلا الله التي لا تنفع قائلها إلا باجتماعها فيه؟

ج: شروطها سبعة:

الأول: العلم بمعناها نفياً وإثباتاً.

الثاني: استيقان القلب بها.

الثالث: الانقياد لها ظاهراً وباطناً.

الرابع: القبول لها فلا يرد شيئاً من لوازمها ومقتضياتها.

الخامس: الإخلاص فيها.

السادس: الصدق من صميم القلب لا باللسان فقط.

السابع: المحبة لها ولأهلها؛ والموالاة والمعاداة لأجلها.

[س ٢٠] ما دليل اشتراط العلم من الكتاب والسنة؟

ج: قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ أي: بلا إله إلا الله، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦] بقلوبهم معنى ما نطقوا به بألسنتهم، وقوله ﷺ: «من

مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة».

[س ٢١] ما دليل اشتراط اليقين من الكتاب والسنة؟

ج: قول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ إلى قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

وقول النبي ﷺ: «**أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسولُ الله لا يَلْقَى الله بهما عبد غير شاكٍّ فيهما إلا دخل الجنة**».

وقال ﷺ لأبي هريرة: «**مَن لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستقيناً بها قلبه، فبشِّره بالجنة**»، كلاهما في الصحيح.

[س ٢٢] ما دليل اشتراط الانقياد من الكتاب والسنة؟

ج: قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢]، وقال النبي ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**».

[س ٢٣] ما دليل اشتراط القبول من الكتاب والسنة؟

ج: قال الله تعالى في شأن من لم يقبلها: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات]، الآيات.

وقال النبي ﷺ: «**مَثَل ما بعثني الله به من الهُدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله به الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا؛ وأصاب منها طائفة أُخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً، فذلك مثل مَنْ فَقُه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أُرسلت به**».

[س ٢٤] ما دليل اشتراط الإخلاص من الكتاب والسنة؟

ج: قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، وقال تعالى:

﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، وقال النبي ﷺ: **«أسعد الناس بشفاعتي مَنْ قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه»**، وقال ﷺ: **«إن الله تعالى حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»**.

[س ٢٥] ما دليل الصدق من الكتاب والسنة؟

ج: قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت] إلى آخر الآيات، وقال النبي ﷺ: **«ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرَّمه الله على النار»**.

وقال للأعرابي الذي علَّمه شرائع الإسلام إلى أن قال: والله لا أزيد عليها ولا أنقص منها! فقال رسول الله ﷺ: **«أفلَحَ إن صدق»**.

[س ٢٦] ما دليل اشتراط المحبة من الكتاب والسنة؟

ج: قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقال النبي ﷺ: **«ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار»**.

[س ٢٧] ما دليل الموالاة لله والمعاداة لأجله؟

ج: قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [المائدة: ٥١ ـ ٥٥] إلى آخر الآيات، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ [التوبة: ٢٣، ٢٤] الآيتين.

وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ

أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١ ـ ١٣] إلى آخر السورة، وغير ذلك من الآيات.

[س ٢٨] ما دليل شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ؟

ج: قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ [المنافقون: ١] وغيرها من الآيات.

[س ٢٩] ما معنى شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ؟

ج: هو التصديق الجازم من صميم القلب المواطىء لقول اللسان بأن محمداً عبده ورسوله إلى كافة الناس إنسهم وجنهم ﴿شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب]، فيجب تصديقه في جميع ما أخبر به من أنباء ما قد سبق، وأخبار ما سيأتي، وفيما أحلّ من حلال، وحرّم من حرام، والامتثال والانقياد لما أمر به، والكف والانتهاء عما نهى عنه، واتباع شريعته، والتزام سنته، في السر والجهر، مع الرضا بما قضاه والتسليم له، وأن طاعته هي طاعة الله، ومعصيته معصية الله، لأنه مبلّغ عن الله رسالته، ولم يتوفّه الله حتى أكمل به الدين، وبلّغ البلاغ المبين، وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك، وفي هذا الباب مسائل ستأتي إن شاء الله.

[س ٣٠] ما شروط شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ، وهل تُقبل الشهادة الأولى بدونها؟

ج: قد قدّمنا لك أن العبد لا يدخل في الدين إلا بهاتين الشهادتين، وأنهما متلازمتان، فشروط الشهادة الأولى هي الشروط في الثانية، (كما أنها هي شرط في الأولى).

[س ٣١] ما دليل الصلاة والزكاة؟

ج: قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟

سَبِيلَهُمْۚ﴾ [التوبة: ٥]، وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِۗ﴾ [التوبة: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَۚ﴾ [البينة: ٥] الآية وغيرها.

[س ٣٢] ما دليل الصوم؟

ج: قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وقال تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ﴾ [البقرة: ١٨٥] الآيات، وفي حديث الأعرابي: أخبرني ما فرض الله عليّ من الصيام. فقال: «**شهر رمضان إلا أن تطوّع شيئاً**» الحديث.

[س ٣٣] ما دليل الحج؟

ج: قال الله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾ [آل عمران: ٩٧]، وقال النبي ﷺ: «**إن الله تعالى كتب عليكم الحجّ**»، الحديث في الصحيحين، وتقدم حديث جبريل، وحديث «**بُني الإسلام على خمس**» وغيرها كثير.

[س ٣٤] ما حكم مَنْ جحد واحداً منها أو أقرّ به واستكبر عنه؟

ج: يُقتل كُفراً كغيره من المكذبين والمستكبرين، مثل إبليس وفرعون.

[س ٣٥] ما حكم من أقر بها ثم تركها لنوع تكاسل أو تأويل؟

ج: **أما الصلاة**: فمن أخرها عن وقتها بهذه الصفة فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قُتل حداً، لقوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْۚ﴾ [التوبة: ٥]، وحديث «**أمرت أن أقاتل الناس...**» الحديث وغيره.

وأما الزكاة: فإن كان مانعها ممن لا شوكة له أخذها الإمام منه قهراً ونكّله بأخذ شيء من ماله، لقوله ﷺ: «**ومن منعها فإنا آخذوها وشَطر ماله معها...**» الحديث، وإن كانوا جماعة ولهم شوكة وجب على الإمام قتالهم حتى يؤدوها؛ للآيات والأحاديث السابقة، وغيرها، وفعله أبو بكر والصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

وأما الصوم: فلم يرد فيه شيء، ولكن يؤدبه الإمام أو نائبه بما يكون زجراً له ولأمثاله.

وأما الحج: فكل عمر العبد وقت له لا يفوت إلا بالموت، والواجب فيه المبادرة، وقد جاء الوعيد الأُخروي في التهاون فيه، ولم ترد فيه عقوبة خاصة في الدنيا.

[س ٣٦] ما هو الإيمان؟

ج: الإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، ويزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، ويتفاضل أهله فيه.

[س ٣٧] ما الدليل على كونه قولاً وعملاً؟

ج: قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ [الحجرات: ٧]، وقال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وهذا معنى الشهادتين اللتين لا يدخل العبد في الدين إلا بهما، وهي من عمل القلب اعتقاداً، ومن عمل اللسان نطقاً، لا تنفع إلا بتواطئهما.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ﴾ [البقرة: ١٤٣] يعني: صلاتكم إلى بيت المقدس قبل تحويل القبلة. سمّى الصلاة كلها إيماناً وهي جامعة لعمل القلب واللسان والجوارح.

وجعل النبي ﷺ الجهاد، وقيام ليلة القدر، وصيام رمضان وقيامه، وأداء الخمس، وغيرها من الإيمان، وسُئل النبي ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: **«إيمان بالله ورسوله»**.

[س ٣٨] ما الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه؟

ج: قوله تعالى: ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ﴾ [الفتح: ٤]، ﴿وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾ [الكهف: ١٣]، ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ﴾ [مريم: ٧٦]، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى﴾ [محمد: ١٧]، ﴿وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾ [المدثر: ٣١]، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [التوبة: ١٢٤]، ﴿فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [آل عمران: ١٧٣]، ﴿وَمَا

زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢] وغير ذلك من الآيات، وقال ﷺ: **«لو أنكم تكونون في كل حالة كحالتكم عندي لصافحتكم الملائكة»** أو كما قال.

[س ٣٩] ما الدليل على تفاضل أهل الإيمان فيه؟

ج: قال تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الواقعة: ١٠ ـ ٢٧]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَـٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ [الواقعة]، وقال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢] الآيات.

وفي حديث الشفاعة: **«أن الله يخرج من النار من كان في قلبه وزن دينار من إيمان، ثم من كان في قلبه وزن نصف دينار من إيمان»** ـ وفي رواية ـ: **«يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن بُرّة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرّة»**.

[س ٤٠] ما الدليل على أن الإيمان يشمل الدين كله عند الإطلاق؟

ج: قال النبي ﷺ في حديث وفد عبد القيس: **«آمركم بالإيمان بالله وحده»**، قال: **«أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟»** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **«شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا من المغنم الخُمس»**.

[س ٤١] ما الدليل على تعريف الإيمان بالأركان الستة عند التفصيل؟

ج: قول النبي ﷺ لما قال له جبريل عليه السلام: أخبرني عن الإيمان، قال: **«أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»**.

[س ٤٢] ما دليلها من الكتاب جملة؟

ج: قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ

شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر]، وسنذكر إن شاء الله دليل كلٍّ على انفراده.

[س ٤٣] ما معنى الإيمان بالله ﷻ؟

ج: هو التصديق الجازم من صميم القلب بوجود ذاته تعالى، الذي لم يسبق بضدّ، ولم يعقب به، وهو الأول فليس قبله شيء، والآخر فليس بعده شيء، والظاهر فليس فوقه شيء، والباطن فليس دونه شيء، حي قيوم أحد صمد ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص] وتوحيده بإلٰهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته.

[س ٤٤] ما هو توحيد الإلهية؟

ج: هو إفراد الله ﷻ بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة قولاً وعملاً، ونفي العبادة عن كل ما سوى الله تعالى كائناً من كان كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه]، وغير ذلك من الآيات. وهذا قد وفت به شهادة أن لا إله إلا الله.

[س ٤٥] ما هو ضد توحيد الإلهية؟

ج: ضده هو الشرك، وهو نوعان: شرك أكبر ينافيه بالكلية، وشرك أصغر ينافي كماله.

[س ٤٦] ما هو الشرك الأكبر؟

ج: هو اتخاذ العبد من دون الله نداً يسويه برب العالمين، يحبه كحب الله، ويخشاه كخشية الله، ويلتجىء إليه ويدعوه، ويخافه، ويرجوه، ويرغب إليه، ويتوكل عليه، أو يطيعه في معصية الله، أو يتبعه على غير مرضاة الله، وغير ذلك.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ

فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، وغير ذلك من الآيات.

وقال النبي ﷺ: **«حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً»** وهو في الصحيحين، ويستوي في الخروج بهذا الشرك عن الدين المجاهر به ككفار قريش وغيرهم، والمبطن له كالمنافقين المخادعين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٥ ـ ١٤٦]، وغير ذلك من الآيات.

[س ٤٧] ما هو الشرك الأصغر؟

ج: هو يسير الرياء الداخل في تحسين العمل المراد به الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال النبي ﷺ: **«أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»**، فسُئل عنه فقال: **«الرياء»**، ثم فسّره بقوله ﷺ: **«يقوم الرجل فيصلي فيزيّن صلاته لما يرى من نظر رجل إليه»**.

ومن ذلك الحَلفُ بغير الله كالحلف بالآباء، والأنداد، والكعبة، والأمانة، وغيرها.

قال ﷺ: **«لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد»**.

وقال ﷺ: **«ولا تقولوا: والكعبة ولكن قولوا: ورب الكعبة»**.

وقال ﷺ: **«لا تحلفوا إلا بالله»**.

وقال ﷺ: **«من حلف بالأمانة فليس منا»**.

وقال ﷺ: **«من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»**، وفي رواية **«وأشرك»**.

ومنه قول: ما شاء الله وشئت، قال النبي ﷺ للذي قال له ذلك:

«أجعلتني لله نداً، بل ما شاء الله وحده».

ومنه قول: لولا الله وأنت، وما لي إلا الله وأنت، وأنا داخل على الله وعليك، ونحو ذلك.

قال ﷺ: **«لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان»** قال أهل العلم: ويجوز: لولا الله ثم فلان، ولا يجوز، لولا الله وفلان.

[س ٤٨] ما الفرق بين الواو وثم في هذه الألفاظ؟

ج: لأن العطف بالواو يقتضي المقارنة والتسوية، فيكون من قال: «ما شاء الله وشئتَ» قارناً مشيئة العبد بمشيئة الله مسوياً بها، بخلاف العطف بثم المقتضية للتبعية، فمن قال: «ما شاء الله ثم شئت» فقد أقرَّ بأن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله تعالى، لا تكون إلا بعدها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الإنسان: ٣٠] و[التكوير: ٢٩]، وكذلك البقية.

[س ٤٩] ما هو توحيد الربوبية؟

ج: هو الإقرار الجازم بأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه، وخالقه، ومدبره، والمتصرف فيه، لم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له وليّ من الذل، ولا رادّ لأمره، ولا معقب لحكمه، ولا مضاد له، ولا مماثل له، ولا سميّ له، ولا منازع في شيء من معاني ربوبيته ومقتضيات أسمائه وصفاته.

قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ . . .﴾ [الأنعام: ١] الآيات، بل السورة كلها.

وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّاۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد]، الآيات.

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن

شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الروم].

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١]، وقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الطور]، وقال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ].

[س ٥٠] ما ضد توحيد الربوبية؟

ج: هو اعتقاد متصرف مع الله ﷻ في أي شيء من تدبير الكون من إيجاد، أو إعدام، أو إحياء، أو إماتة، أو جلب خير، أو دفع شر، أو غير ذلك من معاني الربوبية، أو اعتقاد منازع له في شيء من مقتضيات أسمائه وصفاته، كعلم الغيب، وكالعظمة والكبرياء، ونحو ذلك.

وقال الله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٢ ـ ٣] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ...﴾ [يونس: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ...﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ....﴾ [النمل: ٦٥]،

وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال النبي ﷺ: «**يقول الله تعالى: العظمة إزاري والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحداً منهما أسكنته ناري**» وهو في الصحيح.

[س ٥١] ما هو توحيد الأسماء والصفات؟

ج: هو الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه، ووصفه به رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى، والصفات العلى وإمرارها كما جاءت بلا كيف، كما جمع الله تعالى بين إثباتها ونفي التكييف عنها في كتابه في غير موضع، كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه]، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام]، وغير ذلك.

وفي الترمذي عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه: أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ - يعني لما ذكر آلهتهم - انسب لنا ربك، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾، والصمد الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾، لأنه ليس شيء يُولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله تعالى لا يموت ولا يورث، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ قال: لم يكن له شبيه ولا عديل، وليس كمثله شيء.

[س ٥٢] ما دليل الأسماء الحسنى من الكتاب والسنة؟

ج: قال الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال سبحانه: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨] وغيرها من الآيات.

وقال النبي ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً مَنْ أحصاها دخل الجنة**»، وهو في الصحيح.

وقال ﷺ: «**أسألك اللهم بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي**» الحديث.

[س ٥٣] ما مثال الأسماء الحسنى من القرآن؟

ج: مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤]، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٢٣]، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]، ﴿وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣]، ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣]، ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود: ٥٧]، ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١]، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء: ٨٥]، ﴿أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]، ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر: ٢٢ ـ ٢٤] وغيرها من الآيات.

[س ٥٤] ما مثال الأسماء الحسنى من السنة؟

ج: مثل قوله ﷺ: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم**»، وقوله ﷺ: «**يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، يا بديع السموات والأرض. . .**».

وقوله ﷺ: «**بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم**».

وقوله ﷺ: «**اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض رب كل شيء ومليكه**»، الحديث.

وقوله ﷺ: «**اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء...**»، الحديث.

وقوله ﷺ: «**اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن...**»، الحديث.

وقوله ﷺ: «**اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد**».

وقوله ﷺ: «**يا مقلب القلوب**» الحديث وغير ذلك كثير.

[س ٥٥] على كم نوع دلالة الأسماء الحسنى؟

ج: هي على ثلاثة أنواع:

١ ـ دلالتها على الذات مطابقة.

٢ ـ ودلالتها على الصفات المشتقة منها تضمناً.

٣ ـ ودلالتها على الصفات التي ما اشتقت منها التزاماً.

[س ٥٦] ما مثال ذلك؟

ج: مثال ذلك: اسمه تعالى الرحمن الرحيم، يدل على ذات المسمى وهو الله ﷻ مطابقة، وعلى الصفة المشتق منها وهي الرحمة تضمناً، وعلى غيرها من الصفات التي لم تشتق منها كالحياة، والقدرة التزاماً، وهكذا سائر أسمائه.

وذلك بخلاف المخلوق فقد يسمى حكيماً وهو جاهل، وحكماً وهو ظالم، وعزيزاً وهو ذليل، وشريفاً وهو وضيع، وكريماً وهو لئيم، وصالحاً وهو

طالح، وسعيداً وهو شقي، وأسداً وحنظلة وعلقمة وليس كذلك.

فسبحان الله وبحمده هو كما وصف نفسه وفوق ما يصفه به خلقه.

[س ٥٧] على كم قسم دلالة الأسماء الحسنى من جهة التضمن؟

ج: هي على أربعة أقسام:

الأول: الاسم العلم المتضمن لجميع معاني الأسماء الحسنى وهو الله، ولهذا تأتي الأسماء جميعها صفات له كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]، ونحو ذلك، ولم يأت هو قط تابعاً لغيره من الأسماء.

الثاني: ما يتضمن صفة ذات الله ﷻ، كاسمه تعالى السميع المتضمن سمعه الواسع جميع الأصوات، سواء عنده سرها وعلانيتها.

واسمه البصير المتضمن بصره النافذ في جميع المبصرات سواء دقيقها وجليلها.

واسمه العليم المتضمن علمه المحيط الذي ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ﴾ [سبأ: ٣].

واسمه القدير المتضمن قدرته على كل شيء إيجاداً وإعداماً وغير ذلك.

الثالث: ما يتضمن صفة فعل الله كالخالق الرازق البارىء المصور وغير ذلك.

الرابع: ما يتضمن تنزّهه تعالى وتقدّسه عن جميع النقائص كالقدّوس السلام.

[س ٥٨] كم أقسام الأسماء الحسنى من جهة إطلاقها على الله ﷻ؟

ج: منها ما يطلق على الله مفرداً، أو مع غيره، وهو ما يتضمن صفة الكمال بأي إطلاق، كالحي القيوم، الأحد الصمد، ونحو ذلك.

ومنها ما لا يطلق على الله إلا مع مقابله، وهو ما إذا أفرد أوْهَمَ نقصاً: كالضار النافع، والخافض الرافع، والمعطي المانع، والمعز المذل، ونحو ذلك، فلا يجوز إطلاق الضار، ولا الخافض، ولا المانع، ولا المذل، كلٌّ

على انفراده، ولم يُطلق قط شيء منها في الوحي كذلك لا في الكتاب ولا في السنة؛ ومن ذلك اسمه تعالى المنتقم لم يطلق في القرآن إلا مع متعلّقه كقوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]، أو بإضافة «ذو» إلى الصفة المشتقّ منها كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤].

[س ٥٩] تقدّم أن صفات الله تعالى منها ذاتية وفعلية، فما مثال صفات الذات من الكتاب؟

ج: مثل قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن]، ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٩]، ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف: ٢٦]، ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه]، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الشعراء]، ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢]، ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القصص]، وغير ذلك.

[س ٦٠] ما مثال صفات الذات من السنة؟

ج: كقوله ﷺ: **«حجابُه النور، لو كشفه لأحرقَت سُبُحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلْقه»**.

وقوله ﷺ: **«يمين الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يغض ما في يمينه، وعرشه على الماء، وبيده الأخرى الفيض أو القبض يرفع ويخفض»**.

وقوله ﷺ في حديث الدجّال: **«إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور»**، وأشار بيده إلى عينه. الحديث.

وفي حديث الاستخارة: **«اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب...»** الحديث.

وقوله ﷺ: «**إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً بصيراً قريباً**».

وقوله ﷺ: «**إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلّم بالوحي . . .**» الحديث، وفي حديث البَعْث: «**يقول الله تعالى: يا آدم فيقول لبَّيك. . .**» الحديث.

وأحاديث كلام الله لعباده في الموقف، وكلامه لأهل الجنة، وغير ذلك مما لا يُحصى.

[س ٦١] ما مثال صفات الأفعال من الكتاب؟

ج: مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩]، و[فصلت: ١١]، وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [صۤ: ٧٥]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨] وغيرها من الآيات.

[س ٦٢] ما مثال صفات الأفعال من السنة؟

ج: مثل قوله ﷺ: «**ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر . . .**» الحديث.

وقوله ﷺ في حديث الشفاعة: «**فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا . . .**» الحديث. ونعني بصفة الفعل هنا: الإتيان لا الصورة فافهم.

وقوله ﷺ: «**إن الله يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السموات بيمينه ثم يقول: أنا الملك. . .**» الحديث.

وقوله ﷺ: «**لمّا خلق الله الخلق كتب بيده على نفسه أن رحمتي تغلب غضبي**».

وفي حديث احتجاج آدم وموسى: «**فقال آدم: يا موسى اصطفاك الله**

بكلامه وخط لك التوراة بيده» فكلامه تعالى ويده صفتا ذات، وتكلّمه صفة ذات وفعل معاً، وخطه التوراة صفة فعل.

وقوله ﷺ: **«إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل»** الحديث، وغيرها كثير.

[س ٦٣] هل يُشتق من كل صفات الأفعال أسماء أم أسماء الله كلها توقيفية؟

ج: لا، بل أسماء الله تعالى كلها توقيفية، لا يسمى إلا بما سمى به نفسه في كتابه، أو أطلقه عليه رسوله ﷺ، وكل فعل أطلقه الله تعالى على نفسه فهو فيما أطلق فيه مدح وكمال، ولكن ليس كلها وصف الله به نفسه مطلقاً ولا كلها يشتق منها أسماء، بل منها ما وصف به نفسه مطلقاً كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الروم: ٤٠].

وسمى نفسه الخالق الرازق المحي المميت المدبر. ومنها أفعال أطلقها الله تعالى على نفسه على سبيل الجزاء والمقابلة، وهي فيما سيقت له مدح وكمال، كقوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران]، وقوله: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧].

ولكن لا يجوز إطلاقها على غير ما سيقت فيه من الآيات، فلا يقال: إنه تعالى يمكر ويخادع ويستهزىء، ونحو ذلك، وكذا لا يقال: ماكر مخادع مستهزىء. ولا يقوله مسلم ولا عاقل؛ فإن الله ﷻ لم يصف نفسه بالمكر والكيد والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق، وقد علم أن المجازاة على ذلك بالعدل حسنة من المخلوق فكيف من الخلّاق العليم العدل الحكيم؟!.

[س ٦٤] ماذا يتضمن اسمه العلي الأعلى وما في معناه كالظاهر والقاهر والمتعالي؟

ج: يتضمن اسمه العلي الأعلى الصفة المشتق منها، وهو ثبوت العلو له ﷻ بجميع معانيه:

علو فوقيته تعالى على عرشه، عال على جميع خلقه، بائن منهم، رقيب عليهم، يعلم ما هم عليه، قد أحاط بكل شيء علماً، لا تخفى عليه منهم خافية.

وعلو قهره، فلا مغالب له ولا منازع ولا مضاد ولا ممانع، بل كل شيء خاضع لعظمته، ذليل لعزته، مستكين لكبريائه، تحت تصرفه وقهره، لا خروج له من قبضته.

وعلو شأنه، فجميع صفات الكمال له ثابتة وجميع النقائص عنه منتفية ﷻ وتبارك وتعالى.

وجميع هذه المعاني للعلو متلازمة لا ينفك معنى منها عن الآخر.

[س ٦٥] ما دليل الفوقية من الكتاب؟

ج: الأدلة الصريحة عليه لا تعد ولا تحصى فمنها هذه الأسماء وما في معناها، ومنها قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه] في سبعة مواضع من القرآن، ومنها قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦ ـ ١٧] الآيتين، ومنها قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، ومنها قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، وقوله تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وغير ذلك كثير.

[س ٦٦] ما دليل ذلك من السنة؟

ج: أدلته من السنة كثيرة لا تحصى، منها قوله ﷺ في حديث الأوعال: «**والعرش فوق ذلك والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه**». وقوله لسعد في قصة بني قُريظة: «**لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة أرقعة**».

وقوله ﷺ للجارية: «**أين الله**»، قالت: في السماء قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**».

وأحاديث معراج النبي ﷺ وقوله ﷺ في حديث تعاقب الملائكة: «**ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم . . .**» الحديث.

وقوله ﷺ: «**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلا الطيب . . .**» الحديث.

وقوله ﷺ في حديث الوحي: «**إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان. . .**» الحديث، وغير ذلك كثير، وقد أقر بذلك جميع المخلوقات إلا الجهمية.

[س ٦٧] ماذا قال أئمة الدين من السلف الصالح في مسالة الاستواء؟

ج: قولهم بأجمعهم رحمهم الله تعالى: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق والتسليم، وهكذا قولهم في جميع آيات الأسماء والصفات وأحاديثها ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

[س ٦٨] ما دليل علو القهر من الكتاب؟

ج: أدلته كثيرة: منها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، وهو متضمن لعلو القهر والفوقية، وقوله تعالى: ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤]، وقوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾﴾ [ص]، وقوله تعالى: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود: ٥٦]، وقوله تعالى: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرحمن]، وغير ذلك من الآيات.

[س ٦٩] ما دليل ذلك من السنة؟

ج: أدلته من السنة كثيرة: منها قوله ﷺ: «**أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها**».

وقوله ﷺ: «**اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك،**

ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك...» الحديث.

وقوله ﷺ: «**إنك تقضي ولا يُقضَى عليك؛ إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت...**» وغير ذلك كثير.

[س ٧٠] ما دليل علو الشان وما الذي يجب نفيه عن الله ﷻ؟

ج: اعلم أن علو الشأن هو ما تضمنه اسمه القدوس السلام الكبير المتعال وما في معناها، واستلزمته جميع صفات كماله ونعوت جلاله.

فتعالى في أحديته، أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عوناً له أو ظهيراً أو شفيعاً عنده بدون إذنه أو عليه يجير.

وتعالى في عظمته وكبريائه وملكوته وجبروته، عن أن يكون له منازع أو مغالب أو ولي من الذل أو نصير.

وتعالى في صمديته عن الصاحبة والولد والوالد والكفو والنظير.

وتعالى في كمال حياته وقيّوميته وقدرته عن الموت والسِّنَة والنوم والتعب والإعياء.

وتعالى في كمال علمه عن الغفلة والنسيان، وعن عزوب مثقال ذرة عن علمه في الأرض أو في السماء.

وتعالى في كمال حكمته وحمده عن خَلق شيء عبثاً، وعن ترك الخلق سدى بلا أمر ولا نَهي ولا بعث ولا جزاء.

وتعالى في كمال عدله عن أن يظلم أحداً مثقال ذرة، أو أن يهضمه شيئاً من حسناته.

وتعالى في كمال غناه عن أن يطعم أو يرزق أو يفتقر إلى غيره في شيء.

وتعالى في جميع ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ عن التعطيل والتمثيل.

وسبحانه وبحمده ﷻ وتبارك وتعالى وتنزه وتقدس عن كل ما ينافي إلهيته وربوبيته وأسماءه الحسنى وصفاته العلى ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

ونصوص الوحي من الكتاب والسنة في هذا الباب معلومة مفهومة مع كثرتها وشهرتها.

[س ٧١] ما معنى قوله ﷺ في الأسماء الحسنى: «من أحصاها دخل الجنة»؟

ج: قد فسّر ذلك بمعاني.

منها حِفْظُها ودعاء الله بها والثناء عليه بجميعها.

ومنها أن ما كان يسوغ الاقتدَاء به كالرحيم والكريم فيمرّن العبد نفسه على أن يصح له الاتصاف بها فيما يليق به.

وما كان يختص به نفسه تعالى كالجبار والعظيم والمتكبر، فعلى العبد الإقرار بها والخضوع لها، وعدم التحلي بصفة منها.

وما كان فيه معنى الوعد كالغفور، الشكور، العفو، الرؤوف، الحليم، الجواد، الكريم، فليقف منه عند الطمع والرغبة.

وما كان فيه معنى الوعيد كعزيز ذي انتقام، شديد العقاب، سريع الحساب، فليقف منه عند الخشية والرهبة.

ومنها شهود العبد إيّاها وإعطاؤها حقها معرفة وعبودية، مثاله مَنْ شهد علو الله تعالى على خلقه وفوقيته عليهم، واستواءه على عرشه بائناً من خلقه مع إحاطته بهم علماً وقدرة، وغير ذلك، وتعبّد بمقتضى هذه الصفة بحيث يصير لقلبه صمد يعرج إليه، مناجياً له، مطرقاً واقفاً بين يديه، وقوف العبد الذليل بين يدي الملك العزيز؛ فيشعر بأن كلمه وعمله صاعد إليه معروض عليه، فيستحي أن يصعد إليه من كلمه وعمله ما يخزيه ويفضحه هنالك، ويشهد نزول الأمر، والمراسيم الإلهية إلى أقطار العوالم كل وقت بأنواع التدبير والتصرف من الإماتة والإحياء، والإعزاز والإذلال، والخفض والرفع، والعطاء والمنع، وكشف البلاء وإرساله، ومداولة الأيام بين الناس، إلى غير ذلك من التصرفات في المملكة التي لا يتصرف فيها سواه، فمراسيمه نافذة فيها كما يشاء ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾ [السجدة].

فمن وفّى هذا المشهد حقه معرفة وعبودية، فقد استغنى بربه وكفاه،

وكذلك من شهد علمه المحيط وسمعه وبصره، وحياته وقيوميته وغيرها. ولا يُرْزق هذا المشهد إلا السابقون المقرّبون.

[س ٧٢] ما ضد توحيد الأسماء والصفات؟

ج: ضده الإلحاد في أسماء الله وصفاته وآياته، وهو ثلاثة أنواع:

الأول: إلحاد المشركين الذين عدلوا بأسماء الله تعالى عما هي عليه وسموا بها أوثانهم فزادوا ونقصوا فاشتقوا اللّات من الإله، والعزّى من العزيز، ومنّاة من المنان.

الثاني: إلحاد المشبّهة الذين يكيّفون صفات الله تعالى ويشبّهونها بصفات خلقه، وهو مقابل لإلحاد المشركين، فأولئك سوّوا المخلوق برب العالمين، وهؤلاء جعلوه بمنزلة الأجسام المخلوقة وشبّهوه بها تعالى وتقدس.

الثالث: إلحاد النفاة المعطلة وهم قسمان:

قسم أثبتوا ألفاظ أسمائه تعالى ونفوا عنه ما تضمنته من صفات الكمال، فقالوا: رحمن رحيم بلا رحمة، عليم بلا علم، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، قدير بلا قدرة، واطردوا بقيتها كذلك.

وقسم آخر صرحوا بنفي الأسماء ومتضمناتها بالكلية ووصفوه بالعَدَم المحض الذي لا اسم له ولا صفة.

سبحان الله وتعالى عما يقول الظالمون الجاحدون الملحدون علواً كبيراً ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه].

[س ٧٣] هل جميع انواع التوحيد متلازمة فينا، فيها كلها ما ينافي نوعاً منها؟

ج: نعم هي متلازمة، فمن أشرك في نوع منها فهو مشرك في البقية. مثال ذلك: دعاء غير الله وسؤاله ما لا يقدر عليه إلا الله، فدعاؤه إياها عبادة بل مخ العبادة، صرفها لغير الله من دون الله، فهذا شرك في الإلهية، وسؤاله

إياه تلك الحاجة من جلب خير أو دفع شر معتقداً أنه قادر على قضاء ذلك، هذا شرك في الربوبية، حيث اعتقد أنه متصرف مع الله في ملكوته، ثم إنه لم يدعه هذا الدعاء من دون الله إلا مع اعتقاده أنه يسمعه على البعد والقرب في أي وقت كان وفي أي مكان، ويصرّحون بذلك وهو شرك في الأسماء والصفات، حيث أثبت له سمعاً محيطاً بجميع المسموعات لا يحجبه قرب ولا بعد، فاستلزم هذا الشرك في الإلهية الشرك في الربوبية والأسماء والصفات.

[س ٧٤] ما الدليل على الإيمان بالملائكة من الكتاب والسنة؟

ج: أدلة ذلك من الكتاب كثيرة: منها قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف]، وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة].

وتقدم الإيمان بهم من السنة في حديث جبريل وغيره، وفي صحيح مسلم [٨/٢٢٦]: أن الله تعالى خلقهم من نور، والأحاديث في شأنهم كثيرة.

[س ٧٥] ما معنى الإيمان بالملائكة؟

ج: هو الإقرار الجازم بوجودهم، وأنهم خلق من خلق الله مربوبون مسخّرون و﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء]، ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء]، ولا يسأمون ولا يستحسرون.

[س ٧٦] اذكر بعض أنواعهم باعتبار ما هيّاهم الله له، ووكّلهم به؟

ج: هم باعتبار ذلك أقسام كثيرة:

فمنهم الموكّل بأداء الوحي إلى الرسل، وهو الروح الأمين جبريل عليه السلام.

ومنهم الموكّل بالقِطر، وهو ميكائيل عليه السلام.

ومنهم الموكل بالصّور، وهو إسرافيل عليه السلام.

ومنهم الموكل بقبض الأرواح، وهو ملك الموت وأعوانه.

ومنهم الموكل بأعمال العباد، وهم الكرام الكاتبون.

ومنهم الموكل بحفظ العبد من بين يديه ومن خلفه، وهم المعقّبات.

ومنهم الموكل بالجنة ونعيمها، وهم رضوان ومَن معه.

ومنهم الموكل بالنار وعذابها، وهم مالك ومن معه من الزبانية، ورؤساؤهم تسعة عشر.

ومنهم الموكل بفتنه القبر، وهم منكر ونكير.

ومنهم حملة العرش.

ومنهم الكروبيون.

ومنهم الموكّل بالنطف في الأرحام ومن تخليقها وكتابة ما يراد بها.

ومنهم ملائكة يدخلون البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم، ومنهم ملائكة سياحون يتبعون مجالس الذكر.

ومنهم صفوف قيام لا يفترون.

ومنهم ركع وسجد لا يرفعون.

ومنهم غير من ذكر ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣١]، ونصوص هذه الأقسام من الكتاب والسنة لا تخفى.

[س ٧٧] ما دليل الإيمان بالكتب؟

ج: أدلته كثيرة: منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُۚ﴾ [النساء: ١٣٦]، وقوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة] الآيات وغيرها كثير.

ويكفي في ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ [الشورى: ١٥].

[س ٧٨] هل سُمِّيت جميع الكتب في القرآن؟

ج: سمّى الله منها في القرآن: هو، والتوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم وموسى، وذكر الباقي جملة فقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

فما ذكر الله منها تفصيلاً وجب علينا الإيمان به تفصيلاً، وما ذكر منها إجمالاً وجب علينا الإيمان به إجمالاً. فنقول فيه ما أمر الله به رسوله ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ [الشورى: ١٥].

[س ٧٩] ما معنى الإيمان بكتب الله ﷻ؟

ج: معناه التصديق الجازم بأن جميعها منزّل من عند الله ﷻ، وأن الله تكلم بها حقيقة.

فمنها المسموع منه تعالى من وراء حجاب بدون واسطة الرسول الملكي.

ومنها ما بلّغه الرسول الملكي إلى الرسول البشري.

ومنها ما كتبه الله تعالى بيده كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١]. وقال تعالى لموسى: ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ [الأعراف: ١٤٤]، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

وقال تعالى في شأن التوراة: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، وقال في عيسى ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ [المائدة: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣] وتقدم ذكرها بلفظ التنزيل.

وقال تعالى في شأن القرآن: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء]، وقال تعالى فيه: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء]، وقال تعالى فيه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت] الآيات وغيرها كثير.

[س ٨٠] ما منزلة القرآن من الكتب المتقدمة؟

ج: قال الله تعالى فيه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [يونس]، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

قال أهل التفسير: ﴿وَمُهَيْمِنًا﴾: مؤتمناً وشاهداً على ما قبله من الكتب ومصدقاً لها؛ يعني يُصدّق ما فيها من الصحيح، وينفي ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير، ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير، ولهذا يخضع له كل متمسك بالكتب المتقدمة ممن لم ينقلب على عقبيه، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [القصص] وغير ذلك.

[س ٨١] ما الذي يجب التزامه في حق القرآن على جميع الأمة؟

ج: هو اتباعه ظاهراً وباطناً والتمسك به والقيام بحقه، قال الله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، وقال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ﴾ [الأعراف: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأعراف]، وهي عامة في كل كتاب والآيات في ذلك كثيرة.

وأوصى النبي ﷺ بكتاب الله فقال: **«فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به»**.

وفي حديث علي مرفوعاً: **«إنها ستكون فتن»** قلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: **«كتاب الله»** وذكر الحديث.

[س ٨٢] ما معنى التمسك بالكتاب والقيام بحقه؟

ج: حفظه، وتلاوته، والقيام به آناء الليل والنهار، وتدبر آياته، وإحلال حلاله، وتحريم حرامه، والانقياد لأوامره، والانزجار بزواجره، والاعتبار بأمثاله، والاتعاظ بقصصه، والعمل بمحكمه، والتسليم بمتشابهه، والوقوف عند حدوده، والذبّ عنه لتحريف الغالين وانتحال المبطلين، والنصيحة له بكل معانيها، والدعوة إلى ذلك على بصيرة.

[س ٨٣] ما حكم من قال بخلق القرآن؟

ج: القرآن كلام الله ﷻ حقيقة، حروفه ومعانيه، ليس كلامه الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف، تكلّم الله به قولاً، وأنزله على نبيّه وحياً، وآمن به المؤمنون حقاً، فهو وإن خط بالبنان، وتُليَ باللسان، وحُفظ بالجنان، وسُمع بالآذان، وأبصرته العينان، لا يخرجه ذلك عن كونه كلام الرحمن.

فالأنامل والمداد والأقلام والأوراق مخلوقة، والمكتوب بها غير مخلوق، والألسن والأصوات مخلوقة، والمتلو بها على اختلافها غير مخلوق، والصدور مخلوقة، والمحفوظ فيها غير مخلوق، والأسماع مخلوقة، والمسموع غير مخلوق. قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ [الواقعة]، وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [العنكبوت]، وقال تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

وقال ابن مسعود ﷺ: «أديموا النظر في المصحف» والنصوص في ذلك لا تحصى.

ومن قال القرآن أو شيء من القرآن مخلوق فهو كافر كفراً أكبر يخرجه من الإسلام بالكلية؛ لأن القرآن كلام الله تعالى، منه بدأ وإليه يعود وكلامه وصفته، ومن قال شيء من صفات الله مخلوق فهو كافر مرتد يُعرض عليه الرجوع إلى الإسلام فإن رجع وإلا قُتل كفراً ليس له شيء من أحكام المسلمين.

[س ٨٤] هل صفة الكلام ذاتية أو فعلية؟

ج: أما باعتبار تعلّق صفة الكلام بذات الله ﷻ واتصافه تعالى بها فمن صفات ذاته، كعلمه تعالى، بل هو من علمه، وأنزله بعلمه، وهو أعلم بما ينزل.

وأما باعتبار تكلّمه بمشيئته وإرادته فصفة فعل. كما قال النبي ﷺ: «**إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي...**» الحديث.

ولهذا قال السلف الصالح ـ رحمهم الله ـ في صفة الكلام: إنها صفة ذات وفعل معاً، فالله سبحانه وتعالى لم يزل ولا يزال متصفاً بالكلام أزلاً وأبداً، وتكلمه وتكليمه بمشيئته وإرادته، فيتكلم إذا شاء متى شاء وكيف شاء بكلام يسمعه من يشاء، وكلامه صفته لا غاية له ولا انتهاء، ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف]، ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧]، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام].

[س ٨٥] من هم الواقفة وما حكمهم؟

ج: الواقفة هم الذين يقولون في القرآن لا نقول هو كلام الله ولا نقول مخلوق. قال الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ: «من كان منهم يحسن الكلام فهو جهمي ومن كان لا يحسنه بل كان جاهلاً جهلاً بسيطاً، فهو تقام عليه الحجة بالبيان والبرهان، فإن تاب وآمن بأنه كلام الله تعالى غير مخلوق، وإلا فهو شر من الجهمية».

[س ٨٦] ما حكم من قال لفظي بالقرآن مخلوق؟

ج: هذه العبارة لا يجوز إطلاقها نفياً ولا إثباتاً لأن اللفظ معنى مشترك

بين التلفظ الذي هو فعل العبد، وبين الملفوظ به الذي هو القرآن.

فإذا أطلق القول بخلقه شمل المعنى الثاني، ورجع إلى قول الجهمية.

وإذا قيل غير مخلوق شمل المعنى الأول الذي هو فعل العبد وهذا من بدع الإتحادية.

ولهذا قال السلف الصالح ـ رحمهم الله تعالى ـ: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع.

[س ٨٧] ما دليل الإيمان بالرسل؟

ج: أدلته كثيرة من الكتاب والسنة: منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٠ ـ ١٥٢].

وقال النبي ﷺ: **«آمنت بالله ورسله»**.

[س ٨٨] ما معنى الإيمان بالرسل؟

ج: هو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولاً منهم يدعوهم إلى عبادة الله وحده، والكفر بما يُعبد من دونه، وأن جميعهم صادقون مصدقون، بارون راشدون، كرام بررة، أتقياء أمناء، هداة مهتدون؛ وبالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيَّدون، وأنهم بلّغوا جميع ما أرسلهم الله به، لم يكتموا ولم يغيّروا، ولم يزيدوا فيه من عند أنفسهم حرفاً، ولم ينقصوه ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥]، وأنهم كلهم كانوا على الحق المبين، وأن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلاً، واتخذ محمداً ﷺ خليلاً، وكلّم موسى تكليماً، ورفع إدريس مكاناً علياً، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الله فضّل بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات.

[س ٨٩] هل اتفقت دعوة الرسل فيما يامرون به وينهون عنه؟

ج: اتفقت دعوتهم من أولهم إلى آخرهم على أصل العبادة وأساسها،

وهو التوحيد بأن يُفرد الله تعالى بجميع أنواع العبادة، اعتقاداً وقولاً وعملاً، ويُكفر بكل ما يعبد من دونه.

وأما الفروض المتعبد بها فقد يُفرض على هؤلاء من الصلاة والصوم ونحوها، ما لا يُفرض على الآخرين، ويحرّم على هؤلاء ما يحل للآخرين، امتحاناً من الله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

[س ٩٠] ما الدليل على اتفاقهم في أصل العبادة المذكورة؟

ج: الدليل على ذلك من الكتاب على نوعين مجمل ومفصل:

أما المجمل: فمثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء]، وقوله تعالى: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف].

وأما المفصل: فمثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٣]، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: ٦١]، ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: ٥٠]، ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: ٨٤]، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٧]، وقال موسى: ﴿إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [طه]، ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَٰبَنِي إِسْرَٰءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَٰحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾﴾ [ص] وغيرها من الآيات.

[س ٩١] ما دليل اختلاف شرائعهم في فروعها من الحلال والحرام؟

ج: قول الله ﷻ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا ءَاتَىٰكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَٰتِ﴾ [المائدة: ٤٨]، قال ابن

عباس ﷺ: ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ سبيلاً وسنة، ومثله قال مجاهد وعكرمة والحسن البصري وقتادة والضحّاك والسدي وأبو إسحاق السَّبيعي.

وفي صحيح البخاري قال النبي ﷺ: «**نحن معشر الأنبياء أخوة لعلات ديننا واحد**»؛ يعني بذلك التوحيد الذي بعث الله به كل رسول أرسله وضمنه كل كتاب أنزله، وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي والحلال والحرام ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

[س ٩٢] هل قص الله جميع الرسل في القرآن؟

ج: لقد قص الله علينا من أنبائهم ما فيه كفاية وموعظة وعبرة، ثم قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤]، فنؤمن بجميعهم تفصيلاً فيما فصّل، وإجمالاً فيما أجمل.

[س ٩٣] كم سُمِّي منهم في القرآن؟

ج: سُمِّي منهم فيه: آدم، ونوح، وإدريس، وهود، وصالح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، ولوط، وشعيب، ويونس، وموسى، وهارون، وإلياس، وزكريا، ويحيى، واليسع، وذا الكفل، وداود، وسليمان، وأيوب، وذُكر الأسباط جملة، وعيسى، ومحمد ﷺ وعليهم أجمعين.

[س ٩٤] من هم أولو العزم من الرسل؟

ج: هم خمسة ذكرهم الله ﷻ على انفرادهم في موضعين من كتابه:

الموضع الأول: في سورة الأحزاب وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ...﴾ [الأحزاب: ٧].

الموضع الثاني: في سورة الشورى، وهو قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

[س ٩٥] من أول الرسل؟

ج: أولهم بعد الاختلاف نوح عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ

كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء: ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ﴾ [غافر: ٥].

[س ٩٦] متى كان الاختلاف؟

ج: قال ابن عباس ﷺ: كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣].

[س ٩٧] من هو خاتم النبيّين؟

ج: خاتم النبيّين محمد ﷺ.

[س ٩٨] ما الدليل على ذلك؟

ج: قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقال النبي ﷺ: **«إنه سيكون بعدي كذّابون ثلاثون، كلهم يدّعي أنه نبيّ، وأنا خاتم النبيّين، ولا نبيّ بعدي»**.

وفي الصحيح قوله ﷺ لعليّ ﷺ: **«ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبيّ بعدي»**، وقوله ﷺ في حديث الدجال: **«وأنا خاتم النبيّين ولا نبي بعدي»** وغير ذلك كثير.

[س ٩٩] بماذا اختص نبيّنا محمد ﷺ عن غيره من الأنبياء؟

ج: له ﷺ خصائص كثيرة قد أفردت بالتصنيف:

منها كونه خاتم النبيين كما ذكرنا.

ومنها كونه ﷺ سيد ولد آدم كما فسر به قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال ﷺ: **«أنا سيد ولد آدم ولا فخر»**.

ومنها بعثه ﷺ إلى الناس عامة جنّهم وإنسهم، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سبأ: ٢٨].

وقال ﷺ: **«أُعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نُصرتُ بالرعب مسيرة شهر وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأُحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»**.

وقال ﷺ: **«والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»**، وله ﷺ من الخصائص غير ما ذكرنا فتتبعها من النصوص.

[س ١٠٠] ما هي معجزات الأنبياء؟

ج: المعجزات: هي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة.

وهي إما حسّية تشاهد بالبصر أو تسمع، كخروج الناقة من الصخرة، وانقلاب العصا حية وكلام الجمادات ونحو ذلك.

وإما معنوية تشاهد بالبصيرة كمعجزة القرآن.

وقد أوتي نبينا ﷺ من كل ذلك، فما من معجزة كانت لنبي إلا وله ﷺ أعظم منها في بابها، فمن المحسوسات: انشقاق القمر، وحنين الجذع، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة، وكلام الذراع، وتسبيح الطعام، وغير ذلك مما تواترت به الأخبار الصحيحة، ولكنها كغيرها من معجزات الأنبياء التي انقرضت بانقراض أعصارهم، ولم يبق إلا ذكرها، وإنما المعجزة الباقية الخالدة هي هذا القرآن، الذي لا تنقضي عجائبه و﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ۝٤٢﴾ [فصلت].

[س ١٠١] ما دليل إعجاز القرآن؟

ج: الدليل على ذلك نزوله في أكثر من عشرين سنة متحدياً به أفصح الخلق وأقدرها على الكلام وأبلغها منطقاً وأعلاها بياناً قائلاً: ﴿فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ۝٣٤﴾ [الطور]، ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ﴾ [هود: ١٣]، ﴿قُلۡ

﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ﴾ [يونس: ٣٨]، فلم يفعلوا ولم يروموا ذلك مع شدة حرصهم على رده بكل ممكن، مع كون حروفه وكلماته من جنس كلامهم الذي به يتحاورون، وفي مجاله يتسابقون ويتفاخرون، ثم نادى عليهم ببيان عجزهم وظهور إعجازه ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾ [الإسراء].

وقال ﷺ: «**ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**».

وقد صنف الناس في وجوه إعجاز القرآن من جهة الألفاظ والمعاني والأخبار الماضية الآتية من المغيبات، وما بلغوا من ذلك إلا كما يأخذ العصفور بمنقاره من البحر.

[س ١٠٢] ما دليل الإيمان باليوم الآخر من الكتاب؟

ج: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨﴾ [يونس]، وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖ﴾ [العنكبوت: ٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ٦﴾ [الذاريات]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا﴾ [غافر: ٥٩] إلى غير ذلك من الآيات.

[س ١٠٣] ما معنى الإيمان باليوم الآخر وما الذي يدخل فيه؟

ج: معناه التصديق الجازم بإتيانه لا محالة، والعمل بموجب ذلك. ويدخل في ذلك الإيمان بأشراط الساعة وأماراتها التي تكون قبلها لا محالة، وبالموت وما بعده من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، وبالنفخ في الصور، وخروج الخلائق من القبور، وما في موقف القيامة من الأهوال والأفزاع، وتفاصيل المحشر، ونشر الصحف، ووضع الموازين، وبالصراط والحوض والشفاعة وغيرها، وبالجنة ونعيمها الذي أعلاه النظر إلى وجه الله ﷻ، وبالنار وعذابها الذي أشده حجبهم عن ربهم ﷻ.

[س ١٠٤] هل يعلم أحد متى تكون الساعة؟

ج: مجيء الساعة من مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ﴾ [لقمان: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾ [النازعات] الآيات.

ولما قال جبريل للنبي ﷺ: فأخبرني عن الساعة، قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»، وذكر أمارتها وزاد في رواية: «**في خمس لا يعلمهن إلا الله تعالى**» وتلا الآية السابقة.

[س ١٠٥] ما مثال أمارات الساعة من الكتاب؟

ج: مثل قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل]، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ ...﴾ [الأنبياء: ٩٦ ـ ٩٧]، وقوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [الدخان]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحج] الآيات وغيرها.

[س ١٠٦] ما مثال أمارات الساعة من السُّنَّة؟

ج: مثل أحاديث طلوع الشمس من مغربها وأحاديث الدابة وأحاديث الفتن كالدجال والملاحم، وأحاديث نزول عيسى. وخروج يأجوج ومأجوج، وأحاديث الدخان، وأحاديث الريح التي تقبض كل نفس مؤمنة، وأحاديث النار التي تظهر، وأحاديث الخسوف وغيرها.

[س ١٠٧] ما دليل الإيمان بالموت؟

ج: قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر]، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] وغير ذلك من الآيات.

وفيه من الأحاديث ما لا يحصى، والأمر مشاهد لا يجهله أحد، وليس فيه شك، ولا تردد، ولكن عناد واستكبار، ولا يعمل على موجب إيمانه به، وبما بعده، إلا عباد الله المخلصون، ونؤمن أن كل من مات، أو قتل، أو بأي سبب كان، أن ذلك بأجله لم يُنقص منه شيئاً، قال الله تعالى: ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ [الرعد: ٢]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

[س ١٠٨] ما دليل فتنة القبر ونعيمه أو عذابه من الكتاب؟

ج: قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر]، وقال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ . . .﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وقال تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١]، وغير ذلك من الآيات.

[س ١٠٩] ما دليل ذلك من السنة؟

ج: الأحاديث الصحيحة في ذلك بلغت مبلغ التواتر، فمنها حديث أنس

ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد ﷺ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، فيراهما جميعاً»** ـ قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح في قبره ثم رجع إلى حديث أنس ـ: قال: **«وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين»**.

وحديث عبد الله بن عمر ﭭ: أن رسول الله ﷺ قال: **«إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»**.

وحديث القبرين وفيه **«إنهما ليعذبان»**.

وحديث أبي أيوب ﷺ، قال: خرج النبي ﷺ وقد وجبت الشمس، فسمع صوتاً، فقال: **«يهود تُعذب في قبورها»**.

وحديث أسماء: «قام رسول الله ﷺ خطيباً، فذكر فتنة القبر التي يفتتن فيها المرء، فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة».

وقالت عائشة ﭭ: «ما رأيت رسول الله ﷺ بَعْدُ، صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر».

وفي قصة الكسوف: وأمرهم ﷺ أن يتعوذوا من عذاب القبر.

وكل هذه الأحاديث في الصحيح وقد سقنا منها نحو ستين حديثاً من طرق ثابتة عن جماعة من الصحابة يرفعونها في شرحنا على «السُّلَّم».

[س ١١٠] ما دليل البعث من القبور؟

ج: قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى

ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾ [مريم]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٧ ـ ٧٩] إلى آخره السورة، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحقاف] إلى آخر السورة، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت] وغيرها من الآيات.

وكثيراً ما يضرب الله تعالى لذلك مثلاً بإيحائه الأرض بالماء، فتصبح تهتز مخضرة بالنبات بعد موتها بالجدب؛ إذ كانت قبل هامدة، وبذلك ضرب النبي ﷺ المثل في حديث العقيلي الطويل حيث قال: «**ولعمر إلهك ما يدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت عنه القبر حتى يخلقه من قبل رأسه، فيستوي جالساً يقول ربك «مَهْيَمْ»؟** [أي ما أمرك وما شأنك؟] **لما كان منه يقول: رب أمس اليوم لعهده بالحياة يحسبه حديثاً بأهله**» قلت: يا رسول الله! كيف يجمعنا بعد ما تمزقنا الرياح والبلى والسباع؟ قال: «**أنبئُكَ بمثل ذلك في آلاء الله، الأرض أشرفت عليها وهي في مدرة بالية فقلت: لا تحيا أبداً؟ فأرسل الله عليها السماء فلم تلبث عنها إلا أياماً حتى أشرفت عليها فإذا هي شربة واحدة، ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الأرض فتخرجون من الأصواء من مصارعكم...**» الحديث وغيره كثير.

[س ١١١] ما حكم من كذّب بالبعث؟

ج: هو كافر بالله ﷻ وبكتبه ورسله، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [النمل]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ

فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾﴾ [الرعد]، وقال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن]، وغيرها من الآيات.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**قال الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: «لن يعيدني كما بدأني»، وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: «اتخذ الله ولداً»، وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفواً أحد**».

[س ١١٢] ما دليل النفخ في الصور وكم نُفخات ينفخ فيه؟

ج: قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر]، ففي هذه الآية ذكر نفختين، الأولى: للصعق، والثانية: للبعث، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [النمل]، فمن فسّر الفزع في هذه الآية بالصعق، فهي النفخة الأولى المذكورة في آية الزمر، ويؤيده حديث مسلم وفيه: «**ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً ورفع ليتاً - قال - وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله** - قال: - **فيصعق ويصعق الناس، ثم يرسل الله** - أو قال -: **ينزل الله مطراً كأنه الطلُّ** - أو قال -: **الظل** - شعبة الشاك - **فتنبت منه أجساد الناس، ثم يُنفخ فيه أُخرى فإذا هم قيام ينظرون . . .**» الحديث.

ومن فسر الفزع بدون الصعق فهي نفخة ثالثة متقدمة على النفختين، ويؤيده ما في حديث الصور الطويل، فإن فيه ذكر ثلاث نفخات: نفخة الفزع ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين.

[س ١١٣] كيف صفة الحشر من الكتاب؟

ج: في صفته آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا

خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤]، وقوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم]، وقوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ . . .﴾ [الواقعة]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ [طه]، وهو نقل الأقدام إلى المحشر كأخفاف الإبل، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [الإسراء: ٩٧] وغير ذلك من الآيات كثير.

[س ١١٤] كيف صفته من السُّنَّة؟

ج: قال النبي ﷺ: «**يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين راهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا**»، وعن أنس بن مالك ﷺ أن رجلاً قال: يا نبي الله كيف يُحشر الكافر على وجهه؟ قال: «**أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟**».

وقال ﷺ: «**إنكم محشورون حفاة عُراة غُرلاً** ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، **وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم**» الحديث، وقالت عائشة ﵂ في ذلك: يا رسول الله! الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال: «**الأمر أشد من أن يهمهم ذلك**».

[س ١١٥] كيف صفة الموقف من الكتاب؟

ج: قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ

﴿ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، وقال تعالى: ﴿فِي يَوۡمٍ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٍ...﴾ [المعارج: ٤]، وقال تعالى: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١] الآيات، وغير ذلك كثير.

[س ١١٦] كيف صفة الموقف من السُّنَّة؟

ج: فيها أحاديث كثيرة، منها عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]، قال: «**يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه**».

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم...**»، وهذه في الصحيح وغيرها كثير.

[س ١١٧] كيف صفة العرض والحساب من الكتاب؟

ج: قال تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٍ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ۝١٨﴾ [الحاقة]، وقال تعالى: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭ...﴾ [الكهف: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ فَوۡجٗا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمۡ يُوزَعُونَ ۝٨٣ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبۡتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمۡ تُحِيطُواْ بِهَا عِلۡمًا أَمَّاذَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٨٤ وَوَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمۡ لَا يَنطِقُونَ ۝٨٥﴾ [النمل]، وقال تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة]، وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٩٣﴾ [الحجر]، وقال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ۝٢٤﴾ [الصافات] الآيات وغيرها كثير.

[س ١١٨] كيف صفة ذلك من السُّنَّة؟

ج: فيه أحاديث كثيرة، ومنها قوله ﷺ: «**من نوقش الحساب عذب**» قالت عائشة رضي الله عنها: أليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾؟ [الانشقاق: ٨]، قال: «**ذلك العرض**».

وقال ﷺ: «يجاء بالكافر يوم القيامة فيُقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقال: قد سُئلت ما هو أيسر من ذلك - وفي رواية - فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم ألا تشرك بي فأبيت إلّا الشرك».

وقال ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر أشام منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة، ولو بكلمة طيبة».

وقال ﷺ: «يدنو أحدكم - يعني المؤمنين - من ربه حتى يضع كَنَفَه عليه، فيقول: أعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم. ويقول: عملت كذا وكذا. فيقول: نعم، فيقرره، ثم يقول: - إني سترتُ عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم» وغير ذلك من الأحاديث.

[س ١١٩] كيف صفة نشر الصحف من الكتاب؟

ج: قال الله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾﴾ [الحاقة] إلى قوله: ﴿ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ [الحاقة: ٣٧]، وفي آية الانشقاق: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ [الانشقاق: ٧ - ١٠]، فهذا يدل على أن من يؤتى كتابه بيمينه يؤتاه من أمامه، ومن يؤتى كتابه بشماله يؤتاه من وراء ظهره، والعياذ بالله ﷻ.

[س ١٢٠] ما دليل ذلك من السُّنَّة؟

ج: فيه أحاديث كثيرة: منها قوله ﷺ: «يدني المؤمن من ربه حتى يضع

عليه كنفه فيقرره بذنوبه، تعرف ذنب كذا؟ يقول: أعرف، يقول رب: أعرف مرتين، فيقول: سترتُها في الدنيا وأغفرها لك اليوم. ثم تُطوى صحيفة حسناته، وأما الآخرون أو الكفار فينادى عليهم على رؤوس الأشهاد: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ١٨]، وقالت عائشة ﵂: قلت: يا رسول الله! هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة؟ قال: «**يا عائشة أما عند ثلاث فلا، أما عند الميزان حتى يثقل أو يخف فلا، وأما عند تطاير الكتب إما يُعطى بيمينه وإما يعطى بشماله فلا، وحين يخرج عنق من النار ...**» الحديث بطوله رواه أحمد، وأبو داود، وغير ذلك من الأحاديث.

[س ١٢١] ما دليل الميزان من الكتاب وكيف صفة الوزن؟

ج: قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٣]، وقال تعالى في الكافرين: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] وغير ذلك من الآيات.

[س ١٢٢] ما دليل ذلك وصفته من السُّنَّة؟

ج: فيه أحاديث كثيرة، منها: حديث البطاقة التي فيها الشهادتان، وأنها ترجح بتسعين سجلاً من السيئات كل سجل منها مدى البصر.

ومنها قوله ﷺ في ابن مسعود ﵁: «**أتعجبون من دقة ساقيه؟ والذي نفسي بيده لهما في الميزان أثقل من أحد**».

وقال ﷺ: «**إنه ليؤتى بالرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة**» ـ وقال: «**اقرؤوا** ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾»، وغير ذلك من الأحاديث.

[س ١٢٣] ما دليل الصراط من الكتاب؟

ج: قال الله ﷻ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ

نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد: ١٢].

[س ١٢٤] ما دليل ذلك وصفته من السنة؟

ج: فيه أحاديث كثيرة، منها: قوله ﷺ في حديث الشفاعة: «**يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم**»، قلنا: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: «**مدحضة مزلّة، عليه خطاطيف وكلاليب وحَسَكة مفلطحة، لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها: السَّعدان، يمر المؤمن عليها كالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلّم، وناج مخدوش، ومَكْدوس في نار جهنم، حتى يمر آخرهم يُسحب سحباً**» الحديث في الصحيح، وقال أبو سعيد ﷺ: بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحدّ من السيف.

[س ١٢٥] ما دليل القصاص من الكتاب؟

ج: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ...﴾ [غافر: ١٧ - ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ...﴾ [الزمر: ٦٩].

[س ١٢٦] ما دليل القصاص وصفته من السنة؟

ج: فيه أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ: «**أول ما يقضى بين الناس في الدماء**».

وقوله ﷺ: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلل منه اليوم، فإنه ليس ثم دينار ولا درهم، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه**».

وقوله ﷺ: «**يخلص المؤمنون من النار فيجلسون على قنطرة بين الجنة والنار فيُقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقُّوا أُذن لهم في دخول الجنة**»، كلها في الصحيح وغيرها كثير.

[س ١٢٧] ما دليل الحوض من الكتاب؟

ج: قال الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ...﴾ [الكوثر: ١].

[س ١٢٨] ما دليله وصفته من السُّنَّة؟

ج: فيه أحاديث كثيرة بلغت مبلغ التواتر، منها قوله ﷺ: «**أنا فرطكم على الحوض...**».

وقوله ﷺ: «**إني فرط لكم، وإني أشهد عليكم وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن...**».

وقوله ﷺ: «**حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ أبداً**».

وقوله ﷺ: «**أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر**» وغير ذلك من الأحاديث فيه كثير.

[س ١٢٩] ما دليل الإيمان بالجنة والنار؟

ج: قال الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: ٢٤ ـ ٢٥] الآية وغيرها ما لا يحصى.

وفي الصحيح من دعاء النبي ﷺ في صلاة الليل: «**ولك الحمد أنت الحق ووعدك حق، ولقاؤك حق، وقولك حق؛ والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق،...**» الحديث.

وقوله ﷺ: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**» أخرجاه وفي رواية «**من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء**».

[س ١٣٠] ما معنى الإيمان بالجنة والنار؟

ج: معناه: التصديق الجازم بوجودهما، وأنهما مخلوقتان الآن؛ وأنهما

باقيتان بإبقاء الله لهما لا تفنيان أبداً؛ ويدخل في ذلك كل ما احتوت عليه هذه من النعيم وتلك من العذاب.

[س ١٣١] ما الدليل على وجودهما الآن؟

ج: أخبرنا الله ﷻ أنهما معدَّتان فقال في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١].

وأخبرنا أنه تعالى أسكن آدم وزوجه الجنة قبل أكلهما من الشجرة، وأخبرنا تعالى بأن الكفار يُعرضون على النار غدواً وعشياً.

وقال النبي ﷺ: «**اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**» الحديث.

وتقدم في فتنة وعذاب القبر: «**إذا مات أحدكم يعرض عليه مقعده...**» الحديث.

وقال ﷺ: «**أبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم**».

وقال ﷺ: «**اشتكت النار إلى ربها ﷻ، فقالت: ربي أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين، نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير**».

وقال ﷺ: «**الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء**».

وقال ﷺ: «**لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال: اذهب فانظر إليها...**» الحديث.

وقد عرضتا عليه ﷺ في مقامه يوم كسفت الشمس وعرضت عليه ليلة الإسراء، وفي ذلك من الأحاديث الصحيحة ما لا يُحصى.

[س ١٣٢] ما الدليل على بقائهما لا تفنيان أبداً؟

ج: قال الله تعالى في الجنة: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]، وقال تعالى فيها: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾ إلى قوله: ﴿لَا

يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥١ ـ ٥٦]، وغيرها من الآيات، فأخبر تعالى بأبديتها وأبدية حياة أهلها وعدم انقطاعها عنهم، وعدم خروجهم منها.

وكذلك النار، وقال تعالى فيها: ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء: ١٦٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ [الأحزاب]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، وقال تعالى: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف]، وقال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤]، وغير ذلك من الآيات.

فأخبرنا تعالى: في هذه الآيات وأمثالها أن أهل النار الذين هم أهلها خلقت لهم وخلقوا لها أنهم خالدون فيها أبداً، فنفى تعالى خروجهم منها بقوله: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ﴾ [البقرة: ١٦٧]، ونفى انقطاعها عنهم بقوله: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٧٥]، ونفى فناءهم فيها بقوله: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى: ١٣].

وقال النبي ﷺ: «**أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون...**» الحديث، وقال ﷺ: «**إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، جيء بالموت حتى يُجعَل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي منادٍ: يا أهل الجنة لا موت، يا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم**» ـ وفي لفظ ـ «**كل خالد فيما هو فيه**»، وفي رواية: «ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم]» وهي في الصحيح، وفي ذلك أحاديث غير ما ذكرنا.

[س ١٣٣] ما الدليل على أن المؤمنين يرون ربهم تبارك وتعالى في الدار الآخرة؟

ج: قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]،

وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقال تعالى في الكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، فإذا حجب أعداءه لم يحجب أولياءه، وفي الصحيحين عن جرير بن عبدالله ﷺ قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، فقال: «**إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا**».

وقوله: «**كما ترون هذا**» أي: كرؤيتكم هذا القمر، تشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي، كما أن قوله في حديث تكلّم الله ﷻ بالوحي: «**ضربت الملائكة بأجنحتها، خضعاناً، لقوله: كأنه سلسلة على صفوان**».

وهذا تشبيه للسماع بالسماع لا للمسموع بالمسموع؛ تعالى الله أن يشبه في ذاته أو صفاته شيء من خلقه، وتنزّه النبي ﷺ أن يحمل شيء من كلامه على التشبيه وهو أعلم الخلق بالله ﷻ.

وفي حديث صهيب عند مسلم: «**فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ**»، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وفي الباب أحاديث كثيرة صحيحة صريحة ذكرنا منها في شرح «**سلم الوصول**» خمسة وأربعين حديثاً عن أكثر من ثلاثين صحابياً. ومن ردّ ذلك فقد كذّب بالكتاب وبما أرسل الله به رسله، وكان من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين] نسأل الله تعالى العفو والعافية، وأن يرزقنا لذّة النظر إلى وجهه آمين.

[س ١٣٤] ما دليل الإيمان بالشفاعة، وممن تكون، ولمن تكون، ومتى تكون؟

ج: قد أثبت الله ﷻ الشفاعة في كتابه في مواضع كثيرة؛ بقيود ثقيلة، وأخبرنا تعالى أنها ملك له، ليس لأحد فيها شيء، فقال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، فأما متى تكون؟ فأخبرنا ﷻ أنها لا تكون إلا بإذنه، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿مَا

مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ﴾ [يونس: ٣]، ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم]، ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣].

وأما ممن تكون فكما أخبرنا تعالى أنها لا تكون إلا من بعد إذنه، أخبرنا أيضاً أنه لا يأذن إلا لأوليائه المرتضين الأخيار، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا﴾ [النبأ: ٣٨]، وقال: ﴿لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴿٨٧﴾﴾ [مريم]، وأما لمن تكون فأخبرنا أنه لا يأذن أن يشفع إلا لمن ارتضى، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه].

وهو سبحانه لا يرتضي إلا أهل التوحيد والإخلاص، وأما غيرهم فقال تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، وقال تعالى عنهم: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ﴿١٠١﴾﴾ [الشعراء]، وقال تعالى فيهم: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

وقد أخبرنا النبي ﷺ أنه أوتي الشفاعة، ثم أخبر أنه يأتي فيسجد تحت العرش ويحمد ربه بمحامد يعلّمه إياها، لا يبدأ بالشفاعة أولاً حتى يقال له: «**ارفع رأسك، وقل تُسمع، وسَلْ تُعط، واشفع تُشفّع...**» الحديث.

ثم أخبر أنه لا يشفع في جميع العصاة من أهل التوحيد دفعة واحدة، بل قال: «**فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة**»، ثم يرجع فيسجد كذلك فيحد له حداً إلى آخر حديث الشفاعة.

وقال له أبو هريرة ﷺ: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «**من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه**».

[س ١٣٥] كم أنواع الشفاعة وما أعظمها؟

ج: أعظمها: الشفاعة العظمى في موقف القيامة في أن يأتي الله تعالى لفصل القضاء بين عباده، وهي خاصة لنبينا محمد ﷺ، وهي المقام المحمود الذي وعده الله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]، وذلك أن الناس إذا ضاق بهم الموقف، وطال المقام واشتد

القلق، وألجمهم العرق، التمسوا الشفاعة في أن يفصل الله بينهم، فيأتون آدم ثم نوحاً ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ابن مريم وكلهم يقول: نفسي نفسي، إلى أن ينتهوا إلى نبينا محمد ﷺ فيقول: «**أنا لها**»، كما جاء مفصلاً في الصحيحين وغيرهما.

الثانية: الشفاعة في استفتاح باب الجنة، وأول من يستفتح بابها نبينا محمد ﷺ وأول من يدخلها من الأمم أمته.

الثالثة: الشفاعة في أقوام قد أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها.

الرابعة: فيمن دخلها من أهل التوحيد أن يخرجوا منها، فيخرجون وقد امتحشوا وصاروا فحماً، فيطرحون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل.

الخامسة: الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة. وهذه الثلاث ليست خاصة بنبينا ﷺ ولكنه هو المقدم فيها، ثم بعده الأنبياء والملائكة والأولياء والأفراط يشفعون، ثم يخرج الله تعالى برحمته من النار أقواماً بدون شفاعة لا يحصيهم إلا الله فيدخلهم الجنة.

السادسة: الشفاعة في تخفيف عذاب بعض الكفار، وهذه خاصة لنبينا محمد ﷺ في عمه أبي طالب كما في مسلم وغيره.

«**ولا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط وعزتك، ويبقى في الجنة فضل عمن دخلها فينشىء الله تعالى أقواماً فيدخلهم الجنة**».

وفي ذلك من النصوص ما لا يحصى فمن شاءها وجدها في الكتاب والسنة.

[س ١٣٦] هل يدخل الجنة أو ينجو من النار أحد بعمله؟

ج: قال رسول الله ﷺ: «**قاربوا وسددوا واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله**» ـ قالوا: يا رسول الله ولا أنت؟! ـ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**»، وفي رواية «**سددوا وقاربوا وأبشروا فإنه لن يدخل الجنة أحداً عملُه**» ـ قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟! قال: «**ولا أنا إلا أن**

يتغمدني الله منه برحمة، واعلموا أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قَلَّ».

[س ١٣٧] ما الجمع بين هذا الحديث وبين قوله تعالى: ﴿وَنُودُوٓا أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

ج: لا منافاة بينهما بحمد الله، فإن الباء المثبتة في الآية هي «باء السببية»؛ لأن الأعمال الصالحة سبب في دخول الجنة لا يحصل إلا بها، إذ المسبب وجوده بوجود سببه، والمنفي في الحديث هي باء الثمنية؛ فإن العبد لو عُمِّرَ عمر الدنيا وهو يصوم النهار ويقوم الليل، ويجتنب المعاصي كلها لم يقابل كل عمله عشر معشار أصغر نعم الله عليه الظاهرة والباطنة؛ فكيف تكون ثمناً لدخول الجنة؟! ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨].

[س ١٣٨] ما دليل الإيمان بالقدر جملة؟

ج: قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا﴾ [الأنفال: ٤٢]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ ...﴾ [التغابن: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٦]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة] وغير ذلك من الآيات.

وتقدم في حديث جبريل: «**وتؤمن بالقدر خيره وشره**»، وقال ﷺ: «**واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك**».

وقال ﷺ: «**وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قُلّ: قدر الله وما شاء فعل**».

وقال ﷺ: «**كل شيء بقدر حتى العجز والكيس**» وغير ذلك من الأحاديث.

[س ١٣٩] كم مراتب الإيمان بالقدر؟

ج: الإيمان بالقدر على أربع مراتب:

المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وأنه تعالى قد علم جميع خلقه قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم، وآجالهم، وأقوالهم، وأعمالهم، وجميع حركاتهم، وسكناتهم، وأسرارهم، وعلانياتهم، ومن هو منهم من أهل الجنة، ومن هو منهم من أهل النار.

المرتبة الثانية: الإيمان بكتابة ذلك وأنه تعالى قد كتب جميع ما سبق به علمه أنه كائن، وفي ضمن ذلك الإيمان باللوح والقلم.

المرتبة الثالثة: الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته النافذة، وقدرته الشاملة، وهما متلازمتان من جهة ما كان وما سيكون، ولا ملازمة بينهما من جهة ما لم يكن ولا هو كائن، فما شاء الله تعالى فهو كائن بقدرته لا محالة، وما لم يشأ الله تعالى لم يكن لعدم مشيئة الله إياه، لا لعدم قدرة الله عليه، تعالى الله عن ذلك: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

المرتبة الرابعة: الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء، وأنه ما من ذرة في السموات ولا في الأرض ولا فيما بينهما إلا والله خالقها، وخالق حركاتها وسكناتها، سبحانه لا خالق غيره، ولا رب سواه.

[س ١٤٠] ما دليل المرتبة الأولى، وهي: الإيمان بالعلم؟

ج: قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الحشر: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، وقال تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ﴾ [سبأ: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القلم: ٧]، وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣]، ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن

يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقر: ٢١٦].

وفي الصحيح، قال رجل: يا رسول الله، أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: «**نعم**»، قال: فَلِمَ يعمل العاملون؟ قال: «**كل يعمل لما خلق له أو لما يسر له**».

وفيه: سُئِلَ النبي ﷺ عن أولاد المشركين فقال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**».

وفي مسلم قال رسول الله ﷺ: «**إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها، وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً خلقهم لها، وهم في أصلاب آبائهم**».

وفيه قال ﷺ: «**إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة**».

وفيه قال ﷺ: «**ما منكم من نفس إلا وقد علم الله منزلها من الجنة والنار**»، قالوا يا رسول الله فلم نعمل، أفلا نتكل؟ قال: «**لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له**» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾﴾ إلى قوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ ـ ١٠]، وغير ذلك من الأحاديث.

[س ١٤١] ما دليل المرتبة الثانية، وهي الإيمان بكتابة المقادير؟

ج: قال الله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ﴾ [الحج: ٧٠]، وقال تعالى في محاجة موسى وفرعون: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١]، وغير ذلك من الآيات.

وقال ﷺ: «**ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة**

والنار، **وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة**»، رواه مسلم وفيه: قال سراقة بن مالك بن جعشم: يا رسول الله! بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فيم العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير، أم فيما نستقبل؟ قال: «**لا بل فيما جفّت به الأقلام وجرت به المقادير!**» قال: ففيم العمل؟ فقال: «**اعملوا فكل ميسر**» ـ وفي رواية: ـ «**كل عامل ميسر لعمله**» وغير ذلك من الأحاديث.

[س ١٤٢] كم يدخل في هذه المرتبة من التقادير؟

ج: يدخل في ذلك خمسة من التقادير كلها ترجع إلى العلم:

التقدير الأول: كتابة ذلك قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، عندما خلق الله القلم وهو التقدير الأزلي.

الثاني: التقدير العمري، حين أخذ الميثاق، يوم قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

الثالث: التقدير العمري أيضاً عند تخليق النطفة في الرحم.

الرابع: التقدير الحولي في ليلة القدر.

الخامس: التقدير اليومي وهو تنفيذ كل ذلك إلى مواضعه.

[س ١٤٣] ما دليل التقدير الأزلي؟

ج: قال الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ . . .﴾ [الحديد: ٢٢].

وفي الصحيح قال النبي ﷺ: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**».

وقال ﷺ: «**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب فقال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**» الحديث في السنن.

وقال ﷺ: «**يا أبا هريرة جَفَّ القلم بما هو كائن**» الحديث في البخاري. وغير ذلك كثير.

[س ١٤٤] ما دليل التقدير العمري يوم الميثاق؟

ج: قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَآ ...﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وروى إسحاق بن راهويه أن رجلاً قال: يا رسول الله أتُبتدأ الأعمال أم قد مضى القضاء؟ فقال: «**إن الله تعالى لما أخرج ذرية آدم من ظهره أشهدهم على أنفسهم، ثم أفاض بهم في كفيه، فقال: هؤلاء للجنة، وهؤلاء للنار، فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة، وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار**».

وفي الموطأ: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سُئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف]، فقال عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله ﷺ يُسأل عنها، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح على ظهره بيمينه حتى استخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون...**» الحديث بطوله.

وفي الترمذي من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان، فقال: «**أتدرون ما هذان الكتابان؟**» فقلنا: لا يا رسول الله إلا أن تخبرنا، فقال للذي في يده اليمنى: «**هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً**»، ثم قال للذي في شماله: «**هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً**» فقال أصحابه: ففيم العمل يا رسول الله إن كان أمر قد فرغ منه؟! فقال: «**سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل**»، ثم قال رسول الله ﷺ بيديه فنبذهما ثم قال: «**فرغ ربكم من العباد، فريق في الجنة، وفريق في السعير**»، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

[س ١٤٥] ما دليل التقدير العمري الذي عند أول تخليق النطفة؟

ج: قال الله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النجم: ٣٢]، وفي الصحيحين قال النبي ﷺ: «**إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات، بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**»، وفيه روايات غير هذه عن جماعة من الصحابة بألفاظ أخرى والمعنى واحد.

[س ١٤٦] ما دليل التقدير الحولي في ليلة القدر؟

ج: قال الله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا...﴾ [الدخان: ٤ ـ ٥].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت أو حياة ورزق ومطر، حتى الحجاج يقال: يحج فلان ويحج فلان»، وكذا قال الحسن وسعيد بن جبير ومقاتل وأبو عبد الرحمٰن السلمي وغيرهم.

[س ١٤٧] ما دليل التقدير اليومي؟

ج: قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

وفي صحيح الحاكم: قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن مما خلق الله تعالى لوحاً محفوظاً من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة أو مرة، ففي كل نظرة منها يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل؛ ويفعل ما يشاء، فذلك قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

وكل هذه التقادير، كالتفصيل من القدر السابق، وهو الأزلي الذي أمر الله

تعالى القلم عندما خلقه أن يكتبه في اللوح المحفوظ، وبذلك فسَّر ابن عمر، وابن عباس ﷺ قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩]، وكل ذلك صادر عن علم الله الذي هو صفته تبارك وتعالى.

[س ١٤٨] ماذا يقتضيه سبق المقادير بالشقاوة والسعادة؟

ج: اتفقت جميع الكتب السماوية والسنن النبوية على أن القدر السابق لا يمنع العمل، ولا يوجب الاتكال عليه، بل يوجب الجد والاجتهاد والحرص على العمل الصالح، ولهذا لما أخبر النبي ﷺ أصحابه بسبق المقادير وجريانها وجفوف القلم بها، قال بعضهم: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: «**لا اعملوا فكل ميسّر**» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ...﴾ [الليل: ٥].

فالله سبحانه وتعالى قدّر المقادير وهيأ لها أسباباً، وهو الحكيم بما نصبه من الأسباب في المعاش والمعاد، وقد يسر كلًّ من خلقه لما خلقه له في الدنيا والآخرة، فهو مهيأ له ميسر له.

فإذا علم العبد أن مصالح آخرته مرتبطة بالأسباب الموصلة إليها كان أشد اجتهاداً في فعلها والقيام بها وأعظم منه في أسباب معاشه ومصالح دنياه.

وقد فقه هذا كل الفقه ـ من قال من الصحابة لما سمع أحاديث القدر: ما كنت أشد اجتهاداً مني الآن.

وقال النبي ﷺ: «**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز**».

وقال ﷺ لما قيل له: أرأيت دواءً نتداوى به ورقى نسترقيها، هل ترد من قدر الله شيئاً؟ قال: «**هي من قدر الله**» يعني: أن الله تعالى قدّر الخير والشر وأسباب كل منهما.

[س ١٤٩] ما دليل المرتبة الثالثة، وهو الإيمان بالمشيئة؟

ج: قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ...﴾ [الكهف: ٢٣ ـ ٢٤]، وقال تعالى: ﴿مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

[النحل: ٩٣]، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ [محمد: ٤]، وقال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس]، ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل]، ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وغير ذلك من الآيات ما لا يُحصى.

وقال ﷺ: **«قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمٰن كقلب واحد، يصرفها كيف يشاء»**.

وقال ﷺ في نومهم في الوادي: **«إن الله تعالى قبض أرواحكم حين شاء وردّها حين شاء»**.

وقال: **«اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء»**.

وقال: **«لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده»**، وقال ﷺ: **«من يرد الله تعالى به خيراً يفقهه في الدين»**، **«إذا أراد الله تعالى رحمة أُمَّة قبض نبيها قبلها، وإذا أراد الله هلكة أُمَّة عذّبها ونبيها حي»**. وغير ذلك من الأحاديث في ذكر المشيئة والإرادة ما لا يحصى.

[س ١٥٠] قد أخبرنا الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله وبما علمنا من صفاته أنه يحب المحسنين، والمتقين، والصابرين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا يحب الكافرين، ولا الظالمين، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد، مع كون كل ذلك بمشيئة الله وإرادته، وأنه لو شاء لم يكن ذلك، فإنه لا يكون في مُلكه ما لا يريد، فما الجواب لمن قال: كيف يشاء ويريد ما لا يرضى به ولا يحبه؟

ج: اعلم أن الإرادة في النصوص جاءت على معنيين:

- **إرادة كونية قدرية**: هي المشيئة، ولا ملازمة بينها وبين المحبة والرضا. بل يدخل فيها الكفر والإيمان، والطاعات والعصيان، والمرضيّ والمحبوب. والمكروه وضده، وهذه الإرادة ليس لأحد خروج منها ولا محيص عنها، كقوله

تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [المائدة: ٤١] الآيات وغيرها.

- **وإرادة دينية شرعية**: مختصة بمراضي الله ومحابه، وعلى مقتضاها أمر عباده ونهاهم، كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النساء]، وغيرها من الآيات، هذه الإرادة لا يحصل اتباعها إلا لمن سبقت له بذلك الإرادة الكونية، فتجتمع الإرادة الكونية والشرعية في حق المؤمن الطائع، وتنفرد الكونية في حق الفاجر العاصي.

فالله سبحانه دعا عباده عامة إلى مرضاته، وهدى لإجابته من شاء منهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥] فعمم سبحانه الدعوة وخصّ الهداية بمن شاء: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [النجم: ٣٠].

[س ١٥١] ما دليل المرتبة الرابعة من الإيمان بالقدر، وهي مرتبة الخلق؟

ج: قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر]، وقال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣]، وقال تعالى: ﴿هَـٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ [الروم: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات]، وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس]، وقال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧] وغير ذلك من الآيات.

وللبخاري في «خلق أفعال العباد» عن حذيفة مرفوعاً: «**إن الله يصنع كل صانع وصنعته**».

وقال النبي ﷺ: «**اللهم آت نفسي تقواها وزكّها أنت خير من زكاها إنك أنت وليها ومولاها**» وغير ذلك من الأحاديث.

[س ١٥٢] ما معنى قول النبي ﷺ: «والخير كله في يديك والشر ليس إليك». مع أن الله سبحانه خالق كل شيء؟

ج: معنى ذلك أن أفعال الله ﷻ كلها خير محض من حيث اتصافه بها وصدورها عنه، ليس فيها شر بوجه، فإنه تعالى حكم عدل، وجميع أفعاله حكمة وعدل، يضع الأشياء مواضعها اللائقة بها كما هي معلومة عنده سبحانه وتعالى، وما كان في نفس المقدور من شر فمن جهة إضافته إلى العبد لما يلحقه من المهالك وذلك بما كسبت يداه جزاء وفاقاً، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى]، وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الزخرف]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [يونس].

[س ١٥٣] هل للعباد قدرة ومشيئة على أفعالهم المضافة إليهم؟

ج: نعم للعباد قدرة على أعمالهم، ولهم مشيئة وإرادة، وأفعالهم تضاف إليهم حقيقة، وبحسبها كُلِّفوا، وعليها يُثابون ويُعاقبون، ولم يكلفهم الله إلا وُسْعَهم، وقد أثبت لهم ذلك في الكتاب والسنة، ووصفهم به، ولكنهم لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله عليه، ولا يشاؤون إلا أن يشاء الله، ولا يفعلون إلا بجعله إياهم فاعلين، كما تقدم في نصوص المشيئة والإرادة والخلق، فكما لم يوجدوا أنفسهم، لم يوجدوا أفعالهم، فقدرتهم ومشيئتهم وإرادتهم وأفعالهم تابعة لقدرته ومشيئته وإرادته وفعله؛ إذ هو خالقهم، وخالق قدرتهم وإرادتهم ومشيئتهم وأفعالهم، وليس مشيئتهم وإرادتهم وقدرتهم وأفعالهم هي عين مشيئة الله وإرادته وقدرته وأفعاله، كما ليسوا هم إياه، تعالى الله عن ذلك، بل أفعالهم المخلوقة لله قائمة بهم، لائقة بهم، مضافة إليهم حقيقة، وهي

من آثار أفعال الله القائمة به اللائقة به المضافة إليه حقيقة، فالله فاعل حقيقة، والعبد منفعل حقيقة، والله هاد حقيقة؛ والعبد مهتد حقيقة، ولهذا أضاف كلاً من الفعلين إلى من قام به فقال تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ [الإسراء: ٩٧]، فإضافة الهداية إلى الله حقيقة، وإضافة الاهتداء إلى العبد حقيقة، فكما ليس الهادي هو عين المهتدي، فكذلك ليست الهداية هي عين الاهتداء، وكذلك يضل الله من يشاء حقيقة، وذلك العبد يكون ضالاً حقيقة، وهكذا جميع تصرف الله في عباده، فمن أضاف الفعل والانفعال إلى العبد كفر، ومن أضافه إلى الله كفر، ومن أضاف الفعل إلى الخالق والانفعال إلى المخلوق كلاهما حقيقة فهو المؤمن حقيقة.

[س ١٥٤] ما جواب من قال: اليس ممكناً في قدرة الله أن يجعل كل عباده مؤمنين مهتدين طائعين مع محبته ذلك منهم شرعاً؟

ج: بلى هو قادر على ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩]، وغيرها من الآيات، ولكن هذا الذي فعله بهم هو مقتضى حكمته وموجب ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته. فقول القائل: لِمَ كان من عباده الطائع والعاصي؟ كقول من قال: لِمَ كان من أسمائه الضار والنافع، والمعطي والمانع، والخافض الرافع، والمنعم والمنتقم، ونحو ذلك؟ إذ أفعاله تعالى هي مقتضى أسمائه، وآثار صفاته، فالاعتراض عليه في أفعاله اعتراض عليه في أسمائه وصفاته، بل وعلى إلهيته وربوبيته: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء].

[س ١٥٥] ما منزلة الإيمان بالقدر من الدين؟

ج: الإيمان بالقدر نظام التوحيد، كما أن الإيمان بالأسباب التي توصل إلى خيره وتحجز عن شره هي نظام الشرع، ولا ينتظم أمر الدين ويستقيم إلا لمن آمن بالقدر وامتثل الشرع، كما قرّر النبي ﷺ الإيمان بالقدر ثم قال ـ لمن قال له أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ ـ قال: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**».

فمن نفى القدر زاعماً منافاته للشرع، فقد عطل الله تعالى عن علمه وقدرته، وجعل العبد مستقلاً بأفعاله خالقاً لها، فأثبت مع الله تعالى خالقاً، بل أثبت أن جميع المخلوقين خالقون.

ومن أثبته محتجاً به على الشرع محارباً له به، نافياً عن العبد قدرته واختياره التي منحه الله تعالى إياها وكلّفه بحسبها، زاعماً أن الله كلّف عباده ما لا يطاق. كتكليف الأعمى بنَقْط المصحف، فقد نسب الله تعالى إلى الظلم، وكان إمامه في ذلك إبليس لعنه الله تعالى إذ يقول: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦].

وأما المؤمنون حقاً، فيؤمنون بالقدر خيره وشره، وأن الله خالق ذلك كله. وينقادون للشرع أمره ونهيه، ويحكّمونه في أنفسهم سراً وجهراً، وأن الهداية والإضلال بيد الله، يهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله، وهو أعلم بمواضع فضله وعدله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [النجم: ٣٠]، وله في ذلك الحكمة البالغة والحجة الدامغة، وأن الثواب والعقاب مترتب على الشرع فعلاً وتركاً لا على القدر، وإنما يعزّون أنفسهم بالقدر عند المصائب.

فإذا وفّقوا لحسنة عرفوا الحق لأهله، فقالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ولم يقولوا كما قال الفاجر: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨].

وإذا اقترفوا سيئة قالوا كما قال الأبوان: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، ولم يقولوا كقول الشيطان الرجيم: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الحجر: ٣٩].

وإذا أصابتهم مصيبة: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] ولم يقولوا كما قال الذين كفروا: ﴿وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

[س ١٥٦] كم شُعب الإيمان؟

ج: قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة].

وقال النبي ﷺ: **«الإيمان بضع وستون»**، وفي رواية **«بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»**.

[س ١٥٧] بِمَ فسّر العلماء هذه الشعب؟

ج: قد عدّها جماعة من شراح الحديث، وصنّفوا فيها التصانيف، فأجادوا وأفادوا، ولكن ليس معرفة تعدادها شرطاً في الإيمان، بل يكفي الإيمان بها جملة، وهي لا تخرج عن الكتاب والسنة، فعلى العبد امتثال أوامرها، واجتناب زواجرها، وتصديق أخبارها، وقد استكمل شعب الإيمان، والذي عددوه حق كله من أمور الإيمان، ولكن القطع بأنه هو مراد النبي ﷺ بهذا الحديث يحتاج إلى توقيف.

[س ١٥٨] اذكر خلاصة ما عدُّوه:

ج: قد لخّص الحافظ في الفتح ما أورده ابن حبّان بقوله: إن هذه الشعب تتفرع من أعمال القلب، وأعمال اللسان، وأعمال البدن.

فأعمال القلب: المعتقدات والنيات، على أربع وعشرين خصلة. الإيمان بالله ويدخل فيه: الإيمان بذاته، وصفاته، وتوحيده، بأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، واعتقاد حدوث ما دونه، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، والقدر خيره وشره، والإيمان باليوم الآخر.

ويدخل فيه: المسألة في القبر، والبعث والنشور، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة، والنار، ومحبة الله، والحب والبغض فيه، ومحبة النبي ﷺ، واعتقاد تعظيمه.

ويدخل فيه: الصلاة عليه ﷺ، واتباع سنته، والإخلاص، ويدخل فيه: ترك الرياء، والنفاق، والتوبة، والخوف، والرجاء، والشكر، والوفاء، والصبر، والرضا بالقضاء، والتوكل، والرحمة، والتواضع.

ويدخل فيه: توقير الكبير، ورحمة الصغير، وترك التكبر والعُجْب، وترك الحسد، وترك الحقد، وترك الغضب.

وأعمال اللسان: وتشتمل على سبع خصال: التلفظ بالتوحيد، وتلاوة القرآن، وتعلم العلم وتعليمه، والدعاء والذكر، ويدخل فيه: الاستغفار واجتناب اللّغو.

وأعمال البدن: وتشتمل على ثمان وثلاثين خصلة:

منها ما يتعلق بالأعيان، وهي خمس عشرة خصلة: التطهر حساً وحكماً، ويدخل فيه إطعام الطعام، وإكرام الضيف، والصيام فرضاً ونفلاً، والاعتكاف، والتماس ليلة القدر، والحج، والعمرة، والطواف كذلك، والفرار بالدين، ويدخل فيه: الهجرة من دار الشرك، والوفاء بالنذر، والتحري في الإيمان، وأداء الكفارات.

ومنها ما يتعلق بالاتباع، وهي ست خصال: التعفف بالنكاح، والقيام بحقوق العيال، وبر الوالدين، ويدخل فيه: اجتناب العقوق، وتربية الأولاد، وصلة الرحم، وطاعة السادة، والرفق بالعبيد.

ومنها ما يتعلق بالعامة، وهي سبع عشرة خصلة: القيام بالإمارة مع العدل، ومتابعة الجماعة، وطاعة أولي الأمر، والإصلاح بين الناس، ويدخل فيه: قتال الخوارج والبغاة، والمعاونة على البر، ويدخل فيه: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود، والجهاد، ومنه: المرابطة وأداء الأمانة، ومنه: أداء الخمس، والقرض مع وفائه، وإكرام الجار، وحسن المعاملة، ويدخل فيه: جمع المال من حلّه، وإنفاقه في حقه، ويدخل فيه: ترك التبذير والإسراف، وردّ السلام، وتشميت العاطس، وكف الضرر عن الناس، واجتناب اللهو، وإماطة الأذى عن الطريق.

فهذه تسع وستون خصلة، ويمكن عدها سبعاً وسبعين خصلة باعتبار إفراد ما ضم بعضه إلى بعض مما ذكر، والله أعلم.

[س ١٥٩] ما دليل الإحسان من الكتاب والسنة؟

ج: أدلته كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢]، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

وقال النبي ﷺ: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء**».

وقال ﷺ: «**نِعْما للعبد أن يتوفى يحسن عبادة الله وصحابة سيده، نِعْما له**».

[س ١٦٠] ما هو الإحسان في العبادة؟

ج: فسّره النبي ﷺ في حديث سؤال جبريل لما قال له: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، فبين ﷺ أن الإحسان على مرتبتين متفاوتتين:

أعلاهما: عبادة الله كأنك تراه، وهذا مقام المشاهدة، وهو أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته لله تعالى بقلبه، وهو أن يتنور القلب بالإيمان وتنفذ البصيرة في العرفان، حتى يصير الغيب كالعيان، وهذا هو حقيقة مقام الإحسان.

والثاني: مقام المراقبة، وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إياه واطلاعه عليه، وقُربه منه، فإذا استحضر العبد هذا في عمله وعمل عليه فهو مخلص لله تعالى؛ لأن استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله تعالى وإرادته بالعمل.

ويتفاوت أهل هذين المقامين بحسب قوة نفوذ البصائر.

[س ١٦١] ما هو ضد الإيمان؟

ج: ضد الإيمان الكفر، وهو أصل له شعب، كما أن الإيمان أصل له شعب، وقد عرفت مما تقدم أن أصل الإيمان هو التصديق الإذعاني المستلزم للانقياد بالطاعة، فالكفر أصله الجحود والعناد المستلزم للاستكبار والعصيان، فالطاعات كلها من شعب الإيمان، وقد سُمّي في النصوص كثيرٌ منها إيماناً كما قدّمنا،

والمعاصي كلها من شعب الكفر وقد سُمّي في النصوص كثير منها كفراً كما سيأتي.

فإذا عرفتَ هذا عرفت أن الكفر كفران:

كفر أكبر: يخرج من الإيمان بالكلية، وهو الكفر الاعتقادي المنافي لقول القلب وعمله أو لأحدهما.

وكفر أصغر: ينافي كمال الإيمان ولا ينافي مطلقه، وهو الكفر العملي الذي لا يناقض قول القلب ولا عمله ولا يستلزم ذلك.

[س ١٦٢] بيّن لي كيفية منافاة الكفر الاعتقادي للإيمان بالكلية، وفصِّل لي ما أجملته في إزالته إياه؟

ج: قد قدّمنا لك أن الإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، فقول القلب: هو التصديق، وقول اللسان: هو التكلم بكلمة الإسلام، وعمل القلب: هو النية والإخلاص، وعمل الجوارح: هو الانقياد بجميع الطاعات.

فإذا زالت جميع هذه الأربعة قول القلب وعمله، وقول اللسان، وعمل الجوارح زال الإيمان بالكلية، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع البقية.

فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة، وذلك كمن كذب بأسماء الله وصفاته، أو بأي شيء مما أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه.

وإنْ زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق، فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان كله بزواله، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب وهو محبته وانقياده، كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول بل ويقرون به سراً وجهراً، ويقولون: ليس بكاذب ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به.

[س ١٦٣] كم أقسام الكفر الأكبر المخرج من الملة؟

ج: عُلِمَ مما قدمناه أنه أربعة أقسام: كفر جهل وتكذيب، وكفر جحود، وكفر عناد واستكبار، وكفر نفاق.

[س ١٦٤] ما هو كفر الجهل والتكذيب؟

ج: هو ما كان ظاهراً وباطناً، كغالب الكفار من قريش ومن قبلهم من الأمم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [غافر]، وقال تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [النمل]، وقال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس: ٣٩] الآيات وغيرها.

[س ١٦٥] ما هو كفر الجحود؟

ج: هو ما كان بكتمان الحق وعدم الانقياد له ظاهراً مع العلم به ومعرفته باطناً، ككفر فرعون وقومه بموسى، وكفر اليهود بمحمد ﷺ، قال الله تعالى في كفر فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، وقال تعالى في اليهود: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

[س ١٦٦] ما هو كفر العناد والاستكبار؟

ج: هو ما كان بعدم الانقياد للحق مع الإقرار به، ككفر إبليس إذ يقول الله تعالى فيه: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، وهو لم يمكنه جحود أمر الله بالسجود ولا إنكاره، وإنما اعترض عليه وطعن في حِكْمة الآمر به وعدله، وقال: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١]، وقال: ﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٣٣]، وقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

[س ١٦٧] ما هو كفر النفاق؟

ج: هو ما كان بعدم تصديق القلب وعمله مع الانقياد ظاهراً رئاء الناس، ككفر ابن سلول وحزبه، الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن

يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البقرة]، وغيرها من الآيات.

[س ١٦٨] ما هو الكفر العملي الذي لا يُخرج من الملة؟

ج: هو كل معصية أطلق عليها الشارع اسم الكفر مع بقاء اسم الإيمان على عامله، كقول النبي ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**»، وقوله ﷺ: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**».

فأطلق ﷺ على قتال المسلمين بعضهم بعضاً أنه كفر، وسمى من يفعل ذلك كفاراً مع قول الله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ٩ - ١٠]. فأثبت الله تعالى لهم الإيمان وأُخوّة الإيمان، ولم ينف عنهم شيئاً من ذلك.

وقال تعالى في آية القصاص: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ١٧٨]، فأثبت تعالى له أخوة الإسلام ولم ينفها عنه.

وكذلك قال النبي ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد**» زاد في رواية: «**ولا يقتل وهو مؤمن**» - وفي رواية - «**ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم...**» الحديث في الصحيحين. مع حديث أبي ذر فيهما أيضاً، قال ﷺ: «**ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة**» قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «**وإن زنى وإن سرق**» ثلاثاً، ثم قال في الرابعة: «**على رغم أنف أبي ذر**».

فهذا يدل على أنه لم ينف عن الزاني والسارق والشارب والقاتل مطلق الإيمان بالكلية مع التوحيد، فإنه لو أراد ذلك لم يخبر بأن من مات على لا إله إلا الله دخل الجنة وإن فعل تلك المعاصي، فلن يدخل الجنة «إلا نفس

مؤمنة»؛ وإنما أراد بذلك نقص الإيمان ونفي كماله، وإنما يكفر العبد بتلك المعاصي مع استحلاله إياها المستلزم لتكذيب الكتاب والرسول في تحريمها، بل يكفر باعتقاد حلها وإن لم يفعلها، والله سبحانه وتعالى أعلم.

[س ١٦٩] إذا قيل لنا: هل السجود للصنم، والاستهانة بالكتاب، وسب الرسول، والهزل بالدين، ونحو ذلك، هذا كله من الكفر العملي فيما يظهر، فَلِمَ كان مُخرجاً من الدين وقد عرّفتم الكفر الأصغر بالعملي؟

ج: اعلم أن هذه الأربعة وما شاكلها ليس هي من الكفر العملي إلا من جهة كونها واقعة بعمل الجوارح فيما يظهر للناس، ولكنها لا تقع إلّا مع ذهاب عمل القلب من نيته وإخلاصه ومحبته وانقياده لا يبقى معها شيء من ذلك، فهي وإن كانت عملية في الظاهر فإنها مستلزمة للكفر الاعتقادي ولا بد، ولم تكن هذه لتقع إلا من منافق مارق أو معاند مارد. وهل حمل المنافقين في غزوة تبوك على أن: ﴿قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟﴾ [التوبة: ٧٤]، إلا ذلك مع قولهم لما سُئلوا: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾ [التوبة]، ونحن لم نعرّف الكفر الأصغر بالعملي مطلقاً، بل العملي المحض الذي لم يستلزم الاعتقاد ولم يناقض قول القلب ولا عمله.

[س ١٧٠] إلى كم قسم ينقسم كل من الظلم والفسوق والنفاق؟

ج: ينقسم كل منهما إلى قسمين: أكبر وهو الكفر، وأصغر دون ذلك.

[س ١٧١] ما مثال كل من الظلم الأكبر والأصغر؟

ج: مثال الظلم الأكبر، ما ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

ومثال الظلم الذي دون ذلك: ما ذكر الله تعالى بقوله في الطلاق: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ

وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ٢٣١].

[س ١٧٢] ما مثال كل من الفسوق الأكبر والأصغر؟

ج: مثال الفسوق الأكبر، ما ذكره الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤].

ومثال الفسوق الذي دون ذلك: قوله تعالى في القَذَفة: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحجرات]، روي أنها نزلت في الوليد بن عقبة.

[س ١٧٣] ما مثال كل من النفاق الأكبر والأصغر؟

ج: مثال النفاق الأكبر: ما قدّمنا ذكره في الآيات من صدر البقرة، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٢ ـ ١٤٥]، وقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون] وغير ذلك من الآيات.

ومثال النفاق الذي دون ذلك ما ذكره النبي ﷺ بقوله: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**».

وحديث: «**أربع من كن فيه كان منافقاً**. . .» الحديث.

[س ١٧٤] ما حكم السحر والساحر؟

ج: السحر متحقق وجوده وتأثيره مع مصادفة القدر الكوني، كما قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وتأثيره ثابت في الأحاديث الصحيحة.

وأما الساحر، فإن كان سحره مما يتلقى عن الشياطين كما نصت عليه آية البقرة فهو كافر، لقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢].

[س ١٧٥] ما حد الساحر؟

ج: روى الترمذي عن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: **«حد الساحر ضربه بالسيف»** وصحح وقفه، وقال: والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، وهو قول مالك بن أنس.

وقال الشافعي رحمه الله تعالى: إنما يُقتل الساحر إذا كان يعمل من سحره ما يبلغ الكفر، فأما إذا عمل دون الكفر فلم ير عليه قتلاً.

وقد ثبت قتل الساحر عن عمر، وابنه عبدالله، وابنته حفصة، وعثمان بن عفان، وجندب بن عبدالله، وجندب بن كعب، وقيس بن سعد، وعمر بن عبدالعزيز، وأحمد، وأبي حنيفة، وغيرهم رحمهم الله.

[س ١٧٦] ما هي النُشرة وما حكمها؟

ج: النُشرة حلُّ السحر عن المسحور، فإن كان ذلك بسحر مثله فهي من عمل الشيطان، وإن كانت بالرقى والتعاويذ المشروعة فلا بأس بذلك.

[س ١٧٧] ما هي الرقية المشروعة؟

ج: هي كل ما كانت من الكتاب والسنة خالصة، وكانت باللسان العربي، واعتقد كلٌّ من الراقي والمرتقي أن تأثيرها لا يكون إلَّا بإذن الله ﷻ، فإن النبي ﷺ قد رقاه جبريل عليه السلام، ورقى هو كثيراً من الصحابة، وأقرهم على فعلها، بل وأمرهم بها وأحل لهم أخذ الأجرة عليها، كل ذلك في الصحيحين وغيرهما.

[س ١٧٨] ما هي الرقى الممنوعة؟

ج: هي ما لم تكن من الكتاب ولا السنة، ولا كانت بالعربية، بل هي من عمل الشيطان واستخدامه، والتقرب إليه بما يحبه، كما يفعله كثير من الدجاجلة والمشعوذين والمخرفين، وكثير ممن ينظر في كتب الهياكل والطلاسم، كشمس المعارف، وشموس الأنوار، وغيرهما مما أدخله أعداء الإسلام عليه، وليست منه في شيء، ولا من علومه في ظل ولا فيء. كما بيّناه في شرح السلم وغيره.

[س ١٧٩] ما حكم التعاليق من التمائم والأوتار والحلق والخيوط والودع ونحوها؟

ج: قال النبي ﷺ: «**من علق شيئاً وكل إليه**»، وأرسل ﷺ في بعض أسفاره رسولاً أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلَّا قطعت.

وقال ﷺ: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**».

وقال ﷺ: «**من علق تميمة فلا أتم الله له، ومن علق ودعة فلا ودع الله له**»، وفي رواية: «**من تعلق تميمة فقد أشرك**».

وقال ﷺ للذي رأى في يده حلقة من صُفْر: «**ما هذا؟**» فقال من الواهنة، قال: «**انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً**»، وقطع حذيفة ﷺ خيطاً من يد رجل ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف]، وقال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى: من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة؛ وهذا في حكم المرفوع.

[س ١٨٠] ما حكم المعلّق إذا كان من القرآن؟

ج: يُروى جوازه عن بعض السلف، وأكثرهم على منعه كعبدالله بن عكيم، وعبدالله بن عمرو، وعبدالله بن مسعود، وأصحابه ﷺ، وهو الأولى لعموم النهي عن التعليق، ولعدم شيء من المرفوع يخصص ذلك، ولصَوْن القرآن عن إهانته، إذ قد يحملونه غالباً على غير طهارة، ولئلا يتوصل بذلك إلى تعليق غيره، ولسد الذريعة عن اعتقاد المحظور والتفات القلوب إلى غير الله ﷻ، ولا سيما في هذا الزمان.

[س ١٨١] ما حكم الكهان؟

ج: الكُهّان من الطواغيت، وهم أولياء الشياطين الذين يوحون إليهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ ...﴾ [الأنعام: ١٢١]، ويتنزلون عليهم، ويلقون إليهم الكلمة من السمع، فيكذبون معها مائة كذبة، كما قال تعالى: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ۝٢٢٢ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ۝٢٢٣﴾ [الشعراء].

وقال النبي ﷺ في حديث الوحي: «**فيسمعها ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض، فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة**»، الحديث في الصحيح بكماله.

ومن ذلك: الخط بالأرض الذي يسمونه ضَرْب الرمل، وهكذا الطرق بالحصى ونحوه.

[س ١٨٢] ما حكم من صدّق كاهناً؟

ج: قال الله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ﴾ [القلم: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقال النبي ﷺ: «**من أتى عرّافاً أو كاهناً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**».

وقال ﷺ: «**من أتى عرّافاً فسأله عن شيء فصدقه لم تُقبل له صلاة أربعين يوماً**».

[س ١٨٣] ما حكم التنجيم؟

ج: قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ﴾ [الأنعام: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا

لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ [النحل: ١٢].

وقال النبي ﷺ: **«من اقتبس شعبةً من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»** .

وقال النبي ﷺ: **«إنما أخاف على أمتي التصديق بالنجوم، والتكذيب بالقدر، وحيف الأئمة»**.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم: «ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق».

وقال قتادة رحمه الله تعالى: «خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يُهتدي بها، فمن تأول فيها غير ذلك فقد أخطأ حظه، وأضاع نصيبه وتكلّف ما لا علم له به».

[س ١٨٤] ما حكم الاستسقاء بالأنواء؟

ج: قال الله تعالى: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة]، وقال النبي ﷺ: **«أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالأنواء، والنياحة»**.

وقال ﷺ: **«قال الله تعالى: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»**.

[س ١٨٥] ما حكم الطِّيَرة وما يُذهبها؟

ج: قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٣١]، وقال النبي ﷺ: **«لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر»**.

وقال ﷺ: **«الطيرة شرك، الطيرة شرك»**، قال ابن مسعود: «وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل».

وقال ﷺ: **«إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك»**.

ولأحمد من حديث عبدالله بن عمرو: **«من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك»** قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: **«أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك»**.

وقال ﷺ: **«أصدقها الفأل، ولا ترد مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللَّهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»**.

[س ١٨٦] ما حكم العين؟

ج: قال النبي ﷺ: **«العين حق»**، ورأى رسول الله ﷺ جارية في وجهها سفعة، فقال: **«استرقوا لها فإن بها النظرة»**، وقالت عائشة ﵂: أمرني النبي ﷺ: أو أمر النبي ﷺ: أن يسترقى من العين، وقال ﷺ: **«لا رقية إلا من عين أو حُمَةٍ»** وكلها في الصحيح، وفيها أحاديث غير ما ذكرنا كثيرة، ولا تأثير لها إلا بإذن الله وقد فُسِّر بها قوله ﷻ: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ﴾ [القلم: ٥١] عن كثير من السلف ﵏.

[س ١٨٧] إلى كم قسم تنقسم المعاصي؟

ج: تنقسم إلى صغائر هي السيئات، وكبائر هي الموبقات.

[س ١٨٨] بماذا تُكفَّر السيئات؟

ج: قال الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤] فأخبرنا الله تعالى أن السيئات تُكفَّر باجتناب الكبائر وبفعل الحسنات، وكذلك جاء في الحديث: **«وأتبع السيئة الحسنة تمحُها»**.

وكذلك جاء في الأحاديث الصحيحة أن إسباغ الوضوء على المكاره، ونقل الخطا إلى المساجد، والصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، وقيامه، وقيام ليلة القدر، وصيام عاشوراء، وغيرها من الطاعات، أنها كفارات للسيئات والخطايا. وأكثر تلك الأحاديث فيها تقييد ذلك باجتناب

الكبائر، وعليه يحمل المطلق منها؛ فيكون اجتناب الكبائر شرطاً في تكفير الصغائر بالحسنات وبدونها.

[س ١٨٩] ما هي الكبائر؟

ج: في ضابطها أقوال للصحابة والتابعين وغيرهم.

فقيل: هي كل ذنب ترتب عليه حدّ.

وقيل: هي كل ذنب أتبع بلعنة، أو غضب، أو نار، أو أي عقوبة.

وقيل: هي كل ذنب يُشعر فعله بعدم اكتراث فاعله بالدين، وعدم مبالاته به، وقلة خشيته من الله، وقيل غير ذلك؛ وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة تسمية كثير من الذنوب كبائر على تفاوت درجاتها.

فمنها كفر أكبر كالشرك بالله والسحر. ومنها عظيم من كبائر الإثم والفواحش وهو دون ذلك، كقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، والتولي يوم الزحف، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وقول الزور، ومنه: قذف المحصنات الغافلات المؤمنات، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، وغير ذلك، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع» اهـ.

ومن تتبع الذنوب التي أطلق عليها أنها كبائر وجدها أكثر من السبعين. فكيف إذا تتبع جميع ما جاء عليه الوعيد الشديد في الكتاب والسنة من إتباعه بلعنة، أو غضب، أو عذاب، أو محاربة، أو غير ذلك من ألفاظ الوعيد، فإنه يجدها كثيرة جداً.

[س ١٩٠] بماذا تكفَّر جميع الصغائر والكبائر؟

ج: تكفَّر جميعها بالتوبة النصوح قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [التحريم: ٨]، و﴿عَسَىٰ﴾ من الله محققة، وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ﴾ [الفرقان ٧٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥

أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ...﴾ [آل عمران: ١٣٥ ـ ١٣٦] الآيات وغيرها.

وقال النبي ﷺ: **«التوبة تجبُّ ما قبلها»**، وقال ﷺ: **«لله أفرح بتوبة عبده من رجل نزل منزلاً وبه مهلكة، ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته حتى اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله، قال: أرجع إلى مكاني، فرجع فنام نومة، ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده»**.

[س ١٩١] ما هي التوبة النصوح؟

ج: التوبة الصادقة هي التي اجتمع فيها ثلاثة أشياء:

الأول: الإقلاع عن الذنب.

الثاني: الندم على ارتكابه.

الثالث: العزم على أن لا يعود أبداً.

وإن كان فيه مظلمة لمسلم تحللها منه إن أمكن، فإنه سيُطالب بها يوم القيامة إن لم يتحللها منه اليوم، ويقتص منه لا محالة، وهو من الظلم الذي لا يترك الله منه شيئاً؛ قال النبي ﷺ: **«من كان عنده لأخيه مظلمة فليتحلل منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له حسنات أخذ من حسناته، وإلا أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه»**.

[س ١٩٢] متى تنقطع التوبة في حق كل فرد من أفراد الناس؟

ج: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء].

أجمع أصحاب رسول الله ﷺ أن كل شيء عُصي الله به فهو جهالة، سواء كان عمداً أم غيره، وإن كل ما كان قبل الموت فهو قريب.

وقال النبي ﷺ: **«إن الله يقبل توبة العبد ما لم يُغَرْغِر»**، ثبت ذلك في أحاديث كثيرة.

فأما إذا عاين الملك، وحشرجت الروح في الصدر، وبلغت الحلقوم

وغرغرت النفس صاعدة في الغلاصم، فلا توبة مقبولة حينئذٍ ولا فكاك ولا خلاص ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص: ٣]، وذلك قوله ﷻ عقب هذه الآية: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾ [النساء: ١٨].

[س ١٩٣] متى تنقطع التوبة من عمر الدنيا؟

ج: قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وفي صحيح البخاري قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعين وذلك حين** ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا﴾» ثم قرأ الآية.

وقد وردت في معناها أحاديث كثيرة عن جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ في الأمهات وغيرها.

وقال صفوان بن عسّال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله فتح باباً قبل المغرب، عرضه سبعون عاماً للتوبة، لا يُغلق حتى تطلع الشمس منه**». رواه الترمذي وصححه، والنسائي، وابن ماجه في حديث طويل.

[س ١٩٤] ما حكم من مات من الموحدين مصراً على كبيرة؟

ج: قال الله ﷻ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء]. وقال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ...﴾ [آل عمران: ٣٠]، وقال تعالى ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [النحل]، وقال: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن

يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة] وغير ذلك من الآيات.

وقال النبي ﷺ: «**من نوقش الحساب عُذِّب**»، فقالت له عائشة ﵂: أليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]، قال: «**بلى إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب عذب**».

وقد قدمنا من النصوص في الحشر، وأحوال الموقف، والميزان، ونشر الصحف، والعرض، والحساب، والصراط، والشفاعات، وغيرها، ما يعلم به تفاوت مراتب الناس، وتباين أحوالهم في الآخرة بحسب تفاوتهم في الدار الدنيا في طاعة ربهم، وضدها من سابق ومقتصد، وظالم لنفسه.

إذا عرفت هذا فاعلم: أن الذي أثبتته الآيات القرآنية، والسنن النبوية، ودرج عليه السلف الصالح، والصدر الأول من الصحابة، والتابعين لهم بإحسان من أئمة التفسير، والحديث، والسنة، أن العصاة من أهل التوحيد على ثلاث طبقات.

الأولى: قوم رجحت حسناتهم بسيئاتهم، فأولئك يدخلون الجنة ولا تمسهم النار أبداً.

والثانية: قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة، وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار. وهؤلاء هم أصحاب الأعراف الذين ذكر الله تعالى أنهم يوقفون بين الجنة والنار ما شاء الله أن يوقفوا، ثم يؤذن لهم في دخول الجنة، كما قال تعالى بعد أن أخبر بدخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وتناديهم فيها قال: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَىٰهُمْ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ إلى قوله: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأعراف].

الطبقة الثالثة: قوم لقوا الله تعالى مصرين على كبائر الإثم والفواحش، ومعهم أصل التوحيد، والإيمان، فرجحت سيئاتهم بحسناتهم، فهؤلاء هم الذين يدخلون النار بقدر ذنوبهم، فمنهم من تأخذه إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى

أنصاف ساقيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، حتى إن منهم من لم يحرّم الله منه على النار إلا أثر السجود.

وهذه الطبقة هم الذين يأذن الله تعالى في الشفاعة فيهم لنبينا محمد ﷺ ولغيره من بعده من الأنبياء والأولياء والملائكة ومن شاء الله أن يكرمه، فيحد لهم حداً فيخرجونهم، ثم يحد لهم حداً فيخرجونهم، ثم هكذا، فيخرجون من كان في قلبه وزن دينار من خير، ثم من كان في قلبه وزن نصف دينار من خير، ثم من كان في قلبه وزن برة من خير، إلى أن يخرجوا منها من كان في قلبه وزن ذرة من خير إلى أدنى من مثقال ذرة، إلى أن يقول الشفعاء: ربنا لم نذر فيها خيراً ولم يخلد في النار أحد ممن مات على التوحيد ولو عمل أي عمل.

ولكن كل من كان منهم أعظم إيماناً، وأخف ذنباً، كان أخف عذاباً في النار، وأقل مكثاً فيها، وأسرع خروجاً منها.

وكل من كان أعظم ذنباً، وأضعف إيماناً، كان بعد ذلك، والأحاديث في هذا الباب لا تحصى كثيرة وإلى ذلك أشار النبي ﷺ بقوله: **«من قال لا إله إلا الله نفعته يوماً من الدهر يصيبه قبل ذلك ما أصابه»**.

وهذا مقام ضلت فيه الأفهام وزلّت فيه الأقدام واختلفوا فيه اختلافاً كثيراً: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

[س ١٩٥] هل الحدود كفارات لأهلها؟

ج: قال النبي ﷺ وحوله عصابة من أصحابه: **«بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له. ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه»** يعني: غير الشرك، قال عبادة: فبايعناه على ذلك.

[س ١٩٦] ما الجمع بين قوله ﷺ في هذا الحديث: «فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه» وبين ما تقدم من أن من رجحت سيئاته بحسناته دخل النار؟

ج: لا منافاة بينهما، فإن من يشاء الله أن يعفو عنه يحاسبه الحساب اليسير الذي فسّره النبي ﷺ بالعرض، وقال في صفته: **«يدنو أحدكم من ربه ﷻ حتى يضع عليه كنفه فيقول: عملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، ويقول عملت كذا وكذا، فيقول: نعم، فيقرّره، ثم يقول: إني سترت عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم»**. وأما الذين يدخلون النار بذنوبهم فهم ممن يناقش الحساب وقد قال ﷺ: **«من نوقش الحساب عذب»**.

[س ١٩٧] ما هو الصراط المستقيم الذي أمرنا الله تعالى بسلوكه ونهانا عن اتباع غيره؟

ج: هو دين الإسلام الذي أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه، ولم يقبل من أحد سواه، ولا ينجو إلا من سلكه، ومن سلك غيره تشعبت عليه الطرق، وتفرقت به السبل، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وخطّ النبي ﷺ خطاً ثم قال: **«هذا سبيل الله مستقيماً»**، وخطَّ خطوطاً عن يمينه وشماله، ثم قال: **«هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه»**، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾، وقال ﷺ: **«ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داعٍ يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط المستقيم جميعاً ولا تفرقوا، وداعٍ يدعو من فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه، فالصراط الإسلام، والسوران: حدود الله، والأبواب المفتحة: محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله، والداعي من فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم»**.

[س ١٩٨] بماذا يتأتى سلوكه والسلامة من الانحراف عنه؟

ج: لا يحصل ذلك إلا بالتمسك بالكتاب والسنة والسير بسيرهما

والوقوف عند حدودهما، وبذلك يحصل تجريد التوحيد لله وتجريد المتابعة للرسول ﷺ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

وهؤلاء المُنْعَم عليهم المذكورون ههنا تفصيلاً هم الذين أضاف الصراط إليهم في فاتحة الكتاب بقوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة]، ولا أعظم نعمة على العبد من هدايته إلى هذا الصراط المستقيم، وتجنيبه السبل المخلة، وقد ترك النبي ﷺ أمته على ذلك، كما قال ﷺ: **«تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك»**.

[س ١٩٩] ما ضد السُّنَّة؟

ج: ضدها البدعة المحدثة، وهي شرع ما لم يأذن به الله، وهي التي عناها النبي ﷺ بقوله: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**.

وقوله ﷺ: **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة ضلالة»**.

وأشار ﷺ إلى وقوعها بقوله: **«وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة»**، وعيّنها بقوله ﷺ: **«هم من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي»**، وقد برَّأه الله تعالى من أهل البدع بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

[س ٢٠٠] إلى كم قسم تنقسم البدعة باعتبار إخلالها بالدين؟

ج: تنقسم إلى قسمين: بدعة مكفِّرة، وبدعة دون ذلك.

[س ٢٠١] ما هي البدع المكفِّرة؟

ج: هي كثيرة، وضابطها: من أنكر أمراً مجمعاً عليه متواتراً من الشرع معلوماً من الدين بالضرورة؛ لأن ذلك تكذيب بالكتاب، وبما أرسل الله به

رسله، كبدعة الجهمية في إنكار صفات الله ﷻ والقول بخلق القرآن أو خلق أي صفة من صفات الله ﷻ وإنكار أن يكون الله اتخذ إبراهيم خليلاً وكلَّم موسى تكليماً وغير ذلك، وكبدعة القدرية في إنكار علم الله تعالى وأفعاله وقضائه وقدره، وكبدعة المجسّمة الذين يشبهون الله تعالى بخلقه وغير ذلك من الأهواء.

ولكن هؤلاء منهم من علم أن عين قصده هدم قواعد الدين وتشكيك أهله فيه، فهذا مقطوع بكفره بل هو أجنبي عن الدين من أعدى عدو له، وآخرون مغرورون ملبّس عليهم، فهؤلاء إنما يحكم بكفرهم بعد إقامة الحجة عليهم وإلزامهم بها.

[س ٢٠٢] ما هي البدعة التي هي غير مكفّرة؟

ج: هي ما لم تكن كذلك مما لم يلزم منه تكذيب بالكتاب ولا بشيء مما أرسل الله به رسله، كبدعة المرْوانية التي أنكرها عليهم فضلاء الصحابة، ولم يقروهم عليها، ولم يكفروهم بشيء منها، ولم ينزعوا يداً من بيعتهم لأجلها، كتأخيرهم بعض الصلوات إلى أواخر أوقاتها، وتقديمهم الخطبة قبل صلاة العيد، والجلوس في نفس الخطبة في الجمعة وغيرها، وسبّهم بعض كبار الصحابة على المنابر ونحو ذلك، مما لم يكن منهم على اعتقاد شريعته؛ بل بنوع تأويل وشهوات نفسانية وأغراض دنيوية.

[س ٢٠٣] كم أقسام البدع بحسب ما تقع فيه؟

ج: تنقسم إلى بدع في العبادات، وبدع في المعاملات.

[س ٢٠٤] إلى كم قسم تنقسم البدع في العبادات؟

ج: إلى قسمين:

الأول: التعبد بما لم يأذن الله أن يُعبد به ألبتة، كتعبد جهلة المتصوفة بآلات اللهو والرقص والصفق والغناء وأنواع المعازف وغيرها، مما هم فيه

مضاهؤون فعل الذي قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥].

والثاني: التعبد بما أصله مشروع، ولكن وضع في غير موضعه، ككشف الرأس مثلاً، هو في الإحرام عبادة مشروعة، فإذا فعله غير المحرم في الصوم، أو في الصلاة أو غيرها، بنية التعبد كان بدعة محرمة، وكذلك فعل سائر العبادات المشروعة في غير ما تشرع فيه، كالصلوات النفل في أوقات النهي، وكصيام يوم الشك، وصيام العيدين ونحو ذلك.

[س ٢٠٥] كم حالة للبدعة مع العبادة التي تقع فيها؟

ج: لها حالتان:

الأولى: أن تبطلها جميعاً كمن زاد في صلاة الفجر ركعة ثالثة، أو في المغرب رابعة، أو في الرباعية خامسة، متعمداً، وكذلك إن نقص مثل ذلك..

الحالة الثانية: أن تبطل البدعة وحدها، كما هي باطلة ويسلم العمل الذي وقعت فيه: كمن زاد في الوضوء على ثلاث غسلات، فإن النبي ﷺ لم يقل ببطلانه، بل قال: «**فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم**» ونحو ذلك.

[س ٢٠٦] ما هي البدع في المعاملات؟

ج: هي اشتراط ما ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله، كاشتراط الولاء لغير المعتق، كما في قصة بريرة لما اشترط أهلها الولاء قام النبي ﷺ فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**أما بعد، فما بال رجال يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله، فأيّما شرط ليس في كتاب الله فهو باطل، وإن كان مائة شرط، فقضاء الله أحق وشرط الله أوثق، ما بال رجال منكم يقول أحدهم: أعتق يا فلان ولي الولاء، إنما الولاء لمن أعتق**»، وكذلك كل شرط أحل حراماً أو حرم حلالاً.

[س ٢٠٧] ما الواجب التزامه في أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بيته؟

ج: الواجب لهم علينا سلامة قلوبنا وألسنتنا لهم، ونشر فضائلهم،

والكف عن مساويهم وما شجر بينهم، والتنويه بشأنهم كما نوه تعالى بذكرهم في التوراة والإنجيل والقرآن، وثبتت الأحاديث الصحيحة في الكتب المشهورة من الأمهات وغيرها في فضائلهم، قال الله ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧]، وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٨ ـ ٩] الآية وغيرها كثير.

ونعلم ونعتقد أن الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال: «**اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»، وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر، وبأنه لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة، بل قد رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكانوا ألفاً وأربعمائة وقيل: وخمسمائة، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١٨].

ونشهد بأنهم أفضل القرون من هذه الأمة التي هي أفضل الأمم، وأن من أنفق مثل أحد ذهباً ممن بعدهم لم يبلغ مد أحدهم ولا نصيفه، مع الاعتقاد أنهم لم يكونوا معصومين بل يجوز عليهم الخطأ، ولكنهم مجتهدون، للمصيب منهم أجران ولمن أخطأ أجر واحد على اجتهاده، وخطؤه مغفور، ولهم من

الفضائل والصالحات والسوابق ما يذهب سيء ما وقع منهم إن وقع، وهل يُغيِّر يسير النجاسة البحر إذا وقعت فيه؟ رضي الله عنهم وأرضاهم.

وكذلك القول في زوجات النبي ﷺ وأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

ونبرأ من كل من وقع في صدره أو لسانه سوء على أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بيته أو على أحد منهم؛ ونشهد الله تعالى على حبهم وموالاتهم والذب عنهم ما استطعنا، حفظاً لرسول الله ﷺ في وصيته إذ يقول: **«لا تسبوا أصحابي»، «الله الله في أصحابي»**.

وقال: **«إني تارك فيكم ثقلين، أولهما: كتاب الله فخذوا بكتاب الله، وتمسكوا به»**، ثم قال: **«وأهل بيتي أذكِّركم الله في أهل بيتي»** الحديث في الصحيحين وغيرهما.

[س ٢٠٨] من افضل الصحابة إجمالاً؟

ج: أفضلهم السابقون الأولون من المهاجرين، ثم الأنصار؛ ثم أهل بدر؛ فأُحد؛ فبيعة الرضوان؛ فمن بعدهم، ثم: ﴿مَنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد: ١٠].

[س ٢٠٩] من افضل الصحابة تفصيلاً؟

ج: قال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: كنَّا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم.

وقال النبي ﷺ لأبي بكر في الغار: **«ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟»**.

وقال ﷺ: **«لو كنت متخذاً خليلاً من أُمتي لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخي وصاحبي»**.

وقال ﷺ: **«إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت. وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركوا لي صاحبي»** مرتين.

وقال النبي ﷺ: **«إيه يا ابن الخطاب! والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجّاً قط إلا سلك فجّاً غير فجك»**.

وقال ﷺ: **«لقد كان فيما قبلكم محدّثون فإن يكن في أُمتي أحد فإنه عمر»**.

وقال ﷺ في تكلم الذئب والبقرة: **«فإني أؤمنُ به وأبو بكر وعمر»** وما هما ثمَّ، ولما ذهب عثمان إلى مكة في بيعة الرضوان قال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: **«هذه يد عثمان»** فضرب بها على يده فقال: **«هذه لعثمان»**.

وقال ﷺ: **«من يحفر بئر رومة فله الجنة»** فحفرها عثمان.

وقال ﷺ: **«من جهز جيش العسرة فله الجنة»** فجهزه عثمان.

وقال ﷺ فيه: **«ألا أستحيي ممن استحيت منه الملائكة؟!»**.

وقال ﷺ لعلي ﷺ: **«أنت مني وأنا منك»**.

وأخبر ﷺ عنه أنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. وقال ﷺ: **«من كنت مولاه فعلي مولاه»** .

وقال ﷺ: **«ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»**.

وقال ﷺ: **«عشر في الجنة النبي في الجنة؛ وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبدالرحمٰن بن عوف في الجنة»**، قال سعيد بن زيد: ولو شئت لسميت العاشر، يعني: نفسه رضي الله عنهم أجمعين..

وقال ﷺ: **«أرحم أُمتي بأُمتي أبو بكر، وأشدها في دين الله عمر، وأصدقها حياءً عثمان، وأعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأقرؤها لكتاب الله ﷻ أبيّ، وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأُمة أبو عبيدة بن الجرّاح»**.

وقال ﷺ في الحسن والحسين: **«وإنهما سيدا شباب أهل الجنة»**، **«وأنهما ريحانتاه»**.

وقال ﷺ: «**اللهم إني أحبهما فأحبهما**».

وقال في الحسن: «**إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»، فكان الأمر كما قال.

وقال في أمهما: «**إنها سيدة نساء أهل الجنة**».

وقد ثبت لكثير من الصحابة فضائل على العموم والانفراد كثيرة لا تحصى، ولا يلزم من إثبات فضيلة لأحدهم في شيء أن يكون أفضل من الآخرين من كل وجه، إلا الخلفاء الأربعة، أما الثلاثة فلحديث ابن عمر السابق، وأما علي، فبإجماع أهل السنة أنه كان بعدهم أفضل من على وجه الأرض.

[س ٢١٠] كم مدة الخلافة بعد رسول الله ﷺ؟

ج: روى أبو داود وغيره عن سعيد بن جهمان عن سفينة قال: قال رسول الله ﷺ: «**خلافة النبوة ثلاثون سنة؛ ثم يؤتي الله الملك من يشاء...**» الحديث، فكان ذلك مدة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ، فأبو بكر سنتان وثلاثة أشهر، وعمر عشر سنين وستة أشهر، وعثمان اثنتا عشرة سنة، وعليّ أربع سنين وتسعة أشهر، فتلك تسع وعشرون سنة وستة أشهر، ويكملها ثلاثين بيعة الحسن بن عليّ ستة أشهر.

وأول ملوك الإسلام معاوية ﷺ وهو خيرهم وأفضلهم، ثم كان بعده مُلكاً عضوضاً إلى أن جاء عمر بن عبدالعزيز ﷺ، فعدّه أهل السنة خليفة خامساً لسيره بسيرة الخلفاء الراشدين.

[س ٢١١] ما الدليل على خلافة هؤلاء الأربعة جملة؟

ج: الأدلة عليها كثيرة لا تُحصى.

فمنها حصر مدتها في ثلاثين سنة فكانت مدة ولايتهم.

ومنها ما تقدّم من تفضيلهم على غيرهم وتفاضلهم على ترتيب خلافتهم.

ومنها ما روى أبو داود، وغيره عن سمرة بن جندب: أن رجلاً قال

يا رسول الله، إني رأيت كأن دلواً أدلي من السماء، فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيها فشرب شرباً ضعيفاً، ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع، ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها فانتشطت وانتضح عليه منها شيء..

ومنها وهو أقواها إجماع مَنْ يعتد بإجماعهم على خلافة هؤلاء الأربعة؛ ولا يطعن في خلافة أحد منهم إلا ضال مبتدع.

[س ٢١٢] ما الدليل على خلافة الثلاثة إجمالاً؟

ج: الأدلة على ذلك كثيرة، منها ما تقدّم، ومنها حديث أبي بكر ﷺ أن النبي ﷺ قال ذات يوم: «**من رأى منكم رؤيا؟**» فقال رجل: أنا رأيت كأن ميزاناً نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت بأبي بكر، ووزن عمر وأبو بكر فرجح أبو بكر، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رفع الميزان، وقال ﷺ: «**أري الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله ﷺ، ونيط عمر بأبي بكر، ونيط عثمان بعمر**» وكلا الحديثين في السنن.

[س ٢١٣] ما الدليل على خلافة أبي بكر وعمر ﷺ إجمالاً؟

ج: على ذلك أدلة كثيرة منها ما في الصحيح قال ﷺ: «**بينما أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قُحافة فنزع منها ذَنُوباً أو ذَنُوبين وفي نَزْعه ضَعْف، والله يغفر له ضعفه؛ ثم استحالت غَرْباً فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عبقرياً من الناس ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بِعَطَن**».

[س ٢١٤] ما الدليل على خلافة أبي بكر وتقديمه فيها؟

ج: الأدلة على ذلك لا تُحصى، منها ما تقدم، ومنها ما هو في صحيح البخاري ومسلم: أن امرأة أتت النبي ﷺ فأمرها أن ترجع، فقالت أرأيت إن جئت ولم أجدك ـ كأنها تقول الموت ـ قال ﷺ: «**إن لم تجديني فأتي أبا بكر**».

ومنها ما في صحيح مسلم عن عائشة ﷺ قالت: قال لي رسول الله ﷺ

في مرضه: «**ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنّى متمنٍ ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**».

وهكذا قال ﷺ في تقديمه في الصلاة في مرض موته ﷺ، وأجمع على بيعته جميع أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار فمن بعدهم.

[س ٢١٥] ما الدليل على تقديم عمر في الخلافة بعد أبي بكر؟

ج: أدلته كثيرة منها ما تقدم؛ ومنها قوله ﷺ: «**إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدي**» وأشار إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

ومنها ما في حديث الفتنة التي تموج كموج البحر، قال حذيفة رضي الله عنه لعمر: إن بينك وبينها باباً مغلقاً قال: أيفتح أم يكسر؟ قال: بل يكسر، قال عمر: إذاً لا يُغلق، فكان الباب عمر وكَسْرُه قَتْلُه، فلم يرفع بعدُ السيف بين الأمة.

وقد أجمعت الأُمة على تقديمه في الخلافة بعد أبي بكر رضي الله عنهما.

[س ٢١٦] ما الدليل على تقديم عثمان بعدهما في الخلافة؟

ج: الأدلة على ذلك كثيرة، منها ما تقدم، ومنها حديث كعب بن عجرة قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقرّبها، فمر رجل مقنع رأسه فقال رسول الله ﷺ: «**هذا يومئذٍ على الهدى**» فوثبت فأخذت بضبعي عثمان ثم استقبلت رسول الله ﷺ، فقلت: هذا؟ قال: «**هذا**». رواه ابن ماجه، وروى الترمذي عن مرة بن كعب وقال: هذا حديث حسن صحيح..

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يا عثمان إن ولّاك الله هذا الأمر يوماً فأرادك المنافقون أن تخلع قميصك الذي قمصك الله فلا تخلعه**». يقول ذلك ثلاث مرات، رواه ابن ماجه بإسناد صحيح، والترمذي وحسّنه. وابن حبّان في صحيحه.

وأجمع على بيعته أهل الشورى ثم سائر الصحابة، وأول من بايعه عليّ رضي الله عنه بعد عبدالرحمٰن بن عوف، ثم الناس بعده.

[س ٢١٧] ما الدليل على خلافة علي وأولويته بالحق بعدهم؟

ج: أدلة ذلك كثيرة، منها ما تقدم، ومنها قول النبي ﷺ: **«ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار»**، فكان مع عليّ ﷺ، فقتله أهل الشام، وهو يدعوهم إلى السنة والجماعة، وطاعة الإمام الحق عليّ بن أبي طالب ﷺ، والحديث في الصحيح.

وفيه قال ﷺ: **«تمرق مارقة على حين فرقة من الناس يقتلهم أولى الطائفتين بالحق»**، فمرقت الخوارج فقتلهم عليّ ﷺ يوم النّهروان، وهو الأولى بالحق بإجماع أهل السنة قاطبة رحمهم الله تعالى.

[س ٢١٨] ما الواجب لولاة الأُمور؟

ج: الواجب لهم النصيحة بموالاتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتذكيرهم برفق، والصلاة خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، والصبر عليهم وإن جاروا، وترك الخروج بالسيف عليهم ما لم يظهروا كفراً بواحاً، وأن لا يُغْروا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يُدْعى لهم بالصلاح والتوفيق.

[س ٢١٩] ما الدليل على ذلك؟

ج: الأدلة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩].

وقول النبي ﷺ: **«اسمعوا وأطيعوا وإن تأمّر عليكم عبد»**.

وقال ﷺ: **«من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات، إلا مات ميتة جاهلية»**.

وقال عبادة بن الصامت ﷺ: دعانا النبي ﷺ فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله **«إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان»**.

وقال ﷺ: **«إن أمر عليكم عبد مجدع أسود يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا»**.

وقال ﷺ: «**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**».

وقال: «**إنما الطاعة في المعروف**».

وقال ﷺ: «**وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع**».

وقال ﷺ: «**من خلع يداً من طاعة الله، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**».

وقال ﷺ: «**من أراد أن يفرق أمر هذه الأُمة وهم جميع، فاضربوه بالسيف كائناً من كان**».

وقال ﷺ: «**ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن عرف برىء، ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع**»، قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: «**لا، ما صلّوا**» وغير ذلك من الأحاديث، وهذه كلها في الصحيح.

[س ٢٢٠] على من يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما مراتبه؟

ج: قال الله ﷻ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران].

وقال النبي ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**» رواه مسلم.

وفي هذا الباب من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية ما لا يحصى. وكلها تدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، على كل من رآه. ولا يسقط عنه إلا أن يقوم به غيره، كل بحَسبه، وكلما كان العبد على ذلك أقدر به وأعلم كان عليه أوجب وله ألزم، ولم ينج عند نزول العذاب بأهل المعاصي إلا الناهون عنها، وقد أفردنا هذه المسألة برسالة بها وافية ولطالبي الحق كافية. ولله الحمد والمنة.

[س ٢٢١] ما حُكم كرامات الأولياء؟

ج: كرامات الأولياء حق، وهو ظهور الأمر الخارق على أيديهم الذي

لا صُنع لهم فيه، ولم يكن بطريق التحدي، بل يجريه الله على أيديهم وإن لم يعلموا به، كقصة أصحاب الكهف، وأصحاب الصخرة، وجُريج الراهب، وكلها معجزات لأنبيائهم، ولهذا كانت في هذه الأمة أكثر وأعظم، لعظم معجزات نبيها، وكرامته على الله ﷻ، كما وقع لأبي بكر في أيام الرِّدة وكنداء عمر لسارية وهو على المنبر فأبلغه وهو بالشام، وككتابته إلى نيل مصر فجرى، وكخيل العلاء بن الحضرمي إذ خاض بها البحر في غزو الروم؛ وكصلاة أبي مسلم الخولاني في النار التي أوقدها له الأسود العنسي. وغير ذلك مما وقع لكثير منهم في زمن النبي ﷺ وبعده في عصر الصحابة والتابعين لهم بإحسان ومن بعدهم إلى الآن وإلى يوم القيامة؛ وكلها في الحقيقة معجزات لنبينا ﷺ، لأنهم إنما نالوا ذلك بمتابعته. فإن اتفق شيء من الخوارق لغير متبع النبي، فهي فتنة وشعوذة لا كرامة؛ وليس من اتفقت له من أولياء الرحمٰن، بل من أولياء الشياطين والعياذ بالله.

[س ٢٢٢] من هم أولياء الله؟

ج: هم كل من آمن بالله واتّقاه، واتبع رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس] ثم بيّنهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة].

وقال النبي ﷺ: «**إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء، إنما أوليائي المتقون**».

وقال الحسن رحمه الله تعالى: ادّعى قومٌ محبة الله فامتحنهم الله، بهذه الآية: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ...﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال الشافعي رحمه الله تعالى: «إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء أو يطير في الهواء، فلا تصدقوه ولا تغتروا به حتى تعلموا متابعته للرسول ﷺ».

[س ٢٢٣] من هي الطائفة التي عناها النبي ﷺ بقوله: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرة، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى»؟

ج: هذه الطائفة هي الفرقة الناجية من الثلاث وسبعين فرقة كما استثناها النبي ﷺ من تلك الفرق بقوله: **«كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة»**. وفي رواية قال: **«هم مَن كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»**.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات].

يقول جامعه غفر الله تعالى له ولوالديه: «فرغتُ من تسويده نهار الاثنين أول يوم من شهر شعبان عام خمس وستين بعد الثلاثمائة والألف من هجرة خاتم النبيين محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين».

وفرغت من تبييضه نهار الأحد رابع عشر من الشهر المذكور، جعل الله جميع سعينا خالصاً لوجهه آمين.

* * *

(٣٨) تجريد التوحيد المفيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وصلى الله على نبينا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين . .

أما بعد، فهذا كتاب جم الفوائد بديع الفرائد، ينتفع به من أراد الله والدار الآخرة. . . سميته «تجريد التوحيد المفيد»، والله أسأل العون على العمل بمنه.

اعلم أن الله سبحانه رب كل شيء ومالكه وإلههُ:

في معنى الرب:

فالرب مصدر ربَّ يرَبُّ ربّاً فهو رابٌّ: فمعنى قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ رابُّ العالمين، فإن الرب سبحانه وتعالى هو الخالق الموجد لعباده، القائم بتربيتهم وإصلاحهم من خَلقٍ ورزقٍ وعافية وإصلاح دين ودنيا.

في معنى الإلهية:

والإلهية كون العباد يتخذونه سبحانه محبوباً مألوهاً ويفردونه بالحب والخوف والرجاء والإخبات والتوبة والنذر والطاعة والطلب والتوكل، ونحو هذه الأشياء. فإن التوحيد حقيقته أن ترى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع الالتفات إلى الأسباب والوسائط، فلا ترى الخير والشر إلا منه تعالى، وهذا المقام يثمر التوكل وترك شكاية الخلقِ وترك لومهم والرضا عن الله تعالى والتسليم لحكمه.

وإذا عرفت ذلك فاعلم أن الربوبية منه تعالى لعباده والتَّأَلُّهَ من عباده له سبحانه، كما أن الرحمة هي الوصلة بينهم وبينه ﷻ.

بيان أن للتوحيد قشرين

للتوحيد قشران:

واعلم أن أنفس الأعمال وأجلها قدراً توحيد الله تعالى... غير أن التوحيد له قشران:

القشر الأول: أن تقول بلسانك لا إلٰه إلا الله، ويسمى هذا القول توحيداً، وهو مناقض للتثليث الذي تعتقده النصارى، وهذا التوحيد يصدر أيضاً من المنافق الذي يخالف سره جهره.

القشر الثاني: أن لا يكون في القلب مخالفة ولا إنكار لمفهوم هذا القول، بل يشتمل القلب على اعتقاده ذلك والتصديق به وهذا هو توحيد عامة الناس.

لباب التوحيد وما يخرج عنه:

ولباب التوحيد أن يرى الأمور كلها لله تعالى، ثم يقطع الالتفات إلى الوسائط وأن يعبده سبحانه عبادة يفرده بها ولا يعبد غيره. ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى... فكل من اتبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وإذا تأملت عرفت أن عابد الصنم لم يعبده، وإنما عبد هواه، وهو ميل نفسه إلى دين آبائه فيتبع ذلك الميل، وميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوى، ويخرج عن هذا التوحيد السخط على الخلق والالتفات إليهم، فإن من يرى الكل من الله يسخط على غيره أو يأمل سواه. وهذا التوحيد مقام الصديقين.

توحيد الربوبية لا بد معه من توحيد الإلهية:

ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون، بل أقروا بأنه سبحانه

وحده خالقهم وخالق السماوات والأرض، والقائم بمصالح العالم كله، وإنما أنكروا توحيد الإلهية والمحبة كما قد حكى الله تعالى عنهم في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]. فلما سووا غيره به في هذا التوحيد كانوا مشركين كما قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ①﴾ [الأنعام].

وقد علّم الله سبحانه وتعالى عباده كيفية مباينة الشرك في توحيد الإلهية، وأنه تعالى حقيق بإفراده ولياً وحَكَماً ورباً، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ [الأنعام: ١٤]، وقال ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ [الأنعام: ١١٤]، وقال: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾ [الأنعام: ١٦٤].

الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية

من عدل بالله غيره فقد أشركَ:

فلا وليَّ ولا حَكَمَ ولا رب إلا الله الذي من عَدَلَ به غيره فقد أشرك في ألوهيتهِ، ولو وحد ربوبيته، فتوحيد الربوبية هو الذي اجتمعت فيه الخلائق، مؤمنها وكافرها، وتوحيد الألوهية مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين، ولهذا كانت كلمة الإسلام، لا إله إلا الله، ولو قال: لا رب إلا الله لما أجزأه عند المحققين، فتوحيد الألوهية هو المطلوب من العباد. ولهذا كان أصل «الله» الإله، كما هو قول سيبَوَيه، وهو الصحيح وهو قول جمهور أصحابه، إلا من شذ منهم.

وبهذا الاعتبار الذي قررنا به الإله، وأنه المحبوب لاجتماع صفات الكمال فيه كان الله هو الاسم الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى والصفات العليا، وهو الذي ينكره المشركون ويحتج الرب سبحانه وتعالى عليهم بتوحيدهم ربوبيته على توحيد ألوهيته، كما قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ

أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [النمل]. وكلما ذكر تعالى من آياته جملة من الجمل قال عقبها ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾ فأبان سبحانه وتعالى بذلك أن المشركين إنما كانوا يتوقفون في إثبات توحيد الإلهية لا الربوبية على أن منهم من أشرك في الربوبية كما يأتي بعد ذلك إن شاء الله تعالى.

وبالجملة فهو تعالى يحتج على منكري الإلهية بإثباتهم الربوبية. والملك هو الآمر الناهي الذي لا يخلق خلقاً بمقتضى ربوبيته ويتركهم سدىً معطلين لا يؤمرون ولا ينهون، ولا يثابون ولا يعاقبون، فإن الملك هو الآمر الناهي المعطي المانع الضار النافع المثيب المعاقب.

الرب والملك والإله:

ولذلك، جاءت الاستعاذة في «سورة الناس» و«سورة الفلق» بالأسماء الحسنى الثلاثة، الرب والملك والإله، فإنه لما قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾﴾ كان فيه إثبات أنه خالقهم وفاطرهم، فبقي أن يقال، لما خلقهم هل كلفهم وأمرهم ونهاهم؟: قيل نعم، فجاء ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾﴾ فأثبت الخلق والأمر ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ﴾ [الأعراف: ٥٤]. فلما قيل ذلك، قيل فإذا كان رباً موجداً وملكاً مكلفاً، فهل يُحَبُّ وَيُرَغَّبُ إليهِ، ويكون التوجه إليه غاية الخلق والأمر؟ قيل: ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾﴾، أي مألوهم ومحبوبهم الذي لا يتوجه العبد المخلوق المكلف العابد إلا له، فجاءت الإلهية خاتمة وغاية وما قبلها كالتوطئة لها.

أدلة الجمهور في سحر النبي ﷺ وأدلة مخالفيه

أعظمُ عَوذَةٍ في القرآن:

وهاتان السورتان أعظم عَوذَةٍ في القرآن، وجاءت الاستعاذة بهما في وقت الحاجة إلى ذلك، وحين سُحر النبي ﷺ وخُيّلَ إليه أنه يفعل الشيء ﷺ وما فعله، وأقام على ذلك أربعين يوماً كما في «الصحيح».

وكانت عُقَد السحر إحدى عشرة عقدة، فأنزل الله المعوذتين إحدى عشرة آية، فانحلت بكل آية عقدة، وتعلقت الاستعاذة في أوائل القرآن باسمه الإله،

وهو المعبود وحده لاجتماع صفات الكمال فيه، ومناجاة العبد لهذا الإله الكامل ذي الأسماء الحسنى والصفات العليا، المرغوب إليه في أن يعيذ عبده الذي يناجيه بكلامه من الشيطان الحائل بينه وبين مناجاة ربه، ثم استحب التعليق باسم الإله في جميع المواطن التي يقال فيها «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» لأن اسم الله تعالى هو الغاية للأسماء.

ولهذا كان كل اسم بعده لا يتعرف إلا به، فتقول الله هو السلام المؤمن المهيمن، فالجلالة تعرف غيرها، وغيرها لا يعرفها.

والذين أشركوا به تعالى في الربوبية منهم من أثبت معه خالقاً آخر وإن لم يقولوا إنه إله مكافئ له، وهم المشركون ومن ضاهاهم من القدرية.

وربوبيته سبحانه للعالم الربوبية الكاملة المطلقة الشاملة تبطل أقوالهم، لأنها تقتضي ربوبيته لجميع ما فيه من الذوات والصفات والحركات والأفعال.

وحقيقة قول القدرية المجوسية أنه تعالى ليس رباً لأفعال الحيوان ولا تتناولها ربوبيته، إذ كيف يتناول ما لا يدخل تحت قدرته ومشيئته وخلقه.

بيان أن شرك الأمم كله نوعان

بيان الشرك في العبادة:

وشرك الأمم كله نوعان: شرك في الإلهية، وشرك في الربوبية... فالشرك في الإلهية والعبادة هو الغالب على أهل الإشراك، وهو شرك عباد الأصنام وعباد الملائكة وعباد الجن وعباد المشايخ الصالحين الأحياء والأموات الذين قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] ويشفعوا لنا عنده، وينالنا بسبب قربهم من الله وكرامته لهم قرب وكرامة، كما هو المعهود في الدنيا من حصول الكرامة والزلفى لمن يخدم أعوان الملك وأقاربه وخاصته. والكتب الإلهية كلها من أولها إلى آخرها تبطل هذا المذهب وترده وتقبح أهله وتنص على أنهم أعداء الله تعالى، وجميع الرسل صلوات الله عليهم متفقون على ذلك من أولهم إلى آخرهم، وما أهلك الله تعالى من الأمم إلا بسبب هذا الشرك ومن أجله: وأصله الشرك في محبة الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فأخبر سبحانه وتعالى أنه من أحب مع الله شيئاً غيره كما يحبه، فقد اتخذ نداً من دونه، وهذا على أصح القولين في الآية أنهم يحبونهم كما يحبون الله، وهذا هو العدل المذكور في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، والمعنى على أصح القولين أنهم يعدلون به غيره في العبادة فيسوون بينه وبين غيره في الحب والعبادة، وكذلك قول المشركين في النار لأصنامهم: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء]، ومعلوم قطعاً أن هذه التسوية لم تكن بينهم وبين الله في كونه ربهم وخالقهم، فإنهم كانوا كما أخبر الله عنهم مقرين بأن الله تعالى وحده، هو ربهم وخالقهم وأن الأرض ومن فيها لله وحده، وأنه رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، وأنه سبحانه وتعالى هو الذي بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه.

التسوية في المحبة والعبادة شرك لا يغفر:

وإنما كانت هذه التسوية بينهم وبين الله تعالى في المحبة والعبادة، فمن أحب غير الله تعالى وخافه ورجاه وذل له كما يحب الله تعالى ويخافه ويرجوه، فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله، فكيف بمن كان غير الله آثر عنده وأحب إليه وأخوف عنده، وهو في مرضاته أشد سعياً منه في مرضاة الله، فإذا كان المسوّي بين الله وبين غيرِه في ذلك مشركاً فما الظن بهذا.

فعياذاً بالله من أن ينسلخ القلب من التوحيد والإسلام كانسلاخ الحية من قشرها وهو يظن أنه مسلم موحد فهذا أحد أنواع الشرك.

والأدلة الدالة على أنه تعالى يجب أن يكون وحده هو المألوه يبطل هذا الشرك ويدحض حُجَج أهله، وهي أكثر من أن يحيط بها إلا الله... بل ما خلقه الله تعالى فهو آية شاهدة بتوحيده، وكذلك كل ما أمر به، فَخَلْقُهُ وأمره وما فطر عليه عباده وركبه فيهم من القوى شاهدٌ بأنه الله الذي لا إله إلا هو، وأن كل معبود سواه باطل، وأنه هو الله الحق المبين تقدس وتعالى.

وواعجبا كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد

ولله في كل تحريكة وتسكينة أبداً شاهد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

الشرك في الربوبية أخبث شرك:

والنوع الثاني من الشرك، الشرك به تعالى في الربوبية كشرك من جعل معه خالقاً آخر كالمجوس وغيرهم الذين يقولون بأن للعالم ربَّين، أحدهما خالق الخير، ويقولون له بلسان الفارسية «يزدان»، والآخر خالق الشر ويقول له المجوس بلسانهم «أهرمن».

وكالفلاسفة ومن تبعهم الذين يقولون بأنه لم يصدر عنه إلا واحد بسيط وأن مصدر المخلوقات كلها عن العقول والنفوس، وأن مصدر هذا العالم عن العقل الفعال، فهو رب كل ما تحته ومدبره، وهذا أشر من عبادة الأصنام والمجوس والنصارى وهو أخبث شرك في العالم، إذ يتضمن من التعطيل وجحد الإلهية والربوبية، واستناد الخلق إلى غيره سبحانه وتعالى ما لم يتضمنه شرك أمة من الأمم.

وشرك القدرية مختصر من هذا، وباب يدخل منه إليه. ولهذا شبههم الصحابة ﷺ بالمجوس، كما ثبت عن ابن عمر وابن عباس ﷺ.

وقد روى أهل السنن فيهم ذلك مرفوعاً أنهم مجوس هذه الأمة، وكثيراً ما يجتمع الشركان في العبد وينفرد أحدهما عن الآخر، والقرآن الكريم، بل الكتب المنزلة من عند الله تعالى كلها مصرحة بالرد على أهل الإشراك، كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فإنه ينفي شرك المحبة والإلهية، وقوله ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فإنه ينفي شرك الخلق والربوبية.

تفسير لتجريد التوحيد في الأفعال والألفاظ والإرادات:

فتضمنت هذه الآية تجريد التوحيد لرب العالمين في العبادة وأنه لا يجوز إشراك غيره معه، لا في الأفعال ولا في الألفاظ ولا في الإرادات، فالشرك به في الأفعال كالسجود لغيره سبحانه وتعالى، والطواف بغير بيته المحرم، وحلق الرأس عبودية وخضوعاً لغيره، وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود الذي هو يمينه تعالى في الأرض وتقبيل القبور واستلامها والسجود لها.

النهي عن اتخاذ القبور مساجد

وقد لعن النبي ﷺ من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يصلى فيها. . . فكيف من اتخذ القبور أوثاناً تعبد من دون الله تعالى، فهذا لم يعلم معنى قول الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

وفي «الصحيح» عنه ﷺ أنه قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يُحَذِّر ما صنعوا، وفيه عنه أيضاً: «**إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد**»، وفيه أيضاً عنه ﷺ: «**إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك**».

وفي «مسند الإمام أحمد» و«صحيح ابن حبان» عنه ﷺ: «**لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج**»، وقال ﷺ: «**واشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، وقال ﷺ: «**إن من كان قبلكم كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله**».

أقسام الناس في زيارة القبور:

والناس في هذا الباب (أعني زيارة القبور)، على ثلاثة أقسام:

- قوم يزورون الموتى فيدعون لهم وهذه الزيارة الشرعية.
- وقوم يزورونهم يدعون بهم، فهؤلاء هم المشركون في الألوهية والمحبة.
- وقوم يزورونهم فيدعونهم أنفسهم، وقد قال النبي ﷺ: «**اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد**» وهؤلاء هم المشركون في الربوبية، وقد حمى النبي ﷺ جانب التوحيد أعظم حماية تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ حتى نهى عن الصلاة في هذين الوقتين لكونه ذريعة إلى التشبه بعبّاد الشمس الذين يسجدون لها في هاتين الحالتين، وسد ﷺ الذريعة بأن مَنَعَ الصلاة بعد العصر والصبح لاتصال هذين الوقتين اللذين يسجد المشركون فيهما للشمس.

السجود لغير الله

وأما السجود لغير الله فقد قال ﷺ: «**لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد إلا الله**»، ولا ينبغي في كلام الله ورسوله إنما يستعمل للذي هو في غاية الإمتناع كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢﴾ [مريم]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ﴾ [يس: ٦٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ﴾ [الشعراء ٢١٠ ـ ٢١١]، وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الفرقان: ١٨].

من الشرك الحلف بغير الله:

ومن الشرك بالله تعالى المباين لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ الشرك به في اللفظ كالحلف بغيره، كما رواه الإمام أحمد وأبو داود عنه ﷺ أنه قال: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**» صححه الحاكم وابن حبان.

قال ابن حبان أخبرنا الحسن وسفيان ثنا عبدالله بن عمر الجعفي ثنا عبدالرحمٰن بن سليمان عن الحسن بن عبدالله النخعي عن سعد بن عبيدة قال كنت عند ابن عمر ﷺ فحلف رجل بالكعبة فقال ابن عمر ﷺ: «ويحك! لا تفعل، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**».

وصور من الإشراك نَحذَرُها:

ومن الإشراك قول القائل لأحد من الناس: ما شاء الله وشئت، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال له رجل (ما شاء الله وشئت)، فقال: «**أجعلتني لله نداً؟ قل ما شاء الله وحده**»، هذا مع أن الله تعالى قد أثبت للعبد مشيئة كقوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨﴾ [التكوير]، فكيف بمن يقول: أنا متوكل على الله وعليك، وأنا في حَسَبِ الله وحَسَبِكَ، وما لي إلا الله وأنت، وهذا من الله ومنك، وهذا من بركات الله وبركاتك، والله لي في السماء وأنت لي في الأرض، وازن بين هذه الألفاظ الصادرة من غالب الناس اليوم وبين ما نهى عنه ﷺ من ـ ما شاءَ الله وشئت ـ، ثم انظر أيها أفحش، يتبين لك أن قائلها أولى بالبعد من ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ وبالجواب من النبي ﷺ لقائل تلك الكلمة وأنه إذا كان قد جعل رسول الله ﷺ نداً فهذا قد جعل من لا يدانيه لله نداً.

بيان لمعنى العبادة:

وبالجملة، فالعبادة المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ هي السجود، والتوكل، والإنابة، والتقوى، والخشية، والتوبة، والنذور، والحلف. والتسبيح، والتكبير، والتهليل، والتحميد، والاستغفار، وحلق الرأس خضوعاً وتعبداً والدعاء. . . كل ذلك محض حق الله تعالى.

وفي مسند الإمام أحمد أن رجلاً أتى النبي ﷺ قد أذنب ذنباً، فلما وقف بين يديه قال: اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد، فقال ﷺ: **«عرف الحق لأهله»**. وأخرجه الحاكم من حديث الحسن عن الأسود بن سريع، وقال حديث صحيح.

تقسيم الشرك إلى تعطيل وغيره وأقسامه

الشرك في الإرادات والنيات:

وأما الشرك في الإرادات والنيات، فذلك البحر الذي لا ساحل له وقل من ينجو منه، فمن نوى بعمله غير وجه الله تعالى فلم يقم بحقيقة قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، فإن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ هي الحنيفية ملة ابراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم، ولا يقبل من أحد غيرها، وهي حقيقة الإسلام ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران]، فاستمسك بهذا الأصل ورد ما أخرجه المبتدعة والمشركون إليه، تحقق معنى كلمة الإلهية. فإن قيل المشرك إنما قصد تعظيم جناب الله تعالى وأنه لعظمته لا ينبغي الدخول عليه إلا بالوسائط والشفعاء كحال الملوك. فالمشرك لم يقصد الاستهانة بجناب الربوبية، وإنما قصد تعظيمه وقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وإنما أعبد هذه الوسائط لتقربني إليه وَتَدخُلَ بي عليه، فهو الغاية، وهذه وسائل، فَلِمَ كان هذا القدر موجباً لسخط الله تعالى وغضبه، ومخلداً في النار وموجباً لسفك دماء أصحابه واستباحة حريمهم وأموالهم؟ وهل يجوز في العقل أن يشرع الله تعالى لعباده التقرب إليه بالشفعاء والوسائط فيكون تحريم هذا إنما استفيد بالشرع فقط أم ذلك قبيح في الشرع، والعقل يمنع أن تأتيَ به شريعة من الشرائع؟ وما لسر في

كونه لا يغفر من بين سائر الذنوب كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]».

قلنا الشرك شركان... شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله، وشرك في عبادته ومعاملته وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه وتعالى لا شريك له في ذاته ولا في صفاته.

وأما الشرك الثاني فهو الذي فرغنا من الكلام فيه وأشرنا إليه الآن، وسنشبع الكلام فيه إن شاء الله تعالى.

توضيح للشرك في الذات والأسماء والصفات والأفعال:

أما الشرك الأول فهو نوعان: أحدهما شرك التعطيل، وهو أقبح أنواع الشرك، كشرك فرعون في قوله: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]، وقال: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ٣٧﴾ [غافر]، والشرك والتعطيل متلازمان، فكل مشرك معطل، وكل معطل مشرك، لكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل، بل قد يكون المشرك مقراً بالخالق سبحانه وتعالى وصفاته، ولكنه مُعَطِّله حق التوحد.

التعطيل أصل الشرك ومفسّرٌ له:

وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها هو التعطيل وهو ثلاثة أقسام:

أحدها: تعطيل المصنوع عن صانعه.

الثاني: تعطيل الصانع عن كماله الثابت له.

الثالث: تعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد...

ومن هذا شرك أهل الوحدة ومنه شرك الملاحدة القائلين بِقِدَم العالم وأبديته، وأن الحوادث بأسرها مستندة إلى أسباب ووسائط اقتضت إيجادها، ويسمونها العقول والنفوس، ومنه شرك معطلة الأسماء والصفات كالجهمية والقرامطة وغلاة المعتزلة.

توضيح لشرك من جعل مع الله إلهاً آخر:

النوع الثاني شرك التمثيل، وهو شرك من جعل معه تعالى إلهاً آخر. كالنصارى في المسيح واليهود في عزير، والمجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور وحوادث الشر إلى الظلمة.

وشرك القدرية المجوسية مختصر منه، وهؤلاء أكثر مشركي العالم، وهم طوائف جمة منهم من يعبد أجزاء سماوية، ومنهم من يعبد أجزاء أرضية، ومن هؤلاء من يزعم أن معبوده أكبر الآلهة، ومنهم من يزعم أنه إذا خصه بعبادته والتبتل إليه أقبل إليه واعتنى به، ومنهم من يزعم أن معبوده الأدنى يقربه إلى الأعلى الفوقاني، والفوقاني يقربه إلى من هو فوقه حتى تقربه تلك الآلهة إلى الله سبحانه وتعالى، فتارة تكثر الوسائط وتارة تقل.

فإذا عرفت هذه الطوائف وعرفت اشتداد نكير الرسول ﷺ على من أشرك به تعالى في الأفعال والأقوال والإرادات كما تقدم ذكره، انفتح لك باب الجواب عن السؤال.

فتقول: أعلم أن حقيقة الشرك تشبيه الخالق بالمخلوق، وتشبيه المخلوق بالخالق.

أما الخالق فإن المشرك شبه المخلوق بالخالق في خصائص الإلهية، وهي التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع، فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق تعالى وسوّى بين التراب ورب الأرباب، فأي فجور وذنب أعظم من هذا؟

من خصائص الإلهية الكمال المطلق

ومن خصائص الإلهية:

واعلم أن من خصائص الإلهية الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وذلك يوجب أن تكون العبادة له وحده عقلاً وشرعاً وفطرة، فمن جعل ذلك لغيره، فقد شبه الغير بمن لا شبيه له، ولشدة

قبحه وتضمنه غاية الظلم، أخبر من كتب على نفسه الرحمة أنه لا يغفره أبداً، ومن خصائص الإلهية، العبودية التي لا تقوم إلا على ساق الحب والذل، فمن أعطاهما لغيره، فقد شبهه بالله سبحانه وتعالى في خالص حقه، وقبح هذا مستقر في العقول والفطر، لكن لما غيرت الشياطين فطر أكثر الخلق واجتالتهم عن دينهم وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ـ كما رَوى ذلك عن الله أعرف الخلق به وبخلقه ـ عَمُوا عن قبح الشرك حتى ظنوه حسناً.

ومن خصائص الإلهية السجود، فمن سجد لغيره فقد شبهه به.

ومنها التواكل، فمن توكل على غيره فقد شبهه به.

ومنها التوبة، فمن تاب لغيره فقد شبهه به.

ومنها الحلف باسمه فمن حلف بغيره فقد شبهه به.

ومنها الذبح له، فمن ذبح لغيره فقد شبهه به.

ومنها حلق الرأس... إلى غير ذلك.

من تشبه بالله قصمه الله:

هذا في جانب التشبيه، وأما في جانب التشبه، فمن تعاظم وتكبر ودعا إلى اطرائه ورجائه ومخافته فقد تشبه بالله ونازعه في ربوبيته وهو حقيق بأن يهينه الله غاية الهوان، ويجعله كالذر تحت أقدام خلقِهِ.

وفي «الصحيح» عنه ﷺ أنه قال: «**يقول الله ﷻ: العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني في واحد منهما عذبته**».

وإذا كان المصور الذي يصنع الصور بيده من أشد الناس عذاباً يوم القيامه لتشبهه بالله في مجرد الصنعة، فما الظن بالمتشبه بالله في الربوبية والإلهية كما قال ﷺ: «**أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون يقال لهم أحيوا ما خلقتم**».

وفي «الصحيح» عنه ﷺ أنه قال: **يقول الله ﷻ: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة»**، فنبه بالذرة والشعيرة على ما هو أعظم منهما وكذلك من تشبه به تعالى في الاسم الذي لا ينبغي إلا له كملك الملوك وحاكم الحكام وقاضي القضاة ونحوه...

فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن أخنع الأسماء عند الله رجل تسمى بشاهان شاه (ملك الملوك) لا مالك إلا الله»**. وفي لفظ «أغيظ رجل عند الله رجل تسمى ملك الأملاك».

التشبيه والتشبه هو حقيقة الشرك:

وبالجملة، فالتشبيه والتشبه هو حقيقة الشرك، ولذلك كان من ظن أنه إذ تقرب إلى غيره بعبادة ما يقربه ذلك الغير إليه تعالى، فإنه يخطئ لكونه شبهه به وأخذ ما لا ينبغي أن يكون إلا له. فالشرك منعه سبحانه وتعالى حقه فهذا قبيح عقلاً وشرعاً، ولذلك لم يشرع ولم يغفر لفاعله.

اتخاذ الشفعاء إساءة بالغة:

واعلم أن الذي ظن أن الرب سبحانه وتعالى لا يسمع له أو لا يستجيب له إلا بواسطة تطلعه على ذلك أو تسأل ذلك منه فقد ظن بالله ظن السوء فإنه إن ظن أنه لا يعلم أو لا يسمع إلا بإعلام غيره له وإسماعه فذلك نفي لعلم الله وسمعه وكمال إدراكه وكفى بذلك ذنباً.

وإن ظن أنه يسمع ويرى ولكن يحتاج إلى من يُلَيِّنُهُ ويُعَطِّفُهُ عليهم، فقد أساء الظن بإفضال ربه وبره وإحسانه وسعة جوده.

وبالجملة، فأعظم الذنوب عند الله تعالى إساءة الظن به، ولهذا يتوعده في كتابه على إساءة الظن به أعظم وعيد، كما قال الله تعالى: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦]، وقال تعالى عن خليله ابراهيم عليه السلام: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الصافات] أي: فما ظنكم أن يجازيكم إذ عبدتم معه غيره وظننتم أنه يحتاج في الإطلاع على ضرورات عباده لمن يكون باباً للحوائج إليه ونحو ذلك. وهذا بخلاف الملوك فإنهم محتاجون إلى الوسائط ضرورة لحاجتهم وعجزهم وضعفهم وقصور علمهم عن إدراك حوائج المضطرين. فأما من لا يشغله سمعٌ عن سمع، وسبقت رحمته غضبه وكتب على نفسه الرحمة فما تصنع الوسائط عنده فمن اتخذ واسطة بينه وبين الله تعالى فقد ظن به أقبح الظن، ومستحيل أن يشرعه لعباده بل ذلك يمتنع في العقول والفطر

عدم جواز الخضوع والتأله:

واعلم أن الخضوع والتأله الذي يجعله العبد لتلك الوسائط قبيح في نفسه، كما قررناه لا سيما إذا كان المجعول له ذلك عبداً للملك العظيم الرحيم القريب المجيب ومملوكاً له، كما قال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الروم: ٢٨] أي إذا كان أحدكم يأنف أن يكون مملوكه شريكه في رزقه، فكيف تجعلون لي من عبيدي شركاء فيما أنا منفرد به وهو الإلهية التي لا تنبغي لغيري ولا تصلح لسواي، فمن زعم ذلك فما قدرني حق قدري ولا عظمني حق تعظيمي.

وبالجملة فما قدره حق قدره من عبد معه من ظن أن يوصل إليه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ [الحج: ٧٣] إلى أن قال ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج]، وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر].

فما قَدَرَ القوي العزيز حق قدره من أشرك معه الضعيف الذليل.

أصل ضلال الطوائف الضالة:

واعلم أنك إذا تأملت جميع طوائف الضلال والبدع، وجدت أصل ضلالهم راجعاً إلى شيئين:

أحدهما: الظن بالله ظن السوء.

والثاني: لم يقدروا الرب حق قدره، فلم يقدره حق قدره من ظن أنه لم يرسل رسولاً ولا أنزل كتاباً بل ترك الخلق سدىً وخلقهم عبثاً، ولا قدره حق قدره من نفى عموم قدرته وتعلقها بأفعال عباده من طاعتهم ومعاصيهم وأخرجهما عن خلقه وقدرته، ولا قدر الله حق قدره أضداد هؤلاء الذين قالوا إنه يعاقب عبده على ما لم يفعله بل يعاقبه على فعله سبحانه وتعالى، وإذا استحال في العقول أن يجبر السيد عبده على فعل ثم يعاقبه عليه فكيف يصدر هذا من أعدل العادلين.

وقول هؤلاء شر من أشباه المجوس القدرية الأذلين، ولا قدره حق قدره من نفى رحمته ورضاه ومحبته وغضبه وحكمته مطلقاً وحقيقة فعله، ولم يجعل له فعلاً اختيارياً، بل أفعاله مفعولات منفصله عنه. ولا قدره حق قدره من جعل له صاحبة وولداً، أو جعله يحل في مخلوقاته، أو جعله عين هذا الوجود. ولا قدره حق قدره من قال إنه رفع أعداء رسوله وأهل بيته وجعل فيهم الملك، ووضع أولياء رسوله وأهل بيته وهذا يتضمن غاية القدح في الرب، تعالى الله عن قول الرافضة. وهذا مشتق من قول اليهود والنصارى في قول رب العالمين: إنه أرسل ملكاً ظالماً فادعى النبوة وكذب على الله، ومكث زمناً طويلاً يقول أمرني بكذا ونهاني عن كذا، ويستبيح دماء أبناء الله وأحبائه والرب تعالى يظهره ويؤيده ويقيم الأدلة والمعجزات على صدقه ويقبل بقلوب الخلق وأجسادهم إليه، ويقيم دولته على الظهور والزيادة ويذل أعداءه أكثر من ثمان مئة عام. فوازن بين قول هؤلاء وقول إخوانهم من الرافضة، تجد القولين سواء، ولا قدره حق قدره من زعم أنه لا يحيي الموتى ولا يبعث من في القبور ليبين لعباده الذي كانوا فيه يختلفون وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين.

عابد غير الله إنما يعبد الشيطان:

وبالجملة، فهذا باب واسع، والمقصود أن كل من عبد مع الله غيره فإنما عبد شيطاناً. قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [يس: ٦٠]. فما عبد أحدٌ أحداً من بني آدم كائناً من كان إلا وقد وقعت عبادته للشيطان فيستمتع العابد بالمعبود في حصول غرضه، ويستمتع المعبود بالعابد في تعظيمه له وإشراكه مع الله تعالى وذلك غاية رضى الشيطان.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ [الأنعام: ١٢٨] أي من إغوائهم وإضلالهم ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨] فهذه إشارة لطيفة إلى السر الذي لأجله كان الشرك أكبر الكبائر عند الله وأنه لا يُغفر بغير التوبة منه، وأنه موجب للخلود في العذاب العظيم، وأنه ليس تحريمه قبحه بمجرد النهي عنه فقط، بل

يستحيل على الله سبحانه وتعالى أن يشرع لعباده عبادة عبادة إلهٍ غيره كما يستحيل عليه ما يناقض أوصاف كماله ونعوت جلاله.

تقسيم العبادة من حيث الاستعانة

أقسام الناس في عبادة الله:

وأعلم أن الناس في عبادة الله تعالى والاستعانة به أقسام: أجلها وأفضلها أهل العبادة والاستعانة بالله عليها، فعبادة الله غاية مرادهم، وطلبهم منه أن يعينهم عليها ويوفقهم للقيام بها نهاية مقصودهم، ولهذا كان أفضل ما يسأل الرب تعالى الإعانة على مرضاته، وهو الذي علمه النبي ﷺ لمعاذ بن جبل فقال: «**يا معاذ، والله إني أحبك فلا تدع أن تقول في كل دبر صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»، فانفع الدعاء طلب العون على مرضاته تعالى: ويقابل هؤلاء القسم الثاني، المعرضون عن عبادته والاستعانة به، فلا عبادة لهم ولا استعانة، بل إن سأله تعالى أحدهم واستعان به فعلى حظوظه وشهواته، والله سبحانه وتعالى يسأله من في السماوات والأرض ويسأله أولياؤه وأعداؤه فيمد هؤلاء وهؤلاء، وأبغض خلق الله إبليس، ومع هذا أجاب سؤاله وقضى حاجته ومتعه بها، ولكن لما لم تكن عوناً على مرضاته كانت زيادة في شقوته وبعده. وهكذا كل من سأله تعالى واستعان به على ما لم يكن عوناً له على طاعته كان سؤاله مبعداً له عن الله فليتدبر العاقل هذا وليعلم أن إجابة الله لسؤال بعض السائلين ليست لكرامته عليه، بل قد يسأله عبده الحاجة فيقضيها له وفيها هلاكه، ويكون منعه حماية له وصيانة، والمعصوم من عصمه الله. والإنسان على نفسه بصيرة.

الإكرام والإهانة بالتقوى أو عدمها:

وعلامة هذا أنك ترى من صانه الله من ذلك وهو يجهل حقيقة الأمر إذا رآه سبحانه وتعالى يقضي حوائج غيره يسيء ظنه به تعالى، وقلبه محشو بذلك وهو لا يشعر، وأمارة ذلك حمله على الأقدار، وعتابه في الباطن لها، ولقد كشف الله تعالى هذا المعنى غاية الكشف في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا

ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾﴾ [الفجر]، أي ليس كل من أعطيته ونعمته وخوّلته فقد أكرمته وما ذاك لكرامته عليّ ولكنه ابتلاء مني وامتحان له أيشكرني فأعطيه فوق ذلك أم يكفرني فأسلبه إياه وأحوله عنه لغيره، وليس كل من ابتليته فضيقت عليه رزقه وجعلته بقدر لا يفضل عنه فذاك من هوانه عليّ، ولكن ابتلاء وامتحان له مني، أيصبر فأعطيه أضعاف ما فاته أم يسخط فيكون حظه من السخط.

وبالجملة فأخبر تعالى أن الإكرام والإهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق وتقديره، فإنه سبحانه وتعالى يوسع على الكافر لا لكرامته ويقتر على المؤمن لا لهوانه عليه، وإنما يكرم سبحانه وتعالى من يكرم من عباده بأن يوفقه لمعرفته ومحبته وعبادته واستعانته. فغاية سعادة الأبد في عبادة الله والاستعانة به عليها.

القسم الثالث من له نوع عبادة بلا استعانة. . . وهؤلاء نوعان:

أحدهما: أهل القدر القائلون: بأنه سبحانه وتعالى قد فعل بالعبد جميع مقدروه من الألطاف وأنه لم يبق في مقدروه إعانة له على الفعل فإنه قد أعانه بخلق الآلات وسلامتها وتعريف الطريق، وإرسال الرسول وتمكينه من الفعل. فلم يبق بعدها إعانة مقدورة يسأله إياها، وهؤلاء مخذولون موكولون إلى أنفسهم مسدود عليهم طريق الاستعانة والتوحيد. قال ابن عباس ﷺ: الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن آمن بالله وكذب بقدره نقض تكذيبه توحيده.

النوع الثاني: من لهم عبادة وأوراد ولكن حظهم ناقص من التوكل والاستعانة لم تتسع قلوبهم لارتباط الأسباب بالقدر، وأنها بدون المقدور كالموت الذي لا تأثير له، بل كالعدم الذي لا وجود له، وأن القدر كالروح المحرك لها، والمعول على المحرك الأول، فلم تنفذ بصائرهم من السبب إلى المسبب ومن الآلة إلى الفاعل فقل نصيبهم من الاستعانة. وهؤلاء لهم نصيب من التصرف بحسب استعانتهم وتوكلهم ونصيب من الضعف والخذلان بحسب قلة استعانتهم وتوكلهم ولو توكل العبد على الله حق توكله في إزالة جبل [يراد إزالته] عن مكانه لأزاله.

بيان معنى الاستعانة

تفسير لحقيقة الاستعانة عملاً:

فإن قيل ما حقيقة الإستعانة عملاً؟

قلنا هي التي يعبر عنها بالتوكل وهي حالة للقلب تنشأ عن معرفة الله تعالى وتفرده بالخلق والأمر والتدبير والضر والنفع، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فتوجب اعتماداً عليه وتفويضاً إليه وثقة به، فتصير نسبة العبد إليه تعالى كنسبة الطفل إلى أبويه فيما ينوبه من رغبته ورهبته، فلو دهمه ما عسى أن يدهَمَهُ من الآفات لم يلتجئ إلى غيرهما. فإن كان العبد مع هذا الاعتماد من أهل التقوى كانت له العاقبة الحميدة ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣] أي كافيه.

القسم الرابع: من له استعانة بلا عبادة وتلك حالة من شهد تفرد الله بالضر والنفع ولم يدر بما يحبه ويرضاه، فتوكَّل عليه في حظوظه فأسعفه بها، وهذا لا عاقبة له سواء كانت أموالاً أو رياسات أو جاهاً عند الخلق أو نحو ذلك، فذلك حظه من دنياه وآخرته.

الإخلاص والاتباع بهما النجاة:

واعلم أن العبد لا يكون متحققاً بعبادة الله تعالى إلا بأصلين:

أحدهما: متابعة الرسول ﷺ.

والثاني: إخلاص العبودية.

والناس في هذين الأصلين على أربعة أقسام:

الضرب الأول: أهل الإخلاص والمتابعة... فأعمالهم كلها لله وأقوالهم منعهم وإعطاؤهم وحبهم وبغضهم، كل ذلك لله تعالى لا يريدون من العباد جزاءً ولا شكوراً، عدُّوا الناس كأصحاب القبور لا يملكون ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، فإنه لا يعامل أحداً من الخلق إلا لجهله بالله وجهله بالخلق. والإخلاص هو العمل الذي لا يقبل الله من عاملٍ عملاً صواباً عارياً

منه، وهو الذي ألزم عباده به إلى الموت. قال الله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ⑦﴾ [الكهف]، وأحسن العمل أخلصه وأصوبه. فالخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على وفق سنة رسول الله ﷺ، وهذا هو العمل الصالح المذكور في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الكهف: ١١٠] وهو العمل الحسن في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥] وهو الذي أمر به النبي ﷺ في قوله: «**كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد**»، وكل عمل بلا متابعة فإنه لا زيد عامله إلا بعداً من الله تعالى، فإن الله تعالى إنما يعبد بأمره لا بالأهواء والآراء.

شرار الخلق:

الضرب الثاني: من لا إخلاص له ولا متابعة له وهؤلاء شرار الخلق وهم المتزيّنون بأعمال الخير يراؤون بها الناس، وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف عن الصراط المستقيم من المنتسبين إلى الفقه والعلم والفقر والعبادة فإنهم يرتكبون البدع والضلال والرياء والسمعة ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا. وفي أضراب هؤلاء نزل قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ⑱⑧﴾ [آل عمران].

الغلو مع عدم المتابعة يضر العابد:

الضرب الثالث: من هو مخلص في أعماله لكنها على غير متابعة الأمر. كجهال العباد والمنتسبين إلى الزهد والفقر، وكل من عَبَدَ الله على غير مراده: والشأن ليس في عبادة الله فقط: بل في عبادة الله كما أراد الله. ومنهم من يمكث في خلواته تاركاً للجمعة، ويرى ذلك قربةً ويرى مواصلة صوم النهار والقيام من الليل قربة وأن صيام يوم الفطر وأمثال ذلك.

والرياء محبط للعبادات:

الضرب الرابع: من أعماله على متابعة الأمر، لكنها لغير الله تعالى كطاعات المرائين، وكالرجل يقاتل رياء وسمعة وحمية وشجاعة وللمغنم، ويحج ليقال، ويقرأ ليقال، ويُعَلِّم ويؤلف ليقال، فهذه أعمال صالحة لكنها غير

مقبولة؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥] فلم يؤمر الناس إلا بالعبادة على المتابعة والإخلاص فيها، والقائم بهما هم أهل ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾.

صور من الغلو وأخذ الشريعة من جهة واحدة:

ثم أهل مقام ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ لهم في أفضل العبادة وأنفعها وأحقها بالإيثار والتخصيص أربعة طرق، وهم في ذلك أربعة أصناف.

أهل المشقة على النفوس:

الصنف الأول: عندهم أنفع العبادات وأفضلها أشقها على النفوس وأصعبها، قالوا لأنه أبعد الأشياء من هواها وهو حقيقة التعبد، والأجر على قدر المشقة، ورووا حديثاً ليس له أصل «أفضل الأعمال أحمزها»، أي أصعبها وأشقها، وهؤلاء هم أرباب المجاهَدات والجور على النفوس، قالوا وإنما تستقيم النفوس بذلك، إذ طبعها الكسل والمهاونة والإخلاد إلى الراحة فلا تستقيم النفوس إلا بركوب الأهوال وتحمل المشاق.

أهل الزهد في متاع الدنيا:

الصنف الثاني: قالوا أفضل العبادات وأنفعها التجرد والزهد في الدنيا والتقلل منها غاية الإمكان واطراح الاهتمام بها، وعدم الاكتراث لما هو منها.

عوام الزهاد وخواصهم:

ثم هؤلاء قسمان: فعوامهم ظنوا أن هذا غاية فشمروا إليه وعملوا عليه وقالوا: هو أفضل من درجة العلم والعبادة ورأوا الزهد في الدنيا غاية كل عبادة ورأسها، وخواصهم رأوا هذا مقصوداً لغيره، وأن المقصود به عكوف القلب على الله تعالى، والاستغراق في محبته والإنابة إليه والتوكل عليه، والاشتغال بمرضاته، فرأوا أفضل العبادات دوام ذكره بالقلب واللسان ثم هؤلاء قسمان: فالعارفون إذا جاء الأمر والنهي بادروا إليه ولو فرقهم وأذهب جمعهم، والمنحرفون منهم يقولون المقصود من القلب جَمعِيَّته فإذا جاء ما يفرقه عن الله لم يلتفتوا إليه ويقولون:

يطالب بالأوراد من كان غافلاً فكيف بقلب كل أوقاته وِرد

من آفات الغلو في أخذ الشريعة من جهة واحدة:

ثم هؤلاء أيضاً قسمان: منهم من يترك الواجبات والفرائض لجمعيَّته. ومنهم من يقول بها ويترك السنن والنوافل ويعلم العلم النافع لجمعيَّته.

والحق أن الجمعية حظ القلب، وإجابة داعي الله حق الرب، فمن آثر حق نفسه على حق ربه فليس من العبادة في شيء.

أهل قضاء حوائج الناس والنفع المتعدِّي:

الصنف الثالث: رأوا أن أفضل العبادات ما كان فيه نفع متعد فرأوه أفضل من النفع القاصر، فرأوا خدمة الفقراء والاشتغال بمصالح الناس وقضاء حوائجهم ومساعدتهم بالجاه والمال والنفع أفضل لقوله ﷺ: «**الخلق عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله**»، قالوا: وعمل العابد قاصر على نفسه وعمل النفاع متعدٍّ إلى الغير، فأين أحدهما من الآخر؟ ولهذا كان فضل العالم العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب.

وقد قال ﷺ لعلي: «**لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمُر النعم**».

وقال ﷺ: «**من دعا إلى هدىً كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً**».

وقال ﷺ: «**إن الله وملائكته ليصلون على معلِّمي الناس الخير**». وقال ﷺ: «**إن العالم يستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في البحر والنملة في جحرها**»، قالوا: وصاحب العبادة إذا مات انقطع عمله، وصاحب النفع لا ينقطع عمله ما دام نفعه الذي تسبب فيه.

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام إنما بعثوا بالإحسان إلى الخلق وهدايتهم ونفعهم في معاشهم ومعادهم ولم يبعثوا بالخلوات والانقطاع، ولهذ انكر النبي ﷺ على أولئك النفر الذين هموا بالانقطاع والتعبد وترك مخالطة الناس. ورأى هؤلاء أن التفرغ لنفع الخلق أفضل من الجمعية على الله بدون ذلك. قالوا: ومن ذلك العلم والتعليم ونحو هذه الأمور الفاضلة.

أفضل العبادة الاشتغال في كل وقت بما يناسبه

أهل التعبد المطلق ومنهاجهم المتكامل:

الصنف الرابع: قالوا: أفضل العبادة العمل على مرضاة الرب سبحانه وتعالى واشتغال كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته، فأفضل العبادات في وقت الجهاد، الجهاد وإن آل إلى ترك الأوراد من صلاة الليل وصيام النهار، بل من ترك إتمام صلاة الفرض كما في حالة الأمن.

والأفضل في وقت حضور الضيف القيام بحقه والاشتغال به.

والأفضل في وقت السحر الاشتغال بالصلاة والقرآن والذكر والدعاء.

والأفضل وقت الآذان ترك ما هو فيه من الأوراد والاشتغال بإجابة المؤذن.

والأفضل في أوقات الصلوات الخمس الجد والاجتهاد في إيقاعها على أكمل الوجوه والمبادرة إليها في أول الوقت والخروج إلى المسجد وإن بعد.

والأفضل في أوقات ضرورة المحتاج المبادرة إلى مساعدته بالجاه والمال والبدن.

والأفضل في السفر مساعدة المحتاج وإعانة الرفقة وإيثار ذلك على الأوراد والخلوة.

والأفضل في وقت قراءة القرآن جمعية القلب والهمة على تدبره والعزم على تنفيذ أوامره أعظم من جمعية قلب من جاءه كتاب من السلطان على ذلك.

والأفضل في وقت الوقوف بعرفة الأجتهاد في التضرع والدعاء والذكر.

والأفضل في أيام عشر ذي الحجة الإكثار من التعبد لا سيما التكبير والتهليل والتحميد وهو أفضل من الجهاد الغير المتعين.

والأفضل في العشر الأواخر من رمضان لزوم المساجد والخلوة فيها مع

الإعتكاف والإعراض عن مخالطة الناس والاشتغال بهم حتى أنه أفضل من الإقبال على تعليمهم العلم وإقرائهم القرآن عند كثير من العلماء.

والأفضل في وقت مرض أخيك المسلم أو موته عيادته وحضور جنازته وتشييعه وتقديم ذلك على خلوتك وجمعيتك.

والأفضل وقت نزول النوازل وإيذاء الناس لك، أداء واجب الصبر مع خلطتك لهم، والمؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أو إيذائهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم. وخلطتهم في الخير أفضل من عزلتهم فيه، وعزلتهم في الشر أفضل من خلطتهم فيه.

فإن علم أنه إذا خالطهم أزاله وقلله، فخلطتهم خير من اعتزالهم، وهؤلاء هم أهل التعبد المطلق، والأصناف التي قبلهم أهل التعبد المقيد، فمتى خرج أحدهم عن الفرع الذي تعلق به من العبادة وفارقه يرى نفسه كأنه قد نقص ونزل عن عبادته فهو يعبد الله تعالى على وجه واحد، وصاحب التعبد المطلق ليس له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره، بل غرضه تتبع مرضاة الله تعالى: إن رأيت العلماء رأيته معهم وكذلك مع الذاكرين، والمتصدقين وأرباب الجمعية وعطوف القلب على الله، فهذا هو الغذاء الجامع للسائر إلى الله في كل طريق والوافد عليه مع كل فريق.

مثال ودليل على سلامة وصحة منهج أهل التعبد المطلق:

واستحضر ههنا حديث أبي بكر الصديق ﷺ وقول النبي ﷺ بحضوره «**هل منكم أحدٌ أطعم اليوم مسكيناً؟**»، قال أبو بكر: أنا، قال: «**هل منكم أحدٌ أصبح اليوم صائماً؟**»، قال أبو بكر: أنا، قال: «**هل منكم أحد عاد اليوم مريضاً؟**»، قال أبو بكر: أنا، قال: «**هل منكم أحد اتبع جنازة؟**»، قال أبو بكر: أنا، الحديث.

هذا الحديث رُوِي عن طريق عبدالغني بن أبي عقيل. حدثنا نُعيم بن سالم عن أنس بن مالك ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ جالساً في جماعة من أصحابه فقال: «من صام اليوم؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «من تصدق اليوم؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «من عاد مريضاً اليوم؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «من شهد

اليوم جنازة؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «وجبت لك» يعني الجنة.

ونُعيم بن سالم وإن تكلم فيه لكن تابعه سلمة بن وردان، وله أصل صحيح من حديث مالك عن محمد بن شهاب عن حميد ابن عبدالرحمٰن بن عوف عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة يا عبدالله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة نودي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد نودي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان**»، فقال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله ما على من يدعى من هذه الأبواب كلها من ضرورة فهل يدعى أحد من هذه الأبواب كلها؟ قال: «**نعم وأرجو أن تكون منهم**». هكذا رواه عن مالك موصولاً مسنداً عن يحيى بن يحيى وعن ابن عيسى وعبدالله بن المبارك.

ورواه يحيى بن بكير وعبدالله بن يوسف عن مالك عن أبي شهاب عن حُمَيد مرسلاً. وليس هو عند القعنبي لا مرسلاً ولا مسنداً.

تفسير لكلمة:

ومعنى قوله «من أنفق زوجين» يعني شيئين من نوع واحد نحو درهمين أو دينارين أو فرسين أو قميصين، وكذلك من صلى ركعتين أو مشى في سبيل الله تعالى خطوتين أو صام يومين ونحو ذلك، وإنما أراد ـ والله أعلم ـ أقل التكرار وأقل وجوه المداومة على العمل من أعمال البر، لأن الاثنين أقل الجمع.

ثناء على من يعطي كل ذي حقٍ حقه:

فهذا كالغيث، أين وقع نفع، صحب الله بلا خلق، وصحب الخلق بلا نفس، إذا كان مع الله عزل الخلائق من البين وتخلى عنهم، وإذا كان مع خالقه عزل نفسه من الوسط وتخلى عنها، فما أغربه بين الناس، وما أشد وحشته منهم، وما أعظم أنسه بالله وفرحه به، وطمأنينته وسكونه إليه.

للناس في منفعة العبادة طرق أربع

المذاهب في بيان حكمة العبادة وعلتها:

واعلم أن للناس في منفعة العبادة وحكمتها ومقصودها طرقاً أربعة، وهم في ذلك أربعة أصناف:

الصنف الأول: نفاة الحِكَم والتعليل الذين يردون الأمر إلى نفس المشيئة وصرف الإرادة، فهؤلاء عندهم القيام بها ليس إلا لمجرد الأمر من غير أن تكون سبباً لسعادة في معاش ولا معاد ولا سبباً لنجاة وإنما القيام بها لمجرد الأمر ومحض المشيئة، كما قالوا في الخلق، لم يخلق لغاية ولا لعلة هي المقصودة به، ولا لحكمة تعود إليه منه، وليس في المخلوق أسباب تكون مقتضيات لمسبباتها وليس في النار سبب للإحراق، ولا في الماء قوة الإغراق ولا التبريد. وهكذا الأمر عندهم سواء، لا فرق بين الخلق والأمر، لا فرق في نفس الأمر بين المأمور والمحظور، ولكن المشيئة اقتضت أمره بهذا ونهيه عن هذا من غير أن يقوم بالمأمور به صفة تقتضي حسنه، ولا بالمنهي عنه صفة تقتضي قبحه.

ذم هذا المذهب [وهم الجبرية]:

ولهذا الأصل لوازم فاسدة وفروع كثيرة، وهؤلاء غالبهم لا يجدون حلاوة العبادة ولا لذتها ولا يتنعمون بها، ولهذا يسمون الصلاة والصيام والزكاة والحج والتوحيد والإخلاص ونحو ذلك تكاليف، أي كلفوا بها ولو سمى مدعي محبة ملك من الملوك أو غيره ما يأمره به تكليفاً لم يعد محباً له، وأول من صدرت عنه هذه المقالة «الجعد بن درهم».

أول بدعة ظهرت في الإسلام ومذهب القدرية والمعتزلة:

الصنف الثاني: القدرية، النفاة الذين يثبتون نوعاً من الحكمة والتعليل لا يقوم بالرب ولا يرجع إليه... بل يرجع لمحض مصلحة المخلوق ومنفعته. فعندهم أن العبادات شرعت أثماناً لما يناله العباد من الثواب والنعيم، وأنها بمنزلة استيفاء الأجير أجره، قالوا، ولهذا يجعلها سبحانه وتعالى عِوضاً كقوله ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٠]، ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]،

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] وفي الصحيح «إنما هي أعمالكم أحصيها عليك ثم أوفيكم إياها».

قالوا: وقد سماها جزاءً وأجراً وثواباً لأنه شيء يثوب إلى العامل من عمله، أي يرجع إليه. قالوا: ويدل عليه الموازنة، فلولا تعلق الثواب بالأعمال عوضاً عليها لم يكن للموازنة معنى، وهاتان الطائفتان متقابلتان... فالجبرية لم تجعل للأعمال ارتباطاً بالجزاء البتة، وجوزت أن يعذب الله من أفنى عمره في الطاعة وينعم من أفنى عمره في مخالفته، وكلاهما سواء بالنسبة إليه، والكل راجع إلى محض المشيئة.

والقدرية أوجبت عليه سبحانه وتعالى رعاية المصالح وجعلت ذلك كله بمحض الأعمال وأن وصول الثواب إلى العبد بدون عمله فيه تنغيص باحتمال منه الصدقة عليه بلا ثمن، فجعلوا تفضله سبحانه وتعالى على عبده بمنزلة صدقة العبد على العبد، وإعطائه ما يعطيه أجرة على عمله أحب إلى العبد من أن يعطيه فضلاً منه بلا عمل، ولم يجعلوا للأعمال تأثيراً في الجزاء ألبته.

والطائفتان منحرفتان عن الصراط المستقيم، وهو أن الأعمال أسباب موصلة إلى الثواب والأعمال الصالحات من توفيق الله وفضله، وليست قدراً لجزائه وثوابه بل غايتها إذا وقعت على أكمل الوجوه أن تكون شكراً على أحد الأجزاء القليلة من نعمه سبحانه وتعالى، فلو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً من أعمالهم.

وتأمل قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزخرف: ٧٢]، مع قوله ﷺ: «**لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله**» تجد الآية تدل على أن الجنان بالأعمال، والحديث ينفي دخول الجنة بالأعمال، ولا تنافي بينهما، لأن توارد النفي والإثبات ليس على محل واحد فالمنفيُّ باء الثمنية واستحقاق الجنة بمجرد الأعمال رداً على القدرية المجوسية التي زعمت أن التفضل بالثواب ابتداءً متضمن لتكدير المنة.

والباء المثبتة التي وردت في القرآن هي: باء السببية الثمنية رداً على

القدرية الجبرية الذين يقولون لا ارتباط بين الأعمال وجزائها، ولا هي أسباب لها وإنما غايتها أن تكون إمارة.

والسنة النبوية هي أن عموم مشيئة الله وقدرته لا تنافي ربط الأسباب بالمسببات وارتباطها بها، وكل طائفة من أهل الباطل تركت نوعاً من الحق فإنها ارتكبت لأجله نوعاً من الباطل، بل أنواعاً، فهدى الله أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه.

أرباب رياضة النفوس وطرائقهم:

الصنف الثالث: الذين زعموا أن فائدة العبادة رياضة النفوس واستعدادها لفيض العلوم والمعارف عليها وخروج قواها من قوى النفس السبعية والبهيمية. فلو عطلت العبادة لالتحقت بنفوس السباع والبهائم فالعبادة تخرجها إلى مشابهة العقول فتصير قابلة لانتقاش صور المعارف فيها. وهذا يقوله طائفتان.

إحداهما من الفلاسفة القائلين بقدم العالم وعدم الفاعل المختار.

والطائفة الثانية من تفلسف من صوفية الإسلام ويقرب إلى الفلاسفة، فإنهم يزعمون أن العبادات رياضات لاستعداد النفوس للمعارف العقلية ومخالفة العوائد. ثم من هؤلاء من لا يوجب العبادة إلا بهذا المعنى، فإذا حصل له ذلك بقي متحيراً في حفظ أوراده والاشتغال بالوارد عنها، ومنهم من يوجب القيام بالأوراد وعدم الإخلال بها، وهم صنفان أيضاً:

أحدهما من يقول بوجوبها حفظاً للقانون وضبطاً للناموس.

والآخرون يوجبونها حفظاً للوارد وخوفاً من تدرج النفس بمفارقتها إلى حالها الأولى من البهيمية، فهذه نهاية إقدامهم في حكمة العبادة وما شرعت لأجله، ولا تكاد تجد في كتب المتكلمين على طريق السلوك غير طريق من هذه الطرق الثلاثة الأولى.

الطريق الصحيح عقيدة وعملاً:

والصنف الرابع: هم القائلون بالجمع بين الخلق والأمر والقدر والسبب فعندهم أن سر العبادة وغايتها مبنيٌّ على معرفة حقيقة الإلهية ومعنى كونه

سبحانه وتعالى إلهاً، وأن العبادة موجب الإلهية وأثرها ومقتضاها وارتباطها كارتباط متعلق الصفات بالصفات، وكارتباط المعلوم بالعلم والمقدور بالقدرة، والأصوات بالسمع والإحسان بالرحمة والإعطاء بالجود، فعندهم من قام بمعرفتها على النحو الذي فسرناها به لغة وشرعاً ومصدراً ومورداً استقام له معرفة حكمة العبادات وغايتها، وعَلِمَ أنها هي الغاية التي خلقت لها العباد، ولها أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وخلقت الجنة والنار.

وقد صرح سبحانه وتعالى بذلك في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]، فالعبادة هي التي ما وجدت الخلائق كلها إلا لأجلها، كما قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة] أي مهملاً. قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لا يؤمر ولا ينهى، وقال غيره لا يثاب ولا يعاقب، وهما تفسيران صحيحان، فإن الثواب والعقاب مترتب على الأمر والنهي، والأمر والنهي هو طلب العبادة وإرادتها. وحقيقة العبادة امتثالها. ولهذا قال تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران ١٩١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر: ٨٥]، ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الجاثية: ٢٢]، فأخبر الله تعالى أنه خلق السماوات والأرض بالحق المتضمن أمره ونهيه وثوابه وعقابه، فإذا كانت السماوات والأرض إنما خلقت لهذا وهو غاية الخلق فكيف يقال إنه لا غاية له ولا حكمة مقصودة، أو إن ذلك لمجرد استئجار العمال حتى لا يتكدر عليهم الثواب بالمنة، أو لمجرد استعداد النفوس للمعارف العقلية وارتياضها لمخالفة العوائد.

خلقنا لعبادة الله:

وإذا تأمل اللبيب الفرق بين هذه الأقوال وبين ما دل عليه صريح الوحي علم أن الله تعالى إنما خلق الخلقَ لعبادته الجامعة لكمال محبته مع الخضوع له والإنقياد لأمره، فأصل العبادة محبة الله، بل إفراده تعالى بالمحبة، فلا يحب معه سواه، وإنما يحب ما يحبه لأجله وفيه، كما يحب أنبياؤه ورسله وملائكته لأن محبتهم من تمام محبته، وليست كمحبة من اتخذ من دونه أنداداً يحبهم

كحبه وإذا كانت المحبة له هي حقيقة عبوديته وسرها، فهي إنما تتحقق باتباع أمره واجتناب نهيه، فعند اتباع الأمر والنهي تتبين حقيقة العبودية والمحبة. ولهذا جعل سبحانه وتعالى اتباع رسوله ﷺ علماً عليها وشاهداً لها كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فجعل اتباع رسوله مشروطاً بمحبتهم الله تعالى وشرطاً لمحبة الله لهم، ووجود المشروط بدون تحقق شرطه ممتنع فَعُلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة للرسول. ولا يكفي ذلك حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما. ومتى كان عنده شيء أحب إليه منهما فهو الإشراك الذي لا يغفره الله. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة]، وكلُّ مَن قدّم قولَ غير الله على قول الله، أو حكم به، أو حاكم إليه، فليس ممن أحبَّه.

لكن قد يشتبه الأمر على مَن يقدّم قولَ أحد أو حكمه أو طاعته على قوله ظناً منه أنه لا يأمر ولا يحكم ولا يقول إلا ما قال الرسول ﷺ، فيطيعه، ويحاكم إليه، ويتلقى أقواله كذلك، فهذا معذور إذا لَم يقدر على غير ذلك

وأما إذا قدِرَ على الوصول إلى الرسول ﷺ، وعرف أن غير مَن اتبعه أولى به مطلقاً أو في بعض الأمور كمسألة معينة، ولَم يلتفت إلى قول الرسول ﷺ، ولا إلى مَن هو أولى به، فهذا يُخاف عليه، وكل ما يتعلل به من عدم العلم، أو عدم الفهم، أو عدم إعطاء آلة الفقه في الدين، أو الاحتجاج بالأشباه والنظائر، أو بأن ذلك المتقدم كان أعلم مني بمراده ﷺ، فهي كلها تعللات لا تفيد.

هذا مع الإقرار بجواز الخطأ على غير المعصوم، إلا أن ينازع في هذه القاعدة، فتسقط مكالمته، وهذا هو داخل تحت الوعيد، فإن استحل مع ذلك ثلبَ مَن خالفه، وقرض عرضه ودينه بلسانه، أو انتقل من هذا إلى عقوبته، أو السعي في أذاه، فهو من الظلمة المعتدين ونواب المفسدين.

واعلم أنَّ العبادة أربع قواعد، وهي:

التحقيق بما يحب الله ورسوله ويرضاه، وقيام ذلك بالقلب واللسان والجوارح، فالعبودية اسم جامع لهذه المراتب الأربع، فأصحاب العبادة حقاً هم أصحابهم.

فقول القلب: هو اعتقاد ما أخبر الله تعالى عن نفسه، وأخبر رسوله عن ربه من أسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته ولقائه وما أشبه ذلك.

وقول اللسان: الإخبار عنه بذلك، والدعاء إليه، والذب عنه، وتبيين بطلان البدع المخالفة له، والقيام بذكره تعالى، وتبليغ أمره.

وعمل القلب: كالمحبة له، والتوكل عليه، والإنابة، والخوف، والرجاء، والإخلاص، والصبر على أوامره ونواهيه، وإقراره، والرضا به وله وعنه، والموالاة فيه، والمعاداة فيه، والإخبات إليه، والطمأنينة به، ونحو ذلك من أعمال القلوب التي فرضُها آكد من فرض أعمال الجوارح، ومستحبُها إلى الله تعالى أحبُّ من مستحب أعمال الجوارح.

وأما أعمال الجوارح: فكالصلاة، والجهاد، ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات، ومساعدة العاجز، والإحسان إلى الخلق، ونحو ذلك، فقول العبد في صلواته: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ التزام أحكام هذه الأربعة وإقرار بها.

وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ طلب الإعانة عليها والتوفيق لها، وقوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ متضمن للأمرين على التفصيل، وإلهام القيام بهما، وسلوك طريق السالكين إلى الله تعالى.

والله الموفق بمنه وكرمه، والحمد لله وحده، وصلى الله على مَن لا نبيَّ بعدَه وعلى آله وصحبه ووارثيه وحزبه.

* * *

(٣٩) عقيدة السلف أصحاب الحديث



الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فإني لما وردت آمد طبرستان وبلاد جيلان متوجهاً إلى بيت الله الحرام وزيارة مسجد نبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام. سألني إخواني في الدين أن أجمع لهم فصولاً في أصول الدين التي استمسك بها الذين مضوا من أئمة الدين وعلماء المسلمين والسلف الصالحين، وهدوا ودعوا الناس إليها في كل حين، ونهوا عما يضادها وينافيها جملة المؤمنين المصدقين المتقين، ووالوا في اتباعها وعادوا فيها، وبدعوا وكفروا من اعتقد غيرها، وأحرزوا لأنفسهم ولمن دعوهم إليها بركتها وخيرها، وأفضوا إلى ما قدموه من ثواب اعتقادهم لها، واستمساكهم بها، وإرشاد العباد إليها، وحملهم إياهم عليها، فاستخرت الله تعالى وأثبت في هذا الجزء ما تيسر منها على سبيل الاختصار، رجاء أن ينتفع به أولو الألباب والأبصار، والله سبحانه يحقق الظن، ويجزل علينا المن بالتوفيق والاستقامة على سبيل الرشد والحق بمنه وفضله.

قلت وبالله التوفيق.

عقيدة أصحاب الحديث

أصحاب الحديث، حفظ الله تعالى أحياءهم ورحم أمواتهم، يشهدون لله تعالى بالوحدانية، وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة، ويعرفون ربهم ﷻ بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله، أو شهد له بها رسوله ﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به، ونقلته العدول الثقات عنه، ويثبتون له جل جلاله ما أثبت لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه.

فيقولون: إنه خلق آدم بيده، كما نص سبحانه عليه في قوله عز من قائل: ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ ولا يحرفون الكلام عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين، أو القوتين، تحريف المعتزلة الجهمية، أهلكهم الله، ولا يكيفونهما بكيف أو تشبيههما بأيدي المخلوقين، تشبيه المشبهة، خذلهم الله، وقد أعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف والتكييف، ومنَّ عليهم بالتعريف والتفهيم، حتى سلكوا سبل التوحيد والتنزيه، وتركوا القول بالتعطيل والتشبيه، واتبعوا قول الله ﷻ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾.

قولهم في الصفات

وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة، والعزة والعظمة والإرادة، والمشيئة والقول والكلام، والرضا والسخط والحياة، واليقظة والفرح والضحك وغيرها من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى، وقاله رسوله ﷺ من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه، ولا تكييف له ولا تشبيه، ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير، ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب، وتضعه عليه بتأويل منكر، ويجرونه على الظاهر، ويكلون علمه إلى الله تعالى، ويقرون بأن تأويله لا يعلمه إلا الله، كما أخبر الله عن الراسخين في العلم أنهم يقولونه في قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾.

القرآن كلام الله غير مخلوق

ويشهد أصحاب الحديث ويعتقدون أن القرآن كلام الله وكتابه ووحيه وتنزيله غير مخلوق، ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم، والقرآن الذي هو كلام الله ووحيه هو الذي ينزل به جبريل على الرسول ﷺ قرآناً عربياً لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً، كما قال عز من قائل: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ

قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ وهو الذي بلغه الرسول ﷺ أمته، كما أخبر به في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ فكان الذي بلغهم بأمر الله تعالى كلامه ﷻ، وفيه قال ﷺ: «**أتمنعوني أن أبلغ كلام ربي**» وهو الذي تحفظه الصدور، وتتلوه الألسنة، يكتب في المصاحف، كيف ما تصرف بقراءة قارئ، لفظ لافظ، وحفظ حافظ، وحيث تلي، وفي أي موضع قرئ وكتب في مصاحف أهل الإسلام، وألواح صبيانهم وغيرها كله كلام الله جل جلاله، غير مخلوق فمن قال أن القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم.

سمعت الحاكم أبا عبدالله الحافظ يقول سمعت أبا الوليد حسان بن محمد يقول سمعت الإمام أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول القرآن كلام الله غير مخلوق، فمن قال: «إن القرآن مخلوق» فهو كافر بالله العظيم، لا تقبل شهادته، ولا يعاد إن مرض ولا يصلى عليه إن مات، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ويستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه.

أما اللفظ فإن الشيخ أبا بكر الإسماعيلي الجرجاني ذكر في رسالةٍ صنفها لأهل جيلان أن من زعم أن لفظه بالقرآن مخلوق يريد به القرآن فقد قال بخلق القرآن.

وذكر ابن مهدي الطبري في كتابه الاعتقاد الذي صنفه لأهل هذه البلاد أن مذهب أهل السنة والجماعة القول بأن القرآن كلام الله سبحانه، ووحيه وتنزيله. وأمره ونهيه غير مخلوق، ومن قال: مخلوق فهو كافر بالله العظيم، وأن القرآن في صدورنا محفوظ، وبألسنتنا مقروء، وفي مصاحفنا مكتوب وهو الكلام الذي تكلم الله ﷻ به، ومن قال: إن القرآن بلفظي مخلوق، أو لفظي به مخلوق فهو جاهل ضال كافر بالله العظيم.

وإنما ذكرت هذا الفصل بعينه من كتاب ابن مهدي لاستحساني ذلك منه. فإنه اتبع السلف أصحاب الحديث فيما ذكره مع تبحره في الكلام، وتصانيفه الكثيرة فيه وتقدمه وتبرزه عند أهله.

أخبرنا أبو عبدالله الحافظ قال: قرأت بخط أبي عمرو المستملي سمعت

أبا عثمان سعيد بن أشكاب يقول: سألت إسحاق ابن إبراهيم عن اللفظ بالقرآن فقال: «لا ينبغي أن يناظر في هذا، القرآن كلام الله غير مخلوق».

وذكر محمد بن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه (الاعتقاد) الذي صنفه في هذه، وقال: «أما القول في ألفاظ العباد في القرآن فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي، ولا تابعي إلا عمن في قوله الغنى والشفاء، وفي إتباعه الرشد والهدى، ومن يقوم قوله مقام الأئمة الأول أبي عبدالله أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ، فإن أبا إسماعيل الترمذي حدثني قال: سمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «اللفظية جهمية»، قال الله تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ ممن يسمع؟ قال: سمعت جماعة من أصحابنا لا أحفظ أسماءهم يذكرون عنه رضي الله عنه أنه كان يقول: من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع».

قال محمد بن جرير: «ولا قول في ذلك عندنا يجوز أن نقوله غير قوله إذ لم يكن لنا فيه إمام نأتم به سواه، وفيه الكفاية والمقنع، وهو الإمام المتبع رحمة الله عليه ورضوانه». هذه ألفاظ محمد بن جرير التي نقلتها نفسها إلى ما هاهنا من كتاب الاعتقاد الذي صنفه.

قلت: وهو ـ أعني محمد بن جرير ـ قد نفى عن نفسه بهذا الفصل الذي ذكره في كتابه كل ما نسب إليه، وقذف به من عدول عن سبيل السنة، أو ميل إلى شيء من البدعة، والذي حكاه عن أحمد رضي الله عنه وأرضاه أن اللفظية جهمية فصحيح عنه، وإنما قال ذلك لأن جهماً وأصحابه صرحوا بخلق القرآن، والذين قالوا باللفظ تدرجوا به إلى القول بخلق القرآن، وخافوا أهل السنة في ذلك الزمان من التصريح بخلق القرآن، فذكروا هذا اللفظ وأرادوا به أن القرآن بلفظنا مخلوق، فلذلك سماهم أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ جهمية. وحكي عنه أيضاً أنه قال: «اللفظية شر من الجهمية».

وأما ما حكاه محمد بن جرير عن أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ أن من قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع، فإنما أراد أن السلف من أهل السنة لم يتكلموا في باب اللفظ ولم يحوجهم الحال إليه، وإنما حدث الكلام في اللفظ من أهل

التعمق وذوي الحمق الذين أتوا بالمحدثات، وبحثوا عما نهوا عنه من الضلالات وذميم المقالات، وخاضوا فيما لم يخض فيه السلف من علماء الإسلام، فقال الإمام أحمد هذا القول في نفسه بدعة، ومن حق المتدين أن يدعه، ولا يتفوه به ولا بمثله من البدع المبتدعة، ويقتصر على ما قاله السلف من الأئمة المتبعة أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ولا يزيد عليه إلا تكفير من يقول بخلقه.

أخبرنا الحاكم أبو عبدالله الحافظ، حدثنا أبو بكر محمد بن عبدالله الخراجي بمرو، حدثنا يحيى بن سالوكه عن أبيه عبدالكريم السندي قال: قال وهب بن زمعة: أخبرني الباسافي قال: سمعت عبدالله بن المبارك يقول: «من كفر بحرف من القرآن فقد كفر بالقرآن، ومن قال: لا أومن بهذا الكلام فقد كفر».

استواء الله على عرشه

ويعتقد أهل الحديث ويشهدون أن الله سبحانه وتعالى فوق سبع سموات على عرشه كما نطق به كتابه في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾. وقوله في سورة الرعد: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، وقوله في سورة الفرقان: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾، وقوله في سورة السجدة: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ وقوله في سورة طه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ يثبتون له من ذلك ما أثبته الله تعالى. ويؤمنون به ويصدقون الرب جل جلاله في خبره، ويطلقون ما أطلقه سبحانه وتعالى من استوائه على العرش، ويمرونه على ظاهره ويكلون علمه إلى الله. ويقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ كما أخبر الله تعالى عن الراسخين في العلم أنهم يقولون ذلك، ورضيه منهم، فأثنى عليهم به.

أخبرنا أبو الحسين عبدالرحمٰن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى المعلي حدثني محمد بن داود بن سليمان الزاهد أخبرني علي بن محمد بن عبيد أبو

الحسن الحافظ من أصله العتيق حدثنا أبو يحيى بن بشر الوراق حدثنا محمد بن الأشرس الوراق أبو كنانة حدثنا أبو المغيرة الحنفي حدثنا قرة بن خالد عن الحسن عن أبيه عن أم سلمة في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾، قالت: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر.

وحدثنا أبو الحسن بن اسحق المدني حدثنا أحمد بن الخضر أبو الحسن الشافعي حدثنا شاذان حدثنا ابن مخلد بن يزيد القهستاني حدثنا جعفر بن ميمون قال سئل مالك بن أنس عن قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ كيف استوى؟ قال: (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالاً، وأمر به أن يخرج من مجلسه).

أخبرنا أبو محمد المجلدي العدل حدثنا أبو بكر عبدالله ابن محمد بن مسلم الاسفراييني حدثنا أبو الحسين علي بن الحسن حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا مهدي بن جعفر بن ميمون الرملي عن جعفر بن عبدالله قال: جاء رجل إلى مالك بن أنس يعني يسأله عن قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ قال: فما رأيته وجد من شيء كوجده من مقالته، وعلاه الرحضاء، وأطرق القوم، فجعلوا ينتظرون الأمر به فيه، ثم سري عن مالك فقال: «الكيف غير معلوم، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعه، وإني لأخاف أن تكون ضالاً، ثم أمر به فأخرج».

أخبرنا به جدي أبو حامد أحمد بن إسماعيل عن جد والدي الشهيد، وأبو عبدالله محمد بن عدي بن حمدوية الصابوني حدثنا محمد بن أحمد بن أبي عون النسوي حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا مهدي بن جعفر الرملي حدثنا جعفر بن عبدالله قال: جاء رجل لمالك بن أنس فقال: يا أبا عبدالله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ كيف استوى؟ قال فما رأيت مالكاً وجد من شيء كوجده من مقالته، وذكر بنحوه.

وسئل أبو علي الحسين بن الفضل البجلي عن الاستواء، وقيل له كيف

استوى على عرشه، فقال: أنا لا أعرف من أنباء الغيب إلا مقدار ما كشف لنا، وقد أعلمنا جل ذكره أنه استوى على عرشه، ولم يخبرنا كيف استوى.

أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، أخبرنا أبو بكر محمد بن داود الزاهد، أخبرنا محمد بن عبدالرحمٰن السامي، حدثني عبدالله ابن أحمد بن شبويه المروزي. سمعت علي بن الحسين بن شقيق يقول: سمعت عبدالله بن المبارك يقول: «نعرف ربنا فوق سبع سموات على العرش استوى بائناً منه خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية إنه هاهنا» وأشار إلى الأرض.

وسمعت الحاكم أبا عبدالله في كتابه (التاريخ) الذي جمعه لأهل نيسابور. وفي كتابه (معرفة الحديث) اللذين جمعهما ولم يسبق إلى مثلهما يقول: سمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هانئ يقول: سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: من لم يقل بأن الله ﷻ على عرشه، فوق سبع سمواته، فهو كافر بربه، حلال الدم، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وألقي على بعض المزابل حتى لا يتأذى المسلمون ولا المعاهدون بنتن رائحة جيفته، وكان ماله فيئاً لا يرثه أحد من المسلمين، إذ المسلم لا يرث الكافر، كما قال النبي ﷺ: **«لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم»** رواه البخاري.

عقيدتهم بنزول الرب سبحانه ومجيئه

ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب سبحانه وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، من غير تشبيه له بنزول المخلوقين، ولا تمثيل ولا تكييف بل يثبتون ما أثبته رسول الله ﷺ، وينتهون فيه إليه، ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره، ويكلون علمه إلى الله.

وكذلك يثبتون ما أنزله الله عز اسمه في كتابه، من ذكر المجيء والإتيان المذكورين في قوله ﷻ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، وقوله عز اسمه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾. وقرأت في رسالة الشيخ أبي بكر الإسماعيلي إلى أهل جيلان أن الله سبحانه ينزل إلى السماء الدنيا على ما صح به الخبر عن الرسول ﷺ، وقد قال الله ﷻ: ﴿هَلْ

يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾، وقال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾، ونؤمن بذلك كله على ما جاء بلا كيف، فلو شاء سبحانه أن يبين لنا كيفية ذلك فعل، فانتهينا إلى ما أحكمه، وكففنا عن الذي يتشابه إذ كنا قد أمرنا به في قوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾.

أخبرنا أبو بكر بن زكريا الشيباني سمعت: أبا حامد بن الشرقي يقول: سمعت أحمد السلمي وأبا داود الخفاجي يقولان: سمعنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول: قال لي الأمير عبدالله بن طاهر: يا أبا يعقوب هذا الحديث الذي ترويه عن رسول الله ﷺ: «**ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا. كيف ينزل؟ قال، قلت: أعز الله الأمير، لا يقال لأمر الرب كيف؟ إنما ينزل بلا كيف**».

حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم العدل، حدثنا محبوب بن عبدالرحمٰن القاضي، حدثني أبو بكر بن أحمد بن محبوب، حدثنا أحمد بن حمويه حدثنا أبو عبدالرحمٰن العباسي، حدثنا محمد بن سلام، سألت عبدالله بن المبارك عن نزول ليلة النصف من شعبان، فقال عبدالله: «يا ضعيف ليلة النصف! ينزل في كل ليلة، فقال الرجل يا أبا عبدالله! كيف ينزل؟ أليس يخلو ذلك المكان منه؟ فقال عبدالله: ينزل كيف يشاء»، وفي رواية أخرى لهذه الحكاية أن عبدالله ابن المبارك قال للرجل: «إذا جاءك الحديث عن رسول الله ﷺ فأصغ له».

سمعت الحاكم أبا عبدالله يقول: سمعت أبا زكريا يحيى بن محمد العنبري يقول: سمعت إبراهيم بن أبي طالب يقول: سمعت أحمد بن سعيد بن إبراهيم بن عبدالله الرباطي يقول: حضرت مجلس الأمير عبدالله بن طاهر ذات يوم وحضر إسحاق بن إبراهيم يعني ابن راهويه، فسئل عن حديث النزول: أصحيح هو؟ قال: «نعم» فقال له بعض قواد عبدالله يا أبا يعقوب أتزعم أن الله

ينزل كل ليلة؟ قال: «نعم» قال: «كيف ينزل؟» فقال له إسحاق: «أثبته فوق حتى أصف لك النزول، فقال الرجل: «أثبته فوق» فقال: إسحاق: قال الله ﷻ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ فقال الأمير عبدالله: «يا أبا يعقوب هذا يوم القيامة»، فقال إسحاق: أعز الله الأمير، ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم؟ وخبر نزول الرب كل ليلة إلى سماء الدنيا خبر متفق على صحته مخرج في الصحيحين، من طريق مالك بن أنس عن الزهري عن الأغر وأبي سلمة عن أبي هريرة.

أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالصمد، حدثنا أبو مصعب حدثنا مالك.

وحدثنا أبو بكر بن زكريا حدثنا أبو حاتم علي بن عبيدان، حدثنا محمد بن يحيى قال: ومما قرأت على ابن نافع وحدثني مطرف بن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وحدثنا أبو بكر بن زكريا، أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن إبراهيم ابن باكويه، حدثنا يحيى بن محمد حدثنا يحيي بن يحيى، قال: قرأت على مالك عن ابن شهاب الزهري، عن أبي عبدالله الأغر وأبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: **«ينزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له»**.

ولهذا الحديث طرق إلى أبي هريرة، رواه الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ورواه يزيد بن هارون وغيره من الأئمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة، ومالك عن الزهري عن الأعرج عن أبي هريرة، ومالك عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة، وعبيد الله بن عمر عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة، وعبدالأعلى بن أبي المساور وبشير بن أبي سلمان عن أبي حازم عن أبي هريرة. ورواه نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه، وموسى بن عقبة عن إسحاق بن يحيى عن عبادة بن الصامت، وعبدالرحمٰن بن كعب بن مالك عن جابر بن عبدالله، وعبيد الله بن أبي الدرداء عن علي بن أبي طالب، وشريك عن أبي إسحاق عن

أبي الأحوص عن عبدالله بن مسعود ومحمد ابن كعب بن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء وأبو الزبير عن جابر وسعيد بن جبير عن ابن عباس وعن أم المؤمنين عائشة وأم سلمة ﷺ.

وهذه الطرق كلها مخرجة بأسانيدها في كتابنا الكبير المعروف بالانتصار، وفي رواية الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ: «**إذا مضى نصف الليل أو ثلثاه ينزل الله إلى السماء الدنيا فيقول هل من سائل فيعطى؟ هل من داع فيستجاب له؟ هل من مستغفر فيغفر له؟ حتى ينفجر الصبح**»، وفي رواية سعيد بن مرجانة عن أبي هريرة زيادة في آخره وهي «ثم يبسط يديه يقول: من يقرض غير معدوم ولا ظلوم». وفي رواية أبي حازم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: «**إن الله ينزل إلى سماء الدنيا في ثلث الليل الأخير فينادي هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ فلا يبقى شيء فيه الروح إلا علم به، إلا الثقلان الجن والإنس**»، قال: وذلك حين تصيح الديكة وتنهق الحمير وتنبح الكلاب. وروى هشام الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن ميمون عن عطاء بن يسار عن رفاعة الجهني حدث أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مضى ثلث الليل أو شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله إلى السماء الدنيا فيقول: لا أسأل من عبادي غير من يستغفرني فأغفر له؟ من يدعوني فاستجيب له؟ من يسألني أعطيه؟ حتى ينفجر الصبح**».

أخبرنا أبو محمد المجلدي أخبرنا أبو العباس السراج، حدثنا محمد بن يحيى حدثنا عبيدالله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي مسلم الأغر قال: أشهد على أبي سعيد وأبي هريرة أنهما شهدا على رسول الله ﷺ وأنا أشهد عليهما أنهما سمعا النبي ﷺ يقول: «**إن الله يمهل حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول هبط إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من مذنب؟ هل من مستغفر؟ هل من سائل؟ هل من داع؟ حتى تطلع الشمس**».

أخبرنا أبو محمد المجلدي أنبانا أبو العباس يعني الثقفي حدثنا الحسن بن الصباح حدثنا شبابة بن ثوار عن يونس بن أبي إسحاق عن أبي مسلم الأغر قال: أشهد على أبي سعيد وأبي هريرة أنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله**

يمهل حتى إذا كان ثلث الليل هبط إلى هذه السماء، ثم أمر بأبواب السماء ففتحت فقال: هل من سائل فأعطيه؟ هل من داع فأجيبه؟ هل من مستغفر فاغفر له؟ هل من مضطر أكشف عنه ضره؟ هل من مستغيث أغيثه؟ فلا يزال ذلك مكانه حتى يطلع الفجر في كل ليلة من الدنيا».

أخبرنا أبو محمد المجلدي أنبانا أبو العباس يعني الثقفي، حدثنا مجاهد بن موسى والفضل بن سهل قالا: حدثنا يزيد بن هارون حدثنا سهل عن أبي إسحاق عن الأغر أنه شهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: **«إذا كان ثلث الليل نزل تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا، فقال: ألا هل من مستغفر يغفر له؟ هل من سائل يعطى سؤله؟ ألا هل من تائب يتاب عليه؟».**

حدثنا الأستاذ أبو منصور بن حماد، حدثنا أبو إسماعيل بن أبي الظما ببغداد حدثنا أبو منصور الرمادي، حدثنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن سهل عن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«ينزل الله تعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا، فيقول: أنا الملك أنا الملك ثلاثاً، من يسألني فأعطيه؟ من يدعوني فأستجيب له؟ من يستغفرني فاغفر له؟ فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر».**

سمعت الأستاذ أبا منصور على إثر هذا الحديث الذي أملاه علينا يقول سئل أبو حنيفة عنه فقال: «ينزل بلا كيف»، وقال بعضهم: «ينزل نزولاً يليق بالربوبية بلا كيف، من غير أن يكون نزوله مثل نزول الخلق، بل بالتجلي والتملي، لأنه جل جلاله منزه أن تكون صفاته مثل صفات الخلق، كما كان منزهاً أن تكون ذاته مثل ذوات الخلق، فمجيئه وإتيانه ونزوله على حساب ما يليق بصفاته، من غير تشبيه وكيف».

وقال الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتاب التوحيد الذي صنفه وسمعته من حامله أبي طاهر رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: باب ذكر أخبار ثابتة السند رواها علماء الحجاز والعراق في نزول الرب إلى السماء الدنيا كل ليلة من غير صفة كيفية النزول، إثبات النزول نشهد شهادة مقر بلسانه، مصدق بقلبه، متيقن بما في هذه الأخبار من ذكر النزول من غير أن نصف الكيفية، لأن نبينا ﷺ لم

يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى السماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل، والله ﷻ ونبيه ﷺ بيّنا للمسلمين ما هم بحاجة إليه من أمر دينهم، فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذلك النزول، غير متكلفين للنزول بصفة الكيفية، إذ النبي ﷺ لم يصف كيفية النزول. اهـ.

وأخبرنا الحاكم أبو عبدالله الحافظ، حدثنا أبو محمد الصيدلاني، حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد، حدثنا أحمد بن صالح المصري، حدثنا بن وهب، أنبأنا مخرمة بن بكير عن أبيه رحمه الله وأخبرنا الحاكم حدثنا محمد بن يعقوب الأصم واللفظ له، حدثنا إبراهيم بن حنيفة، حدثنا ابن وهب عن مخرمة ابن بكير عن أبيه قال: سمعت محمد بن المنكدر يزعم أنه سمع أم سلمة زوجة النبي ﷺ تقول: **«نعم اليوم يوم ينزل الله تعالى فيه إلى السماء الدنيا قالوا وأي يوم؟ قالت يوم عرفة»**.

وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قالت: **«ينزل الله تعالى في النصف من شعبان إلى السماء الدنيا ليلاً إلى آخر النهار من الغد، فيعتق من النار بعدد شعر معز بني كلب، ويكتب الحاج وينزل أرزاق السنة، ولا يترك أحداً إلا غفر له إلا مشركاً أو قاطع رحم أو عاقاً أو مشاحناً»**.

أخبرنا أبو طاهر بن خزيمة، حدثنا جدي الإمام حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني حدثنا إسماعيل بن علية عن هشام الدستوائي (ح) قال الإمام وحدثنا الزعفراني عبدالله بن بكر السهمي، حدثنا هشام الدستوائي (ح) وحدثنا الزعفراني حدثنا يزيد يعني ابن هارون الدستوائي (ح) وحدثنا محمد بن عبدالله بن ميمون بالإسكندرية، حدثنا الوليد عن الأوزاعي جميعهم عن يحيى بن أبي كثير، عن عطاء بن يسار، حدثني رفاعة بن عرابة الجهني (ح) قال الإمام، وحدثنا أبو هشام بن زياد بن أيوب حدثنا مبشر بن إسماعيل الحلبي عن الأوزاعي، حدثنا يحيى بن أبي كثير حدثني هلال بن أبي ميمونة، عن عطاء بن يسار حدثني رفاعة بن عرابة الجهني قال: صدرنا مع رسول الله ﷺ من مكة فجعلوا يستأذنون النبي ﷺ، فجعل يأذن لهم فقال النبي ﷺ: «ما بال شق الشجرة الذي يلي النبي ﷺ أبغض إليكم من الآخر، فلا يرى من القوم إلا باكياً قال يقول أبو بكر

الصديق إن الذي يستأذنك بعدها لسفيه، فقام النبي ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه وكان إذا حلف قال: والذي نفسي بيده أشهد عند الله ما منكم من أحد يؤمن بالله واليوم الآخر ثم يسدد إلا سلك به في الجنة، ولقد وعدني ربي أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب، وإني لأرجو أن لا يدخلوها حتى يؤمنوا ومن صلح من أزواجهم وذرياتهم يساكنكم في الجنة، ثم قال ﷺ: «إذا مضى شطر الليل أو قال: ثلثاه ينزل الله إلى السماء الدنيا، ثم يقول: لا أسأل عن عبادي غيري، من ذا الذي يسألني فأعطيه؟ من ذا الذي يدعوني فأجيبه؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ حتى ينفجر الصبح» هذا لفظ حديث الوليد».

قال شيخ الإسلام: قلت: فلما صح خبر النزول عن الرسول ﷺ أقر به أهل السنة، وقبلوا الخبر، وأثبتوا النزول على ما قاله رسول الله ﷺ، ولم يعتقدوا تشبيهاً له بنزول خلقه، وعلموا وتحققوا واعتقدوا أن صفات الله سبحانه لا تشبه صفات الخلق، كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق، تعالى الله عما يقول المشبهة والمعطلة علواً كبيراً، ولعنهم لعناً كثيراً.

وقرأت لأبي عبدالله ابن أبي جعفر البخاري، وكان شيخ بخارى في عصره بلا مدافعة، وأبو حفص كان من كبار أصحاب محمد بن الحسن الشيباني، قال أبو عبدالله: ـ أعني ابن أبي حفص هذا ـ سمعت عبدالله بن عثمان وهو عبدان شيخ مرو يقول: سمعت محمد بن الحسن الشيباني يقول: قال حماد بن أبي حنيفة: قلنا لهؤلاء: أرأيتم قول الله ﷻ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾؟ قالوا: أما الملائكة فيجيئون صفاً صفاً، وأما الرب تعالى فإنا لا ندري ما عنى لذاك، ولا ندري كيفية مجيئه، فقلت لهم: إنا لم نكلفكم أن تعلموا كيف مجيئه، ولكنا نكلفكم أن تؤمنوا بمجيئه، أرأيت من أنكر أن الملك يجيء صفاً صفاً ما هو عندكم؟ قالوا: كافر مكذب. قلت: فكذلك إن أنكر أن الله سبحانه لا يجيء فهو كافر مكذب.

قال أبو عبدالله بن أبي حفص البخاري أيضاً في كتابه: ذكر إبراهيم عن الأشعث قال سمعت الفضيل بن عياض يقول: إذا قال لك الجهمي: إنا لا نؤمن برب ينزل عن مكانه. فقل أنت: أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء.

رؤية المؤمنين لله في الآخرة

روى يزيد بن هارون في مجلسه حديث إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبدالله في الرؤية، وقول رسول الله ﷺ: **«إنكم تنظرون إلى ربكم كما تنظرون إلى القمر ليلة البدر»**، فقال له رجل في مجلسه: يا أبا خالد: ما معنى هذا الحديث؟ فغضب وحرد، وقال: ما أشبهك بصبيغ، وأحوجك إلى مثل ما فعل به! ويحك! ومن يدري كيف هذا؟ ومن يجوز له أن يجاوز هذا القول الذي جاء به الحديث، أو يتكلم فيه بشيء من تلقاء نفسه إلا من سفه نفسه؟ واستخف بدينه؟ إذا سمعتم الحديث عن رسول الله ﷺ فاتبعوه، ولا تبتدعوا فيه، فإنكم إن اتبعتموه ولم تماروا فيه سلمتم، وإن لم تفعلوا هلكتم.

وقصة صبيغ الذي قال يزيد بن هارون للسائل: ما أشبهك بصبيغ وأحوجك إلى مثل ما فعل به: هي ما رواه يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب، أن صبيغاً التميمي أتى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرني عن ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١﴾ قال: هي الرياح، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته. قال: فأخبرني عن ﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢﴾ قال: هي السحاب، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته. قال: فأخبرني عن ﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤﴾ قال: الملائكة، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته، قال: فأخبرني عن ﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣﴾ قال: هي السفن، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته. قال: ثم أمر به فضرب مائة سوط، ثم جعله في بيت حتى إذا برأ دعا به، ثم ضربه مائة سوط أخرى، ثم حمله على قتب، وكتب إلى أبي موسى الأشعري: «أن حرم عليه مجالسة الناس»، فلم يزل كذلك حتى أتى أبا موسى الأشعري، فحلف بالأيمان المغلظة ما يجد في نفسه مما كان يجده شيئاً، فكتب عمر إليه: ما إخاله إلا قد صدق، خل بينه وبين مجالسة الناس.

وروى حماد بن زيد عن قطن بن كعب: سمعت رجلاً من بني عجل يقال له: فلان ـ خلته ابن زرعة ـ يحدث عن أبيه قال: رأيت صبيغ بن عسل بالبصرة

كأنه بعير أجرب، يجيء إلى الحلق فكلما جلس إلى قوم لا يعرفونه ناداهم أهل الحلقة الأخرى: عزمة أمير المؤمنين.

وروى حماد بن زيد أيضاً عن يزيد بن أبي حازم عن سليمان بن يسار أن رجلاً من بني تميم يقال له صبيغ قدم المدينة، فكانت عنده كتب فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فبلغ ذلك عمر، فبعث إليه، وقد أعد له عراجين النخل. فلما دخل عليه جلس، فقال: من أنت؟ قال: أنا عبدالله صبيغ. قال: وأنا عبدالله عمر، ثم أهوى إليه فجعل يضربه بتلك العراجين، فما زال يضربه حتى شجه، فجعل الدم يسيل على وجهه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين، فقد والله ذهب ما كنت أجد في رأسي.

أخبرنا أبو عبدالرحمٰن محمد ابن الحسين بن موسى السلمي أخبرنا محمد بن محمود الفقيه المروزي بها، حدثنا محمد بن عمير الرازي حدثنا أبو زكريا يحيى بن أيوب العلات التجيبي بمصر، حدثنا يونس بن عبدالأعلى حدثنا أشهب بن عبدالعزيز سمعت مالك بن أنس يقول: إياكم والبدع! قيل: يا أبا عبدالله. وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته، وكلامه وعلمه وقدرته لا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون.

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن عمر الزاهد الخفاف، أخبرنا أبو نعيم عبدالملك بن محمد بن عدي الفقيه حدثنا الربيع بن سليمان عن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: لأن ألقاه بكل ذنب ما خلا الشرك أحب إلي من أن ألقاه بشيء من الأهواء.

اخبرني أبو طاهر محمد بن الفضل حدثنا أبو عمر والحيري حدثنا أبو الأزهر حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن جعفر بن برقان ـ قال: سأل رجل عمر بن عبدالعزيز عن شيء من الأهواء، فقال: الزم دين الصبي في الكتاب، والأعرابي وانه عما سوى ذلك.

أخبرنا أبو عبدالله الحافظ حدثنا محمد بن يزيد سمعت أبا يحيى القزاز يقول: سمعت العباس بن حمزة يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: سمعت سفيان بن عيينة يقول: كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه. أخبرنا أبو الحسين الخفاف حدثنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج، حدثنا إسماعيل بن أبي الحارث، حدثنا الهيثم بن خارجة سمعت الوليد بن مسلم قال: سألت الأوزاعي وسفيان ومالك بن أنس عن هذه الأحاديث في الصفات والرؤية قال: أمروها كما جاءت بلا كيف.

قال الإمام الزهري إمام الأئمة في عصره، وعين علماء الأمة في وقته: على الله البيان، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم.

وعن بعض السلف: قدم الإسلام لا يثبت إلا على قنطرة التسليم.

أخبرنا أبو طاهر بن خزيمة حدثنا جدي الإمام أحمد بن نصر، حدثنا أبو يعقوب الحسن، حدثنا كثير بن عبدالله المزني عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن هذا الدين بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء**».

قيل: يا رسول الله، ومن الغرباء؟ قال: «**الذين يحيون سنتي من بعدي ويعلمونها عباد الله**». أخبرنا عبدالله الحافظ سمعت أبا الحسن المكاري يقول: سمعت علي بن عبدالعزيز يقول: سمعت أبا القاسم بن سلام يقول: المتبع للسنة كالقابض على الجمر، وهو اليوم عندي أفضل من ضرب السيف في سبيل الله.

وروي عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال: دخلنا على عبدالله بن مسعود فقال: «يا أيها الناس! من علم شيئاً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم. قال ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾».

أخبرنا أبو عبدالله الحافظ حدثنا أبو العباس المعقلي، حدثنا أحمد بن

عبدالجبار العطاردي، حدثني أبي وعبدالرحمٰن الضبي، عن القاسم بن عروة عن محمد بن كعب القرظي قال: دخلت على عمر بن عبدالعزيز، فجعلت أنظر اليه نظراً شديداً، فقال: إنك لتنظر إلي نظراً ما كنت تنظره إلي وأنت بالمدينة، فقلت: لتعجبي، فقال: ومم تعجب؟ قال: قلت: وما حال من لونك، ونحل من جسمك ونقي من شعرك؟ قال: كيف ولو رأيتني بعد ثلاثة في قبري، وقد سالت حدقتاي على وجنتي، وسال منخراي في فمي صديداً؟ كنت لي أشد نكرة، حدثني حديثاً كنت حدثتنيه عن عبدالله بن عباس قال: قلت: حدثني عبدالله بن عباس يرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ قال: **«لكل شيء شرف، وأشرف المجالس ما استقبل به القبلة، لا تصلوا خلف نائم ولا محدث، واقتلوا الحية والعقرب، وإن كنتم في صلاتكم، ولا تستروا الجدر بالثياب، ومن نظر في كتاب أخيه بغير إذنه فإنما ينظر في النار، ألا أنبئكم بشراركم؟»** قالوا: بلى يا رسول الله. قال: **«الذي يجلد عبده، ويمنع رفده. وينزل وحده، أفلا أنبئكم بشر من ذلكم؟ الذي يبغض الناس، ويبغضونه. أفلا أنبئكم بشر من ذلكم؟ الذي لا يقيل عثرة، ولا يقبل معذرة، ولا يغفر ذنباً. أفلا أنبئكم بشر من ذلكم؟ الذي لا يرجى خيره، ولا يؤمن شره، من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يد غيره، ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله. إن عيسى عليه السلام قام في قومه فقال: يا بني إسرائيل لا تكلموا بالحكمة عند الجهال، فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها، فتظلموهم، ولا تظلموا، ولا تكافئوا ظالماً بظلمه، فيبطل فضلكم عند ربكم. الأمور ثلاثة: أمر بين رشده فاتبعوه، وأمر بين غيه فاجتنبوه، وأمر اختلفتم فيه فكلوه لله عز وجل»**.

البعث بعد الموت والشفاعة

ويؤمن أهل الدين والسنة بالبعث بعد الموت يوم القيامة، وبكل ما أخبر الله سبحانه من أهوال ذلك اليوم الحق، واختلاف أحوال العباد فيه والخلق فيما يرونه ويلقونه هنالك، في ذلك اليوم الهائل من أخذ الكتب

بالأيمان والشمائل، والإجابة عن المسائل، إلى سائر الزلازل والبلابل الموعودة في ذلك اليوم العظيم، والمقام الهائل من الصراط والميزان، ونشر الصحف التي فيها مثاقيل الذر من الخير والشر، وغيرها، ويؤمن أهل الدين والسنة بشفاعة الرسول ﷺ لمذنبي التوحيد، ومرتكبي الكبائر، كما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ.

أخبرنا أبو سعيد بن حمدون، أنبأنا أبو حامد بن الشرقي، حدثنا أحمد بن يوسف السلمي، حدثنا عبدالرزاق، أنبانا معمر عن ثابت عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**».

وأخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد أخبرنا محمد بن المسيب الأغياني، حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا عبدالسلام بن حرب الملائي، عن زياد بن خيثمة عن نعمان بن قراد، عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتي الجنة، فاخترت الشفاعة، لأنها أعم وأكفى. أترونها للمؤمنين المتقين؟ لا، ولكنها للمذنبين المتلوثين الخطائين**».

أخبرنا أبو محمد المجلدي، أخبرنا أبو العباس السراج حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا عبدالعزيز بن محمد الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو. وأخبرنا أبو طاهر بن خزيمة أخبرنا جدي الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة، حدثنا علي بن حجر بن إسماعيل بن جعفر، عن عمرو بن أبي عمرو، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: «**لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، إن أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه**».

الحوض والكوثر

ويؤمنون بالحوض والكوثر، وإدخال فريق من الموحدين الجنة بغير حساب، ومحاسبة فريق منهم حساباً يسيراً، وإدخالهم الجنة بغير سوء يمسهم وعذاب يلحقهم، وإدخال فريق من مذنبيهم النار ثم إعتاقهم أو إخراجهم منها،

وإلحاقهم بإخوانهم الذين سبقوهم إليها، ولا يخلدون في النار، فأما الكفار فإنهم يخلدون فيها ولا يخرجون منها أبداً، ولا يترك الله فيها من عصاة أهل الإيمان أحداً.

رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة

ويشهد أهل السنة أن المؤمنين يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم، وينظرون إليه على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ في قوله: **«إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر»**، والتشبيه وقع للرؤية بالرؤية، لا للمرئي، والأخبار الواردة في الرؤية مخرجة في كتاب (الانتصار) بطرقها.

الإيمان بالجنة والنار وأنهما مخلوقتان

ويشهد أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما باقيتان لا يفنيان أبداً، وأن أهل الجنة لا يخرجون منها أبداً، وكذلك أهل النار الذين هم أهلها خلقوا لها، لا يخرجون أبداً، وأن المنادي ينادي يومئذ: **«يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت»**، على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ.

الإيمان قول وعمل يزيد وينقص

ومن مذهب أهل الحديث أن الإيمان قول وعمل ومعرفة، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

قال محمد بن علي بن الحسن بن شقيق: سألت أبا عبدالله أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الإيمان في معنى الزيادة والنقصان، فقال: حدثنا الحسن بن موسى الأشيب حدثنا حماد بن سلمة عن أبي جعفر عن أبيه عن جده عن عمر بن حبيب قال: الإيمان يزيد وينقص، فقيل: وما زيادته وما نقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله فحمدناه سبحانه فتلك زيادته، وإذا غفلنا وضيعنا ونسينا فذلك نقصانه.

أخبرنا أبو الحسن بن أبي إسحاق المزكي، حدثنا أبي حدثنا أبو عمرو

الحيري، حدثنا محمد بن يحيى الذهلي، ومحمد بن إدريس المكي، وأحمد بن شداد الترمذي، قالوا: حدثنا الحميدي حدثنا يحيى بن سليم: سألت عشرة من الفقهاء عن الإيمان فقالوا: قول وعمل.

وسألت هشام بن حسان فقال: قول وعمل. وسألت ابن جرير فقال: قول وعمل. وسألت محمد بن مسلم الطائفي فقال: قول وعمل. وسألت سفيان الثوري فقال: قول وعمل. وسألت المثنى بن الصباح فقال: قول وعمل. وسألت فضيل فقال: قول وعمل. وسألت نافع بن عمر الجمحي فقال: قول وعمل. وسألت سفيان بن عيينة فقال: قول وعمل.

وأخبرنا أبو عمرو الحيري، حدثنا محمد بن يحيى ومحمد بن إدريس سمعت الحميدي يقول: سمعت سفيان بن عيينة يقول: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة: يا أبا محمد تقول: ينقص؟ فقال: اسكت يا صبي بل ينقص حتى لا يبقى منه شيء.

وقال الوليد بن مسلم: سمعت الأوزاعي ومالكاً وسعيد ابن عبدالعزيز ينكرون على من يقول: إقرار بلا عمل. ويقولون لا إيمان إلا بعمل، فمن كانت طاعاته وحسناته أكثر فإنه أكمل إيماناً، ومن كان قليل الطاعة كثير المعصية والغفلة والإضاعة فإيمانه ناقص.

وسمعت الحاكم أبا عبدالله الحافظ يقول: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن باكويه الحلاب يقول: سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: سمعت أحمد بن سعيد الرباطي يقول: قال لي عبدالله بن طاهر: يا أحمد إنكم تبغضون هؤلاء القوم جهلاً، وأنا أبغضهم عن معرفة. أولاً: إنهم لا يرون للسلطان طاعة، الثاني: إنه ليس للإيمان عندهم قدر، والله لا أستجيز أن أقول: إيماني كإيمان يحيى بن يحيى، ولا كإيمان أحمد بن حنبل، وهم يقولون: إيماننا كإيمان جبرائيل وميكائيل.

وسمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هانيء يقول: سمعت أبا بكر محمد بن شعيب يقول: سمعت إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول: قدم ابن المبارك الري فقام إليه رجل من العباد، الظن أنه يذهب مذهب الخوارج، فقال

له: يا أبا عبدالرحمٰن ما تقول فيمن يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال لا أخرجه من الإيمان، فقال: يا أبا عبدالرحمٰن على كبر السن صرت مرجئاً؟ فقال: لا تقبلني المرجئة. المرجئة تقول: حسناتنا مقبولة، وسيئاتنا مغفورة، ولو علمت أني قبلت مني حسنة لشهدت أني في الجنة، ثم ذكر عن أبي شوذب عن سلمة بن كهيل، عن هذيل بن شرحبيل قال: قال عمر بن الخطاب ﷺ: لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح.

سمعت أبا بكر محمد بن عبدالله بن محمد بن زكريا الشيباني يقول: سمعت يحيى بن منصور القاضي يقول: سمعت محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: سمعت الحسين بن حرب أخا أحمد بن حرب الزاهد يقول: أشهد أن دين أحمد بن حرب الذي يدين الله به أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

لا يكفر أحد من المسلمين بكل ذنب

ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرة صغائر وكبائر فإنه لا يكفر بها، وإن خرج من الدنيا غير تائب منها، ومات على التوحيد والإخلاص، فإن أمره إلى الله ﷻ إن شاء عفا عنه، وأدخله الجنة يوم القيامة سالماً غانماً، غير مبتلى بالنار ولا معاقب على ما ارتكبه واكتسبه، ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار، وإن شاء عفا عنه وعذبه مدة بعذاب النار، وإذا عذبه لم يخلده فيها، بل أعتقه واخرجه منها إلى نعيم دار القرار.

وكان شيخنا سهل بن محمد رحمه الله يقول: المؤمن المذنب وإن عذب بالنار فإنه لا يلقى فيها إلقاء الكفار، ولا يبقى فيها بقاء الكفار، ولا يشقى فيها شقاء الكفار. ومعنى ذلك أن الكافر يسحب على وجهه إلى النار، ويلقى فيها منكوساً في السلاسل والأغلال والأنكال الثقال، والمؤمن المذنب إذا ابتلي في النار فإنه يدخل النار كما يدخل المجرم في الدنيا السجن على الرجل من غير إلقاء وتنكيس. ومعنى قوله: «لا يلقى في النار إلقاء الكفار» أن الكافر يحرق بدنه كله، كلما نضج جلده بدل جلداً غيره، ليذوق العذاب كما بينه الله في

كتابه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾، وأما المؤمنون فلا تلفح وجوههم النار، ولا تحرق أعضاء السجود منهم، إذ حرم الله على النار أعضاء سجوده. ومعنى قوله: «لا يبقى في النار بقاء الكفار» أن الكافر يخلد فيها ولا يخرج منها أبداً، ولا يخلد الله من مذنبي المؤمنين في النار أحداً. ومعنى قوله: «لا يشقى بالنار شقاء الكفار» أن الكفار ييأسون فيها من رحمة الله، ولا يرجون راحة بحال، وأما المؤمنون فلا ينقطع طمعهم من رحمة الله في كل حال، وعاقبة المؤمنين كلهم الجنة، لأنهم خلقوا لها وخلقت لهم فضلاً من الله ومنة.

حكم تارك الصلاة عمداً

واختلف أهل الحديث في ترك المسلم صلاة الفرض متعمداً، فكفره بذلك أحمد بن حنبل وجماعة من علماء السلف، وأخرجوه به من الإسلام، للخبر الصحيح: «**بين العبد والشرك ترك الصلاة، فمن ترك الصلاة فقد كفر**»، وذهب الشافعي وأصحابه وجماعة من علماء السلف رحمة الله عليهم أجمعين إلى أنه لا يكفر ما دام معتقداً لوجوبها، وإنما يستوجب القتل كما يستوجبه المرتد عن الإسلام، وتأولوا الخبر من ترك الصلاة جاحداً كما أخبر سبحانه عن يوسف عليه السلام أنه قال: ﴿إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ ولم يك يتلبس بكفر فارقه، ولكن تركه جاحداً له.

خلق أفعال العباد

ومن قول أهل السنة والجماعة في أكساب العباد أنها مخلوقة لله تعالى، لا يمترون فيه، ولا يعدون من أهل الهدى ودين الحق من ينكر هذا القول وينفيه، ويشهدون أن الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء، لا حجة لمن أضله الله عليه، ولا عذر له لديه، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَـٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾، وقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَـَٔاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَـٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾، وقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾. سبحانه وتعالى خلق الخلق بلا حاجة إليهم، فجعلهم فرقتين، فريقاً للنعيم فضلاً، وفريقاً

للجحيم عدلاً، وجعل منهم غوياً ورشيداً، وشقياً وسعيداً، وقريباً من رحمته، وبعيداً، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

أخبرنا أبو محمد المجلدي أخبرنا أبو محمد العباس السراج حدثنا يوسف عن موسى أخبرنا جرير عن الأعمش عن زيد بن وهب عن عبدالله بن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكاً بأربع كلمات، رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد، فوالذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، ثم يدركه ما سبق له في الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها**».

الخير والشر

ويشهد أهل السنة ويعتقدون أن الخير والشر والنفع والضر بقضاء الله وقدره، لا مرد لهما، ولا محيص ولا محيد عنهما، ولا يصيب المرء إلا ما كتبه له ربه، ولو جهد الخلق أن ينفعوا المرء بما لم يكتبه الله له. لم يقدروا عليه، ولو جهدوا أن يضروه بما لم يقضه الله لم يقدروا. على ما ورد به الخبر عن عبدالله بن عباس عن النبي ﷺ. وقال الله ﷻ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾.

ومن مذهب أهل السنة وطريقهم مع قولهم بأن الخير والشر من الله، وبقضائه، لا يضاف إلى الله تعالى ما يتوهم منه نقص على الإنفراد، فلا يقال: يا خالق القردة والخنازير والخنافس والجعلان، وإن كان لا مخلوق إلا والرب خالقه، وفي ذلك ورد قول رسول الله ﷺ في دعاء الاستفتاح «**تباركت وتعاليت، والخير في يديك، والشر ليس إليك**» ومعناه والله أعلم والشر ليس مما يضاف إليك إفراداً وقصداً، حتى يقال لك في المناداه: يا خالق الشر أو يا مقدر الشر، وإن كان هو الخالق والمقدر لهما جميعاً، لذلك أضاف الخضر عليه السلام إرادة العيب إلى نفسه، فقال: فيما أخبر الله عنه في قوله: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ

فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ ولما ذكر الخير والبر والرحمة أضاف إرادتها إلى الله ﷻ فقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ ولذلك قال مخبراً عن إبراهيم عليه السلام أنه قال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾ فأضاف المرض إلى نفسه، والشفاء إلى ربه، وإن كان الجميع منه.

ومن مذهب أهل السنة والجماعة أن الله ﷻ مريد لجميع أعمال العباد خيرها وشرها، لم يؤمن أحد إلا بمشيئته، ولم يكفر أحد إلا بمشيئته، ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة، ولو شاء أن لا يعصى ما خلق إبليس، فكفر الكافرين وإيمان المؤمنين بقضائه سبحانه وتعالى وقدره، وإرادته ومشيئته، أراد كل ذلك وشاءه وقضاه، ويرضى الإيمان والطاعة، ويسخط الكفر والمعصية، قال الله ﷻ: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾.

عواقب العباد مبهمة

ويعتقد ويشهد أصحاب الحديث أن عواقب العباد مبهمة، لا يدري أحد بما يختم له، ولا يحكون لواحد بعينه أنه من أهل الجنة، ولا يحكون على أحد بعينه أنه من أهل النار، لأن ذلك مغيب عنهم، لا يعرفون على ما يموت عليه الإنسان بل ولذلك يقولون: إنا مؤمنون إن شاء الله. ويشهدون لمن مات على الإسلام أن عاقبته الجنة فإن الذين سبق القضاء عليهم من الله أنهم يعذبون بالنار مدة لذنوبهم التي اكتسبوها، ولم يتوبوا منها، فإنهم يردون أخيراً إلى الجنة ولا يبقى أحد في النار من المسلمين. فضلاً من الله ومنه، ومن مات والعياذ بالله على الكفر فمرده إلى النار لا ينجو منها، ولا يكون لمقامه فيها منتهى.

المبشرون بالجنة

فأما الذين شهد لهم رسول الله ﷺ من أصحابه بأعيانهم بأنهم من أهل الجنة، فإن أصحاب الحديث يشهدون لهم بذلك، تصديقاً للرسول ﷺ فيما ذكره ووعده لهم، فإنه ﷺ لم يشهد لهم بها إلا بعد أن عرف ذلك، والله تعالى أطلع

رسوله ﷺ على ما شاء من غيبه، وبيان ذلك في قوله ﷻ: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ وقد بشر ﷺ عشرة من أصحابه بالجنة، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبدالرحمٰن بن عوف وسعد وسعيد وأبو عبيدة بن الجراح، وكذلك قال لثابت بن قيس بن شماس: «أنت من أهل الجنة». قال أنس بن مالك: فلقد كان يمشي بين أظهرنا ونحن نقول: إنه من أهل الجنة.

أفضل الصحابة

ويشهدون ويعتقدون أن أفضل أصحاب رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، وأنهم الخلفاء الراشدون الذين ذكر ﷺ خلافتهم بقوله فيما رواه سعيد بن نبهان عن سفينة: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة»، وبعد انقضاء أيامهم عاد الأمر إلى الملك العضوض على ما أخبر عنه الرسول ﷺ. ويثبت أصحاب الحديث خلافة أبي بكر ﷺ بعد وفاة رسول الله ﷺ، باختيار الصحابة واتفاقهم عليه، وقولهم قاطبة: رضيه رسول الله ﷺ لديننا، فرضيناه لدنيانا، وقولهم: قد مات رسول الله ﷺ فمن يؤخرك! وأرادوا أنه ﷺ قدمك في الصلاة بنا أيام مرضه، فصلينا وراءك بأمره، فمن ذا الذي يؤخرك بعد تقديمه إياك؟ وكان رسول الله ﷺ يتكلم في شأن أبي بكر في حال حياته بما يبين للصحابة أنه أحق الناس بالخلافة بعده، فلذلك اتفقوا عليه واجتمعوا، فانتفعوا بمكانه والله، وارتفعوا حتى قال أبو هريرة ﷺ: والله الذي لا إلٰه إلا هو لولا أن أبا بكر استخلف لما عبد الله. ولما قيل له: مه يا أبا هريرة! قام بحجة صحة قوله، فصدقوه فيه وأقروا به.

ثم خلافة عمر بن الخطاب ﷺ وأرضاه باستخلاف أبي بكر ﷺ إياه، واتفاق الصحابة عليه بعده، وإنجاز الله سبحانه بمكانه في إعلاء الإسلام، وإعظام شأنه وعده.

ثم خلافة عثمان ﷺ بإجماع أهل الشورى، وإجماع الأصحاب كافة، ورضاهم به حتى جعل الأمر إليه.

ثم خلافة علي ﷺ ببيعة الصحابة إياه، عرفه ورآه كل منهم ﷺ أحق الخلق، وأولاهم في ذلك الوقت بالخلافة ولم يستجيزوا عصيانه وخلافه، فكان هؤلاء الأربعة الخلفاء الراشدين الذين نصر الله بهم الدين، وقهر وقسر بمكانهم الملحدين، وقوى بمكانهم الإسلام، ورفع في أيامهم للحق الأعلام، ونور بضيائهم ونورهم وبهائهم الظلام، وحقق بخلافتهم وعده السابق في قوله ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾، وفي قوله: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ فمن أحبهم وتولاهم، ودعا لهم، ورعى حقهم، وعرف فضلهم فاز في الفائزين، ومن أبغضهم وسبهم، ونسبهم إلى ما تنسبهم الروافض والخوارج ـ لعنهم الله ـ فقد هلك في الهالكين. قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي، فمن سبهم فعليه لعنة الله**»، وقال: «**من أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن سبهم فعليه لعنة الله**».

الصلاة خلف البر والفاجر

ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين، وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم براً كان أو فاجراً. ويرون جهاد الكفرة معهم وإن كانوا جورة فجرة، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح، ولا يرون الخروج عليهم وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف. ويرون قتال الفئة الباغية حتى ترجع إلى طاعة الإمام العدل.

الكف عما شجر بين الصحابة

ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيباً لهم ونقصاً فيهم. ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم. وكذلك يرون تعظيم قدر أزواجه رضي الله عنهن، والدعاء لهن ومعرفة فضلهن والإقرار بأنهن أمهات المؤمنين.

لا ندخل الجنة بالعمل

ويعتقدون ويشهدون أن أحداً لا تجب له الجنة وإن كان عمله حسناً، وطريقه مرتضى إلا أن يتفضل الله عليه، فيوجبها له بمنه وفضله، إذ عمل الخير الذي عمله لم يتيسر له إلا بتيسير الله عز اسمه، فلو لم ييسره له لم يهد له أبداً. قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ وفي آيات سواها.

لكل مخلوق أجل

ويعتقدون ويشهدون أن الله ﷻ أجل لكل مخلوق أجلاً، وأن نفساً لن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً، وإذا انقضى أجل المرء فليس إلا الموت، وليس له عنه فوت، قال الله ﷻ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾.

ويشهدون أن من مات أو قتل فقد انقضى أجله، قال الله ﷻ: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾.

وسوسة الشياطين

ويتيقنون أن الله سبحانه خلق الشياطين يوسوسون للآدميين، ويعتمدون استزلالهم ويترصدون لهم، قال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾. وإن الله يسلطهم على من يشاء، ويعصم من كيدهم ومكرهم من يشاء، قال الله ﷻ: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾، وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

السحر والسحرة

ويشهدون أن في الدنيا سحراً وسحرة، إلا أنهم لا يضرون أحداً إلا بإذن الله، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ ومن سحر منهم واستعمل السحر، واعتقد أنه يضر أو ينفع بغير إذن الله تعالى فقد كفر. وإذا وصف ما يكفر به استتيب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وإن وصف ما ليس بكفر، أو تكلم بما لا يفهم نهي عنه فإن عاد عزر. وإن قال: السحر ليس بحرام، وأنا أعتقد إباحته وجب قتله، لأنه استباح ما أجمع المسلمون على تحريمه.

من آداب أصحاب الحديث

ويحرم أصحاب الحديث المسكر من الأشربة المتخذة من العنب أو الزبيب أو التمر أو العسل أو الذرة أو غير ذلك مما يسكر، يحرمون قليله وكثيره، ويجتنبونه ويوجبون به الحد.

ويرون المسارعة إلى أداء الصلوات وإقامتها في أوائل الأوقات أفضل من تأخيرها إلى آخر الأوقات.

ويوجبون قراءة فاتحة الكتاب خلف الإمام، ويأمرون بإتمام الركوع والسجود حتماً واجباً، ويعدون إتمام الركوع والسجود بالطمأنينة فيهما، والارتفاع من الركوع والانتصاب منه والطمأنينة فيه، وكذلك الارتفاع من السجود، والجلوس بين السجدتين مطمئنين فيه من أركان الصلاة التي لا تصح إلا بها.

ويتواصون بقيام الليل للصلاة بعد المنام، وبصلة الأرحام وإفشاء السلام وإطعام الطعام، والرحمة على الفقراء والمساكين والأيتام، والاهتمام بأمور المسلمين، والتعفف في المأكل والمشرب والملبس والمنكح والمصرف، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والبدار إلى فعل الخيرات أجمع. ويتحابون في الدين ويتباغضون فيه، ويتقون الجدال في الله، والخصومات فيه، ويجانبون أهل البدع والضلالات، ويعادون أصحاب الأهواء والجهالات. ويقتدون بالسلف

الصالحين من أئمة الدين وعلماء المسلمين، ويتمسكون بما كانوا به متمسكين من الدين المتين والحق المبين. ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يجالسونهم ولا يجادلونهم في الدين، ولا يناظرونهم ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرت بالآذان وقرت في القلوب ضرت، وجرت إليه الوساوس والخطرات الفاسدة. وفيه أنزل الله ﷻ قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾.

علامات أهل البدع

وعلامات البدع على أهلها بادية ظاهرة، وأظهر آياتهم وعلاماتهم شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ، واحتقارهم لهم وتسميتهم إياهم حشوية وجهلة وظاهرية ومشبهة، اعتقاداً منهم في أخبار الرسول ﷺ أنها بمعزل عن العلم، وأن العلم ما يلقيه الشيطان إليهم من نتاج عقولهم الفاسدة، ووساوس صدورهم المظلمة، وهواجس قلوبهم الخالية من الخير، وحججهم العاطلة بل شبههم الداحضة الباطلة. أولئك الذين لعنهم الله، فأصمهم وأعمى أبصارهم. ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء.

سمعت الحاكم أبا عبدالله الحافظ يقول: سمعت أبا علي الحسين بن علي الحافظ يقول: سمعت جعفر بن أحمد بن مناف الواسطي يقول: سمعت أحمد بن سنان القطاف يقول: ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث، فإذا ابتدع الرجل نزعت حلاوة الحديث من قلبه.

وسمعت الحاكم يقول: سمعت أبا الحسن محمد بن أحمد الحنظلي ببغداد يقول: سمعت محمد بن إسماعيل الترمذي يقول كنت أنا وأحمد بن الحسن الترمذي عند إمام الدين أبي عبدالله أحمد بن حنبل، فقال له أحمد بن الحسن: يا أبا عبدالله ذكروا لابن أبي قتيلة بمكة أصحاب الحديث فقال: أصحاب الحديث قوم سوء. فقام أحمد بن حنبل وهو ينفض ثوبه ويقول: زنديق زنديق، حتى دخل البيت.

وسمعت الحاكم أبا عبدالله يقول: سمعت أبا نصر أحمد بن سهل الفقيه ببخارى يقول: سمعت أبا نصر بن سلام الفقيه يقول: ليس شيء أثقل على أهل الإلحاد ولا أبغض إليهم من سماع الحديث وروايته بإسناده.

وسمعت الحاكم يقول: سمعت الشيخ أبا بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب الفقيه وهو يناظر رجلاً فقال الشيخ أبو بكر: حدثنا فلان، فقال له الرجل: دعنا من حدثنا! إلى متى حدثنا؟ فقال الشيخ له: قم يا كافر فلا يحل لك أن تدخل داري بعد هذا أبداً، ثم التفت إلينا وقال: ما قلت لأحد ما تدخل داري إلا هذا.

وسمعت أبا منصور محمد بن عبدالله بن حماد العالم الزاهد يقول: سمعت أبا القاسم جعفر بن أحمد المقري الرازي يقول: قرأ على عبدالرحمٰن بن أبي حاتم الرازي وأنا أسمع: سمعت أبي يقول: عنى به الإمام في بلده أباه أبا حاتم محمد بن إدريس الحنظلي الرازي يقول: علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر حشويه، يريدون بذلك إبطال الأثر، وعلامة القدرية تسميتهم أهل السنة مجبرة، وعلامة الجهمية تسميهم أهل السنة مشبهة، وعلامة الرافضة تسميتهم أهل الأثر ثابتة وناصبة، قلت: وكل ذلك عصبية، ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد وهو أصحاب الحديث، قلت أنا: رأيت أهل البدع في هذه الأسماء التي لقبوا بها أهل السنة سلكوا معهم مسلك المشركين مع رسول الله ﷺ، فإنهم اقتسموا القول فيه، فسماه بعضهم ساحراً وبعضهم كاهناً، وبعضهم شاعراً، وبعضهم مجنوناً، وبعضهم مفتوناً، وبعضهم مفترياً مختلقاً كذاباً، وكان النبي ﷺ من تلك المعائب بعيداً بريئاً، ولم يكن إلا رسولاً مصطفى نبياً، قال الله ﷻ: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾. كذلك المبتدعة خذلهم الله اقتسموا القول في حملة أخباره، ونقلة آثاره ورواة أحاديثه المقتدين به المهتدين بسنته، فسماهم بعضها حشوية، وبعضهم مشبهة، وبعضهم ثابتة، وبعضهم ناصبة، وبعضهم جبرية، وأصحاب الحديث عصابة من هذه المعايب بريئة زكية نقية، وليسوا إلا أهل السنة المضية والسيرة المرضية والسبل السوية

والحجج البالغة القوية، قد وفقهم الله جل جلاله لاتباع كتابه ووحيه وخطابه، والاقتداء برسوله ﷺ في أخباره التي أمر فيها أمته بالمعروف من القول والعمل، وزجرهم فيها عن المنكر منهما، وأعانهم على التمسك بسيرته والاهتداء بملازمة سنته، وشرح صدورهم لمحبته، ومحبة أئمة شريعته، وعلماء أمته، ومن أحب قوماً فهو معهم يوم القيامة بحكم رسول الله ﷺ: **«المرء مع من أحب»**.

علامات أهل السنة

وإحدى علامات أهل السنة حبهم لأئمة السنة، وعلمائها وأنصارها وأوليائها، وبغضهم لأئمة البدع، الذين يدعون إلى النار، ويدلون أصحابهم على دار البوار، وقد زين الله سبحانه قلوب أهل السنة ونورها بحب علماء السنة فضلاً منه جل جلاله.

أخبرنا الحاكم أبو عبدالله الحافظ أسكنه الله وإيانا الجنة، حدثنا محمد بن إبراهيم بن الفضل المزكي، حدثنا أحمد بن سلمة، قرأ علينا أبو رجاء قتيبة بن سعيد كتاب الإيمان له، فكان في آخره: فإذا رأيت الرجل يحب سفيان الثوري، ومالك بن أنس والأوزاعي، وشعبة وابن المبارك، وأبا الأحوص وشريكاً ووكيعاً ويحيى بن سعيد، وعبدالرحمٰن ابن مهدي فاعلم أنه صاحب سنة.

قال أحمد بن سلمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فألحقت بخطي تحته: ويحيى وأحمد بن حنبل، واسحق بن راهويه، فلما انتهينا إلى هذا الموضع نظر الينا أهل نيسابور، وقال: هؤلاء القوم يبغضون يحيى بن يحيى، فقلنا له: يا أبا رجاء ما يحيى بن يحيى؟ قال رجل صالح إمام المسلمين، وإسحاق بن إبراهيم إمام، وأحمد بن حنبل أكبر ممن سميتهم كلهم.

وأنا ألحقت بهؤلاء الذين ذكر قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أن من أحبهم فهو صاحب سنة من أئمة أهل الحديث الذين بهم يقتدون، وبهديهم يهتدون، ومن جملتهم

وشيعتهم أنفسهم يعدون، وفي اتباعهم آثارهم يجدون جماعة آخرين، منهم محمد بن إدريس الشافعي، وسعيد بن جبير والزهري، والشعبي والتيمي ومن بعدهم، كالليث بن سعد والأوزاعي والثوري وسفيان بن عيينة الهلالي، وحماد بن سلمة وحماد بن زيد، ويونس بن عبيد، وأيوب وابن عوف ونظرائهم. ومن بعدهم مثل يزيد بن هارون، وعبدالرزاق وجرير بن عبدالحميد، ومن بعدهم محمد بن يحيى الذهلي، ومحمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج القشيري، وأبي داود السجستاني وأبي زرعة الرازي، وأبي حاتم وابنه ومحمد بن مسلم بن واره، ومحمد بن أسلم الطوسي، وعثمان بن سعيد الدارمي، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة الذي كان يدعى إمام الأئمة، والمقري كان إمام الأئمة في عصره ووقته، وأبي يعقوب إسحاق بن إسماعيل البستي، وجدي من قبل أبي أبو سعيد يحيى بن منصور الزاهد الهروي، وعدي بن حمدويه الصابوني، وولديه سيفي السنة أبي عبدالله الصابوني وأبي عبدالرحمٰن الصابوني، وغيرهم من أئمة السنة المتمسكين بها، ناصرين لها داعين إليها موالين عليها، وهذه الجمل التي أثبتها في هذا الجزء كانت معتقد جميعهم، لم يخالف فيها بعضهم بعضاً، بل أجمعوا عليها كلها، واتفقوا مع ذلك على القول بقهر أهل البدع، وإذلالهم وإخزائهم وابعادهم واقصائهم، والتباعد منهم ومن مصاحبتهم ومعاشرتهم، والتقرب إلى الله ﷻ بمجانبتهم ومهاجرتهم، قال الأستاذ الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأنا بفضل الله ﷻ متبع لآثارهم مستضيء بأنوارهم، ناصح لإخواني وأصحابي أن لا يزلقوا عن منارهم، ولا يتبعوا غير أقوالهم، ولا يشتغلوا بهذه المحدثات من البدع التي اشتهرت فيما بين المسلمين، وظهرت وانتشرت، ولو جرت واحدة منها على لسان واحد في عصر أولئك الأئمة لهجروه، وبدعوه ولكذبوه وأصابوه بكل سوء ومكروه، ولا يغرن إخواني حفظهما الله كثرة أهل البدع، ووفور عددهم فإن ذلك من أمارات اقتراب الساعة، إذ الرسول المصطفى ﷺ قال: «**إن من علامات الساعة واقترابها أن يقل العلم ويكثر الجهل**»، والعلم هو السنة، والجهل هو البدعة، ومن تمسك بسنة رسول الله ﷺ وعمل بها واستقام عليها، ودعا إليها كان أجره أوفر وأكثر من أجر من جرى على هذه الجملة في أوائل الإسلام والملة، إذ الرسول

المصطفى ﷺ قال له: «**أجر خمسين فقيل: خمسين منهم؟ قال: بل منكم**». إنما قال ﷺ ذلك لمن يعمل بسنته عند فساد أمته.

وجدت في كتاب الشيخ الإمام جدي أبي عبدالله محمد بن عدي بن حمدويه الصابوني رحمه الله: أخبرنا أبو العباس الحسن بن سفيان الثوري، أن العباس بن صبيح حدثهم، حدثنا عبدالجبار بن طاهر حدثني معمر بن راشد. سمعت ابن شهاب الزهري يقول: تعليم سنة أفضل من عبادة مائتي سنة. أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد بن زكريا الشيباني، أخبرنا أبو العباس محمد بن عبدالرحمٰن الدولي، سمعت محمد بن حاتم المظفري يقول: كان أبو معاوية الضرير يحدث هارون الرشيد فحدثه بحديث أبي هريرة «احتج آدم وموسى»، فقال عيسى بن جعفر: كيف هذا وبين آدم وموسى ما بينهما؟ قال فوثب به هارون وقال: يحدثك عن الرسول ﷺ وتعارضه بكيف؟ قال: فما زال يقول حتى سكت عنه.

هكذا ينبغي للمرء أن يعظم أخبار رسول الله ﷺ، ويقابلها بالقبول والتسليم والتصديق. وينكر أشد الإنكار على من يسلك فيها غير هذا الطريق الذي سلكه هارون الرشيد رحمه الله مع من اعترض على الخبر الصحيح، الذي سمعه بكيف؟ على طريق الإنكار له، والابتعاد عنه، ولم يتلقه بالقبول كما يجب أن يتلقى جميع ما يرد من الرسول ﷺ. جعلنا الله سبحانه من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ويتمسكون في دنياهم مدة حياتهم بالكتاب والسنة، وجنبنا الأهواء المضلة والآراء المضمحلة، والأسواء المذلة، فضلاً منه ومنة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

*** * ***

(٤٠) المبادئ المفيدة



المقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فيقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة].

وصح من حديث ابن عباس ﷺ قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: **«يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»**.

فهذه الآية والحديث ونظائرهما، أصل في تلقين الأولاد كلمات جامعات في توحيد الله ﷻ، وتعليم عبادته، وحفظ حدوده، والتوكل عليه، ومراقبته، والإيمان بالقدر خيره وشره. فهذه هي التربية الشرعية الصحيحة، التي يرجى لمن نشأ عليها أن يكون من خير عباد الله الصالحين؛ مما حملني ذلك على أن أكتب لأبنائي الصغار ـ أسأل الله أن يصلحهم ويصلح بهم ـ هذه الكلمات الميسرة في مبادئ التوحيد والعقيدة والفقه، مؤيدة بأدلة القرآن والسنة، راجياً من الله ﷻ أن ينفعهم بها، وسائر أبناء المسلمين، وبالله التوفيق.

كتبه

أبو عبدالرحمٰن يحيى بن علي الحجوري

مبادئ في التوحيد

١) إذا قيل لك: **من خلقك؟** فقل: خلقني الله، وخلق جميع المخلوقات. والدليل قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢].

٢) إذا قيل لك: **من ربك؟** فقل: الله ربي ورب كل شيء، والدليل قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٦].

٣) إذا قيل لك: **لماذا خلقك الله؟** فقل: خلقنا لعبادته، والدليل قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات].

٤) إذا قيل لك: **ما دينك؟** فقل: ديني هو دين الإسلام الحق، والدليل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣]. وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران].

٥) فإذا قيل لك: **من نبيك؟** فقل: نبيي ونبي هذه الأمة جميعاً هو محمد رسول الله ﷺ، والدليل قول الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة]، وقوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

٦) فإذا قيل لك: **ما أول واجب على العبد؟** فقل: تعلم توحيد الله ﷻ، والدليل حديث ابن عباس ﷺ قال: لما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن قال له: «**إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما**

تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى» متفق عليه، وهذا لفظ البخاري.

٧) فإذا قيل لك: **ما معنى لا إله إلا الله؟** فقل: معناها: لا معبود بحق إلا الله، والدليل قول الله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الحج: ٦٢].

٨) فإذا قيل لك: **ما معنى محمد رسول الله؟** فقل: معناها أنه رسول الله إلى الناس كافة، من الجن والإنس، والدليل قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]. ويجب علينا جميعاً طاعته وتصديقه واجتناب ما نهى عنه، والدليل قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤]. وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم»** متفق عليه. وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢].

٩) فإذا قيل: **ما حق الله على عباده؟** فقل: حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، والدليل حديث معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال: **«حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً»** متفق عليه.

١٠) فإذا قيل لك: **ما هو الشرك؟** فقل: هو عبادة غير الله ﷻ، فكل ما كان عبادة لله ﷻ فصرفه لغير الله شرك، والدليل قول الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

١١) فإذا قيل لك: **فما حكم تصوير ذوات الأرواح؟** فقل: تصوير ذوات الأرواح من كبائر الذنوب، والدليل حديث ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: **«إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون»** متفق عليه.

وفي حديث أبي جحيفة ﷺ قال: نهى رسول الله ﷺ عن ثمن الكلب، وثمن الدم... ولعن المصور. أخرجه البخاري.

فإذا قيل لك: فما تعلق تصوير ذوات الأرواح بالشرك؟ فقل: إن التصوير

خلق يكون به المصور مضاهياً ومشاركاً لله ﷻ في ذلك، والدليل حديث عائشة ﵂ أن النبي ﷺ قال: «**أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله**» متفق عليه.

وحديث أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي...**» متفق عليه.

١٢) فإذا قيل: **ما تعريف العبادة؟** فقل: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، والدليل قوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

١٣) فإذا قيل لك: **أين الله؟** فقل: الله في السماء، مستو على عرشه. والدليل قول الله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ [الملك]، وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه].

وحديث أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**» متفق عليه.

والنزول يكون من أعلى.

١٤) فإذا قيل لك: **هل الله معنا؟** فقل: الله ﷻ معنا بعلمه، والدليل قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنعام]. قال ابن كثير: المراد أنه الله الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض. من سر وجهر.

١٥) فإذا قيل لك: **ما تعريف الإسلام؟** فقل: هو الاستسلام لله بالتوحيد. والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك، والدليل قول الله تعالى: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

١٦) فإذا قيل لك: **كم أركان الإسلام؟** فقل: خمسة أركان، والدليل حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان**» متفق عليه.

١٧) فإذا قيل لك: **هل دين الإسلام كامل، أم يحتاج إلى تكميل؟** فقل: هو دين كامل، والدليل قول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

١٨) فإذا قيل لك: **من أين يأخذ المسلم دينه؟** فقل: يأخذ المسلم دينه من القرآن والسنة على فهم السلف الصالح، والدليل قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١]، وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النساء: ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝١١٥﴾ [النساء]. وانظر الحديث الذي بعد هذا.

١٩) فإذا قيل لك: **ما عقيدتك؟** فقل: أنا سني سلفي، والدليل حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**» أخرجه أبو داود وغيره، وهو حديث حسن.

٢٠) فإذا قيل لك: **من أول الرسل إلى أهل الأرض، ومن آخرهم؟** فقل: أولهم نوح عليه السلام، وآخرهم أفضل الأنبياء نبينا محمد ﷺ، فبعثته أول العلامات الصغرى للساعة، ويجب علينا الإيمان بهم جميعاً، والدليل حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال عن أهل المحشر يوم القيامة: «**فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله عبداً شكوراً**» متفق عليه.

والدليل على أن آخرهم محمد ﷺ قول الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وحديث ثوبان رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي**» أخرجه مسلم.

والدليل على أنه أفضل الأنبياء حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**» متفق عليه.

والدليل أنه يجب علينا الإيمان بهم جميعاً، ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم جميعاً؛ قول الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء].

والدليل على أنه أول علامات الساعة: حديث سهل ابن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**بعثت أنا والساعة هكذا**» وأشار بأصبعيه، متفق عليه. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**» وضم السبابة والوسطى، متفق عليه.

٢١) فإذا قيل لك: **جميع الرسل إلى ماذا يدعون الناس؟** فقل: يدعونهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والدليل قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

٢٢) فإذا قيل لك: **ما تعريف التوحيد الذي جميع الرسل يدعون إليه؟** فقل: هو إفراد الله بالعبادة، والدليل قول الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾.

٢٣) فإذا قيل لك: **كم أقسام توحيد الله ﷻ؟** فقل: ثلاثة أقسام:

١ ـ توحيد الربوبية.

٢ ـ توحيد الألوهية.

٣ ـ توحيد الأسماء والصفات.

والدليل قول الله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، وقوله تعالى: ﴿رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم]، فهاتان الآيتان فيها أنواع التوحيد الثلاثة.

٢٤) فإذا قيل لك: **ما أعظم حسنة، وما أعظم سيئة؟** فقل: أعظم حسنة هو توحيد الله ﷻ، وأعظم سيئة هو الشرك بالله ﷻ، والدليل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الشعراء].

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»**، أخرجه أحمد، وهو حديث صحيح.

وهذا يدل على أن أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ هم أهل الكبائر من المسلمين، ولا شفاعة لمشرك.

وعن جابر بن عبدالله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار»**، أخرجه مسلم.

٢٥) فإذا قيل لك: **كم مراتب الدين؟** فقل: مراتب الدين ثلاثة: الإسلام، والإيمان، والإحسان، والدليل حديث عمر بن الخطاب ﷺ في صحيح مسلم، وفيه أن جبريل عليه السلام سأل رسول الله ﷺ عن الإسلام، ثم عن الإيمان، ثم عن الإحسان.

٢٦) فإذا قيل لك: **ما هو الإيمان؟** فقل: هو نطق باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، وهو يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

والدليل على أنه نطق باللسان، وعمل بالجوارح حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **«الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها: قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»**، متفق عليه.

والدليل أنه اعتقاد بالقلب حديث عمر الذي تقدم في أركان الإيمان، وقول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وعن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار**»، متفق عليه

والدليل على أنه يزيد بالطاعة. . . قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، وقوله: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١].

والدليل على أنه ينقص بالمعصية أدلة زيادته، فإنه قبل أن يزيد كان ناقصاً.

قال الإمام البخاري في (كتاب الإيمان) من «صحيحه» باب (٣٣): فإذا ترك شيئاً من الكمال فهو ناقص.

وحديث شعب الإيمان الذي ذكرناه قريباً، وحديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»، أخرجه مسلم. وفيه أن إنكار المنكر من الإيمان.

٢٧) فإذا قيل: **كم أركان الإيمان؟** فقل: ستة أركان، والدليل حديث عمر بن الخطاب في «صحيح مسلم» أن النبي ﷺ سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان فقال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»، قال: صدقت. وهو متفق عليه من حديث أبي هريرة.

٢٨) فإذا قيل لك: **ما تعريف الإحسان بين العبد وربه؟** فقل: هو «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، كما جاء في حديث عمر بن الخطاب في «مسلم» رقم (٨).

٢٩) **فإذا قيل لك: ما حكم سب الله، وسب رسوله، وسب دينه، أو**

الاستهزاء بذلك؟ فقل: هذا كفر أكبر، من تعمده خرج من ملة الإسلام، والدليل قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة].

٣٠) فإذا قيل لك: **ما جزاء المؤمنين، وما جزاء الكافرين يوم القيامة؟** فقل: جزاء المؤمنين الجنة في أعلى عليين، والدليل قول الله تعالى: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة].

وجزاء الكافرين النار في أسفل سافلين، والدليل قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ [فاطر].

والدليل أن الجنة في أعلى عليين قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النجم].

والدليل أن النار في أسفل سافلين حديث البراء أن النبي ﷺ قال فيما يروي عن ربه ﷻ: «**اكتبوا كتاب عبدي في سجين، في الأرض السفلى**». هو حديث حسن.

ولا نشهد بالجنة أو النار إلا لمن شهد له الدليل؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

٣١) فإذا قيل لك: **كم عدد الدور؟** فقل: ثلاثة:

١ ـ **دار الدنيا الفانية**، والدليل قول الله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

٢ ـ **دار البرزخ**، والدليل قول الله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

٣ ـ **دار القرار**، والدليل قول الله تعالى مخبراً عن مؤمن آل فرعون: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾ [غافر].

٣٢) فإذا قيل لك: **ما أول منازل الآخرة؟** فقل: أول منازل الآخرة القبر،

والدليل حديث عثمان بن عفان ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه**»، أخرجه الترمذي، وابن ماجه، وأحمد، وهو حديث حسن.

٣٣) فإذا قيل لك: **ماذا تعتقد في عذاب القبر ونعيمه؟** فقل: أعتقد أنه حق لمن كان له أهلاً، والدليل حديث عائشة ﷺ أنها سألت رسول الله ﷺ عن عذاب القبر، فقال: «**عذاب القبر حق**»، متفق عليه، وهذا لفظ البخاري.

وعنها أن النبي ﷺ كان يتعوذ من فتنة القبر وعذاب القبر، ومن فتنة المسيح الدجال، متفق عليه. وفيه إثبات عذاب القبر، وفتنة القبر، وفتنة الدجال الأكبر.

ومن الأدلة على نعيمه حديث البراء، وفيه: «**وأما المؤمن فيقال: ألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة فيأتيه من طيبها وروحها...**».

٣٤) فإذا قيل لك: **ماذا تعتقد في البعث والحساب وأخذ الكتاب؟** فقل: أعتقد أنه حق، والدليل قول الله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝٧﴾ [التغابن]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ۝٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ۝١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ۝١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾ [الانشقاق].

٣٥) فإذا قيل لك: **هل المؤمنون يرون ربهم يوم القيامة؟** فقل: نعم يرونه في عرصات القيامة وفي الجنة، والدليل قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣﴾ [القيامة].

وفي الصحيحين من حديث جرير بن عبدالله ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إنكم سترون ربكم يوم القيامة**».

وأخرج مسلم من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبدالرحمن بن

أبي ليلى، عن صهيب ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ**».

والكفار لا يرون الله ﷻ يوم القيامة والدليل قول الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين].

٣٦) فإذا قيل لك: **ماذا تعتقد في القرآن الكريم الذي في المصحف؟** فقل: أعتقد أنه كلام الله ﷻ، ليس بمخلوق، والدليل قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

٣٧) فإذا قيل لك: **هل القرآن عربي أم أعجمي؟** فقل: هو عربي، والدليل قول الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الزخرف]، وقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء].

٣٨) فإذا قيل لك: **هل لله أسماء وصفات؟** فقل: نعم له أسماء وصفات تليق بجلاله، والدليل قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠]. وأسماء الله ﷻ غير محصورة بعدد معلوم لنا؛ لقول النبي ﷺ: «**لا أحصي ثناء عليك...**» أخرجه مسلم من حديث عائشة ﵂.

٣٩) فإذا قيل لك: **هل أحد غير الله يعلم الغيب؟** فقل: لا أحد يعلم الغيب إلا الله، والدليل قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، وقوله تعالى: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ [يونس: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

٤٠) فإذا قيل لك: **متى تقوم الساعة؟** فقل: أمر الساعة من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله، والدليل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]، وقوله: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [فصلت: ٤٧]. وقول النبي ﷺ: «**لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله**»، أخرجه البخاري من

حديث ابن عمر ﵄.

٤١) فإذا قيل لك: **كم شروط قبول العمل؟** فقل: ثلاثة:

١ ـ **الإسلام**، فالكافر لا يقبل الله عمله، والدليل قول الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان].

٢ ـ **الإخلاص**، والدليل: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. وفي حديث أبي هريرة القدسي أن النبي ﷺ قال: «**قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»، رواه مسلم.

٣ ـ **المتابعة لرسول الله ﷺ**، والدليل حديث أم المؤمنين عائشة ﵂: أن النبي ﷺ قال: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**» أخرجه مسلم.

٤٢) فإذا قيل لك: **كم أنواع التوسل المشروع؟** فقل: ثلاثة أنواع:

١ ـ **التوسل بأسماء الله وصفاته**، والدليل قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

٢ ـ **توسل العبد إلى الله تعالى بعمله الصالح**، والدليل قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [آل عمران]، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران].

ومن السنة حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم صخرة، فسدت عليهم الغار، فتوسل كل واحد منهم بخالص عمله، متفق عليه.

٣ ـ **التوسل بدعاء الرجل الصالح**، والدليل حديث أنس بن مالك ﵁ قال بينما رسول الله ﷺ يخطب إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله قحط المطر، فادع الله أن يسقينا، فدعا فمطرنا.

٤٣) فإذا قيل لك: **هل في الدين بدعة حسنة؟** فقل: كل بدعة ضلالة،

والدليل حديث العرباض، وفيه: «**كل بدعة ضلالة**»، وحديث جابر ابن عبدالله ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا خطب... يقول: «**أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**»، أخرجه مسلم.

٤٤) فإذا قيل لك: **من شر البرية الذين يجب علينا بغضهم؟** فقل: هم اليهود، والنصارى، والمشركون، والدليل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾ [البينة]، وقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢].

٤٥) فإذا قيل لك: **ما هي الديمقراطية؟** فقل: هي حكم الشعب نفسه بنفسه، بغير كتاب ولا سنة.

٤٦) فإذا قيل لك: **ما حكمها؟** فقل: هي شرك أكبر، والدليل قول الله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦].

٤٧) فإذا قيل لك: **ما حقيقة الانتخابات؟** فقل: هي من النظام الديمقراطي المنابذ لشرع الله الحق، وهي تشبه بالكفار، والتشبه بهم لا يجوز، وفيها ضرر كثير، وليس فيها أي نفع ولا أي فائدة على المسلمين، ومن أهم أضرارها: مساواة الحق بالباطل والمحق بالمبطل حسب الأكثرية، وتضييع الولاء والبراء، وتمزيق شمل المسلمين، وإلقاء العداوة والبغضاء والتحزب والتعصب بينهم، والغش، والخداع، والاحتيال، والزور، وضياع الأوقات والأموال، وإهدار حشمة النساء، وزعزعة الثقة في علوم الشريعة الإسلامية وأهلها.

٤٨) فإذا قيل: **ما حكم الحزبية؟** فقل: الحزبية حرام، إلا حزب الله. والدليل قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبِۢ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٣٢﴾ [الروم]، وقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقوله تعالى:

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء].
وقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

عن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة (أي فرقة) واحدة». قالوا**: ومن هي يا رسول الله؟ قال: **«ما أنا عليه وأصحابي»**، أخرجه الترمذي (٢٦/٥). وله شاهد من حديث معاوية ﷺ، أخرجه أبو داود رقم (٤٥٩٧). وأحمد (١٠٢/٤)، وله شواهد أخرى، فالحديث حسن.

وقوله: كلها في النار، فيه بيان حال أهل الأهواء وجرحهم.

٤٩) فإذا قيل لك: **من أضل الفرق التي تدعي الإسلام؟** فقل: هم الباطنية. والرافضة، والجهمية، وغلاة الصوفية.

* * *

مبادئ الفقه

٥٠) **كل عبادة لا بد لها من نية،** والنية محلها القلب، والدليل حديث عمر بن الخطاب ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إنما الأعمال بالنيات**» متفق عليه.

٥١) **التلفظ بالنية بدعة،** والدليل حديث عائشة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»، متفق عليه.

٥٢) فإذا قيل لك: **ما هي البدعة؟** فقل: هي ما أحدث بعد موت النبي ﷺ بقصد التعبد، وليس عليها دليل من الكتاب، ولا من السنة.

٥٣) **خلق الله الماء طهوراً يطهر النجاسات والأحداث،** والدليل قول الله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨]، وقوله تعالى ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ [الأنفال: ١١].

٥٤) **ماذا يقول من أراد دخول الخلاء؟**

عن أنس بن مالك ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال: «**اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**»، متفق عليه.

٥٥) **من آداب قضاء الحاجة:**

عن سلمان الفارسي ﷺ، أنه قيل له: علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة، قال: أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أخرجه مسلم.

٥٦) **لا تصح الصلاة إلا بوضوء،** والدليل حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ**»، متفق عليه، وعن ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**لا تقبل صلاة بغير طهور**». أخرجه مسلم.

٥٧) **أعضاء الوضوء**: الوجه؛ بما فيه المضمضة والاستنشاق، واليدان تغسلان إلى المرفقين، والرأس يمسح مسحاً، والرجلان تغسلان إلى الكعبين.

والدليل قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ [المائدة: ٦]، ولحديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**ويل للأعقاب من النار**» متفق عليه.

٥٨) **التيمن في الوضوء**، وإطالة الغرة، والتحجيل، والدليل حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ غسل يده اليمنى حتى شرع في العضد، وغسل اليسرى حتى شرع في العضد، ثم مسح برأسه، ثم غسل رجله اليمنى حتى شرع في الساق، ثم غسل رجله اليسرى حتى شرع في الساق، وقال: «**أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء**»، أخرجه مسلم، وصح في «سنن أبي داود» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا لبستم، وإذا توضأتم، فابدءوا بأيامنكم**».

٥٩) **أحسن صفة لوضوء رسول الله ﷺ**: أنه غسل كفيه ثلاثاً، ثم مضمض واستنشق، واستنثر (يجمع بين المضمضة والاستنشاق من غرفة واحدة ـ فعل ذلك ثلاثاً ـ) ثم غسل وجهه ثلاثاً، وغسل يديه إلى المرفقين ثلاثاً حتى شرع في العضد، ثم مسح رأسه بماء غير فضل يده ـ مرة واحدة، بدأ من قبل رأسه فأدبر بهما إلى قفاه، ثم أعادهما إلى حيث بدأ ـ ثم غسل رجليه ثلاثاً إلى الكعبين حتى شرع في الساق. ثبت ذلك من حديث عثمان رضي الله عنه، متفق عليه، وفيه زوائد من أحاديث أخرى صحيحة.

ويستحب استعمال السواك قبل الصلاة، والدليل حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**». متفق عليه.

٦٠) **من لبس الخفين**، أو الجوربين على وضوء، يشرع له أن يمسح عليهما.

إن كان مقيماً يمسح عليهما يوما وليلة، وإن كان على سفر يمسح عليهما ثلاثة أيام بلياليهن، والدليل حديث أبي بكرة ﷺ أن النبي ﷺ رخص للمسافر إذا توضأ، ولبس خفيه، ثم أحدث وضوءاً أن يمسح ثلاثة أيام ولياليهن، وللمقيم يوماً وليلة. أخرجه ابن ماجه، وهو حديث حسن، وله شواهد يصح بها.

والمسح على ظاهر الخفين، والدليل حديث علي بن أبي طالب ﷺ قال: وقد رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظاهر خفيه، أخرجه أبو داود، وهو صحيح.

٦١) **إذا حضرت الصلاة ولم تجد الماء فتيمم**، والدليل قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُۚ﴾ [المائدة: ٦]، والصعيد هو تراب الأرض، والدليل حديث حذيفة أن النبي ﷺ قال: «**وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً، وجعلت تربتها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء**»، رواه مسلم.

٦٢) **فإذا فرغت من وضوءك تقول**: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، والدليل حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحد يتوضأ، فيسبغ الوضوء، ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء**»، رواه مسلم.

٦٣) **نواقض الوضوء**:

١ ـ الخارج من القبل والدبر، والدليل حديث أبي هريرة ﷺ: «**لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ**».

٢ و٣ ـ النوم المستغرق والجنابة، والدليل حديث صفوان بن عسال ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا كنا سفراً أن لا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن إلا من جنابة، ولكن من غائط وبول ونوم، أخرجه الترمذي، وهو حديث حسن.

ونوم الأنبياء ليس بناقض لوضوئهم، لحديث أنس ابن مالك ﷺ أخرجه

البخاري في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم**» وهذه خصيصة لهم عليهم الصلاة والسلام.

٤ ـ **مس الذكر**، والدليل حديث بسرة بنت صفوان رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**من مس ذكره فلا يصل حتى يتوضأ**»، أخرجه الترمذي، وهو حديث حسن، وصحيح بشواهده عند أحمد وغيره من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**أيما رجل مس ذكره فليتوضأ، وأيما امرأة مست فرجها فلتتوضأ**».

٥ ـ **أكل لحم الإبل**، والدليل حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: أنتوضأ من لحوم الإبل قال: «**نعم**»، أخرجه مسلم.

٦ ـ **الردة**، وهي ناقضة للوضوء وللإسلام، والدليل قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المائدة: ٥].

٧ ـ **زوال العقل بجنون أو إغماء أو سكر وما أشبهها من الأدوية المزيلة للعقل**، أجمع العلماء أن الوضوء ينتقض بذلك.

٦٤) **على المسلم في كل يوم وليلة خمس صلوات مفروضة**، والدليل حديث طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه أن أعرابياً سأل رسول الله ﷺ عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**خمس صلوات في اليوم والليلة**»، متفق عليه. فإذا قيل: كم في الخمس الصلوات ركعة؟ فقل: فيها سبع عشرة ركعة، الظهر أربع ركعات، والعصر أربع ركعات، والمغرب ثلاث ركعات، والعشاء أربع ركعات، والصبح ركعتان، وفي السفر تقصر الظهر، والعصر، والعشاء إلى ركعتين، فتصير إحدى عشرة ركعة.

٦٥) **كل صلاة يؤذن لها في وقتها**، والدليل حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم**»، متفق عليه.

٦٦) **من سمع النداء يقول مثل ما قال المؤذن**، والدليل حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا سمعتم النداء، فقولوا مثل ما يقول المؤذن**»، متفق عليه.

٦٧) **إذا قمت إلى الصلاة، فاستقبل القبلة**، والدليل قول الله تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٤].

٦٨) **رفع اليدين في الصلاة في أربعة مواضع**، والدليل حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان إذا دخل في الصلاة كبر ورفع يديه حذو منكبيه، وإذا ركع رفع يديه، وإذا قال: سمع الله لمن حمده رفع يديه (وإذا قام من الركعتين رفع يديه)، وكان ابن عمر يفعل ذلك، متفق عليه. والرفع إذا قام من الركعتين انفرد به البخاري.

٦٩) **أصح دعاء في الاستفتاح بعد تكبيرة الإحرام** ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا كبر في الصلاة سكت هنيهة قبل القراءة، فسئل عما يقول، فقال: «**أقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد**»، متفق عليه.

٧٠) **قبل قراءة الفاتحة استعذ بالله من الشيطان الرجيم، وسم الله سراً**، والدليل ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل]، وعن أنس ابن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ، وأبا بكر، وعمر رضي الله عنه كانوا يفتتحون الصلاة بـ(الحمد لله رب العالمين)، متفق عليه، وفي لفظ: فكانوا لا يجهرون بـ(بسم الله الرحمٰن الرحيم).

أخرجه أحمد (١٧٩/٣)، والنسائي (١٣٥/٢) بسند صحيح.

٧١) **بعد الاستعاذة والبسملة اقرأ الفاتحة**، والدليل حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**»، متفق عليه.

٧٢) **الصلاة باطمئنان**، والدليل حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال للمسيء صلاته: «**إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم**

اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها»، متفق عليه.

٧٣) **النزول إلى السجود على اليدين،** والدليل حديث البراء بن عازب ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا قال سمع الله لمن حمده، لم يحن أحد منا ظهره حتى يقع النبي ﷺ ساجداً، ثم نقع سجوداً بعده، متفق عليه، وانحناء الظهر يكون في النزول على اليدين.

٧٤) **أذكار الركوع، والسجود:** عن حذيفة ﷺ أن النبي ﷺ كان يقول في ركوعه: «**سبحان ربي العظيم**»، وفي سجوده «**سبحان ربي الأعلى**»، أخرجه مسلم رقم (٧٧٢)، وأدنى التسبيح في الركوع والسجود ثلاث تسبيحات، ثبت ذلك عن النبي ﷺ بمجموع طرقه. وليكثر في ركوعه من الذكر، ويكثر في سجوده بعد التسبيح المذكور من الدعاء، والدليل حديث ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**فأما الركوع فعظموا فيه الرب ﷻ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقمن أن يستجاب لكم**»، أخرجه مسلم.

٧٥) **التشهد في الصلاة:** وأصح صيغ التشهد حديث ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**فإذا جلس أحدكم في الصلاة فليقل: التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله**»، متفق عليه.

٧٦) **صفة الجلوس في الصلاة والإشارة في التشهد:** كما في حديث عبدالله بن الزبير ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا قعد في الصلاة وضع يده اليمنى على فخذه اليمنى، ويده اليسرى على فخذه اليسرى، وأشار بأصبعه السبابة، أخرجه مسلم.

٧٧) **الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد:** والدليل حديث فضالة بن عبيد ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه سبحانه وتعالى، والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يدعوا بعد بما شاء**»، رواه أبو داود، وهو حديث صحيح.

ومن أحسن صيغ الصلاة على النبي ﷺ ما جاء في حديث أبي مسعود البدري ﷺ أن بشير بن سعد قال للنبي ﷺ: أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله، فكيف نصلي عليك؟ قال: «**قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد**»، رواه مسلم.

٧٨) **الدعاء قبل التسليم**، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر المسيح الدجال**»، رواه مسلم رقم (٥٨٨).

٧٩) **من أذكار النوم والاستيقاظ**: عن حذيفة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينام قال: «**باسمك اللهم أموت وأحيا**» وإذا استيقظ من منامه قال: «**الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور**»، رواه البخاري.

٨٠) **التسمية على الطعام**، والدليل حديث عمر بن أبي سلمة أن النبي ﷺ قال له: «**يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك**» فما زالت تلك طعمتي بعد، متفق عليه.

٨١) **أذى الجيران وغيرهم من المسلمين حرام**، والدليل حديث ابن عمرو ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»، متفق عليه.

إذا أردت أن تدخل بيتاً فاستأذن وسلم قبل دخولك، والدليل قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ﴾ [النور: ٢٧].

وعن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ قال لخادمه: «**اخرج إلى هذا وعلمه الاستئذان، فقل له: قل: السلام عليكم، أأدخل؟**».

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «... **أفشوا السلام بينكم**»، أخرجه مسلم.

٨٢) **عليك بالصدق فإنه يهدي إلى الجنة**، والدليل حديث ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار**»، متفق عليه.

٨٣) **عليك ببر الوالدين**، فقد أمر الله ﷻ بذلك، فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

٨٤) **احذر التشبه بالكافرين**، فإن النبي ﷺ قال: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»، أخرجه أحمد وغيره من حديث ابن عمر، والحديث حسن.

٨٥) **عليك بكثرة ذكر الله ﷻ، على ما ثبتت به الأدلة فإن ذلك من أسباب الفلاح في الدنيا والآخرة**، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمٰن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**» متفق عليه.

كفارة المجلس: عن عائشة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان إذا جلس مجلساً، أو صلى تكلم بكلمات، فسألته عائشة عن الكلمات، فقال: «**إن تكلم بخير كان طابعاً عليهن إلى يوم القيامة، وإن تكلم بغير ذلك كان كفارة: سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت، أستغفر الله وأتوب إليه**»، أخرجه أحمد، وهو حديث صحيح.

* * *

(٤١) رسالة الدلائل
في حكم موالاة أهل الإشراك



اعلم، رحمك الله: أن الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم، خوفاً منهم ومداراة لهم، ومداهنة لدفع شرهم، فإنه كافر مثلهم، وإن كان يكره دينهم ويبغضهم، ويحب الإسلام والمسلمين؛ هذا إذا لم يقع منه إلا ذلك، فكيف إذا كان في دار منعة واستدعى بهم، ودخل في طاعتهم وأظهر الموافقة على دينهم الباطل، وأعانهم عليه بالنصرة والمال ووالاهم، وقطع الموالاة بينه وبين المسلمين، وصار من جنود القباب والشرك وأهلها، بعد ما كان من جنود الإخلاص والتوحيد وأهله؟ فإن هذا لا يشك مسلم أنه كافر، من أشد الناس عداوة لله ولرسوله ﷺ. ولا يستثنى من ذلك إلا المكره، وهو الذي يستولي عليه المشركون، فيقولون له: اكفر، أو افعل كذا وإلا فعلنا بك وقتلناك، أو يأخذونه فيعذبونه حتى يوافقهم، فيجوز له الموافقة باللسان مع طمأنينة القلب بالإيمان. وقد أجمع العلماء على أن من تكلم بالكفر هازلاً: أنه يكفر، فكيف بمن أظهر الكفر خوفاً وطمعاً في الدنيا. وأنا أذكر بعض الأدلة على ذلك بعون الله وتأييده:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، فأخبر تعالى أن اليهود والنصارى، وكذلك المشركون، لا يرضون عن النبي ﷺ حتى يتبع ملتهم ويشهد أنهم على حق. ثم قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وفي الآية الأخرى: ﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥]. فإذا كان النبي ﷺ لو يوافقهم على دينهم ظاهراً من

غير عقيدة القلب، لكن خوفاً من شرهم ومداهنة، كان من الظالمين، فكيف بمن أظهر لعباد القبور والقباب، أنهم على حق وهدى مستقيم؟ فإنهم لا يرضون إلا بذلك.

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧]. فأخبر تعالى أن الكفار لا يزالون يقاتلون المسلمين حتى يردوهم عن دينهم إن استطاعوا، ولم يرخص في موافقتهم خوفاً على النفس والمال والحرمة؛ بل أخبر عمن وافقهم بعد أن قاتلوه ليدفع شرهم، أنه مرتد، فإن مات على ردته بعد أن قاتله المشركون، فإنه من أهل النار الخالدين فيها. فكيف بمن وافقهم من غير قتال؟ فإذا كان من وافقهم بعد أن قاتلوه، لا عذر له، عرفت أن الذين يأتون إليهم ويسارعون في الموافقة لهم من غير خوف ولا قتال، أنهم أولى بعدم العذر، وأنهم كفار مرتدون.

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨]، فنهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء وأصدقاء وأصحاباً من دون المؤمنين، وإن كانوا خائفين منهم، وأخبر أن من فعل ذلك ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾، أي: لا يكون من أولياء الله الموعودين بالنجاة في الآخرة، ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨]، وهو: أن يكون الإنسان مقهوراً معهم، لا يقدر على عداوتهم، فيظهر لهم المعاشرة وقلبه مطمئن بالبغضاء والعداوة، وانتظار زوال المانع، فإذا زال رجع إلى العداوة والبغضاء. فكيف بمن اتخذهم أولياء من دون المؤمنين من غير عذر، إلا استحباب الحياة الدنيا على الآخرة، والخوف من المشركين، وعدم الخوف من الله؟ فما جعل الله الخوف منهم عذراً، بل قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران].

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ

كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [آل عمران]، فأخبر تعالى أن المؤمنين إن أطاعوا الكفار فلا بد أن يردوهم على أعقابهم عن الإسلام، فإنهم لا يقنعون منهم بدون الكفر، وأخبر أنهم إن فعلوا ذلك صاروا من الخاسرين في الدنيا والآخرة؛ ولم يرخص في موافقتهم وطاعتهم خوفاً منهم. وهذا هو الواقع، فإنهم لا يقنعون ممن وافقهم إلا بالشهادة أنهم على حق، وإظهار العداوة والبغضاء للمسلمين، وقطع اليد منهم. ثم قال تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [آل عمران]، فأخبر تعالى أنه ولي المؤمنين وناصرهم، وهو خير الناصرين؛ ففي ولايته وطاعته كفاية، وغنية عن طاعة الكفار. فيا حسرة على العباد الذين عرفوا التوحيد ونشؤوا فيه، ودانوا به زماناً، كيف خرجوا عن ولاية رب العالمين وخير الناصرين، إلى ولاية القباب وأهلها، ورضوا بها بدلاً من ولاية من بيده ملكوت كل شيء؟! ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾.

الدليل الخامس: قوله تعالى: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾﴾ [آل عمران]، فأخبر تعالى أنه لا يستوي من اتبع رضوان الله، ومن اتبع ما يسخطه ومأواه جهنم يوم القيامة؛ ولا ريب أن عبادة الرحمٰن وحده ونصرها، وكون الإنسان من أهلها من رضوان الله، وأن عبادة القباب والأموات، ونصرها والكون من أهلها، مما يسخط الله؛ فلا يستوي عند الله من نصر توحيده ودعوته بالإخلاص، وكان مع المؤمنين، ومن نصر الشرك ودعوة الأموات، وكان مع المشركين. فإن قالوا: خفنا، قيل لهم: كذبتم. وأيضاً، فما جعل الله الخوف عذراً في اتباع ما يسخطه، واجتناب ما يرضيه، وكثير من أهل الباطل إنما يتركون الحق خوفاً من زوال دنياهم، وإلا فيعرفون الحق ويعتقدونه، ولم يكونوا بذلك مسلمين.

الدليل السادس: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ﴾ [النساء: ٩٧]، أي: في أي فريق كنتم؟ أفي فريق المسلمين، أم في فريق المشركين؟ فاعتذروا عن كونهم لم يكونوا في فريق المسلمين بالاستضعاف، فلم تعذرهم الملائكة، وقالوا لهم: ﴿قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧].

ولا يشك عاقل أن أهل البلدان الذين خرجوا عن المسلمين، وصاروا مع المشركين، وفي فريقهم وجماعتهم، أعظم ممن ترك الهجرة مشحة بوطنه وأهله وماله؛ هذا مع أن الآية نزلت في أناس من أهل مكة، أسلموا واحتبسوا عن الهجرة، فلما خرج المشركون إلى بدر، أكرهوهم على الخروج معهم، فخرجوا خائفين، فقتلهم المسلمون يوم بدر، فلما علموا بقتلهم تأسفوا، وقالوا: قتلنا إخواننا، فأنزل الله فيهم هذه الآية. فكيف بأهل البلدان، الذين كانوا على الإسلام، فخلعوا ربقته من أعناقهم، وأظهروا لأهل الشرك الموافقة على دينهم، ودخلوا في طاعتهم وآووهم ونصروهم، وخذلوا أهل التوحيد، وابتغوا غير سبيلهم وخطؤوهم، وظهر فيهم سب المسلمين وشتمهم وعيبهم والاستهزاء بهم، وتسفيه رأيهم في ثباتهم على التوحيد، والصبر عليه وعلى الجهاد فيه، وأعانوا العدو على أهل التوحيد طوعاً لا كرهاً، واختياراً لا اضطراراً؟! فهؤلاء أولى بالكفر والنار، من الذين تركوا الهجرة شحاً بالوطن، وخوفاً من الكفار، وخرجوا في جيشهم مكرهين خائفين. فإن قال قائل: هلا كان الإكراه على الخروج عذراً للذين قتلوا يوم بدر؟ قيل: لا يكون عذراً، لأنهم في أول الأمر لم يكونوا معذورين، إذ أقاموا مع الكفار، فلا يعذرون بعد ذلك بالإكراه، لأنهم السبب في ذلك، حيث أقاموا معهم وتركوا الهجرة.

الدليل السابع: قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]، فذكر تعالى أنه نزل على المؤمنين في الكتاب، أنهم إذا سمعوا آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها، فلا يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره، وأن من جلس مع الكافرين بآيات الله، المستهزئين بها في حال كفرهم واستهزائهم، فهو مثلهم؛ ولم يفرق بين الخائف وغيره إلا المكره؛ وهذا وهم في بلد واحد في أول الإسلام، فكيف بمن كان في سعة الإسلام وعزه وبلاده، فدعا الكافرين بآيات الله المستهزئين بها إلى بلاده، واتخذهم أولياء وأصحاباً وجلساء، وسمع كفرهم واستهزاءهم وأقرهم، وطرد أهل التوحيد وأبعدهم؟!

الدليل الثامن: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة]، فنهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، وأخبر أن من تولاهم من المؤمنين فهو منهم؛ وهكذا حكم من تولى الكفار من المجوس وعباد الأوثان، فهو منهم. فإن جادل مجادل في أن عبادة القباب، ودعاء الأموات مع الله، ليس بشرك، وأن أهلها ليسوا بمشركين، بان أمره، واتضح عناده وكفره. ولم يفرق تعالى بين الخائف وغيره، بل أخبر الله تعالى: أن الذين في قلوبهم مرض يفعلون ذلك خوفاً من الدوائر؛ وهكذا حال هؤلاء المرتدين، خافوا من الدوائر، فزال ما في قلوبهم من الإيمان بوعد الله الصادق، بالنصر لأهل التوحيد، فبادروا وسارعوا إلى أهل الشرك، خوفاً أن تصيبهم دائرة، قال الله تعالى: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢].

الدليل التاسع: قوله تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المائدة]، فذكر الله تعالى أن موالاة الكفار موجبة لسخط الله، والخلود في العذاب، بمجردها، وإن كان الإنسان خائفاً، إلا المكره بشرطه؛ فكيف إذا اجتمع ذلك مع الكفر الصريح، وهو معاداة التوحيد وأهله، والمعاونة على زوال دعوة الله بالإخلاص، وعلى تثبيت دعوة غيره؟!

الدليل العاشر: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة]، فذكر تعالى أن موالاة الكفار منافية للإيمان بالله والنبي ﷺ، وما أنزل إليه، ثم أخبر: أن سبب ذلك كون كثير منهم فاسقون، ولم يفرق بين من خاف الدائرة ومن لم يخف؛ وهكذا حال كثير من هؤلاء المرتدين قبل ردتهم، كثير منهم فاسقون، فجرهم ذلك إلى موالاة الكفار، والردة عن الإسلام، نعوذ بالله من ذلك.

الدليل الحادي عشر: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وهذه الآية نزلت لما قال

المشركون: تأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتل الله، فأنزل الله هذه الآية. فإذا كان من أطاع المشركين في تحليل الميتة مشركاً، من غير فرق بين الخائف وغيره، إلا المكره، فكيف بمن أطاعهم في تحليل موالاتهم، والكون معهم ونصرهم، والشهادة أنهم على حق، واستحلال دماء المسلمين وأموالهم، والخروج عن جماعة المسلمين إلى جماعة المشركين؟! فهؤلاء أولى بالكفر والشرك، ممن وافقهم على أن الميتة حلال.

الدليل الثاني عشر: قوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [الأعراف]، وهذه الآية نزلت في رجل عالم عابد، في زمان بني إسرائيل، يقال له: «بلعام» وكان يعلم الاسم الأعظم؛ قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: «لما نزل بهم موسى عليه السلام ـ يعني بالجبارين ـ أتاه بنو عمه وقومه، فقالوا: إن موسى رجل حديد، ومعه جنود كثيرة، وإنه إن يظهر علينا يهلكنا، فادع الله أن يرد موسى ومن معه. قال: إني إن دعوت الله، ذهبت دنياي وآخرتي. فلم يزالوا به حتى دعا عليهم، فسلخه الله مما كان عليه، فذلك قوله تعالى: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥]». وقال ابن زيد: كان هواه مع القوم، يعني الذين حاربوا موسى وقومه. فذكر تعالى أمر هذا المنسلخ من آيات الله، بعد أن أعطاه الله إياها، وعرفها وصار من أهلها، ثم انسلخ منها، أي: ترك العمل بها، وذكر في انسلاخه منها، ما معناه، أنه مظاهرة المشركين ومعاونتهم برأيه، والدعاء على موسى عليه السلام ومن معه، أن يردهم الله عن قومه، خوفاً على قومه، وشفقة عليهم، مع كونه يعرف الحق ويقطع به، ويتكلم به ويشهد به، ويتعبد، ولكن صده عن العمل به متابعة قومه، وعشيرته، وهواه، وإخلاده إلى الأرض؛ فكان هذا انسلاخاً من آيات الله. وهذا هو الواقع من هؤلاء المرتدين، وأعظم؛ فإن الله تعالى أعطاهم آياته التي فيها الأمر بتوحيده ودعوته وحده لا شريك له، والنهي عن الشرك به، ودعوة غيره، والأمر بموالاة المؤمنين، ومحبتهم ونصرتهم، والاعتصام بحبل الله جميعاً، والكون مع المؤمنين، والأمر بمعاداة المشركين وبغضهم، وجهادهم وفراقهم، والأمر بهدم الأوثان، وإزالة

القحاب واللواط، والمنكرات، وعرفوها وأقروا بها، ثم انسلخوا من ذلك كله، فهم أولى بالانسلاخ من آيات الله، والكفر والردة، من بلعام، أو هم مثله.

الدليل الثالث عشر: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود]، فذكر تعالى أن الركون إلى الظلمة والكفار والظالمين، موجب لمسيس النار، ولم يفرق بين من خاف منهم وغيره، إلا المكره؛ فكيف بمن اتخذ الركون إليهم ديناً ورأياً حسناً، وأعانهم بما قدر عليه من مال ورأي، وأحب زوال التوحيد وأهله، واستيلاء أهل الشرك عليهم؟! فإن هذا من أعظم الكفر والركون.

الدليل الرابع عشر: قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [النحل]، فحكم تعالى حكماً لا يبدل: أن من رجع عن دينه إلى الكفر فهو كافر، سواء كان له عذر خوفاً على نفس أو مال أو أهل أم لا، وسواء كفر بباطنه أم بظاهره، أم بباطنه دون ظاهره، وسواء كفر بفعاله ومقاله، أو بأحدهما دون الآخر، وسواء كان طامعاً في دنيا ينالها من المشركين أم لا، فهو كافر على كل حال، إلا المكره، وهو في لغتنا: المغصوب. فإذا أكره إنسان على الكفر، أو قيل له: اكفر وإلا قتلناك، أو ضربناك، أو أخذه المشركون فضربوه، ولم يمكنه التخلص إلا بموافقتهم، جاز له موافقتهم في الظاهر، بشرط أن يكون قلبه مطمئناً بالإيمان، أي: ثابتاً عليه معتقداً له، فأما إن وافقهم بقلبه، فهو كافر ولو كان مكرهاً. وظاهر كلام أحمد: أنه في الصورة الأولى، لا يكون مكرهاً حتى يعذبه المشركون، فإنه لما دخل عليه يحيى بن معين وهو مريض، فسلم عليه فلم يرد عليه السلام، فما زال يعتذر ويقول حديث عمار، وقال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، فقلب أحمد وجهه إلى الجانب الآخر، فقال يحيى: لا يقبل عذراً. فلما خرج يحيى، قال أحمد: يحتج بحديث عمار، وحديث عمار: «مررت بهم وهم يسبونك، فنهيتهم فضربوني»، وأنتم، قيل لكم: نريد أن

نضربكم. فقال يحيى: والله ما رأيت تحت أديم السماء أفقه في دين الله منك.

ثم أخبر تعالى: أن هؤلاء المرتدين الشارحين صدورهم بالكفر، وإن كانوا يقطعون على الحق، ويقولون: ما فعلنا هذا إلا خوفاً، فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم.

ثم أخبر تعالى: أن سبب هذا الكفر والعذاب، ليس بسبب الاعتقاد للشرك، أو الجهل بالتوحيد، أو البغض للدين، أو محبة الكفر، وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا فآثره على الدين، وعلى رضى رب العالمين، فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [النحل]، فكفّرهم تعالى، وأخبر أنه لا يهديهم مع كونهم يعتذرون بمحبة الدنيا. ثم أخبر تعالى: أن هؤلاء المرتدين لأجل استحباب الدنيا على الآخرة، هم الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم، وأنهم الغافلون. ثم أخبر خبراً مؤكداً محققاً: أنهم في الآخرة هم الخاسرون.

الدليل الخامس عشر: قوله تعالى عن أهل الكهف: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [الكهف]، فذكر تعالى عن أهل الكهف أنهم ذكروا عن المشركين أنهم إن قهروكم وغلبوكم، فهم بين أمرين: إما أن يرجموكم أي: يقتلوكم شر قتلة برجم، وإما أن يعيدوكم في ملتهم ودينهم، ﴿وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ أي: وإن وافقتموهم على دينهم، بعد أن غلبوكم وقهروكم، فلن تفلحوا إذاً أبداً؛ فهذا حال من وافقهم بعد أن غلبوه، فكيف بمن وافقهم وراسلهم من بعيد، وأجابهم إلى ما طلبوا من غير غلبة ولا إكراه، ومع ذلك يحسبون أنهم مهتدون؟!

الدليل السادس عشر: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحج]، فأخبر تعالى أن: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ أي: على طرف، ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ﴾ أي: نصر وعز وصحة، وسعة وأمن وعافية ونحو ذلك، ﴿ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾ أي: ثبت، وقال: هذا دين حسن، ما رأينا

فيه إلا خيراً، ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ أي: خوف ومرض وفقر ونحو ذلك، ﴿انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ أي: ارتد عن دينه، ورجع إلى أهل الشرك.

فهذه الآية مطابقة لحال المنقلبين عن دينهم في هذه الفتنة، سواء بسواء؛ فإنهم قبل هذه الفتنة، يعبدون الله على حرف، أي: على طرف، ليسوا ممن يعبد الله على يقين وثبات، فلما أصابتهم هذه الفتنة انقلبوا عن دينهم، وأظهروا الموافقة للمشركين، وأعطوهم الطاعة، وخرجوا عن جماعة المسلمين إلى جماعة المشركين، فهم معهم في الآخرة كما هم معهم في الدنيا، فـ ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١]، هذا مع أن كثيراً منهم في عافية، ما أتاهم من عدو، وإنما ساء ظنهم بالله، فظنوا أنه يديل الباطل وأهله على الحق وأهله، فأرداهم سوء ظنهم بالله، كما قال تعالى: فيمن ظن به ظن السوء، ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [فصلت].

وأنت، يا من منّ الله عليه بالثبات على الإسلام، احذر أن يدخل في قلبك شيء من الريب، أو تحسين أمر هؤلاء المرتدين، أو أن موافقتهم للمشركين وإظهار طاعتهم رأياً حسناً، حذراً على الأنفس والأموال والمحارم! فإن هذه الشبهة، هي التي أوقعت كثيراً من الأولين والآخرين في الشرك بالله، ولم يعذرهم الله بذلك، وإلا فكثير منهم يعرفون الحق، ويعتقدونه بقلوبهم، وإنما يدينون لله بالشرك، للأعذار الثمانية التي ذكرها الله في كتابه، أو لبعضها؛ فلم يعذر بها أحداً ولا ببعضها، فقال: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة].

الدليل السابع عشر: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد].

فذكر تعالى عن المرتدين على أدبارهم، أنهم من بعد ما تبين لهم الهدى ارتدوا على علم، فلم ينفعهم علمهم بالحق مع الردة، وغرهم الشيطان بتسويله وتزيين ما ارتكبوه من الردة. وهكذا حال هؤلاء المرتدين في هذه الفتنة، غرهم الشيطان فأوهمهم أن الخوف عذر لهم في الردة، وأنهم بمعرفة الحق ومحبته والشهادة به لا يضرهم ما فعلوه، ونسوا أن من المشركين من يعرفون الحق ويحبونه ويشهدون به، ولكن يتركون متابعته والعمل به محبة للدنيا، وخوفاً على الأنفس والأموال، والمآكل والرياسات.

ثم قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ [محمد: ٢٦]، فأخبر تعالى أن سبب ما جرى عليهم من الردة، وتسويل الشيطان والإملاء لهم، هو قولهم للذين كرهوا ما نزل الله: سنطيعكم في بعض الأمر، فإذا كان من وعد المشركين، الكارهين لما أنزل الله، طاعتهم في بعض الأمر، كافراً، وإن لم يفعل ما وعدهم به، فكيف بمن وافق المشركين الكارهين لما أنزل الله من الأمر بعبادته وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه من الأنداد والطواغيت والأموات، وأظهر أنهم على هدى، وأن أهل التوحيد مخطؤون في قتالهم، وأن الصواب في مسالمتهم والدخول في دينهم الباطل؟!

فهؤلاء أولى بالردة من أولئك الذين وعدوا المشركين بطاعتهم في بعض الأمر. ثم أخبر تعالى عن حالهم الفظيع عند الموت، ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الأمر الفظيع عند الوفاة، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد].

ولا يستريب المسلم أن اتباع المشركين، والدخول في جملتهم، والشهادة أنهم على حق، ومعاونتهم على زوال التوحيد وأهله، ونصرة القباب والقحاب واللواط، من اتباع ما يسخط الله، وكراهة رضوانه، وإن ادعوا أن ذلك لأجل الخوف؛ فإن الله ما عذر أهل الردة بالخوف من المشركين، بل نهى عن خوفهم. فأين هذا ممن يقول: ما جرى منا شيء ونحن على ديننا؟!

الدليل الثامن عشر: قوله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحشر]، فعقد الله

تعالى الأخوة بين المنافقين والكفار، وأخبر أنهم يقولون لهم في السر: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ أي: لئن غلبكم محمد ﷺ وأخرجكم من بلادكم ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ أي: لا نسمع من أحد فيكم قولاً، ولا نعطى فيكم طاعة، ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ أي: إن قاتلكم محمد ﷺ لننصرنكم، ونكون معكم. ثم شهد الله: إنهم لكاذبون في هذا القول.

فإذا كان وعد المشركين في السر بالدخول معهم، ونصرهم والخروج معهم إن أُجلوا، نفاقاً وكفراً، وإن كان كذباً، فكيف بمن أظهر ذلك صادقاً، وقدم عليهم ودخل في طاعتهم، ودعا إليهم ونصرهم، وانقاد لهم وصار من جملتهم، وأعانهم بالمال والرأي؟! هذا مع أن المنافقين لم يفعلوا ذلك إلا خوفاً من الدوائر، كما قال تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٢].

وهكذا حال كثير من هؤلاء المرتدين في هذه الفتنة، فإن عذر كثير منهم هذا هو العذر الذي ذكره الله عن الذين في قلوبهم مرض، ولم يعذرهم الله به، قال تعالى: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [المائدة]، ثم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، فأخبر تعالى أنه لا بد عند وجود المرتدين، من وجود المحبين المحبوبين المجاهدين؛ ووصفهم بالذلة والتواضع للمؤمنين، والعزة والغلظة والقسوة على الكافرين، بضد من كان تواضعه وذله ولينه، لعباد القباب، وأهل القحاب واللواط، وعزته وغلظته على أهل التوحيد والإخلاص؛ فكفى بهذا دليلاً على كفر من وافقهم، وإن ادعى أنه خائف، فقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]؛ وهذا بضد من يترك الصدق والجهاد خوفاً من المشركين.

ثم قال تعالى: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٥٤] أي: في توحيده، صابرين على ذلك ابتغاء وجه ربهم، لتكون كلمة الله هي العليا، ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ

لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤] أي: لا يبالون بمن لامهم وآذاهم في دينهم، بل يمضون على دينهم مجاهدين فيه، غير ملتفتين للوم أحد من الخلق، ولا لسخطه ولا لرضاه، وإنما همتهم وغاية مطلوبهم رضى سيدهم ومعبودهم، والهرب من سخطه؛ وهذا بخلاف من كانت همته وغاية مطلوبه: رضى عباد القباب، وأهل القحاب واللواط، ورجاءهم والهرب مما يسخطهم، فإن هذا غاية الضلال والخذلان.

ثم قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]، فأخبر الله تعالى: أن هذا الخير العظيم، والصفات الحميدة، لأهل الإيمان الثابتين على دينهم عند وقوع الفتن، ليس بحولهم ولا بقوتهم، وإنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء، كما قال تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥].

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة]. فأخبر الله تعالى خبراً بمعنى الأمر، بولاية الله ورسوله والمؤمنين، وفي ضمنه النهي عن موالاة أعداء الله ورسوله والمؤمنين. ولا يخفى أي الحزبين أقرب إلى الله ورسوله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، أأهل الأوثان والقباب، والقحاب واللواط، والخمور والمنكرات، أم أهل الإخلاص. وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة؟ فالمتولي لضدهم واضع للولاية في غير محلها. مستبدل بولاية الله ورسوله والمؤمنين، المقيمين للصلاة المؤتين للزكاة، على ولاية أهل الشرك والأوثان والقباب.

ثم أخبر تعالى: أن الغلبة لحزبه ومن تولاهم، فقال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة].

الدليل التاسع عشر: قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [الحديد: ٢٢].

فأخبر تعالى: أنك لا تجد من يؤمن بالله واليوم الآخر يواد من حاد الله ورسوله، ولو كان أقرب قريب، وأن هذا مناف للإيمان مضاد له، لا يجتمع هو

والإيمان إلا كما يجتمع الماء والنار؛ وقد قال تعالى في موضع آخر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [التوبة]، ففي هاتين الآيتين: البيان الواضح أنه لا عذر لأحد في الموافقة على الكفر خوفاً على الأموال والآباء، والأبناء والإخوان، والأزواج والعشائر، ونحو ذلك مما يعتذر به كثير من الناس.

إذا كان لم يرخص لأحد في موالاتهم، واتخاذهم أولياء بأنفسهم، خوفاً منهم وإيثاراً لمرضاتهم، فكيف بمن اتخذ الكفار الأباعد أولياء وأصحاباً، وأظهر لهم الموافقة على دينهم، خوفاً على بعض هذه الأمور، ومحبة لها؟! ومن العجب، استحسانهم لذلك، واستحلالهم له، فجمعوا مع الردة استحلال الحرام.

الدليل العشرون: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١].

فأخبر تعالى: أن من تولى أعداء الله، وإن كانوا أقرباء وأصدقاء فقد ﴿ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: أخطأ الصراط المستقيم، وخرج عنه إلى الضلال؛ فأين هذا ممن يدعي أنه على الصراط المستقيم، لم يخرج عنه؟ فإن هذا تكذيب لله، ومن كذب الله فهو كافر، واستحلال لما حرم الله من ولاية الكفار، ومن استحل محرماً فهو كافر.

ثم ذكر تعالى شبهة من اعتذر بالأرحام والأولاد، فقال: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾ [الممتحنة]، فلم يعذر الله تعالى من اعتذر بالأرحام والأولاد، والخوف عليهما، ومشقة مفارقتهما، بل أخبر أنها لا تنفع يوم القيامة، ولا تغني من عذاب الله شيئاً، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون].

الدليل الحادي والعشرون: من السنة ما رواه أبو داود وغيره، عن سمرة ابن جندب ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله**».

فجعل ﷺ في هذا الحديث من جامع المشركين، أي: اجتمع معهم وخالطهم وسكن معهم، فهو مثلهم؛ فكيف بمن أظهر لهم الموافقة على دينهم. وآواهم وأعانهم؟ فإن قالوا: خفنا، قيل لهم: كذبتم. وأيضاً، فليس الخوف بعذر، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠]؛ فلم يعذر الله تبارك وتعالى من يرجع عن دينه عند الأذى والخوف، فكيف بمن لم يصبه أذى ولا خوف، وإنما جاء إلى الباطل محبة له وخوفاً من الدوائر؟ والأدلة على هذا كثير، وفي هذا كفاية لمن أراد الله هدايته.

وأما من أراد الله فتنته وضلالته، فكما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [يونس].

فنسأل الله الكريم المنان: أن يحيينا مسلمين، وأن يتوفانا مسلمين، وأن يلحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، برحمته وهو أرحم الراحمين. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

(٤٢) القواعد المثلى
في صفات الله وأسمائه الحسنى

تأليف:
محمد بن صالح العثيمين رحمه الله

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً.

وبعد:

فإن الإيمان بأسماء الله وصفاته أحد أركان الإيمان بالله تعالى وهي:

الإيمان بوجود الله تعالى، والإيمان بربوبيته، والإيمان بألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته.

وتوحيد الله به أحد أقسام التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

فمنزلته في الدين عالية، وأهميته عظيمة، ولا يمكن أحداً أن يعبد الله على الوجه الأكمل حتى يكون على علم بأسماء الله تعالى وصفاته، ليعبده على بصيرة، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وهذا يشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة.

فدعاء المسألة: أن تقدم بين يدي مطلوبك من أسماء الله تعالى ما يكون مناسباً، مثل أن تقول: يا غفور اغفر لي، ويا رحيم ارحمني، ويا حفيظ احفظني، ونحو ذلك.

ودعاء العبادة: أن تتعبد لله تعالى بمقتضى هذه الأسماء، فتقوم بالتوبة إليه لأنه التواب، وتذكره بلسانك لأنه السميع، وتتعبد له بجوارحك لأنه البصير، وتخشاه في السر لأنه اللطيف الخبير، وهكذا.

ومن أجل منزلته هذه، ومن أجل كلام الناس فيه بالحق تارة وبالباطل الناشئ عن الجهل أو التعصب تارة أخرى؛ أحببت أن أكتب فيه ما تيسر من القواعد، راجياً من الله تعالى أن يجعل عملي خالصاً لوجهه موافقاً لمرضاته نافعا لعباده. وسميته: **«القواعد المثلى في صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى»**.



تقريظ سماحة الشيخ
عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

فقد اطلعت على المؤلف القيم، الذي كتبه صاحب الفضيلة العلامة أخونا الشيخ: محمد بن صالح العثيمين، في الأسماء والصفات، وسماه: «**القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى**».

وسمعته من أوله إلى آخره، فألفيته كتاباً جليلاً، قد اشتمل على بيان عقيدة السلف الصالح في أسماء الله وصفاته، كما اشتمل على قواعد عظيمة، وفوائد جمة في باب الأسماء والصفات، وأوضح معنى المعية الواردة في كتاب الله ﷻ الخاصة والعامة عند أهل السنة والجماعة، وأنها حق على حقيقتها، لا تقتضي امتزاجاً واختلاطاً بالمخلوقين، بل هو سبحانه فوق عرشه كما أخبر عن نفسه، وكما يليق بجلاله سبحانه، وإنما تقتضي علمه واطلاعه، وإحاطته بهم، وسماعه لأقوالهم وحركاتهم، وبصره بأحوالهم وضمائرهم، وحفظه وكلاءته لرسله وأوليائه المؤمنين، ونصره لهم وتوفيقه لهم، إلى غير ذلك مما تقتضيه المعية العامة والخاصة، من المعاني الجليلة والحقائق الثابتة لله سبحانه.

كما اشتمل على إنكار قول أهل التعطيل، والتمثيل وأهل الحلول والاتحاد. فجزاه الله خيراً، وضاعف مثوبته، وزادنا وإياه علماً وهدى وتوفيقاً، ونفع بكتابه القراء وسائر المسلمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه. قاله ممليه الفقير إلى الله تعالى: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز سامحه الله وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

قواعد في أسماء الله تعالى

القاعدة الأولى: أسماء الله تعالى كلها حسنى

أي: بالغة في الحسن غايته، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وذلك لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، لا احتمالاً ولا تقديراً.

مثال ذلك: «الحي» اسم من أسماء الله تعالى، متضمن للحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم، ولا يلحقها زوال. الحياة المستلزمة لكمال الصفات من العلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها.

ومثال آخر: «العليم» اسم من أسماء الله، متضمن للعلم الكامل الذي لم يسبق بجهل ولا يلحقه نسيان، قال الله تعالى: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٢]، العلم الواسع المحيط بكل شيء جملة وتفصيلاً. سواء ما يتعلق بأفعاله أو أفعال خلقه، قال الله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام]، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود]، ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾ [التغابن].

ومثال ثالث: «الرحمٰن» اسم من أسماء الله تعالى، متضمن للرحمة الكاملة، التي قال عنها رسول الله ﷺ: **«لله أرحم بعباده من هذه بولدها»** يعني أم صبي وجدته في السبي فأخذته وألصقته ببطنها وأرضعته. ومتضمن أيضاً للرحمة الواسعة التي قال الله عنها: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف

١٥٦]، وقال عن دعاء الملائكة للمؤمنين: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧].

والحُسْنُ في أسماء الله تعالى يكون باعتبار كل اسم على انفراده، ويكون باعتبار جمعه إلى غيره، فيحصل بجمع الاسم إلى الآخر كمال فوق كمال.

مثال ذلك: «العزيز الحكيم» فإن الله تعالى يجمع بينهما في القرآن كثيراً. فيكون كل منهما دالاً على الكمال الخاص الذي يقتضيه، وهو العزة في العزيز، والحكم والحكمة في الحكيم. والجمع بينهما دال على كمال آخر، وهو أن عزته تعالى مقرونة بالحكمة، فعزته لا تقتضي ظلماً وجوراً وسوء فعل، كما قد يكون من أعزاء المخلوقين، فإن العزيز منهم قد تأخذه العزة بالإثم فيظلم ويجور ويسيء التصرف. وكذلك حكمه تعالى وحكمته مقرونان بالعز الكامل، بخلاف حكم المخلوق وحكمته فإنهما يعتريهما الذل.

القاعدة الثانية: أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف

أعلام باعتبار دلالتها على الذات.

وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني.

وهي بالاعتبار الأول مترادفة. لدلالتها على مسمى واحد، وهو الله ﷻ، وبالاعتبار الثاني متباينة، لدلالة كل واحد منهما على معناه الخاص.

فـ«الحي، العليم، القدير، السميع، البصير، الرحمٰن، الرحيم، العزيز، الحكيم»، كلها أسماء لمسمى واحد وهو الله سبحانه وتعالى، لكن معنى الحي غير معنى العليم، ومعنى العليم غير معنى القدير، وهكذا.

وإنما قلنا بأنها أعلام وأوصاف لدلالة القرآن عليها، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الأحقاف: ٨]، وقوله: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨]، فإن الآية الثانية دلت على أن الرحيم هو المتصف بالرحمة. ولإجماع أهل اللغة والعرف أنه لا يقال: عليم إلا لمن علم، ولا سميع إلا لمن سمع، ولا بصير إلا لمن له بصر. وهذا أمر أبين من أن يحتاج إلى دليل.

وبهذا علم ضلال من سلبوا أسماء الله تعالى معانيها من أهل التعطيل،

وقالوا: إن الله تعالى سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر، وعزيز بلا عزة، وهكذا. وعللوا ذلك بأن ثبوت الصفات يستلزم تعدد القدماء. وهذه العلة عليلة، بل ميتة لدلالة السمع والعقل على بطلانها.

أما السمع فلأن الله تعالى وصف نفسه بأوصاف كثيرة مع أنه الواحد الأحد. فقال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦﴾ [البروج]، وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾ [الأعلى].

ففي هذه الآيات الكريمة أوصاف كثيرة لموصوف واحد، ولم يلزم من ثبوتها تعدد القدماء.

وأما العقل: فلأن الصفات ليست ذوات بائنة من الموصوف حتى يلزم من ثبوتها التعدد، وإنما هي من صفات من اتصف بها فهي قائمة به، وكل موجود فلا بد له من تعدد صفاته، ففيه صفة الوجود، وكونه واجب الوجود أو ممكن الوجود، وكونه عيناً قائماً بنفسه أو وصفاً في غيره

وبهذا أيضاً علم أن «الدهر» ليس من أسماء الله تعالى، لأنه اسم جامد لا يتضمن معنى يلحقه بالأسماء الحسنى، ولأنه اسم للوقت والزمن، قال الله تعالى عن منكري البعث: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] يريدون: مرور الليالي والأيام.

فأما قوله ﷺ: قال الله ﷻ: «**يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار**»، فلا يدل على أن الدهر من أسماء الله تعالى. وذلك أن الذين يسبون الدهر إما يريدون الزمان الذي هو محل الحوادث، لا يريدون الله تعالى، فيكون معنى قوله: «وأنا الدهر» ما فسره بقوله: «بيدي الأمر أقلب الليل والنهار»، فهو سبحانه خالق الدهر وما فيه، وقد بين أنه يقلب الليل والنهار وهما الدهر، ولا يمكن أن يكون المقلِّب (بكسر اللام) هو المقلَّب (بفتحها)، وبهذا تبين أنه يمتنع أن يكون الدهر في هذا الحديث مراداً به الله تعالى.

القاعدة الثالثة:

أسماء الله تعالى إن دلت على وصف متعدٍّ تضمنت ثلاثة أمور:

أحدها: ثبوت ذلك الاسم لله ﷻ.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله ﷻ.

الثالث: ثبوت حكمها ومقتضاها.

ولهذا استدل أهل العلم على سقوط الحد عن قطاع الطريق بالتوبة، استدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [المائدة]، لأن مقتضى هذين الاسمين أن يكون الله تعالى قد غفر لهم ذنوبهم، ورحمهم بإسقاط الحد عنهم.

مثال ذلك: «السميع» يتضمن إثبات السميع اسماً لله تعالى، وإثبات السمع صفة له، وإثبات حكم ذلك ومقتضاه، وهو أنه يسمع السر والنجوى، كما قال تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

وإن دلت على وصف غير متعدٍّ تضمنت أمرين:

أحدهما: ثبوت ذلك الاسم لله ﷻ.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله ﷻ.

مثال ذلك: «الحي» يتضمن إثبات الحي اسماً لله ﷻ وإثبات الحياة صفة له.

القاعدة الرابعة: دلالة أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة، وبالتضمن، وبالالتزام.

مثال ذلك: «الخالق» يدل على ذات الله، وعلى صفة الخلق بالمطابقة، ويدل على الذات وحدها وعلى صفة الخلق وحدها بالتضمن، ويدل على صفتي العلم والقدرة بالالتزام.

ولهذا لما ذكر الله خلق السماوات والأرض قال: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

ودلالة الالتزام مفيدة جداً لطالب العلم إذا تدبر المعنى، ووفقه الله تعالى فهماً للتلازم، فإنه بذلك يحصل من الدليل الواحد على مسائل كثيرة.

واعلم أن اللازم من قول الله تعالى وقول رسوله ﷺ إذا صح أن يكون لازماً فهو حق، وذلك لأن كلام الله ورسوله ﷺ حقٌ، ولازمُ الحق حق، ولأن الله تعالى عالم بما يكون لازماً من كلامه وكلام رسوله ﷺ، فيكون مراداً.

وأما اللازم من قول أحد سوى قول الله ورسوله ﷺ فله ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يذكر للقائل ويلتزم به. مثل أن يقول: من ينفي الصفات الفعلية لمن يثبتها، يلزم من إثباتك الصفات الفعلية لله ﷻ أن يكون من أفعاله ما هو حادث. فيقول المثبت: نعم، وأنا ألتزم بذلك، فإن الله تعالى لم يزل ولا يزال فعالاً لما يريد، ولا نفاد لأقواله وأفعاله كما قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: ١٠٩]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان].

وحدوث آحاد فعله تعالى لا يستلزم نقصاً في حقه.

الحالة الثانية: أن يذكر له ويمنع التلازم بينه وبين قوله. مثل أن يقول النافي للصفات لمن يثبتها: يلزم من إثباتك أن يكون الله تعالى مشابهاً للخلق في صفاته. فيقول المثبت: لا يلزم ذلك، لأن صفات الخالق مضافة إليه، لم تذكر مطلقة حتى يمكن ما ألزمت به، وعلى هذا فتكون مختصة به لائقة به. كما أنك أيها النافي للصفات تثبت لله تعالى ذاتاً وتمنع أن يكون مشابهاً للخلق في ذاته، فأي فرق بين الذات والصفات؟

وحكم اللازم في هاتين الحالين ظاهر.

الحالة الثالثة: أن يكون اللازم مسكوتاً عنه، فلا يذكر بالتزام ولا منع. فحكمه في هذه الحال أن لا ينسب إلى القائل، لأنه يحتمل لو ذكر له أن يلتزم به أو يمنع التلازم، ويحتمل لو ذكر له فتبين له لازمه وبطلانه أن يرجع عن قوله، لأن فساد اللازم يدل على فساد الملزوم.

ولورود هذين الاحتمالين لا يمكن الحكم بأن لازم القول قول.

فإن قيل: إذا كان هذا اللازم لازماً من قوله، لزم أن يكون قولاً له لأن ذلك هو الأصل، لا سيما مع قرب التلازم.

قلنا: هذا مدفوع بأن الإنسان بشر وله حالات نفسية وخارجية توجب الذهول عن اللازم، فقد يغفل أو يسهو، أو ينغلق فكره، أو يقول القول في مضايق المناظرات من غير تفكير في لوازمه ونحو ذلك.

القاعدة الخامسة: أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها

وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزاد فيها ولا ينقص، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على النص، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء]، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف]، ولأن تسميته تعالى بما لم يُسَمِّ به نفسه أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى، فوجب سلوك الأدب في ذلك، والاقتصار على ما جاء به النص.

القاعدة السادسة: أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين

لقوله ﷺ في الحديث المشهور: «**أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»، الحديث رواه أحمد وابن حبان والحاكم، وهو صحيح.

وما استأثر الله تعالى به في علم الغيب لا يمكن أحداً حصره ولا الإحاطة به.

فأما قوله ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة**»، فلا يدل على حصر الأسماء بهذا العدد، ولو كان المراد الحصر

لكانت العبارة: إن أسماء الله تسعة وتسعون اسماً، من أحصاها دخل الجنة، أو نحو ذلك.

إذاً فمعنى الحديث: أن هذا العدد من شأنه أن من أحصاه دخل الجنة. وعلى هذا فيكون قوله: **«من أحصاها دخل الجنة»** جملة مكملة لما قبلها وليست مستقلة. ونظير هذا أن تقول: عندي مائة درهم أعددتها للصدقة، فإنه لا يمنع أن يكون عندك دراهم أخرى لم تعدها للصدقة.

ولم يصح عن النبي ﷺ تعيين هذه الأسماء، والحديث المروي عنه في تعيينها ضعيف.

قال شيخ الإسلام ابن تيميه في الفتاوى (ص ٣٨٢، ج ٦) من مجموع ابن قاسم: (تعيينها ليس من كلام النبي ﷺ باتفاق أهل المعرفة بحديثه)، وقال قبل ذلك (ص ٣٧٩): (إن الوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين، كما جاء مفسراً في بعض طرق حديثه) اهـ.

وقال ابن حجر في إحصاؤها: حفظها لفظاً، وفهمها معنىً، وتمامه: أن يتعبد لله تعالى بمقتضاها.

ولما لم يصح تعيينها عن النبي ﷺ اختلف السلف فيه، ورُوِيَ عنهم في ذلك أنواع، وقد جمعتُ تسعة وتسعين اسماً مما ظهر لي من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

فمن كتاب الله تعالى

الله ... الأحد ... الأعلى ... الأكرم ... الإله ... الأول

الآخر ... الظاهر ... الباطن ... البارئ ... البر ... البصير

التواب ... الجبار ... الحافظ ... الحسيب ... الحفيظ ... الحفي

الحق ... المبين ... الحكيم ... الحليم ... الحميد ... الحي

القيوم ... الخبير ... الخالق ... الخلاق ... الرؤوف ... الرحمٰن

الرحيم ... الرزاق ... الرقيب ... السلام ... السميع ... الشاكر

الشكور ... الشهيد ... الصمد ... العالم ... العزيز ... العظيم

العفو ... العليم ... العلي ... الغفار ... الغفور ... الغني

الفتاح ... القادر ... القاهر ... القدوس ... القدير ... القريب

القوي ... القهار ... الكبير ... الكريم ... اللطيف ... المؤمن

المتعالي ... المتكبر ... المتين ... المجيب ... المجيد ... المحيط

المصور ... المقتدر ... المقيت ... الملك ... المليك ... المولى

المهيمن ... النصير ... الواحد ... الوارث ... الواسع ... الودود

الوكيل ... الولي ... الوهاب ... ...

ومن سنة رسول الله ﷺ:

الجميل... الجواد... الحكم... الحييُ... الرب... الرفيق... السُّبوح... السيد... الشافي... الطيب... القابض... الباسط... المقدم... المؤخر... المحسن... المعطي... المنان... الوتر.

هذا ما اخترناه بالتتبع: واحد وثمانون اسماً في كتاب الله تعالى، وثمانية عشر اسماً في سنة رسول الله ﷺ، وإن كان عندنا تردد في إدخال (الحفي)، لأنه إنما ورد مقيداً في قوله تعالى عن إبراهيم: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧]، وكذلك (المحسن) لأننا لم نطلع على رواته في الطبراني، وقد ذكره شيخ الإسلام من الأسماء.

ومن أسماء الله تعالى ما يكون مضافاً مثل: مالك الملك، ذي الجلال والإكرام.

القاعدة السابعة:

الإلحاد في أسماء الله تعالى هو الميل بها عما يجب فيها

وهو أنواع:

الأول: أن ينكر شيئاً منها أو مما دلت عليه من الصفات والأحكام.

كما فعل أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم. وإنما كان ذلك إلحاداً

لوجوب الإيمان بها وبما دلت عليه من الأحكام والصفات اللائقة بالله، فإنكار شيء من ذلك ميل بها عما يجب فيها.

الثاني: أن يجعلها دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين.

كما فعل أهل التشبيه، وذلك لأن التشبيه معنى باطل لا يمكن أن تدل عليه النصوص، بل هي دالة على بطلانه، فجعلها دالة عليه ميل بها عما يجب فيها.

الثالث: أن يسمي الله تعالى بما لم يسم به نفسه.

كتسمية النصارى له: (الأب)، وتسمية الفلاسفة إياه (العلة الفاعلة)، وذلك لأن أسماء الله تعالى توقيفية، فتسمية الله تعالى بما لم يسم به نفسه ميل بها عما يجب فيها، كما أن هذه الأسماء التي سموه بها نفسها باطلة، ينزه الله تعالى عنها.

الرابع: أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام.

كما فعل المشركون في اشتقاق العزى من العزيز، واشتقاق اللات من الإله على أحد القولين، فسموا بها أصنامهم، وذلك لأن أسماء الله تعالى مختصة به، لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه]، وقوله: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحشر: ٢٤]، فكما اختص بالعبادة وبالألوهية الحقة، وبأنه يسبح له ما في السماوات والأرض، فهو مختص بالأسماء الحسنى، فتسمية غيره بها على الوجه الذي يختص بالله ﷻ ميل بها عما يجب فيها.

والإلحاد بجميع أنواعه محرم، لأن الله تعالى هَدَّدَ الملحدين بقوله: ﴿وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ومنه ما يكون شركاً أو كفراً حسبما تقتضيه الأدلة الشرعية.

* * *

قواعد في صفات الله تعالى

القاعدة الأولى: صفات الله تعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه

كالحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والرحمة، والعزة، والحكمة، والعلو، والعظمة، وغير ذلك.

وقد دل على هذا: السمع والعقل والفطرة.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [النحل]، والمثل الأعلى: هو الوصف الأعلى.

وأما العقل: فوجهه أن كل موجود حقيقة، فلا بد أن تكون له صفة، إما صفة كمال وإما صفة نقص، والثاني باطل بالنسبة إلى الرب الكامل المستحق للعبادة، ولهذا أظهر الله تعالى بطلان ألوهية الأصنام باتصافها بالنقص والعجز، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأحقاف]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ [النحل].

وقال عن إبراهيم وهو يحتج على أبيه: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢]، وعلى قومه: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء].

ثم إنه قد ثبت بالحس والمشاهدة: أن للمخلوق صفات كمال، وهي من الله تعالى، فمعطي الكمال أولى به.

وأما الفطرة: فلأن النفوس السليمة مجبولة مفطورة على محبة الله وتعظيمه وعبادته، وهل تُحِب وتُعَظِّم وتَعْبُد إلا من علمت أنه متصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته؟

وإذا كانت الصفة نقصاً لا كمال فيها فهي ممتنعة في حق الله تعالى، كالموت، والجهل، والنسيان، والعجز، والعمى، والصمم، ونحوها، لقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقوله عن موسى: ﴿فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٤]، وقوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف].

وقال النبي ﷺ في الدجال: «إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور»، وقال: «أيها الناس، اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً».

وقد عاقب الله تعالى الواصفين له بالنقص، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقوله: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ [آل عمران].

ونزّه نفسه عما يصفونه به من النقائص، فقال سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات]، وقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون].

وإذا كانت الصفة كمالاً في حال، ونقصاً في حال لم تكن جائزة في حق الله، ولا ممتنعة على سبيل الإطلاق، فلا تُثْبَت له إثباتاً مطلقاً، ولا تُنْفَى عنه نفياً مطلقاً، بل لا بد من التفصيل: فتجوز في الحال التي تكون كمالاً، وتمتنع في الحال التي تكون نقصاً، وذلك كالمكر، والكيد، والخداع، ونحوها.

فهذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها، لأنها حينئذٍ تدل على أن فاعلها قادر على مقابلة عدوه بمثل فعله، أو أشد، وتكون نقصاً في غير هذه الحال، ولهذا لم يذكرها الله تعالى من صفاته على سبيل الإطلاق، وإنما ذكرها في مقابلة من يعاملونه ورسله بمثلها، كقوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال]، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ [الطارق]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ [الأعراف]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقوله: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤ ـ ١٥].

ولهذا لم يذكر الله أنه خان من خانوه، فقال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [الأنفال]، فقال: ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ﴾، ولم يقل: فخانهم. لأن الخيانة خدعة في مقام الائتمان، وهي صفة ذم مطلقاً.

وبذا عرف أن قول بعض العوام: خان الله من يخون. منكر فاحش يجب النهي عنه

القاعدة الثانية: باب الصفات أوسع من باب الأسماء

وذلك: لأن كل اسم متضمن لصفة كما سبق في القاعدة الثالثة من قواعد الأسماء، ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى، وأفعاله لا منتهى لها، كما أن أقواله لا منتهى لها، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان].

ومن أمثلة ذلك: أن من صفات الله تعالى: المجيء، والإتيان، والأخذ، والإمساك، والبطش، إلى غير ذلك من الصفات التي لا تحصى، كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وقال: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ﴾ [آل عمران: ١١]، وقال

تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [الحج: ٦٥]، وقال: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢﴾ [البروج]، وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقال النبي ﷺ: «**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا**».

فنصف الله تعالى بهذه الصفات على الوجه الوارد، ولا نسميه بها، فلا نقول: إن من أسمائه الجائي، والآتي، والآخذ، والممسك، والباطش، والمريد، والنازل، ونحو ذلك، وإن كنا نخبر بذلك عنه ونصفه به.

القاعدة الثالثة:

صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين: ثبوتية، وسلبية.

فالثبوتية: ما أثبت الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالحياة، والعلم، والقدرة، والاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والوجه، واليدين، ونحو ذلك.

فيجب إثباتها لله تعالى حقيقة على الوجه اللائق به، بدليل السمع والعقل.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝١٣٦﴾ [النساء: ١٣٦].

فالإيمان بالله يتضمن: الإيمان بصفاته، والإيمان بالكتاب الذي نزل على رسوله ﷺ يتضمن: الإيمان بكل ما جاء فيه من صفات الله، وكون محمد ﷺ رسوله يتضمن: الإيمان بكل ما أخبر به عن مرسله، وهو الله ﷻ.

وأما العقل: فلأن الله تعالى أخبر بها عن نفسه، وهو أعلم بها من غيره، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً من غيره، فوجب إثباتها له كما أخبر بها من غير تردد، فإن التردد في الخبر إنما يتأتى حين يكون الخبر صادراً ممن يجوز عليه الجهل أو الكذب أو العيّ، بحيث لا يفصح بما يريد، وكل هذه العيوب الثلاثة ممتنعة في حق الله ﷻ، فوجب قبول خبره على ما أخبر به.

وهكذا نقول فيما أخبر به النبي ﷺ عن الله تعالى، فإن النبي ﷺ أعلم

الناس بربه، وأصدقهم خبراً، وأنصحهم إرادة، وأفصحهم بياناً، فوجب قبول ما أخبر به على ما هو عليه.

والصفات السلبية: ما نفاها الله سبحانه عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، وكلها صفات نقص في حقه، كالموت، والنوم، والجهل، والنسيان، والعجز، والتعب. فيجب نفيها عن الله تعالى ـ لما سبق ـ مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل، وذلك لأن ما نفاه الله تعالى عن نفسه فالمراد به بيان انتفائه لثبوت كمال ضده لا لمجرد نفيه، لأن النفي ليس بكمال إلا أن يتضمن ما يدل على الكمال، وذلك لأن النفي عدم، والعدم ليس بشيء فضلاً عن أن يكون كمالاً، ولأن النفي قد يكون لعدم قابلية المحل له فلا يكون كمالاً، كما لو قلت: الجدار لا يظلم. وقد يكون للعجز عن القيام به فيكون نقصاً، كما في قول الشاعر:

قُبَيِّلَةٌ لا يغدرون بذمّة ولا يظلمون الناس حبة خردل

وقول الآخر:

لكن قومي وإن كانوا ذوي حسب ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، فنفي الموت عنه يتضمن كمال حياته.

مثال آخر، قوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، نفي الظلم عنه يتضمن كمال عدله.

مثال ثالث: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٤]، فنفي العجز عنه يتضمن كمال علمه وقدرته، ولهذا قال بعده: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، لأن العجز سببه: إما الجهل بأسباب الإيجاد، وإما قصور القدرة عنه، فلكمال علم الله تعالى وقدرته لم يكن ليعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض.

وبهذا المثال علمنا أن الصفة السلبية قد تتضمن أكثر من كمال.

القاعدة الرابعة: الصفات الثبوتية صفات مدح وكمال

فكلما كثرت وتنوعت دلالاتها ظهر من كمال الموصوف بها ما هو أكثر، ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر بكثير من الصفات السلبية كما هو معلوم.

أما الصفات السلبية فلم تذكر غالباً إلا في الأحوال التالية:

الأولى: بيان عموم كماله، كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص].

الثانية: نفي ما ادعاه في حقه الكاذبون، كما في قوله: ﴿أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢﴾ [مريم].

الثالثة: دفع توهم نقص من كماله فيما يتعلق بهذا الأمر المعيّن، كما في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝٣٨﴾ [الدخان]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ۝٣٨﴾ [ق].

القاعدة الخامسة:
الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: ذاتية، وفعلية

فالذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها، كالعلم والقدرة والسمع والبصر والعزة والحكمة والعلو والعظمة. ومنها الصفات الخبرية: كالوجه واليدين والعينين.

والفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا.

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام، فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية، لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلماً، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية، لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يس]. وكل صفة تعلقت بمشيئته تعالى فإنها تابعة لحكمته.

وقد تكون الحكمة معلومة لنا، وقد نعجز عن إدراكها، ولكننا نعلم علم اليقين أنه سبحانه لا يشاء شيئاً إلا وهو موافق للحكمة، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإنسان].

القاعدة السادسة:

يلزم في إثبات الصفات التخلي عن محذورين عظيمين

أحدهما: التمثيل

والثاني: التكييف.

فأما التمثيل: فهو اعتقاد المثبت أن ما أثبته من صفات الله تعالى مماثل لصفات المخلوقين. وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل]، وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص].

وأما العقل فمن وجوه:

الأول: أنه قد علم بالضرورة أن بين الخالق والمخلوق تبايناً في الذات، وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات، لأن صفة كل موصوف تليق به، كما هو ظاهر في صفات المخلوقات المتباينة في الذوات، فقوة البعير مثلاً غير قوة الذرّة، فإذا ظهر التباين بين المخلوقات مع اشتراكها في الإمكان والحدوث، فظهور التباين بينها وبين الخالق أجلى وأقوى.

الثاني: أن يقال: كيف يكون الرب الخالق الكامل من جميع الوجوه مشابهاً في صفاته للمخلوق المربوب الناقص المفتقر إلى من يُكَمِّله؟، وهل اعتقاد ذلك إلا تنقص لحق الخالق، فإن تشبيه الكامل بالناقص يجعله ناقصاً.

الثالث: أننا نشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية، فنشاهد أن للإنسان يداً ليست كيد الفيل، وله قوة ليست كقوة الجمل، مع الاتفاق في الاسم. فهذه يد وهذه يد، وهذه قوة وهذه قوة، وبينهما

تباين في الكيفية والوصف، فعلم بذلك أن الاتفاق في الاسم لا يلزم منه الاتفاق في الحقيقة.

والتشبيه كالتمثيل، وقد يفرق بينهما بأن التمثيل التسوية في كل الصفات، والتشبيه التسوية في أكثر الصفات، لكن التعبير بنفي التمثيل أولى لموافقة القرآن: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

وأما التكييف: فهو أن يعتقد المثبت أن كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا، من غير أن يقيدها بمماثل. وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء]، ومن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفات ربنا، لأنه تعالى أخبرنا عنها ولم يخبرنا عن كيفيتها، فيكون تكييفنا قفواً لما ليس لنا به علم، وقولاً بما لا يمكننا الإحاطة به.

وأما العقل: فلأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته، أو العلم بنظيره المساوي له، أو بالخبر الصادق عنه. وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله ﷻ، فوجب بطلان تكييفها.

وأيضاً فإننا نقول: أيُّ كيفية تقدرها لصفات الله تعالى؟

إن أيَّ كيفية تقدرها في ذهنك فالله أعظم وأجل من ذلك.

وأيَّ كيفية تقدرها لصفات الله تعالى فإنك ستكون كاذباً فيها، لأنه لا علم لك بذلك.

وحينئذ يجب الكف عن التكييف تقديراً بالجنان، أو تقريراً باللسان وتحريراً بالبنان.

ولهذا لما سئل مالك رحمه الله تعالى عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه]، كيف استوى؟ أطرق رحمه الله برأسه حتى علاه الرحضاء (العرق) ثم قال: (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعه)، ورُوِيَ عن شيخه ربيعة أيضاً: (الاستواء غير

مجهول، والكيف غير معقول). وقد مشى أهل العلم بعدهما على هذا الميزان. وإذا كان الكيف غير معقول ولم يرد به الشرع، فقد انتفى عنه الدليلان العقلي والشرعي، فوجب الكف عنه.

فالحذر الحذر من التكييف أو محاولته، فإنك إن فعلت وقعت في مفاوز لا تستطيع الخلاص منها، وإن ألقاه الشيطان في قلبك فاعلم أنه من نزغاته، فالجأ إلى ربك فإنه معاذك، وافعل ما أمرك به فإنه طبيبك، قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت].

القاعدة السابعة:
صفات الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها

فلا نثبت لله تعالى من الصفات إلا ما دل الكتاب والسنة على ثبوته، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: (لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، لا يتجاوز القرآن والحديث). انظر: القاعدة الخامسة في الأسماء.

ولدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة أوجه:

الأول: التصريح بالصفة، كالعزة والقوة والرحمة والبطش والوجه واليدين، ونحوها.

الثاني: تضمن الاسم لها، مثل: الغفور متضمن للمغفرة، والسميع متضمن للسمع، ونحو ذلك. انظر: القاعدة الثالثة في الأسماء.

الثالث: التصريح بفعل أو وصف دال عليها، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة، والانتقام من المجرمين، الدال عليها على الترتيب قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه]، وقول النبي ﷺ: «**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا**» الحديث.

وقول الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر]، وقوله: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

قواعد في أدلة الأسماء والصفات

القاعدة الأولى:

الأدلة التي تثبت بها أسماء الله تعالى وصفاته هي كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، فلا تثبت أسماء الله وصفاته بغيرهما.

وعلى هذا: فما ورد إثباته لله تعالى من ذلك في الكتاب والسنة وجب إثباته.

وما ورد نفيه فيهما وجب نفيه مع إثبات كمال ضده.

وما لم يرد إثباته ولا نفيه فيهما وجب التوقف في لفظه، فلا يثبت ولا ينفى، لعدم ورود الإثبات والنفي فيه.

وأما معناه: فيفصل فيه؛ فإن أريد به حقٌّ يليق بالله تعالى فهو مقبول، وإن أريد به معنىً لا يليق بالله ﷻ وجب ردّه.

فمما ورد إثباته لله تعالى: كل صفة دل عليها اسم من أسماء الله تعالى دلالة مطابقة أو تضمن أو التزام.

ومنه كل صفة دل عليها فعل من أفعاله، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين عباده يوم القيامة، ونحو ذلك من أفعاله التي لا تحصى أنواعها، فضلاً عن أفرادها ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

ومنه: الوجه والعينان واليدان ونحوها.

ومنه: الكلام والمشيئة والإرادة بقسميها الكوني والشرعي.

فالكونية: بمعنى المشيئة. والشرعية: بمعنى المحبة.

ومنه: الرضا والمحبة والغضب والكراهة ونحوها.

ومما ورد نفيه عن الله سبحانه لانتفائه وثبوت كمال ضده: الموت والنوم والسنة والعجز والإعياء والظلم والغفلة عن أعمال العباد، وأن يكون له مثيل أو كفؤٌ، أو نحو ذلك.

ومما لم يرد إثباته ولا نفيه لفظ: (الجهة)، فلو سأل سائل: هل نثبت لله تعالى جهة؟

قلنا له: لفظ الجهة لم يرد في الكتاب والسنة إثباتاً ولا نفياً، ويُغني عنه ما ثبت فيهما من أن الله تعالى في السماء. وأما معناه فإما أن يراد به جهة سفل أو جهة علو تحيط بالله، أو جهة علو لا تحيط به.

فالأول باطل، لمنافاته لعلو الله تعالى الثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع.

والثاني باطل أيضاً، لأن الله تعالى أعظم من أن يحيط به شيء من مخلوقاته.

والثالث حق، لأن الله تعالى العلي فوق خلقه ولا يحيط به شيء من مخلوقاته.

ودليل هذه القاعدة السمع والعقل.

فأما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام]، وقوله: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، وقوله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء]، وقوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وقوله: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٩].

إلى غير ذلك من النصوص الدالة على وجوب الإيمان بما جاء في القرآن والسنة.

وكل نص يدل على وجوب الإيمان بما جاء في القرآن فهو دال على وجوب الإيمان بما جاء في السنة، لأن مما جاء في القرآن الأمر باتباع النبي ﷺ والرد إليه عند التنازع. والرد إليه يكون إليه نفسه في حياته والى سنته بعد وفاته.

فأين الإيمان بالقرآن لمن استكبر عن اتباع الرسول ﷺ المأمور به في القرآن؟

وأين الإيمان بالقرآن لمن لم يرد النزاع إلى النبي ﷺ وقد أمر الله به في القرآن؟

وأين الإيمان بالرسول ﷺ الذي أمر به القرآن لمن لم يقبل ما جاء في سنته؟

ولقد قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، ومن المعلوم أن كثيراً من أمور الشريعة العلمية والعملية جاء بيانه بالسنة، فيكون بيانها بالسنة من تبيان القرآن.

وأما العقل فنقول: إن تفصيل القول فيما يجب أو يمتنع أو يجوز في حق الله تعالى من أمور الغيب التي لا يمكن إدراكها بالعقل، فوجب الرجوع فيه إلى ما جاء في الكتاب والسنة.

القاعدة الثانية:

الواجب في نصوص القرآن والسنة إجراؤها على ظاهرها دون تحريف، لا سيما نصوص الصفات، حيث لا مجال للرأي فيها.

ودليل ذلك: السمع والعقل.

أما السمع: فقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف]، وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الزخرف]، وهذا يدل على وجوب فهمه على ما يقتضيه ظاهره باللسان العربي إلا أن يمنع منه دليل شرعي.

وقد ذم الله تعالى اليهود على تحريفهم، وبيّن أنهم بتحريفهم من أبعد الناس عن الإيمان، فقال: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة:]، وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [النساء: ٤٦].

وأما العقل فلأن المتكلم بهذه النصوص أعلم بمراده من غيره، وقد خاطبنا باللسان العربي المبين، فوجب قبوله على ظاهره، وإلا لاختلفت الآراء وتفرقت الأمة.

القاعدة الثالثة:

ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار ومجهولة لنا باعتبار آخر.

فباعتبار المعنى هي معلومة. وباعتبار الكيفية التي هي عليها مجهولة.

وقد دل على ذلك السمع والعقل.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الزخرف]، وقوله جل ذكره: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]. والتدبر لا يكون إلا فيما يمكن الوصول إلى فهمه ليتذكر الإنسان بما فهمه منه.

وكون القرآن عربياً ليعقله من يفهم العربية، يدل على أن معناه معلوم، وإلا لما كان فرق بين أن يكون باللغة العربية أو غيرها.

وبيان النبي ﷺ القرآن للناس شامل لبيان لفظه وبيان معناه.

وأما العقل: فلأن من المحال أن يُنَزِّل الله تعالى كتاباً، أو يتكلم رسوله ﷺ بكلام (يقصد بهذا الكتاب وهذا الكلام أن يكون هداية للخلق)، ويبقى في أعظم الأمور وأشدها ضرورة مجهول المعنى، بمنزلة الحروف الهجائية التي لا يفهم منها شيء، لأن ذلك من السفه الذي تأباه حكمة الله تعالى، وقد قال الله تعالى عن كتابه: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

هذه دلالة السمع والعقل على علمنا بمعاني نصوص الصفات.

وأما دلالتهما على جهلنا لها باعتبار الكيفية فقد سبقت في القاعدة السادسة من قواعد الصفات.

وبهذا علم بطلان مذهب المفوضة الذين يفوضون علم معاني نصوص الصفات، ويَدَّعون أن هذا مذهب السلف. والسلف بريئون من هذا المذهب، وقد تواترت الأقوال عنهم بإثبات المعاني لهذه النصوص إجمالاً أحياناً، وتفصيلاً أحياناً، وتفويضهم الكيفية إلى علم الله ﷻ.

قال شيخ الإسلام ابن تيميه في كتابه المعروف بـ«العقل والنقل» (ص ١١٦، ج ١) المطبوع على هامش «منهاج السنة»: «وأما التفويض فمن المعلوم أن الله أمرنا بتدبر القرآن، وحضنا على عقله وفهمه، فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله» إلى أن قال (ص ١١٨): «وحينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن، أو كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه، بل يقولون كلاماً لا يعقلون معناه».

قال: «ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء، إذ كان الله أنزل القرآن وأخبر أنه جعله هدى وبياناً للناس، وأمر الرسول ﷺ أن يبلغ البلاغ المبين، وأن يبين للناس ما نُزِّل إليهم، وأمر بتدبر القرآن وعقله، ومع هذا فأشرف ما فيه وهو ما أخبر به الرب عن صفاته.. لا يعلم أحد معناه، فلا يعقل، ولا يتدبر، ولا يكون الرسول بَيَّنَ للناس ما نُزِّل إليهم، ولا بَلَّغ البلاغ المبين، وعلى هذا التقدير فيقول كل ملحد ومبتدع: الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي، وليس في النصوص ما يناقض ذلك، لأن تلك النصوص مشكلة متشابهة، ولا يعلم أحد معناها، وما لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يُسْتَدَل به، فيبقى هذا الكلام سداً لباب الهدى والبيان من جهة الأنبياء، وفتحاً لباب من يعارضهم، ويقول: إن الهدى والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء، لأننا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالأدلة العقلية، والأنبياء لم يعلموا ما يقولون فضلاً عن أن يبينوا مرادهم.

فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد» اهـ. كلام الشيخ، وهو كلام سديد من ذي رأي رشيد، وما عليه مزيد، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى رحمة واسعة، وجمعنا به في جنات النعيم.

القاعدة الرابعة:

ظاهر النصوص ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني وهو يختلف بحسب السياق، وما يضاف إليه الكلام، فالكلمة الواحدة يكون لها معنى في سياق ومعنى آخر في سياق، وتركيب الكلام يفيد معنى على وجه ومعنى آخر على وجه.

فلفظ (القرية) مثلاً يراد به القوم تارة، ومساكن القوم تارة أخرى.

فمن الأول قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٥٨].

ومن الثاني: قوله تعالى عن الملائكة ضيف إبراهيم: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ [العنكبوت: ٣١].

وتقول: صنعت هذا بيدي، فلا تكون اليد كاليد في قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، لأن اليد في المثال أضيفت إلى المخلوق فتكون مناسبة له، وفي الآية أضيفت إلى الخالق فتكون لائقة به، فلا أحد سليم الفطرة صريح العقل يعتقد أن يد الخالق كيد المخلوق، أو بالعكس.

وتقول: ما عندك إلا زيد، وما زيد إلا عندك. فتفيد الجملة الثانية معنى غير ما تفيده الأولى، مع اتحاد الكلمات، لكن اختلف التركيب فتغير المعنى به.

إذا تقرر هذا فظاهر نصوص الصفات ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني.

وقد انقسم الناس فيه إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من جعلوا الظاهر المتبادر منها معنى حقاً يليق بالله ﷻ، وأبقوا دلالتها على ذلك، وهؤلاء هم السلف الذين اجتمعوا على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، والذين لا يَصْدُقُ لقب أهل السنة والجماعة إلا عليهم.

وقد أجمعوا على ذلك، كما نقله ابن عبدالبر فقال: «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها

على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة» اهـ.

وقال القاضي أبو يعلى في كتاب «إبطال التأويل»: «لا يجوز رد هذه الأخبار، ولا التشاغل بتأويلها، والواجب حملها على ظاهرها، وأنها صفات الله لا تشبه صفات سائر الموصوفين بها من الخلق، ولا يعتقد التشبيه فيها، لكن على ما رُوِيَ عن الإمام أحمد وسائر الأئمة) اهـ.

نقل ذلك عن ابن عبدالبر والقاضي شيخ الإسلام ابن تيميه في «الفتوى الحموية» (ص ٨٧ ـ ٨٩، ج ٥ «من» مجموع الفتاوى) لابن القاسم.

وهذا هو المذهب الصحيح والطريق القويم الحكيم، وذلك لوجهين:

الأول: أنه تطبيق تام لما دل عليه الكتاب والسنة من وجوب الأخذ بما جاء فيهما من أسماء الله وصفاته، كما يعلم ذلك من تتبعه بعلم وإنصاف.

الثاني: أن يقال: إن الحق إما أن يكون فيما قاله السلف، أو فيما قاله غيرهم. والثاني باطل، لأنه يلزم منه أن يكون السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان تكلموا بالباطل تصريحاً أو ظاهراً، ولم يتكلموا مرة واحدة لا تصريحاً ولا ظاهراً بالحق الذي يجب اعتقاده. وهذا يستلزم أن يكونوا إما جاهلين بالحق، وإما عالمين به لكن كتموه، وكلاهما باطل، وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم، فتعين أن يكون الحق فيما قاله السلف دون غيرهم.

القسم الثاني: من جعلوا الظاهر المتبادر من نصوص الصفات معنى باطلاً لا يليق بالله، وهو التشبيه، وأبقوا دلالتها على ذلك. وهؤلاء هم المشبهة، ومذهبهم باطل، محرم من عدة أوجه:

الأول: أنه جناية على النصوص، وتعطيل لها عن المراد بها، فكيف يكون المراد بها التشبيه وقد قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

الثاني: أن العقل دل على مباينة الخالق للمخلوق في الذات والصفات، فكيف يحكم بدلالة النصوص على التشابه بينهما؟

الثالث: أن هذا المفهوم الذي فهمه المشبه من النصوص مخالف لما فهمه السلف منها، فيكون باطلاً.

فإن قال المشبِّه: أنا لا أعقل من نزول الله ويده إلا مثل ما للمخلوق من ذلك، والله تعالى لم يخاطبنا إلا بما نعرفه ونعقله.

فجوابه من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الذي خاطبنا بذلك هو الذي قال عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ونهى عباده أن يضربوا له الأمثال، أو يجعلوا له أنداداً فقال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل]، وقال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]. وكلامه تعالى كله حق، يصدق بعضه بعضاً ولا يتناقض.

ثانيها: أن يقال له: ألست تعقل لله ذاتاً لا تشبه الذوات؟ فسيقول: بلى. فيقال له: فلتعقل له صفات لا تشبه الصفات، فإن القول في الصفات كالقول في الذات، ومن فرق بينهما فقد تناقض.

ثالثها: أن يقال: ألست تشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية؟ فسيقول: بلى. فيقال له: إذا عقلت التباين بين المخلوقات في هذا، فلماذا لا تعقله بين الخالق والمخلوق، مع أن التباين بين الخالق والمخلوق أظهر وأعظم، بل التماثل مستحيل بين الخالق والمخلوق، كما سبق في القاعدة السادسة من قواعد الصفات.

القسم الثالث: من جعلوا المعنى المتبادر من نصوص الصفات معنى باطلاً لا يليق بالله، وهو التشبيه، ثم إنهم من أجل ذلك أنكروا ما دلت عليه من المعنى اللائق بالله. وهم أهل التعطيل، سواء كان تعطيلهم عاماً في الأسماء والصفات، أم خاصاً فيهما، أو في أحدهما. فهؤلاء صرفوا النصوص عن ظاهرها إلى معاني عينوها بعقولهم، واضطربوا في تعيينها اضطراباً كثيراً، وسموا ذلك تأويلاً وهو في الحقيقة تحريف.

ومذهبهم باطل من وجوه:

أحدها: أنه جناية على النصوص، حيث جعلوها دالة على معنى باطل غير لائق بالله ولا مراد له.

الثاني: أنه صرف لكلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ عن ظاهره، والله تعالى خاطب الناس بلسان عربي مبين ليعقلوا الكلام ويفهموه على ما يقتضيه هذا اللسان العربي، والنبي ﷺ خاطبهم بأفصح لسان البشر، فوجب حمل كلام الله ورسوله ﷺ على ظاهره المفهوم بذلك اللسان العربي، غير أنه يجب أن يصان عن التكييف والتمثيل في حق الله ﷻ.

الثالث: أن صرف كلام الله ورسوله ﷺ عن ظاهره إلى معنى يخالفه قول على الله بلا علم، وهو محرم لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف]، ولقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء].

فالصارف لكلام الله تعالى ورسوله ﷺ عن ظاهره إلى معنى يخالفه قد قفا ما ليس له به علم، وقال على الله ما لا يعلم من وجهين:

الأول: أنه زعم أنه ليس المراد بكلام الله تعالى ورسوله ﷺ كذا، مع أنه ظاهر الكلام.

الثاني: أنه زعم أن المراد به كذا لمعنى آخر لا يدل عليه ظاهر الكلام.

وإذا كان من المعلوم أن تعيين أحد المعنيين المتساويين في الاحتمال قولٌ بلا علم، فما ظنك بتعيين المعنى المرجوح المخالف لظاهر الكلام؟

مثال ذلك: قوله تعالى لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، فإذا صرف الكلام عن ظاهره وقال: لم يرد باليدين اليدين الحقيقيتين، وإنما أراد كذا وكذا. قلنا له: ما دليلك على ما نفيت؟ وما دليلك على ما أثبت؟ فإن أتى بدليل وأنّى له ذلك، وإلا كان قائلاً على الله بلا علم في نفيه وإثباته.

الوجه الرابع في إبطال مذهب أهل التعطيل:

أن صرف نصوص الصفات عن ظاهرها مخالف لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها، فيكون باطلاً، لأن الحق بلا ريب فيما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها.

الوجه الخامس: أن يقال للمعطل: هل أنت أعلم بالله من نفسه؟ فسيقول: لا.

ثم يقال له: هل ما أخبر الله ﷻ به عن نفسه صدق وحق؟ فسيقول: نعم.

ثم يقال له: هل تعلم كلاماً أفصح وأبين من كلام الله تعالى؟ فسيقول: لا.

ثم يقال له: هل تظن أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يعمي الحق على الخلق في هذه النصوص ليستخرجوه بعقولهم؟ فسيقول: لا.

هذا ما يقال له باعتبار ما جاء في القرآن.

أما باعتبار ما جاء في السنة:

فيقال له: هل أنت أعلم بالله من رسول الله ﷺ؟ فيقول: لا.

ثم يقال له: هل ما أخبر به رسول الله ﷺ عن الله صدق وحق؟ فسيقول: نعم.

ثم يقال له: هل تعلم أن أحداً من الناس أفصح كلاماً وأبين من رسول الله ﷺ؟ فسيقول: لا.

ثم يقال له: هل تعلم أن أحداً من الناس أنصح لعباد الله من رسول الله ﷺ؟ فسيقول: لا.

فيقال له: إذا كنت تقر بذلك، فلماذا لا يكون عندك الإقدام والشجاعة في إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ على حقيقته وظاهره اللائق بالله؟ وكيف يكون عندك الإقدام والشجاعة في نفي حقيقته تلك، وصرفه إلى معنى يخالف ظاهره بغير علم؟ وماذا يضيرك إذا أثبت لله تعالى ما أثبته

لنفسه في كتابه أو سنة نبيه ﷺ، على الوجه اللائق به فأخذت بما جاء في الكتاب والسنة إثباتاً ونفياً؟ أفليس هذا أسلم لك وأقوم لجوابك إذا سئلت يوم القيامة: ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]؟ أوَليس صرفك لهذه النصوص عن ظاهرها وتعيين معنى آخر مخاطرة منك، فلعل المراد يكون على تقدير جواز صرفها غير ما صرفتها إليه.

الوجه السادس في إبطال مذهب أهل التعطيل:

أنه يلزم عليه لوازم باطلة، وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم.

فمن هذه اللوازم:

أولاً: أن أهل التعطيل لم يصرفوا نصوص الصفات عن ظاهرها إلا حيث اعتقدوا أنه مستلزم أو موهم لتشبيه الله تعالى بخلقه، وتشبيه الله تعالى بخلقه كفر، لأنه تكذيب لقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. قال نعيم ابن حماد الخزاعي أحد مشايخ البخاري رحمهما الله: (من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهاً) اهـ.

ومن المعلوم: أن من أبطل الباطل أن يجعل ظاهر كلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ تشبيهاً وكفراً أو موهماً لذلك.

ثانياً: أن كتاب الله تعالى الذي أنزله تبياناً لكل شيء، وهدى للناس، وشفاء لما في الصدور، ونوراً مبيناً، وفرقاناً بين الحق والباطل، لم يبين الله تعالى فيه ما يجب على العباد اعتقاده في أسمائه وصفاته، وإنما جعل ذلك موكولاً إلى عقولهم، يثبتون لله ما يشاؤون، وينكرون ما لا يريدون. وهذا ظاهر البطلان.

ثالثاً: أن النبي ﷺ وخلفاءه الراشدين وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها كانوا قاصرين أو مقصرين في معرفة وتبيين ما يجب لله تعالى من الصفات، أو يمتنع عليه، أو يجوز. إذ لم يرد عنهم حرف واحد فيما ذهب إليه أهل التعطيل في صفات الله تعالى وسمّوه تأويلاً.

وحينئذ إما أن يكون النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون وسلف الأمة وأئمتها قاصرين لجهلهم بذلك، وعجزهم عن معرفته، أو مقصرين لعدم بيانهم للأمة. وكلا الأمرين باطل.

رابعاً: أن كلام الله ورسوله ﷺ ليس مرجعاً للناس فيما يعتقدون في ربهم وإلههم، الذي معرفتهم به من أهم ما جاءت به الشرائع، بل هو زبدة الرسالات. وإنما المرجع تلك العقول المضطربة المتناقضة، وما خالفها، فسبيله التكذيب إن وجدوا إلى ذلك سبيلاً، أو التحريف الذي يسمونه تأويلاً، إن لم يتمكنوا من تكذيبه.

خامساً: أنه يلزم منه جواز نفي ما أثبته الله ورسوله ﷺ، فيقال في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ ﴿الفجر: ٢٢]: إنه لا يجيء. وفي قوله ﷺ: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا»: إنه لا ينزل. لأن إسناد المجيء والنزول إلى الله مجاز عندهم. وأظهر علامات المجاز عند القائلين به صحة نفيه، ونفي ما أثبته الله ورسوله ﷺ من أبطل الباطل، ولا يمكن الانفكاك عنه بتأويله إلى أمره، لأنه ليس في السياق ما يدل عليه.

ثم إن من أهل التعطيل من طرد قاعدته في جميع الصفات، أو تعدى إلى الأسماء أيضاً. ومنهم من تناقض فأثبت بعض الصفات دون بعض، كالأشعرية والماتريدية، أثبتوا ما أثبتوه بحجة أن العقل يدل عليه، ونفوا ما نفوه بحجة أن العقل ينفيه أو لا يدل عليه.

فنقول لهم: نفيكم لما نفيتموه بحجة أن العقل لا يدل عليه، يمكن إثباته بالطريق العقلي الذي أثبتم به ما أثبتموه، كما هو ثابت بالدليل السمعي.

مثال ذلك: أنهم أثبتوا صفة الإرادة، ونفوا صفة الرحمة.

أثبتوا صفة الإرادة لدلالة السمع والعقل عليها.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وأما العقل: فإن اختلاف المخلوقات وتخصيص بعضها بما يختص به من ذات أو وصف دليل على الإرادة.

ونفوا الرحمة: لأنها تستلزم لين الراحم، ورقته للمرحوم، وهذا محال في حق الله تعالى.

وأولوا الأدلة السمعية المثبتة للرحمة إلى الفعل، أو إرادة الفعل، ففسروا الرحيم بالمنعم، أو مريد الإنعام.

فنقول لهم: الرحمة ثابتة لله تعالى بالأدلة السمعية، وأدلة ثبوتها أكثر عدداً وتنوعاً من أدلة الإرادة. فقد وردت بالاسم مثل: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]، والصفة مثل: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨]، والفعل مثل: ﴿وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾ [العنكبوت: ٢١].

ويمكن إثباتها بالعقل، فإن النعم التي تترى على العباد من كل وجه، والنقم التي تدفع عنهم في كل حين؛ دالة على ثبوت الرحمة لله ﷻ، ودلالتها على ذلك أبين وأجلى من دلالة التخصيص على الإرادة، لظهور ذلك للخاصة والعامة، بخلاف دلالة التخصيص على الإرادة، فإنه لا يظهر إلا لأفراد من الناس.

وأما نفيها بحجة أنها تستلزم اللين والرقة.

فجوابه: أن هذه الحجة لو كانت مستقيمة لأمكن نفي الإرادة بمثلها، فيقال: الإرادة ميل المريد إلى ما يرجو به حصول منفعة أو دفع مضرة. وهذا يستلزم الحاجة، والله تعالى منزه عن ذلك.

فإن أجيب: بأن هذه إرادة المخلوق. أمكن الجواب بمثله في الرحمة، بأن الرحمة المستلزمة للنقص هي رحمة المخلوق.

وبهذا تبين بطلان مذهب أهل التعطيل، سواء كان تعطيلاً عاماً أم خاصاً.

وبه علم أن طريق الأشاعرة والماتريدية في أسماء الله وصفاته وما احتجوا به لذلك لا تندفع به شبه المعتزلة والجهمية، وذلك من وجهين:

أحدهما: أنه طريق مبتدع لم يكن عليه النبي ﷺ ولا سلف الأمة وأئمتها، والبدعة لا تدفع بالبدعة، وإنما تدفع بالسنة.

الثاني: أن المعتزلة والجهمية يمكنهم أن يحتجوا لما نفوه على الأشاعرة والماتريدية بمثل ما احتج به الأشاعرة والماتريدية لما نفوه على أهل السنة، فيقولون: لقد أبحتم لأنفسكم نفي ما نفيتم من الصفات بما زعمتموه دليلاً عقلياً، وأولتم دليله السمعي، فلماذا تحرمون علينا نفي ما نفيناه بما نراه دليلاً عقلياً، ونؤول دليله السمعي؟ فلنا عقول كما أن لكم عقولاً، فإن كانت عقولنا خاطئة فكيف كانت عقولكم صائبة؟ وإن كانت عقولكم صائبة فكيف كانت عقولنا خاطئة؟ وليس لكم حجة في الإنكار علينا سوى مجرد التحكم واتباع الهوى.

وهذه حجة دامغة، وإلزام صحيح من الجهمية والمعتزلة للأشعرية والماتريدية، ولا مدفع لذلك ولا محيص عنه، إلا بالرجوع لمذهب السلف الذين يطردون هذا الباب، ويثبتون لله تعالى من الأسماء والصفات ما أثبته لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ إثباتاً لا تمثيل فيه ولا تكييف، وتنزيهاً لا تعطيل فيه ولا تحريف، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

تنبيه:

علم مما سبق أن كل معطل ممثل، وكل ممثل معطل.

أما تعطيل المعطل فظاهر، وأما تمثيله: فلأنه إنما عطل لاعتقاده أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه، فمثل أولاً، وعطل ثانياً، كما أنه بتعطيله مَثَّلَهُ بالناقص.

وأما تمثيل الممثل فظاهر، وأما تعطيله فمن ثلاثة أوجه:

الأول: أنه عطل نفس النص الذي أثبتت به الصفة، حيث جعله دالاً على التمثيل، مع أنه لا دلالة فيه عليه، وإنما يدل على صفة تليق بالله ﷻ.

الثاني: أنه عطل كل نص يدل على نفي مماثلة الله لخلقه.

الثالث: أنه عطل الله تعالى عن كماله الواجب، حيث مثله بالمخلوق الناقص.

فصل
شبهات والجواب عنها

اعلم أن بعض أهل التأويل أورد على أهل السنة شبهة في نصوص من الكتاب والسنة في الصفات، ادعى أن أهل السنة صرفوها عن ظاهرها، ليلزم أهل السنة بالموافقة على التأويل، أو المداهنة فيه. وقال: كيف تنكرون علينا تأويل ما أولناه مع ارتكابكم لمثله فيما أولتموه؟

ونحن نجيب بعون الله تعالى عن هذه الشبهة بجوابين: مجمل ومفصل.

أما المجمل فيتلخص في شيئين:

أحدهما: أننا لا نسلم أن تفسير السلف لها صرف عن ظاهرها، فإن ظاهر الكلام ما يتبادر منه من المعنى، وهو يختلف بحسب السياق، وما يضاف إليه الكلام، فإن الكلمات يختلف معناها بحسب تركيب الكلام، والكلام مركب من كلمات وجمل، يظهر معناها ويتعين بضم بعضها إلى بعض.

ثانيهما: أننا لو سلمنا أن تفسيرهم صرف عن ظاهرها، فإن لهم في ذلك دليلاً من الكتاب والسنة، إما متصلاً، وإما منفصلاً، وليس لمجرد شبهات يزعمها الصارف براهين وقطعيات يتوصل بها إلى نفي ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ.

وأما المفصل: فعلى كل نص ادعى أن السلف صرفوه عن ظاهره.

ولنمثل بالأمثلة التالية: فنبدأ بما حكاه أبو حامد الغزالي عن بعض الحنبلية أنه قال: «إن أحمد لم يتأول إلا في ثلاثة أشياء: الحجر الأسود يمين الله في الأرض. وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمٰن. وإني أجد نَفَسَ الرحمٰن من قبل اليمن».

نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيميه (ص ٣٩٨، ج ٥) من «مجموع الفتاوى» وقال: (هذه الحكاية كذب على أحمد).

المثال الأول: الحجر الأسود يمين الله في الأرض.

والجواب عنه: أنه حديث باطل، لا يثبت عن النبي ﷺ. قال ابن

الجوزى في «العلل المتناهية»: (هذا حديث لا يصح). وقال ابن العربي: «حديث باطل، فلا يلتفت إليه». وقال شيخ الإسلام ابن تيميه: (روي عن النبي ﷺ بإسناد لا يثبت) اهـ. وعلى هذا: فلا حاجة للخوض في معناه.

لكن قال شيخ الإسلام ابن تيميه: (والمشهور [يعني: في هذا الأثر] إنما هو عن ابن عباس، قال: الحجر الأسود يمين الله في الأرض، فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه. ومن تدبر اللفظ المنقول تبين له أنه لا إشكال فيه، فإنه قال: «يمين الله في الأرض»، ولم يطلق فيقول: يمين الله، وحكم اللفظ المقيد يخالف حكم المطلق، ثم قال: «فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه»، وهذا صريح في أن المصافح لم يصافح يمين الله أصلاً، ولكن شبه بمن يصافح الله. فأول الحديث وآخره يبين أن الحجر ليس من صفات الله تعالى، كما هو معلوم عند كل عاقل) اهـ. (ص ٣٩٨، ج ٦): مجموع الفتاوى.

المثال الثاني: «قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمٰن».

والجواب: أن هذا الحديث صحيح، رواه مسلم في الباب الثاني من كتاب القدر، عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمٰن، كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء**»، ثم قال رسول الله ﷺ: «**اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك**». وقد أخذ السلف أهل السنة بظاهر الحديث، وقالوا: إن لله تعالى أصابع حقيقة، نثبتها له كما أثبتها له رسوله ﷺ. ولا يلزم من كون قلوب بني آدم بين إصبعين منها أن تكون مماسة لها، حتى يقال: إن الحديث موهم للحلول فيجب صرفه عن ظاهره. فهذا السحاب مسخر بين السماء والأرض وهو لا يمس السماء ولا الأرض. ويقال: «بدر بين مكة والمدينة»، مع تباعد ما بينهما. فقلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمٰن حقيقة، ولا يلزم من ذلك مماسة ولا حلول.

المثال الثالث: «إني أجد نَفَسَ الرحمٰن من قبل اليمن».

والجواب: أن هذا الحديث رواه الإمام أحمد في المسند من حديث أبي

هريرة ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: **«ألا إن الإيمان يمان، والحكمة يمانية، وأجد نَفَسَ ربكم من قبل اليمن»**.

قال في «مجمع الزوائد»: (رجاله رجال الصحيح، غير شبيب وهو ثقة). قلت وكذا قال في «التقريب» عن شبيب: (ثقة، من الثالثة، وقد روى البخاري نحوه في التاريخ الكبير).

وهذا الحديث على ظاهره، والنفَس فيه اسم مصدر نَفَّس يُنَفِّس تَنْفِيساً، مثل فرّج يفرج تفريجاً وفَرَجاً. هكذا قال أهل اللغة، كما في «النهاية» و«القاموس» و«مقاييس اللغة»، قال في مقاييس اللغة: (النَّفس: كل شيء يفرج به عن مكروب). فيكون معنى الحديث: أن تنفيس الله تعالى عن المؤمنين يكون من أهل اليمن.

قال شيخ الإسلام ابن تيميه: «وهؤلاء هم الذين قاتلوا أهل الردة، وفتحوا الأمصار، فبهم نَفَّسَ الرحمٰن عن المؤمنين الكربات» اهـ (ص ٣٩٨، ج ٦) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام»: لابن قاسم.

المثال الرابع: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩].

والجواب: أن لأهل السنة في تفسيرها قولين:

أحدهما: أنها بمعنى ارتفع إلى السماء. وهو الذي رجحه ابن جرير، قال في تفسيره بعد أن ذكر الخلاف: (وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٩]، علا عليهن وارتفع، فدبرهن بقدرته، وخلقهن سبع سماوات) اهـ.

وذكره البغوي في تفسيره قول ابن عباس وأكثر مفسري السلف، وذلك تمسكاً بظاهر لفظ ﴿ٱسْتَوَىٰٓ﴾، وتفويضاً لعلم كيفية هذا الارتفاع إلى الله ﷻ.

القول الثاني: أن الاستواء هنا بمعنى القصد التام. وإلى هذا القول ذهب ابن كثير في تفسير سورة البقرة، والبغوي في تفسير سورة فصلت، قال ابن كثير: (أي: قصد إلى السماء، والاستواء هاهنا ضُمِّنَ معنى القصد والإقبال، لأنه عدي بإلى). وقال البغوى: (أي: عمد إلى خلق السماء).

وهذا القول ليس صرفاً للكلام عن ظاهره، لأن الفعل ﴿ٱسْتَوَىٰٓ﴾ اقترن بحرف يدل على الغاية والانتهاء، فانتقل إلى معنى يناسب الحرف المقترن به. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦] حيث كان معناها يُروَى بها عباد الله، لأن الفعل ﴿يَشْرَبُ﴾ اقترن بالباء فانتقل إلى معنى يناسبها وهو يروى، فالفعل يُضَمَّن معنى يناسب معنى الحرف المتعلق به ليلتئم الكلام.

المثال الخامس والسادس: قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله في سورة المجادلة: ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧].

والجواب: أن الكلام في هاتين الآيتين حق على حقيقته وظاهره. ولكن ما حقيقته وظاهره؟

هل يقال: إن ظاهره وحقيقته أن الله تعالى مع خلقه معية تقتضي أن يكون مختلطاً بهم، أو حالاً في أمكنتهم؟

أو يقال: أن ظاهره وحقيقته أن الله تعالى مع خلقه معية تقتضي أن يكون محيطاً بهم علماً وقدرةً وسمعاً وبصراً وتدبيراً وسلطاناً، وغير ذلك من معاني ربوبيته، مع علوه على عرشه فوق جميع خلقه؟

ولا ريب أن القول الأول لا يقتضيه السياق، ولا يدل عليه بوجه من الوجوه، وذلك لأن المعية هنا أضيفت إلى الله ﷻ، وهو أعظم وأجل من أن يحيط به شيء من مخلوقاته، ولأن المعية في اللغة العربية التي نزل بها القرآن لا تستلزم الاختلاط أو المصاحبة في المكان، وإنما تدل على مطلق المصاحبة، ثم تفسر في كل موضع بحسبه.

وتفسير معية الله تعالى لخلقه بما يقتضي الحلول والاختلاط باطل من وجوه:

الأول: أنه مخالف لإجماع السلف. فما فسرها أحد منهم بذلك، بل كانوا مجمعين على إنكاره.

الثاني: أنه مناف لعلو الله تعالى الثابت بالكتاب، والسنة، والعقل، والفطرة، وإجماع السلف. وما كان منافياً لما ثبت بدليل كان باطلاً بما ثبت به ذلك المنافي. وعلى هذا فيكون تفسير معية الله لخلقه بالحلول والاختلاط باطلاً بالكتاب والسنة والعقل والفطرة وإجماع السلف.

الثالث: أنه مستلزم للوازم باطلة لا تليق بالله سبحانه تعالى.

ولا يمكن لمن عرف الله تعالى وقدره حق قدره، وعرف مدلول المعية في اللغة العربية التي نزل بها القرآن، أن يقول: إن حقيقة معية الله لخلقه تقتضي أن يكون مختلطاً بهم أو حالاً في أمكنتهم، فضلاً عن أن تستلزم ذلك. ولا يقول ذلك إلا جاهل باللغة، جاهل بعظمة الرب جل وعلا.

فإذا تبين بطلان هذا القول تعين أن يكون الحق هو القول الثاني، وهو أن الله تعالى مع خلقه معية تقتضي أن يكون محيطاً بهم علماً وقدرة وسمعاً وبصراً وتدبيراً وسلطاناً، وغير ذلك مما تقتضيه ربوبيته مع علوه على عرشه فوق جميع خلقه.

وهذا هو ظاهر الآيتين بلا ريب، لأنهما حق، ولا يكون ظاهر الحق إلا حقاً، ولا يمكن أن يكون الباطل ظاهر القرآن أبداً.

قال شيخ الإسلام ابن تيميه في «الفتوى الحموية» (ص ١٠٣، ج ٥) من «مجموع الفتاوى» لابن القاسم: (ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد، فلما قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها: أنه مطلع عليكم، شهيد عليكم، ومهيمن، عالم بكم، وهذا معنى قول السلف إنه معهم بعلمه، وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته. وكذلك في قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾.

ولما قال النبي ﷺ لصاحبه في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، كان هذا أيضاً حقاً على ظاهره، ودلت الحال على أن حكم هذه المعية هنا معية الإطلاع والنصر والتأييد).

ثم قال: «فلفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع يقتضي

في كل موضع أموراً لا يقتضيها في الموضع الآخر. فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع، أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها، وإن امتاز كل موضع بخاصية، فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق، حتى يقال: قد صرفت عن ظاهرها» اهـ.

ويدل على أنه ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق: أن الله تعالى ذكرها في آية المجادلة بين ذكر عموم علمه في أول الآية وآخرها، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾ [المجادلة].

فيكون ظاهر الآية: أن مقتضى هذه المعية علمه بعباده، وأنه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، لا أنه سبحانه مختلط بهم، ولا أنه معهم في الأرض.

أما في آية الحديد فقد ذكرها الله تعالى مسبوقة بذكر استوائه على عرشه، وعموم علمه متلوة ببيان أنه بصير بما يعمل العباد، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾ [الحديد].

فيكون ظاهر الآية: أن مقتضى المعية علمه بعباده وبصره بأعمالهم مع علوه عليهم واستوائه على عرشه، لا أنه سبحانه مختلط بهم، ولا أنه معهم في الأرض، وإلا لكان آخر الآية مناقضاً لأولها، الدال على علوه واستوائه على عرشه.

فإذا تبين ذلك أن مقتضى كونه تعالى مع عباده أنه يعلم أحوالهم، ويسمع أقوالهم، ويرى أفعالهم، ويدبر شؤونهم، فيحيي ويميت، ويغني ويفقر، ويؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، إلى غير ذلك مما تقتضيه ربوبيته وكمال سلطانه، لا يحجبه عن خلقه شيء. ومن كان هذا شأنه فهو مع خلقه حقيقة، ولو كان فوقهم على عرشه حقيقة.

قال شيخ الإسلام ابن تيميه في «العقيدة الواسطية» (ص ١٤٢، ج ٣) من

«مجموع الفتاوى» لابن قاسم، في فصل الكلام على المعية، قال: «وكل هذا الكلام الذي ذكره الله سبحانه من أنه فوق العرش، وأنه معنا، حق على حقيقته، لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يصان عن الظنون الكاذبة» اهـ.

وقال في «الفتوى الحموية» (ص ١٠٢ ـ ١٠٣، ج ٥) من المجموع المذكور: «وجماع الأمر في ذلك: أن الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه، وقصد اتباع الحق، وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في أسماء الله وآياته.

ولا يحسب الحاسب أن شيئاً من ذلك يناقض بعضه بعضاً البتة، مثل أن يقول القائل: ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه الظاهر من قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾، وقوله ﷺ: **«إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قِبَلَ وجهه»** ونحو ذلك، فإن هذا غلط.

وذلك: أن الله معنا حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة، كما جمع الله بينهما في قوله سبحانه تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد].

فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء، وهو معنا أينما كنا، كما قال النبي ﷺ في حديث الأوعال: **«والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه»** اهـ.

واعلم أن تفسير المعية بظاهرها على الحقيقة اللائقة بالله تعالى لا يناقض ما ثبت من علو الله تعالى بذاته على عرشه، وذلك من وجوه ثلاثة:

الأول: أن الله تعالى جمع بينهما لنفسه في كتابه المبين المنزه عن التناقض، وما جمع الله بينهما في كتابه فلا تناقض بينهما.

وكل شيء في القرآن تظن فيه التناقض فيما يبدو لك فتدبره حتى يتبين لك لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء]، فإن لم يتبين لك فعليك بطريق الراسخين في العلم، الذين يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾ [آل عمران: ٧]، وكِلِ الأمر إلى مُنْزِله

الذي يعلمه. واعلم أن القصور في علمك أو في فهمك وأن القرآن لا تناقض فيه.

وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام في قوله فيما سبق: (كما جمع الله بينهما).

وكذلك ابن القيم كما في «مختصر الصواعق» لابن الموصلي (ص ٤١٠، ط الإمام) في سياق كلامه على المثال التاسع مما قيل إنه مجاز، قال: «وقد أخبر الله أنه مع خلقه مع كونه مستوياً على عرشه، وقرن بين الأمرين كما قال تعالى: وذكر آية سورة الحديد، ثم قال: «فأخبر أنه خلق السماوات والأرض، وأنه استوى على عرشه، وأنه مع خلقه يبصر أعمالهم من فوق عرشه، كما في حديث الأوعال: «**والله فوق العرش يرى ما أنتم عليه**»، فعلوه لا يناقض معيته، ومعيته لا تبطل علوه، بل كلاهما حق» اهـ.

الوجه الثاني: أن حقيقة معنى المعية لا يناقض العلو، فالاجتماع بينهما ممكن في حق المخلوق، فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا. ولا يعد ذلك تناقضاً، ولا يفهم منه أحد أن القمر نزل في الأرض. فإذا كان هذا ممكناً في حق المخلوق، ففي حق الخالق المحيط بكل شيء مع علوه سبحانه من باب أولى، وذلك لأن حقيقة المعية لا تستلزم الاجتماع في المكان.

وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام ابن تيميه في «الفتوى الحموية» (ص ١٠٣) المجلد الخامس من «مجموع الفتاوى» لابن القاسم، حيث قال: (وذلك أن كلمة (مع) في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة، من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال، فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى، فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا أو النجم معنا. ويقال: هذا المتاع معي، لمجامعته لك وإن كان فوق رأسك، فالله مع خلقه حقيقة، وهو فوق عرشه حقيقة) اهـ.

وصدق رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى، فإن من كان عالماً بك، مطلعاً عليك، مهيمناً عليك، يسمع ما تقول، ويرى ما تفعل، ويدبر جميع أمورك؛ فهو معك حقيقة، وإن كان فوق عرشه حقيقة، لأن المعية لا تستلزم الاجتماع في المكان.

الوجه الثالث: أنه لو فرض امتناع اجتماع المعية والعلو في حق المخلوق، لم يلزم أن يكون ذلك ممتنعاً في حق الخالق، الذي جمع لنفسه بينهما، لأن الله تعالى لا يماثله شيء من مخلوقاته، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام ابن تيميه في «العقيدة الواسطية» (ص ١٤٣، ج ٣) من «مجموع الفتاوى»، حيث قال: (وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته، فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته، وهو عليٌّ في دنوه، قريب في علوه) اهـ.

تتمة

انقسم الناس في معية الله تعالى لخلقه ثلاثة أقسام

القسم الأول: يقولون: إن معية الله تعالى لخلقه مقتضاها العلم والإحاطة في المعية العامة، ومع النصر والتأييد في المعية الخاصة، مع ثبوت علوه بذاته. واستوائه على عرشه.

وهؤلاء هم السلف. ومذهبهم هو الحق، كما سبق تقريره.

القسم الثاني: يقولون: إن معية الله لخلقه مقتضاها أن يكون معهم في الأرض، مع نفي علوه واستوائه على عرشه.

وهؤلاء هم الحلولية من قدماء الجهمية وغيرهم. ومذهبهم باطل منكر. أجمع السلف على بطلانه وإنكاره، كما سبق.

القسم الثالث: يقولون: إن معية الله لخلقه مقتضاها أن يكون معهم في الأرض، مع ثبوت علوه فوق عرشه. ذكر هذا شيخ الإسلام ابن تيميه (ص ٢٢٩، ج ٥) من «مجموع الفتاوى».

وقد زعم هؤلاء أنهم أخذوا بظاهر النصوص في المعية والعلو. وكذبوا في ذلك فضلوا، فإن نصوص المعية لا تقتضي ما ادعوه من الحلول، لأنه باطل. ولا يمكن أن يكون ظاهر كلام الله ورسوله ﷺ باطلاً.

تنبيه

اعلم أن تفسير السلف لمعية الله تعالى لخلقه بأنه معهم بعلمه لا يقتضي الاقتصار على العلم، بل تقتضي أيضاً إحاطته بهم سمعاً وبصراً وقدرةً وتدبيراً، ونحو ذلك من معاني ربوبيته.

تنبيه آخر
أشرت فيما سبق إلى أن علو الله تعالى ثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع

أما الكتاب: فقد تنوعت دلالته على ذلك.

فتارة بلفظ العلو والفوقية والاستواء على العرش، وكونه في السماء، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦].

وتارة بلفظ صعود الأشياء وعروجها ورفعها إليه، كقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

وتارة بلفظ نزول الأشياء منه، ونحو ذلك، كقوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾ [النحل: ١٠٢]، ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥].

وأما السنة: فقد دلت عليه بأنواعها القولية والفعلية والإقرارية في أحاديث كثيرة تبلغ حد التواتر، وعلى وجوه متنوعة، كقوله ﷺ في سجوده: «سبحان ربي الأعلى»، وقوله: «إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي»، وقوله: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء؟». وثبت عنه أنه رفع يديه وهو على المنبر يوم الجمعة يقول: «اللهم أغثنا»، وأنه رفع يده إلى السماء وهو يخطب الناس يوم عرفة حين قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال: «اللهم اشهد». وأنه قال للجارية: «أين الله؟» قالت: في السماء، فأقرها، وقال لسيدها: «أعتقها، فإنها مؤمنة».

وأما العقل: فقد دل على وجوب صفة الكمال لله تعالى وتنزيهه عن النقص. والعلو صفة كمال، والسفل نقص، فوجب لله تعالى صفة العلو، وتنزيهه عن ضده.

وأما الفطرة: فقد دلت على علو الله تعالى دلالة ضرورية فطرية، فما من داع أو خائف فزع إلى ربه تعالى إلا وجد في قلبه ضرورة الاتجاه نحو العلو، لا يلتفت عن ذلك يمنة ولا يسرة.

واسأل المصلين، يقول الواحد منهم في سجوده: «سبحان ربي الأعلى» أين تتجه قلوبهم حينذاك؟

وأما الإجماع: فقد أجمع الصحابة والتابعون والأئمة على أن الله تعالى فوق سماواته، مستوٍ على عرشه. وكلامهم مشهور في ذلك نصاً وظاهراً، قال الأوزاعي: (كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما جاءت به السنة من الصفات)، وقد نقل الإجماع على ذلك غير واحد من أهل العلم، ومحال أن يقع في مثل ذلك خلاف، وقد تطابقت عليه هذه الأدلة العظيمة، التي لا يخالفها إلا مكابر طمس على قلبه، واجتالته الشياطين عن فطرته. نسأل الله تعالى السلامة والعافية.

فعلو الله تعالى بذاته وصفاته من أبين الأشياء وأظهرها دليلاً، وأحق الأشياء وأثبتها واقعاً.

تنبيه ثالث

اعلم أيها القارئ الكريم أنه صدر مني كتابة لبعض الطلبة، تتضمن ما قلته في بعض المجالس في معية الله تعالى لخلقه، وذكرت فيها:

أن عقيدتنا: أن لله تعالى معية حقيقية ذاتية تليق به، وتقتضي إحاطته بكل شيء علماً وقدرةً وسمعاً وبصراً وسلطاناً وتدبيراً، وأنه سبحانه منزه أن يكون مختلطاً بالخلق أو حالاً في أمكنتهم، بل هو العلي بذاته وصفاته، وعلوه من صفاته الذاتية التي لا ينفك عنها، وأنه مستوٍ على عرشه كما يليق بجلاله، وأن ذلك لا ينافي معيته، لأنه تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وأردت بقولي (ذاتية) توكيد حقيقة معيته تبارك تعالى.

وما أردت أنه مع خلقه سبحانه في الأرض، كيف؟ وقد قلت في نفس هذه الكتابة كما ترى: أنه سبحانه منزه أن يكون مختلطاً بالخلق أو حالاً في أمكنتهم، وأنه العلي بذاته وصفاته، وأن علوه من صفاته الذاتية التي لا ينفك عنها. وقلت فيها أيضاً ما نصه بالحرف الواحد:

«ونرى أن من زعم أن الله بذاته في كل مكان فهو كافر أو ضال إن اعتقده، وكاذب إن نسبه إلى غيره من سلف الأمة أو أئمتها» اهـ.

ولا يمكن لعاقل عرف الله وقدره حق قدره أن يقول: إن الله مع خلقه في الأرض. وما زلت ولا أزال أنكر هذا القول في كل مجلس من مجالسي، جرى فيه ذكره. وأسأل الله تعالى أن يثبتني وإخواني المسلمين بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

هذا، وقد كتبت بعد ذلك مقالاً نشر في مجلة (الدعوة) التي تصدر في الرياض، نشر يوم الاثنين الرابع من شهر محرم، سنة ١٤٠٤هـ أربع وأربعمائة وألف، برقم: ٩١١، قررت فيه ما قرره شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله تعالى: من أن معية الله تعالى لخلقه حق على حقيقتها، وأن ذلك لا يقتضي الحلول والاختلاط بالخلق، فضلاً عن أن يستلزمه. ورأيت من الواجب استبعاد كلمة (ذاتية)، وبينت أوجه الجمع بين علو الله تعالى وحقيقة المعية.

واعلم أن كل كلمة تستلزم كون الله تعالى في الأرض، أو اختلاطه بمخلوقاته، أو نفي علوه، أو نفي استوائه على عرشه، أو غير ذلك مما لا يليق به تعالى؛ فإنها كلمة باطلة، يجب إنكارها على قائلها كائناً من كان، وبأي لفظ كانت.

وكل كلام يوهم ولو عند بعض الناس ما لا يليق بالله تعالى فإن الواجب تجنبه، لئلا يظن بالله تعالى ظن السوء، لكن ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ فالواجب إثباته، وبيان بطلان وهم من توهم فيه ما لا يليق بالله عز وجل.

المثال السابع والثامن: قوله تعالى ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٥].

حيث فسر القرب فيهما بقرب الملائكة.

والجواب: أن تفسير القرب فيهما بقرب الملائكة ليس صرفاً للكلام عن ظاهره لمن تدبره.

أما الآية الأولى: فإن القرب مقيد فيها بما يدل على ذلك، حيث قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق]، ففي قوله: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى﴾ دليل على أن المراد به: قرب الملكين المتلقيين.

وأما الآية الثانية: فإن القرب فيها مقيد بحال الاحتضار، والذي يحضر الميت عند موته هم الملائكة، لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ١٦١]، ثم إن في قوله: ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٥٨]، دليلاً بيناً على أنهم الملائكة، إذ يدل على أن هذا القريب في نفس المكان ولكن لا نبصره، وهذا يعين أن يكون المراد قرب الملائكة، لاستحالة ذلك في حق الله تعالى.

بقي أن يقال: فلماذا أضاف الله القرب إليه، وهل جاء نحو هذا التعبير مراداً به الملائكة؟

فالجواب: أضاف الله تعالى قرب ملائكته إليه لأن قربهم بأمره، وهم جنوده ورسله.

وقد جاء نحو هذا التعبير مراداً به الملائكة، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة]، فإن المراد به قراءة جبريل القرآن على رسول الله ﷺ، مع أن الله تعالى أضاف القراءة إليه، لكن لما كان جبريل يقرؤه على النبي ﷺ بأمر الله تعالى صحت إضافة القراءة إليه تعالى. وكذلك جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾﴾ [هود: ٧٤]، وإبراهيم إنما كان يجادل الملائكة الذين هم رسل الله تعالى.

المثال التاسع والعاشر: قوله تعالى عن سفينة نوح: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:

١٤]، وقوله لموسى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩].

والجواب: أن المعنى في هاتين الآيتين على ظاهر الكلام وحقيقته، لكن ما ظاهر الكلام وحقيقته هنا؟

هل يقال: إن ظاهره وحقيقته أن السفينة تجري في عين الله، أو أن موسى عليه الصلاة والسلام يُرَبَّى فوق عين الله تعالى؟

أو يقال: إن ظاهره أن السفينة تجري وعين الله ترعاها وتكلؤها، وكذلك تربية موسى تكون على عين الله تعالى يرعاه ويكلؤه بها.

ولا ريب أن القول الأول باطل من وجهين:

الأول: أنه لا يقتضيه الكلام بمقتضى الخطاب العربي، والقرآن إنما نزل بلغة العرب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف]، وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾ [الشعراء]، ولا أحد يفهم من قول القائل: فلان يسير بعيني. أن المعنى: أنه يسير داخل عينه. ولا من قول القائل: فلان تخرج على عيني. أن تخرجه كان وهو راكب على عينه. ولو ادعى مدع أن هذا ظاهر اللفظ في هذا الخطاب لضحك منه السفهاء فضلاً عن العقلاء.

الثاني: أن هذا ممتنع غاية الامتناع، ولا يمكن لمن عرف الله وقدره حق قدره أن يفهمه في حق الله تعالى، لأن الله تعالى مستو على عرشه بائن من خلقه، لا يحل فيه شيء من مخلوقاته، ولا هو حال في شيء من مخلوقاته، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً.

فإذا تبين بطلان هذا من الناحية اللفظية والمعنوية، تعين أن يكون ظاهر الكلام هو القول الثاني: أن السفينة تجري وعين الله ترعاها وتكلؤها، وكذلك تربية موسى تكون على عين الله يرعاه ويكلؤه بها.

وهذا معنى قول بعض السلف: (بمرآى مني)، فإن الله تعالى إذا كان يكلؤه بعينه لزم من ذلك أن يراه، ولازم المعنى الصحيح جزء منه، كما هو معلوم من دلالة اللفظ، حيث تكون بالمطابقة والتضمن والالتزام.

المثال الحادي عشر: قوله تعالى في الحديث القدسي: **«وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»**.

والجواب: أن هذا الحديث صحيح، رواه البخاري في باب التواضع، الثامن والثلاثين من كتاب الرقاق.

وقد أخذ السلف أهل السنة والجماعة بظاهر الحديث، وأجروه على حقيقته. ولكن ما ظاهر هذا الحديث؟

هل يقال: إن ظاهره أن الله تعالى يكون سَمْعَ الوَلِيّ وبصره ويده ورجله؟

أو يقال: إن ظاهره أن الله تعالى يسدد الولي في سمعه وبصره ويده ورجله، بحيث يكون إدراكه وعمله لله وبالله وفي الله؟

ولا ريب أن القول الأول ليس ظاهر الكلام، بل ولا يقتضيه الكلام لمن تدبر الحديث، فإن في الحديث ما يمنعه من وجهين:

الوجه الأول: أن الله تعالى قال: «وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه»، وقال: «لئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه». فأثبت عبداً ومعبوداً، ومتقرباً ومتقرباً إليه، ومحباً ومحبوباً، وسائلاً ومسؤولاً، ومعطياً ومعطى، ومستعيذاً ومستعاذاً به، ومعيذاً ومعاذاً. فسياق الحديث يدل على اثنين متباينين، كل واحد منهما غير الآخر. وهذا يمنع أن يكون أحدهما وصفاً في الآخر أو جزءاً من أجزائه.

الوجه الثاني: أن سمع الولي وبصره ويده ورجله كلها أوصاف أو أجزاء في مخلوق حادث بعد أن لم يكن، ولا يمكن لأي عاقل أن يفهم أن الخالق الأول الذي ليس قبله شيء يكون سمعاً وبصراً ويداً ورجلاً لمخلوق، بل إن هذا المعنى تشمئز منه النفس أن تتصوره، ويحسر اللسان أن ينطق به ولو على سبيل الفرض والتقدير، فكيف يسوغ أن يقال إنه ظاهر الحديث القدسي، وأنه قد صرف عن هذا الظاهر؟ سبحانك اللهم وبحمدك، لا نحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

وإذا تبين بطلان القول الأول وامتناعه، تعين القول الثاني، وهو: أن الله تعالى يسدد هذا الولي في سمعه وبصره وعمله، بحيث يكون إدراكه بسمعه وبصره وعمله بيده ورجله كله لله تعالى إخلاصاً، وبالله تعالى استعانةً، وفي الله تعالى شرعاً واتباعاً، فيتم له بذلك كمال الإخلاص والاستعانة والمتابعة، وهذا غاية التوفيق، وهذا ما فسره به السلف، وهو تفسير مطابق لظاهر اللفظ، موافق لحقيقته، متعين بسياقه، وليس فيه تأويل، ولا صرف للكلام عن ظاهره. ولله الحمد والمنة.

المثال الثاني عشر: قوله ﷺ فيما يرويه عن الله تعالى أنه قال: «**من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة**».

وهذا الحديث صحيح، رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وروى نحوه من حديث أبي هريرة أيضاً. وكذلك روى البخاري نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب التوحيد، الباب الخامس عشر.

وهذا الحديث كغيره من النصوص الدالة على قيام الأفعال الاختيارية بالله تعالى، وأنه سبحانه فعال لما يريد، كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر]، وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وقوله: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه]، وقوله ﷺ: «**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر**»، وقوله ﷺ: «**ما تصدق أحد بصدقة من طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، إلا أخذها الرحمٰن بيمينه**»، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على قيام الأفعال الاختيارية به تعالى.

فقوله في هذا الحديث: تقربت منه وأتيته هرولة؛ من هذا الباب.

والسلف أهل السنة والجماعة يجرون هذه النصوص على ظاهرها، وحقيقة معناها اللائق بالله عز وجل، من غير تكييف ولا تمثيل. قال شيخ الإسلام ابن تيميه في شرح حديث النزول، (ص ٤٦٦، ج ٥) من «مجموع الفتاوى»: «وأما دنوه

نفسه وتقربه من بعض عباده، فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه، ومجيئه يوم القيامة، ونزوله، واستوائه على العرش. وهذا مذهب أئمة السلف، وأئمة الإسلام المشهورين، وأهل الحديث، والنقل عنهم بذلك متواتر» اهـ.

فأي مانع يمنع من القول بأنه يقرب من عبده كيف يشاء مع علوه؟ وأيّ مانع يمنع من إتيانه كيف يشاء بدون تكييف ولا تمثيل؟

وهل هذا إلا من كماله أن يكون فعالاً لما يريد، على الوجه الذي به يليق؟

وذهب بعض الناس إلى أن قوله تعالى في هذا الحديث القدسي: «أتيته هرولة»، يراد به: سرعة قبول الله تعالى وإقباله على عبده المتقرب إليه، المتوجه بقلبه وجوارحه، وأن مجازاة الله للعامل له أكمل من عمل العامل. وعلل ما ذهب إليه بأن الله تعالى قال في الحديث: «ومن أتاني يمشي» ومن المعلوم أن المتقرب إلى الله ﷻ، الطالب للوصول إليه، لا يتقرب ويطلب الوصول إلى الله تعالى بالمشي فقط، بل تارة يكون بالمشي كالسير إلى المساجد، ومشاعر الحج، والجهاد في سبيل الله، ونحوها. وتارة بالركوع والسجود ونحوهما.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، بل قد يكون التقرب إلى الله تعالى وطلب الوصول إليه والعبد مضطجع على جنبه، كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١]، وقال النبي ﷺ لعمران بن حصين: **«صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب»**.

قال: فإذا كان كذلك، صار المراد بالحديث بيان مجازاة الله تعالى العبد على عمله، وأن من صدق في الإقبال على ربه وإن كان بطيئاً جازاه الله تعالى بأكمل من عمله وأفضل.

وصار هذا هو ظاهر اللفظ بالقرينة الشرعية المفهومة من سياقه.

وإذا كان هذا ظاهر اللفظ بالقرينة الشرعية، لم يكن تفسيره به خروجاً به عن ظاهره، ولا تأويلاً كتأويل أهل التعطيل، فلا يكون حجة لهم على أهل السنة. ولله الحمد.

وما ذهب إليه هذا القائل له حظ من النظر، لكن القول الأول أظهر وأسلم وأليق بمذهب السلف.

ويجاب عن من جعله قرينة من كون التقرب إلى الله تعالى، وطلب الوصول إليه لا يختص بالمشي: بأن الحديث خرج مخرج المثال لا الحصر، فيكون المعنى: من أتاني يمشي في عبادة تفتقر إلى المشي لتوقفها عليه، بكونه وسيلة لها كالمشي إلى المساجد للصلاة، أو من ماهيتها كالطواف والسعي. والله تعالى أعلم.

المثال الثالث عشر: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾؟ [يس: ٧١].

والجواب: أن يقال ما هو ظاهر هذه الآية وحقيقتها، حتى يقال: إنها صرفت عنه؟

هل يقال: إن ظاهرها أن الله تعالى خلق الأنعام بيده، كما خلق آدم بيده؟

أو يقال: إن ظاهرها أن الله تعالى خلق الأنعام كما خلق غيرها، لم يخلقها بيده، لكن إضافة العمل إلى اليد والمراد صاحبها؛ معروف في اللغة العربية التي نزل بها القرآن.

أما القول الأول فليس هو ظاهر اللفظ لوجهين:

أحدهما: أن اللفظ لا يقتضيه بمقتضى اللسان العربي الذي نزل القرآن به، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقوله: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٢]، فإن المراد: ما كسبه الإنسان نفسه وما قدمه وإن عمله بغير يده، بخلاف ما إذا قال: عملته بيدي، كما في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٩]، فإنه يدل على مباشرة الشيء باليد.

الثاني: أنه لو كان المراد أن الله تعالى خلق هذه الأنعام بيده، لكان لفظ الآية: خلقنا لهم بأيدينا أنعاماً. كما قال الله تعالى في آدم: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، لأن القرآن نزل بالبيان لا بالتعمية، لقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

وإذا ظهر بطلان القول الأول، تعين أن يكون الصواب هو القول الثاني، وهو: أن ظاهر اللفظ أن الله تعالى خلق الأنعام كما خلق غيرها، ولم يخلقها بيده، لكن إضافة العمل إلى اليد كإضافته إلى النفس بمقتضى اللغة العربية، بخلاف ما إذا أضيف إلى النفس وعدي بالباء إلى اليد، فتنبه للفرق، فإن التنبه للفروق بين المتشابهات من أجود أنواع العلم، وبه يزول كثير من الإشكالات.

المثال الرابع عشر: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠].

والجواب: أن يقال: هذه الآية تضمنت جملتين:

الجملة الأولى: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠].

وقد أخذ السلف أهل السنة بظاهرها وحقيقتها. وهي صريحة في أن الصحابة ﷺ كانوا يبايعون النبي ﷺ نفسه، كما في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

ولا يمكن لأحد أن يفهم من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠] أنهم يبايعون الله نفسه، ولا أن يدّعي أن ذلك ظاهر اللفظ؛ لمنافاته لأول الآية والواقع، واستحالته في حق الله تعالى.

وإنما جعل الله تعالى مبايعة الرسول ﷺ مبايعة له لأنه رسوله، وقد بايع الصحابة على الجهاد في سبيل الله تعالى، ومبايعة الرسول على الجهاد في سبيل من أرسله مبايعة لمن أرسله، لأنه رسوله المبلغ عنه، كما أن طاعة الرسول طاعة لمن أرسله، لقوله تعالى ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وفي إضافة مبايعتهم الرسول ﷺ إلى الله تعالى من تشريف النبي ﷺ

وتأييده، وتوكيد هذه المبايعة، وعظمها، ورفع شأن المبايعين؛ ما هو ظاهر لا يخفى على أحد.

الجملة الثانية: قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، وهذه أيضاً على ظاهرها وحقيقتها، فإن يد الله تعالى فوق أيدي المبايعين، لأن يده من صفاته، وهو سبحانه فوقهم على عرشه، فكانت يده فوق أيديهم.

وهذا ظاهر اللفظ وحقيقته، وهو لتوكيد كون مبايعة النبي ﷺ مبايعة لله ﷻ، ولا يلزم منها أن تكون يد الله جل وعلا مباشرة لأيديهم، ألا ترى أنه يقال: السماء فوقنا، مع أنها مباينة لنا بعيدة عنا. فيد الله ﷻ فوق أيدي المبايعين لرسوله ﷺ مع مباينته تعالى لخلقه، وعلوه عليهم.

ولا يمكن لأحد أن يفهم أن المراد بقوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، يد النبي ﷺ، ولا أن يدعي أن ذلك ظاهر اللفظ، لأن الله تعالى أضاف اليد إلى نفسه، ووصفها بأنها فوق أيديهم. ويد النبي ﷺ عند مبايعة الصحابة لم تكن فوق أيديهم، بل كان يبسطها إليهم، فيمسك بأيديهم كالمصافح لهم، فيده مع أيديهم لا فوق أيديهم.

المثال الخامس عشر: قوله تعالى في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني**» الحديث.

وهذا الحديث رواه مسلم في باب فضل عيادة المريض، من كتاب البر والصلة والآداب، رقم: ٤٣ (ص ١٩٩٠) ترتيب: محمد فؤاد عبدالباقي.

رواه مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني. قال: يا رب، كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم، استطعمتك فلم تطعمني. قال: يا رب، وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم، استسقيتك فلم تسقني. قال: يا رب، كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي**».

والجواب: أن السلف أخذوا بهذا الحديث ولم يصرفوه عن ظاهره بتحريف يتخبطون فيه بأهوائهم، وإنما فسروه بما فسره به المتكلم به.

فقوله تعالى في الحديث القدسي: «مرضت، واستطعمتك، واستسقيتك»، بينه الله تعالى بنفسه، حيث قال: «أما علمت أن عبدي فلاناً مرض، وأنه استطعمك عبدي فلان، واستسقاك عبدي فلان». وهو صريح في أن المراد به مرض عبد من عباد الله، واستطعام عبد من عباد الله، واستسقاء عبد من عباد الله، والذي فسره بذلك هو الله المتكلم به، وهو أعلم بمراده، فإذا فسرنا المرض المضاف إلى الله، والاستطعام المضاف إليه، والاستسقاء المضاف إليه، بمرض العبد واستطعامه واستسقائه لم يكن في ذلك صرف للكلام عن ظاهره، لأن ذلك تفسير المتكلم به، فهو كما لو تكلم بهذا المعنى ابتداء، وإنما أضاف الله ذلك إلى نفسه أولاً للترغيب والحث، كقوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

وهذا الحديث من أكبر الحجج الدامغة لأهل التأويل، الذين يحرفون نصوص الصفات عن ظاهرها بلا دليل من كتاب الله تعالى، ولا من سنة رسول الله ﷺ، وإنما يحرفونها بشبه باطلة، هم فيها متناقضون مضطربون.

إذ لو كان المراد خلاف ظاهرها كما يقولون لبينه الله تعالى ورسوله ﷺ، ولو كان ظاهرها ممتنعاً على الله كما زعموا لبينه الله ورسوله ﷺ كما في هذا الحديث. ولو كان ظاهرها اللائق بالله ممتنعاً على الله لكان في الكتاب والسنة من وصف الله تعالى بما يمتنع عليه ما لا يحصى إلا بكلفة، وهذا من أكبر المحال.

ولنكتف بهذا القدر من الأمثلة لتكون نبراساً لغيرها، وإلا فالقاعدة عند أهل السنة والجماعة معروفة، وهي: إجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وقد تقدم الكلام على هذا مستوفى في قواعد نصوص الصفات.

والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

إذا قال قائل: قد عرفنا بطلان مذهب أهل التأويل في باب الصفات، ومن المعلوم أن الأشاعرة من أهل التأويل لأكثر الصفات، فكيف يكون مذهبهم باطلاً، وقد قيل إنهم يمثلون اليوم خمسة وتسعين بالمائة من المسلمين؟

وكيف يكون باطلاً وقدوتهم في ذلك أبو الحسن الأشعري؟

وكيف يكون باطلاً وفيهم فلان وفلان من العلماء المعروفين بالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم؟

قلنا: الجواب عن السؤال الأول: أننا لا نسلم أن تكون نسبة الأشاعرة بهذا القدر بالنسبة لسائر فرق المسلمين، فإن هذه دعوى تحتاج إلى إثبات عن طريق الإحصاء الدقيق.

ثم لو سلمنا أنهم بهذا القدر أو أكثر فإنه لا يقتضي عصمتهم من الخطأ، لأن العصمة في إجماع المسلمين لا في الأكثر.

ثم نقول: إن إجماع المسلمين قديماً ثابت على خلاف ما كان عليه أهل التأويل، فإن السلف الصالح من صدر هذه الأمة، وهم الصحابة الذين هم خير القرون والتابعون لهم بإحسان وأئمة الهدى من بعدهم، كانوا مجمعين على إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، وإجراء النصوص على ظاهرها اللائق بالله تعالى، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وهم خير القرون بنص الرسول ﷺ، وإجماعهم حجة ملزمة، لأنه مقتضى الكتاب والسنة، وقد سبق نقل الإجماع عنهم في القاعدة الرابعة من قواعد نصوص الصفات.

والجواب عن السؤال الثاني: أن أبا الحسن الأشعري وغيره من أئمة

المسلمين لا يدعون لأنفسهم العصمة من الخطأ، بل لم ينالوا الإمامة في الدين إلا حين عرفوا قدر أنفسهم، ونزّلوها منزلتها، وكان في قلوبهم من تعظيم الكتاب والسنة ما استحقوا به أن يكونوا أئمة، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة]، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾ [النحل].

ثم إن هؤلاء المتأخرين الذين ينتسبون إليه لم يقتدوا به الإقتداء الذي ينبغي أن يكونوا عليه، وذلك أن أبا الحسن كان له مراحل ثلاث في العقيدة:

المرحلة الأولى: مرحلة الاعتزال.

اعتنق مذهب المعتزلة أربعين عاماً، يقرره، ويناظر عليه، ثم رجع عنه، وصرح بتضليل المعتزلة، وبالغ في الرد عليهم.

المرحلة الثانية: مرحلة بين الاعتزال المحض والسنة المحضة.

سلك فيها طريق أبي محمد عبدالله بن سعيد بن كلاب، قال شيخ الإسلام ابن تيميه (ص ٤٧١) من المجلد السادس عشر من «مجموع الفتاوى» لابن قاسم: «والأشعري وأمثاله برزخ بين السلف والجهمية، أخذوا من هؤلاء كلاماً صحيحاً، ومن هؤلاء أصولاً عقلية ظنوها صحيحة، وهي فاسدة» اهـ.

المرحلة الثالثة: مرحلة اعتناق مذهب أهل السنة والحديث.

مقتدياً بالإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ، كما قرره في كتابه: «الإبانة عن أصول الديانة»، وهو من آخر كتبه أو آخرها.

قال في مقدمته: «جاءنا يعني النبي ﷺ بكتاب عزيز، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، جمع فيه علم الأولين، وأكمل به الفرائض والدين، فهو صراط الله المستقيم، وحبله المتين، من تمسك به نجا، ومن خالفه ضل وغوى، وفي الجهل تردى. وحث الله في كتابه على التمسك بسنة رسوله ﷺ، فقال ﷻ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]»، إلى أن قال: «فأمرهم بطاعة رسوله ﷺ كما أمرهم

بطاعته، ودعاهم إلى التمسك بسنة نبيه ﷺ كما أمرهم بالعمل بكتابه، فنبذ كثير ممن غلبت شقوته، واستحوذ عليهم الشيطان، سنن نبي الله ﷺ وراء ظهورهم، وعدلوا إلى أسلاف لهم قلدوهم بدينهم، ودانوا بديانتهم، وأبطلوا سنن رسول الله ﷺ، ورفضوها، وأنكروها وجحدوها افتراء منهم على الله، قد ضلوا وأضلوا وما كانوا مهتدين».

ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أصولاً من أصول المبتدعة وأشار إلى بطلانها ثم قال: فان قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون.

قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب ربنا ﷻ، وبسنة نبينا ﷺ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون، لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، ثم أثنى عليه بما أظهر الله على يده من الحق، وذكر ثبوت الصفات، ومسائل في القدر والشفاعة، وبعض السمعيات، وقرر ذلك بالأدلة النقلية والعقلية.

والمتأخرون الذين ينتسبون إليه أخذوا بالمرحلة الثانية من مراحل عقيدته، والتزموا طريق التأويل في عامة الصفات، ولم يثبتوا إلا الصفات السبع المذكورة في هذا البيت:

حي عليم قدير والكلام له إرادة وكذاك السمع والبصر

على خلاف بينهم وبين أهل السنة في كيفية إثباتها.

ولما ذكر شيخ الإسلام ابن تيميه ما قيل في شأن الأشعرية (ص ٣٥٩) من المجلد السادس من «مجموع الفتاوى» لابن قاسم قال: «ومرادهم الأشعرية الذين ينفون الصفات الخبرية، وأما من قال منهم بكتاب «الإبانة» الذي صنفة الأشعري في آخر عمره، ولم يظهر مقالة تناقض ذلك، فهذا يعد من أهل السنة». وقال قبل ذلك في (ص ٣١٠): «وأما الأشعرية فعكس هؤلاء، وقولهم

يستلزم التعطيل، وأنه لا داخل العالم ولا خارجه، وكلامه معنى واحد، ومعنى آيه الكرسي وآيه الدين والتوراة والإنجيل واحد، وهذا معلوم الفساد بالضرورة» اهـ.

وقال تلميذه ابن القيم في «النونية» (ص ٣١٢) من شرح الهراس، ط الإمام:

واعلم بأن طريقهم عكس الـ ... طريق المستقيم لمن له عينان

إلى أن قال:

فاعجب لعميان البصائر أبصروا ... كون المقلد صاحب البرهان

ورأوه بالتقليد أولى من سوا ... ه بغير ما بصر ولا برهان

وعموا عن الوحيين إذ لم يفهموا ... معناهما عجباً لذي الحرمان

وقال الشيخ محمد أمين الشنقيطي في تفسيره «أضواء البيان» (ص ٣١٩، ج ٢) على تفسير آية استواء الله تعالى على عرشه، التي في سورة الأعراف: «اعلم أنه غلط في هذا خلق لا يحصى كثرة من المتأخرين، فزعموا أن الظاهر المتبادر السابق إلى الفهم من معنى الاستواء واليد مثلاً في الآيات القرآنية هو مشابهة صفات الحوادث. وقالوا: يجب علينا أن نصرفه عن ظاهره إجماعاً»، قال: «ولا يخفى على أدنى عاقل أن حقيقة معنى هذا القول: أن الله وصف نفسه في كتابه بما ظاهره المتبادر منه السابق إلى الفهم الكفر بالله تعالى، والقول فيه بما لا يليق به عز وعلا. والنبي ﷺ الذي قيل له: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] لم يبين حرفاً واحداً من ذلك، مع إجماع من يعتد به من العلماء على أنه ﷺ لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه، وأحرى في العقائد، لا سيما ما ظاهره المتبادر منه الكفر والضلال المبين، حتى جاء هؤلاء الجهلة من المتأخرين فزعموا أن الله أطلق على نفسه الوصف بما ظاهره المتبادر منه لا يليق، والنبي ﷺ كتم أن ذلك الظاهر المتبادر كفر وضلال يجب صرف اللفظ عنه. وكل هذا من تلقاء أنفسهم، من غير اعتماد على كتاب أو سنة. سبحانك هذا بهتان عظيم. ولا

يخفى أن هذا القول من أكبر الضلال، ومن أعظم الافتراء على الله ﷻ ورسوله ﷺ.

والحق الذي لا يشك فيه أدنى عاقل أن كل وصف وَصَف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، فالظاهر المتبادر منه السابق إلى فهم من في قلبه شيء من الإيمان، هو التنزيه التام عن مشابهة شيء من صفات الحوادث»، قال: «وهل ينكر عاقل أن السابق إلى الفهم المتبادر لكل عاقل هو منافاة الخالق للمخلوق في ذاته وجميع صفاته؟ لا، والله لا ينكر ذلك إلا مكابر.

والجاهل المفتري الذي يزعم أن ظاهر آيات الصفات لا يليق بالله لأنه كفر وتشبيه، إنما جر إليه ذلك تنجيس قلبه بقذر التشبيه بين الخالق والمخلوق، فأداه شؤم التشبيه إلى نفي صفات الله جل وعلا، وعدم الإيمان بها، مع أنه جل وعلا هو الذي وصف بها نفسه، فكان هذا الجاهل مشبهاً أولاً، ومعطلاً ثانياً، فارتكب ما لا يليق بالله ابتداء وانتهاء.

ولو كان قلبه عارفاً بالله كما ينبغي، معظماً لله كما ينبغي، طاهراً من أقذار التشبيه، لكان المتبادر عنده السابق إلى فهمه أن وصف الله تعالى بالغ من الكمال والجلال، ما يقطع أوهام علائق المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فيكون قلبه مستعداً للإيمان بصفات الكمال والجلال، الثابتة لله في القرآن والسنة الصحيحة، مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق، على نحو قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]» انتهى كلامه رحمه الله.

والأشعري أبو الحسن رحمه الله كان في آخر عمره على مذهب أهل السنة والحديث، وهو إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

ومذهب الإنسان ما قاله أخيراً إذا صرح بحصر قوله فيه، كما هي الحال في أبي الحسن، كما يعلم من كلامه في «الإبانة».

وعلى هذا: فتمام تقليده اتباع ما كان عليه أخيراً، وهو التزام مذهب أهل الحديث والسنة، لأنه المذهب الصحيح الواجب الاتباع، الذي التزم به أبو الحسن نفسه.

والجواب عن السؤال الثالث من وجهين:

الأول: أن الحق لا يوزن بالرجال، وإنما يوزن الرجال بالحق. هذا هو الميزان الصحيح، وإن كان لمقام الرجال ومراتبهم أثر في قبول أقوالهم، كما نقبل خبر العدل، ونتوقف في خبر الفاسق، لكن ليس هذا هو الميزان في كل حال، فإن الإنسان بشر، يفوته من كمال العلم وقوة الفهم ما يفوته، فقد يكون الرجل ديناً وذا خلق، ولكن يكون ناقص العلم أو ضعيف الفهم، فيفوته من الصواب بقدر ما حصل له من النقص والضعف، أو يكون قد نشأ على طريق معين، أو مذهب معين، لا يكاد يعرف غيره، فيظن أن الصواب منحصر فيه، ونحو ذلك.

الثاني: أننا إذا قابلنا الرجال الذين على طريق الأشاعرة بالرجال الذين هم على طريق السلف، وجدنا في هذه الطريق من هم أجل وأعظم وأهدى وأقوم من الذين على طريق الأشاعرة، فالأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبوعة ليسوا على طريق الأشاعرة.

وإذا ارتقيت إلى من فوقهم من التابعين لم تجدهم على طريق الأشاعرة.

وإذا علوت إلى عصر الصحابة والخلفاء الأربعة الراشدين لم تجد فيهم من حذا حذو الأشاعرة في أسماء الله تعالى وصفاته، وغيرهما مما خرج به الأشاعرة عن طريق السلف.

ونحن لا ننكر أن لبعض العلماء المنتسبين إلى الأشعري قدم صدق في الإسلام، والذب عنه، والعناية بكتاب الله تعالى وبسنة رسوله ﷺ رواية ودراية، والحرص على نفع المسلمين وهدايتهم، ولكن هذا لا يستلزم عصمتهم من الخطأ فيما أخطؤوا فيه، ولا قبول قولهم في كل ما قالوه، ولا يمنع من بيان خطئهم ورده، لما في ذلك من بيان الحق وهداية الخلق.

ولا ننكر أيضاً أن لبعضهم قصداً حسناً فيما ذهب إليه، وخفي عليه الحق فيه، ولكن لا يكفي لقبول القول حسن قصد قائله، بل لا بد أن يكون موافقاً لشريعة الله ﷻ، فإن كان مخالفاً لها وجب رده على قائله كائناً من كان، لقول النبي ﷺ: **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»**.

ثم إن كان قائله معروفاً بالنصيحة والصدق في طلب الحق، اعتذر عنه في هذه المخالفة، وإلا عومل بما يستحقه بسوء قصده ومخالفته.

فإن قال قائل: هل تكفرون أهل التأويل أو تفسقونهم؟

قلنا: الحكم بالتفكير والتفسيق ليس إلينا، بل هو إلى الله تعالى ورسوله ﷺ، فهو من الأحكام الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسنة، فيجب التثبت فيه غاية التثبت، فلا يكفر ولا يفسق إلا من دل الكتاب والسنة على كفره أو فسقه.

والأصل في المسلم الظاهر العدالة بقاء إسلامه وبقاء عدالته، حتى يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضى الدليل الشرعي، ولا يجوز التساهل في تكفيره أو تفسيقه لأن في ذلك محذورين عظيمين:

أحدهما: افتراء الكذب على الله تعالى في الحكم وعلى المحكوم عليه في الوصف الذي نبزه به.

الثاني: الوقوع فيما نبز به أخاه إن كان سالماً منه، ففي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**إذا كفَّر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما**»، وفي رواية: «**إن كان كما قال وإلا رجعت عليه**»، وفيه عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**ومن دعا رجلاً بالكفر، أو قال عدو الله، وليس كذلك إلا حار عليه**».

وعلى هذا فيجب قبل الحكم على المسلم بكفر أو فسق أن ينظر في أمرين:

أحدهما: دلالة الكتاب أو السنة على أن هذا القول أو الفعل موجب للكفر أو الفسق.

الثاني: انطباق هذا الحكم على القائل المعين أو الفاعل المعين، بحيث تتم شروط التكفير أو التفسيق في حقه، وتنتفي الموانع.

ومن أهم الشروط: أن يكون عالماً بمخالفته التي أوجبت أن يكون كافراً أو فاسقاً، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ

سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾ [التوبة].

ولهذا قال أهل العلم: لا يكفر جاحد الفرائض إذا كان حديث عهد بإسلام حتى يبين له.

ومن الموانع: أن يقع ما يوجب الكفر أو الفسق بغير إرادة منه ولذلك صور:

منها: أن يكره على ذلك، فيفعله لداعي الإكراه لا اطمئناناً به، فلا يكفر حينئذ، لقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [النحل].

ومنها: أن يغلق عليه فكره فلا يدري ما يقول لشدة فرح أو حزن أو خوف أو نحو ذلك.

ودليله ما ثبت في صحيح مسلم عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم، كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح»**.

قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله (ص ١٨٠، ج ١٢) «مجموع الفتاوى» لابن قاسم: «وأما التكفير، فالصواب: أن من اجتهد من أمة محمد ﷺ وقصد الحق فأخطأ لم يكفر، بل يغفر له خطؤه، ومن تبين له ما جاء به الرسول ﷺ، فشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى، واتبع غير سبيل المؤمنين فهو كافر. ومن اتبع هواه، وقَصَّر في طلب الحق، وتكلم بلا علم، فهو عاصٍ مذنب. ثم قد يكون فاسقاً، وقد يكون له حسنات تَرْجَحُ على سيئاته» اهـ.

وقال في (ص ٢٢٩، ج ٣) من المجموع المذكور في كلام له:

«هذا، مع أني دائما ومن جالسني يعلم ذلك مني، أني من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة، وفاسقاً أخرى، وعاصياً أخرى، وأني أقرر: أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية. وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر ولا بفسق ولا بمعصية». وذكر أمثلة، ثم قال: «وكنت أبين أن ما نقل عن السلف والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا، فهو أيضاً حق، لكن يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين»، إلى أن قال: «والتكفير هو من الوعيد، فإنه وإن كان القول تكذيباً لما قاله الرسول ﷺ، لكن قد يكون الرجل حديث عهد بإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة، وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص، أو سمعها ولم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها، وإن كان مخطئاً.

وكنت دائما أذكر الحديث الذي في الصحيحين في الرجل الذي قال: «إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اسحقوني، ثم ذروني في اليم، فوالله لئن قدر الله عليَّ ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً من العالمين. ففعلوا به ذلك، فقال الله: ما حملك على ما فعلت؟ قال خشيتك. فغفر له.

فهذا رجل شك في قدرة الله وفي إعادته إذا ذُرِّيَ، بل اعتقد أنه لا يعاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك، وكان مؤمناً يخاف الله أن يعاقبه. فغفر له بذلك.

والمتأول من أهل الاجتهاد الحريص على متابعة الرسول ﷺ أولى بالمغفرة من مثل هذا» اهـ.

وبهذا علم الفرق بين القول والقائل، وبين الفعل والفاعل، فليس كل قول أو فعل يكون فسقاً أو كفراً يحكم على قائله أو فاعله بذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله (ص ١٦٥، ج ٣٥) «مجموع

الفتاوى»: «وأصل ذلك: أن المقالة التي هي كفر بالكتاب والسنة والإجماع يقال هي كفر قولاً يطلق، كما دل على ذلك الدلائل الشرعية، فإن الإيمان من الأحكام المتلقاة عن الله ورسوله ﷺ، ليس ذلك مما يحكم فيه الناس بظنونهم وأهوائهم، ولا يجب أن يحكم في كل شخص قال ذلك بأنه كافر حتى يثبت في حقه شروط التكفير وتنتفي موانعه، مثل من قال: إن الخمر أو الربا حلال، لقرب عهده بالإسلام، أو لنشوئه في بادية بعيدة، أو سمع كلاماً أنكره ولم يعتقد أنه من القرآن الكريم، ولا أنه من أحاديث رسول الله ﷺ، كما كان بعض السلف ينكر أشياء حتى يثبت عنده أن النبي ﷺ قالها» إلى أن قال: «فإن هؤلاء لا يكفرون حتى تقوم عليهم الحجة بالرسالة، كما قال الله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] وقد عفا الله لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان» اهـ. كلامه.

وبهذا علم أن المقالة أو الفعلة قد تكون كفراً أو فسقاً، ولا يلزم من ذلك أن يكون القائم بها كافراً أو فاسقاً، إما لانتفاء شرط التكفير أو التفسيق أو وجود مانع شرعي يمنع منه.

ومن تبين له الحق فأصر على مخالفته تبعاً لاعتقاد كان يعتقده، أو متبوع كان يعظمه، أو دنيا كان يؤثرها، فإنه يستحق ما تقتضيه تلك المخالفة من كفر أو فسوق.

فعلى المؤمن أن يبني معتقده وعمله على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فيجعلهما إماماً له، يستضيء بنورهما ويسير على منهاجهما، فإن ذلك هو الصراط المستقيم الذي أمر الله تعالى به، في قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام].

وليحذر ما يسلكه بعض الناس من كونه يبني معتقده أو عمله على مذهب معين، فإذا رأى نصوص الكتاب والسنة على خلافه حاول صرف هذه النصوص إلى ما يوافق ذلك المذهب على وجوه متعسفة، فيجعل الكتاب والسنة تابعين لا متبوعين، وما سواهما إماماً لا تابعاً، وهذه طريق من طرق أصحاب الهوى، لا

اتباع الهدى، وقد ذم الله هذه الطريق في قوله: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ۝٧١﴾ [المؤمنون].

والناظر في مسالك الناس في هذا الباب يرى العجب العجاب، ويعرف شدة افتقاره إلى اللجوء إلى ربه في سؤال الهداية والثبات على الحق، والاستعاذة من الضلال والانحراف.

ومن سأل الله تعالى بصدق وافتقار إليه، عالماً بغنى ربه عنه وافتقاره هو إلى ربه فهو حري أن يستجيب الله تعالى سُؤْلَه، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝١٨٦﴾ [البقرة].

فنسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن رأى الحق حقاً واتبعه، ورأى الباطل باطلاً واجتنبه، وأن يجعلنا هداة مهتدين، وصلحاء مصلحين، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ويهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب.

والحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات.

والصلاة والسلام على نبي الرحمة، وهادي الأمة إلى صراط العزيز الحميد بإذن ربهم، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

بقلم مؤلفه الفقير إلى الله

محمد بن صالح العثيمين

* * *

(٤٣) منهاج الفرقة الناجية والطائفة المنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد . . . فهذه بحوث مهمة ومتنوعة، تدعو المسلمين إلى عقيدة التوحيد الخالص والابتعاد عن الشرك الذي انتشر مظهره في أكثر البلاد الإسلامية، وهو سبب هلاك الأمم السابقة، وسبب شقاء العالم المعاصر، ولا سيما العالم الإسلامي وما يلاقيه من المصائب والنكبات والحروب والفتن وغيرها.

وهذه البحوث والمواضيع تبين أيضاً منهاج وعقيدة الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة الواردة في الحديث النبوي، لتنير الطريق للعاملين، حتى يكونوا من الناجين والمنصورين إن شاء الله، والله أسأل أن ينفع بها المسلمين، ويجعلها خالصة لوجهه الكريم.

محمد بن جميل زينو

* * *

الفرقة الناجية

١. قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٢. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم].

٣. وقال ﷺ: **«أوصيكم بتقوى الله ﷻ والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبدٌ حبشيٌ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»** رواه النسائي والترمذي وقال حديث حسن صحيح.

٤. وقال ﷺ: **«ألا وإن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين: ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة»** رواه أحمد وغيره وحسنه الحافظ.

وفي رواية: **«كلهم في النار إلا مله واحدة: ما أنا عليه وأصحابي»** رواه الترمذي وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٥٢١٩.

٥. وعن ابن مسعود ﷺ قال: «خط لنا رسول الله ﷺ خطاً بيده ثم قال: هذا سبيل الله مستقيماً. وخط خطوطاً عن يمينه وشماله، ثم قال: هذه السبل، ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ صحيح رواه أحمد والنسائي.

٦. وقال الشيخ عبدالقادر الجيلاني في كتابه «الغُنية»: أما الفرقة الناجية فهي أهل السنة والجماعة، وأهل السنة لا اسم لهم إلا اسم واحد وهو أصحاب الحديث.

٧. يأمرنا الله سبحانه وتعالى أن نعتصم جميعاً بالقرآن الكريم، وأن لا نكون من المشركين المتفرقين في دينهم شيعاً وأحزاباً، ويخبرنا الرسول الكريم أن اليهود والنصارى تفرقوا كثيراً، وأن المسلمين سيتفرقون أكثر منهم، وأن هذه الفرق ستكون عرضة لدخول النار، لانحرافها، وبُعدها عن كتاب ربها وسنة نبيها، وأن فرقة واحدة ناجية منها ستدخل الجنة، وهي الجماعة المتمسكة بالكتاب والسنة الصحيحة، وعمل أصحاب الرسول ﷺ.

اللهم اجعلنا من الفرقة الناجية، ووفق المسلمين لأن يكونوا منها.



منهاج الفرقة الناجية

١. الفرقة الناجية: هي التي تلتزم منهاج رسول الله ﷺ في حياته، ومنهاج أصحابه من بعده، وهو القرآن الكريم الذي أنزله الله على رسوله، وبينه لصحابته في أحاديثه الصحيحة، وأمر المسلمين بالتمسك بهما فقال: «**تركتُ فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض**» صححه الألباني في الجامع.

٢. الفرقة الناجية تعود إلى كلام الله ورسوله حين التنازع والاختلاف عملاً بقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء].

٣. الفرقة الناجية لا تُقدم كلام أحد على كلام الله ورسوله، عملاً بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحجرات].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أراهم سيهلكون! أقول: قال النبي ﷺ، ويقولون: قال أبو بكر وعمر، رواه أحمد وغيره، وصححه أحمد شاكر.

٤. الفرقة الناجية تعتبر التوحيد، وهو إفراد الله بالعبادة كالدعاء والاستعانة والاستغاثة وقت الشدة والرخاء، والذبح والنذر، والحكم بما أنزل الله، وغير ذلك من أنواع العبادة هو الأساس الذي تبنى عليه الدولة الإسلامية الصحيحة، ولا بد من إبعاد الشرك ومظاهره الموجودة في أكثر البلاد الاسلامية، لأنه من مقتضيات التوحيد، ولا يمكن النصر لأي جماعة تُهمل التوحيد، ولا تكافح الشرك بأنواعه، أسوة بالرسل جميعاً وبرسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

٥. الفرقة الناجية: يحيون سُنن الرسول ﷺ في عبادتهم وسلوكهم وحياتهم فأصبحوا غرباء بين قومهم، كما أخبر عنهم رسول الله ﷺ بقوله: «**إن الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء**»، رواه مسلم.

٦. الفرقة الناجية: لا تتعصب إلا لكلام الله وكلام رسوله المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، أما غيره من البشر مهما عَلتْ رتبته، فقد يخطئ لقوله ﷺ: «**كلّ بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**».

٧. الفرقة الناجية: هم أهل الحديث الذين قال رسول الله ﷺ فيهم: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله**»، رواه مسلم.

وقال الشاعر:

أهل الحديث همُ أهل النبيّ وإن لم يصحبوا نفسه أنفاسه صَحِبوا

٨. الفرقة الناجية: تحترم الأئمة المجتهدين، ولا تتعصب لواحد منهم، بل تأخذ الفقه من القرآن والأحاديث الصحيحة، ومن أقوالهم جميعاً إذا وافق الحديث الصحيح، وهذا موافق لكلامهم، حيث أوصوا أتباعهم أن يأخذوا بالحديث الصحيح، ويتركوا كل قول يخالفه.

٩. الفرقة الناجية تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، فهي تنكر الطُرق المبتدعة والأحزاب الهدامة التي فرقت الأمة، وابتدعت في الدين وابتعدت عن سنة الرسول ﷺ وأصحابه.

١٠. الفرقة الناجية تدعو المسلمين أن يكونوا من المتمسكين بسنة الرسول ﷺ وأصحابه حتى يكتب لهم النصر، وحتى يدخلوا الجنة بفضل الله وشفاعة رسوله ﷺ (بإذنه ﷻ).

١١. الفرقة الناجية: تنكر القوانين الوضعية التي هي من وَضع البشر، لمخالفتهم حكم الإسلام، وتدعو إلى تحكيم كتاب الله الذي أنزله الله لسعادة البشر في الدنيا والآخرة، وهو أعلم سبحانه وتعالى بما يصلح لهم، وهو ثابت لا تتبدل أحكامه على مدى الأيام، ولا يتطور حسب الزمان، وإن سبب شقاء

العالم عامة والعالم الإسلامي خاصة وما يلاقيه من متاعب وذل وهوان - هو تركه الحكم لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولا عِزّ للمسلمين إلا بالرجوع إلى تعاليم الإسلام أفراداً وجماعات، وحكومات، عملاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

١٢. الفرقة الناجية: تدعو المسلمين جميعاً إلى الجهاد في سبيل الله وهو واجب على كل مسلم حسب طاقته واستطاعته، ويكون الجهاد بما يلي:

أ. الجهاد باللسان والقلم: بدعوة المسلمين وغيرهم إلى التمسك بالإسلام الصحيح، والتوحيد الخالي من الشرك الذي انتشر في كثير من البلاد الإسلامية، والذي أخبر عنه الرسول ﷺ بأنه سيقع بين المسلمين فقال: «**لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان**»، صحيح رواه أبو داود وورد معناه في مسلم.

ب. الجهاد بالمال: ويكون بالإنفاق على نشر الإسلام، وطبع الكتب الداعية إليه على الوجه الصحيح، ويكون بتوزيع المال على المؤلفة قلوبهم من ضعفاء المسلمين لتثبيتهم، ويكون بتصنيع وشراء الأسلحة، والمعدات للمجاهدين، وما يلزمهم من طعام وكساء وغير ذلك.

جـ. الجهاد بالنفس: ويكون بالقتال والاشتراك في المعارك لنصرة الاسلام، ولتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى وقد أشار الرسول الكريم إلى هذه الأنواع فقال: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألستكم**» صحيح رواه أبو داود.

وحكم الجهاد في سبيل الله على أنواع:

أ. فرض عين: ويكون ضد العدو المهاجم لبعض بلاد المسلمين كفلسطين التي اغتصبها اليهود المجرمون، فالمسلمون المستطيعون آثمون حتى يُخرجوا اليهود منها، ويُعيدوا المسجد الأقصى للمسلمين بما يستطيعون من المال أو النفس.

ب. فرض كفاية: إذا قام به بعض المسلمين سقط عن الباقين، ويكون في تبليغ ونقل الدعوة الإسلامية إلى سائر البلاد حتى يحكمها في الإسلام. ومن وقف في طريقها قوتل حتى تسير الدعوة في طريقها.

علامة الفرقة الناجية

١. الفرقة الناجية: هم قلّة بين الناس، دعا لهم رسول الله ﷺ بقوله: «**طوبى للغرباء: أناسٌ صالحون، في أناس سوء كثير، من يَعصيهم أكثر ممن يُطيعهم**» صحيح رواه أحمد.

ولقد أخبر عنهم القرآن الكريم فقال مادحاً لهم: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ].

٢. الفرقة الناجية يُعاديهم الكثير من الناس، ويَفترون عليهم، وينبزونهم بالألقاب، ولهم أسوة بالأنبياء الذين قال الله عنهم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

وهذا رسول الله ﷺ قال عنه قومه: «ساحر كذاب» حينما دعاهم إلى التوحيد، وكانوا قبل ذلك يسمونه الصادق الأمين.

٣. سُئل الشيخ عبدالعزيز بن باز عن الفرقة الناجية فقال: هم السلفيون، وكل من مشى على طريقة السلف الصالح (الرسول وصحابته).

هذه بعض مناهج وعلامة الفرقة الناجية، وسأتكلم في الفصول القادمة من هذا الكتاب عن عقيدة الفرقة الناجية، التي هي الطائفة المنصورة، لنكون على عقيدتها إن شاء الله.

مَن هي الطائفة المنصورة؟

١. قال ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله**» رواه مسلم.

٢. وقال ﷺ: «**إذا فسد أهلُ الشام فلا خير فيكم، ولا تزال طائفة من أمتي منصورون، لا يضرّهم من خذلهم حتى تقوم الساعة**» صحيح رواه أحمد.

٣. قال ابن المبارك: هم عندي أصحاب الحديث.

٤. وقال البخاري: قال علي بن المديني: هم أصحاب الحديث.

٥. وقال أحمد بن حنبل: إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث فلا أدري من هم؟!

٦. إن أهل الحديث هم بحكم اختصاصهم في دراسة السنة وما يتعلق بها أعلم الناس قاطبة بسنة نبيهم ﷺ، وهديه وأخلاقه وغزواته وما يتصل بها.

٧. يقول الإمام الشافعي يُخاطب الإمام أحمد: «أنتم أعلم بالحديث مني، فإذا جاءكم الحديث صحيحاً فأعلموني به حتى أذهب إليه سواء كان حجازياً أم كوفياً أم بصرياً».

فأهل الحديث - حشرنا الله معهم - لا يتعصبون لقول شخص معين مهما علا وسما حاشا محمداً ﷺ بخلاف غيرهم ممن لا ينتمي إلى أهل الحديث والعمل به فإنهم يتعصبون لأقوال أئمتهم - وقد نهوا عن ذلك - كما يتعصب أهل الحديث لأقوال نبيهم، فلا عجب أن يكون أهل الحديث هم الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية!

٨. يقول الخطيب البغدادي في كتابه: «شرف أصحاب الحديث»:

«ولو أن صاحب الرأي شُغل بما ينفعه من العلوم، وطلب سنن رسول رب العالمين لوجد ما يغنيه عن سواه، لأن الحديث يشتمل على معرفة أصول التوحيد، وبيان ما جاء من وجوه الوعد والوعيد، وصفات رب العالمين، والإخبار عن صفة الجنة والنار، وما أعد الله فيها للمتقين والفجار، وما خلق الله في الأرضين والسموات . . . وفي الحديث قصص الأنبياء وأخبار الزهاد والأولياء والمواعظ البلغاء، وكلام الفقهاء، وخطب الرسول ومعجزاته، وفيه تفسير القرآن العظيم، وما فيه من النبأ والذكر الحكيم، وأقاويل الصحابة في الأحكام المحفوظة عنهم، وقد جعل الله أهل «الحديث» أركان الشريعة، وهدم بهم كل بدعة شنيعة، فهم أُمناء الله في خليقته، والواسطة بين النبي وأمته، والمجتهدون في حفظ متنه، أنوارهم زاهرة، وفضائلهم سائرة، وكل فئة تتحيّز إلى هوى ترجع إليه، وتستحسن رأياً تعكف عليه سوى أصحاب الحديث، الكتاب عُدتهم والسنة حُجتهم والرسول فِئتهم وإليه نسبتهم، لا يلتفتون إلى الآراء، من كابدهم قصمه الله، ومن عاداهم خذله الله».

اللهم اجعلنا من أهل الحديث، وارزقنا العمل به، ومحبة أهله، ومناصرة العاملين به.

التوحيد وأنواعه

التوحيد هو إفراد الله بالعبادة التي خلق الله العالم لأجلها.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات].

أي يوحدوني في العبادة ويفردوني في الدعاء.

وأنواع التوحيد الآتية مأخوذة من القرآن الكريم:

١. توحيد الرب: هو الاعتراف بأن الله هو الرب والخالق، وقد اعترف بهذا الكفار، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقد أنكر الشيوعيون وجود الرب فكانوا أشد كفراً من كفار الجاهلية.

٢. توحيد الإله: هو توحيد الله بأنواع العبادات المشروعة، كالدعاء والاستعانة والطواف والذبح والنذر وغيرها، وهذا النوع هو الذي حجده الكفار، وكانت فيه الخصومة بين الأمم ورسلهم منذ نوح عليه السلام إلى محمد ﷺ، وقد حث القرآن الكريم في أكثر سوره عليه، وعلى دعاء الله وحده، ففي سورة الفاتحة نقرأ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ ومعناها نخصّك بالعبادة، فندعوك وحدك، ولا نستعين بغيرك، وتوحيد الإله يشمل إفراده في دعائه، والحكم بقرآنه، والاحتكام إلى شرعه، وكله داخل في قوله تعالى: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾ [طه: ١٤].

٣. توحيد الأسماء والصفات: هو الإيمان بكل ما ورد في القرآن الكريم والحديث الصحيح، من صفات الله التي وصف بها نفسه، أو وصف بها رسوله ﷺ على الحقيقة من غير تأويل ولا تكييف ولا تفويض، كالاستواء والنزول، واليد والمجيء، وغيرها من الصفات، نفسرها بما ورد عن السلف، فالاستواء مثلاً ورد تفسيره عن التابعين في صحيح البخاري بأنه العلو والارتفاع اللذان يليقان بجلاله قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

أ. التاويل: هو صرف ظاهر الآيات والأحاديث الصحيحة إلى معنى آخر باطل مثل استوى بمعنى استولى.

ب. التعطيل: هو جحد صفات الله ونفيها عنه كعلوّ الله على السماء فقد زعمت الفرق الضالة أن الله في كل مكان.

جـ. التكييف: هو تكييف صفات الله، وأن كيفيتها كذا فعلوّ الله على العرش لا يشبه مخلوقاته ولا يعلم كيفيته أحد إلا الله.

د. التمثيل: هو تمثيل صفات الله بصفات خلقه، فلا يقال: ينزل الله إلى السماء كنزولنا، وحديث النزول رواه مسلم.

ومن الكذب نسبة هذا التشبيه إلى شيخ الاسلام ابن تيمية، إذ لم نجده في كتبه بل وجدنا نفيه للتمثيل والتشبيه.

هـ. التفويض: عند السلف في الكيف لا في المعنى، فالاستواء مثلا معناه العلو الذي لا يعلم كيفيته إلا الله.

معنى لا إلٰه إلا الله

(لا معبود بحق إلا الله)

فيها نفي الإلهية عن غير الله، وإثباتها لله وحده.

١. قال الله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

فالعلم بمعناها واجب ومقدم على سائر أركان الإسلام.

٢. وقال ﷺ: «**من قال لا إلٰه إلا الله مُخلِصاً دخل الجنة**» صحيح رواه أحمد.

والمخلص هو الذي يفهمها ويعمل بها ويدعو إليها قبل غيرها، لأن فيها التوحيد الذي خلق الله العالم لأجله.

٣. وقال رسول الله ﷺ لعمه أبي طالب حين حضره الموت: «**يا عم قل لا إلٰه إلا الله، كلمة أحاجّ لك بها عند الله**»، وأبى أن يقول لا إلٰه إلا الله، رواه البخاري ومسلم.

٤. بقي الرسول ﷺ في مكة ثلاثة عشر عاماً، يدعو العرب قائلاً: قولوا لا إله إلا الله، فقالوا إلهاً واحداً! ما سمعنا بهذا؟

لأن العرب فهموا معناها، وأن من قالها لا يدعو غير الله، فتركوها ولم يقولوها، قال الله تعالى عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الصافات].

وقال ﷺ: **«من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله، حرُم ماله ودمُهُ»** رواه مسلم.

ومعنى الحديث أن التلفظ بالشهادة يستلزم أن يكفر ويُنكر كل عبادة لغير الله، كدعاء الأموات وغيره.

والغريب أن بعض المسلمين يقولونها بألسنتهم، ويخالفون معناها بأفعالهم ودعائهم لغير الله!!!

٥. «لا إله إلا الله» أساس التوحيد والإسلام، ومنهج كامل للحياة، يتحقق بتوجيه كل أنواع العبادة لله، وذلك إذا خضع المسلم لله، ودعاه وحده، واحتكم لشرعه دون غيره.

٦. قال ابن رجب: «الإله» هو الذي يطاع ولا يُعصى هيبة وإجلالاً، ومحبة وخوفاً ورجاء، وتوكلاً عليه، وسؤالاً منه، ودعاء له، ولا يصلح هذا كله إلا لله ﷻ، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي خصائص الإله، كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قوله: «لا إله إلا الله»، وكان فيه من عبودية المخلوق، بحسب ما فيه من ذلك.

٧. إن كلمة «لا إله إلا الله» تنفع قائلها إذا لم ينقضها بشرك، فهي شبيهة بالوضوء الذي ينقضه الحدث.

قال ﷺ: **«من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»**، حسن رواه الحاكم.

معنى محمد رسول الله

الإيمان بأنه مرسل من عند الله، فنصدقه فيما أخبر، ونطيعه فيما أمر، ونترك ما نهى عنه وزجر، ونعبد الله بما شرع.

١. يقول الشيخ أبو الحسن الندوي في كتاب النبوة ما نصه: الأنبياء عليهم السلام كان أول دعوتهم وأكبر هدفهم في كل زمان وفي كل بيئة، هو تصحيح العقيدة في الله تعالى، وتصحيح الصلة بين العبد وربه والدعوة إلى إخلاص الدين لله، وإفراد العبادة لله وحده، وأنه النافع الضار، المستحق للعبادة والدعاء والالتجاء والنسك (الذبح) له وحده، وكانت حملتهم مركزة موجهة إلى الوثنية في عصورهم، الممثلة بصورة واضحة في عبادة الأوثان والأصنام، والصالحين المقدسين من الأحياء والأموات.

٢. وهذا رسول الله ﷺ يقول له ربه: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف].

وقال ﷺ: «لا تُطروني كما أطرَتِ النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبدٌ فقولوا عبدالله ورسوله» رواه البخاري.

والإطراء هو الزيادة والمبالغة في المدح، فلا ندعوه من دون الله كما فعلت النصارى في عيسى ابن مريم، فوقعوا في الشرك، وعلمنا أن نقول «محمد عبدالله ورسوله».

٣. إن محبة الرسول ﷺ تكون بطاعته في دعاء الله وحده وعدم دعاء غيره ولو كان رسولاً أو ولياً مقرباً.

قال رسول الله ﷺ: **«إذا سألت فاسألِ الله، وإذا استعنت فاستعنْ بالله»** رواه الترمذي وقال حسن صحيح.

وكان ﷺ إذا نزل به همٌّ أو غمٌّ قال: **«يا حيّ يا قيوم برحمتك أستغيث»** حسن رواه الترمذي.

ورحم الله الشاعر حين قال:

الله أسأل أن يفرج كرباً فالكرب لا يمحوه إلا الله

إياك نعبد وإياك نستعين

(نخصك بالعبادة والدعاء والاستعانة وحدك)

١. ذكر علماء العربية أن الله تعالى قدم المفعول به «إياك» على الفعل «نعبد ونستعين» ليخص العبادة والاستعانة به وحده، ويحصرها فيه دون سواه.

٢. إن هذه الآية التي يكررها المسلم عشرات المرات في الصلاة وخارجها، هي خلاصة سورة الفاتحة، وهي خلاصة القرآن كله.

٣. إن العبادة في هذه الآية تعم العبادات كلها مثل الصلاة والنذر والذبح ولا سيما الدعاء لقوله ﷺ: «الدعاء هو العبادة»، رواه الترمذي وقال حسن صحيح.

فكما أن الصلاة عبادة لا تجوز لرسول ولا لولي فكذلك الدعاء عبادة، بل هو لله وحده ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٠﴾ [الجن].

٤. وقال ﷺ: «**دعوة ذي النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت: لا إلٰه إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**» صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له.

استعن بالله وحده

قال رسول الله ﷺ: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**» رواه الترمذي وقال حسن صحيح.

١. يقول الإمام النووي والهيتمي في تفسير هذا الحديث ما خلاصته: إذا طلبت الإعانة على أمر من أمور الدنيا والآخرة فاستعن بالله، لا سيما في الأمور التي لا يقدر عليها غير الله، كشفاء المرض وطلب الرزق والهداية، فهي مما اختص الله بها وحده، قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧].

٢. من أراد حجة فالقرآن يكفيه، ومن أراد مغيثاً فالله يكفيه، ومن أراد واعظاً فالموت يكفيه، ومن لم يكفه شيء من ذلك فإن النار تكفيه، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦].

٣. يقول الشيخ عبدالقادر الجيلاني في الفتح الرباني: «سلوا الله ولا تسألوا غيره، استعينوا بالله ولا تستعينوا بغيره، ويحك بأيِّ وجه تلقاه غداً، وأنت تُنازعه في الدنيا، مُعرض عنه، مُقبل على خلقه، مُشرك به، تُنزل حوائجك بهم. وتتكل بالمهمات عليهم. ارفعوا الوسائط بينكم وبين الله، فإن وقوفكم معها هَوَس، لا مُلك ولا سُلطان ولا غِنى ولا عزّ إلا للحق ﷻ. كن مع الحق بلا خَلْق» أي كن مع الله بدعائه بلا واسطة من خلقه.

٤. الاستعانة المشروعة: أن تستعين بالله على حل مشاكلك، والاستعانة الشركية: أن تستعين بغير الله كالأنبياء والأولياء الأموات أو الأحياء الغائبين، فهم لا يملكون نفعاً ولا ضراً ولا يسمعون الدعاء ولو سمعوا ما استجابوا لنا كما حكى القرآن عنهم ذلك.

أما الاستعانة بالأحياء الحاضرين فيما يقدرون عليه من بناء مسجد أو أخذ مساعدة مالية وغير ذلك، فهي جائزة لقول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

وقوله ﷺ: **«والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»** رواه مسلم.

ومن أمثلة الاستعانة الجائزة من الأحياء قول الله تعالى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص: ١٥].

وقول الله تعالى في طلب ذي القرنين: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ [الكهف: ٩٥].

الرحمن على العرش استوى

لقد وردت آيات وأحاديث وأقوال السلف تثبت العُلوَّ لله:

١. قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

٢. وقال الله تعالى: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ ۝ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٢ ـ ٣].

٣. وقال الله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝﴾ [الأعلى].

٤. نقل البخاري في كتاب التوحيد عن أبي العالية ومجاهد في تفسير: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي علا وارتفع.

٥. وقال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، أي علا وارتفع كما جاء في تفسير الطبري.

٦. خطب رسول الله ﷺ يوم عرفة في حجة الوداع قائلاً: «ألا هل بلغت؟» قالوا نعم، يرفع أصبعه إلى السماء ويُنكّبها إليهم ويقول: «اللهم اشهد» رواه مسلم.

٧. وقال ﷺ: «إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق إن رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده فوق العرش» رواه البخاري.

٨. وقال ﷺ: «إلا تأمنوني وأنا أمين من في السماء؟ يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً» متفق عليه.

٩. وقال الأوزاعي: كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله جل ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته رواه البيهقي بإسناد صحيح ـ فتح الباري.

١٠. وقال الشافعي: «إن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء، وأن الله ينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء»، أخرجه الهكاوي في عقيدة الشافعي.

١١. وقال أبو حنيفة: من قال لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فقد كفر، لأن الله يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه] وعرشه فوق سبع سموات، فإن قال إنه على العرش، ولكن يقول: لا أدري العرش في السماء أم في الأرض؟ قال: هو كافر، لأنه أنكر أنه في السماء، فمن أنكر أنه في السماء فقد كفر لأن الله أعلى عليين، وهو يُدعى من أعلى لا من أسفل. شرح العقيدة الطحاوية ٣٢٢.

١٢. سئل الإمام مالك عن كيفية استواء الله على عرشه فقال: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة (أي عن كيفيته) أخرجوا هذا المبتدع».

١٣. لا يجوز تفسير استوى بمعنى استولى، لعدم ورود ذلك عن السلف فطريقتهم أسلم وأعلم وأحكم.

قال ابن قيم الجوزية: لقد أمر الله اليهود أن يقولوا «حِطّة» فقالوا «حنطة» تحريفاً، وأخبرنا الله أنه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ فقال المتأولون: «استولى» فانظر ما أشبه لامهم التي زادوها بنون اليهود التي زادوها. نقله محمد أمين الشنقيطي عن ابن قيم الجوزية.

أهمية التوحيد

١. لقد خلق الله العالم لعبادته، وأرسل الرسل ليدعوا الناس إلى توحيده، وهذا القرآن الكريم يهتم بعقيدة التوحيد في أكثر سوره، ويبين ضرر الشرك على الفرد والجماعة، وهو سبب الهلاك في الدنيا، والخلود في نار الآخرة.

٢. إن الرسل جميعاً بدأوا دعوتهم إلى التوحيد الذي أمرهم الله بتبليغه للناس، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء].

وهذا رسول الله ﷺ بقي ثلاثة عشر عاماً في مكة، وهو يدعو قومه إلى توحيد الله ودعائه وحده دون سواه، وكان فيما أنزل الله عليه: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ۝٢٠﴾ [الجن].

ويُربي الرسول ﷺ أتباعه على التوحيد منذ الصغر:

فيقول لابن عمه عبدالله بن عباس: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**» رواه الترمذي وقال حسن صحيح.

وهذا التوحيد هو حقيقة دين الإسلام الذي بُني عليه، والذي لا يقبل الله من أحد سواه.

٣. لقد علم رسول الله ﷺ أصحابه أن يبدؤوا دعوتهم للناس بالتوحيد، فقال لمعاذ حينما أرسله إلى اليمن: «فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إلٰه إلا الله» وفي رواية: «أن يوحدوا الله» متفق عليه.

٤. إن التوحيد يتمثل في شهادة لا إلٰه إلا الله، محمد رسول الله، ومعناها لا معبود بحق إلا الله، ولا عبادة إلا ما جاء به رسول الله ﷺ، وهي التي يدخل بها الكفار الإسلام، لأنها مفتاح الجنة، وتُدخل صاحبها الجنة إذا لم ينقضها بعمله.

٥. لقد عرض كفار قريش على رسول الله ﷺ الملك والمال والزواج وغيرها من متع الحياة مقابل أن يترك دعوة التوحيد ومهاجمة الأصنام فلم يرض منهم ذلك، بل استمر في دعوته يتحمل الأذى مع صحابته إلى أن انتصرت دعوة التوحيد بعد ثلاثة عشر عاماً، وفتحت مكة بعد ذلك، وكسرت الأصنام، والرسول ﷺ يقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء].

٦. التوحيد وظيفة المسلم في الحياة فيبدأ حياته بالتوحيد، ويودّعها بالتوحيد، ووظيفته في الحياة إقامة التوحيد والدعوة إلى التوحيد، لأن التوحيد يوحد المؤمنين، ويجمعهم على كلمة التوحيد، فنسأل الله أن يجعل كلمة التوحيد آخر كلامنا من الدنيا.

من فضل التوحيد

١. قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام].

عن عبدالله بن مسعود ؓ قال: لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين، وقالوا أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا قول لقمان لابنه: «يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم». متفق عليه.

فهذه الآية تبشر المؤمنين الموحدين الذين لم يُلبسوا إيمانهم بشرك، فابتعدوا عنه، أنّ لهم الأمن التام من عذاب الله في الآخرة، وأولئك هم المهتدون في الدنيا.

٢. وقال ﷺ: «الإيمان بضع وستون شعبة: فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» رواه مسلم.

٣. جاء في كتاب «دليل المسلم في الاعتقاد والتطهير» لفضيلة الشيخ عبدالله خياط ما يلي:

*** التوحيد يسبب السعادة ويُكفِّر الذنوب:**

المرء بحكم بشريته وعدم عصمته قد تنزلق قدمه، ويقع في معصية الله، فإذا كان من أهل التوحيد الخالص من شوائب الشرك فإن توحيده لله، وإخلاصه في قول لا إلٰه إلا الله يكون أكبر عامل في سعادته وتكفير ذنوبه ومحو سيئاته، كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: «**من شهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حقّ والنار حقّ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**» رواه البخاري ومسلم.

أي إن جملة هذه الشهادات التي يشهدها المسلم بهذه الأصول تستوجب دخوله دار النعيم، وإنْ كان في بعض أعماله مآخذ وتقصيرات، كما جاء في الحديث القدسي: قال الله تعالى: «**يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**» حسن رواه الترمذي والضياء.

المعنى لو أتيتني بما يقارب ماء الأرض ذنوب ومعاصي، غير أنك مت على التوحيد لغفرت لك ذنوبك.

وجاء في حديث آخر: «**من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يُشرك به شيئاً دخل النار**».

وكل هذه الأحاديث يتضح منها فضل التوحيد وأنه أكبر عامل لسعادة العبد وأعظم وسيلة لتكفير ذنوبه ومحو خطاياه.

من فوائد التوحيد

إن التوحيد الخالص إذا تحقق في حياة فرد أو جماعة حقق أطيب الثمرات، ومن ثمراته:

١. تحرير الإنسان من العبودية والخضوع لغير الله من أشياء ومخلوقات لا يخلقون شيئاً وهم يُخْلَقُون، ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً، فالتوحيد تحرير للإنسان من كل عبودية إلا لربه الذي

خلقه فسواه، تحرير لعقله من الخرافات والأوهام، وتحرير لضميره من الخضوع والذل والاستسلام، وتحرير لحياته من تسلط الفراعنة والأرباب والكهنة والمتألّهين على عباد الله، ولهذا قاوم زعماء الشرك وطغاة الجاهلية دعوات الأنبياء عامة ودعوة الرسول ﷺ خاصة، لأنهم كانوا يعلمون معنى «لا إلٰه إلا الله» إعلان عام لتحرير البشر وإسقاط للجبابرة عن عروشهم الكاذبة وإعلاء لجباه المؤمنين التي لا تسجد إلا لله رب العالمين.

٢. تكوين الشخصية المتزنة: فالتوحيد يساعد على تكوين الشخصية المتزنة التي تميزت في الحياة وِجْهتها، وتوحدت غايتها فليس لها إلا إلٰه واحد تتجه إليه في الخلوة والجلوة، وتدعوه في السراء والضراء، بخلاف المشرك الذي تقسمتْ قلبه الآلهة والمعبودات، فمرة يتجه إلى الأحياء ومرة يتجه إلى الأموات، ومن هنا قال يوسف عليه السلام: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ [يوسف] فالمؤمن يعبد إلهاً واحداً عرف ما يُرضيه واستراح قلبه، والمشرك يعبد آلهة عديدة.. هذا يأخذه إلى اليمين وهذا يأخذه إلى اليسار وهو بينهم مُشتت لا قرار له.

٣. التوحيد مصدر لأمن الناس: لأنه يملأ نفس صاحبه أمناً وطمأنينة، فلا يخاف غير الله، وقد سدّ منافذ الخوف على الرزق والنفس والأهل، والخوف من الإنس والجن والموت وغيرها من المخاوف، والمؤمن الموحد لا يخاف أحداً إلا الله، ولهذا تراه آمناً إذا خاف الناس مطمئناً إذا قلق الناس ولهذا المعنى أشار القرآن الكريم بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام].

وهذا الأمن ينبع من داخل النفس، لا من حراسة الشرطة وهذا أمن الدنيا، وأما أمنُ الآخرة فهو أعظم وأبقى، لأنهم أخلصوا لله ولم يخلطوا توحيدهم بشرك، لأن الشرك ظلم عظيم.

٤. التوحيد مصدر لقوة النفس لأنه يمنح صاحبه قوة نفسية هائلة لما تمتلئ به نفسه من الرجاء في الله، والثقة به والتوكل عليه، والرضا بقضائه والصبر على بلائه، والاستغناء عن خلقه، فهو راسخ كالجبل، فإذا نزلت به مصيبة سأل

ربه كشفها، ولم يسأل الأموات ذلك، شعاره قوله ﷺ: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعنْ بالله**» رواه الترمذي وقال حسن صحيح.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧].

٥. التوحيد أساس الإخاء والمساواة: لأنه لا يسمح لأتباعه أن يَتَّخِذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، فالألوهية لله وحده والعبادة من الناس جميعاً، وعلى رأسهم محمد رسوله ومصطفاه ﷺ.

أعداء التوحيد

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

اقتضت حكمة الله أن يجعل للأنبياء ودعاة التوحيد أعداء من شياطين الجن يوسوسون لشياطين الإنس بالضلال والشر والأباطيل ليضلوهم ويصدوهم عن التوحيد الذي دعت إليه الأنبياء أقوامها إليه أوّلاً، لأنه الأساس الذي تبنى عليه الدعوة الإسلامية، والغريب أن بعض الناس يعتبرون الدعوة إلى التوحيد تفريق للأمة بينما هو توحيد لها، فإن اسمه دال عليه.

أما المشركون الذين اعترفوا بتوحيد الربوبية، وأن الله خالقهم، قد أنكروا توحيد الألوهية في دعاء الله وحده، ولم يتركوا دعاء أوليائهم وقالوا عن رسول الله ﷺ الذي دعاهم إلى توحيد الله في العبادة والدعاء: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص].

وقال تعالى عن الأمم السابقة: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝٥٣﴾ [الذاريات].

وصفات المشركين أنهم إذا سمعوا دعاء الله وحده اشمأزت قلوبهم ونفرت فكفروا وأنكروا، وإذا سمعوا الشرك ودعاء غير الله فرحوا واستبشروا، وقد وصف الله هؤلاء المشركين بقوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝٤٥﴾ [الزمر].

وقال تعالى يصف المشركين الذين ينكرون التوحيد: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ١٢﴾ [غافر].

وهذه الآيات وإن كانت في حق الكفار فإنها تنطبق على كل من اتصف بصفاتهم ممن يدَّعون الإسلام ويحاربون دعاة التوحيد ويفترون عليهم ويلقبونهم بأسماء منفرّة ليصدوا الناس عنهم، ويُنفروهم من التوحيد الذي بعث الله الرسل من أجله، ومن هؤلاء من يسمع طلب الدعاء من الله فلا يخشع وإذا سمع الدعاء من غير الله كطلب المدد من الرسول أو الأولياء خشع واستبشر!!! فبئس ما يفعلون.

موقف العلماء من التوحيد

إن العلماء ورثة الأنبياء وأول ما دعى إليه الأنبياء هو التوحيد الذي ذكره الله بقوله: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]. والطاغوت هو كل ما عُبد من دون الله برضاه.

ولذلك يجب على العلماء أن يبدؤوا بما بدأت به الرسل فيدعوا الناس إلى توحيد الله في جميع أنواع العيادة ولا سيما الدعاء الذي قال فيه ﷺ: «الدعاء هو العبادة» رواه الترمذي وقال حسن صحيح.

وأكثر المسلمين اليوم وقعوا في الشرك ودعاء غير الله وهو سبب شقائهم وشقاء الأمم السابقة الذين أهلكهم الله بسبب دعائهم لأوليائهم من دون الله.

إن موقف العلماء من التوحيد ومحاربة الشرك على أقسام:

١. القسم الأول فهموا التوحيد وأهميته وأنواعه وعرفوا الشرك وأقسامه فقاموا بواجبهم وبيَّنُوا للناس التوحيد والشرك وحجتهم القرآن الكريم والسنة الصحيحة، وقد تعرض هؤلاء العلماء -كما تعرض الأنبياء- إلى اتهامات كاذبة فصبروا ولم يتراجعوا وشعارهم قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠﴾ [المزمل].

وقديماً أوصى لقمان الحكيم ولده قائلاً: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ [لقمان].

٢. والقسم الثاني من العلماء أهملوا الدعوة إلى التوحيد الذي هو أساس الاسلام، فراحوا يدعون الناس إلى الصلاة والحكم والجهاد دون أن يصححوا عقائد المسلمين، وكأنهم لم يسمعوا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

ولو قدموا التوحيد قبل غيره كما فعلت الرسل لنجحت دعوتهم ونصرهم الله كما نصر الرسل والأنبياء:

قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور].

فالشرط الأساسي للنصر هو التوحيد.

٣. والقسم الثالث من العلماء والدعاة تركوا الدعوة إلى التوحيد، ومُحاربة الشِّرك خوفاً من مهاجمة الناس لهم، أو خوفاً على وظائفهم ومراكزهم فكتموا العلم الذي أمرهم الله بتبليغه للناس، وحق عليهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى في حق الدعاة: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

وقال ﷺ: «**مَن كتم عِلماً ألجمَه الله بلِجام من نار**» صحيح رواه أحمد.

٤. القسم الرابع من العلماء والمشايخ مَن يعارض الدعوة إلى توحيد الله في دعائه وحده، وعدم دعاء غير الله من الأنبياء والأولياء والأموات لأنهم يجيزون ذلك ويصرفون الآيات الواردة في التحذير من دعاء غير الله في حق المشركين وأنه لا يوجد أحد من المسلمين داخل في الشرك وكأنهم لم يسمعوا قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام].

والظلم معناه هنا الشرك، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

فالشرك حسب الآية قد يقع فيه المسلم والمؤمن كما هو واقع الآن في كثير من البلاد الإسلامية وهؤلاء الذين يبيحون للناس دعاء غير الله والدفن في المساجد والطواف حول القبور والنذور للأولياء وغيرها من البدع والمنكرات... قد حذر الرسول ﷺ منهم فقال: «**إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**» صحيح رواه الترمذي.

وأجاب أحد مشايخ الأزهر السابقين على سؤال حول جواز الصلاة إلى قبر فقال: لماذا لا تجوز الصلاة إلى القبر وهذا رسول الله في المسجد والناس يصلون إلى قبره!

بينما الرسول ﷺ لم يدفن في مسجده ودُفِن في بيت عائشة رضي الله عنها وقد نهى عن الصلاة إلى القبور ومن دعاء الرسول ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من عِلم لا ينفع**» رواه مسلم. أي لا أعلمه غيري ولا أعمل به ولا يبدل من أخلاقي.

٥. الناس الذين أخذوا بكلام مشايخهم وأطاعوهم في معصية الله خالفوا قول رسولهم ﷺ: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**» صحيح رواه أحمد.

وسوف يندمون يوم القيامة على طاعتهم، حيث لا ينفعهم الندم. قال تعالى: يصف عذاب الكافرين ومن سار على طريقتهم: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ۝٦٦ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا ۝٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ۝٦٨﴾ [الأحزاب].

قال ابن كثير في تفسير الآية: أي اتبعنا الأمراء والكبراء من المشيخة وخالفنا الرسل، واعتقدنا أن عندهم شيئاً، وأنهم على شيء فإذا هم ليسوا على شيء.

ما معناها وهابي؟

اعتاد الناس أن يُطلقوا كلمة وهابي على كل من يخالف عاداتهم ومعتقداتهم وبدعهم، ولو كانت هذه المعتقدات فاسدة تخالف القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة لا سيما الدعوة إلى التوحيد ودعاء الله وحده دون سواه:

كنت أقرأ على شيخ حديث لابن عباس ﷺ في الأربعين النووية وهو قوله ﷺ: «**إذا سألتَ فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله**» رواه الترمذي وقال حديث حسن.

فأعجبني شرح النووي حين قال: «ثم إن كانت الحاجة التي يسألها، لم تجر العادة بجريانها على أيدي خلقه، كطلب الهداية والعلم... وشفاء المرض وحصول العافية سأل ربه ذلك، وأما سؤال الخلق والاعتماد عليهم فمذموم»، فقلت للشيخ هذا الحديث وشرحه يفيد عدم جواز الاستعانة بغير الله، فقال لي: بل يجوز!!! قلت وما دليلك؟ فغضب الشيخ وصاح قائلاً: إن عمتي تقول يا شيخ سعد (وهو مدفون في مسجده تستعين به)، فأقول لها يا عمتي وهل ينفعك الشيخ سعد؟ فتقول: أدعوه فيتدخل على الله فيشفيني!!!

فقلت له: إنك رجل عالم قضيت عمرك في قراءة الكتب ثمّ تأخذ عقيدتك من عمتك الجاهلة! فقال لي عندك أفكار وهابية أنت تذهب للعمرة وتأتي بكتب وهابية!!!

وكنت لا أعرف شيئاً عن الوهابية إلا ما أسمعه من المشايخ: فيقولون عنهم: الوهابيون مخالفون للناس لا يؤمنون بالأولياء وكراماتهم، ولا يحبون الرسول، وغيرها من الاتهامات الكاذبة! فقلت في نفسي إن كانت الوهابية تؤمن بالاستعانة بالله وحده، وأن الشافي هو الله وحده، فيجب أن أتعرف عليها، سألت عن جماعتها فقالوا لهم مكان يجتمعون فيه مساء الخميس لإلقاء دروس في التفسير والحديث والفقه، فذهبت إليهم مع أولادي وبعض الشباب المثقف،

فدخلنا غرفة كبيرة وجلسنا ننتظر الدرس، وبعد فترة دخل علينا شيخ كبير في السن فسلم علينا وصافحنا جميعاً مبتدئاً بيمينه ثم جلس على مقعد ولم يقم له أحد، فقلت في نفسي هذا شيخ متواضع لا يحب القيام.

بدأ الشيخ الدرس بقوله: إن الحمد لله نحمد ونستعينه ونستغفره. إلى آخر الخطبة التي كان الرسول ﷺ يفتتح بها خطبه ودروسه ثم بدأ يتكلم باللغة العربية ويورد الأحاديث ويبين صحتها وراويها ويصلي على النبي ﷺ كلما ذكر اسمه، وأخيراً وُجِّهت له الأسئلة المكتوبة على الأوراق فكان يجيب عليها بالدليل من القرآن والسنة، ويناقشه بعض الحاضرين فلا يرد سائلاً، وقد قال في آخر درسه: الحمد لله على أننا مسلمون وسلفيون (وهم الذين يتبعون طريقة السلف الصالح: الرسول ﷺ وصحابته)، وبعض الناس يقولون إننا وهابيون فهذا تنابز بالألقاب وقد نهانا الله عن هذا بقوله: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ [الحجرات: ١١].

وقديماً اتهموا الامام الشافعي بالرّفض فردّ عليهم قائلاً:

إنْ كان رفضاً حبّ آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

ونحن نرد على من يتهمنا بالوهابية بقول أحد الشعراء:

إنْ كان تابعُ أحمدٍ مُتوهِّبا فأنا المقِرُّ بأنني وهّابي

ولما انتهى خرجنا مع بعض الشباب معجبين بعلمه وتواضعه وسمعت أحدهم يقول: هذا هو الشيخ الحقيقي!!!

معنى وهابي:

أطلق أعداء التوحيد على الموحد كلمة «وهابي» نسبة إلى محمد بن عبدالوهاب، ولو صدقوا لقالوا «محمدي» نسبة إلى اسمه محمد، وشاء الله أن تكون «وهابي» نسبة إلى الوهاب وهو اسم من أسماء الله الحسنى.

فإن كان الصوفي ينتسب إلى جماعة يلبسون الصوف، فإن الوهابي ينتسب إلى الوهاب وهو الله الذي وهب له التوحيد ومكنه من الدعوة إليه.

محمد بن عبدالوهاب

ولد في بلدة العُيَيْنة في نجد سنة ١١١٥هـ حفظ القرآن قبل بلوغه العاشرة وتعلم على والده الفقه الحنبلي وقرأ الحديث والتفسير على شيوخ من مختلف البلاد ولا سيما في المدينة المنورة وفهم التوحيد من الكتاب والسنة، وراعه ما رأى في بلده «نجد» والبلاد التي زارها من الشرك والخرافات والبعد وتقديس القبور التي تتنافى مع الاسلام الصحيح فقد سمع النساء في بلده يتوسلن إلى فحل النخل ويقلن: «يا فحل الفحول أريد زوجاً قبل الحول»! ورأى في الحجاز من تقديس قبور الصحابة وأهل البيت والرسول ما لا يسوغ إلا الله، فقد سمع في المدينة استغاثات بالرسول ودعائه من دون الله مما يخالف القرآن وكلام الرسول قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ (أي المشركين) [يونس].

والرسول ﷺ يقول لابن عمه عبدالله بن عباس: **«إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله»** رواه الترمذي وقال حسن صحيح.

قام الشيخ يدعو قومه للتوحيد ودعاء الله وحده، لأنه هو القادر والخالق، وغيره عاجز عن دفع الضر عن نفسه وغيره، وأن محبة الصالحين تكون باتباعهم لا باتخاذهم وسائط بينهم وبين الله ودعائهم من دون الله!!

١. وقوف المبطلين ضده: وقف المبتدعون ضد دعوة التوحيد التي تبناها الشيخ، ولا غرابة فقد وقف أعداء التوحيد في زمن الرسول ﷺ وقالوا مستغربين: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص].

وبدأ أعداء الشيخ يحاربونه، ويشيعون عنه الأكاذيب ويتآمرون على قتله والخلاص من دعوته ولكن الله حفظه، وهيأ له من يساعده حتى انتشرت دعوة التوحيد في الحجاز والبلاد الاسلامية وما زال بعض الناس إلى يومنا هذا يشيعون الأكاذيب ويقولون: إنه ابتدع مذهباً خامساً، مع أن مذهبه حنبلي، ويقولون: الوهابيون لا يحبون الرسول ولا يصلون عليه! مع أن الشيخ رحمه الله له كتاب (مختصر سيرة الرسول ﷺ) وهذا دليل على حبه للرسول ﷺ، وقد افتروا عليه الأكاذيب التي سيحاسبون عليها يوم القيامة، ولو درسوا كتبه بإنصاف لوجدوا فيها

القرآن والحديث وأقوال الصحابة، حدثني رجل صادق أن أحد العلماء كان يحذر في دروسه من الوهابية فأعطاه أحد الحاضرين كتاباً بعد أن نزع اسم المؤلف «محمد بن عبدالوهاب» فقرأه وأعجبه ولما علم بمؤلفه بدأ يمدحه.

٢. ورد في الحديث: **«اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا، قالوا وفي نجدنا، قال: من هنا يطلع قرنُ الشيطان»** رواه البخاري ومسلم.

ذكر ابن حجر العسقلاني وغيره من العلماء أن النجد الوارد في الحديث هو نجد العراق، فقد ظهرت الفتن هناك حيث قتل الحسين بن علي ﷺ خلافاً لما يظنه بعض الناس أن المراد نجد الحجاز حيث لم يظهر فيها شيء من الفتن التي ظهرت في العراق بل ظهر من نجد الجحاز التوحيد الذي خلق الله العالم لأجله، والذي من أجله أرسل الله الرسل.

٣. ذكر بعض العلماء المنصفين أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب هو من مجددي القرن الثاني عشر الهجري، وقد ألفوا كتباً عنه، ومن هؤلاء المؤلفين الشيخ علي الطنطاوي أخرج سلسلة عن أعلام التاريخ، ذكر منهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأحمد بن عرفان ذكر فيه أن عقيدة التوحيد وصلت إلى الهند وغيرها بواسطة الحجاج المسلمين الذين تأثروا بها في مكة، فقام الانجليز وأعداء الاسلام يحاربونها، لأنها توحد المسلمين ضدهم وأوعزوا إلى المرتزقة أن يُشوهوا سُمعتها فأطلقوا على كل موحّد يدعو للتوحيد كلمة «وهابي» وأرادوا به المبتدع ليصرفوا المسلمين عن عقيدة التوحيد التي تدعو إلى دعاء الله وحده، ولم يعلم هؤلاء الجهلة أن كلمة «وهابي» نسبة إلى «الوهاب» وهو اسم من أسماء الله الذي وهب له التوحيد ووعده بالجنة.

معركة التوحيد والشرك

١. إن معركة التوحيد مع الشرك قديمة منذ زمن الرسول نوح عليه السلام حينما دعا قومه إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام، وبقي فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً وهو يدعوهم للتوحيد فكان ردهم كما ذكر القرآن: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ [نوح: ٢٣ ـ ٢٤].

روى البخاري عن ابن عباس ﵄ في تفسير هذه الآية قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلك أولئك أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموهم بأسمائهم ففعلوا ولم تُعبد، حتى هلك أولئك ونُسيَ العلم، عُبِدتْ (أي الأحجار والأنصاب التي هي التماثيل)

٢. ثم جاء الرسل بعد نوح يدعون قومهم إلى عبادة الله وحده، وترك ما يعبدون من دونه من الآلهة التي لا تستحق العبادة، فاسمع إلى القرآن وهو يحدثك عنهم فيقول: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف].

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ﴾ [هود: ٦١].

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ﴾ [هود: ٨٤].

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف].

وكان ردّ المشركين على جميع الأنبياء بالمعارضة والاستنكار لما جاؤوا به، ومحاربتهم بكل ما يستطيعون من قوة.

٣. وهذا رسول الله ﷺ وهو الذي كان معروفاً عند العرب قبل البعثة بالصادق الأمين لما دعاهم إلى عبادة الله وتوحيده وترك ما كان يعبد آباؤهم نسوا صدقه وأمانته وقالوا: «ساحر كذاب» وهذا القرآن يحكي ردهم فيقول: ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص]

﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الذاريات].

هذا موقف الرسل جميعاً من الدعوة إلى التوحيد، وهذا هو موقف أقوامهم المكذبين المفترين.

٤. وفي عصرنا الحاضر حينما يدعو المسلم إخوانه إلى الأخلاق والصدق والأمانة لا تجد معارضاً له، فإذا قام يدعو إلى التوحيد الذي دعت إليه الرسل وهو دعاء الله وحده وعدم دعاء من سواه من الأنبياء والأولياء الذين هم عباد الله . .قام الناس يعارضونه ويتهمونه. بتهم كاذبة ويقولون عنه «وهابي»! ليصدوا الناس عن دعوته، وإذا جاءهم بآية فيها توحيد قال قائلهم: «هذه آية وهابية»!!

وإذا جاءهم بحديث: «.. **وإذا استعنتَ فاستعن بالله**» قال بعضهم: «هذا حديث وهابي»!!

وإذا وضع المصلي يديه على صدره أو حرّك اصبعه في التشهد كما فعل الرسول ﷺ قال الناس عنه وهابي!!

فأصبح الوهابي رمزاً للموحد الذي يدعو ربه وحده ويتبع سنة نبيه، والوهابي منسوب للوهاب ـ وهو اسم من أسماء الله ـ الذي وهب له التوحيد وهو أكبر نعمة من الله على الموحدين.

٥. على دعاة التوحيد أن يصبروا ويتأسوا برسول الله ﷺ الذي قال له ربه: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾ [المزمل]، ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإنسان].

٦. على المسلمين أن يقبلوا دعوة التوحيد ويحبوا دعاته لأن التوحيد دعوة الرسل عامة ودعوة رسولنا محمد ﷺ، فمن أحب الرسول ﷺ أحب دعوة التوحيد ومن أبغض التوحيد فقد أبغض الرسول ﷺ.

إن الحكم إلا لله

خلق الله العالم لعبادته وحده، وأرسل لهم الرسل لتعليمهم وأنزل مع الرسل الكتب ليحكم بالحق والعدل بينهم، وهذا الحكم يتمثل في كلام الله وكلام رسوله ﷺ ويشمل الحكم في العبادات والمعاملات والعقائد والتشريع والسياسة، وغيرها من أمور البشر.

١. الحكم في العقيدة: أول ما بدأ به الرسل دعوتهم تصحيح العقائد،

ودعوة الناس للتوحيد، فهذا يوسف عليه السلام في السجن يدعو صاحبيه إلى التوحيد عندما سألاه تعبير الرؤيا، وقبل أن يجيبهما قال لهما: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف].

٢. الحكم في العبادات: يجب أن نأخذ أحكام العبادات من صلاة وزكاة وحج وغير ذلك من القرآن والحديث الصحيح عملاً بقوله ﷺ: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**» متفق عليه.

وقوله ﷺ: «**خذوا عني مناسككم**» رواه مسلم.

وعملاً بقول الأئمة المجتهدين: «إن صح الحديث فهو مذهبي».

فإذا اختلفت الأئمة في أمر من الأمور فلا نتعصب لقول أحد، إلا لمن معه الدليل الصحيح الذي له أصل من الكتاب والسنة.

٣. الحكم في المعاملات من بيع وشراء وقرض وإجارة وغيرها يكون الحكم فيها لله ولرسوله، لقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء].

وقد ذكر المفسرون سبب نزولها وهو أن رجلين اختلفا في السقاية فحكم الرسول ﷺ للزبير أن يسقي فقال رجل حكمتَ له لأنه ابن عمتك! فنزلت الآية، رواه البخاري.

٤. الحكم في الحدود والقصاص لقوله تعالى: ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ﴾... إلى قوله: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

٥. الحكم لله في التشريع لقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [الشورى: ١٣].

وقد أنكر الله على المشركين إعطاء حق التشريع لغير الله فقال: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى: ٢١].

الخلاصة

يجب على المسلمين أن يحكموا بالكتاب والسنة الصحيحة، ويتحاكموا إليها في كل شيء عملاً بقوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩].

وقوله ﷺ: «**وما تحكُمْ أئمتهم بكتاب الله ويتخيَّروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم**» حسن رواه ابن ماجه وغيره.

وعلى المسلمين أن يُلغوا القوانين الأجنبية من بلادهم كالقوانين الفرنسية والانجليزية وغيرهما مما يخالف حكم الاسلام وأن لا يلجؤوا إلى المحاكم التي تحكم بقوانين تخالف الاسلام وأن يتحاكموا إلى الاسلام عند مَن يثقون به من أهل العلم فذلك خير لهم، لأن الاسلام ينصفهم ويعدل بينهم ويوفر عليهم المال والوقت الذي يضيع في المحاكم المدنية بلا فائدة تُذكر، إضافة إلى العذاب الأكبر يوم القيامة لأنه أعرض عن حكم الله العادل ولجأ إلى حكم المخلوق الظالم.

العقيدة أولاً إو الحاكمية؟

أجاب الداعية الكبير محمد قطب على هذا في محاضرة ألقاها في دار الحديث بمكة المكرمة، وهذا نص السؤال:

س ـ البعض يقول إن الإسلام سيعود من قبل الحاكمية والبعض الآخر يقول: سيعود الاسلام عن طريق تصحيح العقيدة والتربية الجماعية، فأيهما أصح؟

ج ـ من أين تأتي حاكمية هذا الدين في الأرض إن لم يكن دعاة يصححون العقيدة ويؤمنون إيماناً صحيحاً ويُبتلون في دينهم فيصبرون، ويجاهدون في سبيل الله فيُحَكِّم دين الله في الأرض قضية واضحة جداً، ما يأتي الحاكم من السماء، ما يتنزل من السماء وكل شيء يأتي من السماء، لكن بجهدٍ من البشر، فرضه الله على البشر: قال تعالى: ﴿وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖ﴾ [محمد: ٤].

لا بد أن نبدأ بتصحيح العقيدة وتربية جيل على العقيدة الصحيحة، جيل يُبتلى فيصبر على البلاء كما صبر الجيل الأول.

الشرك الأكبر وأنواعه

الشرك الأكبر أن تجعل لله نداً (مثيلاً) تدعوه كما تدعو الله أو تصرف له نوعاً من أنواع العبادة، كالاستغاثة أو الذبح أو النذر أو غيرها، وفي الصحيحين عن ابن مسعود ﷺ، سألت النبي ﷺ أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» رواه البخاري ومسلم، والندّ هو المثيل والشريك.

أنواع الشرك الأكبر:

١. شرك الدعاء: وهو دعاء غير الله من الأنبياء والأولياء لطلب الرزق أو شفاء المرض، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ (أي المشركين بالله) [يونس].

ولقوله ﷺ: «**من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار**» رواه البخاري.

والدليل على أن دعاء غير الله من الأموات أو الغائبين شرك، قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر].

٢. الشرك في صفات الله: كالاعتقاد بأن الأنبياء أو الأولياء يعلمون الغيب قال الله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [الأنعام: ٥٩].

٣. شرك المحبة: وهو محبة الأولياء وغيرهم كمحبة الله لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ١٦٥].

٤. شرك الطاعة: وهو طاعة العلماء والمشايخ في المعصية مع اعتقادهم جواز ذلك لقوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

وقد فسرت العبادة بطاعتهم في المعصية بتحليل ما حرّم الله وتحريم ما أحل الله.

قال ﷺ: **«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»** صحيح رواه أحمد.

٥. شرك الحلول: وهو الاعتقاد بأن الله حل في مخلوقاته وهذه عقيدة ابن عربي الصوفي المدفون بدمشق حين قال:

الــرّبّ عــبــدٌ والــعــبــدُ ربّ يـا ليـتَ شِـعـري مَـن الـمـكـلـفُ؟

وقال شاعر آخر صوفي يعتقد الحلول:

ومـا الـكـلـب والـخـنـزيـر إلا إلـهـنـا ومـا الله إلا راهـبٌ فـي كـنـيـسـة

٦. شرك التصرف: وهو اعتقاد أن بعض الأولياء لهم تصرفات في الكون يدبرون أموره، يسمونهم الأقطاب مع أن الله تعالى يسأل المشركين الأقدمين قائلاً: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [يونس: ٣١].

٧. شرك الخوف: وهو الاعتقاد بأن لبعض الأولياء الأموات أو الغائبين تصرّفاً وضرراً يسبب الخوف منهم وهذا اعتقاد المشركين الذي حذر منه القرآن بقوله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ﴾ [الزمر: ٣٦].

أما الخوف من الحيوان المفترس والظالم الحي فجائز وليس بشرك.

٨. شرك الحاكمية: وهو الذي يصدر القوانين المخالفة للاسلام ويجيزها، أو يرى عدم صلاحية حكم الاسلام، ويشمل الحاكم والمحكوم، وذلك إذا اعتقدها المحكوم ورضي بها.

٩. الشرك الأكبر يحبط العمل، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر].

١٠. الشرك الأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة وترك الشرك كله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء].

١١. وللشرك أنواع كثيرة، منها الأكبر والأصغر... يجب الحذر منها، وقد علمنا الرسول ﷺ أن نقول: **«اللهم إنا نعوذُ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلم»** رواه أحمد بسند حسن.

مثل من يدعو غير الله

١. قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج]

يخاطب الله الناس جميعاً أن يستمعوا لهذا المثل العظيم قائلاً لهم: إن هؤلاء الأولياء والصالحين وغيرهم الذين تدعونهم عند الشدائد ليساعدوكم لا يستطيعون أن يفعلوا ذلك، بل هم عاجزون أن يخلقوا شيئاً من المخلوقات كالذباب وإذا أراد الذباب أن يسلب شيئاً من طعامهم أو شرابهم لا يستطيعون أن يُخلّصوه منه ما أخذ منهم وهذا دليل على ضعفهم، وضعف الذباب، فكيف تدعونهم من دون الله؟! وهذا مثل فيه أثر شديد على من يَدعو غير الله من الأنبياء والأولياء!!

٢. قال الله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَـٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَـٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد].

تفيد هذه الآية أن الدعاء الذي هو العبادة يجب أن يكون لله وحده، وهؤلاء الذين يدعون غير الله لا ينتفعون منهم ولا يستجيبون لهم بشيء مَثلهم في ذلك مثل الذي يقف على طرف البئر ليتناول الماء منه بيده، فلا يستطيع.

وقال مجاهد: يدعو الماء بلسانه ويشير إليه فلا يأتيه أبداً.

ثم حكم الله على الذين يدعون غير الله بالكفر وأن دعاءهم ضلال في قوله تعالى: ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ﴾ [الرعد: ١٤].

فاحذر يا أخي المسلم أن تدعوا غير الله فتكفر وتضل، وادع الله وحده القادر، حتى تكون من المؤمنين الموحدين.

كيف ننفي الشرك بالله

إن نفي الشرك بالله تعالى لا يتم إلا بنفي ثلاثة أنواع من الشرك:

١. الشرك في أفعال الرب: وذلك بأن يعتقد أن مع الله خالقاً أو مدبراً آخر، كاعتقاد بعض الصوفية بأن الله سلَّم بعض مقاليد الأمور إلى بعض أوليائه

من الأقطاب لتدبيرها! وهذا الاعتقاد لم يقله المشركون قبل الاسلام حين سألهم الله تعالى: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ٣١].

قرأت في كتاب «الكافي في الرد على الوهابي» ومؤلفه صوفي قال فيه: إن لله عباداً يقولون للشيء كن فيكون.

والقرآن يكذبهم قائلاً: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس].

وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

٢. الشرك في العبادة والدعاء: وهو أن يعبد ويدعو مع الله غيره من الأنبياء والصالحين كالاستغاثة بهم ودعائهم عند الشدائد أو الرخاء، وهذا مع الأسف كثير في هذه الأمة، ويحمل وزره الأكبر بعض المشايخ الذين يؤيدون هذا النوع من الشرك باسم التوسل، يُسمونه بغير اسمه، لأن التوسل طلب من الله بغير واسطة وهذا الذي يفعلونه طلب من غير الله كقولهم: «المدد يا رسول الله، يا جيلاني يا بدوي ... الخ».

وهذا الطلب عبادة لغير الله لأنه دعاء لقوله ﷺ: **«الدعاء هو العبادة»** رواه الترمذي وقال حسن صحيح.

والمدد لا يطلب إلا من الله لقوله تعالى: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ [نوح: ١٢].

٣. ومن الشرك في العبادة شرك الحاكمية إذا اعتقد الحاكم أو المحكوم عدم صلاحية حكم الله، أو أجاز الحكم بغيره.

٤. الشرك في الصفات: وذلك بأن يصف بعض خلقه من الأنبياء والأولياء وغيرهم ببعض الصفات الخاصة بالله ﷻ كعلم الغيب مثلاً، وهذا النوع منتشر بين الصوفية ومن تأثر بهم كقول البويصيري يمدح النبي ﷺ:

فإن من جودك الدنيا وضرَّتها ومن علومك علم اللوح والقلم

ومن هنا جاء ضلال بعض الدجالين الذين يزعمون رؤية الرسول ﷺ يقظة، ويسألونه عما خفي عليهم من بواطن نفوس من يخالطونهم ويريدون تأميرهم في بعض شؤونهم ورسول الله ﷺ ما كان ليعلم مثل ذلك في حل

حياته كما حكى القرآن عنه بقوله: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

فكيف يعلم ذلك الغيب بعد وفاته وانتقاله إلى الرفيق الأعلى؟

وحين سمع الرسول ﷺ إحدى الجواري تقول: «وفينا نبي يعلم ما في غد» فقال لها: «دعي هذا وقولي بالذي كنتِ تقولين» رواه البخاري.

والرسل قد يطلعهم الله على بعض المغيبات، لقول الله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧].

مَن هو المُوحِّد؟

هذه الأنواع الثلاثة من الشرك من نفاها عن الله، فوحده في ذاته وفي عبادته ودعائه وفي صفاته، فهو الموحِّد الذي تشمله كل الفضائل الخاصة بالموحدين، ومن أثبت نوعاً منها، فلا يكون مُوحِّداً، بل ينطبق عليه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

وإذا تاب ونفى الشريك مع الله فيكون من الموحّدين.

اللهم اجعلنا من الموحّدين لا تجعلنا من المشركين.

الشرك الأصغر وأنواعه

كل وسيلة يمكن أن تؤدي للشرك الأكبر، ولم تبلغ رتبة العبادة، ولا يخرج فاعله من الاسلام ولكنه من الكبائر:

١. الرياء اليسير: والتصنع للمخلوق، كالمسلم الذي يعمل لله ويصلي لله، ولكنه يُحسن صلاته وعمله ليمدحه الناس، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

وقال رسول الله ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر الرياء، يقول الله يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين تُراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء**» صحيح رواه أحمد.

٢. الحلف بغير الله لقوله ﷺ: **«مَن حَلفَ بغير الله فقد أشرك»** صحيح رواه أحمد.

وقد يكون الحلف بغير الله من الشرك الأكبر، وذلك إذا اعتقد الحالف أن الولي له تصرفات يضره إذا حلف به كذباً.

٣. الشرك الخفي: وفسره ابن عباس بقول الرجل لصاحبه: **«ما شاء الله وشئت . . .»**.

ومثله: لولا الله وفلان، ويجوز أن نقول: «لولا الله ثم فلان».

وقال ﷺ: **«لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان»** صحيح رواه أحمد وغيره.

من مظاهر الشرك

إن مظاهر الشرك المنتشرة في العالم الاسلامي هي السبب الرئيسي في مصائب المسلمين وما يلاقونه من الفتن والزلازل والحروب وغيرها من أنواع العذاب الذي صبه الله على المسلمين بسبب إعراضهم عن التوحيد وظهور الشرك في عقيدتهم وسلوكهم، والدليل على ذلك ما نراه في أكثر بلاد المسلمين من مظاهر الشرك المتنوعة التي حسبها الكثير من المسلمين أنها من الاسلام، ولذلك لم ينكروها علماً بأن الاسلام جاء ليحطم مظاهر الشرك أو المظاهر التي تؤدي إليه وأهم هذه المظاهر:

١. دعاء غير الله: ويظهر ذلك في الأناشيد والقصائد التي تقال بمناسبة الاحتفال بالمولد أو بذكرى تاريخية، فقد سمعتهم ينشدون:

يا إمام الرسل يا سندي أنت باب الله ومعتمدي
وفي دنياي وآخرتي يا رسول الله خذ بيدي
ما يبدلني عسراً يسراً إلاك يا تاج الخضره

ولو سمع الرسول مثل هذا لتبرأ منك، إذ لا يبدل العسر باليسر إلا الله وحده، ومثلها قصائد الشعر التي تكتب في المجلات والكتب وفيها طلب المدد

والعون والنصر من الرسول والأولياء والصالحين العاجزين عن تحقيقها.

٢. دفن الأولياء والصالحين في المساجد: فترى في أكثر بلاد المسلمين القبور في بعض المساجد وقد بنيت عليها القباب وبعض الناس يسألونها من دون الله وقد نهى الرسول ﷺ عن ذلك بقوله: **«لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»** متفق عليه.

فإذا كان دفن الأنبياء في المساجد ليس مشروعاً فكيف يجوز دفن المشايخ والعلماء؟ علماً بأن هذا المدفون قد يُدعى من دون الله فيكون سبباً لحصول الشرك والاسلام يحرم الشرك ويحرم وسائله المؤدية إليه.

٣. النذر للأولياء: بعض الناس ينذرون ذبيحة أو مالاً أو غير ذلك للولي الفلاني، وهذا النذر شرك يجب عدم تنفيذه لأن النذر عبادة وهي لله وحده، قال الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ۝٧﴾ [الانسان].

٤. الذبح عند قبور الأنبياء والأولياء: ولو كانت النية أن الذبيحة لله فهو من عمل المشركين الذين كانوا يذبحون عند قبور أصنامهم الممثلة لأوليائهم لقول الرسول ﷺ: **«لعن الله من ذبح لغير الله»** رواه مسلم.

٥. الطواف حول قبور الأنبياء والأولياء: كالجيلاني والرفاعي والبدوي والحسين وغيرهم لأن الطواف عبادة لا يجوز إلا حول الكعبة لقوله تعالى: ﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

٦. الصلاة إلى القبور: وهي غير جائزة لقوله ﷺ: **«لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها»** رواه مسلم.

٧. شد الرحال إلى القبور للتبرك بها أو للصلاة عندها: لا يجوز لقوله ﷺ: **«لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى»** متفق عليه.

وإذا أردنا الذهاب إلى المدينة المنورة فنقول ذهبنا لزيارة المسجد النبوي والسلام على صاحبه.

٨. الحكم بغير ما أنزل الله: كالحكم بالقوانين الوضعية المخالفة للقرآن

الكريم والسنة الصحيحة إذا اعتقد بجواز العمل بتلك القوانين، ومثلها الفتاوى التي تصدر عن بعض المشايخ وهي تتعارض مع النصوص الاسلامية، كتحليل الربا (متعمداً غير متأول) الذي أعلن الله الحرب على فاعله.

٩. طاعة الحكام أو العلماء أو المشايخ في أمر يخالف نص القرآن أو صحيح السنة وهذا يسمى شرك الطاعة (إذا اعتقد المطيع جواز طاعتهم في المعصية) لقوله ﷺ: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**» صحيح رواه أحمد. وقوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة].

وقد فسر حذيفة العبادة بالطاعة فيما أحل لهم علماء اليهود وحرموا.

المشاهد والمزارات

إن المشاهد التي نراها في البلاد الإسلامية، كبلاد الشام والعراق ومصر وغيرها من البلاد لا توافق تعاليم الإسلام، فقد نهى الرسول ﷺ عن البناء على القبور، ففي الحديث الصحيح: «نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يُقعد عليه وأن يُبنى عليه» رواه المسلم.

والتجصيص: يشمل الدهان بالكلس وغيره.

وفي رواية صحيحة للترمذي: «وأن يُكتب عليه»: القرآن والشعر وغيره.

١. إن هذه المزارات أكثرها غير صحيح فالحسين ابن علي رضي الله عنه استشهد في العراق ولم يصل إلى مصر فقبره في مصر غير صحيح وأكبر دليل على ذلك أن له قبراً في العراق ومصر والشام، ودليل آخر وهو أن الصحابة لا يدفنون الموتى في المسجد لقوله ﷺ: «**قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» متفق عليه.

والحكمة في ذلك حتى تبقى المساجد خالية من الشرك.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن].

والثابت أن الرسول ﷺ دُفن في بيته ولم يُدفن في مسجده، وقد وسّع الأمويون المسجد فأدخلوه فيه وليتهم لم يفعلوا.

وقبر الحسين الآن يطوف بعض الناس حوله ويطلبون حاجاتهم التي لا تطلب إلا من الله، كشفاء المرضى وتفريج الكربات، وديننا يأمرنا أن نطلبها من الله وحده وأن لا نطوف إلا حول الكعبة، قال تعالى: ﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

٢. إن مشهد السيدة زينب بنت علي غير صحيح لأنها لم تمت في مصر ولا في الشام، والدليل على ذلك وجود مشهد لها في كل منها!!

٣. إن الإسلام يُنكر بناء القباب على القبور وجعلها في المساجد ولو كانت صحيحة كقبر الحسين في العراق وعبدالقادر الجيلاني في بغداد والإمام الشافعي في مصر وغيرهم للنهي العام الوارد المتقدم، وحدثني شيخ صادق أنه رأى رجلاً يُصلي إلى قبر الجيلاني ويترك القبلة وقدّم النصيحة له فرفضها وقال له أنت وهابي!! وكأنه لم يسمع قوله ﷺ: «**لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها**» رواه مسلم.

٤. إن أكثر المشاهد في مصر بنتها بما يسمى بالدولة الفاطمية (اسمها الحقيقي العبيديون نسبة إلى عبيد بن سعد، ذكر اسمه ابن كثير في البداية والنهاية ج١١/٣٤٦) قال ابن كثير عنهم:

كفار فساق فجار ملحدون زنادقة معطلون للإسلام جاحدون ولمذهب المجوسية معتقدون.

هؤلاء الكفار راعهم لما رأوا المساجد تمتلأ بالمصلين وهم لا يصلون ولا يحجون ويحقدون على المسلمين ففكروا في صرف الناس عن المساجد فأنشؤوا القباب والمزارات الكاذبة وزعموا أن فيها الحسين بن علي وزينب بنت علي وأقاموا لها احتفالات ليجذبوا الناس إليها وسموا أنفسهم بالفاطميين تستراً ليميل الناس إليهم، ثم أخذ عنهم المسلمون هذه البدع التي أوقعتهم في الشرك وصرفوا لها الأموال الطائلة وهم في أمس الحاجة إليها لشراء الأسلحة للدفاع عن دينهم وكرامتهم.

٥. إن المسلمين الذين صرفوا الأموال على بناء القباب والمزارات والجدران والشواهد على القبور لا تفيد الميت شيئاً ولو أعطوا هذه الأموال للفقراء لنفعت الأحياء والأموات علماً بأن الاسلام يحرم البناء على القبور كما تقدم.

قال ﷺ لعلي ﷺ: **«لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»** رواه مسلم. أي لا تترك قبراً مرتفعاً إلا كسّرته وجعلته قريباً من الأرض.

وقد سمح الاسلام أن يرفع القبر قدر شبر حتى يُعرف.

٦. وهذه النذور التي تقدم للأموات هي من الشرك الأكبر يأخذها الخدام بالحرام وقد يصرفونها في المعاصي والشهوات، فيكون صاحب النذر والمُعطي شريكه في ذلك.

ولو أعطي هذا المال باسم الصدقة للفقراء لاستفاد الأحياء والأموات وتحقق للمتصدق ما يحتاجه في قضاء حوائجه.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وحببنا فيه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه وكرهنا فيه.

مفاسد الشرك وأضراره

إن للشرك مفاسد وأضراراً كثيرة في حياة الفرد والمجتمع أهمها:

١. الشرك مهانة للانسانية: إنه إهانة لكرامة الانسان، وانحطاط لقدره ومنزلته، فقد استخلفه الله في الأرض وكرّمه وعلمه الأسماء كلها، وسخر له ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه، وجعل له السيادة على كل ما في هذا الكون، ولكنه جهِل نفسه وجعل بعض عناصر هذا الكون إلهاً معبوداً يخضع له ويذل، وأي إهانة للانسان أكثر من أن يرى - إلى يومنا هذا - مئات الملايين من البشر في الهند يعبدون البقر التي خلقها الله للانسان ولتخدمه وهي صحيحة ويأكلها وهي ذبيحة، ثم ترى بعض المسلمين يعكفون على قبور الموتى ويسألونهم حاجاتهم وهم عبيد مثلهم لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً، فالحسين ﷺ لو يستطع أن يمنع عن نفسه القتل فكيف يدفع عن غيره البلاء ويجلب النفع؟

والأموات يحتاجون لدعاء الأحياء، فنحن ندعوا لهم ولا ندعوهم من دون الله، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج].

٢. الشرك وِكرُ الخرافات والأباطيل: لأن الذي يعتقد بوجود مؤثر غير الله في الكون من الكواكب أو الجن أو الأشباح أو الأرواح يُصبح عقله مستعداً لكل خرافة وتصديق كل دجال، وبهذا يروج في المجتمع الشرك بضاعة الكهنة والعرافين والسحرة والمنجمين وأشباههم ممن يدعون علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، كما يشيع في هذا المجتمع إهمال الأسباب والسنن الكونية.

٣. الشرك ظلم عظيم: ظلم للحقيقة، لأن أعظم الحقائق أن لا إلٰه إلا الله، ولا ربّ غيره ولا حكم سواه، ولكن المشرك اتخذ غير الله إلهاً وابتغى حكماً والشرك ظلم للنفس لأن المشرك جعل نفسه عبداً لمخلوق مثله أو دونه، وقد خلقه الله حراً، والشرك ظلم للغير لأن المشرك بالله فقد ظلمه حيث أعطاه من الحق ما ليس له.

٤. الشرك مصدر المخاوف والأوهام: فإن الذي يقبل عقله الخرافات ويصدق الأباطيل يصبح خائفاً من جهات شتى لأنه اعتمد على عدة آلهة، كلها عاجزة عن جلب النفع ودفع الضر عن نفسها ولهذا ينتشر في جو الشرك التشاؤم والرعب مع غير سبب ظاهر، كما قال تعالى: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [آل عمران].

٥. الشرك يعطل العمل النافع: لأنه يُعلم أتباعه الاعتماد على الوسطاء والشفعاء فيتركون العمل الصالح ويرتكبون الذنوب معتقدين أن هؤلاء سيشفعون لهم عند الله وهذا اعتقاد العرب قبل الاسلام الذين قال الله فيهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس].

وهؤلاء النصارى الذين يعملون المنكرات معتقدين أن المسيح قد كفَّر عنهم الخطايا حين صُلِب بزعمهم وبعض المسلمين يتركون الواجبات ويفعلون المحرمات ويعتمدون على شفاعة رسولهم لدخول الجنة، مع أن رسولهم الكريم يقول لبنته فاطمة: **«يا فاطمة بنت محمد سَليني من مالي ما شئتِ لا أغني عنك من الله شيئاً»** رواه البخاري.

٦. الشرك سبب الخلود في النار: والشرك سبب للضياع في الدنيا والعذاب المؤبد في الآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال ﷺ: **«من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار»** رواه البخاري، والنِّد: المثيل والشريك.

٧. الشرك يفرق الأمة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم].

الخلاصة

إن كل الفصول المتقدمة توضح وضوحاً تاماً أن الشرك أعظم أمر يجب الاحتراز منه، والترفع عنه، والخوف من التورط فيه لأنه أعظم الذنوب ولأنه يحبط كل ما يعمله العبد من أعمال صالحة قد يكون منها نفع للأمة وخدمة للإنسانية، كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان].

(نقلاً من كتاب دليل المسلم في الاعتقاد للشيخ عبدالغني خياط).

التوسل المشروع

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

قال قتادة: تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه.

والتوسل المشروع هو الذي أمر به القرآن وحكاه الرسول ﷺ وعمل به الصحابة، وله أنواع عديدة أهمها:

١. التوسل بالإيمان: قال تعالى يحكي توسل عباده بإيمانهم: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ [آل عمران].

٢. التوسل بتوحيد الله: كدعاء يونس عليه السلام حين ابتلعه الحوت: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء].

٣. التوسل بأسماء الله: قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨].

ومن دعاء الرسول ﷺ قوله: «**أسألك بكل اسم هو لك...**» رواه الترمذي وقال حسن صحيح.

٤. التوسل بصفات الله كقوله ﷺ: «**يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث**» حسن رواه الترمذي.

وقال الشيخ الرفاعي: اطلبوا حوائجكم من الله بمحبته لأوليائه.

٥. التوسل بالأعمال الصالحة: كالصلاة وبر الوالدين وحفظ الحقوق والأمانة والصدق والذكر وتلاوة القرآن والصلاة على النبي ﷺ، وحبنا له ولأصحابه ... وغيرها من الأعمال الصالحة، فقد ثبت في صحيح مسلم قصة أصحاب الغار الذين حُبسوا فيه، فتوسلوا إلى الله بحفظ حق الأجير والاحسان للوالدين ففرج الله عنهم.

٦. التوسل إلى الله بترك المعاصي كالخمر والزنا وغيرها من المحرمات، وقد توسل أحد أصحاب الغار الذين حُبسوا فيه بتركه الزنا ففرج الله عنه.

وبعض المسلمين تركوا العمل الصالح والتوسل به، ولجؤوا إلى التوسل بأعمال غيرهم من الأموات مخالفين هدي الرسول ﷺ وصحابته.

٧. التوسل بطلب الدعاء من الأنبياء والصالحين الأحياء، فقد ورد أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ، فقال: أُدع الله أن يعافيني. قال: إن شئت دعوتُ الله لك وإن شئت صبرتَ فهو خير لك، فقال: ادعُه، فأمره أن يتوضأ فيُحسن وضوءه

فيصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضى لي، اللهم شفعه فيّ وشفعني فيه. قال: ففعل الرجل فبرأ. صحيح رواه أحمد.

يفيد هذا الحديث: أن الرسول ﷺ دعا للأعمى وهو حي، فاستجاب الله دعاءه وأمره أن يدعو لنفسه ويتوجه إلى الله بدعاء نبيه فقبل الله منه وهذا دعاء خاص في حياته ﷺ، ولا يمكن الدعاء بعد الوفاة لأن الصحابة لم يفعلوه ولم يستفد منه العميان بعد هذه الحادثة.

التوسل الممنوع

التوسل الممنوع: هو الذي لا أصل له في الدين، وهو أنواع:

١. التوسل بالأموات، وطلب الحاجات منهم والاستعانة بهم كما هو واقع اليوم ويسمونه توسلاً، وليس كذلك لأن التوسل هو الطلب من الله بواسطة مشروعة كالإيمان والعمل الصالح وأسماء الله الحسنى، ودعاء الأموات إعراض عن الله وهو من الشرك الأكبر، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس]. الظالمين: المشركين.

٢. أما التوسل بجاه الرسول كقولك: «يا رب بجاه محمد اشفني» فهو بدعة لأن الصحابة لم يفعلوه ولأن عمر الخليفة توسل بالعباس حياً بدعائه ولم يتوسل بالرسول ﷺ بعد موته عندما طلب نزول المطر، وحديث: «توسلوا بجاهي» لا أصل له، كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية وهذا التوسل البدعي قد يؤدي للشرك، وذلك إذا اعتقد أن الله محتاج لواسطة كالأمير والحاكم لأنه شبه الخالق بالمخلوق. وقال أبو حنيفة: «أكره أن أسأل الله بغير الله» كما في الدر المختار.

٣. وأما طلب الدعاء من الرسول بعد موته، كقولك: «يا رسول الله ادع لي» فغير جائز، لأن الصحابة لم يفعلوه ولقوله ﷺ: **«إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»** رواه مسلم.

شروط تحقيق النصر

إن القارئ لسيرة الرسول ﷺ وجهاده يرى المراحل التالية:

١. مرحلة التوحيد: بقي الرسول ﷺ ثلاث عشرة عاماً في مكة المكرمة، وهو يدعو قومه إلى توحيد الله في العبادة والدعاء والحكم ومحاربة الشرك، حتى ثبتت هذه العقيدة في نفوس أصحابه وأصبحوا شجعاناً لا يخافون إلا الله.

فيجب على الدعاة أن يبدؤوا بالتوحيد ويحذروا من الشرك ليكونوا برسول الله من المقتدين.

٢. مرحلة الأخوة: لقد هاجر الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة ليكوّن المجتمع المسلم القائم على التحابب، فأول ما بدأ به هو بناء مسجد يجتمع فيه المسلمون لعبادة ربهم ويتاح لهم الاجتماع كل يوم خمس مرات، لينظموا حياتهم وقد بادر الرسول ﷺ إلى المؤاخاة بين الأنصار سكان المدينة وبين المهاجرين من مكة الذين تركوا أموالهم فعرض الأنصار أموالهم للمهاجرين وقدّموا لهم كل ما يحتاجون إليه.

ولقد وجد الرسول ﷺ سكان المدينة، وهم من الأوس والخزرج بينهم عداوة قديمة، فأصلح بينهم، وأزال الحقد والعداوة من صدورهم وجعلهم إخوة متحابين في الإيمان والتوحيد. كما جاء في الحديث: المسلم أخو المسلم . . . الخ.

٣. الاستعداد: لقد أمر القرآن الكريم بالاستعداد للأعداء فقال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وفسرها الرسول ﷺ بقوله: «**ألا إن القوة الرمي**» رواه مسلم.

والرمي وتعليمه واجب على كل مسلم حسب استطاعتهم، فالمدفع والدبابة والطائرة وغيرها من الأسلحة التي تحتاج إلى تعليم الرمي عند استعمالها، وليت طلاب المدارس تعلموا الرماية وأجروا المباريات والمسابقات لاستفادوا في الدفاع عن دينهم ومقدساتهم، ولكن الأولاد يضيعون أوقاتهم في لعب الكرة وإجراء المباريات فيكشفون الأفخاذ التي أمرنا الاسلام بسترها ويضيعون الصلوات التي أمرنا الله بالمحافظة عليها.

٤. وعندما نعود إلى عقيدة التوحيد ونكون إخواناً متحابين ونستعد للأعداء بالسلاح سيتحقق إن شاء الله النصر للمسلمين كما تحقق النصر للرسول ﷺ وصحابته من بعده... قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ [محمد].

٥. ليس هذا معناه أن هذه المراحل منفصلة، بمعنى أن مرحلة الأخوة لا تكون مع مرحلة التوحيد، فهذه المراحل يمكن أن تتداخل.

قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]. هذه الآية الكريمة تبين أن الله تعهد للمؤمنين بالنصر على أعدائهم وهو وعد لا يتخلف فقد نصر الله رسوله في غزوة بدر والأحزاب وغيرهما من الغزوات ونصر أصحاب رسول الله ﷺ بعده على أعدائهم، وانتشر الاسلام وفتحت البلاد وانتصر المسلمون رغم الأحداث والمصائب وكانت العاقبة للمؤمنين الذين صدقوا الله في إيمانهم وتوحيدهم وعبادتهم ودعائهم لربهم في وقت الشدة والرخاء، وهذا القرآن يحكي حال المؤمنين في غزوة بدر وهم قليلون في العدد والعدة، فيدعون ربهم: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ۝٩﴾ [الأنفال].

فاستجاب الله دعاءهم، وأمدهم بالملائكة يقاتلون معهم فيضربون أعناق الكفار ويضربون أطرافهم، وذلك حين قال: ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾ [الأنفال: ١٢].

وتم نصر المؤمنين الموحدين، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝١٢٣﴾ [آل عمران].

وكان من دعاء الرسول ﷺ في معركة بدر: «**اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبد في الأرض**» رواه مسلم.

ونرى المسلمين اليوم يخوضون المعارك ضد أعدائهم في أكثر البلاد ولا ينتصرون فما هو سبب ذلك؟ هل يتخلف وعد الله بالنسبة للمؤمنين؟ لا أبداً لا يتخلف ولكن أين المؤمنون حتى يأتيهم النصر المذكور في الآية؟ نسأل المجاهدين:

١. هل استعدوا بالايمان والتوحيد اللذين بدأ بهما الرسول دعوته في مكة قبل القتال؟

٢. هل أخذوا بالسبب الذي أمرهم به ربهم بقوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [الأنفال: ٦٠] وقد فسرها الرسول ﷺ بالرمي.

٣. هل دعوا ربهم وأفردوه بالدعاء عند القتال، أم أشركوا معه غيره فراحوا يسألون النصر من غيره، ممن يعتقدون فيهم الولاية، وهم عبيد لله، لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، ولماذا لا يقتدون بالرسول في دعائه لربه وحده؟ ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦].

٤. هل هُم مجتمعون ومتحابون فيما بينهم شعارهم قول ربهم: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال: ٤٦].

٥. وأخيراً لما ترك المسلمون عقيدتهم وأوامر دينهم التي تأمر بالتقدم العلمي والحضاري تخلفوا عن سائر الأمم، وحين يعودون لدينهم يعود لهم تقدمهم وعزتهم.

٦. إذا حققتم الايمان المطلوب، فسيأتيكم النصر الموعود: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

الكفر الأكبر وأنواعه

الكفر الأكبر يُخرج صاحبه من الاسلام وهو الكفر الاعتقادي وأنواعه كثيرة منها:

١. كفر التكذيب: وهو تكذيب القرآن أو الحديث، أو بعض ما جاء فيهما، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوًى لِّلۡكَٰفِرِينَ ٦٨﴾ [العنكبوت]، وقوله تعالى:

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥].

٢. كفر الإباء والاستكبار مع التصديق وهو عدم الانقياد للحق مع الاقرار به، ككفر إبليس والدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة].

٣. كفر الظن والشك بيوم القيامة، أو انكاره وعدم التصديق به والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾ [الكهف].

٤. كفر الإعراض: وهو الإعراض عن مطالب الاسلام غير مؤمن بها والدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣].

٥. كفر النفاق: وهو إظهار الاسلام باللسان ومخالفته في القلب والأعمال، لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾ [المنافقون]. وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة].

٦. كفر الجحود: وهو الذي ينكر شيئاً معلوماً من الدين مثل أركان الاسلام أو الايمان، كالذي يترك الصلاة غير معتقد بها، فهو كافر مرتد عن الاسلام.

وكذلك الحاكم إذا جحد حكم الله، لقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: مَن جحد ما أنزل الله فقد كفر.

الكفر الأصغر وأنواعه

الكفر الأصغر: هو الذي لا يخرج صاحبه من الاسلام مثل:

١. كفر النعمة والدليل قوله تعالى يخاطب المؤمنين من قوم موسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم].

٢. الكفر العملي: وهو أصل كل معصية أطلق عليها الشارع اسم الكفر مع بقاء اسم الإيمان على فاعله، مثل قوله ﷺ: «**سبابُ المسلم فسوق وقتالُه كفر**» رواه البخاري.

وقوله ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**» رواه مسلم.

فهذا كفر لا يخرج صاحبه من الاسلام بخلاف الكفر الاعتقادي.

٣. الحاكم بغير ما أنزل الله، وهو معترف بحكم الله قال ابن عباس: من أقر به فهو ظالم فاسق واختاره ابن جرير، وقال عطاء: كفر دون كفر.

احذروا الطواغيت

الطاغوت: هو كل ما عُبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع أو مُطاع في غير طاعة الله ورسوله.

ولقد أرسل الله الرسل ليأمروا أقوامهم بعبادة الله واجتناب الطاغوت.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [النحل].

والطواغيت كثيرة ورؤوسهم خمسة:

١. الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله والدليل قوله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس].

٢. الحاكم الظالم المغير لأحكام الله تعالى، كواضع الدستور الذي يخالف الاسلام، والدليل قوله تعالى منكراً على المشركين المشرّعين بما لم يرض به الله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

٣. الحاكم بغير ما أنزل الله، إذا اعتقد عدم صلاحية ما أنزل الله، أو أجاز الحكم بغيره، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

٤. الذي يدعي علم الغيب من دون الله لقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

٥. الذي يعبده الناس ويدعونه من دون الله وهو راض بذلك والدليل قوله تعالى: ﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء].

واعلم أنه يجب على المؤمن أن يكفر بالطاغوت حتى يكون مؤمناً مستقماً. والدليل قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وهذه الآية دليل على أن عبادة الله لا تنفع إلا باجتناب عبادة ما سواه، وورد في هذا المعنى قوله ﷺ: **«مَنْ قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حَرُمَ ماله ودمه»** رواه مسلم.

النفاق الأكبر

النفاق الأكبر هو إظهار الاسلام باللسان واعتقاد الكفر في القلب والجنان وهو على أنواع:

١. تكذيب الرسول ﷺ، أو تكذيب بعض ما جاء به.

٢. بغض الرسول ﷺ، أو بغض بعض ما جاء به.

٣. الفرح بهزيمة الاسلام أو كراهية انتصار دينه. وصاحب النفاق عذابه أشد من الكفار وخطره أعظم لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

ولهذا وصف الله الكافرين بآيتين، ووصف المنافقين بثلاثة عشر آية في أول سورة البقرة.

ونرى الصوفية مسلمين يُصلون ويصومون ولكن خطرهم عظيم حيث يفسدون عقائد المسلمين، فيُبيحون دعاء غير الله الذي هو من الشرك الأكبر، ويعتقدون أن الله في كل مكان، وينفون علوَّ الله على عرشه مخالفين القرآن والحديث.

النفاق الأصغر

هو النفاق العملي، كالمسلم المتصف بصفة المنافقين التي أخبر عنها الرسول ﷺ بقوله: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كَذب وإذا وعَدَ أخلفَ وإذا أؤتُمِنَ خان**» متفق عليه.

وقال رسول الله ﷺ: «**أربع من كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومَنْ كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدَعها: إذا حدَّث كذب، وإذا وَعدَ أخلف، وإذا عاهد غدَر وإذا خاصم فجَر**» متفق عليه.

وهذا نفاق لا يخرج صاحبه من الاسلام إلا أنه من الكبائر.

قال الترمذي: معنى هذا عند أهل العلم: نفاق العمل، وإنما نفاق التكذيب على عهد رسول الله ﷺ. (نقلاً من جامع الأصول - ج ١١/ ٥٦٩).

أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان

قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس].

تفيد هذه الآية أن الولي هو المؤمن التقي الذي يجتنب المعاصي، ويدعو ربه ولا يُشرك به أحداً، وقد تظهر له كرامة عند الحاجة مثل كرامة مريم حينما كانت تجد رزقاً في بيتها.

فالولاية ثابتة ولا تكون إلا لمؤمن طائع مُوَحِّد، ولا يشترط ظهور الكرامة للولي حتى يكون ولياً، لأن القرآن لم يشترطها.

ولا يمكن أن تظهر الولاية على يدِ فاسق أو مشرك يدعو غير الله، لأن ذلك من عمل المشركين، فكيف يكون من الأولياء المكرمين؟ والكرامة لا تكون بالوراثة من الأجداد، بل تكون بالإيمان والعمل الصالح، وما يظهر على بعض المبتدعين من ضرب الحديد في بطونهم، أو أكل النار، فهو من عمل الشيطان وهو استدراج لهم ليسيروا في ضلالهم: قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥].

والذين ذهبوا إلى الهند شاهدوا من المجوس أكثر من هذا كضرب السيف لبعضهم البعض وغير ذلك رغم كفرهم! والاسلام لا يُقر هذه الأعمال التي لم يعملها الرسول ﷺ وصحابته، ولو كان فيها خيراً لسبقونا إليها.

إن الولي عند كثير من الناس هو الذي يعلم الغيب وهذا مما اختص به الله وحده، وقد يُطلع بعض رسله عندما يُريد لقوله تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧].

فالآية خصصت الرسول ولم تذكر غيره.

وبعض الناس يرى قبراً بني عليه قبه فيظن أنه ولي، وقد يكون هذا القبر لفاسق أو ليس فيه أحد، والبناء على القبور قد حرمه الاسلام ففي الحديث: «نهى ﷺ أن يُجصّص القبر وأن يُبنى عليه» رواه مسلم.

فليس الولي من دُفن في مسجد أو أقيم له ضريح أو نُصبتْ له قبة، فهذا مخالف لتعاليم الاسلامِ، كما أن رؤيا الميت في المنام لا تعتبر دليلاً شرعياً على ولايته، فقد تكون أضغاث أحلام من الشيطان.

خرافات وليست كرامات

نشرت التوحيد تحت عنوان: «خرافات حول الدسوقي» جاء في حاشية الصاوي: أنه كان يتكلم بجميع اللغات: عجمي وسرياني ولغات الوحش والطير، وأنه صام في المهد، ورأى اللوح المحفوظ، وأن قدمه لم تسعها الدنيا، وأنه ينقل اسم مُريده من الشقاوة إلى السعادة، وأن الدنيا جعلت في يده كالخاتم، وأنه جاوز سدرة المنتهى.

وهذا كلام باطل لا يصدقه إلا غبي جاهل، بل هو كفر صراح، فكيف اطلع على اللوح المحفوظ الذي لم يطلع عليه سيد الخلق ﷺ؟

وكيف ينقل دراويشه من الشقاوة إلى السعادة؟

كل هذه خرافات يحكيها المتصوفة فخورين وما دَروا أنهم في ضلال مبين.

احذر قراءة الكتب التي تحتوي مثل هذه الخرافات: منها الطبقات الكبرى للشعراني، وخزينة الأسرار، ونزهة المجالس، والروض الفائق، ومكاشفة القلوب للغزالي، والعرائس للثعالبي، فكلها كتب يحرم طبعها وبيعها وقراءتها إلا على وجه الإنكار.

أنواعُ شُعَب الإيمان

قال رسول الله ﷺ: **«الإيمانُ بضعٌ وسِتون شُعبة فأفضلها قولُ لا إلٰه إلا الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق»** رواه مسلم.

وقد لخَّص الحافظ في الفتح ما أورده ابن حبان بقوله: إن هذه الشعب تتفرع من أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال البدن:

١. فأعمال القلب المعتقدات والنيات، وهي أربع وعشرون خصلة: الايمان بالله، ويدخُل فيه الايمان بذاته وصفاته وتوحيده بأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

واعتقاد حدوث ما دونه والايمان بملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره والإيمان باليوم الآخر، ويدخل فيه السؤال في القبر ونعيمه وعذابه والبعث والنشور والحساب والميزان والصراط والجنة والنار، ومحبة الله، والحبُ والبغضُ فيه، ومحبة النبي ﷺ واعتقاد تعظيمه: ويدخُل فيه الصلاة عليه ﷺ واتباع سنته، والإخلاص: ويدخل فيه ترك الرياء والنفاق، والتوبة والخوف، والرجاء والشكر والوفاء والصبر، والرضا بالقضاء والقدر والتوكل والرحمة والتواضع: ويدخل فيه توقير الكبير، ورحمة الصغير، وترك الكِبر والعُجب، وترك الحسد والحقد والغضب.

٢. وأعمال اللسان: وتشتمل على سبع خصال:

التلفظ بالتوحيد (شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله) وتلاوة القرآن وتعلم العلم وتعليمه والدعاء والذكر ويدخل فيه الاستغفار والتسبيح ... واجتناب اللغو.

٣. وأعمال البدن: وتشتمل على ثمان وثلاثين خصلة:

أ) منها ما يتعلق بالأعيان، وهي خمسة عشرة خصلة:

التطهّر حسّاً وحكماً: ويدخل فيه اجتناب النجاسات، وستر العورة، والصلاة فرضاً ونفلاً، والزكاة كذلك، وفك الرقاب، والجود: ويدخل فيه إطعام الطعام، وإكرام الضيف، والصيام فرضاً ونفلاً، والاعتكاف، والتماس ليلة القدر، والحج والعمرة، والطواف كذلك، والفرار بالدين: ويدخل فيه الهجرة من دار الشرك إلى دار الإيمان والوفاء بالنذر والتحري في الأمان بأن يكون الحلف عند الحاجة، وأداء الكفارات مثل كفارة اليمين وكفارة الجماع في نهار رمضان.

ب) ومنها ما يتعلق بالأتباع وهي ست خصال: التعفف بالنكاح والقيام بحقوق العيال وبر الوالدين ويدخل فيه اجتناب العقوق وتربية الأولاد، وصلة الرحم، وطاعة السادة في غير معصية الله، والرفق بالعبيد.

جـ) ومنها ما يتعلق بالعامة، وهي سبع عشرة خصلة:

القيام بالإمارة مع العدل، ومتابعة الجماعة، وطاعة أولي الأمر (وهم حكام المسلمون إذا لم يأمروا بمعصية)، والإصلاح بين الناس: ويدخل فيه قتال الخوارج (وهم الذين يكفرون المسلم بارتكاب الكبائر) والبغاة، والمعاونة على البر والتقوى: ويدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود، والجهاد: ومنه المرابطة وأداء الأمانة، ومنه أداء الخُمس، والقرض مع وفائه وإكرام الجار وحسن المعاملة، ويدخل فيه جمع المال من حِلّه، وإنفاقه في حقه، ويدخل فيه ترك التبذير والإسراف، ورد السلام، وتشميت العاطس، وكفُّ الضرر عن الناس، واجتناب اللهو، وإماطة الأذى عن الطريق.

وهذا الحديث المتقدم يدل على أن التوحيد هو كلمة لا إلٰه إلا الله أعلى مراتب الإيمان وأفضلها. فعلى الدعاة أن يبدؤوا بالأعلى ثم الأدنى، وبالأساس قبل البناء، وبالأهم فالمهم، لأن التوحيد هو الذي جمع الأمة العربية والأعجمية على الاسلام وكوّن منهم الدولة المسلمة دولة التوحيد.

أسباب حدوث المصائب وإزالتها

ذكر القرآن الكريم أسباب نزول المصائب وكيف يرفعها الله عن عباده، منها قوله تعالى:

١. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣].

٢. ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى].

٣. ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم].

٤. ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل].

٥. إن هذه الآيات الكريمة تُفيدنا أن الله تعالى عادل وحكيم وأنه لم يُنزل البلاء على قوم إلا بسبب عصيانهم لله ومخالفة أوامره، ولا سيما الابتعاد عن التوحيد وانتشار مظاهر الشرك في أكثر البلاد الاسلامية التي تعاني بسببه الفتن والمحن ولن تزول إلا بالرجوع إلى توحيد الله وتحكيم شريعته في النفس والمجتمع.

٦. ذكرَ القرآن حال المشركين ودعاءهم لله وحده حين نزول المصائب وحلول الشدة، فلما نجاهم مما هم فيه عادوا إلى الشرك ودعاء غير الله في وقت الرخاء.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت].

٧. إن كثيراً من المسلمين اليوم إذا وقعوا في مصيبة دعوا غير الله، وصاحوا: «يا رسول الله يا جيلاني، يا رفاعي يا مرغني، يا بدوي يا شيخ العرب..» فهم يشركون في الشدة وفي الرخاء، يخالفون كلام ربهم وكلام رسولهم ﷺ!

٨. إن المسلمين في غزوة أحد حينما هُزموا بسبب مخالفة بعض الرماة

لقائدهم تعجبوا من ذلك، فقال لهم الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وفي غزوة حنين حينما قال بعض المسلمين: «لن نُغلب مِن قلة» فكانت الهزيمة، وكان العتاب من الله في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة: ٢٥].

٩. كتب عمر بن الخطاب لقائده سعد في العراق:

ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا فربما سلط على قوم من هم شر منهم كما سلط على بني إسرائيل كفار المجوس لما عملوا بالمعاصي وسلوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه العون على عدوكم.

الاحتفال بالمولد النبوي

إن الذي يجري في أكثر الموالد لا يخلو من منكر وبدع ومخالفات، والاحتفال لم يفعله الرسول ﷺ ولا الصحابة والتابعون، ولا الأئمة الأربعة وغيرهم من أهل القرون المفضلة، ولا دليل شرعي عليه.

١. كثيراً ما يقع أهل المولد في الشرك، وذلك حينما يقولون:

يا رسول الله غوثاً ومدد يا رسول الله عليك المعتمد
يا رسول الله فرج كربنا ما رآك الكربُ إلا وشرَد

لو سمع رسول الله ﷺ هذا الكلام لحكم عليه بالشرك الأكبر، لأن الاغاثة وتفريج الكرب والمدد والاعتماد على الله وحده.

قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢].

ويأمر الله رسوله أن يقول للناس: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (٢١)﴾ [الجن].

وقال ﷺ: **«إذا سألتَ فاسألِ الله وإذا استعنتَ فاستعنْ بالله»** رواه الترمذي وقال حسن صحيح.

٢. أكثر الموالد فيها إطراء ومبالغة وزيادة في مدحه ﷺ، وقد نهى عن ذلك بقوله ﷺ: **«لا تُطروني كما أطرتِ النصارى ابن مريم فإنما أنا عبدٌ فقولوا عبدُ الله ورسوله»** رواه البخاري.

٣. يذكر مولد العروس وغيره أن الله خلق محمداً من نوره وخَلق من نوره الأشياء كلها، والقرآن يكذبهم قائلاً: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].

والمعروف أن الرسول ﷺ خُلِق من أبوين وهو من البشر الذي يمتاز بالوحي من الله، ويقولون في المولد: إن الله خلق العالم من أجل محمد والقرآن يُكذبُهم بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات].

٤. إن النصارى يحتفلون بعيد ميلاد المسيح، وميلاد أفراد أسرتهم، وعنهم أخذ المسلمون هذه البدعة، فاحتفلوا بمولد نبيهم ومولد أفراد أسرتهم، ورسُولهم يُحذِرهم قائلاً: **«من تشبّه بقوم فهو منهم»** صحيح رواه أبو داود.

٥. كثيراً ما يختلط الرجال والنساء في حفلة المولد وهو مما يحرمه الاسلام.

٦. إن الذي يُصرف من الأموال في الزينة يوم المولد من الورق الملون والقناديل وغير ذلك يبلغ الملايين، وهي تلقى على الأرض دون فائدة، الكفار يقبضون ثمن الزينة المستوردة من بلادهم، وقد نهى الرسول عن إضاعة المال.

٧. إن الوقت الذي يضيعه الناس في نصب الزينة يعرضهم لترك الصلاة أحياناً كما رأيت ذلك.

٨. جَرَت العادة أن يَقوم الناس وقوفاً في آخر المولد، لاعتقاد بعضهم حضور الرسول ﷺ، وهو كذب واضح لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]. برزخ: حاجز بين الدنيا والآخرة.

وقال أنس بن مالك ﷺ: «ما كان شخصٌ أحبَّ إليهم من

رسول الله ﷺ، وكانوا إذا رأوه (الصحابة) لم يقوموا له لما يعلمون من كراهيته لذلك» صحيح رواه أحمد والترمذي.

٩. يقول بعضهم: نحن نقرأ في المولد سيرة الرسول ﷺ، والواقع أنهم يأتون بأشياء تخالف كلامه وسيرته، والمحب هو الذي يقرأ سيرته كل يوم لا كل سنة، هذا مع أن شهر ربيع الأول الذي ولد فيه الرسول ﷺ قد مات فيه فليس الفرح بأولى من الحزن فيه.

١٠. كثيراً ما يسهر أهل المولد إلى نصف الليل، فيُضيِّعون صلاة الصبح مع الجماعة على الأقل، أو تفوتهم الصلاة.

١١. لا عبرة بما يفعله الكثير من الناس في الاحتفال بالمولد، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦].

ويقول حذيفة: كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة.

١٢. وقال الحسن البصري: إن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي، الذين لم يذهبوا مع أهل الترف في اترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سُننهم حتى لقوا ربهم، فكذلك فكونوا.

١٣. إن أول من أحدث المولد الملك المظفر في بلاد الشام في مطلع القرن السابع للهجرة، وأول من أحدثه في مصر الفاطميون، وهم كما قال ابن كثير: كفار، فساق، فجار.

كيف نُحبُّ الله ورسوله ﷺ؟

١. قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران].

٢. وقال ﷺ: **«لا يُؤمن أحدُكم حتى أكون أحبَّ إليه من والدِه وولدِه والناس أجمعين»** رواه البخاري.

٣. تفيد هذه الآية أن محبة الله تكون باتباع ما جاء به رسول الله ﷺ وطاعته فيما أمر به، وترك ما نهى عنه مما جاء في أحاديثه الصحيحة التي بينها للناس، ولا تكون المحبة بالتشدق بالكلام وعدم العمل بهديه وأوامره وسنته.

٤. ويفيدنا هذا الحديث الصحيح أن إيمان المسلم لا يكتمل حتى يحب الرسول ﷺ محبة تزيد على محبة الولد والوالد والناس كلهم وحتى تزيد على محبة المسلم لنفسه، كما ورد ذلك في حديث آخر، ويظهر أثر المحبة عندما تتعارض أوامر الرسول ﷺ ونواهيه مع شهوات النفس ورغبة الزوجة والأولاد والناس الذين حوله، فإن كان محباً صادقاً لرسول الله ﷺ قدّم أوامره، وخالف نفسه وأهله وشهواته ومن حوله، وإن كان كاذباً عصى الله ورسوله، ووافق شيطانه وهواه.

٥. إذا سألت مسلماً هل تحب رسولك؟ فيقول لك نعم فداه روحي ومالي، فإذا سألته لماذا تحلق لحيتك وتخالف أمره في كذا ... وكذا ... ولا تتشبه به في مظهره وأخلاقه وتوحيده؟ أجابك بقوله:

المحبة في القلب وقلبي طيب والحمد لله!! نقول له لو كان قلبك طيباً لظهر على جسدك، لقوله ﷺ: «**ألا إن في الجسد مُضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسَد الجسدُ كُله، ألا وهي القلب**» رواه البخاري ومسلم.

٦. دخلت عيادة طبيب مسلم فرأيت صور الرجال والنساء معلقات على الجدار، فذكرته بنهي الرسول ﷺ عن تعليق الصور، فرفض قائلاً هؤلاء زملائي وزميلاتي في الجامعة! عِلماً بأن الأكثرية منهم كفار، ولا سيما النساء اللَّاتي يُظهرن شعورهن وزينتهن في الصورة وهم من بلاد الشيوعية، وكان هذا الطبيب يحلق لحيته فنصحته فأخذته العزة بالإثم وقال: سيموت وهو حالق لحيته، والعجيب أن هذا الطبيب المخالف لتعاليم الرسول يدعي حبه الكاذب لرسول الله ﷺ ويقول لي قل يا رسول الله أنا في حماك! قلت في نفسي أنت تعصي أمره ثم تدخل في حماه وهل يرضى الرسول بذلك الشرك؟ فنحن والرسول في حمى الله وحده.

٧. إن محبة الرسول ﷺ لا تكون في الاحتفالات ونصب الزينة وإنشاد الأناشيد التي لا تخلو من منكر، وغير ذلك من البدع التي لا أصل لها في الدين بل تكون المحبة باتباع هديه والتمسك بسنته وتطبيق تعاليمه. وما أحسن قول الشاعر:

إنْ كان حُبُّك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يُحب مطيع

فضل الصلاة على النبي ﷺ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب].

قال البخاري قال أبو عالية: صلاة الله تعالى: ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء.

وقال ابن عباس: يُصلون: يُبَرِّكون. أي يباركون.

والمقصود من هذه الآية، كما ذكر لنا ابن كثير في تفسيره: إن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه وحبيبه عنده في الملأ الأعلى بأنه يُثني عليه عند الملائكة، وإن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السُّفلي بالصلاة عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين.

١. في هذه الآية يأمرنا الله أن ندعو للرسول ﷺ ونصلي عليه، لا أن ندعوه من دون الله، أو نقرأ له الفاتحة كما يفعل بعض الناس.

٢. أفضل صيغة للصلاة على رسول الله هي ما علَّمها لأصحابه حين قال لهم: **«قولوا اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»** رواه البخاري ومسلم.

٣. هذه الصلاة وغيرها من الصلوات الواردة في كتب الحديث وكتب الفقه المعتمدة لم تذكر فيها كلمة «سيدنا» التي يزيدها الكثير من الناس، علماً بأن الرسول ﷺ سيدنا لكن التقيد بكلام الرسول ﷺ واجب، والعبادة مبينة على النقل لا على العقل.

٤. قال ﷺ: **«إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ، فإنه من صلى عليَّ صلاة صلىَّ عليه بها عشراً، ثم سَلوا ليَ الوسيلة فإنها مَنزلةٌ في الجنة لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل ليَ الوسيلة حلت له الشفاعة»** رواه مسلم.

ودعاء الوسيلة الوارد عن الرسول ﷺ بعد الأذان وبعد الصلاة على النبي

(الصلاة الابراهيمية) سراً هو: **«اللهم ربَّ هذه الدّعوة التامة والصلاة القائمة آتِ محمداً الوسيلة والفضيلة وابْعثه مقاماً محموداً الذي وعدته»** رواه البخاري.

٥. والصلاة على النبي ﷺ مطلوبة عند الدعاء لقوله ﷺ: **«كل دعاء محجوب حتى يُصلي على النبي ﷺ»** حسن رواه البيهقي.

وقال ﷺ: **«إن لله ملائكة سيَّاحين في الأرض يُبلِّغوني عن أمتي السلام»** صحيح رواه أبو داود.

والصلاة على النبي ﷺ مطلوبة ولا سيما يوم الجمعة وهي من أفضل القُرُبات، والتوسل بها مشروع عند الدعاء لأنها من العمل الصالح، فنقول: اللهم بصلاتي على نبيِّك فرِّج عني كربي ... وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم.

الصلوات المبتدعة

نسمع كثيراً من صيغ الصلاة على النبي ﷺ مبتدعة لم ترد في كلام الرسول وصحابته والتابعين والأئمة المجتهدين بل هي من وضع بعض المشايخ المتأخرين، وقد راجت هذه الصيَغ بين العوام وأهل العلم، فأخذوا يقرؤونها أكثر مما يقرؤون الصلوات الواردة عن الرسول ﷺ وربما تركوا الوارد الصحيح ونشروا الصلوات المنسوبة لمشايخهم ولو أمعنا النظر في هذه الصلوات لرأينا فيها مخالفة لهدي الرسول ﷺ الذي نصلي عليه، ومن هذه الصلوات المبتدعة قولهم:

١. **«اللهم صلِّ على محمد طِبِّ القلوب ودوائها، وعافية الأبدان وشفائها، ونور الأبصار وضيائها، وعلى آله وسلم»**.

إن الشافي والمعافي للأبدان والقلوب والعيون هو الله وحده، والرسول لا يملك النفع لنفسه ولا لغيره، فهذه صيغة تخالف قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وتخالف قوله ﷺ: **«لا تُطروني كما أطرتِ النصارى ابنَ مريم فإنما أنا عبدٌ فقولوا عبدُ الله ورسوله»** رواه البخاري.

ومعنى الإطراء: هو مجاوزة الحد أو الزيادة في المدح.

٢. رأيت كتاباً في فضل الصلوات، لشيخ لبناني صوفي كبير فيه هذه الصيغ: «اللهم صلِّ على محمد حتى تجعلَ منه الأحدِيَّة والقيُّومية».

فالأحدية والقيومية من صفات الله الواردة في القرآن قد جعلها هذا الشيخ لرسول الله ﷺ.

٣. ورأيت في كتاب «أدعية الصباح والمساء» لشيخ سوري كبير قوله: «اللهم صلِّ على محمد الذي خَلقتَ من نوره كل شيء»، والشيء يشمل آدم وإبليس والقردة والخنازير، فهل يقول عاقل بأنهم خُلِقوا من نُور محمد؟!

لقد عرف الشيطان خَلقه وخَلْق آدم حين قال في القرآن: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [ص: ٧٦]. فهذه الآية تكذب كلام الشيخ وتبطله.

٤. ومن هذه الصيغ المبتدعة قولهم: «الصلاة والسلام عليكم يا رسول الله ضاقت حيلتي فأدركني يا حبيب الله». الجزء الأول من هذه الصلاة صحيح ولكن الخطر والشرك في الجزء الثاني من قوله: «أدركني يا حبيب الله» وهذا مخالف لقول الله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢]، وقوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧].

وكان الرسول إذا أصابه همٌّ أو غمٌّ قال: **«يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث»** حسن رواه الترمذي.

فكيف يجوز لنا أن نقول له أدركنا ونجنا؟!! وهذه الصيغة مخالفة لقوله ﷺ: **«إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله»** رواه الترمذي وقال حسن صحيح.

٥. صلاة الفاتح: وصيغتها: «اللهم صلِّ على محمد الفاتح لما أغلق...» وقائلها يزعم أن من يقرؤها أفضل له من قراءة القرآن بستة آلاف مرة، ونقل ذلك عن الشيخ أحمد التيجاني رئيس الطريقة التيجانية.

إنها سفاهة أن يعتقد العاقل فضلاً عن المسلم أن قراءة هذه الصيغة

المبتدعة أفضل من قراءة كلام الله مرة واحدة فضلاً عن ستة آلاف مرة، وهذا ما لا يقوله مسلم!

وأما وصف الرسول بالفاتح لما أغلق على إطلاقه دون تقييده بمشيئة الله فهو خطأ، لأن الرسول ﷺ لم يفتح مكة إلا بمشيئة الله ولم يستطع فتح قلب عمه للايمان بالله بل مات على الشرك، والقرآن يخاطب الرسول ﷺ قائلاً: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦]، وقال: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾ [الفتح].

٦. يقول صاحب دلائل الخيرات في الحزب السابع: «اللهم صلّ على محمد ما سجعتِ الحمائم ونفعت التمائم».

والتميمة هي الخرزة والخيط ونحوها التي تعلق على الأولاد وغيرهم للحماية من العين، ولا تنفع مُعلِّقها ولا من عُلِّقت له، بل هي من أعمال المشركين.

وقال ﷺ: **«من علَّق تميمة فقد أشرك»** صحيح رواه أحمد.

فهذه الصيغة تخالف الحديث وتجعل الشرك والتميمة قربة إلى الله، فنسأل الله العافية والهداية.

جاء في كتاب دلائل الخيرات هذه الصيغة: «اللهم صل على محمد حتى لا يبقى من الصلاة شيء وارحم محمداً حتى لا يبقى من الرحمة شيء» هذه الصيغة جعلت الصلاة والرحمة تنتهي وتنفد وهي من صفات أفعال الله، والله يرد عليهم قائلاً: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف].

٧. الصلاة البشيشية: يقول ابن بشيش فيها: «اللهم انشلني من أوحال التوحيد وأغرقني في بحر الوحدة وزُجَّ بي في الأحدية حتى لا أرى ولا أسمع ولا أحس إلا بها».

هذا مذهب القائلين بوحدة الخالق والمخلوق، وأن التوحيد فيه أوحال وأوساخ يدعو أن ينشله منه، ويغرقه في بحر وحدة الوجود ليرى إلهه في كل شيء، حتى قال زعيمهم:

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا وما الله إلا راهبٌ في كنيسة

فالنصارى أشركوا حينما قالوا عيسى ابن الله وهؤلاء جعلوا المخلوقات كلها شركاء!! تعالى الله عما يشركون.

٨. إحذر يا أخي المسلم هذه الصيغ البدعية التي توقعك في الشرك، وتقيد بما ورد عن الرسول ﷺ، الذي لا ينطق عن الهوى والذي في متابعته الهدى والنجاة وفي مخالفته يكون العمل مردوداً. قال رسول الله ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ**» رواه مسلم.

الصلاة النارية

الصلاة النارية معروفة عند كثير من الناس وأن من قرأها ٤٤٤٤ مرّة بنية تفريج كرب أو قضاء حاجة تُقضى له، وهذا زعم باطل لا دليل عليه، ولا سيما إذا عرفت نصها ورأيت الشرك ظاهراً فيها وهذه صيغتها:

«اللهم صل صلاة كاملة وسلم تسليماً تاماً على سيدنا محمد الذي تنحلّ به العقد وتنفرج به الكرب ويُقضى به الحوائج، وتنال به الرغائب وحسن الخواتيم، ويُستسقى الغمام بوجهه الكريم وعلى آله وصحبه عدد كل معلوم لك».

١. إن عقيدة التوحيد التي دعا إليها القرآن الكريم وعلمنا إياها رسول الله ﷺ تحتم على كل مسلم أن يعتقد أن الله وحده هو الذي يحل العقد ويُفرِّج الكرب ويقضي الحوائج ويعطي ما يطلبه الإنسان حين يدعوه، ولا يجوز لمسلم أن يدعو غير الله لتفريج همه أو شفاء مرضه، ولو كان المدعو مَلكاً مُرسلاً أو نبياً مُقرّباً، وهذا القرآن يُنكر دعاء غير الله من المرسلين والأولياء فيقول: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء].

قال المفسرون: نزلت في جماعة كانوا يدعون المسيح، أو الملائكة أو الصالحين من الجن. ذكره ابن كثير.

٢. كيف يرضى رسول الله ﷺ بأن يُقال عنه يحل العُقد ويُفرّج الكرب والقرآن يأمره ويقول له: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ [الأعراف].

وجاء رجل إلى الرسول ﷺ فقال له: «**ما شاء الله وشئت، فقال: أجعلتني لله نداً؟ قل ما شاء الله وحده**» رواه النسائي بسند حسن.

الندُّ: المثيل والشريك

٣. ولو حذفنا كلمة «به» ووضعنا بدلاً منها كلمة «بها» لكان معنى الصيغة صحيح بدون العدد السابق، وتكون كالآتي: «**اللهم صل صلاة كاملة، وسلم سلاماً تاماً على محمد، التي تُحلّ بها العقد (أي بالصلاة)**» لأن الصلاة على النبي ﷺ عبادة يُتوسل بها لتفريج الهم والكرب.

٤. لماذا نقرأ هذه الصلوات البدعية من كلام المخلوق، ونترك الصلاة الابراهيمية وهي من كلام المعصوم.

القرآن للأحياء لا للأموات

قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص].

لقد تسابق الصحابة للعمل بأوامر القرآن وترك نواهيه، فأصبحوا سعداء الدنيا والآخرة، وحين ترك المسلمون تعاليم القرآن، واتخذوه للموتى يقرؤونه على القبور، وأيام التعزية، أصابهم الذل والتفرق، وحق عليهم قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠﴾ [الفرقان].

لقد أنزل الله القرآن للأحياء ليعملوا به في حياتهم، فالقرآن ليس للموتى وقد انقطع عملهم فلم يستطيعوا قراءته والعمل به، ولا يصل ثواب قراءته لهم إلا مِنَ الولد لأنه من سعي أبيه، قال ﷺ: «**إذا مات الانسان انقطع عملهُ إلا من ثلاث: صدقة جارية أو عِلم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له**» رواه مسلم.

ذكر ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩﴾ [النجم].

فقال: «أي كما لا يُحمل عليه وزْر غيره كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه، ومن هذه الآية الكريمة استنبط الامام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها للموتى، لأنه ليس من عملهم وليس من كسبهم، ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته، ولا حثّهم عليه ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء، ولم يُنقل ذلك عن أحد الصحابة، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، وبابُ القربات يُقتصر فيه على النصوص ولا يُتصرّف فيه بأنواع الأقيسة والآراء، فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على وصولهما ومنصوص من الشارع عليهما».

١. لقد راجت فكرة قراءة القرآن للموتى، حتى أصبحت قراءته علامة على الموت، فما تكاد تسمع القرآن من الإذاعات بشكل مستمر حتى تعلم أن رئيساً قد مات، وإذا سمعته من بيت فتعلم أن فيه عزاء ومأتماً، وقد سَمِعَت أمّ من أحد الزائرين يقرأ القرآن لولدها المريض فصاحت: إن ابني لم يمت حتى تقرأ له القرآن!!..

وسمعت امرأة أخرى سورة الفاتحة من الاذاعة فقالت: أنا لا أحبها لأنها تذكرني بأخي الميت وقد قرئت عليه!

لأن الإنسان يكره الموت وما يلوذ به..

٢. إن الميت الذي ترك الصلاة في حياته ماذا يستفيد من القرآن بعد موته، وهو يبشره بالويل والعذاب؟

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون].

هذا إن أخرها عن وقتها ولم يتركها.

٣. أما حديث: «اقرؤوا على موتاكم يس» فقد أعلّه ابن القطان بالاضطراب والوقف والجهالة، وقال الدارقطني: هذا حديث مضطرب الاسناد ومجهول المتن ولا يصح.

ولم يثبت عن الرسول ﷺ وصحابته أنهم قرؤوها على ميت، سواء كانت سورة يس أو الفاتحة أو غيرها من القرآن، بل كان الرسول ﷺ يقول لأصحابه عند فراغه من الدفن للميت: «**استغفروا لأخيكم وسَلوا له التثبيتَ، فإنه الآن يُسأل**» صحيح رواه أبو داود وغيره.

٤. يقول أحد الدعاة: ويحك يا مسلم تركت القرآن في حياتك ولم تعمل به حتى إذا قربت من الموت قرؤوا عليك سورة يس لتموت بسهولة!! فهل أنزل القرآن لتحيا أم لتموت؟!

٥. لم يُعلِّم الرسول صحابته أن يقرؤوا الفاتحة عند دخول المقبرة بل علمهم أن يقولوا: «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية** (من العذاب)» رواه مسلم وغيره.

فهذا الحديث يعلمنا أن ندعو للأموات لا أن ندعوهم ونستعين بهم.

٦. أنزل الله القرآن، ليُقرأ على من يمكنهم العمل من الأحياء، قال تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [يس]. أما الأموات فلا يسمعونه ولا يمكنهم العمل به.

اللهم ارزقنا العمل بالقرآن الكريم على طريقة الرسول ﷺ.

القيام الممنوع

قال ﷺ: «**من أحبَّ أن يتمثّل الناسُ له قياماً فلْيَتبوَّأ مقعده من النار**» صحيح رواه أحمد.

وقال أنس رضي الله عنه: «**ما كان شخص أحبّ إليهم من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له، لما يَعلمون مِن كراهيته لذلك**» صحيح رواه الترمذي.

١. يُفهم من هذين الحديثين أن المسلم الذي يحبّ أن يقوم له الناس عند دخوله مجلساً يتعرض لدخول النار، وأن الصحابة رضي الله عنهم يُحبون رسول الله ﷺ حباً شديداً ومع ذلك كانوا إذا رأوا الرسول ﷺ داخلاً عليهم لم يقوموا له لما يعلمون من كراهية الرسول ﷺ للقيام له.

٢. اعتاد الناس أن يقوموا لبعضهم وخاصة إذا دخل الشيخ لاعطاء الدرس أو لزيارة مكان من الأمكنة وكذا المدرس إذا دخل على الطلاب فسرعان ما يقف الطلاب احتراماً له، والذي يمتنع عن القيام يُلام ويُوبّخ على سوء أدبه وعدم احترامه لأستاذه.

إن سكوت الشيخ أو المعلم على القيام له، أو لوم الطالب المتخلف عن القيام يدل على حب الشيخ والمدرس للقيام ويعرضان نفسيهما لدخول النار، ولو كانا لا يحبان القيام لهما أو يكرهانه لأعلم كلٌ منهما طلابه وطلب منهم عدم القيام بعد ذلك وشرح لهم الأحاديث الناهية عن القيام.

إن تكرار القيام للعالم أو الداخل يولد في نفس كل منهما حب القيام بحيث إذا لم يقم أحد له شعر بانزعاج وإن هؤلاء القائمين كانوا عوناً للشيطان في حب القيام للقادم، وقد قال ﷺ: «**ولا تكونوا عون الشيطان على أخيكم**» رواه البخاري.

٣. كثير من الناس يقولون: نحن نقوم للمدرس أو الشيخ احتراماً لعلمه، فنقول لهم: هل تشكون في علم رسول الله ﷺ وأدب صحابته معه، ومع ذلك لم يقوموا له، والاسلام لا يعتبر الاحترام بالقيام، بل يكون بالطاعة وإمتثال الأمر وإلقاء السلام والمصافحة، ولا عبرة بقول الشاعر شوقي:

قُم للمُعلِّم وفِّه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

لمخالفته قول رسول الله المعصوم ﷺ الذي كره القيام، فكان من أحبه تستوجب له دخول النار.

٤. كثيراً ما نكون في مجلس فيدخل الغني فيقوم له الناس، ويدخل الفقير فلا يقوم له أحد فيجد في نفسه حِقداً على الغني والجالسين لهذه المعاملة وتكون الشحناء بين المسلمين التي نهى الاسلام عنها وكان سببها القيام، وقد يكون هذا الفقير الذي لا يقوم الناس له أفضل عند الله من ذلك الغني المُقام له، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

٥. قد يقول قائل: إذا لم نقم للرجل الداخل فربما وجد في نفسه شيئاً

على الجالسين، فنقول له: نشرح لهذا القادم أن محبته في قلوبنا وأننا نقتدي برسول الله ﷺ الذي يكره القيام له وبصحابته الذين لم يقوموا له، ونحن نكره للقادم دخول النار.

٦. قد تسمع من بعض المشايخ يقولون إن حسان شاعر الرسول ﷺ يقول: «قيام العزيز عليَّ فرض» فهذا غير صحيح.

وما أحسن قول تلميذ ابن بطة الحنبلي:

وإذا صحَّت الضمائر منا اكتفينا أن نتعب الأجساما

لا تكلف أخاك أن يتلقا ك بما يستحِل فيك الحراما

كلنا واثق بوُدِّ مُصافيه ففيم انزعاجنا وعلامَ؟

القيام المطلوب والمشروع

لقد وردت الأحاديث الصحيحة وأعمال من الصحابة تدل على جواز القيام إلى القادم، تعالوا معنا لنفهم هذه الأحاديث:

١. كان ﷺ يقوم إلى ابنته فاطمة إذا دخلت عليه وتقوم إليه إذا دخل عليها وهذا جائز ومطلوب لأنه قيام إلى الضيف لملاقاته وإكرامه، لقوله ﷺ: **«مَن كان يُؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»** متفق عليه، والقيام يكون من صاحب البيت فقط.

٢. **«قوموا إلى سيدكم»** متفق عليه، ورواية «فأنزلوه» سبب ورود هذا الحديث أن سعداً ﷺ كان جريحاً، وطلبه الرسول ﷺ ليحكم في اليهود فركب حماراً فلما وصل قال للأنصار: «قوموا إلى سيدكم فأنزلوه» فقاموا إليه فأنزلوه، وهذا القيام مطلوب لمساعدة سعد سيد الأنصار ﷺ وهو جريح على ظهر الحمار لئلا يقع، ولم يقم الرسول ﷺ وبقية الصحابة.

٣. ورد أن الصحابي كعب بن مالك حينما دخل المسجد والصحابة جالسون فقام إليه طلحة وحده مُهرولاً ليبشره بقبول توبته بعد أن تخلف عن الجهاد، وهذا القيام جائز لادخال السرور على رجل حزين: وبشارته بالتوبة عليه من الله تعالى.

٤. القيام إلى القادم من سفر لمعانقته.

٥. نلاحظ أن هذه الأحاديث كلها جاءت بلفظ: «إلى سيدكم، إلى طلحة، إلى فاطمة» وهي تدل على جواز القيام بعكس الأحاديث المانعة من القيام، فقد جاءت بلفظ: «له»، والفرق كبير بين قام إليه (أي أسرع إلى مساعدته أو إكرامه) وبين قام له (أي قام واقفاً في مكانه للتعظيم).

الأحاديث الضعيفة والموضوعة

الأحاديث المنسوبة للرسول ﷺ منها الصحيح والحسن والضعيف والموضوع، وقد ذكر الامام مسلم في مقدمة كتابه ما فيه تحذير من الضعيف: «باب النهي عن الحديث بكل ما سمع» مستدلاً بقوله ﷺ: **«كفى بالمرء كذبا أن يُحدِّث بكل ما سمع»** رواه مسلم.

وذكر الامام النووي في شرحه لمسلم: «باب النهي عن الرواية عن الضعفاء» مستدلاً بقوله ﷺ: **«سيكون في آخر الزمان ناسٌ من أمتي يُحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم»** رواه مسلم.

قال الامام ابن حبان في صحيحه: «فصل ذكر إيجاب دخول النار لمن نسب شيئاً إلى المصطفى ﷺ وهو غير عالم بصحته» ثم ساق بسنده قوله ﷺ: **«من قال عليَّ ما لم أقل فليتبوَّأ مقعده من النار»** حسن رواه أحمد.

وقد حذر الرسول ﷺ من الأحاديث الموضوعة فقال: **«مَن كذبَ عليّ متعمداً فليتبوَّأ مقعده من النار»** متفق عليه.

ومع الأسف نسمع كثيراً من المشايخ يُحدث بها تأييداً لمذهبه ومعتقده، من هذه الأحاديث: «اختلاف أمتي رحمة».. قال العلامة ابن حزم: ليس بحديث بل هو باطل مكذوب لأنه لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق سخطاً، وهذا ما لا يقوله مسلم.

ومن الأحاديث المكذوبة «تعلموا السحر ولا تعملوا به» وقولهم «لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه» وغيرها من الأحاديث الموضوعة.

وأما الحديث المنتشر الآتي: «جنِّبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم»، قال

ابن حجر: ضعيف، وقال ابن الجوزي لا يصح، وقال عبدالحق لا أصل له.

لقد ثبت في الحديث الصحيح وهو قوله ﷺ: «**علِّموا أولادكم الصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر**» صحيح رواه البزار وانظر صحيح الجامع.

والتعليم يكون في المسجد كما علَّم الرسول أصحابه الصلاة وهو على المنبر والصبيان كانوا في مسجد الرسول ﷺ حتى غير المميزين.

١. لا يكفي أن نقول في آخر الحديث: «رواه الترمذي أو غيره» لأنه يروي أحياناً أحاديث غير صحيحة، فلا بد من ذكر درجة الحديث: «صحيح، حسن، ضعيف».

أما قولنا: «رواه البخاري أو مسلم» فيكفي لأن أحاديثهما صحيحة.

٢. إن الحديث الضعيف لم تثبت نسبته للرسول ﷺ لوجود علة في سنده أو متنه، وإن أحدنا لو نزل السوق ورأى لحماً سميناً وضعيفاً فيأخذ السمين ويترك الضعيف، وقد أمرنا الاسلام أن نأخذ الذبيحة السمينة في الأضحية ونترك الضعيفة الهزيلة، فكيف يجوز الأخذ بالحديث الضعيف في الدين ولا سيما عند وجود الصحيح؟ ونص علماء الحديث على أن الحديث الضعيف لا يقال فيه قال رسول الله التي هي للصحيح، بل يقال رُوي بصيغة المجهول للتفريق بينهما.

٣. يرى بعض العلماء المتأخرين جواز الأخذ بالحديث الضعيف بشروط:

- أن يكون في فضائل الأعمال.
- أن يندرج تحت أصل صحيح من السنة.
- أن لا يشتد ضعفه.
- أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته.

والناس اليوم لا يتقيدون بهذه الشروط إلا ما ندر.

نماذج من الأحاديث الموضوعة

١. «إن الله قبض قبضة من نوره فقال لها كوني محمداً» موضوع.

٢. «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر» موضوع.

٣. «توسلوا بجاهي» لا أصل له.

٤. «مَن حجّ ولم يزرني فقد جافاني» قال بوضعه الحافظ الذهبي.

٥. «الكلام في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» قال الحافظ العراقي لا أصل له.

٦. «عِلمه بحالي يكفي عن سؤالي» قال ابن تيمية موضوع.

٧. «حب الوطن من الإيمان» موضوع كما قال الأصفهاني.

٨. «عليكم بدين العجائز» موضوع لا أصل له.

٩. «مَن عرف نفسه فقد عرف ربّه» لا أصل له.

١٠. «كُنتُ كازاً مخفياً» لا أصل له.

١١. «لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد لمَّا غفرت لي . .» موضوع.

١٢. الناس كلهم موتى إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون، والعاملون كلهم غرقى إلا المخلِصُون، والمخلصون على خطر عظيم» موضوع.

كيف نزور القبور؟

قال ﷺ: **«إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها لتذكركم زيارتها خيراً»** صحيح رواه أحمد.

١. يُسن السلام على الأموات والدعاء لهم عند الدخول، فقد علم الرسول أصحابه أن يقولوا: **«السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية** (أي من العذاب)» رواه مسلم.

٢. عدم الجلوس على القبر وعدم وطئه، لقوله ﷺ: «**لا تُصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها**» رواه مسلم.

٣. عدم الطواف حول القبر بنية التقرب. لقوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ (الكعبة) [الحج: ٢٩].

٤. عدم قراءة شيء من القرآن في المقبرة لقوله ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر فإن الشيطان ينفر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة**» رواه مسلم.

وهذه إشارة إلى أن القبور ليست محلاً للقرآن بعكس البيت، والأحاديث الواردة في القراءة على القبور غير صحيحة.

٥. أما طلب المدد والعون من الميت، ولو كان نبياً أو ولياً، فهو من الشرك الأكبر، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ (أي المشركين) [يونس].

٦. عدم وضع أكاليل الزهور وحملها لوضعها على قبر الميت لأنه تشبه بالنصارى، وإضاعة للمال فيما لا فائدة فيه، ولو أعطي المبلغ للفقراء صدقة للميت لاستفاد الميت والفقراء.

٧. لا يجوز البناء على القبر أو كتابة شيء من القرآن أو الشعر عليه للنهي الوارد في الحديث «نهى عن تجصيص القبر وأن يُبنى عليه»، ويكتفي بوضع حجر بارتفاع شبر ليعرف القبر، كما فعل الرسول ﷺ عندما وضع حجراً على قبر عثمان بن مظعون وقال: «أتعلّم على قبر أخي» رواه أبو داود بإسناد حسن.

التقليد الأعمى

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المائدة].

١. يخبرنا الله عن حال المشركين حينما قال لهم الرسول ﷺ: تعالوا إلى القرآن وتوحيد الله ودعائه وحده، فقالوا يكفينا عقيدة الآباء، فرد عليهم القرآن قائلاً إن آباءكم جهال لا يعلمون شيئاً ولم يهتدوا إلى طريق الحق.

٢. إن كثيراً من المسلمين وقعوا في هذا التقليد الأعمى، فقد سمعت أحد الدعاة يخطب في محاضرة قائلاً: هل كان آباؤكم يعلمون أن الله له يد؟ يحتج بآبائه على الانكار! مع أن القرآن أثبت ذلك في قوله تعالى عن خلق آدم: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

ولا تشبه يدُه يدَ مخلوقاته. لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

٣. وهناك نوع آخر من التقليد الضار، هو تقليد الكفار في الفجور والسفور واللباس الضيق، وليتنا قلدناهم في المخترعات النافعة كصنع الطائرات وغيرها مما يفيدنا.

٤. كثير من الناس تقول له: قال الله، قال رسوله، فيقول قال الشيخ!! ألم يسمعوا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١].

أي لا تقدموا قول أحد على قول الله ورسوله.

وقال ابن عباس: أراهم سيهلكون! أقول قال النبي ﷺ ويقولون: قال أبو بكر وعمر، رواه أحمد وغيره وصححه أحمد شاكر.

وقال الشاعر يُنكر على المحتجين بكلام شيوخهم:

أقول قال الله قال رسوله فتجيب شيخي إنه قد قال

لا ترُدّوا الحق

١. لقد أرسل الله الرسل للناس، وأمرهم بالدعوة إلى عبادة الله وتوحيده ولكن أكثر الأمم كذبوا الرسل، وردوا الحق الذي دُعوا إليه وهو التوحيد فكان عاقبتهم الدمار.

٢. قال ﷺ: **«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقالُ ذرة من كِبر. ثم قال: الكِبْرُ بَطرُ الحق وغَمْط الناس»** رواه مسلم.

بَطرُ الحق: رَدُّ الحق

غَمْط الناس: احتقارهم.

فعلى هذا لا يجوز للمؤمن أن يَرُدَّ الحق والنصيحة حتى لا يتشبه بالكفار وحتى لا يقع في الكِبْر الذي يمنع صاحبه دخول الجنة، فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها.

٣. ولهذا يجب قبول الحق من أي إنسان كان، حتى من الشيطان، فقد ورد أن الرسول ﷺ وضع أبا هريرة حارساً على بيت المال، فجاء سارق ليسرق فقبض عليه أبو هريرة فجعل السارق يرجوه ويشكو ضعفه فتركه، ثم عاد مرة ثانية، وثالثة، فقبض عليه وقال له: لأرفعنك إلى رسول الله، فقال: دعني فإني أعلمك آية من القرآن إذا قرأتها لا يقربك شيطان، قال: ما هي؟ قال آية الكرسي، فتركه، وقص أبو هريرة على الرسول ما رأى، فقال له الرسول ﷺ: أتدري من تكلم؟ إنه شيطان، صدقك وهو كذوب، رواه البخاري.

عقيدة المسلم

إن كان تابعُ أحمدٍ متوهّباً	فأنا المقِرُّ بأنني وهّابي
أنفي الشريك عن الإله فليسَ لي	ربٌّ سوى المتفردِ والوهاب
لا قبة تُرجى ولا وثنٌ ولا	قبرٌ له سببٌ من الأسباب
كلا ولا حجر ولا شجر ولا	عين ولا نُصُبٌ من الأنصاب
أيضاً ولستُ مُعلقاً لتميمة	أو حلقة أو وَدعة أو ناب
لِرجاء نفع أو لدفع بليّةٍ	الله ينفعني ويدفع ما بي
والابتداع وكل أمر مُحدثٍ	في الدين ينكره أولوا الألباب
أرجو بأني لا أقاربُه ولا	أرضاه ديناً وهو غير صواب
وأعود من جهمية عنها عتتْ	بخلاف كل مؤوِّل مُرتاب
والاستواء فإن حسبي قدوة	فيها مَقال السادة الأنجاب
الشافعي ومالك وأبي حنيـ	ـفَة وابن حنبل التقي الأواب
وبعصرنا من جاء معتقداً به	صاحوا عليه مُجَسّم وهّابي
جاء الحديث بغربة الإسلام فَلْ	يَبْكِ المحب لِغربة الأحباب

فالله يحمينا ويحفظ ديننا مِن شَرّ كل مُعانِدٍ سَبَّاب
ويُؤَيِّد الدين الحنيف بعصبة مُتمسكين بسنة وكتاب
لا يأخذون برأيهم وقياسهم ولهم إلى الوحْيَين خير مآب
قد أخبر المختار عنهم أنهم غُرباءُ بين الأهل والأصحاب
سلكوا طريق السالكين إلى الهُدى ومشوا على مِنهاجهم بصواب
من أجل ذا أهلُ الغُلُوّ تنافروا عنهم فقلنا ليس ذا بعُجاب
نفر الذين دعاهم خيرُ الورى إذ لقبوه بساحر كذاب
معَ علمهم بأمانة وديانة فيه ومكرمة، وصدق جواب
صلى عليه الله ما هبَّ الصبا

إعداد

محمد بن جميل زينو

المدرس في دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة

* * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة

* * *

١- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد
٢- العقيدة الواسطية
٣- العقيدة الطحاوية
٤- عقيدة أهل السنَّة والجماعة
٥- العقيدة الإسلامية
٦- عقيدة الإمام محمد بن عبدالوهاب
٧- عقيدة الرازيين (أبي حاتم وأبي زرعة)
٨- العقيدة السفَّارينية
٩- كتاب اعتقاد أهل السنَّة للإسماعيلي
١٠- الاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي
١١- نواقض الإسلام
١٢- كتاب التوحيد
١٣- تفسير كلمة التوحيد
١٤- أصول السنة للحميدي
١٥- أصول السنة للإمام أحمد
١٦- نصيحتي لأهل السنة
١٧- سلم الوصول إلى معرفة الأصول
١٨- ستة أصول عظيمة
١٩- القواعد الأربع
٢٠- الأصول الثلاثة
٢١- صريح السنة للطبري
٢٢- شرح السنة للمزني
٢٣- تطهير الجنان والأركان
٢٤- الجامع لعبادة الله وحده
٢٥- معنى الطاغوت
٢٦- مسائل الجاهلية
٢٧- كشف الشبهات
٢٨- ما يتميز به المسلم عن المشرك
٢٩- الجوهرة الفريدة
٣٠- مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني
٣١- باب فضل الإسلام
٣٢- الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم
٣٣- هذه دعوتنا وعقيدتنا
٣٤- القصيدة الحائية
٣٥- المنظومة الرائية في السنة للزنجاني
٣٦- المنظومة اللامية
٣٧- أعلام السنة المنشورة
٣٨- تجريد التوحيد المفيد
٣٩- عقيدة السلف أصحاب الحديث
٤٠- المبادئ المفيدة
٤١- رسالة الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك
٤٢- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه
٤٣- منهاج الفرقة الناجية